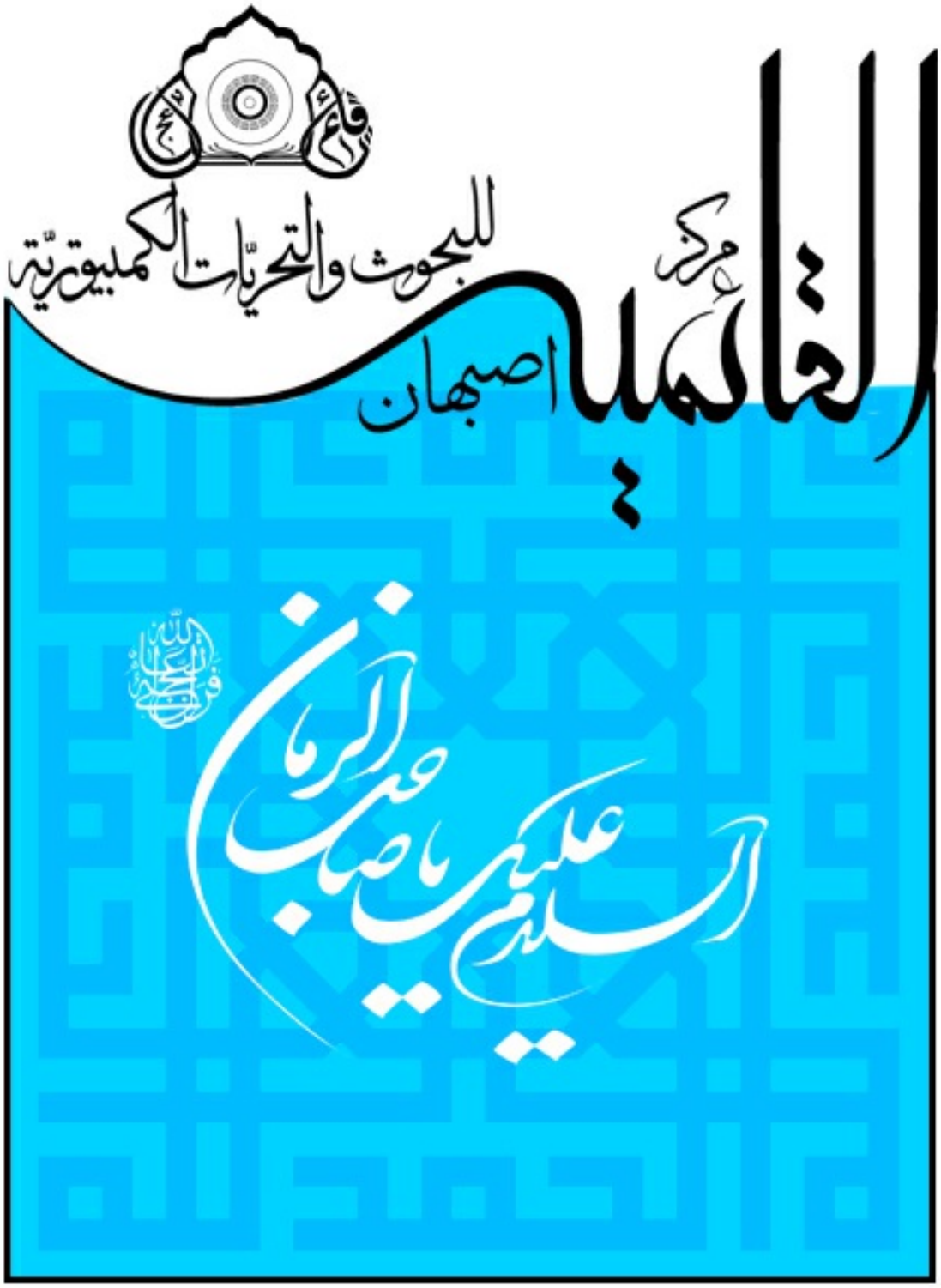

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة

العلامة الشهيد
السيد حسن الشيرازي المدني

١-٢

بسم الله الرحمن الرحیم

صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة

كاتب:

العلامة الشهيد السيد حسن السيد علي القبانچي النجفي (ره)

نشرت في الطباعة:

موسسه احياء التراث الشيعي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة 29

اشارة 29

المجلد 1 29

اشارة 29

المقدمة: 31

اشارة 31

كتاب صوت الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة: 34

نشاطات مؤسسة إحياء التراث الشيعي: 35

عملنا في الكتاب: 36

شكر وتقدير: 36

تقديم بقلم نجل المؤلف سماحة السيد صدر الدين القبانچي 37

اشارة 37

سياسة الإمام علي عليه السلام: 37

الأصول الثلاثة: 37

هذا الكتاب: 38

كتابات المؤلف في الإمام علي عليه السلام: 38

الأول: علي والأسس التربوية 39

الثاني: مسند الإمام علي عليه السلام: 39

الثالث: صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: 39

كلمة شكر: 40

مقدمة وذكرياته بقلم الدكتور الشيخ محمد حسين الصغير 41

كلمات أقطاب العلم وعباقرة الأدب حول نهج البلاغة 47

كلمة السيّد كاظم القزوينيّ: 47
كلمة الحجّة آغا بزرك الطهراني: 48
كلمة العلاّمة السيّد هبة الدين الشهرستاني: 51
كلمة الحجّة العلاّمة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: 51
كلمة ابن أبي الحديد المعتزلي في نهج البلاغة: 52
كلمة الفيلسوف الشيخ محمّد عبدة 57
كلمة محمد محيي الدين مصدّر شرح النهج لابن عبدة: 59
كلمة السيد الشريف الرضي رَحمه الله مؤلف نهج البلاغة: 59
كلمة ميرزا حبيب الله الخوئي 60
كلمة الأستاذ حسن نائل المرصفي المصري: 61
كلمة الصحافي الشهيره أمين نخلة: 63
كلمة نرسيسيان: 64
كلمة مستر كرينو الانكليزي أستاذ الآداب العربية: 64
كلمة الأستاذ جورج جرداق: 64
كلمة الشيخ محمد مهدي شمس الدين: 71
كلمة الأديب جبران خليل جبران: 72
كلمة الشيخ محمد حسن القبيسي العاملي 72
كلمة روكس بن زائدة العزيزي الكاثوليكي: 73
العقّاد و نهج البلاغة: 74
كلمة سبط ابن الجوزي: 75
كلمة الحجّة الشيخ هادي كاشف الغطاء: 75
كلمة الدكتور زكي نجيب محمود: 75
كلمة الأستاذ العلاّمة أحمد أمين الكاظمي: 76
كلمة الدكتور صبحي الصالح: 77
كلمة شبلي شميل حول نهج البلاغة: 79

كلمة سليمان كتّاني: ---- 80
نهج البلاغة في الشعر العربي ---- 81
علي ونهج البلاغة فيما ذهب إليه بعض المرجفين ---- 93
مختارات من خطب وكتب الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وشرحها من كتاب له عليه السلام إلي الحارث الهمداني: ---- 101
يوصيه بالتمسك بالقرآن وذكر الموت ونصائح أخري عظيمة ---- 101
دخول الحارث الهمداني علي أميرالمؤمنين عليه السلام : ---- 102
حديث علي عليه السلام مع نوف البكالي: ---- 105
موعظة الإمام الجواد عليه السلام لعبد العظيم الحسني: ---- 106
موعظة الإمام علي عليه السلام للحسن البصري: ---- 107
مواعظ وحكم لعلي عليه السلام ---- 109
الذنوب ثلاثة: ---- 112
من خطبة له عليه السلام: في صفة الإسلام والإيمان ---- 113
الإيمان يدل علي الصالحات : ---- 114
إعمار الفقه بالصلاح: ---- 115
بالفقه يرهب الموت: ---- 117
أشعار في الموت: ---- 117
من خطبة له عليه السلام: في ذمّ قريش وبيان عظمة أهل البيت عليهم السلام ---- 123
أهل البيت عليهم السلام أظلة العرش: ---- 125
حرّة بنت حليمة السعدية والحجّاج الثقفي: ---- 129
علي عليه السلام والأنبياء: ---- 131
أسماء مباركة توسّل بها نوح عليه السلام : ---- 133
مقتطفات في فضل أهل البيت عليهم السلام : ---- 135
أوجه عظمة أهل البيت عليهم السلام : ---- 137
من خطبة له عليه السلام: في وصف القرآن والاستشفاء بآياته ---- 139
خصائص القرآن: ---- 139

آيات مفيدة لدفع الأذي والأوجاع والفقر وكلّ ضرر: 141
مناظرة طبيّة بين الصادق عليه السلام وطبيب هندي: 148
من خطبة له عليه السلام: في معرفة الخالق وتوحيده 151
ولاية أهل البيت عليهم السلام شرط في التوحيد: 153
من كلام لاميرالمؤنين عليه السلام:في المعروف والانفاق 157
مواضع المعروف: 157
تعاريف للمعروف: 158
أنواع المعروف 161
شروط تأثيرالأمر بالمعروف: 162
الإمام الكاظم عليه السلام والعمري: 166
المأمون وعفوه عن عمّه إبراهيم: 167
الرشيد وعفوه عن الخارجي: 169
معن بن زائدة وعفوه عن الاسري: 170
المروءة النادرة: 170
من وصيّة له إلي ولده الحسن عليهما السلام:في الدعاء والتوبة إلي الله وعفوه تعالي 173
اشارة 173
الدعاء وشرائط القبول: 174
فوائد الدعاء: 175
أدعية القرآن: 177
فصول أربعة 178
الأوّل: في حقيقة الدعاء 178
الفصل الثاني: في استحباب الدعاء وفوائده 178
سؤال وجواب: 179
الفصل الثالث: في اقتران الدعاء بالاهتمام والعمل 180
الفصل الرابع: في آداب الدعاء والمسألة 181

عشرون باباً 183
الباب الأوّل: في الاستعاذة بالله سبحانه من الشياطين 183
الباب الثاني: في الإستعاذة بالله سبحانه من الشرور والأشرار ومن سيّئات الأعمال 183
الباب الثالث: و في الاستعاذة من النار ومن عذاب الملك القهار 184
الباب الرابع: في الدعاء للأبوين 185
الباب الخامس: في الدعاء لطلب الذّريّة والأولاد والأزواج 186
الباب السادس: في الدعاء للذّريّة والأولاد 186
الباب السابع: في الدعاء للاخوان 187
الباب الثامن: في الدعاء لعموم المؤمنين والمؤمنات 188
الباب التاسع: في الدعاء لطلب الهداية والاستقامة (في الدين) 188
الباب العاشر: في الدعاء لطلب الخيرات والحسنات 190
الباب الحادي عشر: في الدعاء لطلب العلم والحكمة 190
الباب الثاني عشر: لطلب الرحمة والغفران وتكفير السيئات 191
الباب الثالث عشر: لطلب التوبة وقبول الأعمال 193
الباب الرابع عشر: في الدعاء لطلب حسن المثوي 194
الباب الخامس عشر: الطلب الرزق واليُسر في الأمور وحسن العيش 195
الباب السادس عشر: في الدعاء لطلب السلامة والأمان 195
الباب السابع عشر: لطلب النصر والظفر ومزيد القوّة والأنصار 196
الباب الثامن عشر: لطلب الصبر وتوفيق الثبات 198
الباب التاسع عشر: في الدعاء لطلب النجاة من الظالمين 198
الباب العشرون: لطلب الدخول في صفّ الأخيار 199
أدعية أهل البيت عليهم السلام : 200
موت القلوب بعشرة أشياء: 202
الذنوب تمنع الغيث: 204
النميمة وخطرها في المجتمع: 205

قصة العبد النمام: 206
قال عليه السلام في خطبة له:يوصي فيها بعدم الغفلة ويحذر من الكذب والرياء والحسد 207
اشارة 207
ضبط الألفاظ اللغويّة: 207
المعني: 208
جهاد النفس: 208
مجالسة أهل المعاصي تسلب الإيمان: 212
أحاديث في النهي عن مجالسة أهل المعاصي: 213
الحسد وأثره النفسي: 215
الحسد ومنشؤه: 216
الحسد وعلله.. وآثاره: 218
علة قتل قابيل لأخيه هابيل: 220
علي والحاسدون: 225
معاوية ينطق بالحق: 226
أعرابي يمدح علياً عليه السلام في مجلس الوليد: 229
من وصية له إلي ولده الحسن عليهما السلام:لأعرابي يمدح عليا في مجلس معاوية: 232
من وصية له الي ولده الحسن عليهماالسلام:في محبّة الآخرين والنهي عن الظلم والعجب 235
اشارة 235
الشرح: 235
نفسك ميزانك: 236
العجب آفة نفسية 238
قصيدة إيليا أبي ماضي: 239
أحاديث في ذمّ العجب: 240
ومن خطبة له عليه السلام : في وصف آل محمد عليهم السلام 243
ضبط الألفاظ اللغوية: 243

المعني: 243
الأمر الأول: أهل البيت عليهم السلام موضع سرّ الله: 252
حديثناصعب مستصعب: 255
الثاني: أهل البيت لا ملتجأ أمر الله 256
أهل البيت عليهم السلام هم ولاة الأمر: 257
الدليل النقلي: 258
الدليل العقلي: 259
الثالث: أهل البيت عليهم السلام عيبة علم الله 259
الدليل النقلي: 260
الرابع: أهل البيت عليهم السلام موئل حكم الله 262
الخامس: أهل البيت عليهم السلام كهف الكتب السماويّة 263
مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع الجاثليق ورأس الجالوت وبقية المذاهب : 264
عدد الكتب السماوية: 269
السادس: أهل البيت عليهم السلام جبال الدين 272
السابع والثامن: أهل البيت عليهم السلام سبب قوام الدين 273
ومن خطبة له عليه السلام :يوصي بالتقوي والاعتبار بالقرون السالفة ويشير إلي المهدي عليه السلام 277
اشارة 277
ضبط الألفاظ اللغوية: 277
الشرح: 278
سليمان عليه السلام وملك الموت: 279
قصة راعي الغنم مع صاحب الزرع: 280
إجابة سليمان عليه السلام علي أسئلة السماء: 281
من وصايا داود لسليمان عليهما السلام: 283
نوادر أخبار ملك سليمان عليه السلام : 283
بناء بيت المقدس: 285

صفة سليمان في ملكه وفي بدنه: 288
عرش سليمان: 290
هدايا بلقيس: 291
سيرة نبي الله سليمان وتاريخه عليه السلام : 295
حكاية سليمان مع النملة: 297
قصّة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان: 298
ضرورة الاعتبار من التاريخ: 303
تاريخ العمالقة: 303
في بيان مدائن الرسّ وقصّة أصحابها: 305
الإمام المهدي علي لسان عليّ عليه السلام : 306
معرفة الحكمة وتفسيرها: 307
معاني الحكمة في القرآن: 309
تبع حكيم حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات: 310
بين إفلاطون وسقراط: 311
بزرجمهر في السجن: 311
حكمة فيثاغورس: 312
التحكمة أرسطاطاليس: 312
حكاية الملك ووزراءه الأربعة: 313
وصفة الحكيم لكل داء: 316
دلالة قوله عليه السلام فهو مغترب علي الإمام المهدي: 318
الرد علي المعتزلي: 319
الردّ علي ابن ميثم: 320
موضوع الإمام المنتظر عليه السلام: 321
الأوّل: استبعاد طول العمر 321
الثاني: عدم الحكمة في الوجود مع الغيبة 324

حكاية الشيخ محمد حسين الاصفهاني عن الإمام المهدي عليه السلام : 324
كلام محي الدين العربي في حق الإمام المهدي عليه السلام : 326
من خطبة له عليه السلام: يحذر فيها من الغفلة و يبين علمه و فضله علي الاخرين 331
ضبط الالفاظ اللغوية 331
الشرح: 332
الفصل الاول إيقاظ الغافلين 332
الفصل الثاني إشارة إلي مناقب علي عليه السلام 333
(إخبار علي عليه السلام بالمغيبات: 343
مجموعة أخري من المغيبات: 345
قصة عمرو بن الحمق الخزاعي: 347
(دخول جويرية علي علي عليه السلام: 349
إخباره عليه السلام بصلب ميثم التمار: 350
قصة رشيد الهجري: 350
إخباره عليه السلام بمقتل الحسين عليه السلام بكربلاء: 351
من كلام له عليه السلام:ينهي عن التنجيم ويدعو إلي الاستعانة بالله 353
النهي عن تعلم النجوم : 356
حقيقة السحر: 358
فصل ووصل 361
إخبار النبي صلي الله عليه وآله بالمغيبات: 363
إخباره صلي الله عليه وآله القيس بعدم مسه بضرر: 363
إشارته إلي عائشة بأنّها صاحبة الجمل: 364
من كلام له عليه السلام علي منبرالكوفة: 371
يدعو الناس للإستفادة من علمه 371
الحياة في كوكب المريخ: 374
أصدقاء عالم الفضاء: 376

لسنا وحدنا في الكون: 379
طبق طائر في الكويت: 379
المنطقة العربية والأطباق الطائرة: 380
طبق طائر فوق الأراضي السوفيتية: 381
صفات مشتركة للأطباق الطائرة: 381
حديث علي عليه السلام مع ذعلب: 383
كلام الإمام علي عليه السلام مع ابن الكوا: 386
علي عليه السلام وآخرالزمان: 388
من كلام له عليه السلام:في مدح الكوفة 391
ضبط الألفاظ اللغوية: 391
الشرح: 391
الكوفة وفضلها: 393
الكوفة رائدة الأدب العربي: 394
مسلم بن عقيل وأهل الكوفة: 396
من خطبة له عليه السلام :يوصي بالوفاء وعدم القدر ويذكر سوء عصره 401
اشارة 401
ضبط الألفاظ الغريبة: 401
المعني لهذه الفقرات النيّرة: 401
وفاء السمؤل: 402
قصة المنذر بن ماء السماء ويوماه البؤس والسعد: 403
آل الأشعث والغدر: 408
غدرة خالد بن الوليد: 409
قصة ثعلبة بن حاطب: 410
قصة سابور وبنت الملك الغادرة: 412
جزاني جزاء سنمار: 413

من كلام له عليه السلامالتحذير من اتباع الهوي وطول الأم ---------- 415
ضبط الألفاظ الغريبة: ---------- 415
المعني: ---------- 415
إتباع الهوي: ---------- 416
مجامع الهوي خمسة: ---------- 416
طول الأمل: ---------- 417
النهي والتحذير من طول الأمل: ---------- 418
من كلام له عليه السلاميدعو فيها للزهد والشكر عند النعم ---------- 421
اشارة ---------- 421
ضبط الألفاظ الغريبة: ---------- 421
المعني: الحث علي الزهد ---------- 421
موكب قارون: ---------- 423
موعظة علي عليه السلام لنوف صاحبه: ---------- 426
رسول الله صلي الله عليه وآله وليلة الإسراء: ---------- 427
أوجه الزهد: ---------- 428
كلام الإمام الصادق عليه السلام في الزهد: ---------- 431
من كلام له عليه السلام: يصف الدنيا ---------- 437
ضبط الألفاظ الغريبة: ---------- 437
المعني: عشرة أوصاف للدنيا ---------- 437
الأوّل: عناء في بداية الطريق ---------- 437
والثاني: فناء في آخر الطريق ---------- 439
والثالث: الحساب في الحلال ---------- 439
العقوبة علي المحرمات: ---------- 442
السابع: الفقر يجلب الحزن ---------- 443
مقام الفقراء في الجنة ---------- 445

أحاديث في فضل الفقر والفقراء: 446
من خطبة له عليه السلام:في الاهتمام بفروع الدين وصلة الرحم والانفاق 449
اشارة 449
ضبط الألفاظ الغريبة: 449
الشرح: أسباب القرب الي الله 449
أوّلها: الإيمان بالله 450
الفرق بين الإسلام والإيمان: 450
مراتب الإيمان: 451
الثاني: الجهاد من الوسائل إلي الله سبحانه 456
والثالث: كلمة الاخلاص 457
والرابع: الصلاة ركن الدين وعموده 457
أمّا علّة وجوبها في الأوقات المعيّنة: 461
الخامس: الزكاة فريضة واجبة 463
الحكم النفسية للزكاة: 464
أثرها في الاخلاق: 464
أسرارها الاجتماعية: 465
المقام الأول: في محلّ وجوبها وعقوبة مانعها: 466
كوي الجباه والجنوب والظهور: 470
قصة تحكي عن بعض مشاهد القيامة: 471
المقام الثاني: في أسرار الزكاة ودقائق بذل المال، وهي أمور: 473
أصناف الناس: 474
الصنف الثاني: 474
السادس: الصيام والنجاة من النار 477
أمّا علّة وجوب الصوم: 480
وأما فضل الصوم مطلقاً: 481

وأما فضل شهر رمضان وفضل صومه: 482
آداب الصوم: 485
شروط كمال الصوم: 486
السابع: أثر الحج في الدنيا والآخرة 489
أسراره النفسية: 489
آثاره الخلقية: 490
آثاره الاجتماعية: 490
الثامن: آثار صلة الرحم الوضعية 492
التاسع: الصدقة وأنواعها 493
العاشر صنع المعروف 495
فهرست الموضوعات 499
المجلد 2 525
اشارة 525
اشارة 525
من كلام له عليه السلام:في تهامية الرسالة والتحذير من النار 527
اشارة 527
ضبط الألفاظ الغريبة : 527
الشرح: 527
قصة أبي صمصام العبسي مع رسول الله صلي الله عليه وآله : 531
الكلمات التامات : 536
سؤال اليهود لعمر بن الخطاب: 537
أهل البيت عليهم السلام باب الحكمة: 538
قضاء علي عليه السلام بين النبي صلي الله عليه وآله وأعرابي: 539
من خطبة له عليه السلام: في بيان فضله عليه السلام ووفاة النبي صلي الله عليه وآله: 545
اشارة 545

ضبط الألفاظ الغريبة: 545
الشرح: 546
خمس فضائل لعلي عليه السلام: 546
أولها: عدم الرد علي النبي صلي الله عليه وآله هود والتسليم له 546
رد عمر علي رسول الله صلي الله عليه وآله : 548
الثانية: المواساة النبي صلي الله عليه وآله 549
منها غزوة بدر: 551
منها غزوة أحد: 551
منها: وقعة الأحزاب المعروفة بغزوة الخندق: 553
منها غزوة وادي الرمل : 554
منها غزوة الحديبية: 554
منها غزوة خيبر: 555
منها فتح مكة: 556
منها غزوة حنين: 556
الثالثة: النبي صلي الله عليه وآله في مرض الموت 557
وفاة النبي صلي عليه وآله : 559
الرابعة: قبض روح صلي الله عليه وآله 564
سبعون منقبة لعلي عليه السلام: 565
من كتاب له عليه السلام إلي معاوية جواباً: 577
يذكر فيه مثالب معاوية ومناقب أهل البيت عليه السلام 577
الشرح: 578
علي أخوالرسول: 578
آيات في حق علي عليه السلام: 579
علي عليه السلام هو الشاهد: 581
علي عليه السلام والوليد: 582

اقتران اسم علي عليه السلام باسم رسول الله صلي الله عليه وآله: 584
تصدق علي عليه السلام بالخاتم: 585
مفاخرة علي عليه السلام والعباس وشيبة: 587
علي عليه السلام وشيعته خير البرية : 588
سأل سائل بعذاب واقع: 589
خطبته عليه السلام المعروفة بخطبة اللؤلؤة : 593
فيها يتعرض لحوادث المستقبل ويذكر فيها الإمام المهدي 593
ضبط الألفاظ الغريبة: 594
الشرح: 594
جرائم بني العباس: 595
المنصور والعلويون: 597
الإمام جعفر الصادق عليه السلام والمنصور: 600
كلمات تكفي الإمام الصادق عليه السلام شرَّ المنصور: 601
جرائم المهدي بن المنصور: 602
قصة عيسي بن زيد: 603
المهدي ويعقوب بن داود بن طهمان: 605
الهادي العباسي 609
هارون الرشيد 610
ستون شهيداً: 611
الأسطوانات: 612
يحيي والرشيد: 613
شيوخ السوء : 613
الإمام الكاظم عليه السلام والرشيد : 614
الإمام الرضا عليه السلام والرشيد؛ 616
الأمين: 616

المأمون : 617
الإمام الرضا عليه السلام والمأمون : 618
المتوكل وعداؤه لأهل البيت عليه السلام: 620
ومن كلام له عليه السلام : 625
في النهي عن غيبة الناس 625
الشرح: 625
الغيبة وأثرها النفسي والاجتماعي: 626
تنبيه: في تحقيق معني الغيبة والأدلة الواردة في حرمتها 629
الأمر الأول: في تحقيق معناها 629
اختصاص حرمة الغيبة بين المؤمنين: 631
الثاني: في الأدلة الدالة علي حرمة الغيبة 634
الدليل القرآني: 634
الدليل الروائي: 635
الثالث: في دواعي الغيبة 640
الرابع: في عدم جواز استماع الغيبة 642
الخامس: في مستثنيات الغيبة 644
السادس: في معالجة الغيبة 648
السابع: في كفارة الغيبة 650
ومن كلام له عليه السلام : 653
في العرفان والسلوك إلي الله 653
ضبط الألفاظ اللغوية: 653
الشرح 653
شروط السالك : 655
وظائف السالك: 656
الجوع: 656

الصمت : 657
والسهر: 658
شعر عرفاني: 659
سيماء الشيعة: 660
ومن خطبة له عليه السلام : 663
في التحذير من الدنيا والاعتبار بالأمم السالفة ووحشة القبر 663
ضبط الألفاظ الغريبة: 663
الشرح: 664
خداع الدنيا: 664
مثال الدنيا: 668
العيش الممدوح: 669
عدم الأمان في الدنيا: 669
التاريخ وطول العمر: 670
ذوالقرنين: 672
الاسكندر والملكة الذكية : 678
ذو القرنين وبلقيس: 679
الاسكندر وفيلسوف الهند: 680
ذكر طواف الاسكندر في أقطار العالم وما رآي فيها من العجائب : 686
وصول الاسكندر مغرب الشمس: 690
الخضر وعين الحياة : 691
وصول الاسكندر إلي مشرق الشمس وقصة يأجوج ومأجوج : 692
الاسكندر وملك الصين: 695
ذكر وفاة الاسكندر:قال في الشاهنامة: 697
ثلاثون قولاً قيل عند موت الاسكندر: 700
قصة أخري في وفاة الاسكندر: 702

ومن خطبة له عليه السلام : 705
في التحذير من الغفلة عما بعد الموت 705
الشرح: 705
حقيقة الموت: 706
حالات ذكر الموت: 710
الحالة الأولي: قبل الموت 710
ما عليه الناس في هذه الحالة: 711
الحالة الثانية: عند الموت 712
ومن كلام له عليه السلام قبل موته: 715
في المحافظة علي الشهادتين والاعتبار بموته 715
الشرح: 715
علم علي عليه السلام بزمان ومكان قتله: 717
وصايا أمير المؤمنين عليه السلام: 719
دخول حبيب علي علي عليه السلام في مرضه: 721
دخول عمرو بن الحمق علي علي عليه السلام في مرضه: 721
دخول الأصبغ علي علي عليه السلام: 722
دخول صعصعة علي علي عليه السلام: 724
من كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه:في بيان أهمية الصلاة 729
اشارة 729
الشرح: 729
الصلاة تحت الذنوب: 737
فصل ووصل 740
الصلاة وطرق التقدم الثلاثة 740
الصلاة لغة واصطلاحاً: 745
جاء في خطبته عليه السلام المعروفة بالقاصعة: 749

وفيها يذكر موضعه وقربه من رسول الله صلي الله عليه وآله 749
ضبط الألفاظ اللغوية: 749
الشرح: 750
علي وليد الكعبة : 750
قصيدة العمري في مدح علي عليه السلام : 755
كلمة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: 756
ولادة علي عليه السلام في الكعبة في الشعر الإسلامي: 758
علي عليه السلام معلم جبرئيل: 761
من كتاب له عليه السلام إلي معاوية ابن أبي سفيان: 763
ايحذره فيه من سيئات عمله 763
ضبط الألفاظ اللغوية: 763
الشرح: علي ومعاوية 764
الوفود علي معاوية: 766
عبيد الله بن عمر: 768
في إرسال صعصعة بن صوحان إلي معاوية: 770
وفي كتاب له عليه السلام إلي عثمان بن حنيف الأنصاري: 774
وفيه يعنفه علي قبوله دعوة وليمة ويذكر فيه زهده عليه السلام: 774
الشرح: 775
محطات للتأمل : 776
البرنامج التربوي: 778
زهد علي والأنبياء عليه السلام: 780
قصة عيسي عليه السلام وصاحب الرغيف الثالث: 782
ومن كلام له عليه السلام : 784
يتعرض فيه لأرض فدك ويذكر فيه مجاهدة نفسه عله السلام 784
الشرح: 784

فدك تاريخياً : 784
القيمة الاقتصادية لفدك: 787
خطبة فاطمة عليها السلام : 788
نص الخطبة المتضمنة الاحتجاج علي القوم والتظلم منهم بمحضر من المهاجرين والأنصار: 790
في وصيته الكبري لولده الحسن عليه السلام : 798
في نفي الشريك وافتقار العبد إلي الله 798
الشرح: التوحيد ونفي الشريك 798
حقوق الله وأداء الواجب: 803
ما هي الواجبات 804
1- معرفة الله تعالي 804
2_ أوامر الدين ونواهيه: 805
3- مجاهدة النفس، 805
4- العناية الدينية: 805
5- الأخوة الإسلامية 806
ومن وصيته عليه السلام للحسن والحسين عليهاالسلام : لما ضربه ابن ملجم لعنه الله 808
وفيها يوصي بالتقوي ونظم الأمر والاهتمام بفروع الدين 808
الشرح: 808
وأما وصاياه العامة: 809
التقوي: 809
ثمرات التقوي: 810
إصلاح ذات البين: 812
رعاية الأيتام : 813
لرعاية الجيران: 814
حدود الجوار وحقه: 816
الاهتمام بالقرآن: 816

الاهتمام بالصلاة : 817
وورد في التوراة: 817
شعيرة الحج: 819
قصة بناء الكعبة: 819
أسرار الحج: 822
الاستعداد للحرب: 826
وصايا عامة أثناء الحرب: 827
أولاً: الثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار من المعركة؛ 827
ثانياً: ذكر الله في حالة الحرب؛ 827
ثالثاً: الطاعة؛ 827
رابعاً: عدم التنازع، 828
خامساً: الصبر علي ما يكرهون من شدة، 828
الحسن البصري يمدح علياً عليه السلام: 831
ومن خطبة له عليه السلام : 834
يوصي فيها بتقوي الله والتذكير بالموت 834
الشرح: 834
التقوي أصل جميع الفضائل: 835
ولكن ما هي التقوي : 836
آيات في التقوي: 836
التفاضل بالتقوي لا بكثرة المال: 838
مراتب التقوي ثلاث: 839
كيف تحقق التقوي : 841
ومن خطبة له عليه السلام : 846
وفيها يسبح الله ويذكر نعيم الجنة 846
ضبط الألفاظ اللغوية: 847

الشرح: 847
عالم الآخرة: 848
العلم التجريبي وإثبات الأخرة: 849
الجنة: 851
الذات الخلد: 854
من عشق شيئاً أعشي بصره: 862
الشهوة الجامحة: 866
وصف الجنة في القرآن: 868
وصف الجنة في أحاديث السنة: 869
سكرات الموت: 876
الجسد بعد الموت: 881
موارد الركون إلي الدنيا: 882
إدريس النبي وملك الموت: 883
أبيات في الموت: 884
ومن خطبة له عليه السلام : 886
في إرساله الرسل وحالة العرب قبل الإسلام 886
الشرح: 886
الأديان في عصر الجاهلية: 886
أصنام العرب: 888
كيف يحتار الله أنبياءه: 890
صفات الأنبياء: 891
الشكر عصارة التقوي: 892
صفات رسول الله صلي الله عليه وآله: 893
أخلاق النبي محمد صلي الله عليه وآله: 898
قصور البعض عن إدراك عظمة النبي صلي الله عليه وآله : 900

ومن خطبة له عليه السلام : 904
يذكر فيها أصناف الناس 904
ضبط الألفاظ اللغوية: 905
الشرح: 905
عصر علي عليه السلام : 905
الأول: انقلاب الموازين الخلقية 906
والثاني: ازدياد الظلم 906
والثالث: عدم الانتفاع بالعلم 906
والرابع: عدم التعلم 907
والخامس: الأمن من مكر الله 908
أصناف الناس: 908
الرياء: 910
المقام الأول: في تحقيق معني الرياء والسمعة 913
الثاني: في ذكر بعض ما ورد فيه من الآيات والأخبار 913
حديث معاذ عن النبي صلي الله عليه وآله: 917
الثالث: في أقسام الرياء والوجوه المتصورة فيه 920
الرابع: في علاج الرياء 924
الدواء العملي للرياء: 926
ومن خطبة له عليه السلام : 928
يرغب فيها بالجهاد ويذم أصحابه علي تخاذلهم عنه ويذكر فيها أفعال جيش معاوية 928
ضبط الألفاظ اللغوية: 929
الشرح: 930
وصية معاوية الارهابية: 930
معركة الأنبار: 932
افضل الجهاد: 933

اثواب وأجر الشهيد: 934
جهاد عميربن الحمام: 938
جهاد أنس بن النضر: 938
جهاد عمرو بن الجموح : 939
جهاد حارثة: 940
معركة بدر: 942
صلح الحديبية: 944
ومن وصية له لولده الحسن عليه السلام : 946
يذكر فيها حقوق الإخوان 946
الشرح: حكم ومواعظ: 946
النصيحة في الوعي الديني: 949
نصيحة الصحابي سعد بن الربيع لرسول الله صلي الله عليه وآله: 955
نصيحة عبد الله بن كعب لعلي عليه السلام : 956
نصيحة ابن عوسجة للحسين عليه السلام : 956
نصيحة العباس عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام : 957
من كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي رضي الله عنه: 960
اشارة 960
في أصناف الناس وفضل العلماء وفيه يتعرض لذكر المهدي عليهالسلام 960
الشرح: أصناف الناس 961
المقارنة بين العلم والمال: 961
إشارة إلي الإمام المهدي : 964
مصادر التأليف والتحقيق 966
فهرست الموضوعات 985
تعريف مركز 1009

صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة

اشارة

صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة

تأليف العَلَّامَة الشَّهيد السّيّدحَسَن السيد علي الْقُبّانْچي الْنَّجَفيّ(ره)

موسسه اِحْياءِ التُّراثِ الشّيْعيّ

www.turathshiai.com

النجف الأشرف

فاعل خير رقمي: انجمن مددكاري امام زمان (عج)

ص: 1

المجلد 1

اشارة

موسسه اِحْياءِ التُّراثِ الشّيْعيّ

النجف الأشرف _ شارع الرسول صلي الله عليه وآله _ محلة الحويش

رقم الزقاق 54 - رقم الدار 2

هاتف: 332811 و 332813

ص.ب 588

http://www.turathshiai.com

http://www.turathshiai.net http://www.turathshiai.org

صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ج 1

العلامة السيد حسن القبانچي رَحمةُ اللهُ

الناشر : دليل نا

المطبعة : نقارش

الطبعة: الأولي

سنة النشر: ربيع الأول 1426 ه

عدد النسخ: 2000 نسخة

السعر: 5000 دينار

ردمك: 3_ 097 _ 397 _ 964 ISBN الدورة : ISBN 964 _ 397_099_x

جميع الحقوق محفوظة للمؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

اشارة

الحمد لله علي إنعامه و إفضاله، وصلّي الله علي جوهر الوجود محمّد و آله، ونخصّ بالذكر منهم أخاه وصهره وابن عمّه ووزيره وخليفته في أمّته أميرالمؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين، الذي أكرمه ربّ الخلائق بأن قرن نوره في الخلق بنور نبيّه، وجعله له أخاً بنصّ آية المباهلة وحديث المؤاخاة، وأبي أن يزوّجه إلاّ من سيّدة نساء العالمين، وأكرمه بأن جعل نسل نبيّه صلي الله عليه وآله في صُلبه، فرزقه سبطي نبيّ الرحمة وسيّدي شباب أهل الجنّة الحسن والحسين عليهماالسلام شفي العرش.

لايُماري أحد أن كلام أميرالمؤمنين عليه السلام قد ارتفع _ بالمسحة الإلهيّة التي تعلوه _ عن أن يُشبه كلام المخلوقين، وبأريج العبق النبويّ الذي يفوح منه عن أن يمازج كلام أحد من أرباب الفصاحة المشهورين.

رغم أنّ أميرالمؤمنين و مولي الموحّدين عليه السلام في متانة بلاغة كلامه وقوّة حجّته وبيانه لم يتكلّف _ وهو يدير اللغة كيف يشاء _ انتقاء الألفاظ، ولا تعمّد _ وهو يسوق جحافل الفصاحة أنّي أراد - اختيار العبارات؛ فقد تحدّث هذا العقل النورانيّ الذي لم ير شيئاً إلاّ ورأي اللهَ قَبْله ومعه وبعده، تحدّث لعباد الله عَزّوَجل ليرفعهم إلي مشهد النور الأعلي، وينتشلهم من ظلمات النفس ومزالق الهوي.

ارتفع أمير المؤمنين عليه السلام بالفصاحة العربيّة عن أن تنصبّ _ كما هو حال معظمها _ في التوافه، فتكون مسوقة لبيان صفة فَرَس أو بعير أو حمار وحشيّ؛ وسما بها عن أن تتلخّص في نوازع البشر المخلوق من الطين.

لم يعهد العرب فصيحاً يسوق الكلام في توحيد الله تعالي، ولم تعرف في فصحائها من يتحدّث في صفات الملائكة وعبادتها، فحقّ لها أن تدهش وتعجب وهي تُصغي إلي رجلٍ هو أعرف بطُرق السماوات منه بطرق الأرض...

لكنّ العجب سيزول، والاستغراب سينحسر حين يعي المرء أنّ هذا المتكلّم

هو باب مدينة علم الرسول صلي الله عليه وآله وخازن علمه، وأنّه من رسول الله صلي الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسي عليه السلام، وأنّه الأذن الواعية التي صبّ فيها رسول الله صلي الله عليه وآله بأمر ربّه العِلم صبّاً، فحقّ، لها أن تعي وتحفظ.

ولقد قيّض الله تبارك وتعالي في الأعصر المختلفة مَن نظم عقوداً مختارة من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام يبهر سنا بريقها الناظر، وهيّأ من عباده من تصدّي لاستثارة غوامض حِكمه ودقائق مواعظه المُرزئة بالدرّ والجواهر.

ومن هؤلاء الذين قيّضهم الله سبحانه في عصرنا الحاضر رجلٌ من هذه السلالة الطاهرة، وُفّق في الجمع بين منهج الحوزة العلمية ومنهج الممارسة الخطابيّة والمنبر الحسينيّ، وكانت النجف يومذاك لم تألف بعدُ ظاهرة العالم الخطيب والخطيب العالم.

بلي، شُغف العلاّمة الشهيد السيّد حسن القبانچي رَحمه اللهُ بأهل البيت عليهم السلام شغفاً ملك عليه نفسه، فنذر حياته في إحياء آثارهم، فحاز بذلك القدح المعلّي... وهاتيك مؤلّفاته تشهد له بالسعي الدؤوب في هذا الشأن، وتلك تقريظات العلماء الأعلام لمؤلّفاته تُغني عن كلّ مقال.

وصف العلاّمة الحجّة المحقّق السيّد محمّد صادق بحر العلوم كتاب »الجواهر الروحيّة» للمؤلف قدس سرّه بأنّه غرّة في جبين الدهر، وجوهرة ثمينة لا يقدّرها إلاّ عباد الله المخلصون، والعلماء العارفون بالحقائق.(1)

1- خطيب العلماء: 30.

وكتب العلاّمة آية الله السـيّد محمّد جواد الطباطبائي التبريزي في مقدّمته لكتاب »عليّ والأسس التربويّة» يقول: «ومن أبدع ما أشرقت علينا شمسه في أسفاره الجليلة النافعة كتاب «علي والأسس التربويّة في شرح الوصيّة»، فإنّك بالنظر في صفحات هذا السفر الجليل تعرف قيمة ما يُسـديه إلي أمّته من وقتٍ لآخر بتلك المؤلّفات القيّمـة والصـحف الخلقيّة العظيمة التي تهديها سواء السبيل، وتسـمو بها إلي الحياة الطيّبة، حياة الحكمة والرشد والفضيلة والمروءة وغيرها من الخلال التي تكفل للأمّة السعادة والهناء».(1)

أمّا كتابه «مسـند الإمام علي عليه السـلام» الذي أنفق علي تأليفه أكثر من عشـرين عاماً من عمره الشريف، فقد وصفه المفكّر الإسلامي آية الله العظمي السيّد الشهيد محمد باقر الصدر بأنّه من أهم مصادر المعرفة الإسلاميّة.(2)

وكتب عنه آية الله العظمي الشيخ مرتضي آل ياسين:

«... شـاء التوفيق الإلهيّ أن يـدفع بمؤلّف هـذا السـفر القيّم فضـيلة السـيّد الجليل والخطيب الفاضل النبيل الألمعي الزكي السـيّد حسـن القبانچي أيّـده الله إلي الإلمام بما يسع الإلمام به من تلك الأحاديث ليجمعها في إطار واحد، فنهض _ حفظه الله _ بهمّة لا تعرف الكلل، ورغبـة عارمـة لا يعتريها الملل، فسـجّل كلّ ما ظفر به من الأحاديث العلويـة علي صـفحات هذا الكتاب... فجاء الكتاب _ ولله الحمد _ كتاباً فائقاً في ترتيبه وتبويبه، ورائقاً في تأليفه وتصنيفه، كلّ ذلك بفضل الجهد العظيم الذي عاناه في سبيل جمعه ووضعه».(3)

وقد مُنح الكتاب المذكور جائزة أفضل مؤلَّف لسـنة 1380 ه ش (1422ه) التي دُعيت في الجمهورية الإسـلامية في إيران بسنة الإمام عليّ عليه السلام.

1- خطيب العلماء: 31 و 32.

2- خطيب العلماء: 35 و 36.

3- خطيب العلماء: 36 و 37.

كتاب صوت الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة:

يقول خطيب العلماء رَحمه الله في رسالة بعثها إلي نجله سماحة العلاّمة الحجّة السيّد صدر الدين القبانچي:

«وبعد، إنّ كتابنا «الصوت الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة»هو مختارات من خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كنّا نحاضر بها في بعض المناسبات مع شرحٍ واف أخلاقيّ وأدبي وتاريخي، وردّ ونقد، وأمام الكتاب أقوال و آراء لجمهرة من عباقرة العلم والأدب حول نهج البلاغة».(1)

جمع المؤلّف رَحمه الله في كتابه هذا فأوعي، فقد ضمّنه كلمات أقطاب العلم وعباقرة الأدب في نهج البلاغة تكشف عن شغفهم به وإذعانهم بعظمته، ونِعم ما قيل في حقّه.

كلامُ عليٍّ كلامٌ عليّ *** وما قاله المرتضي مُرتضي

ثمّ أفرد رَحمه الله باباً أسماه «نهج البلاغة في الشعر العربي»، وعقّب عليه بايراد مختارات من خطب الإمام عليّ عليه السلام وشرحها، في انتقاء بديع لتلك الشروح للعبارة الأجزل والأجمل، لا يشغله ذلك عن التوسّع _ حيثما أحسّ بذلك ضرورة _ في البحث، فقد رأيناه يورد أبحاثاً موسّعة قرآنيّة وعلميّة وتاريخية وأدبية وأخلاقيّة، يحدو به شعوره بمسؤوليته _ كعالمٍ عامل وخطيب واعظ _ في وضع البلسم علي الجرح، امتثالاً منه لأمر مولاه مولي الموحّدين عليه السلام الذي افترض علي العالِم أن يكون طبيباً دوّاراً بطبّه، متحرّياً في خُطاه وعظ الناس وهدايتهم إلي مرضاة الله تعالي، في وعيٍ كامل منه قدس سرّه بأنّ الفقيه _ كلّ الفقيه _ من لم يُقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله.

وكان من ديدنه أن تزدان أبحاثه المختلفة بعدد كبير من الشواهد القرآنية والأحاديث المعتبرة عن المعصومين عليهم السلام.

1- خطيب العلماء: 37 و 38.

ولأجل أهميّة هذا الكتاب وقيمته العلميّة ارتأت مؤسسة إحياء التراث الشيعي تحقيقه ونشره ووضعه بين أيدي القرّاء الأعزاء، مساهمةً منها في نشر التراث الشيعيّ المتميّز.

نشاطات مؤسسة إحياء التراث الشيعي:

تأسّست هذه المؤسسة في 15 جمادي الآخرة لسنة 1424ه في النجف الأشرف بعد زوال النظام البعثي الحاقد، وتركّزت نشاطاتها منذ ذلك الحين في عدّة محاور:

1 _ صيانة التراث الشيعي من خلال جمع واقتناء الكتب الخطيّة، واستنساخ المخطوطات في داخل العراق وخارجه.

2 _ نشر التراث الشيعي: من خلال إعداد فهارس المخطوطات وطباعتها، علاوة علي إنجاز مشروع نفائس التراث الشيعي الذي تكفّل بإعداد أقراص ليزرية تخصّصيّة عن النفائس الخطيّة في أهم مكتبات النجف الأشرف وتقديمها للباحثين عبر برنامج كمبيوتري علمي وفنيّ.

3 _ قسم التحقيقات الذي يتولّي مهمة تحقيق وطباعة كتب التراث الشيعي، وإصدار مجلّة التراث الشيعي الفصليّة، وتهيئة مكتبة عامّة للباحثين، فضلاً عن حقل الدراسات الكومبيوتريّة.

4- قسم الانترنيت الذي يتضمّن إنشاء بنك للمعلومات يتكفّل بتبادل المعلومات والنسخ الخطّيّة مع المكتبات العالميّة عبر الانترنيت، إضافة إلي إنشاء صفحة خاصّة بالمؤسسة علي الانترنيت.

ناهيك عن الخدمات العامّة التي تقدمها المؤسسة من خلال دعم المكتبات ومراكز التحقيق، والتعاون الثقافي مع كبار الباحثين والمحقّقين.

عملنا في الكتاب:

قامت المؤسسة بتحقيق هذا السفر النادر و تصحيحه وتخريج آياته

وأحاديثه وأشعاره وشرح بعض كلماته المبهمة، وقمنا بإضافة بعض العناوين حيثما وجدنا لذلك ضرورة، و كلّنا أمل في أن نكون قد قدّمنا الكتاب للقارئ الكريم في حلّة قشيبة تجمل بأمثاله ونظائره.

وإذ تبادر مؤسسة إحياء التراث الشيعي إلي نشر هذا السفر القيّم ووضعه بين يدي القراء الكرام، تأمل أن تواصل الخطي الحثيثة الجادّة في مجال إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، واللهَ تعالي نسأل أن يوفّقنا لخدمة الدين وأهله، إنّه خير ناصر وخير مُعين، وآخردعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

شكر وتقدير:

تتقدم المؤسسة بالشكر الجزيل إلي الأخوة الافاضل في لجنة التحقيق ونخص بالذكر سماحة الشيخ رحيم مبارك لجهدهم الكبير في تحقيق الكتاب. كما نشكر الأخ الفاضل ياسر الصالحي مسؤول قسم الكمبيوتر سائلين المولي تعالي أن يوفقهم ويسدّد خطاهم.

مؤسسة إحياء التراث الشيعي

النجف الأشرف

السيّد محمد القبانچي

تقديم بقلم نجل المؤلف سماحة السيد صدر الدين القبانچي

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

سياسة الإمام علي عليه السلام:

هل نجح الإمام علي عليه السلام في سياسته مع الأحداث التي عاصرت حكومته أم أخفق؟

رغم وجود وجهتي نظر مختلفة لدي الباحثين والمحللين إلا أن هناك إجماعاً لدي كل الدارسين لشخصية الإمام علي عليه السلام وسيرته قديماً وحديثاً وسواء من الخصوم أو الأصدقاء، مسلمين وغير مسلمين علي أن الإمام علي عليه السلام استطاع أن يجسد النموذج المثالي للحكم الدستوري والمبدئي العادل.

لقد استطاع الإمام علي عليه السلام _ ليس علي مستوي النظرية فحسب وإنما علي مستوي الممارسة والتطبيق _ أن يضع أصولاً ثانية لحكم دستوري حرّ بما لم تستطع التجربة البشرية المعاصرة أن تصل إلي مثله.

الأصول الثلاثة:

ويستطيع الباحث في سياسة الإمام علي عليه السلام ومواقفه، والقارئ لخطبه ورسائله في نهج البلاغة خاصة أن يلتمس ثلاثة أصول اعتمدها الإمام في سياسته هي العدالة، والمبدئية، والحرية.

إن موقفه من أخيه عقيل حين طلب منه أكثر من استحقاقه من بيت

المال يمثل صورة رائعة لالتزام العدالة في التوزيع، والتعالي علي جميع المحسوبيات والمنسوبيات في إدارة البلاد، حيث رفض الإمام أن يعطيه أكثر مما يعطي سائر المسلمين واستعد أن يتحمل خسارة سياسية بانسحاب عقيل من صفوفه دون أن يتراجع عن مقتضيات العدالة المرّة.

كما أن موقفه من معاوية حين عزله عن ولاية الشام يمثل صورة بطولية رائعة لالتزام المبدئية في التحرك السياسي بعيداً عن الخضوع للمصالح المؤقتة والمكاسب السياسيّة.

كما أن موقفه من طلحة والزبير حينما أجازهما بالذهاب إلي المدينة المنورّة وهو يعلم أنهما لا يريدان العمرة بل يريدان الغدرة _ كما قال عليه السلام _ يدلل بشكل واضح مدي التزام الإمام علي عليه السلام الشديد بالحرية السياسية في التحرك.

هذا الكتاب:

إن كتاب (صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة) لمؤلفه العلامة الكبير والباحث المحقق السيد حسن القبانچي قدس سرّه هو محاولة لالتقاط صور جميلة لمواقف الإمام علي عليه السلام التي يجسّد فيها قيم العدالة، والحرية والمبدئية.

ومن الحق أن نشيد هنا بالجهود العلمية الكبيرة لمؤلف هذا الكتاب وخاصة ما يتعلق منها بالإمام علي عليه السلام وقد لاحظنا لدي ترجمتنا لحياة المؤلف في كتابنا (خطيب العلماء) مدي العلاقة الوثيقة والانشداد الروحي المستحكم للمؤلف مع جدّه الإمام علي عليه السلام والتي برزت بشكل واضح في مجمل خطاباته ومؤلفاته.

كتابات المؤلف في الإمام علي عليه السلام:

لقد كتب عن الإمام علي عليه السلام ثلاثة مؤلفات:

الأول: علي والأسس التربوية

وهو أول كتاب صدر للمؤلف ويتضمَّن شرحاً وافياً لوصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام.

ويبدو أن المؤلف قد انفرد بهذا الكتاب، وسجّل السبق في مجال شرح وصية الإمام علي عليه السلام.

الثاني: مسند الإمام علي عليه السلام:

وهو موسوعة ضخمة جمع فيها المؤلف أكثر من أحد عشر ألف نصّاً للإمام علي عليه السلام.

ويري المؤلف أن هذه الموسوعة هي حصيلة عمره والتي أفتي في إنجازها أكثر من عشرين عاماً في ظروف معقّدة وصعبة عاشتها العراق وعاشتها الحوزة العلمية في النجف الأشرف في ظل عهد البعث الأسود البائد.

حيث آثر المؤلف أن يعكف في منزله لإنجاز هذه الموسوعة بعيداً عن ملاحقات السلطة الغاشمة التي كانت تقطع الطريق علي حركة علماء الدين و تحدّد أدني مستوي من فعالياتهم.

فمنذ عام 1974 ميلادياً حيث ارتكبت سلطة البعث جريمة إعدام الشهيدين العلامة السيد عز الدين القبانچي رَحمه الله (ابن المؤلف) والعلامة السيد عماد الدين الطباطبائي رَحمه الله (ابن أخت المؤلف) في أول ظاهرة إعدام العلماء الدين.

منذ ذاك التاريخ عاش المؤلف حصاراً وملاحقةً وتهديداً متواصلاً من قبل أزلام السلطة اضطره أن يكون حبيس داره عاكفاً علي إنجاز هذه الموسوعة المباركة (مسند الإمام علي عليه السلام).

الثالث: صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

وهوهذا الكتاب الذي بين يديك.

ص: 11

وقـد كان والـدي الشـهيد مؤلف هـذا الكتاب قـد طلب مني وأنا في بلاد الهجرة (إيران) عبر رسالـة خطيّـة رفعها إلي أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب.

وشاءت الأقـدار أن لا نلتقي، ولا يطبع هـذا الكتاب إلا بعد شـهادة مؤلفه عام 1991 ميلادياً إبان الهجوم الإجرامي لسـلطات البعث علي مدينـة النجف الأشـرف واقتحامها بالـدبابات وقصـفها بصواريخ أرض أرض واعتقال أكثر من مائة من علمائها وفضـلائها ثم قتلهم جماعياً حيث لم تزل أجسامهم مفقودة تحت الثري ضمن عشرات المقابر الجماعية التي لم يعثر عليها بعد.

كلمة شكر:

والآن حيث تصدي أخي العزيز سماحة السيد محمد القبانچي لتحقيق ونشر هذا الكتاب من خلال مؤسسته الموقرة «مؤسسة إحياء التراث الشـيعي» ورغب إليّ أن أقدّم له مقدمة استجبت له في ذلك شاكراً جهده وعمله في إخراج هذا الكتاب إلي النور سائلاً الله تعالي أن يجعله في الباقيات الصالحات من أعماله، وأن يتقبل هذا الكتاب من مؤلفه، ويزيد في درجاته، ويحشره مع أجداده الطيبين محمد و آله الطاهرين.

النجف الأشرف

ليلة 5 شوال / 1425ه

صدر الدين القبانچي

مقدمة وذكرياته بقلم الدكتور الشيخ محمد حسين الصغير

بسم الله الرحمن الرحيم

السـيد حسن السـيد علي الحسـيني القبانچي النجفي... أحد أعلام النجف البارزين علماً وعملاً وأدباً ومعرفة. وهو أسـتاذ جليل، وخطيب كبير، ومبلّغ يقظ، يتمتع بحسن السـيرة ونقاء السـريرة، ذو خلق رفيع، وتواضع جمّ، وسمتٍ روحي، مبتسم الثغر، صبيح الوجه، عفيف اليد، رقيق اللسان، ظاهر الأناقة، يخضب كريمته بالسواد، حتي إذا أمتحن باستشهاد أولاده ترك الخضاب.

ولد كما أعرفه في النجف الأشرف عام 1328ه = 1907م ونشأ بين أحضان العلماء وأكناف الخطباء، وأندية الأدباء.

فقرأ مبادئ العلوم العربية والشـرعية لدي أساتذة متخصصـين، من أبرزهم: الشـيخ علي ثامر، والسـيد حسن الحكيم، والشيخ زين العابدين العاملي وتخرج في الخطابة بعنايةالشـيخ محمد حسـين الفخراني أشـهر خطباء عصـره، وأفاد من صلته بآية الله العظمي السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي قدس سره الشريف، فهو صهره علي إبنته العلوية الصابرة المحتسبة.

درس علي يـديه الفسـلفة والحكمـة وحضـر بحثه الخارج فقهاً وأصولاً، واقتبس من صـفاته الكريمـة العليا الشـيء الكثير، فهو بحق خريج مدرسته، وساعده الأيمن في إدارة شؤونه الحوزوية.

إمتدت صلتي بالسيد القبانچي رَحمه الله طيلة أربعين عاماً، فما رأيته إلا باسماً متفائلاً،

وعاملاً صامتاً، ورائداً متحفزاً. امتهن الخطابة فأبدع فيها بعرض جديد، وأسلوب جديد، وبصيرة نافذة، فأطلّ بها علي المستمعين في العالم الإسلامي ـ العراق ـ إيران ـ الخليج، بمعلومات قيمة، وبيان رصين، ومنهج هادف.

وكان لمسيرته العلمية الهادئة أثرها الكبير في معارفه المتحضرة، و كان الانفتاحه الذهني دوره في آرائه الأنسانية، وذلك بتأثير بيئة النجف الأشرف المتنورة التي خلقت منه داعية إصلاحياً، وخطيباً مجدداً في ميدان المنبر الحسيني الشريف.

كان السيد القبانچي نور الله مرقده، يجمع بين نشاط الشباب الثائر، ووقار الشيوخ المهيب، يجتمع بعلية القوم فيأخذ عنهم تجاربه في الحياة والعلم والإجتماع والسلوك، ويعني بالشبيبة الصاعدة فيمنحهم الحبّ والودّ الخالص في قابلية تجذب إليه القلوب وتستهوي الأفئدة، فيقبلون عليه إفادة وإستزادة وتوجيهاً نادراً، وكان هدفه من هذا وذاك إعداد كلمة الله في الأرض، والأنخراط في تأييد الخط المرجعي المستقيم، لأنه يمثل أطروحة أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا نجد السيد القبانچي مناضلاً في ميادين الجهاد، ومحاضراً علي أعواد المنبر، ومتفتحاً يحتضن الجيل الجديد، وإنسانياً يلقاك بالأبسامة الصادقة، ويحدثك بسكينة ووقار، وأنت تجد في ذلك متاعاً أيّ متاع، وتنعم بلذة ماوراءها لذة.

يسعي إلي الخير بأمكاناته المتيسرة، ويعمل جاهداً للحق بطاقاته كلها، وهو بطبيعته قوي العزيمة، طيب الضمير، صادق اللهجة، يفيض لطفاً وحناناً، ويصدر عنك وفي نفسك شوق لحديثه، وتعلقٌ بشخصيته، يعظم إخوانه في الدين، دون تكلف في السيرة، أو أنانية في المسيرة.

كـان كمـا وصـفه الحكيم المتـأله آيـة الله السـيد محمـد جواد الطباطبائي التبريزي (عالم الخطباء وخطيب العلماء) وهو تقييم موضوعي، فالعلم سبيل المتألهين، والخطاب طريق العاملين.

كافح ظلم الطغاة وعسف السـلطان، فبعّد وشـرّد، وسـجن وأعتقل، وحوصر وروقب، وهو ثابت الجنان، قوي الأعصاب، إعتبرته في مبحث سابق أحـد سـبعة من النجف الأشـرف ممن جاهدوا جور الحاكمين، ورؤوس الطائفية، وإرادة الشـر لم يرد في ذلك إلاّ خير البلاد ووحدة المسلمين، وتلاحم الصف العراقي.

وكان رائـده أن ينعم المجتمع بثقافـة الإسـلام وتعاليمه بما فجّره القرآن العظيم من ثروة فكرية تمثل تعاليم السـماء وتنشـر رسالة الإسـلام الخالدة في ظل ذلك البحر المتلاطم من معارف الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وقد ظفر في هذا التوجه الفريد بأسـتقطاب عنصر الشباب والطبقة الواعية المثقفة، فلهم عليه إقبال شديد، وله معهم مطارحات رائعة، أكسبته ذلك الشيء الثمين الذي يحدب عليه الأخلاقيون، وهو الحب الخالص في ذات الله تعالي.

وليس حـديثي عن السـيد القبانچي بـدافع من الصداقـة العريقة، فالصداقة شـيء والبحث الموضوعي شـيء آخر، وإنما ينطلق الحديث عنه للتعبير عن حقائق الأشياء الكامنة في تلك الضمائر العامرة بالإيمان والمثل العليا، وهي تسعي بأزاء ذيوعها بين الناس.

لقـد أدرك السـيد القبـانچي أن الزمن يسـرع بـالتطور والتجديـد، ويحث الخطي إلي التكامل المعرفي بما أتاحت له التقنيات الصـناعية من وسائل النقل الثقافي المرئي والمسموع والمستخرج، فبادر إلي إستثمار ذلك عملياً، فأكب

علي البحث العلمي والتأليف، فحقق بذلك هدفاً مزدوجاً في توعية الجيل المعاصر من جهة، وأداء الرسالة من جهة أخري.

ولقد إستعان في مخزونه الثقافي من خلال مكتبته الحافلة بأمهات المصادر والمراجع ونفائس الآثار، وأنا سعيد جداً لإحتفاظ هذه المكتبة وحتي اليوم بكيانها رغم الظروف المأساوية التي عاني منها السيد القبانچي في أيامه الأخيرة.

لقد عكف هذا العلم الشامخ علي البحث الجدي المثمر، فأتحف المكتبة العربية بمؤلفات تعتبر في الطليعة من تراث النجف الأشرف.

وكان أبرز هذا المؤلفات:

1 _ الجواهر الروحية في ثلاثة مجلدات.

2 _ شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام في مجلدين.

3 _ علي والأسس التربوية.

4 _ مسند الإمام علي عليه السلام في عشرة مجلدات.

عدا مؤلفاته الخطية التي أرجو أن تأخذ طريقها للنشر.

وبين يديك اليوم هذا الكتاب القيم:

(صوت الإمام علي في نهج البلاغة).

وهو عبارة عن إختيار دقيق لخطب الإمام أمير المؤمنين من نهج البلاغة، ألقاها محاضراً في المحافل العامة والمآتم الحسينية، شرحها ما أستطاع إلي ذلك سبيلاً، وفصل القول فيها بالأدب والسياسة والتأريخ والدين والإجتماع.

وقد اشتمل هذا السفر علي عدة أراء قيّمة لأساطين العالم في نهج البلاغة وصاحب نهج البلاغة، والكتاب لا يحتاج إلي إطراء:

(سبوح لها منها عليها شواهد)

وأناخ الدهر بكلكله أوائل السبعينات، فأعدم أعز أبنائه، وتبعه بعد ذلك ثلاثة آخرون من ولده، وعدد من أرحامه فكانت المأساة في ذروتها، وقد جاوز آنذاك السبعين عاماً، فهدت هذه المصائب كاهله، وأودت بصحته، فبدأ عليه الانهيار والانكماش، لا يشكو إلا إلي الله مانزل به، ولا يستعين بسواه، فكان بذلك رمز الصابر الصامت.

وللتأريخ، فأن الغريب في الأمر أن الناس تحاشت لقاءه والسلام عليه، لأنه في رصد ورقابة من أجهزة الأمن، وكنت لا أعبأ بذلك، وأستقبله استقبال الأحباء، وأجلس إليه فيبث إليّ لواعجه وأشجانه، ويدعو لي بالحفظ والسلامة، ويشكرني علي ما يجد عندي من مواساة ومشاطرة الأسي.

وبعد حرب الكويت بقليل هجمت جلاوزة الطاغية عليه داره، وإستلته من سرير المرض، وهو طريح الفراش من عملية جراحية كبري، وأخذ مخفوراً لا يدري إلي أين، والي يومك هذا.

والذي أعتقده جازماً أنه دفن حياً، شأنه بذلك شأن مائة وثمانين مظلوماً من أساتذة الحوزة العلمية في النجف الاشرف.

فوا أسفاه علي ذلك المحيا الطلق، ووالهفاه علي تلك النفس الزكية.

محمد حسين علي الصغير

النجف الأشرف

كلمات أقطاب العلم وعباقرة الأدب حول نهج البلاغة

كلمة السيّد كاظم القزوينيّ:

جاء في كتاب شـرح نهج البلاغة للسـيّد كاظم القزويني: «قرأت في بعض الكتب الحديثة أنّه قد كُتب حتي اليوم مائة ألف كتاب في ترجمة حياة نابليون الفرنسـي بشتّي اللغات الدارجـة، فإن صحّ هذا القول فقد ظلم المسـلمون علي صـلوات الله عليه بتقاعدهم وتكاسـلهم وعدم القيام بما يلزم تجاه هـذا الإمام صـلوات الله عليه، فإنّ ما كتب عن نابليون أكثر عـدداً ممّا كُتب عن الإمام علي بن أبي طالب، مع العلم أنّ نـابليون لم تكن فيه فضـيلة إلاّ الثورة ضـدّ حكومـة الوقت، ولم ينقـل إلينـا عن نابليون شـيء من العلوم والاكتشافات والروحانيّات والزهد والعدالة والمساواة والتواضع وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

أفلا تسـتحقّ عظمة الإمام علي صـلوات الله عليه أن يُكتب عنه مقدار ما كُتب عمّن هو دونه في الفضل والدرجة، مع الالتفات أنّ الفضـيلة التي اشتهر بها نابليون وطار صيته بها إنما هي فضيلة واحدة من آلاف الفضائل التي اجتمعت في الإمام علي.

أو ما كان علي جندياً ثائراً علي الكفر والشرك من عنفوان شبابه بين يدي رسول الله صلي الله عليه وآله ؟

أوَ ما كان علي قائداً مجاهداً طيلة أيام حياته وخاصّة في عهد النبي؟

وعلي الأخصّ بعد مقتل عثمان حينما أفضت الخلافة إليه، فيوماً قاتل المتمرّدين _ أصحاب الجمل _ ويوماً جاهد الدكتاتوريّين _ أهل صفّين _ ويوماً كافح الفوضويّين _ الخوارج _ وهل حياة الإمام إلاّ ثورة و جهاد وانقلاب و كفاح؟

أضف إلي ذلك بقيّة مناقبه و مواهبه التي ،كلّ واحدة منها فضيلة تُذكر و تشكر وتليق بكلّ مدح وإطراء وإعجاب وثناء.

ولا أريد أن أقيس نابليون بالإمام علي صلوات الله عليه، فإنّ علياً لا يُقاس به أحد، بل المقصود أنّ هواة نابليون وأتباعه كتبوا عنه هذا العدد الهائل من المؤلّفات، والمسلمون لم يراعوا حقّ علي، بل قصّروا بما يجب عليهم حول علي، إلاّ القليل ممّن وفي لرعاية الحق، ولعلّ الله تعالي يبعث في علماء المسلمين وكتّابهم وحملة الأقلام ومفكّريهم روح النشاط في العمل وإدامة الجهاد المتواصل في سبيل الله وسبيل المبدأ والعقيدة والحق، إنّ الله علي كلّ شيء قدير».

كلمة الحجّة آغا بزرك الطهراني:

قال الشيخ الحجّة آغا بزرك قدّس الله روحه في المجلّد الرابع من «الذريعة» تحت عنوان (ترجمة نهج البلاغة): لم يبرز في الوجود بعد انقطاع الوحي الإلهيّ كتاب أمسّ به ممّا دُوّن في نهج البلاغة، نهج العلم والعمل الذي عليه مسحة من العلم الإلهيّ، وفيه عبقة من الكلام النبويّ، وهو صدف الئالي الحكم وسفط يواقيت الكلم!

المواعظ البالغة في طيّ خطبه و كتبه تأخذ بمجامع القلوب، وقصار كلماته كافلة لسعادة الدنيا والآخرة، ترشد طلاّب الحقائق بمشاهدة ضالّتهم، وتهدي أرباب الكياسة لطريق سياستهم وسيادتهم، وما هذا شأنه حقيق أن

يعتكف بفنائه العارفون، وينقّبه الباحثون، وحريّ أن تُكتب حوله كتب ورسائل كثيرة حتّي يُشرح فيها مطالبه كلاً أو بعضاً، ويترجم إلي لغات أخر ليغترف أهل كلّ لسان من بحاره غرفة.

وقال في المجلد الرابع عشر منه أيضاً تحت عنوان «نهج البلاغة»: هو كالشمس الطالعة في رائعة النهار، في الظهور وعلوّ الشأن والقدر وارتفاع المحلّ، قد جُعلت رؤيتها لجميع الناس مرأي واحداً لا تخفي علي أحد، فيقبح من العاقل البصير سؤال ما هي الشمس الطالعة؟ وهي ممّا يقتبس من إشراق نورها كافّة الكائنات في البرّ والبحر، كذلك النهج قد طبّقت معروفيّته الشرق والغرب، ونشر خبره في أسماع الخافقين، ويتنوّر من تعليمات النهج جميع أفراد نوع البشر لصدوره عن معدن الوحي الإلهيّ، فهو أخ القرآن الكريم في التبليغ والتعليم، وفيه دواء كلّ عليل وسقيم، ودستور للعمل بموجبات سعادة الدنيا وسيادة دار النعيم، غير أنّ القرآن أنزله حامل الوحي الإلهيّ علي قلب النبي الأمين صلي الله عليه وآله، والنهج أنشأه باب مدينة علم النبي وحامل وحيه، سيّد الموحّدين وإمام المتّقين علي أمير المؤمنين صلوات الله عليه من رب العالمين، وقد قيل فيه:

نهج البلاغة نهج العلم والعملِ *** فاسلُكه يا صاح تبلغ غاية الأملِ

وقد لمحّنا في ج 4، ص 144 إلي سيادته علي سائر الكتب و كونه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ونعم ما قيل فيه:

كلامُ عليٍّ كلامٌ عليٌّ *** وما قاله المرتضي مرتضي

لقد صارت الكلمات التي يلقيها أمير المؤمنين صلوات الله عليه في خطبه، أو يُمليها إلي كاتبه مخزونة في صدور جمع من أصحابه، علي موجب السيرة العربيّة، ثم قيّد ما في تلك الصدور إلي الكتابة في الأصول الأوّليّة، ومنها ما ألفّ في عصر الأمير عليه السلام، مثل (كتاب الخطب) تأليف أبي سليمان

زيد الجهني الذي شهد حروب الأمير عليه السلام، ثمّ نقل منها إلي سائر الكتب التي ألّفت في جمع خطبه عليه السلام إلي عصر الشريف الرضـي رَحمه الله ممّا لا يُسـتهان به، وكانت تلك الأصول المعتبرة والكتب المعتمـدة في مكتبة الوزير سابور بن أردشـير وغيرها في بغداد تحت نظرالشـريف الرضـي رَحمه الله يستفيد منها في كلّ حين، حتّي أخرج منها ما اختاره من منشئآت أمير المؤمنين عليه السلام وجعلها بين الـدفّتين مرتباً علي ثلاثة أقطاب (1) الخطب (2) الكتب (3) الحكم، وبعد ذلك سـمّي ما دوّنه من المنشئات ب (نهج البلاغة)، وبيّن وجه التسـمية في مقدّمـة الكتـاب بقوله: لأـنه يفتـح للناظر في تلك المنشآت أبواب من البلاغـة، فكلّ واحـد من الخطب والكتب والحكم مصـداق نهـج البلاغـة، أي طريقها الواضـح، يفتـح للناظر فيه أبواب من البلاغـة، وبما أنّ ما اختاره و دوّنه في الأقطاب قـد رقي في الجزالة والبلاغة أعلي الدرجات، وعجزت عن إدراك مزاياه أفهام كثير من الطبقات، كان محتاجاً إلي التعليق والتحشية والشرح والبيان والترجمة إلي سائر اللغات نظماً ونثراً، لتعميم نفعه لجميع أفراد نوع الإنسان، فقيّض الله جل جلاله جمعاً من أعلام المسلمين من العرب والعجم والسّنة والشـيعة وغيرهم، فقاموا بتلك الوظائف كلّ علي مبلغ وُسـعه وجـدّه ومقـدرته، وتوفيقه وسـعادته، وهم بين مَن شـرح جميعه، أو علّق عليه كذلك، أو شـرح مشـكلاته فقط، أو شرح خطبه، أو شرح كتبه أوجمعها، أو شرح كلماته القصار أو بعض أجزائه، أو ترجمه كلاً أو بعضاً إلي لغـة أخري، أو نظمه كلاً أو بعضاً بالفارسـية أو غيرها، أو ألّف في بعض ما يتعلّق به من تعداد خطبه وكتبه أو فهرس ألفاظه، أو التعريف له أو غير ذلك ممّا ألّفوه من هذا القبيل حسب ما اطّلعت عليه طيلة السنين، نسأل الله لهم جزيل الأجر والثواب ونشكر جميل مساعيهم، انتهي.

كلمة العلاّمة السيّد هبة الدين الشهرستاني:

وقال العلاّمة الحبر (رئيس محكمة التمييز الجعفريّة في العراق) السـيّد هبة الدين الشهرستانيّ رَحمه الله في كتابه (ما هو نهج البلاغة): نهج البلاغـة كتـاب عربي اشـتهر في مملكـة الأدب الأمميّ اشـتهار الشـمس في الظهيرة، وهو صـدف لئالٍ من الحِكَم النفيسـة، ضمَّ بين دفّتيه 242خطبـة و كلاماً، و 78 كتاباً ورسالـة، و 498 كلمـة من يواقيت الحكمـة وجوامع الكلم لإمـام الكلّ في الكلّ أمير المؤمنين علي عليه السـلام ، وذلـك المختـار من لفظه الحرّ و كلمـاته الغرّ وما جادت به يراعته الدفّاقـة من لؤلؤٍ رطب ودرٍّ نضـيد، وإنّ لسامعي هـذه الخطب والكلم اهتزاز وَجـدٍ و تمايـل طربٍ محسوسـين، وذانك برهانان لتفوّق الغناء الروحي علي نغمات قيثارة ماديّـة، بل إنّ النغمات الموسـيقيّة وأغانيها تتلاشـي وتبيـد بمرور الزمن، ورنّة النغم من كلم الإمام خالدة الأثر عميقة التأثير، ومن شاء أن يعرف أنّ الحروف كيف تُطرب، وأنّ الكلمـة كيف تجذب، وأنّ الكلام كيف يُكهرب، فليقرأ نهج البلاغة، وهذه الجمل أمثولة منه، إذ يقول في وصف الجنّة بعد وصف الطاووس و عجيب خلقته:

«فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَـرِ قَلْبِـكَ نَحْوَ مَـا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَـدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَي الـدُّنْيَا مِنْ شَـهَوَاتِهَا وَ لَـذَّاتِهَا وَ زَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا وَ لَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْـطِفَاقِ أَشْـجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَي سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا وَ فِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَ أَفْنَانِهَـا وَ طُلُوعِ تِلْـكَ الثِّمَـارِ مُخْتَلِفَـةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا تُجْنَي مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَي مُنْيَـةِ مُجْتَنِيهَا وَ يُطَافُ عَلَي نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَـةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ وَ الْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ» الخ.

كلمة الحجّة العلاّمة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

ولحجّة الاسلام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رضوان الله عليه

كلمة حول نهج البلاغة في كتابه (جنّة المأوي) ص: 136 جاء فيها:

ص: 23

«مـا جـادت العصور، ولا انجلت الـدهور عن كتاب _ بعـد كتاب الله العظيم _ أنفع ولا أجمع ولا ألمع وأنصع من نهـج البلاغـة في إقامة براهين التوحيد ودلائل الصـنعة وأسرار الخليقة وأنوار الحقيقة وتذهيب النفس، وسياسة المدن، وحكمة التشريع والعظات البليغة، والحجج الدامغـة، وإنارة العقول، وطهارة النفوس، بينا تراه يفيض بينابيع الحكمـة النظريّـة والعمليّـة ويرهق علي توحيـد الصانع، ويغرق في وصـف الملائكـة والمجرّدات بيانـاً، ويمثّـل لك الجنـة والنار عياناً كفيلسوف إلهي، وملاك روحيّ، وإذا به يعطيك قوانين الحرب وسوق الجيوش و تعبئة العساكر، كقائد حربي ومغامر عسـكريّ، لا تلبث أن تجد فيه ما يبهرك من عجيب وصف الطاووس والخفّاش والذرة والنملة، فيصـفها دقيقاً، ويسـتوعب فيها من عجائب التكوين و بـدائع القـدرة، حتي يُخيّل لك من دقّـة الوصف أنّه هو الـذي أبـدع تصويرها، وقدّر مقاديرها، وركّب أعضاءها، وربط مفاصلها، هو صانعها ومبدعها، وصوّرها وقدّرها وشقّ سمعها وبصرها».

كلمة ابن أبي الحديد المعتزلي في نهج البلاغة:

قال في المجلد الثاني من شرحه ص 167: «لو سمع هذا الكلام _ يعني كلام علي عليه السلام _ النظر بن كنانة لقال لقائله ما قاله علي بن العباس بن جريح الإسماعيل بن بلبل:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم *** كلاّ ولكن لعمري منه شيبانُ

وكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُرا شرفٍ *** كما علا برسول الله عدنان

إذ كان يفخر به علي عدنان وقحطان، بل كان يقرّ به عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن، ويقول له: إنه لم يُعفَ ما شيّدتُ من معالم التوحيد، بل أخرج الله تعالي من ظهري ولداً ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم

تبتدعه أنت في جاهليّة النبط، بل لو سمع هذا الكلام أرسطوطاليس القائل بأنّ الله تعالي لا يعلم الجزئيّات لخشع قلبه ووقف شعره واضطرب فكره، ألا تري ما عليه من الرواء والمهابة والعظمة والفخامة والمتانة والجزالة، مع ماقد أشرب من الحلاوة والطلاوة واللطف والسلاسة، لا أري كلاماً يشبه هذا إلاّ أن يكون كلام الخالق سبحانه، فإنّ هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة، وجدول من ذلك البحر، وجذوة من تلك النار، و كأنّه شرح قوله تعالي: « وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ »(1)

ويعود ثانياً فيقول ص 150 منه:

هذا موضع المثل «إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل»(2) يعني إذا جاء هذا الكلام الربّاني واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلي النضار الخالص، ولو فرضنا أنّ العرب تقدر علي الألفاظ الفصيحة المناسبة والمقاربة لهذه الألفاظ، من أين لهم المادة التي عبّرت هذه الألفاظ عنها، ومن أين تعرف الجاهليّة _ بل الصحابة المعاصرون لرسول الله صلي الله عليه وآله _ هذه المعاني الغامضة السمائية ليتهيّأ لها التعبير عنها.

أمّا الجاهلية فإنّهم إنّما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أوفرس أوحمار وحشي أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات ونحو ذلك.

وأمّا الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنّما كان منتهي فصاحة أحدهم كلمات لاتتجاوز السطرين أو الثلاثة، إمّا في موعظة تتضمّن ذكر الموت أو ذمّ الدنيا، أو ما يتعلّق بحرب وقتال من ترغيب وترهيب أو نسب.

1- الأنعام: 59.

2- تاج العروس 8: 30. ونهر معقل بالبصرة، نُسب إلي معقل بن يسار المزني.

فأمّا الكلام في الملائكة وصفاتها وصورها وعباداتها وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وجماله وولهها إليه وما جري مجري ذلك، فإنّه لم يكن معروفاً عندهم علي هذا التفصيل، نعم ربّما علموه جملة غير مقسّمة هذا التقسيم ولا مرتّبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم، وأمّا من عنده علم من هذه المادة كعبد الله بن سلام، وأمية بن أبي الصلت، وغيرهم، فلم تكن لهم هذه العبارة، ولا قدروا علي هذه الفصاحة ، فثبت أنّ هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلاّ لعلي وحده، وأقسم أنّ هذا الكلام إذا تأمّله اللبيب اقشعرّ جلده ورجف قلبه واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وجلده، وهام نحوه، وغلب الوجد عليه، وكاد أن يخرج من مسكه شوقاً، وأن يفارق هيكله صبابة ووجداً.

ولاستجلاء هذه الحقائق بأرقامها لا بدّ من ذكر نكتة تؤيّدها وتضمن وجودها: من العلم بالنسب وأنّ معرفة الصحابة محدودة.

حدّث المعتزلي في المجلّد الأول من (شرح النهج) ص 378 ط الاولي، ونقل القصة أيضاً المحبّ الطبري في المجلد الأول من كتابه (الرياض النظرة) ص 102 في أحوال أبي بكر، ونحن ننقلها عن المعتزلي:

روي المعتزلي عن المدائني في كتاب الأمثال عن المفضّل الضبي: أن رسول الله صلي الله عليه وآله لمّا خرج عن مكّة يعرض نفسه علي قبائل العرب، خرج إلي ربيعة ومعه علي عليه السلام وأبوبكر، فدُفعوا إلي مجلس ربيعة، فتقدّم أبوبكر ـ وكان نسّابة ـ فسلّم فردّوا عليه السلام فقال: ممّن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: أمن هامّتها أم من لهازمها؟ قالوا: من هامتها العظمي، فقال: من أيّ هامتها العظمي أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر، قال: أفمنكم عوف الذي يُقال له لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهي الأحياء؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم جسّاس حامي الذمار و مانع الجار؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم المزدلف

صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال: أفأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: فلستم إذاً ذهلاً الأكبر، أنتم ذهل الأصغر. فقام إليه غلام قد بقل وجهه اسمه دغفل فقال:

إنّ علي سائلنا أن نسألهْ *** والعِبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا إنّك قد سألتنا فأجبناك ولم نكتمك شيئاً، فممّن الرجل؟

قال: من قريش. قال: بخٍ بخٍ أهل الشرف والرياسة، فمن أيّ قريش أنت؟ قال: من تيم بن مرة، قال: أمكنت _ والله _ الرامي من الثغرة، أمنكم قصيّ بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر فكان مجمّعاً؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشم الذي هشم لقومه الثريد؟ قال:لا، قال: أفمنكم شيبة الحمد مُطعم طير السماء؟ قال: لا. قال: أفمن المفيضين بالناس أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الوفادة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل السقاية؟ قال: لا. قال: فاجتذب أبوبكر زمام ناقته ورجع إلي رسول الله صلي الله عليه وآله هارباً من الغلام، فقال دغفل: صادف درء السيل دراً يصدعه،(1) أما والله لو ثبت لأخبرتُه أنّك من زمعات قريش _ أي من أرذالها _ فتبسّم رسول الله صلي الله عليه وآله، وقال علي عليه السلام لأبي بكر: لقد وقعت يا أبا بكر من الأعرابي علي باقعة، أي داهية، قال: أجل «إنّ لكل طامة طامة، والبلاء موكل بالمنطق» فذهبت مثلاً.(2)

قال ابن أبي الحديد «فهذا الذي تعلمه الصحابة لايتجاوز السطرين أو الثلاثة، أما في موعظة أو نسب أو غير ذلك ممّا ذكرنا من صفات الإبل والخيل أو حمار وحشي».

1- يقال للسيل اذا أتاك من حيث لا تحتسبه: سيل درء، أي يدفع هذا ذاك وذاك هذا. النهاية في غريب الحديث لابن الاثير 2: 110.

2- الأنساب للسمعاني 1: 37.

ويعود ابن أبي الحديـد ثالثة فيقول في المجلّد الثاني من شـرحه ص 546، في دعم من زعم أنّ خطب نهج البلاغة للشـريف الرضي رَحمه الله. تحدّث، بعد ذكر خطبة ابن أبي الشحماء العسقلاني الكاتب فقال:

هـذه أحسن خطبة خطبها هذا الكاتب، وهي ـ كما تراها ـ ظاهرة التكلّف، بيّنة التوليد، تخطب علي نفسـها، وإنّما ذكرت هذا لأنّ كثيراً من أرباب الهوي يقولون: إنّ كثيراً من نهج البلاغة كلام مُحَدث صـنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربّما عزوا بعضه إلي الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم أعمت العصبيّة أعينهم فضـلّوا عن النهج الواضح، وركبوا بنيات (1) الطريق ضـلالاً وقلّة معرفة بأساليب الكلام، وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط، فأقول: لا يخلو إمّا أن يكون كلّ نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً أو بعضه، والأوّل باطل بالضرورة، لأنّا نعلم بالتواتر صـحّة إسناد بعضه إلي أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقل المحدّثون ـ كلّهم أو جلّهم ـ والمؤرّخون كثيراً منه وليسوا من الشيعة لينسبوا إلي غرض في ذلك، والثاني يدلّ علي ما قلناه، لأنّ من قد أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفاً من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب لا بدّ أن يفرّق بين الكلام الركيك والفصـيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولّد، وإذا وقف علي كرّاس واحد يتضمّن كلاماً لجماعـة من الخطباء أو لاثنين منهم فقط فلا بدّ أن يفرّق بين الكلامين ويميّز بين الطريقتين، ألا تري أنّا ـ مع معرفتنا بالشـعر ونقده ـ لو تصـفّحنا ديوان أبي تمّام فوجـدناه قـد كتب في أثنائه قصائـد أو قصـيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشـعر أبي تمام ونَفَسِهِ وطريقته ومـذهبه في القريض؟ ألا تري أنّ العلماء بهذا الشأن حذفوا من شـعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشـعر، وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم أنّه ليس

1- بنيات الطريق: الطرق الصغار تشغب من الجادّة.

من ألفاظه ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلاّ علي الذوق خاصّة، وأنت إذا تأمّلت نهج البلاغة وجدته كلّه ماءاً واحداً أو أسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهيّة، و كالقرآن العزيز أوّله كأوسطه، وأوسطه كآخره، وكلّ سورة منه وكلّ آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفنّ والطريق والنظم لباقي الآيات والسور، ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أنّ هذا الكتاب أو بعضه منحول إلي أمير المؤمنين عليه السلام. واعلم أنّ قائل هذا القول يطرق علي نفسه ما لا قبل له به، لأنّا متي فتحنا هذا الباب وسلّطنا الشكوك علي أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحّة كلام منقول عن رسول الله صلي الله عليه وآله أبداً، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول «هذا الخبر منحول وهذا الكلام مصنوع» وكذلك ما نُقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك، وكلّ أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي عليه السلام والأئمّة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء المترسّلين والخطباء، فلناصر أمير المؤمنين عليه السلام أن يستعدّ إلي مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره، وهذا واضح.

كلمة الفيلسوف الشيخ محمّد عبدة

«مفتي الديار المصرية في مقدّمة شرحه لنهج البلاغة»:

«فقد أوفي لي حكم القدر بالاطّلاع علي كتاب نهج البلاغة مصادفة بلا تعمّل، أصبته علي تغيّر حال و تبلبل بال و تزاحم أشغال و عطلة من أعمال، فحسبته تسلية وحيلة للتخلية، فتصفّحتُ بعض صفحاته و تأمّلت جُملاً من عباراته من مواضع مختلفات ومواضيع متفرّقات، فكان يخيّل لي في كلّ مقام أنّ حروباً شبّت وغارات شُنّت، وأنّ للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة، وأنّ

للأوهام عرامة وللريب دعارة، وأنّ محافل الخطابة و كتائب الذرابة (أي الفصاحة)(1) في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج (أي السيف)(2) والقويم الأملج (الرمح الاسمر)(3) وتمتلج المهج (أي تمض)(4) برواضع الحجج، فتفلّ من دعارة الوساوس، وتصيب مقاتل الخوانس، فما أنا إلاّ والحقّ منتصر والباطل منكسر، ومرج الشكّ في خمود، وهرج الريب في ركود، وإنّ مدبّر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. بل كنت كلّما انتقلت من موضع إلي موضع أحسّ بتغير المشاهد وتحوّل المعاهد، فتارة كنتُ أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية في حلل من العبارات الزاهية، تطوف علي النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية، توحي إليها رشادها، وتقوّم منها مرادها، وتنفر بها عن مداحض المزال إلي جواد الفضل والكمال، وطوراً كانت تنكشف لي الجمل عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة وأرواح في أشباح النمور ومخالب النسور، قد تحفّزت للثواب ثمّ انقضّت للاختلاب، فخلبت القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون مرماها، واغتالت فاسد الأهواء و باطل الآراء.

وأحياناً كنت أشهد أنّ عقلاً نورانيّاً لا يشبه خلقاً جسدانياً فصل عن

1- ذرب الرجل إذا فصح لسانه بعد حصره. لسان العرب / ابن منظور: 1/ 385. وله معاني كثيرة منها ما ذُكر.

2- الصفيحة: السيف العريض... قال ابن الأعرابي: المصفحات: السيوف، لانهاصفحت حين طبعت.. القاموس المحيط/ الفيروز آبادي: 3 /393.

3- الملج: السمر من الناس، وفي نوادر الأعراب: أسود أملج.. والأملج الأصفر ليس بأسود ولا أبيض وهو بينهما. لسان العرب: 2/ 369.

4- ملج: ملج الصبي أمه.. وملجها إذا رضعها.. وفي الصحاح: تناول الثدي بأدني الفم... والإملاج: الإرضاع. لسان العرب: 2/ 369.

الموكب الإلـهي واتّصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسما به إلي الملكوت الأعلي، ونما به إلي مشهد النور الأجلي، وسكن به إلي عمّار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس.

وآنات كأنّي أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمّة، يعرّفهم مواقع الصواب، ويبصّرهم مواضع الارتياب، ويحذّرهم مزالق الاضطراب، ويُرشدهم إلي دقائق السياسة، ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم إلي منصّات الرئاسة، ويصعدهم شُرَفَ التدبير، ويشرف بهم علي حسن المصير...» إلي آخر كلماته الظاهرة عليها إمارات الدهشة والحيرة.

أجل ولئن اندهش هذا الفيلسوف من كلام أمير المؤمنين عليه السلام واضطرب فكره، فقد اضطربت قبله آراء فلاسفة وحكماء، ووقفت أفكارهم عند حدّه.

كلمة محمد محيي الدين مصدّر شرح النهج لابن عبدة:

«وبعد فهذا الكتاب (نهج البلاغة)، وهو ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسن الموسويّ من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضي الله عنهُ، وهو الكتاب الذي جمع بين دفّتيه عيون البلاغة وفنونها، وتهيّأت به للناظر فيه أسباب الفصاحة، ودنا منه قطافها، إذ كان من كلام أفصح الخلق _ بعد الرسول صلي الله عليه وآله _ منطقاً وأشدّهم اقتداراً وأبرعهم حجّة، وأملكهم للّغة، يُديرها كيف شاء، الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه، والخطيب الذي يملأ القلب سحر لسانه، العالم الذي تهيّأ له من خلاط الرسول وكتابة الوحي، والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حداثته ما لم يتهيّأ لأحد سواه...»

كلمة السيد الشريف الرضي رَحمه الله مؤلف نهج البلاغة:

قال الرضي رَحمه اللهُ: فإنّي كنت في عنفوان السنّ وغضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليه السلام يشتمل علي محاسن أخبارهم

و جواهر كلامهم، حـداني عليه غرض ذكرته في صـدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام، وفرغت من الخصائص التي تخصّ أمير المؤمنين علياً عليه السـلام، وعاقت عن إتمام بقيّـة الكتاب محاجزات الأيام ومماطلات الزمان، وكنت قد بوّبت ما خرج من ذلك أبواباً، وفصّلته فصولاً، فجـاء في آخرهـا فصل يتضـمّن محاسن ما نُقل عنه عليه السـلام من الكلام القصـير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب، دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاسـتحسن جماعة من الأصدقاء ما اشـتمل عليه الفصل المقدّم ذِكره، معجبين ببدائعه ومتعجّبين من نواصـعه، وسـألوني عنـد ذلك أن أبـدأ بتأليف كتاب يحتوي علي المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السـلام في جميع فنونه ومتشـعّبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب، علماً أنّ ذلك يتضـمّن من عجائب البلاغـة وغرائب الفصاحة وجواهر العربيّة و ثواقب الكلم الدينيّة والدنياويّة ما لا يوجـد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان أمير المؤمنين عليه السـلام مشـرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولـدها، ومنه عليه السـلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلي أمثلته حذا كلّ قائل خطيب، وبكلامه اسـتعان كلّ واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصّروا، وقد تقدّم و تأخّروا، لأنّ كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهيّ، وفيه عبقة من الكلام النبويّ.

كلمة ميرزا حبيب الله الخوئي

«مؤلّف منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة»:

«... ثم إنّ أحسن الروايات المنشورة، وأبهي الكلمات المنثورة، هو ما دوّنه السيد السند والركن المعتمد الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين الموسوي قدّس الله سره ونوّر ضريحه في نهج البلاغة من شرائف الكلام والخطب، ولطائف الوصايا والكتب والأدب، المأثورة من

باب مدينة العلم والحكمة، والمتلقّاة من قطب دائرة الطهارة والعصمة، حجّة لله في عباده، و خليفة لله في بلاده.

ولعمري إنّه كتاب شرع المناسك للناسك، وشرح المسالك للسالك، وهو خلاص المتورّطين في الهلكات، ومناص المتحيّرين في الفلوات، ملاذ كلّ بائس فقير، ومعاذ كلّ خائف مستجير، مدينة المآرب وغنية للطالب، لأنّ ما أودع فيه كلام عليه مسحة من الكلام الإلهيّ، وفيه عبقة من الكلام النبويّ، ظاهره أنيق وباطنه عميق، مشتمل علي أمر ونهي ووعد ووعيد، و ترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص، لا تفني عجائبه ولاتنقضي غرائبه، يدلّ علي الجنة طالبها، وينجي من النار هاربها، شفاء من الداء العُضال، ونجاة من ظلمة الضلال، دواء لكلّ عليل ورواء لكلّ غليل، وأمل لكلّ آمل، وبحر ليس له ساحل، وكنز مشحون بأنواع الجواهر والدرر، يفوح من نفحاته المسك الأذفر والعنبر.

ومع ذلك قد احتوي من حقائق البلاغة، ودقائق الفصاحة ما لا يبلغ قعره الفكر، وجمع من فنون المعان وشؤون البيان ما لا ينال غوره النظر، وتضمّن من أسرار العربية والنكات الأدبية والمحاسن البديعية ما يعجز عن تقديره لسان البشر...».

كلمة الأستاذ حسن نائل المرصفي المصري:

تحدّث أستاذ الفن (حسن نائل المرصفي) مدرس البيان بكليّة العزيز الكبري بمصر في مقدّمة شرحه علي نهج البلاغة، فجمع بايجاز أطراف البيان حول عبقريّة الإمام وذكر مزاياه العالية وشرح ماهيّة كلامه في نهج البلاغة ملخّصاً فيما يأتي، قال:

«بهذه الخصال الثلاث _ يعني جمال الحضارة الجديدة، وجلال

البـداوة القديمة، وبشاشة القرآن الحكيم _ امتاز الخلفاء الراشدون، ولقد كان المجلي في هذه الحلبة علي صـلوات الله عليه، وما أحسـبني أحتاج في إثبات هـذا إلي دليل أكثر من نهـج البلاغة، ذلك الكتاب الذي أقامه الله حجّة واضـحة علي أنّ عليّاً رَضـي الله عنهُ قد كانأحسـن مثال حيّ لنور القرآن و حكمته، وعلمه وهدايته، وإعجازه وفصاحته.

اجتمع لعليّ عليه السـلام في هـذا الكتاب مالم يجتمع لكبار الحكماء وأفـذاذ الفلاسـفة ونوابغ الربّانيّين من آيات الحكمـة السامية وقواعد السياسة المستقيمة، و من كلّ موعظة باهرة، وحجّة بالغة، تشهد له بالعقل وحسن الأثر.

خاض علي في هذا الكتاب لجّة العلم والسـياسة والدين، فكان في كلّ هذه المسائل نابغة مبرّزاً، ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العلم، فليس في وسع الكاتب المسترسل، والخطيب المصـقع، والشاعر المفلق أن يبلغ الغايـة في وصـفه والنهايـة من تقريظه، وحسـبنا أن نقول: إنّه الملتقي الفذّ الذي التقي فيه جمال الحضارة وجزالة البداوة والمنزل الفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسـها منزلاً تطمئنّ فيه وتأوي إليه بعد أن زلّت بها المنازل في كلّ لغة».

***

وكم مثل هـذا في الواصـفين لنهج البلاغة من حكموا بتفوّقه علي كتب الإنشاء ومنشآت البلغاء، واعترفوا ببلوغه حدّ الاعجاز، وأنّه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق المتعال، وأعجبوا به أقصـي الإعجاب، وشـهدت ألسـنتهم بدهشة عقولهم من عظمةٍ أضاء سـنا برقها من ثنايا الخطب و مزايـا الجمل، وليس إعجاب الأدباء بانسـجام لفظه وحـده، ولا دهشـة العلماء من تفوّق معانيه البليغـة حـدّ الاعجاز فقط، وإنّما الإعجاب كلّه والدهشة كلّها في تنوّع المناحي في هذه الخطب والكلم، واختلاف المرامي والأغراض فيها،

فمن وعظ ونصح وزهد وزجر، إلي تنبيه حربيّ واستنهاض للجهاد، إلي تعليم فنّي ودروس ضافية في هيئة الأفلاك وأبواب النجوم، وأسرار من طبائع كائنات الأرض و كامنات السماء، إلي فلسفة الكون وخالقه، وتفنّن في المعارف الإلهيّة وترسّل في التوحيد، وصفة المبدء والمعاد، إلي توسّع في أصول الإدارة وسياسة المدن والأمم، إلي تثقيف النفوس بالفضائل وقواعد الاجتماع و آداب المعاشرة ومكارم الأخلاق، إلي وصف شعري لظواهر الحياة، وغير ذلك من شتّي المناحي المتجلّية في نهج البلاغة بأرقي المظاهر.

كلمة الصحافي الشهيره أمين نخلة:

ولا تغيب عنك كلمة الصحافي الشهير (أمين نخلة) من أفاضل المسيحيين مخاطباً من رجاه انتخاب (المئة) من كلمات الإمام عليه السلام، إذ قال:

«سألتني أن أنتقي مئة كلمة من كلمات أبلغ العرب أبي الحسن تُخرجها في كتاب، وليس بين يديّ الآن من كتب الأدب التي يُرجع إليها في مثل هذا الغرض إلاّ طائفة قليلة منها إنجيل البلاغة (النهج)، فرحت أسرّح اصبعي فيه، ووالله لا أعرف كيف أصطفي لك المئة من مئات، بل الكلمة من الكلمات، إلاّ إذا سلخت الياقوتة عن أختها الياقوتة، ولقد فعلت ويدي تتقلّب علي اليواقيت، وعيني تغوص في اللمعان، فما حسبتني أخرج من معدن البلاغة بكلمة لفرط ما تحيّرت في التخيير، فخذ هذه (المئة) وتذكّر أنّها لمحات من نور وزهرات من نَور، ففي نهج البلاغة من نِعم الله علي العربية وأهلها أكثر بكثير من مئة كلمة».

يصف هذا الكاتب وغيره كلم الإمام عليه السلام بالدرّ والياقوت والجوهر، وأنّي لهذه الأحجار الغالية مزايا الحكمة العالية، ومن أين لها أن تهدي الحياري في سُبل الحياة ومسالكها الشائكة، ومن أين لها الوساطة بين الجهل والعلم، وربط الانسان بعالم اللاهوت، أو أن تكشف للبصائر أسرار الملكوت.

كلمة نرسيسيان:

«رئيس كتّاب القنصلية البريطانية ببغداد سنة 1328ه»

وكـان من فضـلاء الأـرمن زاعماً تفوّق نهـج البلاغـة علي كلّ كلام عربي لكثرة ما فيه من السـهل الممتنع الـذي لا يوجـد في سواه، وانقياد الأسجاع الصعاب فيه بلا تكلّف، واستشهد بقوله عليه السلام:

«أَمْ هَـذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقاً وَعَلَقَةً مِحَاقاً وَجَنِيناً وَرَاضِعاً وَوَلِيداً وَيَافِعاً ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَلِسَاناً لَافِظاً وَبَصَراً لَاحِظاً لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً حَتَّي إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَاسْتَوَي»

معجباً بحسن التسجيع و كيف يجري الروي كالماء السلسال علي لسان الإمام عليه السلام .

ثم قال: ولو كان يرقي هذا الخطيب العظيم منبر الكوفة في عصـرنا هذا، لرأيتم مسجدها علي سعته يتموّج بقبّعات الافرنج للاستقاء من بحر علمه الزاخر.

كلمة مستر كرينو الانكليزي أستاذ الآداب العربية:

في كلية (عليكده) الهندية عندما اجتمع الأساتذة والأدباء حوله في حفلة وسألوه عن إعجاز القرآن أجابهم:

«إنّ للقرآن أخاً صغيراً يُسمّي (نهج البلاغة)، فهل في إمكان أحد أن يأتي بمثل هذا الصغير حتّي يسوغ لنا البحث عن الأخ الكبير».

كلمة الأستاذ جورج جرداق:

تحدث الأستاذ (جورج جرداق) ـوهو من أفاضل الكتّاب والمؤلّفين المسيحيين ـ في مؤلّفه «الإمام علي صوت العدالة الانسانية»، و تحت عنوان «الأسلوب والعبقريّة الخطابيّة» عندما يتحدّث عن (نهج البلاغة) قائلاً:

ص: 36

«نهـج البلاغة آخذ من الفكر والخيال والعاطفة آيات تتّصل بالذوق الفنّي الرفيع ما بقي الانسان وما بقي له خيال وعاطفة وفكر، مترابط بآياته متساوق، متفجّر بالحسّ المشـبوب والإدراك البعيد، متدفّق بلوعة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق إلي معرفة ما وراء هذا الواقع، متآلف يجمع بين جمال الموضوع وجمال الاخراج، حتّي ليندمج التعبير بالمدلول، أو الشـكل بالمعني، اندماج الحرارة بالنار، والضوء بالشـمس، والهواء بالهواء، فما أنت أزاءه إلاّ ما يكون المرء قبالة السيل إذ ينحدر، والبحر إذ يتموّج، والريح إذ تطوف، أو قبالة الحدث الطبيعي الذي لا بدّ له أن يكون بالضرورة علي ما هو كائن عليه من الوحدة، لا تفرّق بين عناصرها إلاّ لتمحو وجودها وتجعلها إلي غير كون.

بيـانٌ لو نطق بـالتقريع لانقضّ علي لسان العاصـفة انقضاضاً، ولو هـدّد الفساد والمفسـدين لتفجّر براكين لها أضواء وأصوات، ولو انبسط في منطقٍ لخاطب العقول والمشاعر، فأقفل كلّ باب علي كلّ حجّة غير ما ينبسط فيه، ولو دعا إلي تأمّل لرافق فيك منشأ الحس وأصل التفكير، فساقك إلي ما يريـده سوقاً، ووصـلك بالكون وصـلاً، ووحّد فيك القوي للاكتشاف توحيداً، وهو لو راعاك لأدركت حنان الأب ومنطق الأبوّة وصـدق الوفاء الانساني وحرارة المحبـة التي تبـدأ ولا تنتهي، أمّا إذا تحـدّث إليك عن بهاء الوجود و كمالات الخلق وجمالات الكون فإنّما يكتب علي قلبك بمدادٍ من نجوم السماء.

بيانٌ هو بلاغة من البلاغة و تنزيل من التنزيل.

بيانٌ اتّصل بأسباب البيان العربي، ما كان منه وما يكون، حتّي قال أحدهم في صاحبه: إنّ كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

وخطب الإمام جميعاً تنضح بدلائل الشخصـيّة، حتّي لكأنّ معانيها وتعابيرها هي خوالج نفسه بالذات، وأحداث زمانه التي تشـتعل في قلبه كما

تشـتعل النار في موقـدها تحت نفـح الشـمال، فإذا هو يرتجل الخطبـة حسّاً دافقاً وشـعوراً زاخراً وإخراجاً بالغاً غاية الجمال، وكذلك كانت كلمات علي بن أبي طالب المرتجلـة، فهي أقوي ما يمكن للكلمة المرتجلة أن تكون من حيث الصدق وعمق الفكرة وفنّية التعبير، حتّي أنّها ما نطقت بها شفتاه إلاّ ذهبت مثلاً سائراً.

والخلاصـة أنّ علي بن أبي طـالب أديب عظيم نشأ علي التمرّس بالحياة، وعلي المرانـة بأساليب البلاغـة، فإذا هو مالك ما يقتضـيه الفنّ من أصالة في شخصية الأديب، ومن ثقافة تنمو بها الشخصيّة وتتركّز الأصالة.

أمّا اللغة لغتنا العربية الحبيبة التي قال فيها (مرشـلوس) في المجلّد الأول من كتابه (رحلة إلي الشـرق) هذا القول الذكي: «اللغة العربية هي الأغني والأفصـح والأكثر والألطف وقعاً بين سائر لغات الأرض بتراكيب أفعالها، تتبع طيران الفكر وتصوّره بدقّـة، وبأنغام مقاطعها الصوتية تقلبد صـراخ الحيوانات، ورقرقة المياه الهاربة، وعجيج الرياح وقصف الرعد». أمّا هذه اللغة بما ذكر (مرشـلوس) من صفاتها وبما لم يذكر، فإنّك واجدٌ أصولها وفروعها وجمال ألوانها وسحر بيانها في أدب الإمام علي، وكان أدباً في خدمة الانسان والحضارة».

ولمّا كان في نفسه أن يُشبع الموضوع ويستعرضه عرضاً دقيقاً، استرسل في حديثه ثانية بقوله:

وإنّ قسط علي بن أبي طالب من الذوق الفنّي، أوالذوق الجمالي لممّا يندر وجوده لدي الكثيرين، وذوقه هذا كان المقياس الطبيعي الضابط للطبع الأدبي عنـده، أمّا طبعه في ذلك فهو طبع ذوي الأصالـة والموهبـة الـذين يرون فيشـعرون، ويدر كون فتنطلق ألسـنتهم بما تجيش به قلوبهم وتنكشف عنه مـداركهم انطلاقـاً عفويّـاً، لـذلك تميّز عليٌّ بالصـدق كما تميّزت به حياته، وما الصـدق إلاّ ميزة الفنّ الأولي ومقياس الأسلوب الذي لا يُخادع.

ص: 38

وإنّ شروط البلاغة _ التي هي موافقة الكلام لمقتضي الحال _ لم تجتمع لأديب عربي كما اجتمعت لعلي بن أبي طالب، فإنشاؤه أعلي مَثَل لهذه البلاغة بعد القرآن، فهو موجز علي وضوح قويّ جيّاش تامّ الانسجام لما بين ألفاظه ومعانيه وأغراضه من ائتلاف، حلو الرنّة في الأذن، موسيقيّ الوقع، وهو يرفق ويلين في المواقف التي لا تستدعي الشدّة، ويشتدّ ويعنف في غيرها من المواقف، لاسيّما ساعة يكون القول في المنافقين المراوغين وطلاّب الدنيا علي حساب الفقراء والمستضعفين وأصحاب الحقوق المهدورة، فأسلوب علي صريح كقلبه وذهنه، صادق كطويّته، فلا عجب أن يكون نهجاً للبلاغة، وقد بلغ أسلوب علي من الصدق حدّاً ترفّع به حتّي السجع عن الصنعة والتكلّف، فإذا هو _ علي كثرة ما فيه من الجمل المتقاطعة الموزونة المسجعة _ أبعد ما يكون عن الصنعة وروحها، وأقرب ما يكون من الطبع الزاخر.

فانظر إلي هذا الكلام المسجّع وإلي مقدار ما فيه من سلامة الطبع «يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ وَ مَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ وَ اخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ وَ تَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ» أو إلي هذا القول في إحدي خطبه: «وكَذَلِكَ السَّمَاءُ والْهَوَاءُ والرِّيَاحُ والْمَاءُ – فَانْظُرْ إِلَي الشَّمْسِ والْقَمَرِ والنَّبَاتِ والشَّجَرِ والْمَاءِ والْحَجَرِ واخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ والنَّهَارِ وتَفَجُّرِ هَذِه الْبِحَارِ وكَثْرَةِ هَذِه الْجِبَالِ وطُولِ هَذِه الْقِلَالِ وتَفَرُّقِ هَذِه اللُّغَاتِ والأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَا... الخ».

و أوصيك خيراً بهذا السجع الجاري من الطبع «ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَي فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَك دَائِر، وَسَقْفٍ سَائِرٍ... الخ».

فإنّك لو حاولتَ إبدال لفظٍ مسجوع في هذه البدائع جميعاً بآخر غير مسجوع لعرفت كيف يخبو إشراقها ويبهت جمالها، ويفقد الذوق فيها أصالته ودقّته، فالسجع في هذه الأقوال العلويّة ضرورة فنّية يقتضيها الطبع الذي

يمتزج بالصنعة امتزاجاً، حتّي لكأنّهما من معدن واحد، يبعث النثر شعراً له أوزان وأنغام ترفق المعني بصورٍ لفظيّة لا أبهي منها ولا أشهي.

وإذا قلنا إنّ أسـلوب علي تتوفّر فيه صراحة المعني وبلاغة الأداء وسلامة الذوق الفنّي، فإنّما نشير علي القارئ بالرجوع إلي نهج البلاغة ليري كيف تتفجّر كلمات عليٍ من ينابيع بعيدة القرار في مادّتها، وبأي حُلّة فنية رائعة الجمال تمور وتجري.

وإليك هذه التعابير الحسان في قوله: «اَلْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ» وفي قوله: «الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ» أو في قوله: «مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ» أو في قوله: «كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إلا وِعَاءَ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ» أو في قوله أيضاً: «لَو أحَبّني جَبَلٌ لتهَافَتَ» أوفي هذه الأقوال الرائعة: «الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ المَالَ» «رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ» «إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَي أحَد أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ» «لْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً» «افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلاَ تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ» «هَلَكَ خُزّانُ الاَمْوالِ وَهُمْ اَحْياءٌ» «مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ».

فأنت تري ما في أقواله هـذه من الأصالـة في التفكير والتعبير، هـذه الأصالـة التي تلازم الأديب الحقّ بصورة مطلقة، إلاّ إذا فاتته الشخصـية الأدبية ذاتها.

ويبلغ أسـلوب علي قمّـة الجبال في المواقف الخطابيـة، هـذه الأصالة التي تثور بها عاطفته الجيّاشة، ويتّقد خياله فتعتلج فيه صور حارّة من أحـداث الحياة التي تمرّس بها، فإذا بالبلاغـة تزخر في قلبه، وتتـدفّق علي لسانه تدفّق البحار، ويتميّز أسـلوبه في مثل هذه المواقف بالتكرار بغية التقرير والتأثير، وباستعمال المترادفات، وباختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين.

والخطباء في العرب كثيرون، والخطابة من فنونهم الأدبية التي عرفوها في الجاهلية والإسـلام، ولاسـيّما في عصر النبي والخلفاء والراشدين، لما كان

لهم بها من حاجة، أمّا خطيب العهد النبويّ الأكبر فالنبي لا خلاف في ذلك، أمّا في العهد الراشدي وفيما تلاه من العصور العربية قاطبة، فإنّ أحداً لم يبلغ ما بلغ إليه علي بن أبي طالب في هذا النحو، فإنّ الله يسّر له العدّة الكاملة بالفطرة السليمة والذوق الرفيع والبلاغة الآسرة، ثمّ بذخيرة من العلم انفرد بها عن أقرانه، وبحجّة قائمة وقوّة إقناع دامغة وعبقريّة في الإرتجال نادرة.

وابن أبي طالب علي المنبر رابط الجأش شديد الثقة بنفسه وبعدل القول، ثمّ إنّه قوي الفراسة، سريع الإدراك، يقف علي دخائل الناس وأهواء النفوس وأعماق القلوب، زاخر جنانه بعواطف الحريّة والانسانية والفضيلة، حتّي إذا انطلق لسانه الساحر بما يجيش به قلبه أدرك القوم بما يحرّك فيهم الفضائل الراقدة والعواطف الخاصّة.

أمّا إنشاؤه الخطابي فلا يجوز وصفه إلاّ بأنّه أساس في البلاغة العربية. يقول أبو هلال العسكري (في الصناعتين): «ليس الشأن في إيراد المعاني ـ وحدها ـ وإنّما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه، مع صحّة السبك والتركيب، والخلوّ من أود النظم والتأليف، من الألفاظ ماهو فخم كأنه يجرّ ذيول الأرجوان أنفة وتيهاً، ومنها ماهو ذو قعقعة كالجنود الزاحفة في الصفيح، ومنها ما هو كالسيف ذي الحدّين، ومنها ما هو كالنقاب الصفيق يلقي علي بعض العواطف ليستر من حدّتها ويخفّف من شدّتها، ومنها ماله وميض البرق، ومنها ما له ابتسامة السماء في ليالي الشتاء، من الكلام ما يفعل كالمقرعة وهو كلام الانتقاد والتنديد، ومنه ما يجري كالنبع الصافي وهو المعدّ للرضي والغفران، ومنه ما يضيء كالشهاب وهو كلام التعظيم، كذلك من الكلام ما ليس له طابع خاصّ فيؤتي به لتقوية الجملة ودعم المعني، فهو يلائم كلّ حال».

كلّ ذلك ينطبق علي خطب الإمام علي في مفرداتها وتعابيرها، هذا

بالاضافة إلي أنّ الخطبة تحسن إذا انطبعت بهذه الصفات اللفظية علي رأي صاحب الصناعتين، فكيف بها إذا كانت كخطب ابن أبي طالب تجمع روعة هذه الصفات في اللفظ إلي روعة المعني وقوّته وجلاله، انتهي.

لم يسمع الناس بكلام قطّ بعد كلام الله تعالي ورسوله أعمّ نفعاً، وأصدق لفظاً، وأعدل وزناً، وأجمل مذهباً، وأكرم مطلباً، ولا أحسن موضعاً ولا أسهل مزجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه، من كلام علي أمير المؤمنين عليه السلام، فقد شاهدنا روّاد العبقريّة الانشائيّة مسترشدين بكلمه عليه السلام وخطبه و كتبه.

حكي عبد المسيح في شرح قصيدته أنّ شيخه ناصيف اليازجي قال له: «ما أتقنت الكتابة إلاّ بدرس القرآن العظيم ونهج البلاغة القويم، فهما كنز العربيّة الذي لا ينفد وذخيرتها للمتأدّب، وهيهات أن يظفر أديب بحاجته من هذه اللغة الشريفة إن لم يُحيي لياليه سهراً في مطالعتهما والتبحّر في عالي أساليبهما».

وقال عبد الحميد بن يحيي ـ الذي يُضرب ببلاغته المثل ـ: «حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثمّ فاضت» ـ يعني بالأصلع سيّدنا علياً عليه السلام.

وقال ابن نباتة: «حفظت من الخطب كنزاً لا يزيده الانفاق إلاّ سعة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب».

وقد زيّن الجاحظ كتبه مثل «البيان والتبيين» بفصول من خطب أمير المؤمنين عليه السلام إعجاباً بها، وإعداداً للنفوس لبلوغ أقصي البلاغة، وشاهدنا جماهير العرب والعجم والشرقيّين والمستشرقين ممّن يتطلّبون بلاغة اللسان وبراعة القلم يستظهرون نهج البلاغة لما فيه من فصاحة بانسجام، وبلاغة خالية من كلّ تعقيد أو تكلّف، وعروبة صحيحة تعالي عهدها عن تصنّعات عهد المولدين، هذه غاية الأدباء في حفظ كلامه عليه السلام.

وكم يعود الأسف بليغاً إذا نبذنا مثل هذا الكتاب وراءنا ظِهريّاً، وحرمنا النشء من فنون بيانه، وتركناه صفر الكفّ من شذور عقيانه، عكس ما لو يثقّف بدراسته دراسة تفقّهٍ واستحضار وتدبير واستظهار، فندّخر بهذا ومثله لأفلاذ أكبادنا كنزاً من الحكمة أو جَنّة باقية وجُنّة واقية تقيهم في مزالق الانشاء، وتملّكهم مقاليد البلاغة في البيان، والبيان من أهم عوامل الرقيّ في الحياة. لم لا نُصغي لنداء مرشدنا الروحي الذي يخاطبنا من صميم ضميره الحرّ بداعية الهداية، وما هو _ لو أنصفناه _ إلاّ أستاذ الكلّ في الكلّ، يلقّن العالم نتائج المعارف العالية، ويلقي دروسه علي صفوف من أقصي الشرق إلي أقصي الغرب بلهجة من لغة الضاد رقّت وراقت فلا يوجد أجمل منها حسناً وبهاءاً.

كلمة الشيخ محمد مهدي شمس الدين:

قال الشيخ محمد مهدي في كتابه (دراسات في نهج البلاغة): «سواء نظرت إليه من ناحية الشكل أو من ناحية المضمون وجدته من الآثار التي تقلّ نظائرها في التراث الانساني علي ضخامة هذا التراث، فقد قيل في بيان صاحبه إنّه دون الخالق وفوق كلام المخلوق، بيان معجز البلاغة، تتحوّل الأفكار فيه إلي أنغام، وتتحوّل الأنغام فيه إلي أفكار، ويلتقي عليه العقل والقلب، والعاطفة والفكرة، فإذا أنت من الفكرة أمام كائن حيّ متحرّك ينبض بالحياة ويمور بالحركة. وتلك هي آية الاعجاز في كلّ بيان. ولم يكرّس هذا البيان المعجز المديح سلطان، أو لاستجلاب نفع، أو للتعبير عن عاطفة تافهة ممّا اعتاده التافهون من الناس أن يكرّسوا له البيان.

فلم يمجّد الإمام الأعظم في نهج البلاغة قوّة الأقوياء وإنّما مجّد نضال الضعفاء، ولم يمجّد غني الأغنياء وإنّما أعلن حقوق الفقراء، ولم يمجّد الظالمين العتاة وإنّما مجّد الأنبياء والصُلحاء.

إنّ الحرية والعبودية، والغني والفقر، والعدل والظلم، والحرب والسلم، والنضال

الأزليّ في سبيل عالم أفضل الإنسان أفضل، هو مدار الحديث في نهج البلاغة.

فنهج البلاغة كتاب إنسانيّ بكلّ ما لهذه الكلمة من مدلول، إنسانيّ باحترامه للانسان وللحياة الإنسانية، وإنسانيّ بما فيه من الاعتراف للانسان بحقوقه في عصر كان الفرد الإنساني فيه عند الحاكمين هباءة حقيرة لا قيمة لها ولا قدر، إنسانيّ بما يثيره في الانسان من حبّ الحياة والعمل لها في حدود تضمن لها سموّها ونقاءها، لهذا ولغيره كان نهج البلاغة _ وسيبقي _ علي الدهر أثراً من جملة ما يحويه التراث الإنساني من الآثار القليلة التي تعشو إليها البصائر حين تكتنفها الظلمات.

وحقّ له أن يكون كذلك وهو عطاء إنسان كان كوناً من البطولات، ودنياً من الفضائل، ومثلاً أعلي في كل ما يشرف الانسان».

كلمة الأديب جبران خليل جبران:

«أمّا بلاغة الإمام علي فإنّها النور ذو المناهج والطرق التي تاه عنها العرب فلم يفهموها، ومنهم من آثروا عليها ظلمات أيّامهم يتيهون في شعابها رجوعاً إلي الجاهليّة واتّصالاً بمن تتمثّل بهم الجاهلية من سماسرة المنافع و تجّار الأعناق، في عقيدتي أنّ ابن ابي طالب كان أوّل عربي لازم الروح الكلّيّة وجاورها وسامرها، وهو أوّل عربي تناولت شفتاه صدي أغانيها علي مسمع قوم لم يسمعوا بها من ذي قبل، فتاهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم، فمن أعجب بها كان إعجابه موثوقاً بالفطرة، ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية». نقلاً عن كتاب «الإمام علي صوت العدالة الانسانية» ص363.

كلمة الشيخ محمد حسن القبيسي العاملي

في كتابه «نظرة في شرح نهج البلاغة»:

«لقد احتوي نهج البلاغة من حقائق البلاغة ودقائق الفصاحة ما لا يبلغ

ص: 44

قعره الفكر، وجمع من فنون المعاني وشؤون البيان ما لا ينال غوره النظر، وتضـمّن من أسـرار العربية والنكات الأدبية والمحاسن البديعيّة ما يعجز عن تقديره لسان البشر».

كلمة روكس بن زائدة العزيزي الكاثوليكي:

تحدث الأسـتاذ روكس عن نهج البلاغة في كتابه (الإمام علي أسد الاسـلام وقدّيسه) ص 225 تحت عنوان (أثر الإمـام في مثقّفي العرب) قائلاً:

«يقينـاً أنّ كلّ مثقّف عربي، كلّ كاتب عربي، كلّ خطيب عربي مـدين للإمام علي، فإذا كان كلّ مسـلم في الـدنيا مـدين للقرآن الكريم في تكوّن عقليّته وتفكيره، فإنّ كلّ مثقّف عربي مـدين لنهـج البلاغة في تقويم قلمه، وما أعدت قول اليازجي العظيم إلاّ ازددت اقتناعاً بما أقول، قـال إبراهيم اليازجي: «ما أتقنت الكتابـة إلاّ بـدرس القرآن ونهـج البلاغـة» وإبراهيم اليازجي إذا أردنا أن نحكم علي رجل من رجال القلم بالنسـبة إلي كلّ علوم اللغة العربية مجتمعة، لا نجد في القرن التاسع عشـر وأوائل القرن العشرين من يتفوّق عليه، وإن كان في كلّ علم من علومها علي انفراد يوجد من ينافسه ويتفوّق عليه.

إذا كان اليازجي يقول هـذا، فإنّ كلّ مثقّفٍ عربي مدين لنهج البلاغة وللإمام علي في اسـتقامة نهجه الكتابي، وانطلاقاً من هذه النقطة فنحن لا نعدّ كاتباً أو أديباً عربياً مثقّفاً ثقافة عربية أصيلة إن لم يقرأ القرآن ونهج البلاغة قراءات عميقة متواصلة.

فالـذي يريد أن يفهم المجتمع العربي والعقليّة العربية لا بدّ له من قراءة نهج البلاغة، والذي يريد أن يفهم أسـلوب الحكم في البلاد العربية يحتاج إلي نهج البلاغة.

الفقيه الذي يرغب في أن يكون نافذ الفكر، مستنير البصيرة هوفي أقصي الحاجة إلي نهج البلاغة.

ص: 45

رجل الوعظ المسلم الذي يريد أن يكون واسع الآفاق محتاج إلي نهج البلاغة، وإن لم يفعل فإنّه ظلاّم لنفسه، قليل الاحترام لعقله. قرأت شيئاً اسمه (تشريح شرح نهج البلاغة)، فشعرت بإشفاق علي عقلية الرجل، وذكرت حالاً قول ابن العميد علي كتب الجاحظ: «كتب الجاحظ: تعلّم العقل أوّلاً والأدب ثانياً».

ونهج البلاغة في اعتقادي يعلّم العقل أوّلاً، والأدب ثانياً، وأساليب كلّ فنّ من الكتابة والخطابة ثالثاً، ويطّلع منه الانسان علي أمور لا أعتقد أنّها توجد في كتاب واحد كلّها مجتمعة.

وبعد فأنا أنظر إلي الكتاب علي اعتبار أنّه كنز ثمين لا غني لمتأدّب عنه، وأنظر إلي صاحب هذا الكتاب فأري أنّه طّوق جيد اللغة العربية بمنّةٍ لا تزول حتّي تزول الأرض ومن عليها.

وعندي أنّه إذا ثبت كلّ ما في نهج البلاغة للإمام علي، فهو معجزة أدبية، وإذا أراد النافون أن ينفوه عنه وينسبوه إلي جامع الكتاب، فتكون معجزة الإمام أعظم، إذ يستطيع حبّه أن يُملي علي محبّيه أن يأتوا بمثل هذه الدرر الغوالي!

فإثبات نهج البلاغة للإمام ونفيه عنه يثبت عظمة الإمام الخالدة، ولا ينفي الدَين الذي للإمام علي مثقّفي العرب كافّة».

العقّاد و نهج البلاغة:

جاء في كتابه (عبقريّة الإمام)، في فصل ثقافته عليه السلام ما نصّه:

«ففي كتاب نهج البلاغة فيض من آيات التوحيد والحكمة الإلهية، تتّسع به دراسة كلّ مشتغل لعقائد وأصول التأليه وحكمة التوحيده».

ويقول فيه: «فكلّ نمط من أنماط كلامه شاهد له بالملكة الموهوبة في قدرة الوعي وقدرة التعبير، فهو ولا شكّ من أبناء آدم الذين علموا الأسماء وأوتوا الحكمة وفصل الخطاب».

كلمة سبط ابن الجوزي:

جاء في كتابه (تذكرة الخواص) ما نصّه: «كان علي ينطق بكلام قد حُفَّ بالعصمة، ويتكلّم بميزان الحكمة، كلام ألقي الله تعالي عليه المهابة، فكلّ من طرق سمعه راعه فهابه، وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة، والطلاوة والفصاحة، لم يسقط منه كلمة، ولا بارت له حجّة، أعجز الناطقين، وحاز قصب السبق في السابقين، ألفاظ يشرق عليها نور النبوّة و تحيّر الأفهام والألباب».

كلمة الحجّة الشيخ هادي كاشف الغطاء:

جاء في كتابه (مستدرك نهج البلاغة) ما نصّه: «أمّا بعد فإنّ كتاب (نهج البلاغة) من أعظم الكتب الإسلاميّة شأناً، وأرفعها قدراً، وأجمعها محاسن، وأعلاها منازل، نور لمن استضاء به، ونجاة لمن تمسّك بعُراه، وبرهان لمن اعتمده، ولبّ لمن تدبّره، أقواله فصل، وأحكامه عدل، حاجة العالم والمتعلّم، وبُغية الراغب والزاهد، وبُلغة السائس والمسوس، ومُنية المحارب والمسالم، والجنديّ والقائد، وفيه من الكلام في التوحيد والعدل، ومكارم الشيم، ومحاسن الأخلاق، والترغيب والترهيب، والوعظ والتحذير، وحقوق الراعي والرعيّة، وأصول المدنيّة الحقّة، ما ينقع الغلّة ويزيل العلّة، لم تعرف المباحث الكلاميّة إلاّ منه، ولم تكن إلاّ عيالاً عليه، فهو قدوة فطاحلها، وإمام أفاضلها».

كلمة الدكتور زكي نجيب محمود:

تحدّث الكاتب (الزكي) عن نهج البلاغة وأطال، ونقتطف من حديثه هذه الباقة: «لنقف وقفة عند الإمام علي رَضي الله عنهُ لننظر كم اجتمع في هذا الرجل من أدب وحكمة وفروسيّة وسياسة.. عرفت نهج البلاغة في صدر الصبا.. وبقيت منه نغمات في أذني.. وها أنا ذا أعيد القراءة هذه الأيام، فإذا النغمات تزداد في الأذنين حلاوة، وإذا العبارات كأنّها طلاوة إلي طلاوة.. ولست أعني

زُخرف الكلام، بل أعني طريقته في اختيار اللفظ الصلب العنيد الذي لا يقوي علي تشكيله إلاّ إزميل تحرّكه يد المثّال الذي يتخيّر لتماثيله صُمّ الجلاميد، ليبقي عملاً أقوي من الدهر دواماً وخلوداً.. إنّ اللفظ قد نُحت من حجر صوان، وصفّ بعضها إلي بعض صفّاً عجيباً».

وقال: «قلّب معي صفحاته الرائعة الأدبيّة التي تُسمّي بنهج البلاغة، وقل لي: أنّي ينتهي الأديب ليبدأ الفيلسوف؟ وأنّي ينتهي الفيلسوف الأديب ليبدأ الفارس. ثمّ أين ينتهي هذا ليبدأ السياسي؟ إنّه لا فواصل ولا فوارق، ففي هذه المختارات خطب وأحكام وحجاج وشواهد امتزج فيها الأدب بالحكمة، والحكمة بالأريحيّة، وهاتان بالسياسة». إلي أن يقول: «والنصوص يطول بنا نقلها إلي القارئ ما طال نهج البلاغة، فخير للقارئ أن يرجع إليه ليطالع نفساً قد اجتمع فيها ما يصوّر عصرها، من حيث الركون في إدراك حقائق الأمور إلي سلامة السليقة وحضور البديهة وصدق البصيرة، بغير حاجة إلي تحليلات العقل وتعليلاته، وإلي طريق المناطقة في جمع الشواهد و ترتيب النتائج علي المقدّمات». نقلاً عن كتاب (الحسين والقر آن) للشيخ محمد جواد مغنية.

كلمة الأستاذ العلاّمة أحمد أمين الكاظمي:

تحدّث في المجلّد الرابع من كتابه (التكامل في الاسلام) تحت عنوان (ليلة الميلاد) فقال الله رَحمه اللهُ:

«فنهج البلاغة كتاب حوي أصول الفلسفة الحقّة عن الكون والحياة ومصير الإنسان وواقعه، وأصول الاقتصاد حيث لا يضحّي بالفرد علي حساب المجتمع، ولا ـ بالمجتمع علي حساب الفرد، حوي أسس إدارة شؤون البلاد، وما يربط الشعب بالهيئة الحاكمة من حقوق، فهو كتاب فلسفي اجتماعي، عرفاني، اقتصادي، أدبي، وفيه فصل الخطاب في كلّ حقل يحتاجه الانسان في سيره التكاملي».

ص: 48

كلمة الدكتور صبحي الصالح:

تحدّث الدكتور صبحي الصالح في كتابه (ضبط نصّ نهج البلاغة) ص 12 ط بيروت 1967 م فقال: «وإنّ نهج البلاغة ليضمّ ـ إلي جانب الموضوعات السابقة ـ طائفة من خطب الوصف تُبوّئ علياً ذروة لا تُسامي بين عباقرة الوصّافين في القديم والحديث، ذلك أنّ علياً ـ كما تنطق نصوص النهج ـ قد استخدم الوصف في مواطن كثيرة، ولم تكد خطبة من خطبه تخلو من وصف دقيق و تحليل نفّاذ إلي بواطن الامور، صوّر الحياة فأبدع، وشخّص الموت فأجزع، ورسم المشاهد الآخرة لوحات كاملات فأراع وأرهب، ووازن بين طباع الرجال وأخلاق النساء، وقدّم للمنافقين نماذج شاخصة، وللأبرار أنماطاً حيّة، ولم يفلت من ريشته المصوّرة شيطان رجيم يوسوس في صدور الناس، ولا مَلَك رحيم يوحي الخير ويُلهم الرشاد».

وتحدّث في ص 15 بقوله: «وأغراض علي في كتبه ورسائله وعهوده ووصاياه تشبه أغراضه في خطبه شبهاً شديداً، كثرت فيها رسائل التعليم والارشاد، وكتب النقد والتعريض، والعتاب والتقريع، وانضمّت إليها بعض الوثائق السياسيّة والإداريّة والقضائيّة والحربيّة، ورسائله جميعاً مطبوعة بالطابع الخطابي، حتّي ليكاد الباحث يعدّها خطباً تُلقي لا ـ كتباً تدبج، إذ تؤلّف فيها الألفاظ المنتقاة، وتنسّق فيهاالجمل المحكمات، فينبعث من أجزائها كلّها نغم حلو الإيقاع يسمو بنثرها الرشيق فوق مجالات الشعر الرفيع.

وإذا تجاوزنا خطب علي ورسائله إلي المختار من حِكَمه، ألفيناه يرسل من المعاني المعجزة والأجوبة المسكتة ما ينبئ عن غزارة علمه، وصحّة تجربته، وعمق إدراكه لحقائق الأشياء، وحكم علي هذه منها ما جمعه الشريف الرضي تحت عنوان مستقل، نجد فيه مثل قوله: «النّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُواء» «قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ» «احْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ وَ اللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ».

ص: 49

ووصايا علي الاجتماعيّة تتجسّد هاهنا بوضوح من خلال كلماته النوابغ وحِكَمهِ الحسان، فهو يجلو أبصار صحبه و بصائرهم، ويودّ لو يتبعهم كأس الحكمة بعد الصبوح، يحذّرهم من العلم الذي لا ينفع «رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَ عِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ» و «الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ».

والفكرة في خطب علي ورسائله وحكمه عميقة من غير تعقيد، بسيطة من غير إسفاف، مستوفاة من غير إطناب، يلوّنها ترادف الجمل، ويزيّنها تقابل الألفاظ، وينسّقها ضرب من التقسيم المنطقي يجعلها أنفذ في الحسن وألصق بالنفس.

وكان ينبغي لعلي أن تقذف بديهته بتلكم الحكم الخالدة والآراء الثاقبة، بعد أن نهل المعرفة من بيت النبوّة، وتوافرت له ثقافة واسعة وتجربة كاملة وعبقريّة نفّاذة إلي بواطن الأمور.

وتتّسم أفكار علي غالباً بالواقعيّة، إذ كان يستمدّ عناصرها من بيئته الاجتماعية والجغرافية، فأدبه _ من هذه الناحية _ مرآة للعصر الذي عاش فيه، صوّر منه ما قد كان أو ما هو كائن، ولقد يطيب له أحياناً أن يصوّر ما ينبغي أن يكون، فتغدو أفكاره مثاليّة عصيّة علي التحقيق.

وما من ريب في أنّ الكتاب والسنّة قد رفداه بينبوع ثرّ لا يفيض، فتأثّر بأسلوب القرآن التصويريّ لدي صياغة خطبه ورسائله، واقتطف من القرآن والحديث كثيراً من الألفاظ والتراكيب و المعاني.

وأمّا عاطفة علي فثائرة جيّاشة تستمدّ دوافعها من نفسه الغنيّة بالانفعالات، وعقيدته الثابتة علي الحقّ، فما تكلّم إلاّ وبه حاجة إلي الكلام، وما خطب إلاّ ولديه باعث علي الخطابة، وإنّما تتجلّي رهافة حسّه في استعماله الألفاظ الحادّة، وإكثاره من العبارات الإنشائيّة كالقسم والتمنّي والترجّي والأمر والنهي والعجب والاستفهام والإنكار والتوبيخ والتقريع، مصحوبة كلّها بترادف بين الفقرات، وتجانس بين الأسجاع، وحرص واضح علي النغم والإيقاع.

وخيال علي _ فيما يخلعه علي موصوفاته من صور زاهيات _ ينتزع أكثر ما ينتزع من صـميم البيئـة العربية إقليميّة وفكريّة واجتماعيّة، وتمتاز صور علي بالتشخيص والحركة، ولا سيّما حين يتّسع خياله ويمتدّ مجسّماً الأفكار، ملوّناً التعابير، باثّاً الحياة في المفردات والتراكيب».

كلمة شبلي شميل حول نهج البلاغة:

نقلا عن كتاب (ماذا في التاريخ) ج 7 ص 149:

«هل عرفت عقلاً كهذا العقل، وعلماً كهذا العلم، وبلاغة كهذه البلاغة، وشـجاعة كهذه الشـجاعة، تكتمل من الحنان بما لا يعرف حدوداً، حتّي ليبهرك هـذا القـدر من الحنـان، كمـا يبهرك ذلك القـدر من المزايا، تلتقي جميعاً وتتّحـد في رجل من أبناء آدم وحوّاء، فإذا هو العالم المفكّر، الأـديب الإـداري، الحـاكم القائـد الـذي يترك الناس والحكّام وذوي المطامع والجيوش يتآمرون به، ليقبل عليك فيهزّ فيك مشاعر الانسان الـذي له عواطف وأفكار، فيهمس في قلبك هذه النجوي الرائعة بما فيها من حرارة العاطفة الكريمة، قائلاً: «فَقْدُ الْأَحبَّة غُرْبَةٌ» أو «لاَ تَشْمَتْ بِالْمَصَائِبِ» أو «ليكن دنوّك من النـاسِ ليناً ورحمـة» أو «اعفُ عمّن ظلمَكَ ، وأعطِ مَن حرمك، وصِلْ مَن قطعك، ولا تُبغض مَن أبغضك»!

هـل عرفت من الخلق عظيمـاً يلتقي مع المفكّرين بسـموّ فكرهم، ومع الخيّرين بحبّهم العميق للخير، ومع العلمـاء بعِلمهم، ومع الباحثين بتنقيبهم، ومـع ذوي المـودّة بمـودّاتهم، ومـع الزهـاد بزهـدهم، ومع المصـلحين بإصـلاحهم، ومع المتـألّمين بآلاـمهم، ومع المظلومين بمشاعرهم وتمرّدهم، ومع الأدباء بأدبهم، ومع الأبطال ببطولاتهم، ومع الشهداء بشهادتهم، ومع كلّ إنسانيّة بما يشرّفها ويرفع من شأنها، ثم إنّ له في كلّ ذلك فضل القول الناتج عن العمل، والتضحية المتّصلة بالتضحية، والسابقة في الزمان!».

ص: 51

كلمة سليمان كتّاني:

وتحدّث سليمان كتّاني في كتابه «الإمام علي نبراس ومتراس» ص 199 ط 1386 ه مطبعة النعمان في النجف عن نهج البلاغة «...وماذا جاء في (نهج البلاغة) فقال: يدغدغ الشكّ في ما جاء في نهج البلاغة؟ وهل الكتاب كان غير تقويم للرجل الكبير في نهجه الطويل، الذي زرع عليه الانسان قيمة تتبلور بالعقل الصحيح وتسمو بالفضيلة، وجعل الفضائل تنمو وتدور علي محور واحد، هو محور التقوي والإيمان بالله؟

ومتي، وفي أيّة لحظة من لحظات عمره، لم يعبّر عن هذا النهج الصريح؟

أفي إعلانه الرسالة وإيمانه بها، ولقد نذر نفسه للدعوة لها والجهاد في سبيلها، أم في تطبيقها دستوراً كاملاً لكلّ مجاري أفكاره وأقواله وأعماله من حيث كان زهده وتقواه وشجاعته وبطولته؟

فإذا كان الاقحام في (نهج البلاغة) تكويماً لتعابير تحمل مثل هذه المعاني لم يسكبها جَنان المنسوبة إليه ضمن حروف نبتت من شقّ قلمه، فإنّ ذلك لن يغيّر نهج البلاغة بشيء،... لأنّ الكلام المقحم جاء صادقاً في نحت نفسه قالباً لائقاً بالفكر الأصيل، ولأنّ البلاغة في مفهومها الحقيقي ليست مطلقاً في قوّة اللفظ والنحت بقدر ما هي تنزيل لسموّ المعاني في قوالب متينة السبك والحبك، وإنّ هذه الأخيرة تبقي أبداً قوالب جوفاء مالم تستتمّ فيها تلك المفاتن.

و(نهج البلاغة)، سواء كان صقل حروفه علي يد ابن أبي طالب أم كان علي يدي مقحم فنّان، فإنّه يبقي دائماً تعبيراً عميق البلاغة عن نفسيّة رجل واحد سُمّي ب «علي بن أبي طالب».

***

ص: 52

نهج البلاغة في الشعر العربي

قيل فيه شعراً:

نهج البلاغة نهج العلم والعمل *** فاسلكه يا صاح تبلغ غاية الأملِ

كم فيه من حِكَمٍ بالحقّ مُحكمة *** تُحيي القلوب ومن حُكمٍ ومن مَثَلِ

ألفاظه درٌ أغنت بحليتها *** أهل الفضائل عن حلي وعن حُلل

ومن معانيه أنوار الهدي سطعت *** فانجاب عنها ظلام الزيغ والزلل

وكيف لا وهو نهج طاب منهجه *** أهدي إليه أمير المؤمنين علي

وكتب أبو يوسف يعقوب بن أحمد(1) في آخر نسخة من كتاب (نهج البلاغة):

نهج البلاغة نهج مهيع جددُ *** لمن يريد علوّاً ما له أمدُ

يا عادلاً عنه تبغي بالهدي بدلاً *** اعدل إليه فقيه الخير والرشد

والله والله إنّ التار كيه عموا *** عن شافياتِ عظاتٍ كلّها سدد

كأنّها العقد منظوماً جواهرها *** صلّي علي ناظميها ربُّنا الصمد

ما حالهم دونها إن كنتَ تنصفني *** إلاّ العناد وإلاّ البغي والحسد(2)

واقتدي بذلك الأديب عبد الرحمن بن الحسين حين وقع له الفراغ، فقال:

1- أبو يوسف يعقوب بن أحمد النيسابوري المتوفّي سنة 474ه قال عنه الفيروز آبادي إنّه شيخ وقته في النحو واللغة والآداب، كثير التصانيف والتلاميذ.

2- مجلة (تراثنا) العدد 34، ص 68 و 69

نهج البلاغة نهج الذخر والسندُ *** وفيه للمؤمنين الخير والرشدُ

عين الحياة لمن أضحي يؤمّلها *** يا حبّذا معشر في مائها وردوا

ما إن رأت مثلها عينٌ ولا سمعت *** أذنٌ ولا كتبت في العالمين يد

شرّبت روحي حياةً عند كتبتها *** وكان للروح من آثارها مدد

صلّي الإله علي مَن كان منطقه *** روحاً تزايد منه الروح والجسد(1)

وقال آخر:

نهج البلاغة هذا سيّد الكتب *** نهج الرسائل والأحكام والخطبِ

كم فيه من حكمة غرّاء بالغة *** ومن علوم(2) إلهي ومن أدبِ

ومن دواء الذي داءٍ وعافية *** لذي بلاء ومن روح الذي تعب

فيه كلام وليِّ الله حيدر من *** يمينه في عطاء المال كالسُّحب

وصيّ خير عباد الله كلّهمُ *** مختار ربّ البرايا سيّد العرب

عليٌ مرتضي مَن في مودّته *** يُرجي النجاة ليوم الحشر والرعبِ

فمن يعاديه في نار الجحيم هوي *** وعاش ما عاش في ويلٍ وفي حرب

ومن يواليه من صدق الجَنان ففي *** الجِنان له طنب يفوق السبع والشهبِ

قد امتزجت(3) بقلبي حبّه فجري *** في النفس مجري دمي في اللحم والعصب

صلّي عليه إلهُ الخلق خالقنا *** ربّ الوري وعلي أبنائه النُّجب

وزاده في جنان الخلد منزلة *** ورتبةً وعلاً يعلو علي الرتب(4)

وقال علي بن أبي أسعد الطبيب:(5)

1- مجلة تراثنا العدد 34، ص 67.

2- كذا في المتن.

3- كذا في المتن.

4- مجلة (تراثنا)، العدد 34، ص 64 - 65 ولم يُنسب إلي قائله.

5- كان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً، يروي بالإجازة عن السيّد فضل الله الراوندي، وممّن عني بنهج البلاغة قراءة ورواية و تصحيحاً و تعليقاً.

نهج البلاغة مشرع الفصحاءِ *** ومعشعش البلغاءِ والعلماءِ

درج عقود عقولِ أرباب التقي *** في درجه من غير إستثناء

في طيّه كلّ العلوم كأنّه *** الجفر المشار إليه في الأنباء

من كان يسلك نهجه متشمّراً *** أمن العثار وفاز بالعلياء

غررٌ من العلم الإلهيّ انجلت *** منظومة فيها ضياء ذكاء

ويفوح منها عبقةٌ نبويّة *** لا غرو قُدّا من أديم سناء

روض من الحِكَم الأنيقة جاده *** جود من الأنوار لا الأنواء

أنوار علمِ خليفَةِ اللهِ الذي *** هو عصمة الأموات والأحياءِ

مشكاةُ نورِ الله خازنُ علمه *** مختارهُ من سرّة البطحاءِ(1)

وفي كتاب (مصادر نهج البلاغة) تأليف الخطيب السيد عبد الزهراء الحسيني:

قال أبو الحسن علي بن أحمد الفنجكردي:(2)

نهج البلاغة من كلام المرتضي *** جمع الرضي الموسوي السيدِ

بهرَ العقولَ بحسنه وبهائه *** كالدرِّ فصّل نظمه بزبرجدِ

ألفاظه علويّة لكنّها *** علويّة حلّت محلّ الفرقد

فيه لأرباب البلاغة مقنع *** من يعن باستظهاره يستسعد

وتري العيون إليه صوراً إن تلا *** منه كتاباً رائعاً في مشهد

أعجِبْ به كلماته قد ناسبت *** كلمات خير الناس طُرّاً أحمدِ

نِعم المعين علي الخطابة للفتي *** و به إلي طُرق الكتابة يهتدي(3)

1- مجلة (تراثنا)، العدد 34، ص63 و 64.

2- شيخ الأفضال أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الفنجكردي النيشابوري المتوفيّ سنة 513ه كان ملقّباً بشيخ الأفاضل، كان أعجوبة

زمانه و آية أقرانه.

3- الغدير 4: 319.

وفي المجلّد الثاني من كتابنا (نزهة الخاطر):

وللسيد الإمام عزّ الدين سيد الأئمة المرتضي بن الإمام العلاّمة ضياء الدين علم الهدي قدّس الله روحيهما:

نهج البلاغة نهجه لذوي البلاغة واضحُ

وكلامه لكلام أرباب الفصاحة فاضح

العلم فيه زاخر والفضل فيه راجح

وغوامض التوحيد فيه جميعها لك لائح

ووعيده مع وعده للناس طرّاً ناصح

تحظي به هذي البريّة صالح أو طالح

لا كالعريب ومالها فالمال غادٍ رائح

هيهات لا يعلو علي مرقي ذراه مادح

إن الرضي الموسوي لمائه هو مائح

لاقت به وبجمعه عدد القطار مدائحُ(1)

وقال آخر:

نهج البلاغة يهدي السالكين إلي *** مواطن الحق من قول ومن عملِ

فاسلكه تُهدي إلي دار السلام غداً *** وتحضَ فيها بما ترجوه من أمل(2)

وجاء في شرح القصيدة العينيّة لعبد الباقي العمري، قال بعضهم:

ألا إنّ هذا النهج نهج بلاغة *** لمنتهج العرفان مسلكه جلي

علي قممٍ من آل صخر ترفّعت *** كجلمود صخرٍ حطّه السيلُ من عَلِ(3)

1- نزهة الخواطر (مخطوط).

2- مجلة (تراثنا)، العدد 34، ص 82.

3- مجلة (تراثنا) العدد 34، ص 82.

وقال آخر:

كتاب كأنّ الله رصّع لفظه *** بجوهر آيات الكتاب المنزل

حوي حِكماً كالدّرِ تنطق صادقاً *** فلا فرق إلاّ أنّه غير مُنزَلِ(1)

وقال عبد الباقي العمري في عينيته:

نهج البلاغة نهج عنك بلّغنا *** رشداً به اجتثّ عِرق الغيّ فانقمعا

به دفعت لأهل البغي أدمغة *** النخوة الجهل قد كانت أشَرّ وعا

كم مصقع من خطاب قد صقعت به *** فوق المنابر صقع الغدر فانصقعا

ما فرّق اللهُ شيئاً في خليقته *** من الفضائل إلاّ عندك اجتمعا

وقال آخر:

انظر إلي نهج البلاغة هل تري *** الأولي الفصاحة منه أبلغ منطقا

وقال آخر:

هذا الكتاب كتاب الله أنزله *** علي لسان عليٍّ أفصح العربِ

أخو الكتاب الذي جاء النبيّ به *** كلاهما من نبيٍّ أو وصيٍّ نبي

وقال آخر:

نهج البلاغة منهج البُلغاء *** وملاذ ذي حصر وذي إعياءِ

فيه معانٍ في قوالبَ أحكمت *** لهدايةٍ كالنجم في الظلماء

وتضمّن الكلمات في إيجازها *** بذواتها بجوامع العلياء

صلّي الإله علي النبيّ محمّد *** وعلي عليٍّ ذي علاً وإخاء(2)

وقال قطب الدين تاج الاسلام محمد بن الحسين بن الحسن الكيدري:

1- مجلة (تراثنا) العدد 34، ص 85.

2- مجلة (تراثنا) العدد 34، ص 64 ولم ينسبه.

نهج البلاغة نهج كلّ مسدّد *** نهج المرام لكلّ قوم أمجدِ

يا من يبيت وهمّه درك العُلي *** فاسلكه تحظَ بما تروم وتقصدِ

ينبوع مجموع العلوم رمي به *** نحو الأنام ليقتفيه المهتدي

فيه الطلاّب النهاية مقنع *** فليلزمنه الناظر المسترشدِ

صلّي الإله علي منظّمه الذي *** فاق الوري بكماله والمحتدِ(1)

وقال الحسن بن يعقوب بن أحمد:

نهج البلاغة درجٌ ضمنه درر *** نهج البلاغة روض جاده درر

نهج البلاغة وشيٌ حاكه صبغ *** من دون موشية الديباج والحبر

أو جونة مُلئت عطراً إذا فتحت *** خيشومنا فغمت ريح لها ذفر

صدّقتكم سادتي والصدق من خُلقي *** وإنّه خصلة ما عابها بشر

صلّي الإله علي بحر غواربه *** رمت به نحونا ما لألأ القمر(2)

وقال العلاّمة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي:

وبنور نهجك وهو منبع حكمةٍ *** متدفّق أوضحت أيّ مشاكلِ

أوردتنا فيه نميراً صافياً *** ينمي لخير موارد ومناهل

أحكمته بقواعد حكميّة *** كفلت بيان أصول كلّ مسائل

تقف العقول أمامه مسحورةً *** ببيانه وبنسقه المتواصل

أنت المحيط معارفاً لكنّما *** لم تحوِ غيرَ جواهر وفضائل

1- مجلة (تراثنا) العدد 34، ص 72 - 73.

2- مجلة (تراثنا) العدد 34، ص 74 - 75 قال علي بن زيد البيهقي فريد خراسان، المتوفيّ سنة 565ه في شرحه علي نهج البلاغة: وأنشدني الإمام الحسن بن يعقوب لنفسه مقتدياً بوالده، ثمّ ذكر الشعر. والحسن بن يعقوب بن أحمد بن محمد النيشابوري هو من أعلام الأدب في القرن السادس.

وللشيخ محمد علي صنعان النجفي:

فاح النسيم فباح بالأسرار *** سَحَراً فأيقظ راقد الأزهار

وأتي يخبّر عن كتاب ناظم *** سلكاً فيعقد للنثار دراري

نهج البلاغة روضة ممطورة *** بالنور من سُبحات وجه الباري

أو حكمة قدسيّة جليت بها *** مرآة ذات الله للنظّار

خطب روت ألفاظها عن لؤلؤ *** عن مائه بحر المعارف جاري

وتنسّمت كلماتها عن جنّة *** حُفّت من التوحيد بالنوّار

فكأنّما عين اليقين تفجّرت *** من فوق عرش الله بالأنهار

حِكم كأمثال النجوم تلألأت *** من ضوء ما ضمنت من الأسرار

كشف الغطاء بيانها فكأنها *** للسامعين بصائر الأبصار

وتري من الكلم القصار جوامعاً *** تُغنيك عن سفرٍ من الأسفار(1)

***

1- نشرت مجلّة «تراثنا»، العدد 34، ط الأولي، سنة 1414ه مقالةً مفصّلة للسيّد المحقّق عبد العزيز الطباطبائي قدس سرّه تحت عنوان «ما قيل في نهج البلاغة من نظم ونثره»، استوعبت كثيراً من الأشعار الموجودة في المخطوطات والمدوّنة علي ظهور المخطوطات المختلفة لنهج البلاغة، فراجع.

علي ونهج البلاغة فيما ذهب إليه بعض المرجفين

لم يكن من القصد عرض هذا الموضوع، حيث أنّ العلماء وعباقرة الأدب أسـهبوا فيه وأحاطوا به من جميع نوافذه، لولا إشارة ولدي الفاضل السـيد صدر الدين حفظه الله، فقد أشار عليَّ أن أخوض فيه ـ ولو في سـطور قصيرة لأنّ المجال يستدعيه، فاستصوبت رأيه، واكتفيت بكلمة الدكتور مهدي محبوبة، فإنّه أعطاه ما يستحقّه، وألمّ به من جميع أطرافه.

قال (سلّمه الله) في كتابه (ملامح من عبقرية الإمام) تحت عنوان (علي ونهج البلاغة فيما ذهب إليه بعض المرجفين):

«التراث الفكري زاخر بـالمواهب، عبق بالانتاج، واسع بالمـدركات، متمثّل بالعبقريات،ماثل بالنقل والروايـة، لكلّ تراث منتـج يتميّز ذلك الانتاج به، والأخصّ في مجال الأدب والسياسة، فلا يصحّ السند إذا لـم يستوفِ الأثر دلائله وبراهينه الكامنة فيه والمنطلقة منه.

وإنّ لكلّ أديب نفحته الأدبية التي تعبق بمعتقداته وآرائه ومُثله وسياسته ووجهة تفكيره.

ثمّ إنّ للزمن أثره وللمحيط فعله في كلّ نتاج أدبي، فالأدب آخذ من بيئته لا محالة.

ولو أردنا اسـتقصاء نهـج البلاغة وإطالة النظر فيه لرأيناه قد اسـتوفي حُججه واسـتكمل براهينه الكائنة فيه، لأنّه يحمل الروح العلوية في كلّ سطر

منه وبكلّ تعبير فيه، ويعطي الدلالة السياسية والاقتصادية والعقائدية والأدبية للإمام، ويمثّل روح عصره بما تمخّض عن أحداث جسام.

ولم يكن الشريف الرضي ممّن عركتهم الظروف غير المواتية، وادلهمّت بهم الأوضاع،لأنّه كان والحكم في وئام، ومع الأحداث في سلامة. ولم يكن الشريف قد ارتفعت به الأمّة الإسلامية حتّي كان قطب رحاها، ومنطلق وجودها وعُلاها، ومَعين إسلامها ومعتقدها، وإن كان علي جانب كبير من المعرفة والمنزلة الاجتماعية.

لم تُلجئه الظروف للمقارعة باللسان والقلم، ولم يوليه وقته الخلافة أو القيادة، وإنّ نفحة نهج البلاغة علي غير ما هو فيه، فهي نفحة الثائر في أشدّ ظروف الثورة.

ومَن دَرَس سيرة الرضي وأدرك حقيقته عرف أنّه علي جانب كبير من الصلاح والتقوي ممّا هو بعيد عن الكذب والانتحال والتقوّل.

ذهب بعض المؤرّخين إلي أنّ قسماً من النهج قد سطره يراع الرضيّ، وذهب بعض إلي أنّه من وضع الرضي، وكانت لهم حُججهم سأوردها جميعاً وسأذهب إلي تفنيدها.

ومن أهمّ الحُجج التي تذرّع بها هؤلاء ما ورد في النهج من تقريعٍ وتأنيب لبعض من واكب الإسلام في إبّان ظهوره، كمعاوية وطلحة والزبير وأضرابهم، وورد فيه بعض العتاب لبعض كبار الصحابة، مع علم هؤلاء المؤرّخين بأنّ ما يورده الإمام فهو حجّة قاطعة وإدانة واردة، وإلاّ فلا مبرّر لحديثهم.

ولست أطيل الردّ علي هذه الفقرة، فإنّ ما ورد لهو صدي لتلك الحروب الطاحنة للجمل وصفّين والنهروان، وهذا لا غبار عليه، وإنّ ما أورده الإمام القليل إذا قيس بالدماء التي أريقت والنفوس التي انتُهكت، والثائر علي خليفة زمانه كافر، فإذا أردنا أن نُبعد قول الإمام فيهم فليس باستطاعة أحد أن يُبعد التاريخ الحافل بتلك الأحداث.

ولم يتعرّض للخلفاء الراشدين إلاّ تلميحاً وعتاباً، وهو الصدي القائم ليوم السقيفة، وكان ذلك في خطبته الشقشقيّة.

ولو أردنا الاسترسال فيما يحمله الإمام من اعتقاد جازم في حقّه بالخلافة وسبقه إليها، لأدركنا أنّه لم يرد في النهج ما يُسيء، ولم يقل الإمام مقول عثمان في عمر كما أورده الدكتور طه حسين في كتابه عثمان «لقد وطنكم ابنُ الخطّاب برجله، وضربكم بيده، وقبعكم بلسانه، فخفتموه ورضيتم منه بما لا ترضوه مني، لأنّي كففت عنكم يدي ولساني». ولم يرد في الخطبة الشقشقيّة إلاّ ما أثبته التاريخ.

وأمّا تعرّضه بعثمان فهو تعرّض الناصح المؤمن بأداء رسالته علي أكمل وجه، وقد وافانا التاريخ بما وصل إليه الحال في عهده، وللإمام كامل الحقّ أن يدافع عن حظيرة الإسلام ومبادئه.

«كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته».(1)

ونحن لانعدم الخلاف ولا نذكره إلاّ لنبسط التاريخ واضحاً صحيحاً ليكون لنا عبرة لجمع الشمل وإبعاد الخلاف، وعلينا أن نعتزّ بمن هو أفضل، وكلّهم عرب إسلام منّا وإلينا، فعلينا أن لا نعدم الحقّ والوجدان.

وإنّ كلّ ما أورده النهج الدليل علي النفحة العلويّة وعلي ملامسته للأحداث.

وقد ذكر بعض الناقدين في النهج من التنميق الأدبي في السجع وتزويق اللفظ ممّا لم يعهده العصر الإسلامي الأول. وفيه من دقّة الوصف والاحاطة بالقصد، كوصفه للطاووس والنملة والجرادة ممّا يخرج عن دائرة ذلك العهد وأدب ذلك الزمن، وفيه من الحكمة والمنطق وبأساليب بيانية لم تُعرف قبل عهد الترجمة، وقبل تعريب مآثر اليونان والرومان والفرس والهنود.

1- عوالي الثالي 1: 29 / ح 3؛ بحار الأنوار 72: 38.

أمّا موضع التنمية الأدبي والسـجع فلم يكن وارداً في نهج البلاغة إلاّ عرضاً وحسـبما تقتضيه الأصول البلاغيّة، وأقلّ ممّا ورد في القرآن، كما ورد في سورة الرحمن وسور أخري كثيرة.

وأمّا ما فيه من دقّة في الوصف والإحاطة في القصد، فإنّي أذكر قول معاوية لمجفن عندما قال له: أتيتُك من أعيا الناس.

أجابه معاوية: ويلك فإنّه ما سنّ الفصاحة لقريش غيره.(1)

وبالطبع إنّ لربّ الفصاحة والبلاغة أسـلوبه الخاص وسحره الممتنع، وإعجازه الفريد، واستقلاله بوضع أسس بلاغيّة أدبيّة لم يعهدها عصره، وهذه من أوّليّات ما يلزم أن يؤمن بها الباحث، وإلاّ فعلام أجمع المؤرخون قاطبة علي سموّه الأدبي البلاغي الفريد ممّا لم يُعهد لسواه. وقد ذهب كثير من المؤرّخين و كتّاب السـير إلي ذكر كلام الإمام، فوضعوه كأرفع كلام عربي بعد القرآن والحديث، وقد ورد ذلك قبل أن يُخلق الشريف الرضي.

وإنّي أقول: فكما أنّ للقرآن مميّزاته وحـدوده التي لا يمكن أن يصل إليها كلام، فللنهـج كذلك مميّزاته وحدوده التي اختصّ بها، فلا يمكن أن يصل إلي شأوها كلام.

ولم يكن للإمام إلاّ ما أورده الشـريف الرضي في النهج فحسب، وإنّما ورد كثير مما لم يرد في النهج ولا يقلّ روعة وأسلوباً عنه. وإنّ معظم ما ورد في النهج لهو معروف قبل الشـريف الرضـي حسبما وصل إليه المحقّقون. وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب، وهو قبل الشريف الرضيّ: «أنّ الناس حفظوا عن الإمام علي أربعماءة ونيّف وثمانين خطبة، يوردها علي البديهة».

ولم يتناقلها الناس ويولوها حفظهم إلاّ لسموّها ورفيع أدبها، وليس

1- بحار الأنوار 41: 146؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1: 25.

للمؤرّخ أن يسجّل إلاّ ما وصل إليه وقد يتعدّاه الكثير، وإنّ زمن المسعودي ليس ببعيد عن زمن الإمام، وذلك ممّا يجعل الثقة واردة في روايته.

وإنّ أبرز ما في النهج ممّا سوّلت نفوس بعض الحاقدين عدم نسبته إليه هو عهده المشهور لمالك الأشتر عندما ولاّه مصر، والذي تسيخ العقول أن تأتي بمثله، حيث وضع به معالم الحكم علي ممرّ العهود ممّا لا ترتضيه الحكومات المتعاقبة ذات النزعة الفرديّة، وبالأخصّ من بني أميّة وبني العبّاس، وهذا العهد قد رواه بعض الثقاة قبل الشريف الرضي، ومنهم صاحب كتاب (تحف العقول) المتوفّي في سنة 332.(1)

ولو فرضنا أنّنا لم نصل لهذا العهد إلاّ عن رواية الشريف الرضي، فهل يصحّ لنا نسبته إليه، وهو الذي لم تتجسّم أمامه تلك الأحداث والانقلابات الرائعة في صدر الإسلام، ولم يهضم الحكم ويمسّه، ويندفع إلي قراره، ويدر كه كإدراك الامام؟

وهل أوثر عن الشريف ما يُماشي ذلك أو يقاربه؟

وهل يصحّ نسبة الخبر الناقله مع إقراره علي نقله وإفصاحه علي جمعه، مع العلم أنّه لم تكن تلك النزعة الشعبيّة والنظرة إلي الحريّة في الحكم بباقية الي عهد الشريف الرضي، والتي طمستها عهود أميّة وبني العباس، حتّي أصبحت الخلافة ملكاً مطلقاً استبداديّاً فرديّاً، وأنّ تلك النفحة التحررية العلوية قد رسمتها طبيعة الصحراء وحياة العرب، وقوّمتها ووضعت لها السنن والقوانين الثورية الإسلامية، وتبنّاها الإمام علي لما له من العروبة والإسلام، ولكنّها تلاشت علي ممرّ عصور الحكم الفرديّ وممارسة الضغط والإرهاب

1- وهو الشيخ الثقة الجليل أبو محمد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني، من أعلام القرن الرابع، كان معاصراً للشيخ الصدوق، ويروي عن أبي علي محمّد بن همام المتوفّي سنة 336ه

وأخذ الناس بالبطش، حتّي أصبح الفرد العربي والفرد المسلم دُمية لاحول له ولا قوة إلاّ ما يفرضه الخليفة وعائلته وبِطانته.

ولا ـ يخلو عن البال أنّ ما يمكن الرضي من الحفاظ عليه من تراث الإمام لا ـ يتأتّي لسواه، لأنّه سليل العترة العلوية، وأبرز وارث لها ولمأثورها، وبالأخصّ بما برزت به العهود السابقة له من طمس لمعالم الإمام والأخذ بأقصي العقوبة علي من يذكر فضائله أو يروي خبره أو يُعرف بولائه له، وهذا ممّا يدع ما يصل إليه لا يصل إلي غيره، بل قد يمتنع وصوله إلي غيره.

وأمّا ما أوثر عن انطباع بعض حكم الإمام وآرائه بما أوثر عن الإغريق والفرس فقد لا يتعدّي التوارد في الآراء، وليست الآراء بوقف علي أمّة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ عهد الترجمة الفكرية وصل العرب منذ العهد الإسلامي بالفتح والاختلاط، وقد تكون له جذوره من العهد الجاهلي لاتّصال العرب بفارس والشام، وأمّا الترجمة المنسّقة المسجّلة المبنيّة علي تحديد النقل فقد وصلت متأخّرة عن العهد الإسلاميّ الأوّل، حيث ابتدأت بصورة مبسّطة في العصر الأموي والعصر العبّاسي الأوّل، ونشطت علي عهد المأمون.

وبما يمتاز الإمام به من حدّة في الذكاء، ومن نظر ثاقب بعيد المدي، ومن قوّة في الإدراك والتعبير، فقد استوعب من مخالطته الفرس والروم وسواهم لتواردهم علي دار الخلافة والإسلام، وهذا وارد فلا ردَّ عليه.

ثمّ إنّ الإمام عاصر فتح الشام وفارس وبقي بعد ذلك بزمن طويل، ممّا تصحّ الترجمة الفكرية الشفهيّة بإسلام كثير من الأجانب ممّن أدرك الثقافة الإغريقية الرومانية والفارسية والهندية، وكثير منهم طبعها بلغته الجديدة، لغة القرآن والسنّة وهي العربية.

ولنضرب علي ذلك مثلاً واحداً: ذكر ابن شهر آشوب أنّ أوّل من صنّف في الإسلام علي بن أبي طالب، ثمّ سلمان الفارسي الذي أشار بحفر

الخنـدق، فيسـتدل أنّ سـلمانَ كان علي مسـتوي كبير من العقل والإدراك، وكان من حواريّي الإمام ممّا تصـحّ ترجمته الفكرية، ودليل علي ذلك إشارته بحفر الخندق وهي خطّة عسـكرية فارسـيّة لم يعهدها العرب، فهو وأضـرابه قد حمل للأمّة العربية كثيراً من معالم بلده وأوطانه ومجتمعه الأوّل.

ثم إنّ حكميّات الإمام وآراءه لم تكن منوطـة بالنهـج ومائلـة بين دفتيه فحسب، بل إنّ ما جمعه الأوائل والأواخر لكثير، وأكثره ممّا لم يذكره الشريف الرضي.

فقد جمع الشيخ عبد الواحد التميمي كتاباً من حكم الإمام القصيرة يقارب نهج البلاغة، سمّاه (غُرر الحكم و دُرر الكلم).

وقد افتخر الجاحظ _ وهو من أكبر العلماء العرب ومن العهد الاسلامي الأوّل بأنّه جمع مائة كلمة لأمير المؤمنين.

وقد جمع القاضي القضاعي من كلام الإمام سمّاه (دستور معالم الحكم).

وجمع الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان كتاباً من حكم الإمام سمّاه (نثر اللآلي).

وقد ذكر المفيد _ وهو أستاذ الشريف الرضي _ في كتابه (الإرشاد) كثيراً من كلام وخطب الإمام.

وجمع نصر بن مزاحم خطب الإمام في صفّين و كُتبه إلي معاوية في كتاب (صفّين).

وجمع إسحاق الأنصاري كتاباً من كلام الإمام سمّاه (مطلوب كلّ طالب).

وجمع القاضي الإمام أبو يوسف كتاباً من كلام الإمام سمّاه (قلائد الحكم وفرائد الكلم).

وألحق ابن أبي الحديد في تفسيره للنهج ألف كلمة علي مستوي النهج بلاغة وفصاحة وحكمة ممّا لم تكن فيه.

وهكذا لو أردنا الاسترسال لطال بنا البحث ممّا نحن لسنا بصدده، وإنّما هي عجالة نريد بها إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

ولست ممّن يؤمن بتحريف التاريخ تبع الهوي، ولست ممّن يؤمن بالاسترسال بزيفه، فإنّ الواقع لا بدّ أن يظهر من خلال البحث والتدقيق.

وإنّ أوّل واضع للشك هو قاضي القضاة شمس الدين الإربلي صاحب (وفيات الأعيان) المولود في إربل سنة 608 والمتوفّي بدمشق سنة 681 من الهجرة، وإنّ من تبعه لفّ لفّه وأخذ منه، وهم عدد يسير.

وكلّ ما أورده المرجفون لا يتعدّي الحجج الواردة الذكر، والتي لم تثبت أمام الإجماع والتواتر وسند النقل، والبراهين الماديّة الثابتة.

ولا ـ أخالني بعيداً عن الصواب إذا قلت: إنّ الذي حدا بذلك القاضي علي الشكّ هو أنّ كلام الإمام يتناقله الناس متفرّقاً ومجزءاً ممّا لم يستوعب أثره، ولما جمع الرضي كثيراً منه ضمن سفر جليل عظيم الأثر التمسه الناس وشاع فأصبح النقد وارداً.

ولربّما يكون وضع الشكّ وارداً لإقرار الشكّ في نسبة النهج للإمام، إذ ما يرد عن الإمام يلتزم به الإسلام، وإنّ النهج يحدّد مفهوم السلطة تحديداً دقيق، ويشيع الحقوق العامة، ويبعث الحرية والعدالة الاجتماعية ممّا لا يرتضيه الخلفاء والولاة، ولا يستسيغه قضاتهم، فإذا بطلت النسبة للإمام أو بعض منه ممّا رآه ذلك القاضي فقد ابتعدت مفاهيمه عن الجماهير.

***

ص: 68

مختارات من خطب وكتب الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وشرحها من كتاب له عليه السلام إلي الحارث الهمداني:

يوصيه بالتمسك بالقرآن وذكر الموت ونصائح أخري عظيمة

«وَ تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اَلْقُرْآنِ وَ اِنْتَصِحْهُ اِسْتَنْصِحْهُ وَ أَحِلَّ حَلاَلَهُ وَ حَرِّمْ حَرَامَهُ وَ صَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ اَلْحَقِّ وَ اِعْتَبِرْ بِمَا مَضَي مِنَ اَلدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً وَ آخِرَهَا لاَحِقٌ بِأَوَّلِهَا وَ كُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ وَ عَظِّمِ اِسْمَ اَللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلاَّ عَلَي حَقٍّ وَ أَكْثِرْ ذِكْرَ اَلْمَوْتِ وَ مَا بَعْدَ اَلْمَوْتِ وَ لاَ تَتَمَنَّ اَلْمَوْتَ إِلاَّ بِشَرْطٍ وَثِيقٍ وَ اِحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَ يَكْرَهُهُ يُكْرَهُ لِعَامَّةِ اَلْمُسْلِمِينَ وَ اِحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي اَلسِّرِّ وَ يُسْتَحَي مِنْهُ فِي اَلْعَلاَنِيَةِ وَ اِحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ وَ اِعْتَذَرَ مِنْهُ وَ لاَ تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ اَلْقَوْمِ اَلْقَوْلِ وَ لاَ تُحَدِّثِ اَلنَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ فَكَفَي بِذَلِكَ كَذِباً وَ لاَ تَرُدَّ عَلَي اَلنَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَي بِذَلِكَ جَهْلاً وَ اِكْظِمِ اَلْغَيْظَ وَ أُحْلُمْ عِنْدَ اَلْغَضَبِ وَ تَجَاوَزْ عِنْدَ اَلْمَقْدِرَةِ تَجَاوَزْ عِنْدَ اَلْمَقْدِرَةِ وَ أُحْلُمْ عِنْدَ اَلْغَضَبِ وَ اِصْفَحْ مَعَ اَلدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ اَلْعَاقِبَةُ وَ اِسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اَللَّهُ عَلَيْكَ وَ لاَ تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اَللَّهِ عِنْدَكَ وَ لْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اَللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ وَ اِعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ اَلْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَ أَهْلِهِ وَ مَالِهِ وَ إِنَّكَ فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ وَ مَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ وَ اِحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ(1) رَأْيُهُ وَ يُنْكَرُ عَمَلُهُ فَإِنَّ اَلصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ ».(شرح النهج لابن أبي الحديد مج 4، ص 226، ط 1).

***

1- يفيل: يضعف. وفي لفظ بحار الأنوار (71: 199) يقبل رأيه.

الحارث بن عبد الله الهمداني رضوان الله عليه صاحب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، كان أحد الفقهاء، له قول في الفتيا، وإليه يُنسب الخطاب الذي خاطبه به أمير المؤمنين صلوات الله عليه في قوله:

يا حار همدان من يَمُت يرني *** من مؤمنٍ أو منافق قبلا

وهي أبيات مشهورة.

دخول الحارث الهمداني علي أميرالمؤمنين عليه السلام :

حدّث الأصبغ بن نباتة، قال: دخل الحارث الهمداني علي أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه في نفر من الشيعة وكنت فيهم، فجعل الحارث يتأوّد في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه، وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين صلوات الله عليه وكانت له منه منزلة، فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر يا أمير المؤمنين منّي، وزادني أواراً وغليلاً اختصامُ أصحابك ببابك، قال: وفيمَ خصومتهم؟ قال: فيك وفي الثلاثة من قبلك، فمن مُفرط منهم غالٍ، ومقتصد قالٍ، ومن متردّد مرتاب لا يدري أيُقدم أم يحجم، فقال:حسبك يا أخا همدان، ألا إنّ خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي.

إلي أن قال: وأبشّرك يا حارث، لتعرفنّي عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة، قال الحارث: وما المقاسمة؟ قال: مقاسمة النار، أقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليّي فاتركيه، وهذا عدوّي فخذيه، ثمّ أخذ صلوات الله عليه بيد الحارث فقال: يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلي الله عليه وآله بيدي فقال لي: ـ وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي ـ إنّه إذا كان يوم القيامة أخذتُ بحبل الله وبحُجزته ـ يعني التمسّك بعصمته تعالي ـ وأخذت أنت يا علي بحجزتي، وأخذت ذريّتك بحجزتك، وأخذت شيعتكم بحجزتكم، فماذا يصنع الله بنبيّه، وما بصنع نبيّه بوصيه؟ خُذها إليك با

حارث قصيرةً من طويلة:(1) أنت مع من أحببت، ولـك مـا اكتسـبت _ يقولها ثلاثاً _ فقام الحارث يجرّ رداءه ويقول: ما أبالي بعـدها متي لقيتُ الموت أو القيني».

وأنشد الحميري ما تضمّنه هذا الخبر:

قولُ عليٍّ الحارثٍ عجب *** كم ثمّ أعجوبة له حملا

يا حار همدان من يَمُت يرني *** من مؤمنٍ أو منافق قبلا

يعرفني طرفُه وأعرفه *** بنعته واسمه وما عملا

وأنت عند الصراط تعرفني *** فلا تَخَف عثرةً ولا زللا

أسقيك من بارد علي ظمإٍ *** تخاله في الحلاوة العسلا

أقول للنار حين تُوقف للعرض *** دعيه لا تقربي الرَّجُلا

دعيه لا تقربيه إنّ له *** حبلاً بحبل الوصيّ متّصلا(2)

نعود إلي أصل الكتاب فنقول:

ظاهر حال المكتوب والكتاب أن يكون من غائب إلي غائب لبيان المآرب، وقـد يصدر الكتاب من الأعاظم والأنبياء والأولياء إلي أخصّائهم ليكون مثالاً للارشاد، ومنشوراً للتعليم، واستفادة للعموم وهدايتهم إلي طريق الرشاد، فالمخاطب به خاصّ، والمقصود منه عام.

ومن هذا القبيل رسائل أصـحاب عيسـي إلي خواصّهم وحواريهم، المعدودة من المآخذ والمصادر الدينيّة عند المسيحيين، والمضمونة في العهد الجديد من الكتاب المقدّس عند أتباع الأناجيل.

وهذا الكتاب الذي صدر منه صلوات الله عليه إلي الحارث الهمداني

1- القصيرة هي التمرة، والطويلة هي النخلة، وهذا مثل عربيّ.
2- أمالي الطوسي: 625 - 627/ ح 1292؛ بحار الأنوار : 178 - 180/ح6.

من هـذا القبيل، فإنّه مثال للهداية والإرشاد لكافّة العباد، وفيه دلالة علي علوّ مقام الحارث وحظوته بموقف عالٍ عند أمير المؤمنين صـلوات الله عليه، حيث خصّه بهـذا المنشور الإرشادي الغزير المادّة والعميق المغزي بالنظر إلي التعاليم العاليـة الأخلاقية، كمثل أعلي في طريق التزكية النفسانية، وافٍ في المرام الجميع الأنام.

وقد انتخب السيد الرضي منه قطعة صالحة لما يرمي إليه في نهجه من المقاصد الأدبية.

قال ابن ميثم: هذا الفصل من كتاب طويل إليه، وقد أمره فيه بأوامره،وزجره بزواجره، مدارها علي تعليم مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

وقد جمع صلوات الله عليه في هذا الكتاب كلّ ما يلزم للمسلم الإلهي في الرابطة بينه وبين الله تعالي من التمسّك بالقرآن وملازمة أحكامه من الحلاـل والحرام، وفي المواجهـة مع الـدنيا والاعتبـار عن فنائها، وعـدم الركون إليها، والاتّعاظ بما سـلف منها، وفي التوجّه إلي الموت والتهيّؤ لما بعده، بادّخار الأعمال الصالحة، والاجتناب عن الأعمال المهلكة.

ثمّ نظم صـلوات الله عليه وصايـا اجتماعيّـة في الروابـط بين المسـلم وسـائر إخوانه وأبنـاء نوعه، وحـذّر عن الاستئثـار بما يكره سائر الناس ويضـرّهم، وعن النفـاق، وأمر بصـيانة العرض وحفـظ اللسـان عن الكـذب بـأعّم معانيه، إلي أن بلغ في الوصايـة بالتضـحية في سبيل الله، والاجتناب عن معاشرة الفسّاق وضعفاء الرأي، إلي آخر ما أفاده صلوات الله عليه في هذا الكتاب.

ولعمري فقـد كـان الإمام علي صـلوات الله عليه دائب النصـح والارشاد والـدعوة إلي الخير، ليكون أصـحابه وأتباعه علي مسـتوي رفيع في الأخلاق الانسانية والآداب العالية، وما يتحلّي به المرء من النبل والمكارم.

ص: 72

حديث علي عليه السلام مع نوف البكالي:

فمن ذلك قوله صلوات الله عليه لنوف البكالي:

قال نوف: أتيت أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو في رحبة مسجد الكوفة، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام يا نوف ورحمة الله وبركاته، فقلت له: يا أمير المؤمنين عِظني.

فقال: يا نوف أحسِنْ يُحسَن إليك.

فقلت: زِدني يا أمير المؤمنين.

فقال: يا نوف ارْحَم تُرحَم.

فقلت: زدني يا أمير المؤمنين.

قال: يا نوف قُل خيراً تُذكر بخير.

فقلت: زدني يا أمير المؤمنين.

قال: اجتنب الغيبة فإنّها أدام كلاب النار.

ثمّ قال: يانوف كذب مَن زعم أنّه وُلد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة، و كذب من زعم أنّه وُلد من حلال وهو يُبغضني ويبغض الأئمّة من ولدي، وكذب من زعم أنّه وُلد من حلال وهو يحبّ الزنا، و كذب مَن زعم أنّه يعرف الله وهو مُجترء علي معاصي الله كلّ يوم وليلة.

يانوف إقبل وصيتي، لا تكوننّ نقيباً ولا عريفاً ولا عشّاراً ولا بريداً. يا نوف، صِل رحمك يزيد الله في عمرك، وحسّن خلقك يُخفّف الله حسابك، يا نوف إن سرّك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظالمين معيناً. يانوف من أحبّنا كان معنا يوم القيامة، ولو أنّ رجلاً أحبّ حجراً لحشره الله معه. يانوف إيّاك أن تتزيّن للناس وتبارز الله بالمعاصي فيفضحك الله يوم تلقاه. يانوف احفظ عني ما أقول لك تنل به خير الدنيا والآخرة».(1)

1- أمالي الصدوق 277 - 287/ ج308؛ بحار الانوار 74: 382 - 383، ج 9.

موعظة الإمام الجواد عليه السلام لعبد العظيم الحسني:

وجاء عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام: يابن رسول الله حدّثني بحديث عن أبائك عليهم السلام، فقال حدّثني أبي عن جدّي، عن أبائه، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فإذا استووا هلكوا، قال: قلت: زدني بابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدي عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «لو تكاشفتم ما تدافنتم». قال: قلت: زدني يا ابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء، فإنّي سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم. فسعوهم بأخلاقكم». قال: قلت له: زدني يا بن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «من عتب علي الزمان طالت معتبته». قال: فقلت له: زدني يابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «مجالسة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار». قال: فقلت له: زدني يابن رسول الله، قال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: «بئس الزاد إلي المعاد العدوان علي العباد». قال: فقلت له: زدني يـاابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «قيمة كلّ امرئٍ ما يُحسنه». قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «المرء مخبوء تحت لسانه». قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، قال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير

المؤمنين صلوات الله عليه: «ما هلك امرؤٌ عرف قدره». قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم». قال: فقلت له: زدني يابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «من وثق بالزمان صرع». قال: فقلت له: زدني يابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «خاطر بنفسه مَن استغني برأيه». قال: فقلت له: زدني يابن رسول الله، قال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «قلّة العيال أحد اليسارَين». قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «من دخله العجب هلك». قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «من أيقن بالخلف جاد بالعطيّة». قال: فقلت له: زدني يابن رسول الله، فقال: حدّثني أبي عن جدّي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «من رضي بالعافية ممّن دونه رُزق السلامة ممن فوقه». قال: فقلت له: «حسبي».(1)

موعظة الإمام علي عليه السلام للحسن البصري:

وفي أمالي الشيخ المفيد: عن الحسن بن أبي الحسن البصري قال: لمّا قدم علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه البصرة مرّ بي وأنا أتوضّأ، فقال: «يا غلام أحسن وضوءك يحسن الله إليك، ثمّ جازني، فأقبلت

1- أمالي الصدوق 531 - 532/ ج 718.

أقفو أثره، فحانت منه التفاتـة فنظر إليّ فقال: يا غلام ألك حاجـة؟ قلت: نعم، علّمني كلاماً ينفعني الله به، فقال صـلوات الله عليه: «يا غلام من صـدق الله نجا، ومن أشـفق علي دينه سـلم من الردي، ومن زهد في الدنيا قرّت عينه بما يري من ثواب الله عزّوَجل، ألا أزيدك يا غلام؟ قلت: بلي يا أمير المؤمنين، قال: من كنّ فيه ثلاث خصال سـلمت له الـدنيا والآخرة: من أمر بالمعروف وائتمر به، و نهي عن المنكر وانتهي عنه، وحافظ علي حدود الله، يا غلام أيسـرّك أن تلقي الله يوم القيامة وهو عنك راضٍ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: كن في الدنيا زاهداً، وفي الآخرة راغباً، وعليك بالصـدق في جميع أمورك، فإنّ الله يعبّدك وجميع خلقه بالصدق». ثمّ مشـي حتي دخل سوق البصـرة فنظر إلي النـاس يبيعون ويشترون، فبكي صـلوات الله عليه بكـاءً شديـداً ثم قـال: يـا عبيـد الـدنيا وعمّال أهلها، إذا كنتم بالنهار تحلفون، وبالليل في فرشـكم تنامون، وفي خلال ذلك عن الآخرة تغفلون، فمتي تحرزون الزاد، وتفكّرون في المعاد؟ فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إنّه لا بـدّ لنا من المعـاش فكيف نصـنع؟ فقال أمير المؤمنين: إنّ طلب المعاش من حلّه لا يشـغل عن عمل الآخرة، فإن قلت لابـدّ لنا من الاحتكار لم تكن معـذوراً، فولّي الرجـل باكياً. فقال له أمير المؤمنين: أقبِل عليّ أزيـدك بياناً، فعاد الرجل إليه، فقال له: إعلم يا عبـد الله أنّ كلّ عامل في الدنيا للآخرة لا بدّ أن يُوفّي أجر عمله في الآخرة، وكلّ عامل دنيا للدنيا عمالته في الآخرة نار جهنم، ثمّ تلا صلوات الله عليه قوله تعالي:

«فَأَمَّا مَنْ طَغَي * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَي».(1) (2)

1- النازعات: 37 - 39.

2- أمالي المفيد: 118 - 120/ ج3.

وقال صلوات الله عليه: «ثلاث بهنّ يكمل المسلم: التفقّه في الدين، والتقدير في المعيشة، والصبر علي النوائب»(1)

مواعظ وحكم لعلي عليه السلام

وقال صلوات الله عليه: «قال رسول الله صلي الله عليه وآله: يا علي ثلاث من لقي الله بهنّ فهو من أفضل الناس: من أتي الله بما افترض عليه فهو من أعبد الناس، ومن ورع عن محارم الله فهو من أورع الناس، ومن قنع بما رزقه الله فهو من أغني الناس».(2)

وقال صلوات الله عليه: «ثلاث خصال لا يموت صاحبهنّ أبداً حتي بري وبالهنّ: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها، وإنّ أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، وإنّ القوم ليكونوا فجّاراً فيتواصلون فتنمي أموالهم ويثرون، ويبرّون فتزداد أعمارهم، وإنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم ليدران الديار بلاقع من أهلها».(3)

وقال صلوات الله عليه: «قال رسول الله صلي الله عليه وآله: ثلاث لا تُطيقها هذه الأمّة: المواساة للأخ في ماله، وإنصاف الناس من نفسه، وذِكر الله علي كلّ حال، وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولكن إذا ورد علي ما يحرم عليه خاف الله لك عنده و تركه».(4)

وقال صلوات الله عليه: «قال رسول الله صلي الله عليه وآله: ثلاثة يتخوّف منهنّ الجنون: التغوّط بين القبور، والمشي في خُفّ واحد، والرجل ينام وحده».(5)

1- الخصال للصدوق: 124/ ج 120؛ مشكاة الأنوار للطبرسي: 194.

2- من لا يحضره الفقيه 4: 358 (في حديث طويل).

3- الخصال: 124/ ح120.

4- من لا يحضره الفقيه 4: 358.

5- من لا يحضره الفقيه: 359؛ الخصال: 125/ ح 122.

وقال صلوات الله عليه: «قال رسول الله صلي الله عليه آله: ثلاثة مجالستهم تُميت القلب: مجالسة الأنذال، ومجالسة الأغنياء، والحديث مع النساء».(1)

وقال صلوات الله عليه: «قال رسول الله صلي الله عليه وآله: ياعلي ثلاثة من الوسواس: أكل الطين، وتقليم الأظفار بالأسنان، وأكل اللحية».(2)

وقال صلوات الله عليه: «الرجال ثلاثة: عاقل، وأحمق، وفاجر؛ فالعاقل الدين شريعته، والحلم طبيعته، والرأي سجيّته، إن سُئل أجاب، وإن تكلّم أصاب، وإن سمع وعي، وإن حدّث صدق، وإن اطمأنّ إليه أحد وفي؛ والأحمق إن استنبه بجميل غفل، وإن استُنزل عن حسن نزل، وإن حُمل علي جهل جهل، وإن حدّث كذب، وإن فُقّه لا يفقه؛ والفاجر إن ائتمنته خانك، وإن صاحبته شانك، وإن وثقتَ به لم ينصحك».(3)

وقال صلوات الله عليه: «إنّ للمرء المسلم ثلاثة أخلاّء: فخليل يقول له (أنا معك حياً وميتاً) وهو عمله، وخليل يقول له (أنا معك إلي باب قبرك ثمّ أخلّيك) وهو ولده، وخليل يقول له (أنا معك إلي أن تموت) وهو ماله، فإذا مات صار للوارث».(4)

وقال صلوات الله عليه: «الفتن ثلاث: حبّ النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فخّ الشيطان، وحبّ الدنيا والدرهم وهما سهم الشيطان، فمن أحبّ النساء لم ينتفع بعيشه، ومن أحب الأشربة حرمت عليه الجنة، ومن أحب الدنيا والدرهم فهو عبد الدينار».(5)

1- الكافي 2: 641/ ح 8؛ من لا يحضره الفقيه 4: 359 - 360.

2- من لا يحضره الفقيه 4: 372؛ الخصال: 126/ ح 122.

3- الخصال: 116 ح 96؛ بحار الأنوار 97: 9/ ح 5.

4- الخصال: 114/ ح 92؛ أمالي الصدوق: 170/ ح 167.

5- وسائل الشيعة 20: 26 /ح 24938؛ الفصول المهمّة للحرّ العاملي: 391/ ح 3150.

وقال صلوات الله عليه: «جُمع الخير كله في ثلاث خصال: النظر، والسكون، والكلام، فكلّ نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو، وكلّ سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة، و كلّ كلام ليس فيه ذِكر فهو لغو، فطوبي لمن كان نظره عبراً، وسكوته فكراً، و كلامه ذِكراً، وبكي علي خطيئته وأمن الناس من شرّه».(1)

وقال صلوات الله عليه: «قال لي رسول الله صلي الله عليه وآله «يا علي ثلاث درجات، وثلاث كفّارات، وثلاث مهلكات، وثلاث مُنجيات: فأمّا الدرجات فإسباغ الوضوء في السبرات،(2) وانتظار الصلاة بعد الصلاة، والمشي بالليل والنهار إلي الجماعات؛ وأمّا الكفّارات: فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والتهجّد بالليل والناس نيام؛ وأما المهلكات: فشُحّ مطاع، وهوي متبّع، وإعجاب المرء بنفسه؛ وأمّا المنجيات: فخوف الله في السرّ والعلانية، والقصد في الغني والفقر، و كلمة العدل في الرضا والسخط».(3)

وقال صلوات الله عليه لولده محمد بن الحنفية: «إيّاك والعُجب وسوء الخلق وقلّة الصبر، فإنّه لا يستقيم لك علي هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لك عليها من الناس مجانب، ألزم نفسك التودّد، واصبر علي مؤذيات الناس نفسك، وابذل لصديقك نفسك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك ومحبتك، ولعدوّك عدلك وإنصافك، واضنُن بدينك وعرضك عن كلّ أحد، فإنّه أسلم لدينك ودنياك».(4)

وقال صلوات الله عليه: «قال رسول الله صلي الله عليه وآله: ثلاث من لم تكن فيه فليس منّي

1- من لا يحضره الفقيه 4: 405 /ح o876؛ الخصال: 98/ ح 47.

2- السبرة: الغداة الباردة.

3- من لا يحضره الفقيه 4: 360 - 361(في حديث طويل).

4- الخصال: 147/ ح 178؛ بحارالأنوار 71: 175/ ح6.

ولاـ من الله عزّوجّ ل، قيـل: يـا رسول الله ومـا هنّ؟ قـال: حلم يردّ به جهـل الجاهـل، وحسن خُلق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن معاصي الله عزّوجَل».(1)

الذنوب ثلاثة:

وقال صـلوات الله عليه: «الذنوب ثلاثة، ثمّ أمسك، فقال له حبّة العرني: يا أمير المؤمنين قلت «الذنوب ثلاثة» ثمّ أمسـكتَ؟ فقال صـلوات الله عليه: ما ذكرتُها إلاّ وأنا أريـد أن أفسّرها، ولكن عرض بهرٌ حال بيني وبين الكلام، نعم الـذنوب ثلاثـة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب نرجو لصـاحبه ونخاف عليه، قال: يا أمير المؤمنين فبيّنها لنا، قال: نعم، أمّا الـذنب المغفور فعبـد عاقبه الله علي ذنبه في الـدنيا، فالله أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرّتين؛ وأمّا الذنب الذي لا يُغفر فمظالم العباد بعضـهم من بعض، إنّ الله تبارك وتعالي إذا برز لخلقه أقسم قسـماً علي نفسه فقال: وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفّ بكفّ، ولو مسحة بكفّ، ولو نطحة ما بين القرناء إلي الجمّاء، فيقتصّ للعباد بعضـهم من بعض، حتّي لا تبقي لأحـد علي أحد مظلمة، ثمّ يبعثهم للحساب؛ وأمّا الذنب الثالث: فذنب ستره الله علي عبده ورزقه التوبة منه، فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه، فنحن له كما هو لنفسه، نرجوله الرحمة ونخاف عليه العذاب».(2)

***

1- وسائل الشيعة 20: 359/ ح 25829؛ بحار الأنوار 68: 418/ ح 46.

2- الكافي 2: 443/ ح 1؛ المحاسن للبرقي 1: 7/ ح18؛ بحار الأنوار 6: 29 ح 35.

من خطبة له عليه السلام: في صفة الإسلام والإيمان

خطب علي أمير المؤمنين صلوات الله عليه _ وقد سأله ابن الكوّاء (لعنه الله) عن صفة الإسلام والايمان والكفر والنفاق _ فقال صلوات الله عليه:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالي شَرَعَ الْإِسْلَامَ وَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ لِمَنْ حَارَبَهُ وَجَعَلَهُ عِزّاً لِمَنْ تَوَلاَّهُ وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَهُدًي لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ وَزِينَةً لِمَنْ تَجَلَّلَهُ وَعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ وَعُرْوَةً لِمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ وَحَبْلاً لِمَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ وَعَوْناً لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَفُلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ وَعِلْماً لِمَنْ وَعَاهُ وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوي وَحُكْماً لِمَنْ قَضي وَحِلْماً لِمَنْ جَرَّبَ وَلِبَاساً لِمَنْ تَدَبَّرَ وَفَهْماً لِمَنْ تَفَطَّنَ وَيَقِيناً لِمَنْ عَقَلَ وَبَصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَتُؤَدَةً لِمَنْ أَصْلَحَ وَزُلْفي لِمَنِ اقْتَرَبَ وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ وَرَخَاءً لِمَنْ فَوَّضَ وَسَبْقَةً لِمَنْ أَحْسَنَ وَخَيْراً لِمَنْ سَارَعَ وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ وَلِبَاساً لِمَنِ اتَّقي وَظَهِيراً لِمَنْ رَشَدَ وَكَهْفاً لِمَنْ آمَنَ وَأَمَنَةً لِمَنْ أَسْلَمَ وَرَجَاءً لِمَنْ صَدَقَ وَغِنًي لِمَنْ قَنِعَ».

ثم إنّه عليه السلام غيّر أسلوب البيان خشية الملل وكراهية الإطالة في السير علي منهج واحد، إيقاظاً لمن أخذته الغفلة في ساحة الفكر، أو تجاذبته الأنظار إلي غير المقصود، فقال معظّماً أمر الإسلام، مشيراً إلي مقامه الأسمي ومكانه الأعلي:

«فَذَلِكَ الْحَقُّ سَبِيلُهُ الْهُدَي وَ مَأْثُرَتُهُ الْمَجْدُ وَ صِفَتُهُ الْحُسْنَي فَهُوَ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ مُشْرِقُ الْمَنَارِ ذَاكِي الْمِصْبَاحِ رَفِيعُ الْغَايَةِ يَسِيرُ الْمِضْمَارِ جَامِعُ الْحَلْبَةِ سَرِيعُ السَّبْقَةِ أَلِيمُ النَّقِمَةِ كَامِلُ الْعُدَّةِ كَرِيمُ الْفُرْسَانِ».

ص: 81

ثمّ أخذ عليه السلام يفسّر ما ربّما يكون مُبهماً من كلامه أو مستعجماً من ألفاظه، وليس من كلامه بمبهم، ولا لفظ منها بمستعجم، ولكنّه عليّ وحرصه علي تفهيم خلق الله و تعليم عباده، لذلك تسمعه يقوله: «الْإِيمَانُ مِنْهَاجُهُ وَ الصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ وَ الْفِقْهُ مَصَابِيحُهُ وَ الدُّنْيَا مِضْمَارُهُ وَ الْمَوْتُ غَايَتُهُ وَ الْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ وَ الْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ وَ النَّارُ نَقِمَتُهُ وَ التَّقْوَي عُدَّتُهُ وَ الْمُحْسِنُونَ فُرْسَانُهُ».

ثمّ كأنّه يريد أن يأخذ بيدك يرشدك إلي الطريق ويدلّك علي المحجّة، حتّي لا تلتوي بك السبل ولا تأخذك الملاوي والتعاريج، حيث يقول: «فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَي الصَّالِحَاتِ وَ بِالصَّالِحَاتِ يُعْمَرُ الْفِقْهُ وَ بِالْفِقْهِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ وَ بِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا وَ بِالدُّنْيَا تَجُوزُ الْقِيَامَةُ وَ بِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ وَ الْجَنَّةُ حَسْرَةُ أَهْلِ النَّارِ وَ النَّارُ مَوْعِظَةُ الْمُتَّقِينَ وَ التَّقْوَي سِنْخُ الْإِيمَانِ». أصول الكافي مج2، ص49، الطبعة الحديثة؛ وفي مج2 من شرح ابن أبي الحديد ص219.

الإيمان يدل علي الصالحات :

قوله: «فبالايمان يستدلّ علي الصالحات» وذلك أنّ الإيمان هو المنهاج والطريق، وكلّما كان الطريق مستقيماً عدلاً كان دليلاً موصلاً، وأيضاً الإيمان له شبه العلّة بالنسبة إلي الصالحات، كما أشير إلي ذلك بقوله تعالي:

«إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ»(1)

ويشير إلي ذلك الشاعر بقوله:

وإذا حلّت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاءُ.(2)

1- التوبة : 18.

2- من قصيدة للبوصيري في مدح النبيّ صلي الله عليه وآله، والبيت الذي قبله: اِلف النُسك والعبادة وال *** صلاة طفلاً وهكذا النُجباءُ

ودلالة العلّة علي معلولها قويّة، والاستدلال بها شايع، وهي من البراهين القطعيّة، وسمّاه الحكماء بالبرهان اللمّي، والإستدلال بالمعلول علي العلّة بالبرهان الإنّي، واللمّي أقوي عندهم من الإنّي، وليس هنا موضع تفصيله، فلنكتفِ بهذا ولنعد إلي ما كنّا بصدده.

إعمار الفقه بالصلاح:

قال صلوات الله عليه: «بالصالحات يعمر الفقه».

وذلك أنّ الفقه إنّما يُطلب للعمل الصالح، فإذا طُلب لغير ذلك كان صنعة ولم يكن علماً، فلا جرم كان العمل الصالح باعثاً علي الفقه، فحيث يُطلب العمل يُطلب العلم، وحيث يعمر العمل، يعمر العلم، وحيث يترك العمل يترك العلم. زهّد الناس في العلم قلّة العاملين به، أو أنّ المقصود الاشارة إلي أنّ بالعمل علي موجب العلم ينمو العلم «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم»(1) وقيل: إنّ المراد بالصالحات ولاية أهل البيت عليهم السلام، وعمران الفقه بها واضح، وذلك أنّ المقصود بولايتهم اتّخاذهم أولياء لهم الأمر والنهي والطاعة المفترضة، وإلي هذا المعني يشير الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «ولايتي لعليّ خير من ولادتي منه»(2) وهم عليهم السلام أبواب الفقه و خزّانه، وأنصار الحقّ وأعوانه، وهم تراجمة القرآن وسفرة الرحمن، استودعهم علمه، وائتمنهم علي مكنون سرّه، فمن أخذ شيئاً من هذا فعنهم أخذو منهم اقتبس، وإلي ذلك يشير ابن أبي الحديد المعتزلي في علي عليه السلام:

ألا إنّما التوحيد لولا علومه لعرضة ضلّيل ونهبة كافرِ.

1- الفصول المختارة للمفيد: 107؛ بحار الأنوار 40: 128.

2- بحار الأنوار 39: 299 ح 105، وفيه: ولايتي لعلي بن ابي طالب عليه السلام أحبّ إليّ من ولادتي منه، لأنّ ولايتي لعليّ بن أبي طالب فرض، وولادتي منه فضل.

وله ـ ابن أبي الحديد ـ في أوائل شرح النهج كلام في هذا المقام طويل ملخّصه: أنّ فقهاء المذاهب وغيرهم من أئمّة العلم وأعلامه أخذوا عنه علومهم، وحسبنا في ذلك قول الرسول صلي الله عليه وآله المتّفق علي روايته عند الشيعة والسنّة «إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً، ألا وإنّ اللطيف الخبير قد أنبأني أنّهما لن يفترقا حتّي يردا عليّ الحوض كإصبعيّ هاتين ـ وجمع بين سبّابتيه ـ ولا أقول هاتين ـ وجمع بين سبّابته والوسطي ـ فتفضل هذه علي هذه، فلا تتقدّموهم فتمرقوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم».(1)

وإلي هذا المعني يُشير بعض الشعراء بقوله:

إليكم وإلاّ لا تُشدّ الركائبُ *** ومنكم وإلاّ لا تُنال المواهبُ

وفيكم وإلاّ فالحديث زخارف *** وعنكم وإلاّ فالمحدّث كاذب

ولله درّ من قال:

إذا شئت أن ترضي لنفسك مذهباً *** ينجّيك يوم البعث من لهب النار

فدع عنك قول الشافعي ومالك *** وأحمد والمروي عن كعب أحبار

ووالِ أناساً قولهم وحديثهم *** روي جدُّنا عن جبرئيل عن الباري(2)

وقال الآخر:

مُطهرونَ نقيّاتٌ ثيابهمُ *** تجري الصلاةُ عليهم أينما ذُكروا

الله لمّا بري خلقاً وأتقنه *** صفاكُمُ واصطفاكمْ أيّها البشرُ

فأنتم الملأ الأعلي وعندكمُ *** عِلمُ الكتاب وما جاءت به السور(3)

1- بحار الأنوار 30: 65، باختلاف يسير.

2- بحار الأنوار 105: 117؛ منهاج الكرامة للعلاّمة الحلّي: 67.

3- مناقب آل أبي طالب 3: 474 - 475؛ بحار الأنوار 49: 148، ح 24؛ والشعر لأبي نؤاس.

وليس غرضـنا من هذا الدعوةَ أو الدعايةَ علي ما يقولون، ولكنّه الحقّ نقوله خدمة للحقّ ولطلاّب الحقّ ـ وما بعد الحقّ إلاّ الضلال المبين ـ ولنعد إلي تمام كلامه صلوات الله عليه في هذا الموضوع.

بالفقه يرهب الموت:

قوله عليه السلام: «وبالفقه يرهب الموت».

الموت قنطرة أو سـفينة يعبر بها أهل النعيم إلي نعيمهم، وأهل الجحيم إلي جحيمهم، فهو لأولئك راحة لاتزول، ولهؤلاء حسـرة لا تنقضي، وباب العلم به علي عباده مسـدود، لا يعلم المرء متي يأتيه الموت ويـدنو منه، ولا يعلم ما يلاقيه وينتهي إليه، وكم اطّردت الأيام أبحثها عن مكنون هـذا الأـمر فـأبي الله إلاّـ إخفـاءه، فكيف لا نرهبه، نعم إنّما يغفل عنه ولا يرهب منه الجاهلون، وإنّما يخشاه ويخافه العالمون «إِنَّمَا يَخْشَي اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ».(1) أجل في الموت راحة المؤمن وهناؤه حيث يُخلّصه منكدورات الدنيا و آلامها.

أشعار في الموت:

قال الشاعر:

جزي الله عنّا الموت خيراً فإنّه *** أبرّ بنا من كل برّ وأرأفُ

يعجّل تخليص النفوس من الأذي *** ويُدني من الدار التي هي أشرف(2)

وقال آخر:

من كان يرجو أن يعيش فإنّني *** أصبحت أرجو أن أموت لأعتقا

في الموت ألف فضيلة لو أنها *** عُرفت لكان سبيله أن يُعشقا(3)

1- فاطر: 28.

2- شرح نهج البلاغة 8: 292.

3- شرح نهج البلاغة 8: 292.

وقال الشيخ البهائي:

إنّ هذا الموت يكرهه *** كلُّ من يمشي علي الغبرا

وبعين العقل لو نظروا *** الرأوه الراحة الكبري

وقال أبو العتاهية:

المرء يأمل أن يعيش *** و طولُ عمرٍ قد يضرّه

تفني بشاشتُه ويبقي *** بعد حُلو العيش مُرّه

وتخونه الأيّام حتّي *** لا يري شيئاً يسّره

كم شامتٍ بي إن هلكتُ *** وقائلٍ لله درّه(1)

وقال ابن المعتز:

ألست تري يا صاح ما أعجب الدهرا *** فذمّاً له لكنّ للخالق الشكرا

لقد حبب الموت البقاء الذي أري *** فيا حسداً مني لمن يسكن القبرا(2)

وقال آخر:

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا *** في الموت ألف فضيلة لا تُعرفُ

منها أمان لقائه بلقائه *** وفراق كلّ معاشر لا يُنصف(3)

وقال ابراهيم بن المهدي:

وإنّي وإن قدّمت قبلي لَعالِمٌ *** بأنّي وإن أبطأتُ عنك قريبُ

وإنّ صباحاً نلتقي في مسائه *** صباح إلي قلبي الغداة حبيب(4)

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 8: 293.

2- نفس المصدر

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 8: 291.

4- نفس المصدر.

وهناك ناحية أخري تدعو إلي رهبة الموت والخوف منه، نبّه إليها صلوات الله عليه بقوله: «وبالموت تُختم الدنيا».

وذلك أنّ الـدنيا مضـمار العمل وميـدانه، ومزرعـة الآخرة ومغرسـها، وإنّما يحصد المرء بآخرته ما زرعه بها، ويجني من ثمر ما غرسه فيها، والموت يقطعه عن ذلك، ويحول بين المرء وقلبه، وبين المذنب وتوبته، والمجرم وأوبته، ومن هنا يقول صلوات الله عليه بعده:

«وبالدنيا تجوز القيامة».

أي ثواب يوم القيامـة، ويتلخّص من كلامـه عليه السـلام أنّ بـالفقه يرهب الموت، و كيف لا يرهب الموت وبه تختم الـدنيا، وبالـدنيا تحاز الجنّة، فالموت إذن قد يحول بين المرء وبين أن يحوز الجنّة، ولا سـيّما إذا جاء بغتة وعلي غير استعداد، نعوذ بالله من سوء الخاتمة ونستغفره ونتوب إليه من كلّ ما لا يرضيه، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلّي العظيم.

قوله صلوات الله عليه:

«وبالقيامة تُزلف الجنة».

أي تقرب، قال الله تعالي: «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ».(1)

قوله عليه السـلام: «والجنّة حسرة أهل النار»روي أنّه يُكشف لهم عن مقاعدهم فيها لو كانوا مؤمنين في الدنيا فيتحسّرون ويزدادون ألماً فوق آلامـهم، نـادمين علي مـا قـدّموا من قبيـح أعمـالهم، «أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ»(2) وذلـك أنه «وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ».(3)

1- الشعراء: 90.

2- الأعراف: 53.

3- الزمر: 47.

قوله عليه السلام: «والنار موعظة المتّقين» أي يذكرونها فيّتعظون بها، «فهم

والنار كمن قد رآها» لشدّة يقينهم بها «فهم فيها مُعذَّبون».

قوله عليه السلام: «والتقوي سنخ الإيمان» أي أصله و أساسه.

ولنعد إلي كلامه الأوّل عليه السلام في وصف الإسلام ونعته.

قال كميل بن زياد رضوان الله عليه: سألت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام عن قواعد الإسلام ما هي؟ فقال: «قواعد الإسلام سبعة: فأوّلها العقل وعليه بُني الصبر، والثانية صون العرض وصدق اللهجة، والثالثة: تلاوة القرآن علي جهته، والرابعة الحبّ في الله والبُغض في الله، والخامسة حقّ آل محمد صلي الله عليه وآله ومعرفة ولايتهم، والسادسة حقّ الاخوان والمحاماة عنهم، والسابعة مجاورة الناس بالحُسني.

قلت: يا أمير المؤمنين، العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه، فما حدّ الاستغفار؟ قال: يابن زياد التوبة، قلت: بس، قال: لا. قلت: فكيف؟ قال: إنّ العبد إذا أصاب ذنباً يقول «أستغفر الله» بالتحريك، قلت: وما التحريك؟

قال: الشفتان واللسان، يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة، قلت: وما الحقيقة؟ قال: تصديق في القلب، وإضمار أن لا يعود إلي الذنب الذي استغفر منه، قال كميل: فإذا فعلتُ ذلك فأنا من المستغفرين؟ قال: لا. قال كميل: فكيف ذاك؟ قال: لأنّك لم تبلغ إلي الأصل بعد، قال كميل: فأصل الاستغفار ماهو؟ قال: الرجوع إلي التوبة من الذنب الذي استغفر منه، وهو أوّل درجة العابدين. وترك الذنب والاستغفار اسمٌ واقع لمعانٍ: أوّلها: الندم علي ما مضي، والثاني: العزم علي ترك العود أبداً، والثالث: أن تؤدّي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم، الرابع: أن تؤدّي حقّ الله في كلّ فرض، والخامس: أن تُذيب اللحم الذي نبت علي السّحت والحرام، حتّي يرجع الجلد إلي عظمه وتنشيء بينهما لحماً جديداً، والسادس: أن تُذيق البدن ألم الطاعة كما أذقته لذّات المعاصي».(1)

1- تحف العقول 196 - 197؛ بحار الأنوار 65: 381.

وقال صلوات الله عليه: «الأنسبّ الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلاّ بمثل ذلك: إنّ الاسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو الأداء، إنّ المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربّه فأخذه، إنّ المؤمن يري يقينه في عمله، والكافر يري إنكاره في عمله.

فو الذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة».(1)

وقال صلوات الله عليه: «أثافيّ الإسلام ثلاث لا تنفع واحدة منهنّ دون صاحبتها: الصلاة، والزكاة، والولاية».(2)

وقال صلوات الله عليه: «وأمّا ما فرضه الله عزّوجَل من الفرائض في كتابه، فدعائم الإسلام، وهي خمس دعائم، وعلي هذه الفرائض بُني الإسلام، فجعل سبحانه لكلّ فريضة من هذه الفرائض أربعة حدود لا يسع أحدٌ جهلها: أوّلها الصلاة، ثمّ الزكاة، ثمّ الصيام، ثمّ الحجّ، ثمّ الولاية وهي خاتمتها والحافظة الجميع الفرائض والسنن».(3)

وقال صلوات الله عليه: «قال رسول الله صلي الله عليه وآله: إنّ الله خلق الاسلام فجعل له عرصة، وجعل له نوراً، وجعل له حصناً، وجعل له ناصراً، فأمّا عرصته فالقرآن، وأمّا نوره فالحكمة، وأمّا حصنه فالمعروف، وأمّا أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم، فإنّه لمّا أسري بي إلي سماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبّي وحبّ أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلي يوم القيامة، ثمّ هبط بي إلي الأرض فنسبني

1- المحاسن للبرقي 1: 222/ ح 135؛ الكافي 2: 45 _ 46/ ح 1.
2- المحاسن 1: 286 /ح 428؛ بحار الأنوار 65: 386/ ح 34.
3- وسائل الشيعة 1: 28/ ح 35؛ بحار الأنوار 65: 391/ ح 40.

إلي أهل الأرض، فاستودع الله عزّوجَل حبّي وحبّ أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمّتي، فمؤمنو أمّتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلي يوم القيامة، ألا ـ فلو أنّ الرجل من أمّتي عبد الله عزّوجَل عمره أيّام الدنيا ثمّ لقي الله عزّوجَل مُبغضاً لأهل بيتي وشيعتي ما فرّج الله صدره إلاّ عن النفاق».(1)

وقال صلي الله عليه وآله: «يا علي طوبي لمن أحبّك وصدّق بك، وويل لمن أبغضك وكذّب بك، محبّوك معروفون في السماء السابعة العليا والأرض السابعة السفلي وما بين ذلك، هم أهل الدين والورع والسمت الحسن والتواضع لله عزّوجَل، خاشعة أبصارهم، وجلت قلوبهم لذكر الله عزّوجَل، وقد عرفوا حقّ ولايتك، وألسنتهم ناطقة بفضلك، وأعينهم ساكبة تحنّناً عليك وعلي الأئمة من ولدك، يدينون لله بما أمرهم به في كتابه وجاءهم به البرهان من سنّة نبيّه، عالمون بما يأمرهم به أولو الأمر منهم، متواصلون غير متقاطعين، متحابّون غير متباغضين، إنّ الملائكة لتصلّي عليهم وتؤمّن علي دعائهم وتستغفر للمذنب منهم وتشهد لحضرته و تستوحش لفقده إلي يوم القيامة».(2)

***

1- الكافي 2: 46/ ح 3؛ بحار الانوار 95: 341، ح 13.

2- عيون أخبار الرضا 2: 236/ ح 21.

من خطبة له عليه السلام: في ذمّ قريش وبيان عظمة أهل البيت عليهم السلام

بعد حمد الله تعالي والثناء عليه

«إنّ قريشاً طلبت السعادة فشقيت، وطلبت النجاة فهلكت، وطلبت الهدي فضلّت، ألم يسمعوا ـ ويحهم ـ قوله تعالي: «الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ»؟ فأين المعدل والمفرّ عن ذريّة الرسول الذين شيّد الله بنيانهم فوق بنيانهم، وأعلي رؤسهم فوق رؤسهم، واختارهم عليهم، ألا إنّ الذرّية أفنان أنا شجرتها ، ودوحة أنا ساقها ، وإنّي من أحمد صلي الله عليه وآله بمنزلة الضوء من الضوء، والذراع من العضد، كنّا ظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي خُلق منها البشر أشباحاً عاليةَ لا أجسام نامية، إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرف كُنهه إلاّ ثلاثة: مَلَك مقرّب أو نبيّ مُرسَل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، فإذا انكشف لكم سرّ أو وضح لكم أمر فاقبلوه، والاّ فاسكتوا تسلموا، وردّوا علمنا إلي الله تعالي».

***

قوله صلوات الله عليه: «و إنّي من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء».

قال ابن أبي الحديد المعتزلي (مج 4 ص 107 من الطبعة الأولي بمصر) عند شرحهذه الكلمة: «ذلك لأنّ الضوء الأوّل يكون علّة في الضوء الثاني، ألا تري أنّ الهواء المقابل للشمس يصير مضيئاً من الشمس، فهذا الضوء هو الضوء الأوّل، ثمّ إنّه يقابل وجه الأرض فيضيء وجه الأرض منه، فالضوء الذي علي وجه الارض هو الضوء الثاني، وما دام الضوء الأوّل ضعيفاً فالضوء الثاني ضعيف، فإذا ازداد الجوّ إضاءة ازداد وجه الأرض إضاءة، لأنّ المعلول يتبع

العلّة، فشبّه عليه السلام نفسه بالضوء الثاني، وشبّه رسول الله صلي الله عليه وآله بالضوء الأوّل، وشبّه منبع الأضواء والأنوار سبحانه وجلّت أسماؤه بالشمس التي توجب الضوء الأول، ثمّ الضوء الأوّل يوجب الضوء الثاني، وههنا نكتة وهي أنّ الضوء الثاني يكون أيضاً علّة لضوء ثالث، وذلك أنّ الضوء الحاصل علي وجه الأرض ـ وهو الضوء الثاني ـ إذا أشرق علي جدار مقابل ذلك الجدار قريباً منه مكان مظلم، فإنّ ذلك المكان يصير مضيئاً بعد أن كان مظلماً، وإن كان لذلك المكان المظلم باب و كان داخل البيت مقابل ذلك الباب جدار، كان ذلك الجدار أشدّ إضاءة من باقي البيت، ثمّ ذلك الجدار، إن كان فيه ثقب إلي موضع آخر كان ما يحاذي ذلك البيت أشدّ إضاءة ممّا حواليه، وهكذا لا يزال الضوء يوجب بعضه بعضاً علي وجه الإنعكاس بطريق العلّيّة وبشرط المقابلة، ولا تزال تضعف درجة درجة إلي أن تضمحلّ ويعود الأمر الي الظلمة، وهكذا عالم العلوم والحكم المأخوذة من أمير المؤمنين عليه السلام لا تزال تضعف كلّما انتقلت من قوم إلي قوم إلي أن يعود الاسلام غريباً كما بدا بموجب الخبر النبوي الوارد في الصحاح «بدء الإسلام غريباً وسيعود غريباً».(1)

وأمّا قوله: و كالذراع من العضد، فلأنّ الذراع فرع علي العضد، والعضد أصل، ألا تري أنّه لا يمكن أن يكون ذراع إلاّ إذا كان عضد، ويمكن أن يكون عضد لا ذراع له، ولهذا قال الراجز لولده:

يا بكر بكرين و يا خلب الكبد *** أصبحت مني كذراع من عضد

فشبّه عليه السلام نفسه بالنسبة إلي رسول الله صلي الله عليه وآله بعد بالذراع الذي العضد أصله وأسّه، والمراد من هذا التشبيه الإبانة عن شدّة الامتزاج والاتّحاد والقرب بينهما، فإنّ الضوء الثاني شبيه بالضوء الأول، والذراع متّصل بالعضد اتّصالاً بيّناً، وهذه المنزلة فقد أعطاه إياها رسول الله صلي الله عليه وآله في مقامات كثيرة، نحو قوله في قصّة

1- عوالي اللتالي 1: 33/ ح 12؛ مسند أحمد 4: 73.

براءة «قد أمرت أن لا يؤدّي عني إلاّ أنا أو رجل مني»، وقوله: «لتنتهنّ يابني وليعة أو لأبعثن إليكم رجلاً مني، أو قال عديل نفسي»، وقد سمّاه الكتاب العزيز نفسه فقال: «وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»(1) وقد قال له الحمك مختلط بلحمي، ودمك منوط بدمي، وشبرك وشبري واحده».(2)

أهل البيت عليهم السلام أظلة العرش:

قوله عليه السلام: «كنّا ظِلالاً تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي خلق منها البشره».

جاء في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي من علماء القرن الثالث الهجري (مج 1 ص 18 ط النجف) عن الإمام الرضا، عن آبائه، عن علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه مني. فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال صلي الله عليه وآله: يا علي إنّ الله فضّل أنبياءه المرسلين علي ملائكته المقرّبين، وفضّلني علي جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمّة من بعدك، وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا، ياعلي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم و حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلي معرفة ربنا و تسبيحه وتقديسه، لأنّ أوّل ما خلق الله خلق أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده و بتمجيده، ثمّ خلق الملائكة، فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا، فسبّحنا لتعلم الملائكة، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا».(3)

1- آل عمران: 61.

2- شرح نهج البلاغة 4: 107، ط الأولي، مصر.

3- تفسير القمّي 1: 18، ط النجف.

وفي كتاب الاختصاص تأليف الشيخ المفيد رضوان الله عليه عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «والله مابرء الله من بريّة أفضل من محمد ومنّي ومن أهل بيتي، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطلبة العلم من شيعتنا».(1)

وفي كتاب (بصائر الدرجات) في باب (أمير المؤمنين و أولو العزم أيّهم أفضل). وكذا جاء في بحار الأنوار، عن عبد الله بن الوليد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أيّ شيء يقول الشيعة في عيسي و موسي وأمير المؤمنين عليهم السلام؟ قلت: يقولون إنّ عيسي و موسي أفضل من أمير المؤمنين، قال: فقال: أيزعمون أمير المؤمنين عليه السلام قد علم ما علم رسول الله صلي الله عليه وآله؟ قلت: نعم، ولكن لا يقدّمون علي أولي العزم من الرسل أحداً، قال أبو عبد الله عليه السلام: فخاصمهم بكتاب الله. قال: قلت: وفي أيّ موضع منه أخاصمهم؟ قال: قال الله تعالي لموسي: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»(2) علمنا أنّه لم يكتب لموسي كلّ شيء، وقال الله تبارك وتعالي لعيسي: «وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ»،(3) وقال الله تعالي لمحمد صلي الله عليه وآله: «وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ»(4)

وعن الحسين بن علوان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله خلق أولي العزم من الرسل وفضّلهم بالعلم وأورثنا علمهم وفضلهم، وفضّلنا عليهم في علمهم، و علّم رسول الله صلي الله عليه وآله ما لم يعلموا، وعَلِمنا علمَ الرسول وعلمَهم».(5)

وعن عبد الله بن الوليد السمان قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا عبد الله ما تقول الشيعة في علي وموسي وعيسي عليه السلام؟ قال: قلت: جُعلت فداك، ومن أيّ

1- الأختصاص: 234.

2- الأعراف: 145.

3- الزخرف: 63.

4- النحل: 89.

5- بصائر الدرجات: 227؛ بحار الأنوار 17: 145/ ح 33.

حالات تسألني؟ قال: أسألك عن العلم، فأمّا الفضل فهم سواء. قال: قلت: جُعلت فداك فما عسي أقول فيهم؟ فقال: هو والله أعلم منهما، ثم قال: يا عبد الله أليس يقولون إنّ لعلي عليه السلام ما للرسول من العلم؟ قال: قلت بلي، قال: فخاصمهم فيه، قال إنّ الله تبارك وتعالي قال لموسي: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»(1) فأعلمنا أنّه لم يبيّن له الأمر كلّه، وقال الله تبارك وتعالي لمحمد: «وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيٰ هٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ».(2)

وعن علي بن إسماعيل عن بعض رجاله قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لرجل: «تمصّون الثماد وتدعون النهر الأعظم؟ فقال له الرجل: ما تعني بهذا يا بن رسول الله ؟ فقال: عِلم الأنبياء بأسره أوحاه الله إلي محمد صلي الله عليه وآله ، فجعله محمّد عند علي عليه السلام، فقال له الرجل: فعلي أعلم أو بعض الأنبياء، فنظر أبو عبد الله عليه السلام إلي بعض أصحابه، فقال: «إنّ الله يفتح مسامع من يشاء، أقول له إنّ رسول الله صلي الله عليه وآله جعل ذلك كلّه عند علي فيقول علي أعلم أو بعض الأنبياء».(3)

وفي المجلّد الاول من أصول الكافي تأليف محمد بن يعقوب الكليني ص 222 _ في باب (أنّ الأئمة ورثة العلم) عن علي بن النعمان، رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو جعفر يمصّون الثماد القليل من الماء ويدعون النهر العظيم ! قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله والعلم الذي أعطاه الله، إنّ الله عزّوجَل جمع لمحمد صلي الله عليه وآله سنن النبيّين من آدم وهلمّ جرّاً إلي محمد صلي الله عليه وآله، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيّين بأسره، وإنّ رسول الله صيّر ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له رجل: يابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيّين ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : اسمعوا ما يقول، إنّ الله يفتح مسامع من يشآء، إنّي

1- الأعراف: 145.

2- النحل: 89.

3- بحار الأنوار 13: 242، ط الجديدة.

حـدّثته أنّ الله جمع لمحمّد صـلي الله عليه وآله علم النبيّين، وأنّه جمع ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السـلام، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيّين».(1)

وفيه أيضاً ص 263 عن حمران بن أعين عن أبي عبـد الله عليه السـلام قال: «إنّ جبرئيل أتي رسول الله صـلي الله عليه وآله برمّانتين، فأكل رسول الله إحداهما وكسر الأخري بنصفين فأكل نصفاً وأطعم علياً نصفاً، ثمّ قال رسول الله صلي الله عليه وآله: يا أخي هل تدري ما هاتان الرمّانتان؟ قال: لا. قال: أمّا الأولي فالنبوّة ليس لك فيها نصيب، وأمّا الأخري فالعلم أنت شريكي فيه، فقلت: أصلحك الله، كيف كان يكون شريكه فيه؟ قال: «لم يعلّم الله محمداً صلي الله عليه وآله عِلماً إلاّ وأمره أن يعلّمه علياً عليه السلام».(2)

وفي المجلّد الحادي عشر من البحار ص 114 ط الحديثة، بالإسـناد عن الصدوق، عن أبيه، عن محمد العطّار، عن الفزاري، عن محمد بن عمران، عن اللؤلئي، عن ابن بزيع،عن ابن ظبيان، قال: «قال أبو عبد الله عليه السـلام: اجتمع ولد آدم في بيت فتشاجروا، فقال بعضهم: خير خلق الله أبونا آدم، وقال بعضـهم: الملائكة المقرّبون، وقال بعضـهم: حملة العرش، إذ دخل عليهم هبة الله، فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرّج عنكم. فسـلّم ثم جلس فقال: في أيّ شيء كنتم؟ فقالوا: كنّا نفكّر في خير خلق الله فأخبروه، فقال: اصبروا لي قليلاً حتّي أرجع إليكم، فـأتي أباه فقال: يا أبت إنّي دخلت علي أخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني، فلم يكن عنـدي ما أخبرهم، فقلت: اصبروا حتّي أرجع اليكم فقال آدم عليه السـلام: يا بُنيّ وقفت بين يـدي الله عليه السـلام فنظرت إلي سـطر علي وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، محمّد و آل محمّد خير من برأ الله».

وفي تفسير النيسابوري المطبوع علي هامش تفسير الطبري في سورة الزخرف

1- أصول الكافي 1: 222.

2- أصول الكافي 1: 263.

آية 45، في تفسير قوله تعالي: «وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ». عن ابن عباس وابن مسعود أنّ النبي عليه السلام قال: «أتاني ملك فقال: يا محمّد سَل من أرسلنا من قبلك من رُسلنا علام بُعثوا؟ قال: قلت: علام بُعثوا؟ قال: علي ولايتك وولاية علي بن أبي طالب رَضي الله عنهُ».رواه الثعلبي.(1)

في تفسير البرهان في سورة الزخرف آية 45، في تفسير في قوله تعالي: «وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» عن جابر بن عبد الله،قال: قال لي رسول الله صلي الله عليه وآله: يا جابر أيّ الأخوة أفضل؟ قال: قلت: البنون من الأب والأم، فقال: إنّا معاشر الأنبياء أخوة وأنا أفضلهم، ولأحب الأخوة إليّ علي بن أبي طالب، فهو عندي أفضل من الأنبياء، فمن زعم أنّ الأنبياء أفضل منه فقد جعلني أقلّهم، ومن جعلني أقلّهم فقد كفر، لأنّي لم أتّخذ علياً أخاً إلاّ لما علمتُ من فضله.(2)

حرّة بنت حليمة السعدية والحجّاج الثقفي:

وفي المجلد الحادي عشر من البحار ص 39، والمجلد 46 ص 134 منه أيضاً ط الحديثة، وفي الأنوار النعمانية ص 8 ط الأولي، وفي اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء ص 98:

أنه لمّا وردت حرّة بنت حليمة السعدية علي الحجّاج بن يوسف الثقفي، قال لها: أنت حرّة بنت حليمة السعدية؟ قالت: نعم، قال لها: لقد نُقل عنك أنك تفضّلين علي بن أبي طالب علي أبي بكر وعمر وعثمان؟ قالت: لقد كذب الذين قالوا لك أنّي أفضّله علي هؤلاء خاصّة، بلي أفضّله علي آدم ونوح ولوط وإبراهيم وموسي وداود وسليمان وعيسي. قال لها: يا ويلك إنّي أقول لك أنّك تفضّلينه علي الأصحاب فتبتدرينهم بسبعة

1- أخرجه البيّاضي في الصراط المستقيم 1: 279 عن تفسير الثعلبي.

2- تفسير البرهان 4: 148.

من الأنبياء من أولي العزم، فإن لم تأتني ببيان ما قلت وإلاّ ضربت عنقك، قالت: ما أنا فضّلته علي هؤلاء الأنبياء، بل الله فضّله في القرآن العظيم عليهم، في قوله في حقّ آدم: «وَعَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ»(1) وقال في حقّ علي: «وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا»(2) فقال: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّيله علي نوح و لوط؟ قالت: ما أنا فضّلته، بل الله تعالي فضّله عليهما بقوله: «ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا لِلّٰذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا»(3) وعلي بن أبي طالب عليه السلام كان ملكه تحت سدرة المنتهي وزوجته فاطمة الزهراء بنت محمد التي يرضي الله لرضاها ويغضب لغضبها، فقال: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّليه علي أبي الأنبياء ابراهيم خليل الله؟ قال: ما أنا فضّلته، بل الله فضّله بقوله تعالي: «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ»(4) وعلي بن أبي طالب يقول: لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً، وهذه كلمة لم يقلها أحد قبله ولا بعده، قال: أحسنت يا حرّة، وبم تفضّليه علي موسي؟ قالت: ما أنا فضّلته، بل الله تعالي فضّله عليه، بقوله: «فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ»(5) وعلي بن أبي طالب عليه السلام بات علي فراش رسول الله صلي الله عليه وآله يفديه بنفسه ولم يخف حتّي أنزل الله تعالي فيه «وَمِنَ النّٰاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ»(6) قال: أحسنت يا حرّة، وبم تفضّليه علي داود عليه السلام؟ قالت: ما أنا فضّلته بل الله فضّله بقوله: «يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّٰاسِ بِالْحَقِّ»(7) قال: بأيّ شيء كانت حكومته؟ قالت: في رجلين كان أحدهما له كرم والآخر له غنم فرعته، فاحتكما إلي داود فقال داود: تباع الغنم و يُنفق ثمنها في الكرم حتّي يعود. فقال

1- طه: 121.

2- الإنسان: 22.

3- التحريم: 10.

4- البقرة: 260.

5- القصص: 21.

6- البقرة: 207.

7- ص: 26.

ابنه سـليمان: لا يا أبة، بل يؤخذ من صوفها ولبنها ويُنفق في الكرم حتّي يعود، فأنزل الله تعالي «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ»(1) وعلي بن أبي طالب قال: سلوني عمّا فوق السماء، سلوني قبل أن تفقدوني، فهذا سفط العلم وهذا العاب رسول الله، قال: أحسنت يا حرة، وبم تفضّليه علي سليمان؟ قالت: ما أنا فضّلته بل الله تعالي فضّله بقوله تعالي: «وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي»(2) وعلي بن أبي طالب عليه السلام يقول: يا دنيا لقد طلّقتُك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، حتّي أنزل الله تعالي في حقّه «تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»(3) قال: أحسنت يا حرّة، وبم تفضّليه علي عيسي روح الله؟ قالت: ما أنا فضّلته، بل الله تعالي فضّله عليه بقوله: «يَا عِيسَي ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ»(4) وعليّ لما ادّعت فيه الغلاة أنّه الله لم يُعاتبه الله تعالي. قال: أحسنت يا حرّة، ثمّ أكرمها وأحسن إليها وسرّحها سراحاً جميلاً».

علي عليه السلام والأنبياء:

جاء في مشارق أنوار اليقين، للشيخ البرسي الحلي:

إنّ الله سبحانه وصف أنبياءه بأوصاف، ووصف وليّ نبيه بأعلي منها، فقال: في نوح «إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا»(5) وقال في علي «وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا»(6) وأين الشاكر من مشكور السعي؟ ووصف إبراهيم بالوفاء فقال «وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّي»،(7) وقال في علي «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ»،(8) ووصف سليمان

1- الأنبياء: 79.

2- ص: 35.

3- القصص: 83.

4- المائدة: 116.

5- الاسراء: 3.

6- الانسان: 22.

7- النجم: 37.

8- الأنسان: 7.

بالملك فقال: «وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»(1) وقال في علي: «وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا»،(2) ووصف أيوب بالصبر فقال: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا»،(3) وقال في علي: «وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا»،(4) ووصف عيسي بالصلاة والزكاة فقال: «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ»،(5) وقال في علي: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا»،(6) ووصف محمداً له بالعزّة فقال: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»،(7) وقال في علي: «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ».(8)

وقال «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»(9)، ووصف الملائكة بالخوف فقال: «يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»(10) ، وقال في علي: «إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا»(11) ووصف ذاته المقدّسة بصفات الألوهيّة فقال: «وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ»(12) وقال في علي: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ»(13)».(14)

1- النساء: 54.

2- الانسان: 20.

3- ص: 44.

4- الإنسان: 12.

5- مريم: 31.

6- الانسان: 26.

7- المنافقون: 8.

8- الليل: 19.

9- المائدة: 55.

10- النحل: 50.

11- الانسان: 10.

12- الأنعام: 14.

13- الانسان: 8.

14- مشارق انوار اليقين: 192 - 193، الفصل 104.

وصفوة القول أنّ لمحمد صلي الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام مكانة عند الله تعالي لم يتوصّل إليها أحد، ولم يعرف قدرها إلاّ الرسل والأنبياء المعصومون عليهم السلام.

فقد دلّت الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بأنّ الانبياء توسّلوا إلي الله تعالي بالخمسة أصحاب الكساء في ساعات المحن التي تعرّضوا لها، فلقد توسّل بهم آدم عليه السلام بعد خروجه من الجنة، ونوح عند الطوفان، وإبراهيم عندما ألقاه النمرود في النار، وهكذا بقية الأنبياء عليهم السلام وقد أنجاهم الله تعالي من المحن التي تعرّضوا لها بواسطة هؤلاء الخمسة المعصومين عليهم السلام.

وأخيراً ظهرت هذه الحقيقة نتيجة للبحث والتنقيب، حيث نشرت (البذرة) النجفية التي تُصدرها ثانوية منتدي النشر الأهلية في عدديها الثاني والثالث بتاريخ شوال _ ذي القعدة سنة 1385 هج بحثاً مترجماً عن كتاب إليا والذي نشرته دار المعارف الإسلامية بلاهور (باكستان).

تحت عنوان:

أسماء مباركة توسّل بها نوح عليه السلام :

ما هذا نصّه مترجماً عن الأوردية:

«في تموز عام 1951 م حينما كان جماعة من العلماء السوفيت المختصّين بالآثار القديمة ينقّبون في منطقةٍ بوادي قاف عثروا علي قطع متناثرة من أخشاب قديمة متسوّسة وبالية، ممّا دعاهم إلي التنقيب والحفر أكثر وأعمق، فوقفوا علي أخشاب أخري متحجّرة وكثيرة كانت بعيدة في أعماق الأرض!!

ومن بين تلك الأخشاب التي توصّلوا إليها نتيجة التنقيب خشبة علي شكل مستطيل طولها 14 عقداً وعرضها 10 عقود سبّبت دهشتهم واستغرابهم، حيث لم تتغيّر فلم تتسوّس ولم تتناثر كغيرها من الأخشاب الأخري.

ص: 101

وفي أواخر سنة 1952 أكمل التحقيق حول هذه الآثار، فظهر أنّ اللوحة المشار إليها كانت ضمن سفينة النبي نوح عليه السلام، وأنّ الأخشاب الأخري هي أخشاب هيكل سفينة نوح.

وممّا يذكره المؤرّخون أنّ سفينة نوح استوت علي قمّة جبل قاف، وشوهد أنّ هذه اللوحة قد نُقشت عليها بعض الحروف التي تعود إلي أقدم لغة.

وهنا ألّفت الحكومة السوفيتية لجنة بعد الانتهاء من الحفر عام 1953 قوامها سبعة من علماء اللغات القديمة، ومن أهم علماء الآثار وهم:

1 _ سوله نوف، أستاذ الألسن في جامعة موسكو.

2 _ إيفاهان فينو، عالم الألسن القديمة في كلية لو لوهان بالصين.

3 _ ميشانن لو، مدير الآثار القديمة.

4 _ تانمول كورف، أستاذ اللغات في كلية كيفزو.

5 _ دي راكن، أستاذ الآثار القديمة في معهد لينين.

6 _ ايم اهمد كولاه، مدير التنقيب والاكتشافات العام.

7 _ هيجر كولتوف، رئيس جامعة ستالين.

وبعد مرور ثمانية أشهر من دراسة تلك اللوحة والحروف المنقوشة عليها اتّفقوا علي أنّ هذه اللوحة كانت مصنوعة من نفس الخشب الذي صُنعت منه سفينة نوح عليه السلام، وأنّ النبي نوح كان قد وضع هذه اللوحة في سفينته للتبرّك والحفظ.

وكانت حروف هذه اللوحة باللغة السامانية، وقد ترجمها إلي الانكليزية العالم البريطاني (ايف ماكس) أستاذ الألسن القديمة في جامعة مانجستر، وهذا نصّ تعريبها:

«يا إلهي ويا مُعيني برحمتك و كرمك ساعدني، ولأجل هذه النفوس المقدسة: محمّد، إيليا، شبر، شبير، فاطمة، الذين هم جميعهم عظماء ومُكرمون، العالم قائم لأجلهم، ساعدني لأجل أسمائهم، أنت فقط تستطيع أن توجّهني نحو الطريق المستقيم».

وأخيراً بقي هؤلاء العلماء في دهشة كبري أمام عظمة هذه الأسماء الخمسة ومنزلة أصحابها عند الله تعالي حيث توسّل بها نوح عليه السلام اليه تعالي.

واللغز الأهم الذي لم يستطع تفسيره أيّ واحد منهم هو عدم تفسّخ هذه اللوحة رغم مرور آلاف السنين عليها، وهذه اللوحة موجودة الآن في متحف الآثار القديمة في موسكو».

يقول الله تعالي: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّي يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ».(1)

مقتطفات في فضل أهل البيت عليهم السلام :

وبهذه المناسبة أنقل هنا بعض الأحاديث التي تناسب المقام بشأن أهل البيت الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام.

جاء في كتاب (ينابيع المودّة) تأليف العلاّمة الشيخ سليمان القندوزي الحنفي ص 10 من الطبعة الأولي قال: أخرج أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن المغازلي الواسطي الشافعي في كتاب المناقب بسنده عن سلمان الفارسي رَضي الله عنهُ قال: سمعت حبيبي محمد صلي الله عليه وآله يقول: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدَي الله عزّوجَل، يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق آدم أودع الله ذلك النور في صُلبه، فلم نزل أنا وعلي شيئاً واحداً حتّي افترقنا في صُلب عبد المطلب، ففيَّ النبوّة وفي علي الامامة».(2)

وفي المناقب، عن إسحاق بن إسماعيل النيشابوري، عن جعفر الصادق، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين قال: حدّثنا عمّي الحسن عليه السلام قال: سمعت جدّي صلي الله عليه وآله يقول: «خُلقت من نور الله عزّوجَل، وخُلق أهل بيتي من نوري، وخُلق محبّوهم من نورهم، وسائر الناس في النار».(3)

1- فصّلت: 53.

2- ينابيع المودّة: 10، ط الأولي، 2: 307 / ح 875، الطبعة المحقّقة 1416 ه

3- أخرجه المجلسي في بحار الأنوار 15: 20/ ح 32؛ ينابيع المودّة 1: 46/ح 7.

وفي المجلد الأوّل من كتاب حلية الأولياء ص 86 قال رسول الله صلي الله عليه وآله : «من سرّه أن يحيا حياتي ويموت ميتي ويدخل الجنة التي وعدني ربّي ـ وهي جنّة الخُلد ـ فليوالِ علياً من بعدي وليوالِ وليّه، وليقتدِ بالأئمة من بعدي، فإنّهم عِترتي خُلقوا من طينتي، رُزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي».

وقال صلي الله عليه وآله: «اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدي الرأس إلاّ بالعينين».

وقال صلي الله عليه وآله: «الزموا مودّتنا أهل البيت، فإنّه من لقي الله وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقّنا».

وقال صلي الله عليه وآله: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحبّ آل محمد جواز علي الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب».

وقال صلي الله عليه وآله: «فلو أن رجلاً صفّ قدميه بين الركن والمقام فصلّي وصام وهو مُبغض لآل محمد دخل النار».

وجاء في تفسير الفخر الرازي في سورة الشوري، و تفسير الكشّاف في قوله تعالي: «قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَي»(1) قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «من مات علي حبّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات علي حبّ آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات علي حبّ آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات علي حبّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان، ألا ومن مات علي حبّ آل محمد بشّره مَلَك الموت بالجنّة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات علي حبّ آل محمد فُتح له في قبره بابان إلي الجنة، ألا ومن مات علي حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات علي حبّ آل محمد مات علي السنّة والجماعة، ألا ومن مات علي بُغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من

1- الشوري: 32.

رحمة الله، ألا ومن مات علي بُغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات علي بغض آل محمد لم يشمّ رائحة الجنّة».(1)

قال الفخر الرازي: آل محمد صلي الله عليه وآله هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أنّ فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل، وأيضاً اختلف الناس في الآل، فقيل: هم الأقارب، وقيل: هم أمّته، فإن حملناه علي القرابة فهم الآل، وإن حملناه علي الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل، فثبت أنّ علي جميع التقديرات هم الآل، وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه.(2)

وروي صاحب الكشّاف أنّه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتُهم؟ فقال صلي الله عليه وآله : علي وفاطمة وابناهما، فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلي الله عليه وآله، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم.

أوجه عظمة أهل البيت عليهم السلام :

ويدلّ عليه وجوه:(3)

الأول: قوله تعالي: «إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَي»

والثاني: لا شكّ أنّ النبي صلي الله عليه وآله كان يحبّ فاطمة عليها السلام ، قال صلي الله عليه وآله : فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها، وثبت بالنقل المتواتر من محمد صلي الله عليه وآله أنّه كان يحبّ علياً عليه السلام والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب علي كلّ الأمة مثله، لقوله تعالي: «وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»(4)

1- تفسير الرازي 27: 166؛ تفسير الكشاف 4: 173.

2- تفسير الرازي 7: 39.

3- تفسير الكشاف 27: 166.

4- الأعراف : 158.

ولقوله: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ»(1) ولقوله تعالي: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»(2) ولقوله سبحانه: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»(3)

الثالث: أنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهّد في الصلاة، وهو قوله: «اللهمّ صلّ علي محمد وعلي آل محمد، وارحم محمداً و آل محمد» وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدّل علي أنّ حبّ آل محمد واجب.

وقال الشافعي:

يا راكباً قِف بالمحصّب من مِني *** واهتف بساكن خيفها والناهضِ

سَحراً إذا فاض الحجيجُ إلي مني *** فيضاً كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حبُّ آل محمد *** فليشهد الثقلان أنّي رافضي(4)

***

1- النور: 63.

2- آل عمران: 31.

3- الأحزاب: 21.

4- نظم درر السمطين للزرندي: 111؛ المسترشد: 78؛ بحار الأنوار 23: 234.

من خطبة له عليه السلام: في وصف القرآن والاستشفاء بآياته

«ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ـ أي علي النبي ـ الْكِتَابَ نُوراً لاَ تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجاً لاَ يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحْراً لاَ يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَاجاً لاَ يُضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعاً لاَ يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ وَفُرْقَاناً لاَ يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ وَتِبْيَاناً لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَشِفَاءً لاَ تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَعِزّاً لاَ تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَحَقّاً لاَ تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعْدِنُ الْايمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ وَأَثَافِيُّ الاْسْلاَمِ وَبُنْيَانُهُ وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ».

***

خصائص القرآن:

في هذا الكلام نبذ من فضائل القرآن ومناقبه وخصائصه وفوائده:

أولها: كونه نوراً لا ـ تُطفأ مصابيحه: أمّا أنّه نور، فلاهتداء الناس به من ظلمات الجهل كما يُهتدي بالنور المحسوس في ظلمة الليل، وأمّا مصابيحه: فاستعارة لطريق الاهتداء وفنون العلوم التي تضمّنها القرآن.

ثانيا: كونه سراجاً لا يخبو توقّده ـ أمّا أنّه سراج لا يخبو توقّده، فالمراد به عدم انقطاع اهتداء الناس به واستضاء تهم بنوره.

والثالثة: أنّه بحر لايُدرك قعره ـ وذلك أنّ استعارة البحر له باعتبار اشتماله علي النكات البديعة والأسرار الخفيّة ودقائق العلوم التي لا يدركها بُعد الهمم ولا ينالها غَوص الفطن، كما لا يدرك الغائص قعر البحر العميق.

الرابعة: كونه منهاجاً لا يضلّ نهجه _ أي طريقاً واضحاً مستقيماً إلي الحق لا يضلّ سالكه.

والخامسة: كونه شعاعاً لا_ يظلم ضوؤه _ أي حقّ اً لا_ يدانيه شكّ وريب، ولا تشوبه ظلمة الباطل فتغطّيه وتستره، كما قال تعالي: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ»(1) وقال: «لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»(2)

والسادسة: كونه فرقاناً لا يخمد برهانه _ أي فارقاً بين الحقّ والباطل وفاصلاً بينهما، لا تنتفي براهينه الجليلة و بيّناته التي يفرق بينهما، كما قال تعالي: «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ».(3)

وقال: «هُدًي لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَي وَالْفُرْقَانِ».(4)

والسابعة: كونه بنياناً لا تهدم أركانه _ شبّهه عليه السلام ببنيانٍ مرصوص وثيق الأركان، فاستعار له لفظه، و الجامع انتظام الأجزاء واتّصال بعضها ببعض وقوله «لا_ تهدم أركانه» ترشيح للاستعارة، وفيه إشارة إلي أن البنيان الوثيق كما أنّه مأمون من التهافت والهدم والانفراج، فكذلك الكتاب العزيز محفوظ من طرق النقص والخلل والإندراس.

والثامنة: كونه شفاء لا تُخشي أسقامه _ يعني أنّه شفاء للأبدان والأرواح، أمّا الأبدان فبالتجربة والعيان، مضافاً إلي الأحاديث الواردة في خواصّ أكثر الآيات المفيدة للاستشفاء والتعويذ بها، مثل ما جاء في كتاب أصول الكافي باسناده عن السكوني عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه قال: شكي رجل وجعاً

1- البقرة: 2.

2- فصلت: 42.

3- الطارق: 13.

4- البقرة: 185.

في صدره الي النبي صـلي الله عليه وآله، فقال له صـلي الله عليه وآله: استشفِ بالقرآن، فإنّ الله تعالي يقول: «وَشِفَاءٌ لَمَا فِي الصُّدُورِ».(1) (2)

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: من لم تُبرءه الحمد لم يبرءه شيء.(3)

وقال الإمام موسي الكاظم عليه السلام: من قرأ آية الكرسي عند منامه لم يخف الفالج إن شاء الله، ومن قرأها في دبر كلّ فريضة لم يضرّه ذو حمّة.(4)

وفي تفسير مجمع البيان أنّ النبي صلي الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: ألا أعلّمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه ؟ فقال له جـابر: بلي بـأبي أنت وأمّي يـا رسول الله علّمنيهـا، قال: فعلّمه الحمـد أم الكتاب، ثمّ قال: يا جابر ألا أخبرك عنها؟ قال: بلي بأبي أنت وأمي فأخبرني، فقال: هي شفاء من كلّ داء إلاّ السّام، والسام الموت.(5)

آيات مفيدة لدفع الأذي والأوجاع والفقر وكلّ ضرر:

وفي المجلّد الأول من كتاب مسند الإمام علي نقلاً عن أصول الكافي مج 2 ص 624 عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: والذي بعث محمّداً صلي الله عليه وآله بالحقّ وأكرم أهل بيته، ما من شيء تطلبونه من حرز من حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابّة من صاحبها أو ضالّة أو آبق إلاّ وهو في القرآن، فمن أراد ذلك فليسألني عنه.

قال: فقام اليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عمّا يؤمن من الحرق والغرق، فقال عليه السـلام: اقرأ هذه الآيات «الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّي الصَّالِحِينَ»،(6)

1- يونس: 57.

2- مكارم الأخلاق: 387؛ بحار الأنوار 89: 176.

3- تفسير العيّاشي 1: 20؛ بحار الانوار 89: 237/ ح 34.

4- عدّة الداعي: 273؛ بحار الانوار 89: 266.

5- تفسير العيّاشي 1: 20؛ بحار الانوار 89/ 237/ ح33.

6- الأعراف: 196.

«وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» إلي قوله سبحانه وتعالي «عَمَّا يُشْرِكُونَ»،(1) فمن قرأها فقد أمن من الحرق والغرق، قال: فقرأها الرجل واضطرمت النار في بيوت جيرانه _ وبيته وسطها _ فلم يصبه شيء.

ثمّ قام إليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ دابّتي استصعبت علي وأنا منها علي وجل، فقال عليه السلام: اقرأ في أذنها اليمني «وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ»(2) فقرأها فذلّت دابته.

وقام إليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ أرضي مسبعة، وإنّ السباع تغشي منزلي ولا تجوز حتّي تأخذ فريستها، فقال عليه السلام: اقرأ «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»(3) فقرأها الرجل فاجتنبته السباع.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ في بطني ماءاً أصفر فهل من شفاء؟ فقال له عليه السلام: نعم بلا درهم ولا دينار، ولكن اكتب علي بطنك آية الكرسي و تغسلها وتشربها و تجعلها ذخيرة في بطنك فتبرأ باذن الله عزّوجَل ففعل الرجل فبرأ بإذن الله.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الضالّة؟ فقال عليه السلام: اقرأ (ياسين) في ركعتين، وقل: يا هادي الضالّة رُدّ عليّ ضالّتي، ففعل فردّ الله عزّوجَل عليه ضالّته.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الآبق؟ فقال عليه السلام: اقرأ «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ» _ إلي قوله _ «وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ»(4) فقالها الرجل، فرجع إليه الآبق.

1- الزمر: 67.

2- آل عمران: 83.

3- التوبة: 128 و 129.

4- النور: 40.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن السرق، فإنّه لا يزال يُسرق لي الشيء بعد الشيء ليلاً؟ فقال له عليه السلام : اقرأ إذا أويتَ إلي فراشك «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا» ـإلي قوله ـ «وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا».(1)

ثمَّ قال : من بات بأرض قفر فقرأ هذه الآية «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَي عَلَي الْعَرْشِ» ـ إلي قوله ـ «تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».(2) حرسته الملائكة وتباعدت عنه الشياطين. قال: فمضي الرجل فإذا هو بقرية خراب فبات فيها ولم يقرأ هذه الآية، فتغشّاه الشيطان وإذا هو آخذ بخطمه، فقال له صاحبه: أنظره، واستيقظ الرجل فقرأ الآية، فقال الشيطان لصاحبه: أرغم الله أنفك، احرسه الآن حتّي يُصبح، فلمّا أصبح رجع إلي أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره وقال له: رأيت في كلامك الشفاء والصدق.

وفي كتاب (وسائل الشيعة) مج 2 ص 641 من الطبعة الجديدة في ايران، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: شكا رجل إلي علي عليه السلام وجع الظهر وأنّه يسهر الليل، فقال عليه السلام : ضع يدك علي الموضع الذي تشتكي منه واقرأ ثلاثاً «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ»(3) واقرأ سبع مرآت «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»(4) إلي آخرها، فإنّك تُعافي من العلل إن شاء الله.

في تفسير مجمع البيان عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاء رجل إلي النبي صلي الله عليه وآله فشكا إليه الفقر وضيق المعاش فقال له رسول الله صلي الله عليه وآله: إذا دخلت

1- الاسراء: 110 و 111.

2- الأعراف: 54.

3- آل عمران: 145.

4- القدر: 1.

بيتك فسلّم إن كان فيه أحد، وإن لم يكن فيه أحد فسلّم واقرأ «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ» مرّة واحدة، ففعل الرجل فأفاض الله عليه رزقاً حتّي أفاض علي جيرانه.(1)

وفي كتاب (طبّ الأئمة) عن أبي الحسن العسكري عليه السلام قال له رجل: يا ابن رسول الله إنّ أهلي يصيبهم كثيراً هذا الوجع الملعون، قال: وما هو قال: وجع الرأس، قال عليه السلام خذ قدحاً من ماء واقرأ عليه «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ»(2) ثم اشربه فإنّه لا يضرّه إن شاء الله تعالي.(3)

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّ رجلاً شكا إليه صمماً، فقال: امسح يدك عليه واقرأ عليه «لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَي جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَي يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ».(4) (5)

وعن أبي بصير قال: شكوت إلي أبي جعفر الباقر عليه السلام رجعاً في أضراسي وأنّه يسهرني الليل. قال: فقال: يا أبا بصير إذا أحسستَ بذلك فضع يدك عليه واقرأ سورة الحمد وقل هو الله أحد، ثمّ اقرأ «تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ»(6) فإنه يسكن ثمّ لا يعود.(7)

1- تفسير مجمع البيان 10: 480.

2- الأنبياء: 30.

3- طب الائمة: 19؛ بحار الانوار 92: 51/ ح 7.

4- الحشر: 21 - 24.

5- طب الأئمة: 32؛ تفسير نور الثقلين 5: 294 ح 81.

6- النمل: 88.

7- طبّ الأئمّة: 24؛ بحار الأنوار 92: 92 93/ ح 2.

عبد الله بن سنان عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: شكي رجل إلي النبي صلي الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّ لي أخاً يشتكي بطنه، فقال: مُر أخاك أن يشرب شربة عسل بماء حار، فانصرف إليه من الغد وقال: يا رسول الله قد سقيته وما انتفع بها، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: صدق الله وكذب بطن أخيك، اذهب فاسْقِ أخاك شربة عسل وعوِّذه بفاتحة الكتاب سبع مرآت، فلمّا أدبر الرجل قال النبي صلي الله عليه وآله: يا علي إنّ أخا هذا الرجل منافق، فمن هاهنا لا تنفعه الشربة.(1)

وعن أبي بصير قال: شكي رجل إلي أبي عبد الله الصادق عليه السلام وجع السرّة، فقال له: اذهب فضع يدك علي الموضع الذي تشتكي وقل «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»(2) ثلاثاً فإنّك تُعافي بإذن الله.(3)

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ما اشتكي أحد من المؤمنين شكاة قطّ فقال بإخلاص نيّة ومسح موضع العلّة «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا»(4) إلاّ عُوفي من تلك العلّة أيّة علّةٍ كانت، ومصداق ذلك في الآية حيث يقول: «شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»(5)

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل من خراسان إلي علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله حججتُ ونويت عند خروجي أن أقصدك فإنّ بي وجع الطحال وأن تدعو لي بالفرج، فقال له علي بن الحسين: قد كفاك الله ذلك وله الحمد، فإذا أحسست به فاكتب هذه الآية بزعفران بماء زمزم واشربه، فإنّ الله تعالي يدفع عنك

1- طب الأئمّة: 28؛ الفصول المهمّة للحّر العاملي 3: 82؛ بحار الانوار 92: 109/ ح 2.

2- فصّلت: 42.

3- طب الأئمّة: 28؛ بحار الأنوار 92 : 109 - 110/ ح3.

4- الاسراء: 82.

5- طب الأئمّة: 82؛ بحار الأنوار 92: 110/ ح 3.

ذلك الوجع «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَي وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا»(1) تكتب علي رقّ ظبي وعلّقها علي العضد الأيسر سبعة أيام فإنّه يسكن.(2)

وعن المفضّل بن عمر عن محمد بن إسماعيل، عن أبي زينب قال: شكا رجل من إخواننا إلي أبي عبد الله الصادق عليه السلام وجع المثانة، قال: فقال له عليه السلام عوّذه بهذه الآيات إذا نمتَ ثلاثاً واذا انتبهت مرّة واحدة فإنّه لا تحسس به بعد ذلك «مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ»(3)

قال الرجل: ففعلت ذلك فما أحسست بعد ذلك بوجع.(4)

عن حمّاد بن عيسي رفعه إلي أمير المؤمنين عليه السلام قال: إذا اشتكي أحدكم وجع الفخذين فليجلس في تورٍ كبير أو طشت في الماء المسخن وليضع يده عليه وليقرأ «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ»(5) (6)

وعن سالم بن محمد قال: شكوت إلي الصادق عليه السلام وجع الساقين وأنّه قد أقعدني عن أموري وأسبابي. فقال: عوّذهما، قلت: بماذا يا ابن رسول الله؟ قال: بهذه الآية سبع مرآت فإنّك تُعافي بإذن الله تعالي «مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ

1- الاسراء: 110 و 111.

2- طب الائمّة 29 - 30؛ بحار الأنوار 92: 104/ ح 1.

3- البقرة: 109 و 110.

4- طب الأئمّة: 30.

5- الانبياء: 30.

6- طب الأئمّة: 31؛ بحار الأنوار 92: 69/ ح 1.

رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا»(1) قال: فعوّذتهما سبعاً كما أمرني، فرفع الوجع عنّي رفعاً حتّي لم أحس بعد ذلك بشيء منه.(2)

علي بن عروة الأهوازي قال: حدّثنا الديلمي عن داود الرقّي، عن موسي بن جعفر عليه السلام قال: من كان في سفر فخاف اللصوص والسبع فليكتب علي عرف دابته «لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَيٰ»(3) فإنّه يأمن بإذن الله عزّوجَل.

قال داود الرقي: فحججتُ فلمّا كنّا بالبادية جاء قوم من الأعراب فقطعوا علي القافلة وأنا فيهم، فكتبت علي عرف جملي «لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَيٰ» فو الذي بعث محمّداً بالنبوّة وخصّه بالرسالة وشرّف أمير المؤمنين بالامامة ما نازعني أحد منهم، أعماهم الله عني.(4)

عن أبي عمر بن يزيد الصيقل، عن الصادق عليه السلام قال: شكي إليه رجل من أوليائه القولنج، فقال له عليه السلام : اكتب له أمّ القرآن وسورة الاخلاص والمعوّذتين، ثمّ تكتب أسفل ذلك «أعوذ بوجه الله العظيم وبعزّته التي لا تُرام، وبقدرته التي لا يمتنع منها شيء من شرّ هذا الوجع ومن شرّ ما فيه» ثم تشربه علي الريق بماء المطر تبرأ بإذن الله تعالي.(5)

إسماعيل بن زياد، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله صلي الله عليه وآله و إذا كسل أو أصابته عين أو صداع بسط يديه فقرأ فاتحة الكتاب والمعوّذتين ثمّ يمسح بها وجهه فيذهب عنه ما كان يجد.(6)

1- الكهف: 72.

2- طب الأئمّة: 32، بحار الأنوار 92: 85/ ح 1.

3- طه: 77.

4- طب الأئمّة: 36 - 37؛ تفسير نور الثقلين 3: 385/ ح86.

5- طب الأئمّة: 38؛ بحار الأنوار 92 :110 /ح 4.

6- طب الأئمّة: 39؛ بحار الأنوار 10: 368/ ح 9.

إلي كـثير وكثير من هـذه النظـائر ممّـا هو نور من أنوار النبوّة ولمعـة من لمعـان الإمامـة، ولـم يكن مُكتسـباً من أساتـذة ومعلمين كمـا زعم الجاهلون، ولو كان ذلك لظهر وبان.

مناظرة طبيّة بين الصادق عليه السلام وطبيب هندي:

وجرت مناظرة طبّيـة بين الإمام الصادق عليه السـلام وطبيب هنـدي في مجلس المنصور الـدوانيقي، ذكرها العلاّمة المجلسـي في المجلّد الرابع عشر من البحار ص 478 من الطبعـة الحديثة. وفي كتاب طبّ الأئمة أيضاً ص 24 ط النجف قال: روي محمد بن إبراهيم الطالقاني عن الحسن بن علي العـدوي، عن عبـاد بن مهيب، عن أبيه، عن جـدّه، عن الربيع صـاحب المنصور قـال: حضـر أبو عبـد الله عليه السـلام مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ عليه كتب الطبّ، فجعل أبو عبد الله عليه السلام ينصت لقرائته، فلمّا فرغ الهندي قال له: يا أبا عبد الله أتريد ممّا معي شيئاً؟ قال: لا. فإنّ معي ما هو خير ممّا معك، قال: وما هو؟ قال عليه السلام: أداوي الحار بالبارد، والبارد بالحار، والرطب باليابس، واليابس بالرطب، وأردّ الأمر كلّه إلي الله عليه السـلام، واسـتعمل ما قاله رسول الله صلي الله عليه وآله، وأعلم أنّ المعدة بيت الداء، وأنّ الحمية رأس كلّ دواء، وأعوّد البدن ما اعتاده.

فقال الهندي: وهل الطبّ إلا هذا، فقال الصادق عليه السلام: أتراني من كتب الطبّ أخذت؟ قال:نعم، قال عليه السلام: لا، والله ما أخذتُ إلاّ عن الله سبحانه، فأخبرني أنا أعلم بالطبّ أم أنت؟ قال الهندي: بل أنا. قال الصادق: فأسألك شيئاً؟ قال: سَل.

قال الصادق عليه السلام: أخبرني يا هندي، لم كان في الرأس شؤون؟ قال: لا أعلم. قال: فلم جُعل الشعر عليه من فوق؟ قال: لا أعلم. قال: فلم خلت الجبهـة من الشـعر؟ قـال: لاـ أعلم. قـال عليه السـلام: فلم كان لها تخطيط وأسارير؟ قال: لا أعلم. قال: فلم كان الحاجبان فوق العينين؟ قال: لا أعلم، قال: فلم جُعلت العينان

كـاللوزتين؟ قـال: لا أعلم. قال: فلم جُعل الأنف فيما بينهما؟ قال: لا أعلم. قال: فلم جُعل ثقب الأنف في أسـفله؟ قال: لا أعلم. قال: فلم جُعلت الشـفة والشـارب فوق الفم؟ قال: لا أعلم. قال: فلم حـدّ السّن وعرض الضـرس وطال الناب؟ قال: لا أعلم. قال: فلم جُعلت اللحية للرجال؟ قال: لا أعلم. قال: فلم خلا الظفر والشـعر من الحياة؟ قال: لا أعلم. قال: فلم كان القلب كحب الصـنوبر؟ قال: لا أعلم. قال: فلم كانت الرئة قطعتين، وجعلت حركتهما في موضعهما؟ قال: لا أعلم. قال: فلم كان الكبد حدباء؟ قال: لا أعلم. قال: فلم كانت الكلية كحب اللوبية؟ قال: لا أعلم، قال: فلم جُعل طيّ الركبة إلي خلف؟ قال: لا أعلم، قال: فلم انخصرت القدم؟ قال: لا أعلم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: لكنّي أعلم، قال الهندي: فأجِب، قال الصادق عليه السلام : إنّما كان في الرأس شؤون لأن المجوّف إذا كان بلافصل أسـرع إليه الصداع، فإذا جُعل ذا فصول كان الصداع منه أبعد، وجُعل الشـعر من فوقه، ليوصل بوصوله الأدهان إلي الدماغ. ويخرج بـأطرافه البخـار منه، ويردّ الحرارة والبرد عنه، وخلت الجبهـة من الشـعر، لأنهـا مصبّ النور إلي العينين، وجُعـل فيهـا التخطيـط والأسارير ليحتبس العرق الوارد من الرأس إلي العين قـدر مـا يُميطه الإنسـان عن نفسه، كالأنهـار في الأرض التي تحبس المياه، وجعل الحاجبان من فوق العينين ليردّا عليهما من النور قـدر الكفاية، ألا تري أنّ من غلبه النور جعل يده علي عينيه ليردّ عليهما قدر كفايتهما منه؟ وجُعل الأنف بينهما ليقسم النور قسمين إلي كلّ عين سواء، و كانت العين كاللوزة ليجري فيها الميل بالدواء ويخرج منها الداء، ولو كانت مربّعة أو مدوّرة ما جري فيها الميل ولا وصل إليها دواء ولا خرج منها داء، وجُعل ثقب الأنف في أسفله لتنزل منه الأدواء المنحدرة من الدماغ، وتصعد فيه الروائح إلي المشام، ولو كان في أعلاه لما نزل منه ماء ولا وجد رائحة، وجُعل الشارب والشفة فوق الفم لحبس ما ينزل

من الدماغ عن الفم، لئلاً يتعفّن فينغّص علي الانسان طعامه وشرابه فيُميطه عن نفسه، وجعلت اللحية للرجال ليُستغني بها عن الكشف في المنظر، ويُعلم بها الذكر من الأنثي، وجُعل السن حادّاً لأنّ به يقع العضّ، وجُعل الضرس عريضاً لأنّ به يقع الطحن والمضغ، و كان الناب طويلاً ليسند الأضراس والأسنان كالاسطوانة في البناء، وخلا الكفّان من الشعر لأنّ بهما يقع اللمس، فلو كان فيهما شعر ما دري الانسان ما يقابله ويلمسه، وخلا الشعر والظفر من الحياة لأنّ طولهما سمج يقبح وقصّ هما حسن، فلو كان فيهما حياة لآلم الانسان قصّهما، وكان القلب كحبّ الصنوبر لأنّه منكّس، فجُعل رأسه دقيقاً ليدخل في الرئة فيتروّح عنه ببردها، ولئلاً يشيط الدماغ بحرّه، وجعلت الرئة قطعتين ليدخل القلب بين مضاغطها فيتروّح بحركتها، وكانت الكبد حدباء التنقل المعدة وتقع جميعها عليها فتعصرها ليخرج ما فيها من البخار، وجعلت الكلية كحب اللوبيا، لأنّ عليها مصبّ المني نقطة بعد نقطة، فلو كانت مربّعة أو مدوّرة لاحتبست النقطة الأولي إلي الثانية فلا يلتذّ بخروجها، إذ المني ينزل من فقار الظهر إلي الكلية، وهي تنقبض وتنبسط وترميه أوّلاً فأولا إلي المثانة كالبندقة من القوس.

وجُعل طيّ الركبة إلي خلف لأنّ الإنسان يمشي إلي ما بين يديه فتعتدل الحركات، ولولا ذلك لسقط في المشي، وجُعلت القدم منخصرة لأنّ المشي إذا وقع علي الأرض جميعه ثقل ثقل حجر الرحي.

فقال الهندي: من أين لك هذا العلم؟ فقال عليه السلام: أخذتُه عن آبائي عليهم السلام عن رسول الله صلي الله عليه وآله عن جبرائيل عن ربّ العالمين جَل جَلاله الذي خلق الأجساد والأرواح، فقال الهندي: صدقت وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وعبده، وأنّك أعلم أهل زمانك.

***

من خطبة له عليه السلام: في معرفة الخالق وتوحيده

«أَوَّلُ الـدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَ كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَ مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَ مَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ...».(1)

قوله عليه السلام: «أوّل الدين معرفته» لأن أوّل الواجبات الدينية معرفة الله سبحانه وإطاعته وعبادته، والطاعة والعبادة فرع معرفة المطاع والمعبود، فما لم يُعرف لا يمكن طاعته، ولذلك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما سأله حبرٌ بقوله: هل رأيتَ ربّك حين عبدته؟ أجاب بقوله: ويلك ما أعبد ربّاً لم أره. قال: كيف رأيته؟ قال : ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوبُ بحقائق الايمان.(2)

ثمّ إنّ معرفة الله قد تكون ناقصة وقد تكون تامّة، أمّا الناقصة فهي: إدراك أنّ للعالم صانعاً مدبراً، وأمّا التامّة فقد أشار إليها عليه السلام بقوله: «و كمال معرفته التصديق به» أي الاذعان بوجوده ووجوبه، وأنّه واحد لا شريك له ولا شِبه له، فإنّ من عرف الله بهذه الكيفيّة وهذا اللون حرّم الله جسده علي النار وأوجب له دخول الجنّة.

روي الصدوق قدس سرّه في كتاب «التوحيد» بإسناده عن زيد بن وهب، عن أبي ذر

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1: 72، ط مكتبة المرعشي النجفي.
2- عوالي اللئالي 1: 405/ ح 66؛ بحار الانوار 4: 44/ ح 23.

رَضـي الله عنهُ قال: خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلي الله عليه وآله يمشي وحده ليس معه إنسان، فظننت أنّه يكره أن يمشي معه أحـد، فجعلت أمشـي في ظلّ القمر، فالتفت فرآني فقال: من هـذا؟ فقلت: أبوذر، جعلني الله فداك، فقال: يا أباذر تعال، فمشـيت معه ساعة فقال: إنّ المكثرين هم الأقلّون يوم القيامة إلاّ من أعطاه الله خيراً، فنفخ منه بيمينه وشماله ومن بين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً، قال: فمشيت ساعـة، فقـال: اجلس ههنـا، وأجلسـني في قاع حوله حجارة فقال لي: اجلس حتّي أرجع إليك، قال: وانطلق في الحرّة حتي لـم أره، وتواري عني وأطال اللبث، ثمّ إنّي سـمعته وهو مقبل يقول: وإن زني وإن سـرق؟ قال: فلمّا جاء لـم أصبر حتّي قلت له: يا نبيّ الله جعلني الله فـداك من تكلّمه في جانب الحرّة فإنّي سـمعت أحداً يردّ عليك شيئاً؟ فقال صلي الله عليه وآله: ذاك جبرئيل عرض لي في جانب الحرّة، فقال: بشّر أمتك أنّه من مات لا يشرك بالله عزّوجَل شيئاً دخل الجنة، قال: قلت: يا جبرئيل وإن زني وإن سرق وإن شرب الخمر؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر.

قال الصدوق بعد ذكر الحديث: يعني بذلك أنه يوفّق للتوبة حتي يدخل الجنة.(1)

وفيه أيضـاً عن الأسـود بن هلاـل، عن معـاذ بن جبـل قال: كنت رفقت النبي صـلي الله عليه وآله فقال: يا معاذ هل تـدري ما حقّ الله علي العباد؟ يقولها ثلاثاً، قلت: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله: حقّ الله عزّوجَل علي العباد أن لا يُشـركوا به شـيئاً، ثم قال: هل تدري ما حقّ العباد علي الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذّبهم، أو قال: أن لا يُدخلهم النار.(2)

وفيه أيضاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله صـلي الله عليه وآله: والـذي بعثني بالحقّ نبياً لا يعذّب الله بالنار موحّداً أبداً، وإنّ أهل التوحيد ليَشفعون فيُشفّعون، ثم قال صلي الله عليه وآله: إنّه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالي بقومٍ ساءت أعمالهم في دار

1- التوحيد: 25 - 26/ ح 24.

2- التوحيد: 28/ ح 28.

الـدنيا إلي النار، فيقولون: يا ربّنا كيف تُدخلنا النار وقـد كانّا نوحّدك في دار الدنيا؟ و كيف تحرق بالنار ألسـنتنا وقد نطقت بتوحيدك في دار الـدنيا؟ وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت علي أن لا إله إلا الله؟ أم كيف تحرق وُجوهنا وقد عفّرناها لك في التراب؟ أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء اليك؟ فيقول الله عزّوجَل: عبادي ساءت أعمالكم في دار الدنيا فجزاؤكم نار جهنّم. فيقولون: يا ربّنا عفوك أعظم أم خطيئتنا؟ فيقول الله عزّوجَل: بل عفوي، فيقولون: رحمتك أوسع أم ذنوبنا؟ فيقول الله عزّوجَل: بل رحمتي، فيقولون: إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا؟ فيقول الله عزّوجّ ل: بل إقرار كم بتوحيـدي أعظم، فيقولون: ياربّنا فليسـعنا عفوك ورحمتك التي وسـعت كلّ شـيء، فيقول الله جل جلاله: ملائكتي، وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحبّ إلي من المقرّين بتوحيـدي وأن لا إله غيري، وحقّ عليّ أن لا أصـلي بالنار أهل توحيـدي، أدخِلوا عبادي الجنة.(1)

ولاية أهل البيت عليهم السلام شرط في التوحيد:

غير أنّ مجرد الاعتقـاد بالتوحيـد لاـ يكفي في ترتيب الثواب ودفع العقـاب، بـل لاـ بـدّ مع ذلك من الاعتقاد بالولايـة، ولايـة علي وأولاده الطاهرين عليهم السلام أجمعين.

والأخبار الواردة في أبواب التوحيـد والمعرفة وإن كانت مطلقة إلاّ أنها يقيدها _ مضافة إلي إجماع أصـحابنا _ أخبارٌ أخر مقيّدة لكون الولاية شرطاً في التوحيد وبدونها لا ينتفع بشيء منها.

وهذه الأخبار كثيرة بالغة حدّ الاستفاضة بل التواتر.

منها ما جاء في كتاب جامع الأخبار بالإسـناد عن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن آبائه الصـادقين عليهم السـلام قـال: قال رسول الله صـلي الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالي جعل لأخي علي عليه السـلام فضائل لا يُحصـي عددها

1- التوحيد: 29/ ح 31.

غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ولو أتي القيامة بذنوب الثقلين، ومن كتب فضيلة من فضائل علي بن أبي طالب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع فضيلة غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، و من نظر إلي كتابة في فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثمّ قال رسول الله صلي الله عليه وآله: النظر إلي علي بن أبي طالب عبادة، ولا يقبل الله إيمان عبد إلاّ بولايته والبرائة من أعدائه.(1)

وفي الكافي باسناده عن أبي حمزة، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله فإنّما يعبده هكذا ضلالاً، قلت: جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عزّوجَل وتصديق رسول الله صلي الله عليه وآله وموالاة علي عليه السلام والائتمام به وبالأئمة عليهم السلام والبرائة إلي الله عزّوجَل من عدوّهم، هكذا يعرف الله.(2)

وفي الوسائل ومجمع البيان عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا علي بن الحسين عليهما السلام: أيّ البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: أفضل البقاء لنا ما بين الركن والمقام، ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثمّ لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً.(3)

وفي الوسائل أيضاً بإسناده عن المعلّي بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا معلّي لو أنّ عبداً عبد الله مائة عام ما بين الركن والمقام، يصوم النهار ويقوم الليل حتّي يسقط حاجباه علي عينيه، ويلتقي تراقيه هرماً جاهلاً بحقّنا لم يكن له ثواب.(4)

وفيه أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: نزل جبرئيل علي النبيّ

1- رواه الصدوق في الأمالي 119/ح9، والمجلسي في البحار 38: 196.
2- الكافي 1: 180ح 1.
3- وسائل الشيعة 1: 122/ ح 308؛ تفسير مجمع البيان 2: 349.
4- وسائل الشيعة 1: 122/ ح 309.

صلي الله عليه وآله فقال: يا محمّد، السلام يقرؤك السلام ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهنّ وخلقت الأرضين السبع ومن عليهنّ، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أنّ عبداً دعاني منذ خلقت السماوات والأرض ثمّ لقيني جاحداً لولاية علي لأكببتُه في سقر.(1)

وروي علي بن إبراهيم القمّي بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام (في حديث) قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضي الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه وتكون جميع أعماله بدلالته، ما كان له علي الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان.(2)

وبالتالي: فقد تحصّل من هذه الأخبار وغيرها من الأخبار الكثيرة أنّ معرفة الإمام والطاعة له شرط في صحّة الفروع والأصول، كما ظهر أنّ اللازم أخذ الاحكام الشرعيّة والمسائل الدينيّة عنهم، لأنّهم الباب الذي أمر الله أن يؤتي منه حيث قال: «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا».(3)

روي في الصافي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: نحن البيوت التي أمر الله أن تُؤتي أبوابها، نحن باب الله وبيوته التي يُؤتي منه، فمن تابعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتي البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتي البيوت من ظهورها، إنّ الله لو شاء عرّف نفسه حتّي يعرفونه ويأتونه من بابه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يُؤتي منه، قال: فمن عدل عن ولايتنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتي البيوت من ظهورها، وإنّهم عن الصراط لناكبون.(4)

1- وسائل الشيعة 1: 123/ ح 311.

2- رواه الكليني في الكافي بإسناده عن عليّ بن إبراهيم 2: 18 - 19 /ح5.

3- البقرة: 189.

4- تفسير الصافي 1: 228.

وفي الكافي بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كلّ من دان الله عزّوجَل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول وهو ضالّ متحيّر والله شانئ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها فهجمت ذاهبة أو جائية يومها، فلمّا جنّها الليل بصرت بقطيع غنم مع غير راعيها فحنّت إليها واغترّت بها فباتت معها في مربضها، فلما أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيّرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها فحنّت إليها واغترّت بها فصاح بها الراعي: إلحقي براعيك وقطيعك فأنت تائهة متحيّرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة متحيّرة تائهة لا راعي لها يرشدها إلي مرعاها أو يردها، فبينا هي كذلك إذ اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها، وكذلك _ والله يا محمد _ من أصبح من هذه الأمة ولا إمام له من الله عزّوجَل ظاهر عادل أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات علي هذه الحالة مات ميتة كفر و نفاق، واعلم يا محمد أنّ أئمّة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله عزّوجَل، قد ضلّوا، وأضلّوا فأعمالهم التي يعملونها «كرماد اشتدت به الي في يوم عاصف لا يقدرون ما كتبوا علي شيء ذلك هو الضلال البعيد».(1) (2)

1- البقرة: 264.

2- الكافي 2: 183 - 184/ ح 8.

من كلام لاميرالمؤنين عليه السلام: في المعروف والانفاق

«وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحَظِّ فِيما أَتي إِلاَّ مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ وَثَنَاءُ الأَشْرَارِ وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ مَا أَجْوَدَ يَدَهُ وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللهِ بَخِيلٌ فَمَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ وَلْيَفُكَّ بِهِ الأَسِيرَ وَالْعَانِيَ، وَلْيُعْطِ مَنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَي الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ فَإِنَّ فَوْزاً بِهذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَدَرْكُ فَضَائِلِ الاْخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ».(1)

***

لمّا كان لواضع المعروف _ سواءً كان في أهله أو غير أهله _ ثناء من الناس ومدح له بالكرم والبذل، كان ممّا يتميز به وضعه في غير أهله عن وضعه في أهله: أنّ الأوّل إنّما يحصل به لواضعه الحمد من لئام الناس من السفهاء والأشرار والجهال، لعدم معرفتهم بوضع الأشياء في مواضعها التي هي مقتضي العقل الذي به نظام أمور الدنيا و قوام نوع الانسان في الوجود، مع أنّه في الحقيقة وعند أولي الألباب العارفين بمواقع المعروف بخيل في جنب الله تعالي، وأمّا الثاني _ أي واضع المعروف في أهله _ فتحصل له المحمدة من الكلّ في الدنيا، محمدة مطابقة للحّق مع الثواب الجزيل في الأخري.

مواضع المعروف:

ثم نبّه عليه السلام علي مواضع المعروف وأمر بوضعه فيها، وذكر منها خمسة:

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 9: 74، ط مكتبة المرعشي النجفي. قم.

الأوّل صلة الرحم، الثاني حسن الضيافة، الثالث فكّ الأسير والعاني، الرابع إعطاء الفقير والغارم ـ وهو من عليه دين ـ الخامس الحقوق الواجبة علي أهلها كالزكاة، والمستحبّة كالصدقات، وأشار بالنوائب إلي ما يلحق الانسان من المصادرات والقرارات التي يفكّ بها الانسان من أيدي الظالمين وألسنتهم، والإنفاق في ذلك من الحقوق الواجبة علي الانسان.

ونبّه عليه السلام علي أنّ الانفاق في هذه الوجوه إنّما يكون وضعاً للمعروف في موضعه إذا قصد به وجه الله تعالي، فأمّا إذا قصد به الرياء والسمعة فهو وإن عُدّ في ظاهر الشريعة مُجزيً إلاّ أنّه غير مُجزٍ ولا مقبول في باطنها.

وقوله عليه السلام: «فإنّ فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة» إشارة إلي ما يتميّز به وضع المعروف في أهله: وهو شرف مكارم الدنيا من الذكر الجميل بين الناس والجاه العريض، ودرك فضائل الآخرة: وهي درجات الثواب الجزيل الموعود لأولي الفضائل النفسانيّة.

قال رسول الله صلي الله عليه وآله : «أوّل من يدخل الجنّة المعروف وأهله، وأوّل من يرد عليَّ الحوض».(1)

وقال صلي الله عليه وآله: «إنّ البركة أسرع إلي البيت الذي يمتار منه المعروف من الشفرة في سنام الجزور أو من السيل إلي منتهاه».(2)

تعاريف للمعروف:

المعروف: اسم جامع لكل فعل يعرف حُسنه بالعقل والشرع.

المعروف: اسم جامع لماعرف من طاعة الله سبحانه، والإحسان إلي الناس في الواجب والمندوب.

1- مكارم الاخلاق: 136؛ عوالي اللئالي 1: 377/ ح 110.

2- الكافي 4: 29 ح 2.

المعروف ضدّ المنكرفي معناه ومصداقه، والتباين بين المنكر والمعروف بنحو السلب الكلّي من الطرفين، فلا شيء من المنكر بمعروف، ولا شيء من المعروف بمنكر.

المعروف صفة شريفة معروفة، والمنكر صفة رديئة منكرة.

يختصّ المعروف بالأفعال الواجبة والمندوبة شرعاً وعقلاً ـ ولا ـ يدخل فعل المباحات شرعاً وعقلاً في فعل المعروف، لأنّه خلو من الرجحان، ومن لا ـ رجحان فيه لا خيرفيه، والمعروف كلّه خير، ويختصّ المنكر بالمحرّمات شرعاً وعقلاً، فكلّ ما منع الشرع والعقل من فعله منكر.

وأمّا ما منع عنه الشرع والعقل علي نحو التنزيه عن فعله بدون إلزام بالمنع وهو المكروه فلاريب في خروجه عن دائرة المعروف، وهو أشدّ خروجاً من المباح، والمباح لا يدخل في المنكر، وأمّا المكروه فربّما كان بعض المكروهات من المنكرات إذا تكرّر فعله، و تفصيل ذلك في المباحث الفقهية.

يمتاز أهل المعروف بمعروفهم ولهم مكانة معروفة، وفي الحديث الشريف «من بذل معروفه آتاه الله جزاء معروفه» وفيه «أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة»(1) يعني كما أنّهم يصنعون المعروف في الدنيا كذلك يصنعونه في الآخرة، يهبون حسناتهم لمن شاؤا كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «يُقال لهم في الآخرة: إنّ ذنوبكم قد غُفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم وادخلوا الجنّة».(2)

وفي حديث ابن عباس قال: «يأتي أهلُ المعروف يوم القيامة فيُغفر لهم المعروفهم وتبقي حسناتهم تامّة، فيعطونها لمن زادت سيئاته علي حسناتهم فيُغفر له فيدخلون الجنّة، فيجتمع لهم الإحسان إلي الناس في الدنيا والآخرة».(3)

1- فيض القدير 1: 695؛ النهاية في غريب الحديث 3: 219.

2- الكافي 4: 29/ ح 2.

3- النهاية في غريب الحديث 3: 217.

وفي الحـديث ليس «شـيء أفضل من المعروف إلاّ ثوابه»، وفيه «ليس كلّ من يحبّ أن يصـنع المعروف إلي الناس يصـنعه، وليس كلّ من يرغب فيه يقدر عليه، ولا كلّ من يقدر عليه يؤذن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن تمّت السعادة للطالب والمطلوب إليه».(1)

وفي الحديث دلالة علي أنّ الأعمال الخيريّة تحتاج إلي التوفيق من الله سبحانه بعد الرغبة والقدرة.

جاء عن الإمام الباقر عليه السـلام قوله: «إنّ بقاء المسلمين وبقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق ويصنع المعروف، وإنّ من فناء الإسلام وفناء المسلمين أن تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحقّ ولا يصنع فيها المعروف».(2)

وقـال عليه السـلام مخاطبـاً لزرارة: «ثلاثـة إن تعلّمهنّ المؤمن كـانت زيـادة في عمره وبقاء لنعمته عليه، فقلت: وما هنّ؟ فقال: تطويله في ركوعه وسجوده في صلاته، وتطويله الجلوسه علي طعامه إذا أطعم علي مائدته، واصطناعه المعروف إلي أهله».(3)

وقوله عليه السلام: «صنائع المعروف تدفع ميتة السوء وتقي مصارع الهوان».(4)

وهذا يدلّ علي أنّ فعل الاحسان إلي الناس و الرفق بهم سببٌ للوقاية من موارد الذل والهوان.

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السـلام قال: «قال أصحاب رسول الله صلي الله عليه وآله : فداك آباءنا وأمّهاتنا، إنّ أصحاب المعروف في الدنيا عُرفوا بمعروفهم، فبم يعرفون في الآخرة؟ فقال صلي الله عليه وآله: إنّ الله إذا أدخل أهل الجنّة الجنّة أمر ريحاً

1- الكافي 4: 26/ ح 3؛ من لا يحضره الفقيه 2: 55 - 56/ح1686.
2- الكافي 4: 25، ح 1؛ مستدرك الوسائل 12: 339/ ح 14225.
3- الكافي 4: 50/ ح 15.
4- من لا يحضره الفقيه 1: 205/ ح613.

عبقة طيّبة فلصقت بأهل المعروف، فلا يمرّ أحد منهم بملأ من أهل الجنّة إلاّ وجدوا ريحه فقالوا: هذا من أهل المعروف».(1)

وذو المعروف الـذي يشـير إليه الإمـام عليه السـلام هو كـلّ من يُسـدي خيراً ومعروفاً إلي أحـد، ومن أجلّ أفراده هو الله سـبحانه، فهو أوّل المحسنين، وهو أوّل ذوي الخير، فيجب شكره عن طريق العبادة والاخلاص له، وعن طريق ترك ماسواه والتوجّه التامّ إليه، فإذا كان ذلك فقد حصل الشـكر، وإلاّ فالمعروف الذي ليس يُقابَل بشـكر يُخاف عليه الزوال، والإمام أمير المؤمنين عليه السـلام يقول: «إذا رأيتم أوائل النعم فلا تُنفروا أقصاها بقلّة الشكر»(2) فقلّة الشكر يبعد النعم، وإنّ الشكر عليها مجلبة لها ومدعاة.

أنواع المعروف

والمعروف ضربان: ضرب عام يقتضي الجهر به والاعلان له، وضرب خاص لا ينبغي له غير الأخفاء والكتمان.

فمن الضـرب الأـول مـا يكون المجـد في إعلانه والشـرف، مثل صـدقات الفرائض وغنائم الجيوش ومكافأة الملوك علي الأعمال الصالحة بعلامات الشـرف وما شابهها، ممّا يزيـد الجهر بها والإعلان لها قيمتها، قال الله تعالي: «إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»(3) قال ابن عباس: صدقات السر في التطوّع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرّها بسبعين ضعفاً.

والضرب الآخر هو الذي لا تكون العطايا فيه من شأنها ارتفاع القدر وازدياد

1- الكافي 4: 29/ ح 1؛ بحار الأنوار 8: 156/ ح 95.

2- مشكاة الأنوار: 72؛ بحار الانوار 68: 53/ ح 85.

3- البقرة: 271.

الشـرف، بل من شأنها سـدّ الحاجـة ودفع العوز ومداركـة الافتضاح، وهذا يجب فيهالكتمان وجوباً محتوماً، وألاّ يعلم بالصـنيع أحد سوي المقصود وحده بها.

ويتفرّع من المعروف أمور: منها الأمر بالمعروف، ومنها العفو عن المسيء، و منها الاحسان.

لانرتـاب بـأنّ الأـمر بـالمعروف من أهله في محلّه ربّمـا كـان أعظم من فعـل المعروف، لأـنّ فيه حفظ النظام بين أفراد النوع الانسانيّ، وبه اكتساب الفضائل الدينيّة والعقليّة، وإزالة الأخلاق الفاسدة والعمل بما فيه الحياة في الدارين.

ولا أراك تشكّ بأنّ التهذيب والتعليم والالزام لشـخص بما فيه ظهور كماله وجميل صنعه وحسن سيرته خير له من إعطائه ألف درهم يتنعّم بها في معاشه مع تلوّثه بأقذار المفاسد وتهورّه في هوّة الجهالة.

الأمر بالمعروف وفعل المعروف واجبان بحكم العقل والشـرع وجوباً كفائياً علي كافة العقلاء، ولا شرط لوجود فعل المعروف سوي القدرة عليه.

شروط تأثيرالأمر بالمعروف:

إنّ تأثير الأمر بالمعروف له شروط يتوقّف تحريك خطابه للمكلّفين عليها

الأول: القدرة علي الأمر بالمعروف، وغير القادر لا يجب عليه.

الثاني: العلم أو الظنّ أو احتمال التأثير فيمن يأمره بالمعروف.

الثالث: أن يكون الأمر بالمعروف عاملاً به، وإلاّ لم يكن أهلاً لأن يأمر به، لأنّ فاقد الشيء لا يُعطيه، نعم فاقد الشيء لا يعطيه، إذ كلّ شيء تتصوّره و تري أنّك تفقده يسـتحيل أن تعطيه لمن يطلبه منك، فالمرتكب للمنكر نجد من المنكر نهيه عنه فضلاً عن كونه لا يؤثّر نهيه بأحد، والتارك للفعل الحسن مع قدرته عليه لا يحسن منه أن يأمر به ولا يؤثّر أمره بأحد، كلّ ذلك لأنّ فاقد الشيء لا يُعطيه.

جاء النص في القانون الاسلامي علي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال سبحانه: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَي الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».(1)

دلّت هذه الآية الشريفة علي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصرّحت بانحصار الفلاح فيمن قام بهما، والعقل يحكم بلزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظاً للنظام وسدّاً الأبواب الفساد.

ومن ظاهر الآية عرفنا أنّ الوجوب كفائي حيث قال سبحانه: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ» ولو كان الوجوب عينيّاً لكان الخطاب بغير هذا البيان.

وقال سبحانه في صفة من آمن بالله حقيقة الايمان: «يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ».(2)

فانظر كيف قرن إيمانهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنبيهاً علي أهميّة وجوبهما وأثرهما.

قال صاحب الدعوة الإسلاميّة الرسول الأعظم محمد صلي الله عليه وآله: «من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه»،(3) وقال صلي الله عليه وآله حين سُئل عن خير الناس: «آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأرضاهم»(4) وقال صلي الله عليه وآله: «لتأمرنّ بالمعروف وتنهونّ عن المنكر أو ليسلطنّ عليكم سلطاناً ظالماً لايُجلّ كبيرَكم ولا يرحم صغيرَكم، وتدعو خيارُكم فلا يُستجاب لهم، وتستنصرون فلا تُنصرون، وتستغيثون فلا

1- آل عمران: 104.

2- آل عمران: 114.

3- تفسير مجمع البيان 2: 359.

4- تفسير مجمع البيان 2: 359.

تُغاثون»(1) وقال صلي الله عليه وآله: «يأتي علي الناس زمان لئن يكون فيهم جيفة حمار أحبّ إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر».(2)

ومن ضروب المعروف العفو عن المسيء، العفو عن أرباب الهفوات، والتجاوز بإقالة العثرات، والحلم عن مقترفي الزلاّت، والصفح عن ذوي الهيئآت، وإسداء الاحسان وفعل الخيرات، كلّ ذلك معدود من محاسن الحسنات ومكارم الأخلاق، وقد نطق بذلك القرآن الكريم في كثير من الآيات وصرّحت به السنّة النبوية علي ألسنة الرواة الثقات، قال الله تعالي: «وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَيٰ»(3) وقال تعالي: «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»(4) وقال تعالي: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».(5)

وقال تعالي: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»(6) وقال تقدّس اسمه يخاطب نبيّه: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»(7) وقال تعالي: «وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ»(8)

وقال رسول الله صلي الله عليه وآله: «رأيت قصوراً مشرفة علي الجنّة، قلت: يا جبرئيل لمن هذه؟ قال: للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس».(9)

1- نفس المصدر.

2- نفس المصدر.

3- البقرة: 237.

4- آل عمران: 134.

5- النور: 22.

6- آل عمران: 159.

7- الأعراف: 199.

8- الشوري: 37.

9- المستدرك علي الوسائل 9: 14/ ح 10070.

وحَسبُك في هذا الباب ما فعله النبي صلي الله عليه وآله مع مشركي قريش الذين آذوه واستهزأوا به وأخرجوه من دياره، ثمّ قاتلوه وحرّضوا عليه غيرهم من مُشركي العرب حتّي تمالأ عليه جمعُهم، ثمّ لمّا فتح الله عليه مكّة ما زاد أن عفا وصفح وقال: ما ترون أنّي فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابنُ أخٍ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطُلقاء.(1)

وظفر أمير المؤمنين عليه السلام بأهل البصرة، فلمّا دخلها واجتمع عليه أهلها خطبهم، وقال: يا أهل البصرة يا جند المرأة وأتباع البهيمة، رغي فرجفتم، وعُقر فانهزمتم، أحلامكم رقاق، وعبيد كم شقاق، وأنتم فسقة مرّاق، يا أهل البصرة نكثتم بيعتي وتظاهرتم علي عداوتي، فما تروني صانعاً بكم وما تظنّون بي؟ قالوا: نظنّ خيراً، ونعلم أنّك ظفرتَ وقدرت، فإن عاقبتَ فقد استحققنا عقوبة المجرمين، وإن عفوتَ فالعفو أحبّ إلي ربّ العالمين. فأطرق عليه السلام برأسه إلي الارض ثم رفع رأسه وقال: اذهبوا وإيّاكم والفتنة، فإنّكم أوّل من شقّ عصا الأمّة ونكث البيعة، فأخلِصوا إلي الله التوبة.(2)

خرج الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام إلي المسجد فسبّه رجل، فقصده غلمانُه ليضربوه ويؤذوه، فنهاهم عليه السلام وقال لهم: كفّوا أيديكم عنه، ثمّ التفت إلي ذلك الرجل وقال: يا هذا أنا أكثر ممّا تقول، وما لا تعرفه منّي أكثر ممّا عرفته، فإن كان لك حاجة في ذِكره ذكرتُه لك، فخجل الرجل واستحيا، فخلع عليه زين العابدين قميصه وأمر له بألف درهم، فمضي الرجل وهو يقول: أشهد أنّ هذا الشاب ولد رسول الله صلي الله عليه وآله.(3)

وذكر المؤرّخ ابن خلكان في ترجمة مجد الملك ابن شمس الخلافة

1- بحار الانوار 21، 132.

2- الجمل للشيخ المفيد: 217 - 218.

3- انظر البداية والنهاية لابن كثير 9: 123.

أحد وزراء الخلفاء في مصـر المتوفّي في حدود الستمائة، أنّ هذا الوزير ذكر في كتاب له ألّفه في محاسن المحاضرة و آداب المسامرة، فقال: إنّ عصام بن المصـطلق ـ وكان شاميّاً أمويـاً ـ قال: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي عليه السلام ومعه غلمانه وحاشيته فأعجبني سمته ورواؤه وحسـنه وبهـاؤه، وأثار الحسـد ما كان يخفيه صـدري لأبيه من البغض، فجئت إليه وقلت: أنت ابن أبي تراب؟ فقال: نعم، فبالغتُ في شتمه وشـتم أبيه، فنظر إلي نظر عاطف رؤوف برقّة ورحمة ثمّ قال: أعوذ بالله من الشـيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم «وَإِمّا يَنْزَغَنّكَ مِنَ الشّ يْطَانِ نَزْغٌ فَاسْ تَعِذْ بِاللّهِ إِنّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنّ الّذِينَ اتّقَوْا إِذَا مَسّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشّيْطَانِ تَذَكّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمّ لَا يُقْصِ رُونَ»(1) ثم قال: خفّض عليك، أسـتغفرُالله لي ولك، إنّك لو اسـتعنتنا لأعنّاك، ولو استرفـدتنا لرفـدناك، ولو استرشدتنا لأرشـدناك. قال عصام: فنـدمت علي ما قلت، و توسّم مني النـدم علي ما فرط مني، فقال: «لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ»(2) ثمّ قال: أمن أهل شام أنت؟ قلت نعم، فقال: «شنشنةٌ أعرفها من أخزم» حيّانا الله وإياك، انبسِط إلينا في حوائجك وما يعرض لك تجدنا عند أفضل ظنّك إن شاءالله.

قـال عصام: فضاقت علي الأرض بما رَحُبت ووددت لو أنّها ساخت بي، ثمّ انسـللت من بين يـديه وما علي وجه الأرض أحب إليّ منه ومن أبيه.(3)

الإمام الكاظم عليه السلام والعمري:

وفي كتاب (إعلام الوري) للطبرسي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي،

1- الأعراف: 200 - 202.

2- يوسف: 92.

3- أخرجه القرطبي في تفسيره 7: 350 - 351، وابن عساكر في تاريخ دمشق 34: 224 - 225.

في أحوال الإمام موسي بن جعفر عليه السلام: أنّ رجلاً من ولد آل الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسي الكاظم عليه السلام إذا رآه ويشتم عليّاً، فأراد بعض موالي الإمام الوقيعة فيه، فنهاه الإمام أبو الحسن أشدّ النهي، ثم سأل عليه السلام عن العمري فقيل له: «إنّ له زرعاً بناحية من نواحي المدينة، فركب عليه السلام إليه فوجده في زرعه، فدخل المزرعة وهو راكب علي حماره، فصاح به الخطّابيّ: لا تطأ زرعنا، فوطئه أبو الحسن بالحمار ولم يلتفت إذ لم يجد طريقاً يسلكه غير ذلك، حتّي إذا وصل إليه نزل وباسطه في القول وسأله عمّا غرمه في زرعه؟ فقال: غرمتُ مائة دينار، ثمّ سأله عمّا يرجو أن يصيب منه؟ قال: مأتي دينار، فدفع إليه أبو الحسن عليه السلام ثلثماءة دينار لما غرمه ولما يرجوه، وبشّره بسلامة زرعه وإنتاجه، ففرح العمريّ بهذا الخلق الكريم الممتزج بالحلموالسخاء والبشارة بتنتاج عمله، فصاح: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وقبّل رأسه ويده وسأله الصفح عمّا فرط من القول فيه، فتبسّم أبو الحسن عليه السلام وانصرف إلي أصحابه يقول: أيّما أحسن: ما أردتم أو ما صنعته، إنّني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم، وهدي اللهُ الرجلَ وصار من مواليه».(1)

المأمون وعفوه عن عمّه إبراهيم:

ومن رائع ما أثر في العفو عند القدرة ما رُوي عن المأمون أنّه لمّا خرج عليه عمّه إبراهيم بن المهدي وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد و خلعوا المأمون وكان إذ ذاك بخراسان، فلمّا بلغه الخبر قصد العراق، فلمّا دخل بغداد اختفي إبراهيم بن المهدي وعاد العبّاسيون وغيرهم إلي طاعة المأمون، ولم يزل المأمون متطلّباً إبراهيم حتّي أخذه مستنقباً مع نسوة، فحُبس ثم أحضر حتّي وقف بين يدي المأمون فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال له

1- إعلام الوري 2: 26.

المـأمون: لاـ سـلّم الله عليـك ولا قرّب دارك، اسـتغواك الشـيطان حتي حـدّثتك نفسك بما تنقطع دونه الأوهام، فقال إبراهيم: مهلاً يا أمير المؤمنين فـإنّ ولّي الأمر يحكم في القصاص والعفو، والعفو أقرب للتقوي، ولك من رسول الله صـلي الله عليه وآله و شـرف القرابـة وعـدل السـياسة، ومن تناول الاغترار بما مـدّله من أسـباب الرجاء أمن عادية الدهر علي نفسه، وهجمت به الأيام علي التلف، وقد جعلك الله فوق كلّ ذي ذَنْب كما جعل كلّ ذي ذنب دونك، فإن أخذت فبحقّك، وإن عفوت فبفضلك، والفضل أولي بك يا أمير المؤمنين، ثم قال :

ذنبي إليك عظيمٌ *** وأنت أعظم منه

فخذ بحقّك أو لا *** فاصفح بعفوك عنه

إن لـم أكن في فِعالي *** من الكرام فكُنه

فلمّا سـمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال: يا إبراهيم القدرة تذهب بالحفيظة، والندم توبة، وبينهما عفو الله وهو أعظم ممّا يحاول وأكثر ممّا يؤمّل، ولقد حبّب إليّ العفو حتّي خفت ألاّ أوجر عليه، لا تثريب عليك، وردّ أمواله جميعها إليه، فقال فيه مخاطباً:

رددتَ مالي ولـم تمنن عليّ به *** وقبل ردّك مالي قد حقنت دمي

فإن جحدتُكَ ما أوليت من كرم *** إنّي لباللؤم أولي منك بالكرم(1)

***

وحُكي أنّه أشـرف يومـاً علي قصـره فرأي رجلاً يكتب بفحمـة علي حائط قصـره فقال لبعض خـدمه: إذهب إلي ذلك الرجل فانظر ما كتب وائتني به، فبادر الخادم إلي الرجل مسرعاً وقبض عليه وقال: ما كتبت؟ فإذا هو قد كتب بيتين أوّلهما:

يا قصر جمّع فيك الشؤم واللؤمُ *** متي يعشعش في أركان البومُ

1- الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي 2: 252 - 253.

فقـال له الخادم: أجِب أمير المؤمنين، فقال الرجل: سألتك بالله لا تـذهب بي إليه، فقال الخادم: لا بـدّ من ذلك، ثمّ ذهب به، فلمّا مثل بين يدي المأمون وأعلم بما كتب، قال له المأمون: ويلك ما حملك علي هذا؟ فقال يا أمير المؤمنين إنّه لا يخفي عليك ما حواه قصـرك هذا من خزائن الأموال والحلل والطعام والشـراب والفرش والأواني والأمتعة والجواري والخدم وغير ذلك ممّا يقصـر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي، وإنّي قـد مررت عليه الآن وأنا في غاية الجوع والفاقة، فوقفت مفكّراً في أمري وقلت في نفسـي: هذا القصـر عامر عال وأنا جائع ولا فائدة لي فيه، فلو كان خراباً ومررت به لم أعدم رخامة أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوّت بثمنه، أو ما علم أمير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرءٍ *** نصيبٌ ولا حظّ تمنّي زوالها

وما ذاك من بُغضٍ لها غير أنّه *** يُرجّي سواها فهو يهوي انتقالها

فقال المأمون: يا غلام أعطه ألف درهم، ثم قال: هي لك في كلّ سنة ما دام قصرنا عامراً بأهله مسروراً بدولته.(1)

***

الرشيد وعفوه عن الخارجي:

ومن ذلك ما رُوي من أنّ الرشيد بن المهدي خرج عليه خارجيّ رام زوال ملكه وإفساد دولته، فجهّز له جيشاً وأنهض الناس والجند للخروج لقتاله، فلمّا توجه الجيش إليه و ظفروا به أحضـروه إلي دار الخلافة، فلما دخل علي الرشـيد قال له: ما تريد أن أصـنع بك؟ قال: اصنع بي ما تريـد أن يصـنع الله بك إذا وقفت بين يـديه، وهو أقدر عليك منك عليَّ، فأطرق الرشـيد مليّاً ثم رفع رأسه وأمر باطلاقه، فلمّا خرج قال بعض الحاضرين: يا أمير المؤمنين تقتل رجالك

1- بحار الأنوار 91: 332 - 333.

وتفني أموالك و تظفر بهـذا الذي خرج عليك وأفسد في بلادك و تُطلقه بكلمة واحدة، تأمّل يا أمير المؤمنين هذا الأمر فإنّه يُجرّئ عليك أهل الفساد، فأمر الرشـيد بردّه فلمّا عاد ومثل بين يـديه علم أنّه قـد سُعي به وأشـير علي الخليفـة بقتله، فقال: يا أمير المؤمنين لا تُطع فيّ مشـيراً يمنعـك عفواً تـدّخر به عنـد الله يـداً، ويبعثـك علي الانتقـام الـذي ليس من مكارم الأخلاق، واقتـدِ بالله تعالي فإنّه لو أطاع فيك مُشـيراً ما استُخلِفتَ طرفة عين، وأحسِن كما أحسن الله اليك، فأمر باطلاقه وقال: لا تعاودوني فيه.

***

معن بن زائدة وعفوه عن الاسري:

وحكي عن معن بن زائدة أنّه أتي بجملة من الأسري فعرضهم علي السيف، فقال له بعضهم: أصلح الله الأمير نحن أسراك وبنا جوع وعطش فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل، فأمر لهم بطعام وشـراب، فأكلوا وشـربوا ومعن ينظر إليهم، فلمّا فرغوا قال الرجل: أصلح الله الأمير كنّا أسراك ونحن الآن أضيافك، فانظر ما تصنع بأضيافك، قال:قد عفوت عنكم، فقال الرجل: أيّها الأمير ما ندري أيّ يوم أشرف، يوم ظفرك بنا أو يوم عفوك عنّا، فأمر لهم بمال و كسوة.(1)

المروءة النادرة:

لمّا أفضت الخلافـة إلي بني العباس اختفت رجال من بني أمية منهم إبراهيم بن سـليمان بن عبد الملك، و كان رجلاً عالماً أديباً كاملاً وهو في سنّ الشبيبـة، فأخـذوا له أماناً من السـفاح، فقال له يوماً: حـدّثني عمّا مرّبك في اختفائك، قال: كنت مختفياً بالحيرة في منزل شارع علي الصحراء، فبينما أنا علي ظهر البيت إذ نظرت أعلاماً سوداً قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة،

1- الفرج بعد الشدّة 2: 284.

فتخيّلت أنها تريدني، فخرجت من الدار متنكّراً حتي أتيت الكوفة ولا أعرف أحداً أختفي عنده، فبقيت في حيرة فإذا أنا بباب كبير رَحْبته واسعة، فدخلت فيها فإذا رجل وسيم حسن الهيئة علي فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه، فقال: من أنت وما حاجتك؟ فقلت: رجل خائف علي نفسه وقد استجار بمنزلك، فأدخلني منزله ثم صيّرني في حجرة تلي حرمه، وكنت عنده في ذلك علي ما أحبّه من مطعم ومشرب وملبس، لا يسألني عن شيء من حالي، إلا أنّه يركب في كلّ يوم ركبة، فقلت له يوماً: أراك تُدمن الركوب ففيم ذلك؟ قال: إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبراً وقد بلغني أنّه مُختفٍ أطلبه لأدرك منه ثاري، فكثر والله تعجّبي، وقلت: القدر ساقني إلي حتفي في منزل من يطلب دمي و كرهت الحياة، فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه، فأخبرني فعلمت أنّ الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه، فقلت له: يا هذا قد وجب علي حقّك، ومن حقّك أن أدلّك علي خصمك وأقرّب إليك الخطوة، قال: وما ذاك؟ قلت: أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ بثارك، فقال: إنّي أحسبك رجلاً قد مضّه الاختفاء فأحببت الموت، فقلت: لا والله ولكن أقول لك الحقّ يوم كذا وكذا، فلمّا علم صدقي تغيّر لونه واحمرّت عيناه وأطرق ملياً، ثمّ قال: أما أنت فستلقي أبي عند حكمٍ عدل فيأخذ بثاره، وأمّا أنا فغير مُخفر ذمّتي، فاخرج عني فلست آمن عليك من نفسي، وأعطاني ألف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه، فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين.(1)

***

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 6: 416 - 417، ترجمة إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان.

من وصيّة له إلي ولده الحسن عليهما السلام:في الدعاء والتوبة إلي الله وعفوه تعالي

اشارة

واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِه خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَه لِيُعْطِيَكَ وتَسْتَرْحِمَه لِيَرْحَمَكَ ولَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَه مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْه ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَي مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْه ولَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ ولَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ ولَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ ولَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَي ولَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ ولَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ ولَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً وحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً وحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً وفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وبَابَ الِاسْتِعْتَابِ فَإِذَا نَادَيْتَه سَمِعَ نِدَاكَ وإِذَا نَاجَيْتَه عَلِمَ نَجْوَاكَ فَأَفْضَيْتَ إِلَيْه بِحَاجَتِكَ وأَبْثَثْتَه ذَاتَ نَفْسِكَ وشَكَوْتَ إِلَيْه هُمُومَكَ واسْتَكْشَفْتَه كُرُوبَكَ واسْتَعَنْتَه عَلَي أُمُورِكَ وسَأَلْتَه مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِه مَا لَا يَقْدِرُ عَلَي إِعْطَائِه غَيْرُه مِنْ زِيَادَةِ الأَعْمَارِ وصِحَّةِ الأَبْدَانِ وسَعَةِ الأَرْزَاقِ ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِه بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيه مِنْ مَسْأَلَتِه فَمَتَي شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِه واسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِه - فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِه فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَي قَدْرِ النِّيَّةِ ورُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ وأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ ورُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاه وأُوتِيتَ خَيْراً مِنْه عَاجِلًا أَوْ آجِلًا أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَه فِيه هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَه».(1)

***

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 87 - 88، طبع مكتبة المرعشي النجفي - قم.

إنّ الإمام علي عليه السلام ينحو مع ولده المحبوب نحواً خاصّاً يريده علي أن يسأل الله سبحانه و يُلحف في السؤال، يريده أن يستعين الله علي كلّ شيء مهما كان أمره.

وإنّه ليوحي عليه السلام بكلماته هذه النيّرة إلي ولده البارّ بأنّ خالقه وبارئه والذي بيده مقادير الأمور قد أفاض عليه نِعماً جساماً لا يستطيع لها عدّاً ولا حساباً . ولا يستطيع هو ومن في سواه أن يؤدّوا حقّها من الشكر.

الدعاء وشرائط القبول:

فالله سبحانه قد سهّل علي الانسان فأذن له في الدعاء بعد أن وعده الاجابة إلي كلّ ما تصبو إليه نفسه ما لم يخالف ذلك ما ترتئيه الإرادة الإلهيّة.

وقد أمر العبد أن يسأله ليعطيه، فهو سبحانه يقول: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»(1)

بَيد أنّ الدعاء مشروط بأن يكون علي وجه الاستكانة والخضوع مع الاعتراف بالذلّة والنقص والاضطرار والعجز قلباً ولساناً وهيئة، وأنّه لا فرج له إلاّ من لدن سيده،ولا خير له إلاّ من عنده قولاً وضميراً، وهل إخلاص العبادة إلاّ هذه الأحوال، فكان الدعاء بهذه الكيفيّة من أشرف العبادة، وبحسب العبادة يتمّ الشرف الانسانيّ ويخلص الغرض الإلهيّ.

الدعاء من مستلزمات العبادة، إذ هو الصلة التي تربط بين الانسان وخالقه، والدعاء فطري في الإنسان، فهو يشعر بحنين إلي الله، يفزع إليه عند الشدائد ويتضرّع إليه في كشف السوء عنه، فهو ضعيف أمام أحداث الحياة لا يجد سنداً لضعفه غير الدعاء، ولذلك اعتني القرآن الكريم بالدعاء وحثّ عليه، فقد جاء فيه «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»(2) وقال: « إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

1- البقرة: 186.

2- غافر: 60.

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ»(1) ففي هذه الآية وصف الله الدعاء بأنّه من العبادة التي يستحقّ من يستكبر عنها غضب الله.

والدعاء علاج نفسيّ لكثير من أمراض النفس، فالانسان بطبعه محتاج في مشكلاته لأن يُفضي بدخيلة نفسه إلي صديق حميم يخفّف عنه بعض ما يشعر به من الهمّ والحزن، وقد أجمع الأطباء النفسيّون علي أنّ علاج التوتّر العصبي والآلام النفسيّة إنّما يتوقّف إلي حدّ كبير علي الافضاء بسبب التوتّر ومنشأ القلق إلي صديق مخلص، فإنّ كتمانه ممّا يزيد المرض، فإذا أفضي الانسان المحزون إلي ربّه ما يعانيه وطلب منه ما يبتغيه فإنّه يشعر بطمأنينة ونفحة روحيّة تنتشله ممّا هو فيه من الهم والضيق، وذلك مع الايمان والاعتقاد التام بأنّ الله قريب منه مُجيب دعوته، كما أخبر بذلك القرآن بقوله: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ»(2) الآية.

قيل في سبب نزول هذه الآية أنّ أعرابياً جاء الي الرسول صلي الله عليه وآله فقال: أقريب ربُّنا فنُناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فسكت عنه الرسول، فأنزل الله هذه الآية.(3)

فوائد الدعاء:

وقد شرع الإسلام الدعاء أيضاً للسموّ الروحيّ والترفّع عن شهوات الجسد الضارّة والعروج به إلي معارج الكمالات بجانب ما يطلبه الداعي من فضل الله وتسيير أموره و كشف الضرّ عنه، ولهذا يعلّم الله عباده المؤمنين كيف يدعونه بما ذكره علي ألسنة أنبيائه وعباده الصالحين ممّا سنذكر بعضاً منه:

«رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ».(4)

1- غافر: 60.

2- البقرة: 186.

3- تفسير مجمع البيان 2: 18.

4- إبراهيم: 40.

«رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي».(1)

«رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ».(2)

«رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».(3)

«رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ».(4)

«رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».(5)

«رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».(6)

«رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا».(7)

«رب اشرح لي صدري * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي».(8)

«رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً».(9)

كلمة للعلاّمة السيّد هبة الدين الشهرستانيّ حول الدعاء تحت عنوان:

1- الاحقاف: 15.

2- آل عمران: 8.

3- البقرة: 286.

4- الأعراف: 23.

5- المؤمنون: 94.

6- يونس: 85.

7- الكهف: 10.

8- طه: 25 و 26.

9- البقرة: 201.

أدعية القرآن:

«إنّ الله عزّوجَل أمر عباده بالدعاء ووعدهم الاستجابة، قال سبحانه وتعالي: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»(1) وإنّ الله لا يُخلف الميعاد.

وقد كانت الأدعية المزبورة في القرآن العظيم أعلي أدعية العالمين شأناً، وأجمعها معنيً، وأوجزها لفظاً، وأسهلها حفظاً، وأفصحها عبارة، وأبلغها دلالة، وأثوبها تلاوة، هي الكلمات الإلهيّة التامّة، فالأحري أن نكلّم الله بها، هي أسماؤه الحسني و آياته العليا فادعوه بها، هي الكلم الطيّب الذي يصعد إليه، هي الدعوات الحسني التي تقبل لديه، فرأيت من اللازم المستحسن جمعها وتفريقها علي أرباب الحوائج والمهمّات خدمة للمنيبين إليه، وذخيرة ليوم وُفودي عليه، إنّه لا يُضيع أجر من أحسن عملاً.

***

1- غافر: 60.

فصول أربعة

الأوّل: في حقيقة الدعاء

إنّ الدعاء في العرف العام طلب توجّه المدعوّ نحو الذي يدعوه. يقال: دعا زيد عمرواً أي استلفت فكره ونظره إلي نفسه بالنداء أو الإشارة أو التسمية أو غيرها، ومنه الآية «ثُمّ ادْعُهُنّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا»،(1) ويقال أيضاً: دعاه إلي بيته أو إلي طعامه، ومنه الآيتان «إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا»(2) «إِنّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ».(3)

ومعني الدعاء في عرف الشريعة الإسلامية هو أيضاً طلب توجّه الله سبحانه نحو الداعي لكي يجيبه، إلاّ أنّ المراد من توجّه الباري عزّ اسمه هو توجّه فيضه وفضله، إذ يستحيل عليه تعالي أن يتوجّه بفكره أو بجسمه إلي أحد، كما إنّ المراد من إجابته أيضاً قضاؤه لحاجة عبده وإعطاؤه لسؤاله دون أن تكون إجابته بإشارة أو تلبية أو غيرها.

الفصل الثاني: في استحباب الدعاء وفوائده

قد عرفت أنّ حقيقة الدعاء طلب توجّه الله سبحانه نحو عبده بفيضه وفضله، فاعرف أيضاً أنّه بهذا المعني سُنّة مؤكّدة بنصّ الكتاب العزيز وبالسنّة المتواترة، وعلي استحبابه إجماع طوائف المسلمين أجمع، ولا مفسدة فيه لدي العقول السليمة، بل العقول قاضية بحسنه، ناطقة بمصالحه وحكمه.

وفي خلال هذه الأعوام أخذ نزر من كبار المتفلسفة وأركان الضلالة وبغاة المتفرنجة «الَّذِينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا»،(4)

1- البقرة: 260.

2- الأحزاب: 53.

3- القصص: 25.

4- الكهف: 104.

يُكثرون التساؤل عن فائدة الدعاء وحكمة تشريعه ومصالح التمسّك به، و كان جوابي المقنع لهم أوجه من القول، والجواب تختلف وجوهه بحسب اختلاف نزعات السائلين.

فمن تلك الوجوه أنّ أفكار الانسان مقدّمات أعماله، وسلسلة أفكاره معلّقة بحبال آماله، والأمل أقوي عامل في خياله، هذه قضايا مثبّتة في ألواح الأذهان كما هي ثابتة في صحائف الحقيقة والوجود، فما لم يشغل المرء دولاب خياله لم تنعقد فيه فرائد آماله، وما لم يكن للإنسان أمل لا يصدر منه عمل، كما أنّ ظهور آمالك من صدور أعمالك، هذه حلقات في سلسلة الكون بعضها متّصل ببعض لا مناص لأحدها من الأخري، فكلّما قوي خيالك قويت آمالك واشتدّ استحضارك لغايتك المطلوبة، ومهما اشتدّ استحضارك للغاية في نظرك ازداد توجّهك إليها وإلي مقدّماتها ومبادئها، ومتي ازداد توجّهك نحو أملك واستوثقت قوي عملك قوي عزمك ونشطت جوارحك وكنت إلي نيل المرام أقرب بحكم العقل والحسّ مع التجربة من دون ريبة أو خلاف، ولا شكّ في أنّ إلحاح الداعين ودعوات السائلين وضراعة الراغبين من أكبر العوامل في تقوية الفكر والخيال وتربية العزائم والآمال، وأنّها من أقوي المؤثّرات في استحضار المبادئ والغايات، وفي جمع الأفكار وتوجيهها نحو المقاصد والمقدمات. فلو لم يكن للدعاء أثر نافع في المجمع البشريّ غير هذا لكفي أيّما كفاية، وهل ينتفع المرء من شيء كانتفاعه من أمر يُقرّبه من آماله، ويشجّعه في مشاقّ أعماله، ويؤمّله نيل المهمّة، ويؤمنه صدق العزيمة والغنائم بالعزائم).

سؤال وجواب:

سألني البعض: إنّنا ندعو الله كثيراً ولا يستجيب دعاءنا كما وعدنا في قوله تعالي: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ»(1) فأجبتهم: إن الله سبحانه

1- البقرة: 186.

وتعالي يقول: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ»(1) فما رعيتم عهده وعبدتم عدوّكم وعدوّه، إذن فلا يجب علي الله أن يفي بوعده وعهده معكم، لأنّه القائل وقوله الحقّ: «أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ»،(2) و«فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ»(3) فمن لم يذكر الإله ولم يشكر آلاءه ورغب عِداه ورهب من عداه وعبد الشيطان واتّبع هواه ولم يفِ بعهده مع الله فما له استحقاق أن يستجيب الله دُعاه.

الفصل الثالث: في اقتران الدعاء بالاهتمام والعمل

إنّ كثيراً من قليلي العلم من ذوي العقول القاصرة من الذين حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء، تراهم إذا أقبلوا علي الدعاء أدبروا عن العمل والاهتمام، وتركوا تدبير الأسباب الميسورة لهم، وزعموا أنّ الإقبال علي الدعاء والتوكّل علي الله ينافيان السعي وراء تدبير الأسباب المقرّبة نحو المطلوب، لكنّ ذلك وهمٌ ومضلّة وبدعة في الدين ومخالفة لسنّة سيّد المرسلين، فإنّه كان ـ بلا ريب ـ أعظم المتوكّلين علي ربّ العالمين، وكان له الدعوة مستجابة، وكان صلي الله عليه وآله مع ذلك كلّه أكثر الناس تدبيراً للأسباب الممكنة، وأشدّهم توجّهاً نحو القوي الظاهرة، فكان صلي الله عليه وآله يحشد الجيوش المستعدّة ويستعمل القوي المعدّة، ويهتمّ بكلّ عِدّة وعُدّة، ويستعين بالقبائل وبالوسائل، وبالمال والرجال، يتّجر ويزرع، ويحفر الخندق، ويسترشد السالك، ويعرض بنفوس أعزّته وأحبّته المهالك، إلي غير ذلك.

فلماذا ـ يا تري ـ يرتكب هذه المشاقّ ولم يقنع بالدعاء وحده، مع أنّ دعاءه أقرب إلي الاستجابة من كلّ إنسان، وكان في اكتفائه بالدعاء حفظ

1- يس: 60.

2- البقرة: 40.

3- البقرة: 152.

النفوس من التلف وصيانة الأموال من الضياع، أليس أصحابه الكرام وأولياؤه والتابعين لسيرته عليهم السلام أدري وأعرف بحقائق الإسلام، وكانوا يتهالكون في سبيل الاستعانة بالوسائل والقوي، ويجتهدون سعياً وراء تدبير الأسباب الممكنة، كي تقرّبهم من إنجاح مقاصدهم وأمانيهم، ولم يكونوا قانعين مكتفين بالدعاء وحده وهم في دعائهم و توكّلهم أفضل من كثير بكثير.

أليس القرآن العظيم يأمر الناس بتدبير الأسباب المقرّبة من النجاح واجتناب مناهج الخيبة، كما يأمرهم بدعاء الله سبحانه والتوجّه إليه والتوكّل عليه، فيقول عزّ اسمه في كتابه العزيز: «خُذُوا حِذْرَكُمْ»(1) «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ»(2) «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ»(3) فاذن يا صاح «خُذَ التوسطً واجتنب التفريط والتورط».

تمسّك بالدعاء لمهمّاتك ولا تضجر من الالحاح في المسألة، ثمّ اجتهد أيضاً في تدبير الأسباب الموصلة، حتّي لا تكون في ترك الدعاء الذين «نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ»(4) ولا تكوننّ في تقاعدك وتقاعسك كالذين قالوا لنبيّهم: «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ»(5) لأنّ الله قد فضّل المجاهدين علي القاعدين وخصّهم بأجر عظيم.

الفصل الرابع: في آداب الدعاء والمسألة

إنّ الدعاء ـ كما عرفتَ ـ سنّة مؤكدة، والأمر به ثابت بنصّ القرآن والأحاديث المتواترة، و حُسنه أو استحبابه قضيّة ضروريّة من الدين بين المسلمين، والاستكبار عنه يجرّ إلي النار وبئس القرار، واليأس منه قنوط من رحمة الله أو إساءة ظنٍّ به، وفي

1- النساء: 71.

2- الأنفال: 60.

3- النجم: 39.

4- الحشر: 19.

5- المائدة: 24.

المواظبة عليه ظفر و توفيق، وعمله قربة إلي الله وزُلفي وحسن مآب.

ولا يستلزم الدعاء من الآداب والشرائط والسنن غير ما سنّه الله لعباده في كتابه العزيز، كالخشوع لله والضراعة لديه، واستكانة القلب والوقار واستحضار المشاعر، كما في الآية «وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ»،(1) ومثل الاخلاص للحقّ والتوجّه إليه وحده بكلّ الحواس الظاهرة والباطنة كما في القرآن.

«وَلَا تَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ»(2) «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَدًا»(3)

ومثل الالحاح في مسألة الله وكثرة دعائه، كما في القرآن «فَاذْكُرُوا اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا»(4) «وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيرًا»(5)

ومثل الدعاء بأسماء الله الحسني وصفاته العليا، وبالكلمات الطيّبة، وبأحسن البيان والذكر الجميل، كما في القرآن الكريم «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»(6) «وَلِلّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا».(7)

ولا تنسي أنّ الركن الأساسي في إصلاح شأن الدعاء تزكية النفس و تقديس النيّة من كلّ فساد وباطل، والتوجّه الكامل والله وليّ الاجابة و إليه الانابة.

***

1- الأعراف: 55.

2- القصص: 88.

3- الجن: 18.

4- البقرة: 200.

5- الأنفال: 45.

6- فاطر: 10.

7- الأعراف: 180.

عشرون باباً

الباب الأوّل: في الاستعاذة بالله سبحانه من الشياطين

«بِسْمِ اللّهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ النّاسِ مَلِكِ النّاسِ إِلَهِ النّاسِ مِنْ شَرّ الْوَسْوَاسِ الْخَنّاسِ الّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النّاسِ مِنَ الْجِنّةِ وَالنّاسِ».(1)

2 ـ «وَقُلْ رَبّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشّيَاطِينِ».(2)

3 ـ «وَأَعُوذُ بِكَ رَبّ أَنْ يَحْضُرُونِ».(3)

الباب الثاني: في الإستعاذة بالله سبحانه من الشرور والأشرار ومن سيّئات الأعمال

1 ـ «بِسْمِ اللّهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ الْفَلَقِ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرّ النّفّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ».(4)

2 ـ «رَبّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ».(5)

3 ـ «أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ».(6)

4 ـ «رَبّ نَجّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ».(7)

5 ـ «رَبّ نَجّنِي وَأَهْلِي مِمّا يَعْمَلُونَ».(8)

1- الناس: (114).

2- المؤمنون: 97.

3- المؤمنون: 98.

4- الفلق: (113).

5- هود: 47.

6- البقرة: 97.

7- القصص: 21.

8- الشعراء: 169.

6 _ «وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».(1)

7 _ «رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».(2)

8 _ «رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».(3)

9 _ «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».(4)

10 _ «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».(5)

11 _ «رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ».(6)

الباب الثالث: و في الاستعاذة من النار ومن عذاب الملك القهار

1 _ «رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ».(7)

2 _ «رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا».(8)

3 _ «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ».(9)

4 _ «وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ».(10)

1- يونس: 86.

2- المؤمنون: 94.

3- التحريم: 11.

4- يونس: 85.

5- الممتحنة: 5.

6- إبراهيم: 35.

7- الدخان: 12.

8- الفرقان: 65.

9- غافر: 7.

10- الشعراء: 87.

5 _ «رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ».(1)

6 _ «رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».(2)

7 _ «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».(3)

8 _ «رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ».(4)

9 _ «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».(5)

الباب الرابع: في الدعاء للأبوين

1 _ «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا».(6)

2 _ «وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ».(7)

3 _ «رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا».(8)

4 _ «رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ».(9)

5 _ «رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».(10)

1- آل عمران: 194.

2- آل عمران: 16.

3- آل عمران: 191.

4- آل عمران: 192.

5- البقرة: 201.

6- نوح: 28.

7- الشعراء: 86 و 87.

8- الإسراء: 24.

9- إبراهيم: 41.

10- غافر: 8 و9.

الباب الخامس: في الدعاء لطلب الذّريّة والأولاد والأزواج

1 ـ «رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ».(1)

2 ـ «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ».(2)

3 ـ «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي».(3)

4 ـ «رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ».(4)

5 ـ «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا».(5)

6 ـ «عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ».(6)

الباب السادس: في الدعاء للذّريّة والأولاد

1 ـ «رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ».(7)

2 ـ «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ».(8)

3 ـ «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».(9)

1- آل عمران: 38.

2- الصافّات: 100.

3- مريم: 5 و6.

4- الأنبياء: 89.

5- الفرقان: 74.

6- القلم: 32.

7- البقرة: 126.

8- إبراهيم: 40.

9- النمل: 19.

4 ـ «عَسَيٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَيٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ».(1)

5 ـ «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».(2)

6 ـ «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا».(3)

7 ـ «رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».(4)

8 ـ «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ».(5)

الباب السابع: في الدعاء للاخوان

1 ـ «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».(6)

2 ـ «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ».(7)

1- القلم: 32.

2- البقرة: 128.

3- الفرقان: 74.

4- غافر: 8 و 9.

5- إبراهيم: 37.

6- الأعراف: 151.

7- الحشر: 10.

الباب الثامن: في الدعاء لعموم المؤمنين والمؤمنات

1 _ «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ».(1)

2 _ «رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ».(2)

3 _ «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ».(3)

4 _ «رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».(4)

الباب التاسع: في الدعاء لطلب الهداية والاستقامة (في الدين)

1 _ «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي».(5)

2 _ «رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا».(6)

3 _ «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ».(7)

1- نوح: 18.

2- إبراهيم: 41.

3- غافر: 7.

4- غافر: 8 و 9.

5- طه: 25 - 28.

6- الإسراء: 80.

7- الشعراء: 83 - 85.

4 ـ «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».(1)

5 ـ «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ».(2)

6 ـ «رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».(3)

7 ـ «فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ».(4)

8 ـ «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».(5)

9 ـ «رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ».(6)

10 ـ «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ».(7)

11 ـ «رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا».(8)

12 ـ «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ».(9)

13 ـ «رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ».(10)

1- النمل: 19.

2- إبراهيم: 40.

3- التحريم: 8.

4- يوسف: 101.

5- البقرة: 128.

6- البقرة: 250.

7- الفاتحة: 6 و7.

8- الكهف: 10.

9- آل عمران: 8.

10- آل عمران: 193.

14 ـ «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».(1)

الباب العاشر: في الدعاء لطلب الخيرات والحسنات

1 ـ «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ».(2)

2 ـ «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».(3)

3 ـ «وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ».(4)

4 ـ «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».(5)

5 ـ «رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ».(6)

6 ـ «وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ»(7)

الباب الحادي عشر: في الدعاء لطلب العلم والحكمة

1 ـ «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي».(8)

1- النمل: 19.

2- القصص: 24.

3- النمل: 19.

4- الشعراء: 85.

5- البقرة: 201.

6- آل عمران: 194.

7- الأعراف: 156.

8- طه: 25 - 28.

2 ـ «رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا».(1)

3 ـ «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ».(2)

4 ـ «رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا».(3)

5 ـ «رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا».(4)

6 ـ «وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ».(5)

7 ـ «رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَيٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».(6)

8 ـ «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهّابُ».(7)

الباب الثاني عشر: لطلب الرحمة والغفران وتكفير السيئات

1 ـ «رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ».(8)

2 ـ «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِ».(9)

3 ـ «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ».(10)

1- الأسراء: 80.

2- الشعراء: 83 و 84.

3- طه: 114.

4- الكهف: 10.

5- البقرة: 128.

6- التحريم: 8.

7- آل عمران: 8.

8- هود: 47.

9- القصص: 16.

10- نوح: 18.

4 _ «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».(1)

5 _ «أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ».(2)

6 _ «رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ».(3)

7 _ «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».(4)

8 _ «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ».(5)

9 _ «رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ».(6)

10 _ «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».(7)

11 _ «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا نَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».(8)

12 _ «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ».(9)

13 _ «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ

1- الأعراف: 151.

2- الأعراف: 152.

3- إبراهيم: 41.

4- آل عمران: 147.

5- الأعراف: 23.

6- المؤمنون: 109.

7- البقرة: 286.

8- الممتحنة: 5.

9- الحشر: 10.

وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».(1)

14 _ «رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».(2)

15 _ «رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ».(3)

16 _ «رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَيٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».(4)

17_ «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ».(5)

18 _ «رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا».(6)

الباب الثالث عشر: لطلب التوبة وقبول الأعمال

1 _ «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَيٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».(7)

2 _ «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ».(8)

3 _ «سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ».(9)

1- غافر: 7- 9.

2- آل عمران: 16.

3- آل عمران: 193.

4- التحريم: 8.

5- البقرة: 285.

6- الكهف: 10.

7- النمل: 19.

8- إبراهيم: 40.

9- الأعراف: 143.

4 _ «رَبّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرّيّتِنَا أُمّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنّكَ أَنْتَ التّوّابُ الرّحِيمُ».(1)

5 _ «وَاكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنّا هُدْنَا إِلَيْكَ».(2)

6 _ «قَالُوا رَبّنَا أَمَتّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَيٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ».(3)

7 _ «رَبّنَا عَلَيْكَ تَوَكّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ».(4)

8 _ «رَبّنَا تَقَبّلْ مِنّا إِنّكَ أَنْتَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ».(5)

الباب الرابع عشر: في الدعاء لطلب حسن المثوي

1 _ «رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنّةِ وَنَجّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ».(6)

2 _ «وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنّةِ النّعِيمِ».(7)

3 _ «رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ».(8)

4 _ «رَبّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظّالِمِ أَهْلُهَا».(9)

1- البقرة: 128.

2- الأعراف: 156.

3- غافر: 11.

4- الممتحنة: 4.

5- البقرة: 127.

6- التحريم: 11.

7- الشعراء: 85.

8- المؤمنون: 29.

9- النساء 75.

الباب الخامس عشر: الطلب الرزق واليُسر في الأمور وحسن العيش

1 ـ «أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ».(1)

2 ـ «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ».(2)

3 ـ «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي».(3)

4 ـ «رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ».(4)

5 ـ «اللّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ».(5)

6 ـ «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهّابُ».(6)

7 ـ «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ».(7)

الباب السادس عشر: في الدعاء لطلب السلامة والأمان

1 ـ «رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ».(8)

1- الأنبياء: 83.

2- القصص: 24.

3- طه: 25 - 31.

4- البقرة: 126.

5- المائدة: 114.

6- ص: 35.

7- إبراهيم: 37.

8- البقرة: 126.

2 _ « رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ».(1)

3 _ «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».(2)

4 _ «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا».(3)

الباب السابع عشر: لطلب النصر والظفر ومزيد القوّة والأنصار

1 _ «رَبِّ انْصُرْنِي عَلَي الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ».(4)

2 _ «رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ».(5)

3 _ «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ».(6)

4 _ «أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ».(7)

5 _ «وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي».(8)

6 _ «وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا».(9)

7 _ «رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».(10)

1- إبراهيم: 35.

2- يونس: 85.

3- النساء: 75.

4- العنكبوت: 30.

5- المؤمنون: 39.

6- الصافّات: 100.

7- القمر: 10.

8- طه: 29 - 31.

9- النساء: 75.

10- البقرة: 250.

8 _ «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا».(1)

9 _ «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».(2)

10 _ «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».(3)

11 _ «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»،(4) «أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ»،(5) «وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ»(6) «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّيٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ».(7)

12 _ «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».(8)

13 _ «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَي الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا».(9)

14 _ «قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».(10)

15 _ «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا».(11)

1- الأحزاب: 68.

2- آل عمران: 147.

3- الممتحنة: 5.

4- يونس: 85.

5- البقرة: 286.

6- يونس: 86.

7- يونس: 88.

8- البقر: 286.

9- نوح: 26 و 27.

10- الشعراء: 118.

11- نوح: 28.

16 _ «رَبّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ».(1)

الباب الثامن عشر: لطلب الصبر وتوفيق الثبات

1 _ «رَبّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفّنَا مُسْلِمِينَ».(2)

2 _ « رَبّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».(3)

3 _ «رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ».(4)

الباب التاسع عشر: في الدعاء لطلب النجاة من الظالمين

1 _ «رَبِّ نَجّنِي وَأَهْلِي مِمّا يَعْمَلُونَ».(5)

2 _ «وَنَجّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ».(6)

3 _ «رَبّنَا اكْشِفْ عَنّا الْعَذَابَ إِنّا مُؤْمِنُونَ».(7)

4 _ «رَبّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ».(8)

5 _ «رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظّالِمِينَ».(9)

1- الأعراف: 89.

2- الأعراف: 126.

3- البقرة: 250.

4- آل عمران: 147.

5- الشعراء: 169.

6- التحريم: 11.

7- الدخان: 12.

8- يونس: 85.

9- المؤمنون: 94.

6 _ «فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».(1)

الباب العشرون: لطلب الدخول في صفّ الأخيار

1 _ «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنّةِ النّعِيمِ».(2)

2 _ «وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصّالِحِينَ».(3)

3 _ «سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوّلُ الْمُؤْمِنِينَ».(4)

4 _ «فَاطِرَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصّالِحِينَ».(5)

5 _ «رَبّنَا إِنّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبّكُمْ فَآمَنّا رَبّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفّرْ عَنّا سَيّئَاتِنَا وَتَوَفّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ».(6)

6 _ «رَبّنَا آمَنّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتّبَعْنَا الرّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشّاهِدِينَ».(7)

7 _ «رَبّنَا آمَنّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشّاهِدِينَ».(8)

8 _ « رَبّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفّنَا مُسْلِمِينَ».(9)

1- الشعراء: 118.

2- الشعراء: 83 - 85.

3- النمل: 19.

4- الأعراف: 143.

5- يوسف: 101.

6- آل عمران: 193.

7- آل عمران: 53.

8- المائدة: 83.

9- الأعراف: 126.

9 _ «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».(1)

10 _ «نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ».(2)

من هذه الأدعية يتبيّن لك مصدرها السماويّ، قصّها الله علينا لندعو بها في فترات الزمن القاسية وللترقّي الروحيّ.

أدعية أهل البيت عليهم السلام :

ولنذكر هنا جملة قصيرة من الأدعية المأثورة عن أهل البيت طلباً البركتها والنفع بها:

كان من دعاء رسول الله صلي الله عليه وآله إذا أصبح أن يقول: «أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والجلال، والخلق والأمر والليل والنهار وما يسكن فيهما لله عزّوجَل وحده لا شريك له، اللهمّ اجعل أوّل يومي هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً، اللهم إنّي أسألك خير الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين، اللهمّ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلّغنا به رحمتك، ومن اليقين ما تُهوّن به علينا مصيبات الدنيا، اللهمّ متّعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعله الوارث منّا، وانصرنا علي مَن ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ عِلمنا، ولا تُسلّط علينا من لا يرحمناه».(3)

وكان من دعاء أمير المؤمنين عليه السلام، و كان يدعو به عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام وهو من أدعية الصحيفة:

1- البقرة: 128.

2- المائدة: 84.

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 178: 6.

«يا من يرحم من لا يرحمه العباد، يا من يقبل من لا تقبله البلاد، ويا من لا يحتقر أهل الحاجة إليه، يا من لا يَجْبّه بالرّد أهل الإلحاح عليه، يا من لا يخفي عليه صغير ما يتحف به، يا من لا يضيع يسير ما يُعمل له، يا من يشكر علي القليل ويجازي بالجليل، يا من يدنو إلي من دنا منه، يا من يدعو إلي نفسه من أدبر عنه، يا من لا يغيّر النعمة ولا يبادر بالنقمة، يا من يثمر الحسنة حتّي ينميها، ويتجاوز عن السيئة حتّي يعفيها، انصرفَتْ دون مدي كرمك الحاجاتُ وامتلأتْ بفيض جودك أوعية الطلبات...» الي آخر الدعاء.(1)

ومن دعاء الحسين عليه السلام يوم عرفة: «إلهي علمتُ باختلاف الآثار و تنقّلات الأطوار أنّ مرادك منّي أن تتعرّف إليّ في كلّ شيء حتّي لا أجهلك في شيء».(2)

ومنه: «إلهي تردّدي في الآثار يوجب بُعد المزار، فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك، كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مُفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتي يكون هو المُظهِر لك، ومتي غبتَ حتّي تحتاج إلي دليل يدلّ عليك، ومتي بعدتَ حتّي تكون الآثار هي التي توصل إليك، عَمِيَت عينٌ لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقةُ عبدٍ لم تجعل له من حبّك نصيباً».(3)

ومنه وقد التزم الركن الاسود: «إلهي نعّمتي فلم تجدني شاكراً، وابتليتَني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سلبتَ النعمة بترك الشكر، ولا أدمت الشدّة بترك الصبر، إلهي لا يكون من الكريم إلاّ الكرم».(4)

وقيل: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام اعتمر فرأي رجلاً متعلّقاً بأستار الكعبة وهو يقول: «يا من لا يشغله سمع عن سمعٌ، يا من لا تغلّطه المسائل، ولا يُبرمه إلحاح

1- شرح نهج البلاغة 178: 6 -179.

2- بحار الأنوار 95: 225.

3- بحار الأنوار 95: 225 - 226.

4- العدد القويّة لعلي بن يوسف الحلّي: 35.

الملحّين، أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك وعذوبة عافيتك والفوز بالجنّة والنجاة من النار» فقال علي عليه السلام : «والذي نفسي بيده إن قالها وعليه مثل السماوات والأرض من الذنوب قولاً مخلصاً ليغفرنّ له».(1)

وقال عليه السلام: «للدعاء شروط أربعة: الأوّل إحضار النيّة، الثاني إخلاص

السريرة، الثالث معرفة المسؤل، الرابع الانصاف في المسألة».(2)

***

حُكي أنّ أحد الملوك كان عقيماً لا يولد له، فكان إذا انتصف الليل وهدأ الناس يخرج إلي الصحراء ويتضرّع إلي الله ويتوسّل إليه بأن يرزقه ولداً يقوم مقامه، حتّي مضي عليه زمن غير قصير، فضجر ذات ليلة وقال: إلهي لا أدري أقريب أنت تسمع ثمّ لا تجيب أم بعيد لا تسمع؟ ولمّا رجع هتف به هاتف يقول: يا فلان أنا قريب منك أقرب إليك من حبل الوريد، أسمع نداءك وأري مقامك، ولكن أريد أن تدعوني بقلب خالص وسريرة طاهرة ونفس نقيّة.

فالله جلّ شأنه يريد من العبد أن يدعوه بقلب طاهر خاشع، وضمير نقيّ، وجوارح متذلّلة، ويقين واثق بالاجابة، وأن لا يكون قلبه متشاغلاً بغيره، فقد روي أنّ موسي بن عمران مرّ عند مناجاته برجل ساجد يبكي ويدعو ويتضرّع، فقال موسي عليه السلام : ياربّ لو كانت حاجة هذا العبد بيدي لقضيتها، فأوحي الله إليه: يا موسي إنّه يدعوني وقلبه مشغول بغنم له، فلو سجد حتّي ينقطع صلبه وتتفقّأ عيناه لا أستجيب له حتي يتحوّل عما أبغض إلي ما أحبّ.(3)

موت القلوب بعشرة أشياء:

مرّ ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع إليه الناس وقالوا: يا أبا إسحاق

1- أمالي المفيد: 92؛ مناقب آل أبي طالب 2: 84 باختلاف يسير.
2- شجرة طوبي: 284، وأخرجه ابن ورّام في تنبيه الخواطر: 302 بلفظ قريب.
3- الكافي 8: 129/ ح 98.

ما لنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ قال: لأنّ قلوبكم ماتت بعشرة أشياء، الأوّل: أنّكم عرفتم الله فلم تؤدّوا حقّه، الثاني: زعمتم أنّكم تحبّون رسول الله وقد تركتم سنّته، الثالث: قرأتم القرآن ولم تعملوا به، الرابع: أكلتم نعمة الله ولم تؤدّوا شكرها، الخامس: قلتم إنّ الشيطان عدوّكم ووافقتموه، السادس: قلتم إنّ الجنة حقّ فلم تعملوا لها، السابع: قلتم إنّ النار حقّ ولم تهربوا منها، الثامن: قلتم إنّ

الموت حقّ فلم تستعدّوا له، التاسع: انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم، العاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم، فكيف يُستجاب لكم وأنتم علي مثل هذه الأحوال؟ إنّما يستجاب لمن كان ذا نيّة صادقة وضمير طاهر وقلب نقيّ، وما كان الله ليفتح باب التوبة ويغلق باب المغفرة لأنّه تعالي يقول: «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ»(1) وما كان الله ليفتح باب الشكر ويغلق باب الزيادة لأنّه يقول: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»(2) وما كان الله ليفتح باب التوكّل ولم يجعل للمتوكّل مخرجاً، فإنه سبحانه يقول: « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَي اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ».(3) (4)

قوله عليه السلام: «فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِه - فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَي قَدْرِ النِّيَّةِ وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ وأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاه - وأُوتِيتَ خَيْراً مِنْه عَاجِلًا أَوْ آجِلًا أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ».

إنّ الإمام عليه السلام يعلّم ولده بأنّه قد يسأل الله سبحانه فلا يجيبه إلي سؤله، أو قد يبطي عليه في الاجابة لا لأنّه عاجز قاصر عن أن يجيب، كلاّ وإنّما ذلك لأمر ما، فإنّ الله في شؤنه مصالح وحِكماً، وإنّ لها لسرّاً غامضاً وخبراً مكتوماً لا يطمع في ذلك بفهم أو

1- الشوري: 25.

2- إبراهيم: 7.

3- الطلاق: 2 و3.

4- شجرة طوبي 2: 384 - 385 نقلاً عن الارشاد للديلمي.

تأويل، لأنّ الله في شؤونه وإرادته لا يصلح لشيء من الفهم والتأويل.

وإنّه عليه السلام ليعلّمه بأنّ من الذنوب ما تكون حاجباً يحجب الدعاء عن القبول، أو يبطئ عليه في الإجابة، فلعلّ بين أعماله عملاً نابياً.

وهكـذا جاء في دعائه عليه السـلام المعروف بدعاء كميل «اللهمّ اغفرلي الذنوب التي تحبس الدعاء»(1) وهكذا كان النبي صلي الله عليه وآله يستعيذ بالله ويقول: وأعوذ بك من الذنوب التي تردّ الدعاء».(2)

الذنوب تمنع الغيث:

روي أنّ عيسـي بن مريم عليه السلام خرج يستسقي، فلمّا ضجروا قال لهم عيسي: من أصاب منكم ذنباً فليرجع، فرجعوا كلّهم ولم يبق معه في المفازة إلاّ واحد، فقال له عيسـي: أمالك من ذنب؟ فقال: والله ما علمتُ من شـيء غير أنّي كنت ذات يوم أصلّي فمرت بي امرأة فنظرت إليها بعيني هذه، فلما جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانتزعتها وأتبعتُ المرأة بها، فقال له عيسي: فادع الله حتّي أؤمّن علي دعائك، فدعا فتجلّلت السماء سحاباً ثمّ صبّت فُسقواه».(3)

وخرج سـليمان بن دواد عليه السـلام يستقي فمر بنملة ملقاة علي ظهرها رافعة قوائمها إلي السماء وهي تقول: اللهمّ إنّا خلق من خلقك ولا غِني بنا عن رزقك، فلا تُهلكنا بذنوب غيرنا. فقال سليمان: سُقيتم بدعوة غير كم.(4)

وأصاب بني إسـرائيل قحط فاستسـقي موسـي مراراً فما أجيب، فأوحي الله تعالي إليه: إنّي لا أسـتجيب لك ولمن معك وفيكم نمّام قد أصرّ علي النميمة،

1- مصباح المتهجّد: 844 من فقرات الدعاء المعروف بدعاء كميل.

2- عدّة الداعي: 197؛ مجمع البحرين 2: 38.

3- أخرجه الصنعاني في المصنّف 3: 94 باختصار يسير.

4- بحار الأنوار 61: 247.

فقال موسي: يارب من هو حتّي نُخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسي أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاماً، فتابوا بأجمعهم فسُقوا.(1)

النميمة وخطرها في المجتمع:

ولا ريب فإنّ من عرف حقيقة النميمة يعلم أنّ النمّام شر الناس وأخبثهم، كيف وهو لا ينفكّ عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغلّ والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة، وقد قال الله سبحانه: «وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ»(2) والنمّام يسعي في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسد في الأرض، وقال الله تعالي: «إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَي الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ»(3) والنمّام منهم، وقال رسول الله صلي الله عليه وآله: لا يدخل الجنة قاطع(4) ـ أي قاطع بين الناس ـ والنمّام قاطع بينهم، وقال صلي الله عليه وآله: شرّ الناس من اتّقاه الناس لشّره،(5) والنمّام منهم.

نصّ القانون الإسلاميّ علي حرمة النميمة وذمّ أهلها.

النميمة هي السعاية، ونمّ الحديث ينمّه سعي به ليوقع فتنة أو وحشة.

النميمة صفة خبيثة ومزّية رديئة، تجارة اللئام لقدح نار الخصام، وبضاعة الأوغاد لإيقاد نار الفساد، وهي سعاية كاسدة لغاية فاسدة.

النميمة مسبّبة عن اللؤم والحسد والخساسة، وربّما يعسر تحقّقها علي النمّام بدون زيادة أو نقصان، وبهذا تلازم الكذب والبغي والعدوان.

1- الجواهر السنية: 78؛ بحار الأنوار 72: 258.

2- البقرة: 27.

3- الشوري: 42.

4- مستدرك الوسائل 9: 108/ح 10371.

5- العقد الفريد 1: 313، ط الثانية؛ الموطأ لمالك 2: 904/ ح 4.

النميمة خيانة الأمانة ونبذ للأمان ومخالفة للايمان، فالنمّام خبيث خائن وفاجر غادر و شيطان بصورة إنسان.

النميمـة إفشـاء السـر وهتـك الستر عمّـا يكره كشـفه ويراد ستره، فإن كان ما ينمّ به عيباً ونقصاً في المحكيّ عنه كان النمّام جامعاً بين الغيبة والنميمة، و كما تكون النميمة بصريح الكلام تكون بالاشارة والكتابة وأنواع الكناية.

تتولّـد من النميمـة مفاسـد كثيرة أقلّها إيجاد التباعـد غالباً بين المنقول عنه والمنقول إليه، وترتّب عليها تحقّق العداوة، وربما أدّت إلي حرب شعواء وفتنة عمياء، ومن سبر السير والتاريخ ونظر إلي أعمال ذوي النميمة في كلّ زمان عرف آثارها.

قصة العبد النمام:

باع رجل عبـداً له فقال لمن اشتراه منه: مافيه عيب إلاّ النميمة، قال المشتري: رضـيت به، فمكث العبد عنده أياماً، ثمّ قال يوماً لزوجة مولاه: إنّ سـيّدي لا يحبّك وهو يريد أن يتزوّج عليك، فخذي الموسـي واحلقي من شعر قفاه عند منامه شعرات حتّي أسحره عليها فيحبّك، ثمّ قال لمولاه: إنّ إمرأتك اتّخذت خليلاً وتريد أن تذبحك وأنت نائم فتناوم لها حتي تعرف الحقيقة، فتناوم لها الزوج فجائت المرأة بالموسي ودنت منه فجزم بصـدق مقالـة العبـد، فقـام إليهـا فقتلها، وجاء أهل المرأة فقتلوه، ثمّ وقع القتال بين عشـيرة المرأة وعشـيرة الرجل ودخل في تلك الحرب أحلافهما حتّي أشرفوا علي الفناء،(1) وليس في البين سـبب إلاّ النميمة والتصوّرات الكاذبة التي اخترعها ذلك العبد الذي كان من آثارنميمته ما كان.

***

1- بحار الأنوار 72: 270.

قال عليه السلام في خطبة له:يوصي فيها بعدم الغفلة ويحذر من الكذب والرياء والحسد

اشارة

«فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الْإِدْهَانُ عَلَي الْمَعْصِيَةِ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ وَالشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَي مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ الصَّادِقُ عَلَي شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ وَالْكَاذِبُ عَلَي شَرَفِ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ».(1)

***

ضبط الألفاظ اللغويّة:

(الرخصة) التسهيل في الامر، والجمع رُخَص كغُرفة وغُرَف، و(الادهان) والمداهنة: إظهار خلاف ما تُضمر والغش، و (المنساة) و (المحضرة) محل النسيان والحضور، و(الشَّفا) طرف كل شيء، (والشرف) محرّكة: المكان العالي، و(المهواة) محل السقوط، و(المهانة) الذلّة والحقارة.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 6: 353 - 354، ج 2/ 123 من الطبعة الأولي.

المعني:

قوله عليه السلام: «فاستدركوا بقيّة أيامكم واصبروا لها أنفسكم» أي تداركوا ما أسلفتم من الذنوب والخطيئات فيما بقي لكم من الأوقات، واحبسوا أنفسكم عليها بتحمل مشاقّ الطاعات.

وفي الحديث: الصبر صبران: صبر علي ما تكره وصبر عمّا تحب،(1) فالصبر الأوّل مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها وثباتها وعدم انفعالها، وقد يسمّي سعة الصدر، وهو داخل تحت الشجاعة. والصبر الثاني مقاومة النفس القوتها الشهويّة، وهو فضيلة داخلة تحت العفّة.

قوله عليه السلام: «فإنّها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة» يعني أنّ الأيام الباقية التي يمكن فيها الاستدراك والتدارك قليلة في جنب الأيام التي تكون فيها الغفلة والتشاغل التي هي كثيرة بالنسبة إليها.

ولعلّ الإتيان بلفظة «تكون» دون «كانت» للإشعار بأنّ غفلتهم ليست مختصّة بما مضي، بل ربّما تكون فيما يأتي أيضاً، وذلك لما علم من حالهم أنّهم لا يستغرقون أوقاتهم الآتية بالتدارك والطاعة، فأمر عليه السلام بالتدارك فيما هو آت إذ ما مضي قد فات، فافهم.

قوله عليه السلام: «ولا تُرخّصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرّخص فيها مذاهب الظلمة»، أي مسالكها، والظاهر أنّ المراد بالترخيص للنفوس المسامحة والمساهلة لها، فيكون المقصود بالنهي المواظبة عليها و مجاهدتها.

جهاد النفس:

روي الكليني بإسناده عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ النبي

1- روضة الواعظين للفتال النيسابوري: 422؛ وسائل الشيعة 15: 228/ ح 20376، وفيهما: «الصبر علي ما تحبّ، وصبر علي ما تكره».

صلي الله عليه وآله بعث سـرّية، فلمّا رجعوا قال صـلي الله عليه وآله: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس».(1)

وفي الوسائل عن الصدوق بإسناده عن شعيب العقرقوفي، عن الصادق عليه السلام،قال: «من ملك نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا اشتهي و إذا غضب و إذا رضي حرّم الله جسده علي النار».(2)

وعن الكليني عن عدّة من أصحابنا، عن محمد بن محمد بن خالد رفعه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أقصر نفسك عمّا يضرّها من قبل أن تفارقك، واسْعَ في فكاكها كما تسعي في طلب معيشتك، فإنّ نفسك رهينة بعملك».(3)

هـذا، ويحتمل أن يكون المراد به الترخيص في الشـبهات المؤدي إلي الاقتحام في الهلكات، فيكون مساقه مساق ما رواه الصدوق عنه عليه السـلام قـال: «إنّ أمير المؤمنين خطب النـاس فقال في كلام ذكره: «حلال بيّن وحرام بيّن و شـبهات بين ذلك، فمن ترك ما اشـتبه عليه من الاثم فهو لما استبان له أترك، والمعاصي حمي الله فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها».(4)

ونظيره ما رواه في الوسائل عن الكراجكي في كتاب كنز الفوائـد مسـنداً عن سـلام بن المسـتنير، عن أبي جعفر الباقر عليه السـلام قال: «قال جـدّي رسول الله صـلي الله عليه واله: أيّهـا الناس حلالي حلال إلي يوم القيامـة، وحرامي حرام إلي يوم القيامـة، ألا وقـد بينهما الله لا في الكتاب وبنتهما لكم في سـنتي وسيرتي، وبيّنهما شبهات الشيطان وبِدع بعدي، من تركها صلح له أمر دينه وصلحت له مروّته و عرضه، ومن تلبّس بها ووقع فيها واتّبعها كان كمن رعي غنمه قرب الحمي، ومن رعي ماشيته قرب الحمي نازعته نفسه إلي أن يرعاها في

1- الكافي 5: 12/ ح 3.
2- وسائل الشيعة 15: 162/ ح 20215.
3- الكافي 2: 455/ ح 8.
4- من لا يحضره الفقيه 4: 75/ ح 5149.

الحمي، ألا وإنّ لكلّ ملك حمي، ألا وإنّ حمي الله عزّوجَل محارمه، فتوقّوا حمي الله ومحارمه»، الحديث.(1)

قوله عليه السلام : «ولا تداهنوا فيهجم بكم الإدمان علي المعصية» والمراد بالمداهنة أمّا المساهلة للنفس، فتكون هذه الجملة تأكيداً للجملة السابقة، وأمّا ترك المناصحة والصدق وإظهار خلاف ما تضمر _ أعني النفاق _ وهو الأظهر.

ومنه الحديث القدسيّ لعيسي عليه السلام «قل لمن تمرّد عليّ بالعصيان وعمل بالادهان؛ ليتوقّع عقوبتي».(2) ومثله في حديث الباقر عليه السلام قال: «أوحي الله عزّوجَل إلي شُعيب النبي عليه السلام: إنّي معذّب من قومك مأة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستّين ألفاً من خيارهم، فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحي الله إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»(3).

***

قوله عليه السلام: «عباد الله إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه» وذلك لأنه لمّا كان مقصود الناصح بنصحه إيصال المنفعة إلي المنتصح، و كان أعظم المنافع وأجلّها هو السعادة الأبديّة والعناية السرمديّة المستفادة من طاعة الله، لاجرم كان أنصح الناس لنفسه أكثرهم طاعة لربّه.

***

قوله عليه السلام: «و إنّ أغشّ الناس لنفسه أعصاهم لربّه» والغشّ خلاف النصح، وهو عبارة عن عدم الخلوص وعن إظهار خلاف ما يضمر، ولما كان غرض الغاشّ من غشّه إيصال الضرر إلي المستغشّ، وكان أعظم المضار هو

1- وسائل الشيعة 27: 169/ ح 23515؛ بحار الأنوار 2: 260 - 261/ ح 17.

2- الكافي 8: 134.

3- الكافي 5: 56/ ح 1.

الشقاوة الأبديّة والعقوبة الدائمة الناشئة من عصيان الله، لا جرم كان أغشّ الناس لنفسه أكثرهم معصية لربّه.

وفي هاتين الجملتين من الأمر بالطاعة والتحذير عن المعصية مالا يخفي، إذ أحبّ المخلوقات إلي الانسان نفسه، فهو دائماً طالب لمحابّها ومنافعها، هارب عن مضارّها و مكارهها، فيلزم له الاتيان بالطاعة والحذر عن المعصية، لكون الأولي جالبة للمحبوب والأخري كاسبة للمكروه.

***

قوله عليه السلام: «والمغبون من غبن نفسه». أصل الغبن هو الخداع، فالغابن خادع والمغبون مخدوع، والغبن في البيع هو بيع الكثير بالقليل، ولمّا كانت الشهوات الدنيويّة واللذائذ العاجلة زهيدة قليلة في جنب الثمرات الأخرويّة والمنافع الآجلة، وكان المشتغل باللذّات الدنيّة والصارف عمره في الشهوات الخسيسة قد فوّت علي نفسه المنافع الكثيرة والنعم الخطيرة، فكأنّه قد باع الكثير بالقليل، وفوّت علي نفسه الخطير بالحقير، لاجرم كان هو غابناً لنفسه وخادعاً لها حيث بخسها ما تستحقّه من ثواب الله ورضوانه، ومنه قوله تعالي:

«يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ».(1)

قال الطبرسي في تفسيره: هو تفاعل من الغبن، وهو أخذ شرٍّ وترك خيرٍ، أو أخذ خير وترك شرٍّ، فالمؤمن ترك حظّه من الدنيا وأخذ حظّه من الآخرة، فترك ما هو شرّ له وأخذ ما هو خير له فكان غابناً، والكافر ترك حظّه من الآخرة وأخذ حظّه من الدنيا، فترك الخير وأخذ الشرّ فيكون مغبوناً، فيظهر في ذلك اليوم الغابن والمغبون.(2)

1- التغابن: 9.

2- تفسير مجمع البيان (10): الآية 31.

ولمّا كانت السعادات الأخرويّة أنفس متاع لا متاع فوقه، والغبن فيها أعظم غين لا غبن مثله، لذلك حصر عليه السلام المغبون فيمن غبن في ذلك، وقال: «المغبون من غبن نفسه» علي طريق المبالغة، ومثله قوله عليه السلام: «والمغبوط من سلم له دينه» فإنّ سلامة الدين لمّا كانت أعظم نعمة لا نعمة فوقها، كان المنعم بذلك أحقّ بأن يغبط ويتمنّي مثل ما له من غير أن يريد زواله، وبهذا القيد تفترق الغبطة من الحسد.

***

قوله عليه السلام: «والسعيد من وُعظ بغيره» أي السعيد في الآخرة من لاحظ حال الغير فاتّعظ به، بأن ينظر إلي حال الصالحين ومالهم وما أعدّ الله لهم وبشّرهم به في كتابه الكريم، من الجنان والغلمان والحور العين والشراب من الكوثر والتسنيم، يحذو حذوهم ويسلك مسالكهم، ويلاحظ مصير المجرمين ومقرّهم وما هيّأ الله لهم وأنذرهم به من الجحيم وظلٍّ من يحموم وشراب من الزقوم والحميم، فيعدل عن جادّتهم ويتنحّي عن قدّتهم.

قوله عليه السلام: «و الشقّي من انخدع لهواه وغروره» كما قال سبحانه: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمّنِ اتّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًي مِنَ اللّهِ إِنّ اللّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ»(1) وقال أيضاً: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلّا مَتَاعُ الْغُرُورِ»(2) أي الخداع الذي لا حقيقة له، وهو المتاع الرديّ الذي يدلّس به علي طالبه حتّي يشتريه ثم يتبيّن له رداءته، والشيطان هو المدلّس.

مجالسة أهل المعاصي تسلب الإيمان:

قوله عليه السلام: «واعلموا أنّ يسير الرياء شرك، فكيف بكثيره، ومجالسة أهل الهوي منساة للايمان ومحضرة للشيطان» أراد بمجالسة أهل الهوي مجالسة أهل المعاصي إنّ كون مجالسة أهل المعصية ومخالطتهم موجبة لنسيان الايمان ولحضور الشيطان واضح،

1- القصص: 50.

2- آل عمران: 185؛ الحديد: 20.

لأـنّ الفسّاق بإقبالهم إلي اللعب واللهو والفسق والفجور والسّيئآت بما فيهم من دواعي الهوي والشـهوات يسوّد ألواح خاطرهم ويرين وجه قلوبهم فيغفلون بـذلك عن ذكر الحقّ وتذكّر الآخرة، ويزيد الغفلة شـيئاً فشـيئاً ويشـتدّ، فيخرج نور الايمان من قلوبهم ويضـمحلّ ويمحو، ويحضـر الشـيطان في مجالسـهم لإغوائهم وإضلالهم، فمن جلس معهم وخالطهم تكون المجالسة والمخالطة _ لا محالة _ مؤثّرة فيه، إذ المرء علي دين خليله وقرينه، فيقتدي بهم ويحذو حذوهم ويعمل عملهم، فيكون ناسي الايمان وقرين الشيطان.

أحاديث في النهي عن مجالسة أهل المعاصي:

ويدلّ علي ذلك الأخبار المسـتفيضة بل المتواترة، ففي الوسائل عن الكليني مسنداً عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام _ في حديث _ قال: ما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلاّ حضـرهم عشرة أضعافهم من الشياطين، فإن تكلّموا تكلمت الشياطين بنحو كلامهم، وإذا ضحكوا ضـحكوا معهم، فإذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم، فمن ابتُلي من المؤمنين بهم فإذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكن شـرك شـيطان ولاـ جليسه، فـإنّ غضب الله لاـ يقوم له شـيء، ولعنته لاـ يردّهـا شـيء، ثمّ قـال: فـإن لم يسـتطع فليُنكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة أو فواق ناقة».(1)

وعن عمرو بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم، قال رسول الله صلي الله عليه وآله: المرء علي دين خليله و قرينه».(2)

وعن أبي حمزة عن علي بن الحسـين عليه السـلام في حديث طويل: «إيّاكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم».(3)

1- وسائل الشيعة 16: 263 ح 21520.

2- وسائل الشيعة 12: 48/ ح 15610.

3- الكافي 8: 16/ ح 2.

ومن كتاب صفات الشيعة معنعناً عن محمد بن قيس عن أبي جعفر، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «مجالسة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار، ومجالسة الأخيار تُلحق الأشرار بالأخيار، ومجالسة الفجّار للأبرار تُلحق الفجّار بالأبرار، فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلي خُلطائه، فإن كانوا أهل دين الله فهو علي دين الله، وإن لم يكونوا علي دين الله فلا حظّ لهم في دين الله، إنّ رسول الله صلي الله عليه وآله كان يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايُواخينب كافراً ولا يخالطنّ فاجراً، ومن آخي كافراً وخالط فاجراً كان فاجراً كافراً».(1)

ولنعم ما قيل في هذا المعني:

عن المرء لا تسل وسَل عن قرينه *** فكلّ قرين بالمقارن يقتدي(2)

ومن مجالس الشيخ حسن ابن شيخنا الطوسي قدس سرّهما مسنداً عن أبي الخير قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «أربعة مفسدة للقلوب: الخلوة بالنساء والاستمتاع منهنّ، والأخذ برأيهنّ، ومجالسة الموتي، فقيل: يا رسول الله وما مجالسة الموتي؟ قال: كلّ ضالّ عن الإيمان وجائر عن الأحكام»(3) والأخبار في هذا المعني كثيرة ولا حاجة إلي الزيادة.

***

قوله عليه السلام: «جانبوا الكذب فإنّه مُجانب للإيمان».

أراد بذلك أنّ كلاً من الكذب والإيمان مجانب من الآخر، وأنّ بينهما تباعداً وتجانباً، وذلك علي القول بكون الإيمان عبارة عن مجموع المعرفة وما يتبعها من الأعمال الصالحة واضح، لأنّ الصدق علي ذلك جزء للإيمان والكذب مضادّ له فيكون مضاداً للإيمان، وأمّا علي كونه عبارة عن نفس

1- وسائل الشيعة 16: 265/ ح 21526.
2- منسوب إلي عدي. انظر فيض القدير للمناوي 3: 153.
3- وسائل الشيعة 16: 266/ ح 21530.

المعرفـة، فلأنّ الإيمان من أعظم الفضائل المنجيـة، والكذب من أخسّ الرذائل المهلكة، والتباعد بين الفضـيلة والرذيلة والإنجاء والإهلاك أيضاً ظاهر.

كما أشار عليه السـلام إلي ذلك وأوضـحه بقوله: «الصادق علي شـفا منجاة وكرامـة» أي علي طرف من النجاة والكرامة ومشارف عليهما، أو علي طرف من محلّ النجاة وقريب منها يكاد أن يقع فيها وفي الكرامـة الدنيويّـة والأخرويّـة، «والكاذب علي شـرف مهواة ومهانـة» أي علي مكان عال من الهوي والهوان، أومشارف لمحلّ السقوط والذلّة يكاد أن يسقط منها إلي الجحيم ويقع في العذاب الأليم، قال الشاعر:

لا يكذب المرء إلاّ من مهانته *** أوعادة السوء أو من قلّة الأدب

لعفن جيفة كلب خير رائحة *** من كذبة المرء في جدٍّ وفي لعب(1)

***

الحسد وأثره النفسي:

ثمّ نهي عليه السـلام عن الحسـد بقوله: «ولا تحاسـدوا» وهو من أعظم الموبقات، وعلّله بقوله: «فإنّ الحسـد يأكل الإيمان كما تأكل النارُ الحطب» وهو أيضاً مضرّ بالنفس والجسد.

أمّا بالنفس فقد قال الصادق عليه السلام: «الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود، كإبليس لعنه الله أورث بحسده له اللعنة، ولآدم عليه السلام الاجتباء والهدي والرفع إلي محلّ حقائق العهد والأصطفاء، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإنّ ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم، فماذا ينفع الحسد الحاسد؟ وماذا يضرّ المحسود الحسد؟».(2)

1- شرح نهج البلاغة 6: 360 ولم ينسبه.
2- بحار الأنوار 70: 255 ح 23، نقلاً عن مصباح الشريعة.

إنّ الحسد يُذهل نفس الحاسد ويغرق فكره بالاهتمام بأمر المحسود حتّي لا يبقي له فراغ بتحصيل المنافع العائدة إليها، بل ويمحو ما حصلت لها من الملكات الخيرية والحسنات المنقوشة في جوهرها بطول تعوّد الحسد وتمادي اشتغال الفكر فيه وكثرة الحزن والهمّ، لأنّ نعم الله سبحانه علي عباده غير معدودة، و فيوضاته غير متناهية، فإذا كان حسد الحاسد علي الخلق بتلك الآلاء والنعم دام عليه الهمّ والغمّ، فيضيق وقته بل ينقطع عن إتيان الحسنات ويُلقي نفسه في المهلكات، وهو معني قوله عليه السلام: «إنّه يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب» أي يستأصله ويفنيه ويبطله مثل استيصال النار للحطب و إفنائها له.

وأمّا بالجسد فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «صحّة الجسد في قلّة الحسد».(1) وسرّه أنّ الحسود إذا دام عليه الحزن والغمّ بتواتر الآلام والنعم علي المنعم أورث ذلك له طول السهر وتمادي الفكر وضيق العيش وضنك المعيشة وقلّة الراحة ومضيق الباحة، فينقطع عنه الابتهاج، ويؤدّي ذلك إلي فساد المزاج.

وجاء في المجلّد التاسع من حلية الأولياء ص 147: قال الشافعي محمد بن إدريس: الحسد إنّما يكون من لؤم العنصر، وتعادي الطبائع، واختلاف التركيب، وفساد مزاج البنية، وضعف عقد العقل، الحاسد طويل الحسرات عادم الدرجات.

الحسد ومنشؤه:

إنّ المداخل التي يأتي الشيطان من قِبلها في الأصل ثلاثة: الشهوة، والغضب والهوي؛ فالشهوة بهيميّة، والغضب سَبعيّة، والهوي شيطانيّة، فالشهوة آفة لكنّ الغضب أعظم منه، الغضب آفة لكنّ الهوي أعظم منه، فقوله تعالي: «إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهي عَنِ الْفَحْشاءِ» المراد آثار الشهوة، وقوله «وَالْمُنْكَرِ» المراد منه

1- بحار الأنوار 70: 256/ ح 28.

آثـار الغضب، وقوله «وَالْبَغْيِ»(1) المراد منه آثـار الهوي، فبالشـهوة يصـير الإنسـان ظالمـاً لنفسه، وبـالغضب يصـير الإنسان ظالماً لغيره، وبالهوي يتعدّي ظلمه إلي حضـرة جلال الله تعالي، ولهذا قال صـلي الله عليه وآله: الظلم ثلاثة: فظلم لا يُغفر، وظلم لا يُترك، وظلم عسي الله أن يتركه، فالظلم الذي لا يُغفر هو الشرك بالله، والظلم الذي لا يُترك هو ظلم العباد بعضهم بعضاً، والظلم الذي عسي الله أن يتر كه هو ظلم الإنسان نفسه.(2) فمنشأ الظلم الذي لا يُغفر هو الهوي، ومنشأ الظلم الذي لا يُترك هو الغضب، ومنشأ الظلم الذي عسي الله أن يتركه هو الشـهوة، ثمّ لها نتائج: فالحرص والبخل نتيجة الشـهوة، والعجب والكبر نتيجة الغضب، والكفر والبدعة نتيجة الهوي، فإذا اجتمعت هذه السـتّة في بني آدم تولّـد منها سابع وهو الحسـد، وهو نهاية الأخلاق الذميمة، كما أنّ الشـيطان هو النهاية في الأشـخاص المذمومة، ولهذا السـبب ختم الله مجـامع الشـرور الإنسانيّـة بالحسـد، وهو قوله: «وَمِنْ شَـرِّ حَاسِـدٍ إِذَا حَسَـدَ»(3) كمـا ختم مجـامع الخبائث الشـيطانيّة بالوسوسة، وهو قوله «يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النّاسِ مِنَ الْجِنّةِ وَالنّاسِ»(4) فليس في بني آدم أشرّ من الحسد، كما أنّه ليس في الشياطين أشرّ من الوسواس، بل قيل: الحاسد أشرّ من إبليس، لأنّ إبليس رُوي أنّه أتي باب فرعون وقرع الباب، فقال فرعون: من هذا؟ فقال إبليس: لو كنتَ إلهاً لما جهلتني، فلمّا دخل قال فرعون: أتعرف في الأرض شرّاً منّي ومنك؟ قال:نعم الحاسد، وبالحسد وقعت في هذه المحنة. تفسير الرازي ج 1، ص 266، ط مطبعة البهيّة، مصر.

1- العنكبوت: 45.

2- أنظر: تحف العقول: 293؛ روضة الواعظين: 466.

3- الفلق: 5.

4- الناس: 3 و 4.

الحسد وعلله.. وآثاره:

أعظم الرذائل في المجموعة الإنسانية الحسد المتولّد من اقتران الطمع والبغض، فهذه الصفة متّصفة بالدناءة والتسفّل والخبث والحرص والنذالة والقحّة والاعوجاج والتحيّل كالطمع، وبالكبرياء والرياء والظلم والعتوّ كالبغض، ولا يكتفي الحسود بأن يشتهي كرامة غيره و اقتداره وماله، بل يشتهيها لزعمه أنّها ينبوع السعادة واللذّات، وكما يتمتّع بها لو حصلت له بدون نظر إلي القوانين الأدبيّة، هكذا يتمنّي الحصول عليها فيطلب الغني من البطالة، والاعتبار من السخافة، و يحتقر المراتب الطبيعيّة المتعلّقة بعلوّ مقام الإنسان في الهيئة الاجتماعيّة، فيحسد علي منصب أو علم أو اعتبار أو حذق أو براعة أو مال أو جمال، وهذا الهمّ الشديد شغل شاغل له ليلاً ونهاراً يحمله علي ترك فروضه اليوميّة التي لو اشتغل بها لألهاه ذلك عن هذه الوساوس الواخزة، ولا يرتضي بما قُسم له، ولا يرجو تغيّر ما هو عليه، يخجل من المخالطة، يضطرب بأمر المستقبل، يتيه في ظلام الفناء، ويرود كالثعلب الرواغ حول أموال الناس ومراتبهم التي يراها ويشتهيها ويري أنها لزيادة شقائه تنمو وينمو فيه معها الطمع، وحينئذ ينفتح للبغض في قلبه باب، فيري من الناس من يقاسون الشقاء والذلّ، ومن يتمتع بالمال والاعتبار سليماً آمناً، ويتبيّن له من البعض أنّهم يحولون بينه وبين مرامه ويضادّون ميله ويتجاوزون مقاصده ويجذبون إليهم نظر الجمهور.

الذي لا يبالي بذاك الحسود فينقلب الحال معه ويمسخ مسخاً ثانياً، وذلك أنّ المال أو الاعتبار الذي يطمع فيه ولم يقدر علي إيجاده وتحصيله بالشغل، له صاحب يحقّ له التمتّع به، فيصير عدوّاً له، وبالحريّ هو يصير لصاحب المال والاعتبار عدوّاً أزرق ألدّ أحمق، فينصبّ في تجاويف قلبه سمّ البغضاء علي سمّ الطمع، فلا يزال شاغلاً خاطره بالغني والجاه، فيمقت كلّ غني ووجيه، ويقابل بين نفسه وهؤلاء المتموّلين وأهل الاعتبار، فيتوهّم أنّه فوقهم فضلاً، فيحاول تبليغ ذلك إلي الناس، ويجتهد في إقناعهم أنّه أولي بالغني والاعتبار.

وبعض الناس ـ كما هو معلوم ـ يخبط في ظلام العسف خبطاً، فيخدع بظواهر الأمور ويجهل حقيقة التعقّل والحشمة والفضائل الحقيقية في إجمالها، وهذا الحسود يستعمل كلّ فنٍ وحيلة لسدل برقع الانخداع علي عيون معارفه، ويعطيه الحسد عقلاً ونشاطاً فيخطو في سبيل ضرر القريب أكثر ممّا خطا في سبيل تحصيل المال والاعتبار، فيذهب من مكان إلي مكان معذّباً بالأمر نفسه، يضرب أخماساً لأسداس، يتطلّب الحصول علي ثروة الناس أو مراكزهم بطرق المكر والاحتيال، وقد استولي علي تصوّره أنّه إذا أتلف عدوّه يحصل علي الغِني، وإذا خفض من شأنه ارتفعت منزلته، فيكون أوّل الاغراض التي يوجّه إليها سهام خبثه إهلاك عدوه قبل الحصول علي ثروته، ناسياً قول القائل:

أيا حاسداً لي علي نعمتي *** أتدري علي من أسأت الأدبْ

أسأتَ علي الله في حكمه *** لأنّك لم ترضَ لي ما وهب

فأخزاك ربّي بأن زادني *** وسدّ عليك وجوه الطلب

وصاحب هذه الرذيلة قلّما ينتهي إلي الغاية التي يقصدها، فيخدعه بغضه وطمعه، ولا يزال قلبه معذّباً بناره، قال الشاعر:

خِلّص فؤادك من غلٍّ ومن حسدٍ *** والغلّ في القلب مثل الغلّ في العنق(1)

وقالت العرب: داء الأسد أسلم من داء الحسد، وقالوا: الحسود غضبان علي القدر، وقالوا: ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش: الحقد والحسد وسوء الخلق، وقالوا: بئس الشقاء الحسد. وقال علي عليه السلام: «الحاسد مغتاظ علي من لا ذنب له».(2) وقال بعضهم: الحسد داءٌ منصف، يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود. وفي الحديث النبويّ: «قاتل الله الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1: 318.

2- عوالي اللئالي 1: 292 /ح 169؛ بحار الأنوار 70: 256/ ح 26 و 29.

فقتله».(1) وقالوا: يصل إلي الحاسـد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلي المحسود: أوّلها غمّ لا ينقطع، ثانيها مصـيبة لا يُؤجر عليها، ثالثها مذمّة لا يُحمد عليها، رابعها سخط الربّ، خامسها يغلق عنه باب التوفيق.

وإذا قابلنا الحسد مع سائر الرذائل وجدناه أقبحها، فإنّ البخيل يتمتّع بماله، والنهم يشـبع من طعامه، وسائر الرذائل تجد ما يخمد قوّتها، وأمّا الحسـد فلا يزال يشبّ ضـرامه في فؤاد صاحبه ما دامت دواعي الحسد موجودة، كالنار لا تزال تلتهب ما دام الوقود يُطرح فيها، ومع ذلك لا يزال الحسود يري أنّه تنقصه أمور كثيرة و تؤلمه أخري، فينقصه الشـبع والريّ، وتؤلمه جراح الوساوس وقهر فؤاده، فيكون ميّتاً في صورة حيّ، وتنغّص معيشته فيأكل بعضه بعضاً كالذئب يعيش من شحمه، و كالهرّ الذي يلحس المبرد وهو يلحس من دمه، قال الشاعر:

اصبر علي كيد الحسود *** فإنّ صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها *** إن لم تجد ما تأكله(2)

فالحسـد إذاً أخبث الأخلاـق الرديئـة، وبه كانت أول سـقطة العالم العظمي في الخطيئـة،وأوّل قتيل قُتل علي الأرض، الشـيطان حسـد آدم فأهبطه، وقابيل حسد هابيل فقتله.

علة قتل قابيل لأخيه هابيل:

وما جاء في بعض الأحاديث من أنّ قابيل قتل أخاه هابيل بسـبب التزاوج لا صحّة له، وهو شبهة مغلوطة بعيدة عن الواقع ولا يتقبّلها الذوق، وإنّما التقاتل كان من أجل الوصيّة ومواريث النبوّة.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1: 316.

2- بحار الأنوار 70: 258.

زعم بعض المؤرّخين علي أنّ سبب التقاتل بين الأخوين ـ قابيل وهابيل ـ أنّ كل واحد منهما تزوّج أخت الآخر، وأنّ شقيقة قابيل كانت أجمل من شقيقة هابيل، فأخذ قابيل من أجل ذلك الحسد علي هابيل فحقد عليه فقتله، ثمّ قالوا: وهذا أصل سلسلة البشر وينبوع الإنسانيّة، وهذا مُنافٍ لناموس الاجتماع وشرف الإنسانيّة، وإن صحّ هذا يكون وجود الخليقة من الزنا، يقول أبو العلاء المعري رداً علي هذا الزعم المغلوط.

إذا ما رأينا آدماً وفعاله *** وتزويجه بنتيه لابنَيه بالخنا

علمنا بأنّ الناس من أصل فاجر *** وأنّ جميع الخلق من عنصر الزنا

والقول السديد ما ورد عن أئمّة الهدي عليهم السلام، فقد روي الصدوق في علل الشرائع عن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن بدء النسل من ذرّية آدم عليه السلام وقيل له: إنّ عندنا أناساً يقولون: إن الله تعالي أوصي إلي آدم أن يزوّج بناته من بنيه، وأنّ هذا الخلق أصله كلّه من الأخوة والأخوات. فقال عليه السلام: سبحان الله وتعالي عن ذاك علوّاً كبيراً، يقول من يقول هذا أنّ الله جعل أصل صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورُسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، وقد أخذ ميثاقهم علي الحلال والطهر الطاهر الطيب، والله لقد نُبّئت أنّ بعض البهائم تنكّرت له أخته فلمّا نزي عليها ونزل كُشف له عنها وعلم أنّها أخته أخرج غرموله ثمّ قبض عليه بأسنانه و قلعه ثمّ خرّ ميتاً».(1)

وفي رواية أخري مايقرب من ذلك، مع أشدّ التأكيد في تحريم الأخوات علي الأخوة، وأنّه لم يزل كذلك في الكتب الأربعة المشهورة، وإنّ جيلاً من هذا الخلق رغبوا عن علم أهل بيوتات الأنبياء وأخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه، فصاروا إلي ما قد ترون من الضلال والجهل. إلي أن قال: ما أراد

1- علل الشرايع 1: 17/ ح 1، باب 17.

من يقول هذا وشبهه إلاّ تقوية حُجج المجوس، فمالهم قاتلهم الله. وساق الحديث إلي أن قال: إن الله أنزل لشيت بن آدم حوراء من الجنّة اسمها نزلة، وليافث بن آدم حوراء أخري اسمها منزلة، وأمر آدم أن يزوّج ولديه منهما، وولد الصفوة من النبيّين والمرسلين من نسليهما، ومعاذ الله أن يكون ذلك علي ما قالوا من الأمر للأخوة والأخوات.(1)

وروي العيّاشي في تفسيره عن الباقر عليه السلام أنّه قيل له: إنّ الناس يزعمون أنّ آدم زوّج ابنته من ابنه، فقال عليه السلام: قد قال الناس ذلك، ولكن أما علمت أنّ رسول الله صلي الله عليه وآله قال: لو علمت أنّ آدم زوّج ابنته من ابنه لزوّجت زينب من القاسم، وما كنت لأرغب عن دين آدم».(2)

وبالتالي إنّ سبب التقاتل هو أنّ الله تعالي أوحي إلي آدم عليه السلام أن يدفع مواريث النبوّة ومنصب الخلافة بعده إلي هابيل لاستعداده الفطريّ وعارضته القويّة، فحسده قابيل علي هذه الموهبة، وقال له: أنا أكبر منك سنّاً، فأنا أولي بالكرامة والوصيّة، فنازعه في ذلك، فأمرهما آدم عليه السلام بأمر من الله تعالي أن يُقرّبا قرباناً، فمن تُقبّل قربانه كان أولي بالموهبة، فرضيا بهذا الفرض، و كان هابيل صاحب ماشية وقابيل صاحب زرع، فقرّب هابيل كبشاً من أفضل غنمه، وقرّب قابيل من شرّ زرعه ما لم يكن ينقي، ثمّ صعدا فوضعا القربان علي الجبل، فأتت النار من السماء فاستولت علي قربان هابيل وتجنّبت قربان قابيل، فدخل قابيل الحسد والحقد لهابيل وبغي عليه، وقد أشار الجليل جلّ وعلا إلي هذه الفذلكة بقوله «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ»(3) الآية، فسوّل له إبليس قتله فقال له: والله لأَقتلنّك. فقال هابيل:

1- علل الشرايع 1: 18 - 20/ ح 2، باب 17.

2- تفسير العيّاشي 1: 312/ح83.

3- المائدة: 27.

«إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ»(1) فلم يدر كيف يقتله، فتراءاله إبليس فقال له: ضع رأسه بين حجرين ثمّ اشدخه، فلمّا أجري هذه العملية ورآه قتيلاً وقف متحيّراً لم يدرِ ما يصنع به بعد القتل، فبعث الله غرابين فأقبلا يقتتلان أمامه حتّي قتل أحدهما صاحبه، فعمد الحيّ إلي القتيل فحفر له بمخالبه في الأرض حفرة ثمّ طرحه فيها و واراه في التراب حتّي أخفي أثره، فقال قابيل عند منظره ومشاهدته هذا الصنع من الغراب «يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ»(2) ندم الحيرة ورقّة الطبع، فحفر له عند ذلك حفرة كما شاهد الغراب وقبره.

وبالتالي لم يكن شيء أمحق للإيمان من الحسد ولا أهتك للستر منه، وذلك أنّ الحاسد معاند لحكم الله، باغ علي عباده، عاتٍ علي ربّه، يعدّ نعم الله نقماً، وعدل قضائه حيفاً، للناس حال وله حال، لا يهدأ ليله، ولا ينام جشعه، ولا ينفعه عيشه.

قال بعض الحكماء عن الحاسد: واعجباه لرجل أسلكه الشيطان مهاوي الضلالة وأورده قحم الهلكة، فصار لنعم الله تعالي بالمرصاد، إن أنالها من أحبّ من عباده أشعر قلبه الأسف علي ما لم يقدر له، وأغار الكلف بما لم يكن يناله.

وفي الحديث النبويّ: «إنّ لنعم الله أعداءٍ، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال الذين يحسدون الناس علي ما آتاهم الله من فضله».(3)

وقال صلي الله عليه وآله: «إنّ الله تعالي أوحي إلي موسي عليه السلام : يابن عمران لا تحسد الناس علي ما آتيتُهم من فضلي، ولا تمدّنَّ عينيك إلي ذلك ولا تتبعه نفسك،

1- المائدة: 27 - 30.

2- المائدة: 31.

3- بحار الأنوار 70: 256/ ح 26.

فإنّ الحاسد ساخط لنعمي، صادّ لقسمي الذي قسمتُ بين عبادي، ومن كان كذلك فلستُ منه وليس منّي».(1)

وعن معاوية بن وهب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « آفة الدين الحسد

والعجب والفخر».(2)

وعن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط».(3)

وعن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ الرجل ليأتي بأدني

بادرة فيكفر، وإنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب».(4)

وفي الوسائل من المجالس مسنداً عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «أصول الكفر ثلاثة: الحرص، والاستكبار، والحسد».(5)

وفي الأنوار النعمانيّة للسيّد المحدّث الجزائري قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم:

«ستّة يدخلون النار قبل الحساب بستّة: الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والتجّار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد».(6)

ومع ذلك فإنّ الحسد من دواعي نشر الفضائل المطوية وزيادة في فضل صاحبها، إذ تتّجه إليه الأعين و تعرف حقيقة استحقاقه، قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة *** طُويت أتاح لها لسانَ حسودِ(7)

1- الكافي 2: 307/ ح6.
2- الكافي 2: 307/ ح5.
3- الكافي 2: 307، ح 7.
4- الكافي 2: 306/ ح 1.
5- وسائل الشيعة 15: 367/ ح 20765.
6- رواه المجلسي في البحار 73: 156.
7- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1: 316.

علي والحاسدون:

إنّ أعـداء علي عليه السـلام أخفوا فضائله حسـداً و كتموا مناقبه حقـداً، ومع ذلك فقد كانت تنطق بها ألسـنتهم، وتنقل من أفواههم، وتدوّن بأقلامهم وتنشـر بإرادتهم، لما جعل الله لعلي عليه السـلام من الكرامة العالية والفضائل التي لم تكن لغيره من مخلوق الله عدا النبي صلي الله عليه وآله.

***

يقول السيّد الرضي:

علامة العزّ أن حُسدت به *** إنّ المعالي قرائن الحسد

***

ويقول الشيخ محمّد علي الحلي الشفهيني:

يا من إذا عُدّت مناقب غيره *** رجحت مناقبُه وكان الأفضلا

إنّي لأعذر حاسديك علي الذي *** أولاك ربُّك ذو الجلال وفضّلا

إن يحسدوك علي عُلاك فإنّما *** متسافل الدرجات يحسد مَن علا(1)

***

وقال الشيخ هاشم الكعبي:

إنّي لأعذر حاسديك علي العُلا *** وعلاك عذري لو عذرت حسودا

فليحسد الحسّاد مثلك إنّه *** شرف يزيد علي المدي تجديدا

ما أنصفتك عصابةٌ جهلتك إذ *** جعلت لذاتك في الوجود نديدا

***

وقال مهيار الديلمي:

1- انظر الغدير 6: 388.

ألا سَل قريشاً ولُم منهمُ *** من استوجب اللوم أو فَنّدِ

وقل: ما لكم بعد طول الضلال *** لم تشكروا نعمة المرشد

أتاكم علي فترة فاستقام *** بكم جائرين عن المقصد

وولّي حميداً إلي ربّه *** ومن سنّ ما سنّه يحمد

ومن جعل الأمر من بعده *** لحيدر بالخبر المسند

وسمّاه موليً بإقرار مَن *** لو اتّبع الحقّ لم يَجحَدِ

فمِلتم بها حسد الفضل عنه *** ومن يكُ خيرَ الوري يُحسَدِ(1)

وسُئل محمد بن إدريس الشافعي عن علي عليه السلام قال: ما أقول في شخص أخفي أعداؤه فضائله حسداً له، وأخفي أولياؤه فضائله خوفاً وحذراً علي أنفسهم، وظهر فيما بين هذين فضائل طبقت الشرق والغرب»(2) فأخذ الشاعر هذا المعني ونظمه وسبكه سبكاً لطيفاً فقال:

لقد كتمت آثار آل محمّد *** محبّوهمُ خوفاً وأعداؤهم بُغضا

وقد شاع من بين الفريقين نبذة *** بها ملأ الله السموات والأرضا(3)

***

أجل لقد كانت مزايا علي عليه السلام تظهر علي ألسنة أعدائه وشانئيه، فمن ذلك ما كان معاوية يتفوّه وينطق به، وهو أعدي عدوٍّ لعلي عليه السلام والمؤسّس للسبّ عليه علي المنابر وفي الصلوات الخمس.

معاوية ينطق بالحق:

ذكر المؤرّخ ابن قتيبة في كتابه (الإمامة والسياسة) أنّ محجن إبن أبي محجن

1- انظر الغدير 4: 241.

2- ذكره العلامة الحلّي في كشف اليقين: 4، ونسبه إلي بعض الفضلاء، ونسبه المحدّث القمّي في الكني والألقاب 2: 350 إلي الشافعي.

3- نسبه المحدّث القمّي في الكني والألقاب 2: 350 إلي السيد تاج الدين العاملي.

الثقفي قـدم علي معاويـة فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أتيتك من عنـد العيّي الجبان البخيل ابن أبي طالب. فقال له معاويـة: لله أنت أتدري ما قلت ؟! أما قولك «العيّي» فو الله لو أنّ ألسن الناس جُمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان علي، وأمّا قولك إنّه جبان، فثكلتك أمك، هل رأيتَ أحـداً قطّ بارزه إلاّ قتله؟ وأمّا قولك «البخيل»، لو كان له بيتان أحـدها من تِبر والآخر من تبن لأنفـد تبره قبل تبنه. فقال له: فعلام تقاتله إذاً؟ قال: علي دم عثمان وعلي هـذا الخاتم الـذي من جعله في يـده جازت طينته وأطعم عياله وادّخر لأهله. فضـحك الثقفي ثمّ لحق بأمير المؤمنين عليه السـلام فقال له: يا أمير المؤمنين هَب لي يدي بجرمي، لا دنيا أصـبتُ ولا آخرة. فضـحك علي وقال له: أنت منها علي رأس أمرك، وإنّما يأخذ الله العباد بأحد الأمرين.(1)

***

جاء في المجلّد التاسع من حلية الأولياء ص 145، ط مطبعة السعادة بمصر:

عن محمد بن إدريس الشافعي: قال: دخل رجل من بني كنانة علي معاوية بن أبي سـفيان، فقال له معاوية: هل شهدت بدراً؟ قال: نعم. قال: مثل من كنت؟ قال: غلام قمدود مثل عطباء الجلمود، قال: فحدّثني ما رأيت وحضـرت، قال: ما كنّا إلا شـهوداً كأغياب، وما رأينا ظفراً كان أوشك منه، قال: فصِف لي ما رأيت. قال: رأيت في سـرعان الناس علي بن أبي طالب غلاماً شاباً ليثاً عبقريّاً يفري الفري، لا يثبت له أحد إلاّ قتله، ولا يضـرب شيئاً إلاّ هتكه، لم أر من الناس أحداً قطّ أنفق منه، يحمل حملة ويلتفت التفاتة كأنّه ثعلب روّاغ، و كأنّ له عينين في قفاه، و كأنّ وثوبه وثوب وحش يتبعه رجل، مُعلم بريش نعامة، كأنّه جمل يحطم يبساً، ولا يسـتقبل شـيئاً إلا هدَّه، ولا يثبت له شـيء إلاّ ثكلته أمه، شجاع أبله يحمل بين يديه ولا يلتفت وراءه. قال: فرأيت ماذا؟ قال: رأيت

1- الإمامة والسياسة 1: 134.

ما وصفتُ لك، ورأيت جدّك عتبة وخالك الوليد حين قُتلا ورأيت ما وصفت لمن حضر من أهلك لم يعف عنه، قال: فكنت في المنهزمين؟ قال: نعم قال: لمّا انهزمت عشيرتُك فأين كنت منهم، قال: لمّا انهزمت كنت في سرعانهم، قال: فأين رحت؟ قال: ما رحت حتّي نظرت إلي الهضاب، قال: لقد أحسنت الهرب، قال: فعلي ما احتسبه أبوك، وبعده ما اتّعظت بمصرع كمصرع جدك و خالك وأخيك، قال: إنّك لغليظ الكلام، قال: إني ممّن يضر. قال: إنّكم تبغضون قريشاً، قال: أمّا من كان منهم أهله فنبغضه، قال: ومن الذين هم أهله؟ قال: من قطع القراية واستأثر بالفيء وطلب الحق فلمّا أعطيه منعه، قال: مافيكم خير من أن يسكت عنكم، قال: ذاك إليك، قال: قد فعلت. قال: قد سكتّ.

ونظير هذه القصة أنّه أهديت لمعاوية هدية مثمنة و كان عنده عمرو بن العاص وولده يزيد لعنه الله، فتطاولت أعناقهما إليها ورامها كلّ منهما لنفسه، فأدرك معاوية ما بأنفسهما، فقال: ليقل كلّ منّا بيتاً من الشعر، فمن كان شعره أجود فهي له، ولنجعل موضع النظم علي بن أبي طالب، ثمّ ابتدأهم معاوية فقال:

خير البرية بعد أحمد حيدرٌ *** فالناس أرضٌ والوصيُّ سماءُ

فقال يزيد:

كمليحةٍ شهدت لها ضرّاتُها *** والحسن ما شهدت به الضرّاءُ

فقال ابن العاص:

ومناقب شَهِد العدوُّ بفضلها *** والفضل ما شهدت به الأعداءُ

فاستحقّها عمرو، فأخذ وانصرف.

***

واستمرّ الحسد لعلي عليه السلام في سلسلة الأمويين وأتباعهم، إلاّ أنّ بني أميّة أشدّ وأحرّ حسداً.

أعرابي يمدح علياً عليه السلام في مجلس الوليد:

ذكر العلاّمة المجلسي قدس سرّه في مجلّد 11في البحار ص 63 من الطبعة الأولي في أحوال الإمام الباقر عليه السلام أنّ الخليل بن أحمد العريضي قال: حضرت مجلس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وقد اسحنفر _ أي تحامل _ في سب عليّ واثعنجر _ امتلأ غيظاً _ في ثلبه، إذ خرج عليه أعرابي علي ناقة له وذفراها(1) يسيلان لإغذاذ السير دماً،(2) فلمّا رآه الوليد لعنه الله في منظرته قال: ائذنوا لهذا الإعرابي فإنّي أراه قد قصدنا، وجاء الأعرابي فعقل ناقته بطرف زمامها ثمّ أذن له بالدخول فدخل فأورده قصيدة لم يسمع السامعون مثلها جودة قطّ، إلي أن انتهي إلي قوله:

ولمّا أن رأيت الدهر آلي *** عليَّ ولجّ في إضعاف حالي

وفدتُ إليك أبغي حسن عُقبي *** أسد بها خصاصات العيال

وقائلة إلي من قد رآه *** يؤمّ ومن يُرجّي للمعالي

فقلت إلي الوليد أؤمّ قصداً *** وقاه الله من غِير الليالي

هو الليث الهصور شديد بأسٍ *** هو السيف المجرّد للقتال

خليفة ربّنا الراعي علينا *** وذو المجدِ التليد أخو الكمال

قال: فقبل الوليد مدحته وأجزل عطيّته وقال له: يا أخا العرب قد قبلنا مدحتك وأجزلنا صلتك، فاهجِ لنا علياً أبا تراب. فوثب الأعرابي لمّا سمع يتهافت قطعاً ويزئر حنقاً ويَشمَذِرُ شفقاً وقال: والله إنّ الذي عنيته بالهجاء لهو أحقّ منك بالمديح، وأنت أولي منه بالهجاء، فقال له جلساؤه: اسكت نزحك الله (أي أبعدك) قال: علام ترجوني وبم تبشّروني ولمّا أبديت سقطاً ولا قلت شططاً ولا ذهبت غلطاً، علي أنّني فضّلت عليه من

1- ذفراها: العظم خلف الأذن، أنظر: الصحاح / الجوهري: 2/ 663.

2- السير دماً: سرعة السير، أنظر: لسان العرب: 501/3.

هو أولي منه بالفضل علي بن أبي طالب الذي تَجَلْبَبَ بالوقار ونبذ الشنار،(1) وعاف(أي كره) العار، وعهد الانصاف وأبدي الأوصاف وحصن الأطرف وتَأَلَّفَ الأشراف، وأزال الشكوك في الله بشرح ما استودعه الرسول من مكنون العلم الذي نزل به الناموس (أي الملك) وحياً من ربّه، ولم يَفتَر طرفاً ولم يصمت اَلِفاً ولم ينطق خُلفاً، الذي شرفه فوق شرفه وسَنَّ لَفُهُ في الجاهلية أكرم من سلفه، لاتُعرف المأدُبات في الجاهلية إلاّ بهم، ولا الفضل إلاّ فيهم، صفة من اصطفاها الله واختارها، فلا يغترّ الجاهل بأنّه قصد عن الخلافة بمثايرة من ثابر عليها و جالد بها والسّلالِ المارقة والأعوان الظالمة.

ولئن قلتم ذلك كذلك، إنّما استحقها بالسبق تالله ما لكم الحجّة في ذلك، هلاّ سبق صاحبكم إلي المواضع الصعبة والمنازل الشعبة والمعارك المرّة كما سبق إليها علي بن أبي طالب الذي لم يكن بالقبعة ولا الهبعة ولا مضطغناً إلي الله ولا منافقاً رسول الله، كان يدرء عن الإسلام كلّ أصبوحة، ويذبّ عنه كلّ أمسية، ويلج بنفسه في الليل الديجور والمظلم الحلكوك مرصداً للعدوّ، هوذل(2) تارةً وتضكضك(3) أخري، ويارب لزَبَةٍ (أي شدة) آتية قِسّيّة و أوانٍ آن أرونان(4) قذف بنفسه في لهواتٍ وشيجة وعليه زغفَةٌ(5) ابن عمه الفضفاضة، وبيده خِطّيَةٌ عليها سنانُ لَهذَمٍ(6) فبرز عمرو بن عبدود القَرِم الأوِد والخصم الألد والفارس الأشدّ علي فرسٍ عنجوج(7) كأنما نجر نجرةً باليلنجوج،(8) فضرب

1- الشنار: العيب والعار. لسان العرب: 4/ 430.

2- هوذل في مشيه: أسرع.

3- تضكضك: انبسط وابتهج.

4- أرونان: يوم صعب.

5- الزعفة: الدرع.

6- اللهذم: القاطع.

7- العنجوج: جياد الخيل.

8- اليلنجوج: أي العدو الذي يتبختر.

قونسه(1) ضـربة قنع منها عنقه، أو نسـيتم عمرو بن معـدي كرب الزبيـدي إذ أقبل يسـحب ذلاذل درعه مـدلاّ بنفسه، قـد زحزح الناس عن أمـاكنهم ونهضـهم عن مواضـعهم ينـادي: أين المبارزون يميناً وشـمالاً؟ فانقضّ عليه كسودنيق أو كصـيخورة منجنيق فوقصه وقص القطام بحجر الحمام وأتي به إلي رسول الله كالبعير الشارد يُقاد كرهاً وعينه تدمع وأنفه ترمع وقلبه يجزع.

هذا و كم له من يوم عصـيب برز فيه إلي المشـركين بنيّة صادقة وبرز غيره وهو أكشف أميل ـ أي جبان ـ أجمّ أعزل، ألا وإنّي مخبركم بخبر علي، إنه مُني بأوباش كالمراطة بين الغموط(2) وحجابة وفقامة، ومغذمرٌ(3) حملت به شَوهاً شهواء في أقصي مهيلها، فأتت به محضاً محياً و كلهم أهون علي علي من سـعدانة بقل، أفمثل هذا يسـتحقّ الهجاء وعزمه الحاذق وقوله الصادق وسـيفه الفالق، وإنّما يستحق الهجاء من سامه إليه وأخذ الخلافة وأزالها عن الوارثة، وصاحبها ينظر إلي فيئه و كأن الشـبادع(4) تلسـبه، حتّي إذا لعب بها فريق بعد فريق وخريق بعد خريق، اقتصـروا علي ضراعة الرهز(5) وكثرة الأبز(6) ولو ردّوه إلي سَـمت(7) الطريق والمِرت(8) البسيط والتامور(9) العزيز ألفوه قائماً واضع الأشياء في مواضعها، لكنّهم انتهزوا الفرصة واقتحموا الغصّة وباؤوا بالحسرة.

1- قونسه: أي البيضة.

2- لغموط: قليل الحياء.

3- مغذمر: أي الغضب.

4- الشبادع: العقارب.

5- الرهز: الوطئ والدفع، تاج العروس: 91/4.

6- في لسان العرب: 5/ 304: الأبرز: الوثوب... والأباز: الوثاب.. والأباز: القفاز.

7- سَمت: أي الحسن.

8- المِرت: المفازة.

9- التامور: الوعاء.

قال: فاربـدّ وجه الوليـد وتغيّر لونه وغصّ بريقه وشـرق بعبرته كأنما فُقئ في عينه حبّ المض الحاذق، فأشار عليه بعض جلسائه بالإنصـراف وهو لا يشكّ أنّه مقتول به، فخرج فوجد بعض الأعراب الداخلين فقال له: هل لك أن تأخذ خلعتي الصـفراء وآخذ خلعتك السوداء و أجعل لـك بعض الجـائزة حظّاً؟ ففعـل الرجل وخرج الأعرابي فاسـتوي علي راحلته وغاص في صـحرائه وتوغّل في بيـدائه واعتُقل الرجل الآخر فضُرب عنقه وجيء به إلي الوليد، فقال: ليس هو، هذا صاحبنا، وأنفذ الخيل السراع في طلبه فلحقوه بعد لأي، فلمّا أحسّ بهم أدخل يده إلي كنانته يُخرج سـهماً سهماً يقتل به فارساً بعد فارس، إلي أن قتل من القوم أربعين وانهزم الباقون فجاؤوا إلي الوليد فأخبروه بذلك، فأغمي عليه يوماً وليلة أجمع، فلما أفاق قيل له: ما تجد؟ قال: أجد علي قلبي غمّة كالجبل من فوت هذا الإعرابي».

من وصية له إلي ولده الحسن عليهما السلام:لأعرابي يمدح عليا في مجلس معاوية:

وروي العلاّمة المجلسي قدس سرّه أيضاً في المجلّد 8 من البحار ص 585، ط الأولي أنّه دخل أعرابي علي معاويـة وعنده أهل الشام ليس فيهم غيرهم، ومعاويـة يكلّمهم ويقول لهم: يا أهل الشام قـد عرفتم حبّي لكم وسـيرتي فيكم، وقـد بلغكم صـنيع علي بالعراق وتسويته بين الشريف وبين من لا يُعرف قدره. فقال رجل منهم: لا يهد الله ركنك، ولا يعدمك ولدك، ولا يرينا فقدك.

قال: فما تقولون في أبي تراب؟ فقال رجل منهم ما أراد، ومعاويـة ساكت وعنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، فتذاكرا علياً بغير الحقّ، فوثب الأعرابي من آخر المجلس فقال: يا معاوية تسأل أقواماً في طغيانهم يعمهون، اختاروا الدنيا علي الآخرة، والله لو سألتهم عن السـنّة ما أقاموها، فكيف يعرفون علياً وفضله، أقبل عليَّ أخبرك ثمّ لا تقدر أن تُنكر أنت ولا من عن يمينك، يعني عمرو بن العاص.

هو والله الرفيع جاره، الطويل عماده، دمّر الله به الفساد، وأباد به الشـرك، ووضع به الشـيطان وأولياءه، وضـعضع به الجور، وأظهر به العدل، ونطق زعيم الدين. وأطاب المورد، وأضـحي الداجي، وانتصـر به المظلوم، وهدم به بنيان النفاق، وانتقم به من الظالمين، وأعزّ به المسـلمين، كريـح رحمةٍ أثارت سـحاباً متفرّقاً بعضه إلي بعض حتّي التحم واسـتحكم فاسـتغلظ فاسـتوي، ثمّ تجاوبت نواتقه، وتلألأت بوارقه واسترعد خرير مائه، فأسـقي وأروي عطشانه، وتداعت جنانه، واسـتقلّت به أركانه، واستكثر وابله، ودام رزانه، وتتابع مهطوله، فرويت البلاد واخضرّت وأزهرت، ذاك علي بن أبي طالب سـيّد العرب وإمام الأمّة وأفضـلها وأعلمها وأجملها وأحكمها، أوضح للناس سـيرة الهدي بعد السـعي في الردي، وهو والله إذا اشـتبهت الأمور وهاب الجسور واحمرّت الحـدق وانبعث الفلق وأبرقت البواتر، استربط عنـد ذلك جاشه وعُرف بأسه، ولاـذ به الجبـان الهلـوع فنفّس كربته وحمي حمـايته، مسـتغنٍ برأيه عن مشـورة ذوي الألبـاب، برأي صـليب وحلمٍ أريب مجيب للصواب مصيب. فأمسك القوم جميعاً، وغضب معاوية لعنه الله وقال: أخرجوه، فأخرجوه من المجلس سحباً.

***

ص: 201

من وصية له الي ولده الحسن عليهماالسلام:في محبّة الآخرين والنهي عن الظلم والعجب

اشارة

«يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيما بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَ اكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَ لاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَ أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَ اسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَ ارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَ لاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَ إِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ وَ لاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَ آفَةُ الْأَلْبَابِ فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَ لاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ وَ إِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ»(1)

***

الشرح:

في رسائل الإمام علي عليه السلام وفي عهوده ووصاياه، وفي خطبه وسائر أقواله روائع خالدة تناولها من الإنسان جواهر وغاية، ومن الكون معني وشكلاً، ومن أحوال زمانه وأحداث عصره، ودفعها عقله الحكيم إلي خياله وقلبه حقائق علميّة خالصة، فإذا بها لا تمرّ علي خياله الخصب وعاطفته الحارّة إلاّ لتتحرّك وتنحو وتتبعث وفيها امتدادات ونبض و خفوق، فما هي إلاّ حياة من الحياة. وإنّها لتراث عظيم للإنسانيّة، بوصفها دستوراً جليلاً في الأخلاق الخاصّة والعامّة لا تسمو عليه دساتير الأنبياء والمفكّرين والحكماء في مختلف العصور والأمكنة.

ونلفت النظر هنا بصورة خاصّة إلي فقرات هذه الوصيّة النيّرة، إلي ما

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 84 ط مكتبة المرعشي النجفي - قم

يبـدو فيها من الآثار العلويّـة من دعوة إلي السـلم والمؤاخاة، والتصافي في سبيل الإنطلاق إلي الميادين الإنسانيّـة الرحبـة، وفي سبيل إكرام الحياة واحترام الأحياء، وإنّه ليجدر بمثيري الحروب اليوم ومسـبّبي ويلات الشـعوب والأفراد أن يسمعوا كلمات جبّار الفكر العربي علي بن أبي طالب عليه السلام ويعوها ويُطأطئوا رؤوسهم لصاحبها العظيم، وإليكم بعض روائعه في هذا الفصل.

نفسك ميزانك:

قوله عليه السلام: «يا بُنيّ اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبِب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها».

يريـد عليه السـلام أن يكون ولده المحبوب علي أقسط حال مع من يألف معه ويكتنف به، فإنّ أوسط ما يلمّ به الإنسان في حلّه ومرتحله هو نفسه، فإذا جعل نفسه ميزاناً بينه وبين غيره، فبطبع الحال أنّه لا يروقه إلا الخير والصلاح العام لمن أشير إليهم.

وهنالك مغازٍ شـريفة أخلاقيّـة ألمـح إليها عليه السـلام من انتهاء ذلك إلي الغاية القصوي من مكارم الأخلاق؛ لأنّ الإنسان إذا علم منه أن يحبّ لأمته ما يحبّه لنفسه، فإنّ هناك مجلبة الحبّ الصميم ومدعاة الإخاء المتواصل.

هل يسـتطيع إنسان أن يعمل بهـذا الحـديث الشـريف «لا يؤمن أحـدكم حتي يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه»(1) ومن الذي ينظر إلي نفسـه بالعين التي ينظر بها إلي غيره ويساوي بين أعزّ الناس عليه وبين من لا يمتّ إليه بصـلة؟ إن الحبّ لا يُصـنع باليد، ولا يهبط علي القلب من السـماء، بل له بواعث وأسـباب خاصّة لا تّتصل بالإرادة والاختيار، إنّ كثيراً من الأغنياء ينفقون من أموالهم علي الخير ولا يحبّون أن يموت أحد من الجوع، ولكن لم تبلغ بهم الرحمة والانسانيّة أن يحبّوا لغيرهم ما يحبّونه لأنفسهم، إذ مهما كان قصد الغنيّ شريفاً، ومهما رغب

1- سنن ابن ماجة 1: 26/ ح 66؛ منية المريد للشهيد الثاني: 190.

في الخير، فإنّه لا يحبّ لأحد ما يحبّه لنفسه، والذي يعمل بهذه النصيحة _ من

حيث يشعر أو لا يشعر _ هو الفقير الذي لا تصلح حاله إلاّ بصلاح المجتمع،

ولا يستطيع أن يتعلّم أو يتطبّب ويعمل إلاّ إذا كان كلّ من العلم والطبّ والعمل مضموناً لكلّ فرد علي السواء ودون استثناء، وعلي هذا فمعني الحديث هو النهي عن الاستغلال والطمع، والأمر بالتعاون والتعاضد علي تحقيق العدالة الإجتماعيّة، وإنّ الله لا يأمر بالحبّ ولا ينهي عن البغض، وإنّما يأمر الإنسان أن يكون في عون أخيه الإنسان وبرّه ومناصرته التي تبعث علي الحبّ، وينهي عن خذلانه واستعباده والاعتداء علي حريّته التي توجب البغض.

قوله عليه السلام: «ولا تَظلِم كما لا تحبّ أن تُظلَم، وأحسن كما تحبّ أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وأرضَ من الناس بما ترضاه لهم من نفسك».

هذه جمل شريفة لذات ما تقدّم به عليه السلام من مكارم الأخلاق و موجبات الفضائل ومقوّمات عالم الاجتماع، فهي _ كما أسلفناه _ ممّا تقمع جذور والظلم وتكسح جذومه، وتقيم قوائم الاحسان وترسّخ قواعده وتسدّد الأمت والأود ممّا يستقبحه الإنسان من نفسه ومن كلّ أحد. وأمر عليه السلام أن يتّخذ ولده البارّ نفسه مقياساً لما يرتضيه لأيّ إنسان من المحتّم أن يعاشره ويرعي الصلة بين نفسه وبينه.

وقوله عليه السلام: «ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم».

هذا أيضاً تعليم راقٍ للإنسان الكامل، فإنّه عليه السلام كان يربأ بمن سمع قيله ووعي عظته أن يكون مهذاراً يلهج بما لا يعنيه، فتفضحه فيما يقول أكذوبته، ويقعد به عن مرتقي الكمال مينه، وقد أدمج في هذا النصح الأبويّ نصيحة أخري، فأشار إليه بما هو مزيج نفسيّته الكريمة من التنازل عن الخيلاء ومساقط الكبر بالاعتراف بقلّة ما عنده من العلم، لا سيّما إذا اتّخذ من العلم الربوبيّ مقياساً لما عنده من المعارف، وتتمّة هذه النصيحة هو قوله: «ولا تقل ما لا تحبّ

أن يُقال لك» التي هي لدة صويحباتها في نواميس عالم الاجتماع ومن متمّمات الإلفة و موجبات الإخاء، لاسيّما إذا عرف المجتمع أنّه غير خادش للعواطف الانسانيّة ولا مضيّع للحقوق البشريّة. فهم يصافونه في السرور والعلانية، ويُلقون إليه من أفلاذ أكبادهم ومايغالون به ولا يرخصون، فهو حبيب كلّ من يعرفه بهذه الصفة، وكذلك في كلّ من يتحلّي بما هنالك من ضرائب حميدة وطقوس تروق المجتمع في الحلّ والمرتحل.

***

العجب آفة نفسية

قوله عليه السلام: «إنّ الإعجاب ضد الصواب و آفة الألباب».

أشار عليه السلام إلي وخامة العُجب المضادة لكمال النفس، وأنّه ضدّ الصواب، ولمّا كان الصواب هو سلوك طريق الله باستجماع مكارم الأخلاق، وكان الإعجاب من رذائل الأخلاق، كان مضادّاً للصواب مضادّة الرذيلة للفضيلة، وبأنّه آفة للعقول، إذ هو من أكبر أمراض العقل و آفاته المهلكة، كما أشار إليه الرسول صلي الله عليه وآله : بقوله: «ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوي متبع، وإعجاب المرء بنفسه».(1)

فإنّ المعجب بمالديه يجعجع به الحال عن تحرّي مراقي السعادة والتقدّم، بحسبان أنّ ما عنده وافٍ لما ينبغي أن يتحرّاه من مناهج الأمور، فيبقي عاطلاً لا يجد وسيلة إلي التقدّم، ويكون منتهي أمره الخسران، ومقتبل مصيره الفشل، وهنا يستيقن أنّ الإعجاب ضدّ الصواب و آفة الألباب، لملازمته الخمود في العقل والخمول للنظر في صالح النفس، وأيّ سقوط أحطّ من هذا، وأيّ تدهور أوضع منه؟

نظر المهلّب بن أبي صفرة _ أيّام إمرته في البصرة _ إلي شاب معجب

1- الخصال للصدوق: 84/ ح 11؛ وسائل الشيعة 1: 102/ ح 245.

بنفسه يمشي الخيلاء، فقال له: يا بني أعدل عن سيرك هذا، فانزعج الشاب وقال اله:أتعرفني من أنا؟ قال: نعم أوّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت ما بينهما تحمل العذرة.(1)

قصيدة إيليا أبي ماضي:

يقول إيليا أبو ماضي من شعرياته:

نسي الطينُ ساعةً أنّه طينٌ *** حقيرٌ فصال تيهاً وعربدْ

وكسا الخزُّ جسمه فتباهي *** وحوي المالَ كيسُه فتمرّد

يا أخي لا تَمِل بوجهك عني *** ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

أنت لم تصنع الحرير الذي تلبس *** ولا اللؤلؤ الذي تتقلّد

أنت لا تأكل النضار إذا جعتَ *** ولا تشرب الجمان المنضّد

أنت في البردة الموشّاة مثلي *** في كسائي الرديم تشقي وتسعد

لك في عالم النهار أمانٍ *** ورؤي والظلام فوقك محتد

ولقلبي كما لقلبك أحلام *** حسانٌ فإنّه غير جلمد

أأمانيّ كلّها للتلاشي *** وأمانيك للخلود المؤكّد

أأماني كلّها من ترابٍ *** وأمانيك كلّها من عسجد

لا فهذي وتلك تأتي وتمضي *** كذويها وأيّ شيء يؤبّد

أيّها المزدهي إذا مسّك السقم *** ألا تشتكي ألا تتنهّد؟

وإذا راعك الحبيب بهجرٍ *** ودعتك الشكوي ألا تتوجّد؟

أنت مثلي يهشّ وجهُك للنُّعمي *** وفي حالة المصيبة يكمد

قمرٌ واحد يطلّ علينا *** وعلي الكوخ والبناء الموطّد

1- تفسير القرطبي 18: 294 - 295.

إن يكن مشرقاً لعينيك إنّي *** لا أراه من كُوة الكوخ أسود

النجوم التي تراها أراها *** حين تخفي وعندما تتوقّد

أنت مثلي من الثري وإليه *** فلماذا يا صاحبي اِلتيه والصد؟

***

أحاديث في ذمّ العجب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إعجاب المرء بنفسه دليل علي ضعف عقله».(1)

وقال رسول الله صلي الله عليه وآله: «لولا أنّ الذنب خير للمؤمن من العُجب ما خلّي الله عزّوجَل بين عبده المؤمن وبين ذنب أبداً».(2)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من دخله العُجب هلك».(3)

وقال عليه السلام: «سيّئة تسؤك خير عند الله من حسنة تعجبك».(4)

وقال عليه السلام: «الإعجاب يمنع الازدياد».(5)

وقال عليه السلام: «عُجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله».(6)

وقال ابن مسعود: «الهلاك في اثنين: القنوط والعُجب».

وعن علي بن سويد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن العُجب الذي يفسد العمل؟ فقال: «العُجب درجات: منها أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنّه يُحسن صنعاً، ومنها أن يؤمن العبد بربّه فيمن علي الله عليه السلام ولله عليه فيه المنّ».(7)

1- الكافي 1: 27/ ح 31؛ بحار الأنوار 1: 161/ ح 51.
2- وسائل الشيعة 1: 104/ ح 252.
3- وسائل الشيعة 1: 75 - 76/ ح 8.
4- نهج البلاغة للشيخ محمد عبدة 4: 13/ الرقم 46؛ وسائل الشيعة 1: 105/ ح 255.
5- وسائل الشيعة 1: 105/ ح 256.
6- وسائل الشيعة 1: 105/ ح 257.
7- الكافي 2: 313، ح 3.

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: قال الله عزّوجَل لداود عليه السلام: «يا داود بشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين، قال: كيف أبشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصدّيقين ألاّ يُعجبوا بأعمالهم، فإنّه ليس من عبد أنصبه للحساب إلاّ هلك».(1)

وقال عليه السلام: أتي عالمٌ عابداً فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يسأل عن صلاته وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا؟! قال: كيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتّي تجري دموعي، فقال له العالم: إن ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مُدلّ، إنّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء.(2)

قال عبد الرحمن بن الحجّاج: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق، ثمّ يعمل شيئاً من البرّ فيدخله شبه العُجب به، فقال: هو في حاله الأولي وهو خائف أحسن حالاً منه في حال عجبه.(3)

قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «بينما موسي عليه السلام جالس إذا أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلمّا دني موسي خلع البرنس وقام إلي موسي فسلّم عليه، فقال له موسي: من أنت؟ قال: أنا إبليس، قال: لا قرّب الله دارك، قال: إنّي إنّما جئت الأسلّم عليك لمكانك من الله، فقال له موسي: فما هذا البرنس؟ قال: به اختطف قلوب بني آدم، فقال موسي: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذتَ عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبُه».(4)

عن أحدهما _ يعني أحد الإمامين عليهما السلام قال: دخل رجلان المسجد أحدهما

1- الكافي 2: 314 ح 8.
2- الكافي 2: 313، ح 5.
3- الكافي 2: 314، ح 7.
4- الكافي 2: 314 ح 8.

عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق، وذلك أنّه يدخل العابد مدلاّ بعبادته، والفاسق يدخل وهو نادم علي فسقه مستغفراً لذنبه.(1)

وفي كتاب (أصول الكافي) عن داوود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اتّقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إنّ عيسي ابن مريم كان من شرايعه السيح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير كان كثير اللزوم لعيسي عليه السلام، فانتهي عيسي إلي البحر قال: «بسم الله» بصحّة ويقين منه فمشي علي ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر إلي عيسي جازه «بسم الله» بصحّة ويقين منه فمشي علي الماء ولحق بعيسي، فدخله العُجب بنفسه، فقال: هذا عيسي روح الله يمشي علي الماء، وأنا أمشي علي الماء، فما فضله عليّ؟ فرمس في الماء فاستغاث بعيسي، فتناوله من الماء فأخرجه، فقال له: ما قلتَ يا قصير؟ قال: قلت «هذا روح الله يمشي علي الماء وأنا أمشي علي الماء» فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسي: لقد وضعتَ نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه، فمقتك الله علي ما قلتَ، فتُب إلي الله عزّوجَل ممّا قلت، فتاب الرجل وعاد إلي مرتبته.(2)

قال أمير المؤمنين عليه السلام لولده محمّد بن الحنفيّة: «إيّاك والعُجب وسوء الخلق وقلّة الصبر، فإنّه لا يستقيم لك علي هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لك عليها من الناس مُجانب».(3)

***

1- الكافي 2: 314/ح6.

2- الكافي 2: 306/ ح3.

3- الخصال للصدوق: 147/ ح178؛ بحار الأنوار 69: 315.

ومن خطبة له عليه السلام : في وصف آل محمد عليهم السلام

«هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ وَ مَوئِلُ حِكَمِهِ وَكُهُوفُ كُتُبِهِ وَ جِبالُ دِينِهِ بِهِمْ أَقامَ انْحِناءَ ظَهْرِهِ وَأَذْهَبَ ارْتِعادَ فَرائِصِهِ»(1)

***

ضبط الألفاظ اللغوية:

(اللجاء) محرّكة كالملجأ الملاذ من لجأ إليه كمنع وفرح: لاذ. و(العيبة) ما يُجعل فيه الثياب، وفي الرجل موضع سرّه، و (الموئل) المنجا، من وئل إليه يئل، و(الكهف) غار واسع في الجبل، وفلان كهف لأنّه يلجأ إليه كالبيت علي الاستعارة، و (الانحناء) الاعوجاج، و(الارتعاد) الاضطراب، و(الفرائص) جمع الفريصة، وهي اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترتعد.

***

المعني:

أشار عليه السلام في هذه الفقرات النيّرة إلي آل محمد عليهم السلام، ووصفهم بثمانية أوصاف إشارة إلي علوّ مقامهم وسموّ مكانهم ورفعة درجاتهم وعظمة شأنهم، والمراد بآله و هم الأئمّة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1: 138، ط مكتبة المرعشي - قم. نهج البلاغة لمحمّد عبده 1: 29 - 30؛ بحار الأنوار 23: 117/ ح 32.

ومن العجب أنّ الشارح البحراني العلاّمة ابن ميثم قدس سرّه جعل الأمور المذكورة أوصافاً لأهل النبي صلي الله عليه وآله: الأدنين من بني هاشم، كالعبّاس وحمزة وجعفر وعلي بن أبي طالب عليه السلام.

أمّا علي فمُسلَّم، وأمّا العباس وحمزة وجعفر ونظراؤهم من سائر بني هاشم فأين لهم قابليّة لحفظ سرّ الله، أم أنّي لهم استعداد لأن يكونوا لجاء أمر الله؟ أم كيف لهم الاحاطة بكتب الله ؟ بل القابل لها ولسائر الأوصاف المذكورة إنّما هم آل الله وآل رسوله الذين هم العروة الوثقي ومنار الهدي وأعلام التقي و كهف الوري وهم الملجأ والمنجي.

جاء في كتاب (مشارق الأنوار) تأليف الشيخ رجب البرسي الحلي عن محمد بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن جنب الله، ونحن صفوة الله، ونحن خيرة الله، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله، ونحن وجه الله، ونحن أئمّة الهدي، ونحن العروة الوثقي، وبنا فتح الله، و بنا ختم الله، ونحن الأوّلون، ونحن الآخرون، ونحن أخبار الدهر ونواميس العصر، ونحن سادة العباد وساسة البلاد، ونحن النهج القويم والصراط المستقيم، ونحن عين الوجود وحجّة المعبود، ولا يقبل الله عمل عاملٍ جهل حقّنا، ونحن قناديل النبوّة مصابيح الرسالة، ونحن نور الأنوار و كلمة الجبّار، ونحن راية الحقّ التي من تبعها نجا ومن تأخّر عنها هوي، ونحن أئمّة الدين وقادة الغرّ المحجّلين، ونحن معدن النبوّة وموضع الرسالة، وإلينا تختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء، والسبيل لمن اهتدي، ونحن القادة إلي الجنّة، ونحن الجسور والقناطر، ونحن السنام الأعظم، وبنا ينزل الغيث، وبنا تنزل الرحمة، وبنا يُدفع العذاب والنقمة.

فمن سمع هذا الهدي فليتفقّد قلبه في حبّنا، فإن وجد فيه البغض لنا والانكار لفضلنا فقد ضلّ عن سواء السبيل؛ لأنّا نحن عين الوجود وحجّة المعبود و ترجمان وحيه وعيبة علمه و ميزان قسطه، ونحن فروع الزيتونة وربائب

الكرام البررة، ونحن مصباح المشكاة التي فيها نور النور، ونحن صفوة الكلمة الباقية إلي يوم الحشر، المأخوذ لها الميثاق والولاية من الذرّ».(1)

ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «أيها الناس نحن أبواب الحكمة ومفاتيح الرحمة وسادة الأمة، وأمناء الكتاب وفصل الخطاب، وبنا يُثيب الله ربنا يعاقب، ومن أحبّنا أهل البيت عظم أحسائه ورجح إيمانه وقبل عمله وغفر زلل-ه، ومن أبغضنا لا ينفع إسلامه، وإنّا أهل بيت خصّنا الله بالرحمة والحكمة والنبوّة والعصمة، ومنا خاتم الأنبياء.

ألا- وأنا راية الحقّ التي مَن تلاها سبق، ومن تأخّر عنها مرق، ألا- وإنّنا خيرة الله اصطفانا علي خلقه وائتمتنا علي وحيه، فنحن الهداة المهديّون، ولقد علمت الكتاب، ولقد عهد إليّ رسول الله صلي الله عليه وآله ما كان وما يكون، وأنا أخو رسول الله وخازن علمه، أنا الصدّيق الأكبر ولا يقولها غيري إلاّ مُفترٍ كذّاب، وأنا الفاروق الأعظم».(2)

وفيه: عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: «كونوا لنا زَيناً ولا- تكونوا علينا شَيناً، فإنّه ليس بين الله وبين أحد في خلقه قرابة، ألا من ائتّم بإمام فليعمل عمله، فما معنا براءة من النار، وليس لنا علي الله من حجّة، فاحذروا المعصية لنا والمغالاة فينا، فإنّ الغُلاة شر خلق الله، يصغّرون عظمة الله ويدّعون الربوبيّة لعباد الله، والله إنّ الغلاة شرّ من اليهود والنصاري والمجوس والذين أشركوا، وإلينا يرجع الغالي فلا نقبله، لأنّ الغالي اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصوم فلا يقدر علي ترك عادته، وبنا يلحق المقصّر فنقبله، لأنّ المقصّر إذا عرف عمل».(3)

وفيه: عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: «نزّهونا عن الربوبيّة وارفعوا منّا حظوظ البشريّة_

1- مشارق أنوار اليقين: 73 - 74.

2- بحار الأنوار 26: 260/ح37؛ مشارق أنوار اليقين: 75.

3- مشارق أنوار اليقين: 101.

يعني الحظوظ التي تجوز عليكم _ فلا يُقاس بنا أحد من الناس، فإنّا نحن الأسرار الإلهيّة المودعة في الهياكل البشريّة، والكلمة الربانيّة الناطقة في الأجساد الترابيّة، وقولوا بعد ذلك ما استطعتم، فإنّ البحر لا ينزف، وعظمة الله لا توصف».(1)

جنّبوهم قول الغلاة وقولوا *** ما استطعتم في فضلهم أن تقولوا

فإذا عدت السماء مع الأرض *** إلي فضلهم فذاك قليل(2)

فهم في الأجساد أشباح، وفي الأشباح أرواح، وفي الأرواح أنوار، وفي الأنوار أسرار، فهم الصفوة والصفات والأصفياء، وإليه الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لولانا ما عُرف الله، ولولا الله ما عُرفناه».(3)

وفيه أيضاً ص 126 فهؤلاء سادة الأنام، ومصابيح الظلام، و كسبة الاعتصام، وذروة الاحتشام، وأمناء الملك العلاّم، الذين اصطفاهم للخطاب، وارتضاهم بميراث الحكمة والكتاب، وإليهم الإشارة بقوله: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»(4) فهم السادة الأبرار المصطفون الأخيار الذين وصفهم بالطهارة والعصمة في الكتاب فقال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»(5) فهم الذرية الفاخرة وسادة الدنيا والآخرة، الذي دلَّ الكتاب علي أنّهم الهُداة المهديّون، فقال في وصفهم ربُّ العالمين: «أولئك الذين هدي الله فهداهم اقتده»(6) ثمّ شهد الرسول بأنّهم سفينة النجاة، فقال وقوله

1- مشارق أنوار اليقين: 101.

2- مشارق أنوار اليقين: 101. وفيه: «فإذا عدت سماءً مع الأرض...».

3- مشارق أنوار اليقين: 101.

4- فاطر: 32.

5- الأحزاب: 33.

6- الأنعام: 90.

الحقّ: «أهلُ بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تأخّر عنها ضلّ وغوي»(1) ثمّ أبان لنا ربّ الأرباب أنّهم ورثة الحكمة والكتاب، فقال: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ»(2)

فهم الذريّة الطاهرون والعترة المعصومون، ثم صرّح الذكر المبين أنّهم ولاة الدين، فقال: «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ مّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ»(3) فإليهم الإياب وعليهم الحساب يوم الحساب.

ثمّ اعلم أنّ حكم يوم المعاد إليهم وحساب العباد عليهم، فقال: «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ»(4) فالشهيد محمّد النبي، والسائق علي الولي، ثمّ أبان للخلق عددهم ونبأهم فقال: « وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا»(5) فهم السادة النقباء والأسباط الأوصياء، ثم خصّهم بالشرف والفخار وحصر فيهم العلم والافتخار فقال: «وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ»(6) فآباؤهم محمد وعلي وفاطمة وإخوانهم الحسن والحسين وذرّياتهم الخلفاء من عترة الحسين إلي آخر الدهر، ثمّ قال: «وَاجْتَبَيْنَاهُمْ» فتعيّن شرفهم وفضلهم، ووجب اتّباعهم وانقطاع الكلّ عن مرتبتهم، ونزول الخلائق عن رفعتهم.

ثمّ أكّد ذلك وعينّه وأشاع فضلهم وبينّه، وإنّ الإمامة لا تكون إلاّ في

1- يُعرف بحديث السفينة، وهو من الأحاديث المشهورة المتواترة. انظر علي سبيل المثال: ذخائر العقبي لمحبّ الدين الطبري: 20؛ المعجم الكبير للطبراني 3: 46/ ح 2637؛ شرح نهج البلاغة الابن أبي الحديد 1: 218، ط قم؛ الجامع الصغير للسيوطي 1: 373 الرقم 2442.

2- الغاشية: 25.

3- ق: 21.

4- المائدة: 21.

5- المائدة: 12.

6- الأنعام: 87.

المعصوم البريء من السيّئات المطهر من الخطيئات، وأخرج من سواهم من دائرة الشرف والحكم، وأشار إلي ذلك رمزاً فقال لنوح: «فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي»(1) فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ»(2) ثمّ بيّن لعباده أنّهم أئمة الحقّ، وأوضح لهم أنّهم الداعون إلي الصدق، وأنّ من اتّبع غيرهم ضلّ وزلّ، فقال: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَي الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَيٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»(3) ثمّ توعّد عباده وخوّفهم أن يتّبعوا غيرهم فقال: «اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»(4) والصدق فيهم ومنهم، ثمّ أمر عباده أن يدينون بطاعتهم قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً»(5) فجعل ولايتهم السلم والسلام، ثمّ بيّن في الآيات أنّه اصطفاهم علي الخلائق وارتضاهم للغيب والحقائق فقال: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَيٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَي الْعَالَمِينَ»(6) ثمّ بيّن أنّهم بنعم الله محشورون، وعلي فضل الله محسودون فقال: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَيٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»(7) والملك العظيم هو وجوب الطاعة علي سائر العباد.

ثمّ أوجب علي العباد طاعتهم بالتصريح فقال: «أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»(8) يعني الذين قرنهم بالكتاب والرسول، ثمّ نهي عباده أن يتفرّقوا عنهم فقال:

1- هود: 45.

2- هود: 46.

3- يونس: 35.

4- التوبة: 119.

5- البقرة: 208.

6- آل عمران: 33.

7- النساء: 54.

8- النساء: 59.

«وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ»(1) يعني علياً وعترته، ثمّ قال: «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ» يعني غيرهم «فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» فتضلّ بكم عن سبيله، فجعلهم سبيله الهادي إليه وطريقه الـدالّ عليه، ثمّ جعل من مال عنهم تابعاً للشـيطان ومخالفاً للقرآن وعاصـياً للرحمن، فقال: «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ»(2) وهي طريق أعـدائهم، ثمّ بيّن أنّ مَن اتّبعهم نـال الرضوان وفـاز بالغفران ونجا من النيران، فقال «وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ»(3) ومعناه قفوا عنـد علي وعترته فهم الباب، وتمسّكوا بحبّهم تأمنوا العـذاب، واتّبعوا سبيله فهو أمّ الكتـاب، واعلموا أنّ علياً مولانـكم يُغفر لكم خطايـا كم، ثمّ عـدّد مقامـاتهم في الكتـاب وعيّنهم بالخصّ والنصّ فقال: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»(4) يعني رهطك المصـطفين، ثمّ خصّهم بجوامع الشرف والتفضيل، وهذا هو الفضل الذي لا يُجحد والشرف الذي لا يُحدّ، ثمّ باهـل بهم الأعـداء فجعلهم علي إثبـات دينه شـهداء، وعلي نبوّة نبيّه أدلاّء فقال: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»(5) ثـمّ خصّهم بالمقـام الخـاصّ وجعلهم قنطرة الإخلاص ونهـج النجـاة والخلاص، فقـال: «وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ»(6) وهي خصوصيّة خص بها الربّ الكريم فاطمة الزهراء بضعة الرؤف الرحيم، ثمّ أوجب محبّتهم علي العباد وجعلهم الذُخر يوم المعاد، فقال: «لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ»(7) ثمّ ذكر قصّة نوح فقال: «يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالً»(8)، وقال عن هود «يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا»(9) وقال لمحمد

1- الأنعام: 153.

2- البقرة: 168؛ الأنعام: 142؛ النور: 21.

3- البقرة: 58.

4- الشعراء: 214.

5- آل عمران: 61.

6- الأسراء: 26.

7- الشوري: 23.

8- هود: 29.

9- هود: 51.

صلي الله عليه وآله «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَ»(1) فلم يفرض لهم المودّة إلاّ لأنّهم نجوم الولاية وشموس الهداية لم يرتدّوا عن الملّة، ولم يفارقوا الكتاب والسنّة، لا بل هم الكتاب والسنّة. ففرض مودّتهم وطاعتهم، فمن أخذ بها وجب علي رسول الله صلي الله عليه وآله أن يحبّه لأنّه علي منهاجه، ومن لم يأخذ بها وجب علي رسول الله صلي الله عليه وآله أن يُبغضه لأنه ضيّع فريضة أمره الله والرسول بها، لا بل هي رأس الفرض و تمام كلّ سنّة وفرض، فأيّ شرف أعلي علي هذا المقام؟

ثمّ إنّ الله لم يبعث نبيّاً إلاّ وأمره أن لا يسأل أمّته أجراً علي نبوّته، بل الله يوفّيه أجره، وفرض لمحمد صلي الله عليه وآله مودّة أهل بيته وأمره أن يبيّن فضلهم، فمن أخذ بعده المودّة فهو مؤمن مخلص قد وجبت له الجنّة، ثمّ قرن ذكر محمّد بذِكره في الصلاة، وقرن ذكرهم بذكر نبيه، فدلّ بذاك علي رفيع شرفهم، وبيّن ذلك الصادق الأمين من قوله: «اللهمّ صلّ علي محمد و آل محمد، كما صلّيت علي إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد»،(2) ثمّ أعطاهم من الفضل ما لم يبلغ أحد وصفه، فسلّم علي الأكبر من رسله ولم يسلّم علي آلهم، فقال: «سَلَامٌ عَلَيٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ»،(3) ثمّ قال: «سَلَامٌ عَلَيٰ إِبْرَاهِيمَ»،(4) ثم قال: «سَلَامٌ عَلَيٰ مُوسَيٰ وَهَارُونَ»(5) ثمّ قال: سلام علي آل محمد صلي الله عليه وآله فقال: «سَلَامٌ عَلَيٰ إِلْ يَاسِينَ»(6) وياسين اسم محمد بلغة طي.

1- الشوري: 23.

2- دعائم الإسلام 1: 29؛ عيون أخبار الرضا 2: 213 ح 1.

3- الصافات: 79.

4- الصافات: 109.

5- الصافات: 120.

6- الصافات: 130، وهي قراءةمنسوبة إلي الإمام الرضا عليه السلام وإلي بعض الصحابة. انظر معجم القراءآت القرآنية في هذا الشأن، وانظر كلام ابن حجر في الباب الحادي عشر من الصواعق المحرقة.

ثمّ أنزل في كتابه ما فرّق به من الآل والأمّة فقال: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَ»(1) فرضي لهم مارضي لنفسه، فبدأ لنفسه ثمّ بدأ برسوله ثم بآل رسوله، فجعل لنفسه نصيباً ثمّ للنبي ثمّ لآله، ثمّ قربّهم إليه بالطاعة فقال: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»(2) فبدأ بنفسه ثمّ برسوله المخبر عنه ثمّ بالهداة المهديّين من عترته، ثمّ أكّد لهم الولاية فقال: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»(3) فجعل ولايتهم مع ولاية الرسول مقرونة بولايته، كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقروناً بسهمه في القسمة والغنيمة فسبحان من فضّلهم ورفعهم واختارهم علي العالمين.

ثمّ أنّه لما أنزلت آية الصدقة، نزّه نفسه ورسوله ونزّه أهل بيته، فقال: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ»(4) إلي آخر الآية، فلم يجعل له سهماً ولا لرسوله ولا لآل رسوله في الصدقات؛ لأنّها من أوساخ الناس، وهم مطهّرون من الأدناس، فهم الآل الذين أمر الله بطاعتهم، وذوو القربي الذين أمر الله بمودّتهم وصلتهم، والموالي الذين أمر الله بطاعتهم ومعرفتهم، وأهل الذكر الذين أمر الله بمسألتهم، ورضي لهم ما رضي لنفسه، ونزّههم ممّا نزّه من نفسه، وجعلهم آل الرسول خاصّة، فقال: «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولً»(5) فهم آل الرسول وعترته وأهل الله وخاصّته، ومعدن التنزيل ونهايته، وسدنة الوحي وخزنته، كما قال أبو الحسن الرضا عليه السلام للمأمون في مشاجرته: أيحلّ لرسول الله صلي الله عليه وآله لو كان حيّاً أن يتزوّج إليك؟ فقال المأمون: نعم، فقال الرضا عليه السلام: لكنّه لا يحلّ له

1- الأنفال: 41.

2- النساء: 59.

3- المائدة: 55.

4- التوبة: 60.

5- الطلاق: 10 و 11.

أن يتزوّج إليّ، فقال المأمون: نعم لأنّك ابنه،(1) وهذا هو الفرق ما بين الآل والأصحاب؛ لأنّ المأمون كان يزعم أنّ آل رسول الله أصحابه وأمّته، فأبان لهم الإمام من آله وأصحابه، ثمّ أنّه قال له سبحانه في لفظ التخصيص: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ»(2) فلفظ الأمر هنا خاصّ ومعناه عامّ، لأنّه أدخله مع الأمّة لعموم الأمر، وميّزهم عنهم بتخصيص لفظ الأهل، فكان رسول الله صلي الله عليه وآله بعد نزول هذه الآية يأتي إلي باب الزهراء عليها السلام فيقف هناك ويقل: الصلاة يا آل محمد الصلاة».(3)

الأمر الأول: أهل البيت عليهم السلام موضع سرّ الله:

وبالتالي فأوّل الأوصاف المذكورة ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «هم موضع سرّه».

والمراد بالسرّ علم لا ـ يجوز إظهاره للعموم، والأئمّة عليهم السلام موضعه ومأواه، ومستقرّة ومقامه، و خُزّانه وحفّاظه، لا يظهرونه أو لا يظهرون منه إلاّ ما يحتمل علي من يتحمّل، إذ العموم لا يقدر علي تحمّل أسرار الله سبحانه، ولذلك قال علي بن الحسين عليهما السلام: لو عَلِم أبو ذر بما في قلب سلمان لقتله.(4)

وفي البحار من كتاب السيد حسن بن كبش بإسناده عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا محمد إنّ عندنا سرّاً من سرّ الله وعِلماً من علم الله لا يحتمله مَلَك مقرّب ولا نبيّ مُرسَل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله أحداً ذلك الحمل غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، و إنّ عندنا سرّاً من سرّ الله وعِلماً من علم الله أمرنا الله بتبليغه، فبلّغنا عن الله عزّوجَل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة يحملونه، حتّي خلق الله لذلك أقواماً

1- الفصول المختارة للمفيد: 37.

2- طه: 132.

3- ذخائر العقبي: 24؛ بحار الأنوار 37: 36/ ح 3.

4- الكافي 1: 401/ ح 2.

خُلقوا من طينة خلق منها محمّد وذرّيته، ومن نور خلق الله منه محمّداً وذريته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي منها محمّداً وذرّيته، فبلّغناهم عن الله عزّوجَل ما أمرنا بتبليغه، فقبلوه واحتملوا ذلك عنا فقبلوه واحتملوه، وبلغهم ذِكرنا فمالت قلوبهم إلي معرفتنا وحديثنا، فلولا أنّهم خُلقوا من هذا لما كانوا كذلك، ولا والله ما احتملوه.

ثمّ قال عليه السلام: إنّ الله خلق قوماً لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلّغهم كما بلّغناهم، فاشمأزّوا في ذلك ونفرت قلوبهم وردّوه علينا ولم يحتملوه وكذّبوا به وقالوا: ساحر كذّاب، فطبع الله علي قلوبهم وأنساهم ذلك، ثمّ أطلق الله لسانهم ببعض الحقّ، فهم ينطقون به وقلوبهم مُنكِرة، ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته، ولولا ذلك ما عُبد الله في أرضه، فأمرنا الله بالكفّ عنهم والكتمان منهم، فاكتموا ممّن أمر الله بالكفّ عنهم، واستروا عمّن أمر الله بالستر والكتمان منهم.

قال: ثمّ رفع عليه السلام يده وبكي، وقال: «اللهمّ إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون، فاجعل محياهم محيانا ومماتهم مماتنا، ولا تسلّط عليهم عدوّاً لك فتفجعنا بهم، فإنّك إن فجعتنا بهم لم تُعبد أبداً في أرضك».(1)

قال ميرزا حبيب الله الخوئي رَحمه الله: وبهذه الرواية يحصل الجمع بين قولهم عليهم السلام «إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا مَلَك مقرب أو نبيّ مرسل أومؤمن امتحن الله قلبه للإيمان» وبين الخبر الخالي من الاستثناء، فإنّ الثاني محمول علي السرّ المختص بهم عليهم السلام الذي لا يحتمله أحد غيرهم، والأوّل محمول علي السرّ الذي هو أدني من ذلك، وهو السرّ الذي تقدّم إليهم النصّ من الله سبحانه لإظهاره لبعض خواصّهم علي مراتب استعدادهم، وهو الذي أشار إليه الصادق عليه السلام بقوله: «لو علم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله» فإنّ أباذر لا

1- الكافي 1: 402/ ح 5.

استعداد له علي احتمال السرّ الذي احتمله سلمان، وكذلك كميل بن زياد مع كونه من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام لا يحتمل ما احتمله أبو ذر رَضي الله عَنهُ ، فهو و إن كان صاحب سرّه عليه السلام لكن بالنسبة إلي غيره من سائر الناس، ولذلك أنّه بعدما سأل منه عليه السلام عن الحقيقة وأجاب بقوله عليه السلام: ما لك والحقيقة؟ قال: أو لست صاحب سرّك؟ فلم يقرّه عليه السلام علي عموم ما ادعاه، بل أجاب بقوله: بلي ولكن يترشّح عليك ما يطفح مني. فإنّ استدراكه عليه السلام بقوله: ولكن...، إشارة إلي أنّ ما يظهر من السرّ عليه من قبيل نداوة الطفحان ورشحته الفائضة من جوانبه، وأنّه ليس صاحب السرّ علي نحو العموم.

وبالتالي: فقد وضح وظهر ممّا ذكرنا أنّ أسرار الله سبحانه هي علوم لايجوز إظهار ما جاز إظهارها منها إلا للكمّل علي اقتضاء مراتب الاستعداد.

وقد روي في الخرائج بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أتي الحسين عليه السلام ناس فقالوا له: يا أبا عبد الله حدّثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنّكم لا تحتملونه ولا تطيقونه، قالوا: بلي نحتمل، قال: إن كنتم صادقين فليتنحّ اثنان وأحدّث واحداً، فإن احتمله حدثتكم، فتنحّي اثنان وحدّث واحداً، فقام طائر العقل ومرّ علي وجهه وذهب، و كلّمه صاحباه فلم يردّ عليهما شيئاً وانصرفوا.(1)

وفيه بالاسناد المذكور قال: أتي رجل الحسين بن علي عليهما السلام فقال: حدّثني بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنّك لن تطيق حمله، قال: بل حدّثني يابن رسول الله، إنّي أحتمله، فحدّثه بحديث، فما فرغ الحسين عليه السلام من حديثه حتّي ابيضّ رأس الرجل ولحيته وأنسي الحديث، فقال الحسين عليه السلام، أدركته رحمةُ الله حيث أنسي الحديث.(2)

1- الخرائج والجرائح 2: 795/ ح 4.

2- الخرائج والجرائح 2: 795/ح 5.

حديثاصعب مستصعب:

وفي البحـار من كتاب المحتضـر للحسن بن سـليمان من كتاب ابن شـريفة الواسـطي يرفعه إلي ميثم التمار، قال: بينما أنا في السوق إذ أتي أصـبغ بن نباتة فقال: ويحك يا ميثم، لقد سـمعت من أمير المؤمنين عليه السـلام حديثاً صـعباً شديداً، قلت: وما هو؟ قال: سمعته يقول: إنّ حـديث أهـل البيت صـعب مستصـعب لاـ يحتمله إلا مَلَك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبـد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان. فقمت من فورتي فأتيت علياً عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين حديث أخبرني به أصبغ عنك قد ضقت به ذرعاً، فقال عليه السلام: ما هو؟ فأخبرته به، فتبسّم ثم قال: اجلس يا ميثم، أو كلّ علم يحتمله عالم؟ إنّ الله تعالي قال للملائكة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»(1) فهل رأيت الملائكـة احتملوا العلم؟ قال: قلت: إنّ هـذا أعظم من ذلـك، قال: والأخري، إنّ موسـي بن عمران أنزل الله عليه التوراة فظنّ أن لا أحـد أعلم منه، فأخبره أنّ في خلقه أعلم منه، وذلك إذ خـاف علي نبيه العُجب، قـال: فـدعا ربّه أن يرشـده إلي العالم، فجمع الله بينه وبين الخضـر عليه السـلام، فخرق السـفينة فلم يحتمل ذلك موسي، وقتل الغلام فلم يحتمله، وأقام الجدار فلم يحتمله.

وأمّا النبيّون فإنّ نبيّنا صـلي الله عليه وآله أخـذ يوم غدير خُمّ بيدي فقال: اللهمّ من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فهل رأيت أحداً احتمل ذلك إلاّ من عصم الله منهم، فأبشـروا ثمّ أبشـروا، قـد خصّكم بمـالم يخصّ به الملائكـة والنبيين والمرسـلين فيما احتملتم ذلك في أمر رسول الله وعلمه، فحـدّثوا عن فضـلنا ولاـ حرج، وعن عظيم أمرنا ولا أثم، قال: قال رسول الله صـلي الله عليه وآله: «أمرنا معاشـر الأنبياء أن نُخاطب الناس علي قدر عقولهم».(2)

1- البقرة: 30.

2- بحار الأنوار 20: 383 ـ 384 ح 38.

الثاني: أهل البيت لا ملتجأ أمر الله

مـا نبّه عليه عليه السـلام بقوله: «ولجاء أمره» قال ابن ميثم البحراني: أشاد بكونهم عليهم السـلام ملجأ أمره إلي أنّهم الناصـرون له والقائمون بأوامر الله والذابّون عن الدين،فإليهم يلتجئ، وبهم يقوم سلطانه.

قال الخوئي رَحمه الله: المسـتفاد من ظاهر كلامه عليه السلام أن المراد بالأمر هو الأمور الدينيّة وأنّهم ملجأ لنفس الأوامر، والأظهر الأقوي عندي أنّ المراد أنّهم لجاء للعباد في الأوامر الدينية، بمعني أنّ الخلق إذا تنازعوا في شـيء منها وعجزوا فيها عن النيل إلي الواقع فهم الملجأ والملاذ؛ لأنّهم أولو الأمر، قال تعالي: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَي اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً»(1)

قـال علي بن إبراهيم القمّي في تفسـيره: حـدّثني أبي عن حمـاد، عن حريز، عن أبي عبـد الله عليه السـلام، قـال: نزل فإن تنازعتم في شـيء فأرجعوه إلي الله وإلي الرسول وإلي أولي الأمر منكم.(2)

وهو يـدلّ علي أنّ المنزل «فـأرجعوه، مكان «فردّوه»، ويحتمل أن يكون تفسـيراً له، ويـدلّ أيضاً علي أنّ الموجود في مصـحفهم قول «وإلي أولي الأمر منكم»، وعلي ذلك فالآيـة صـريحة في الدلالة علي المطلوب من ردّ الأمور الدينية التي اختلف فيها إلي كتاب الله وإلي رسوله والأئمة عليهم السلام.

وأمّا علي ما هو الموجود في هـذه المصاحف التي بأيـدينا فالدلالة أيضاً غير خفيّة علي مذهبنا؛ لأنّ الردّ إلي الأئمة القائمين مقام رسول الله صلي الله عليه وآله بعـد وفاته هو مثل الردّ إلي الرسول في حياته، لأنّهم الحافظون لشـريعته والخلفاء في أمته، فجروا مجراه فيه، ومثلها قوله تعالي:

1- النساء: 59.

2- تفسير القمّي 1: 141.

«وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَي الرّسُولِ وَإِلَيٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ»(1)

روي في البحار في تفسير العياشي عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية، قال: هم الأئمة عليهم السلام.(2)

وعن عبد الله بن جندب قال كتب إلي أبو الحسن الرضا عليه السلام: «ذكرت _ رحمك الله _ هؤلاء القوم الذين وصفت أنّهم كانوا بالأمس لكم إخواناً، والـذين صاروا إليه من الخلاف لكم والعـداوة لكم والبراءة منكم، والـذي تأفّكوا _أي تكلّفوا _به من حياة أبي صـلوات الله عليه ورحمته، وذكر في آخر الكتاب: إنّ هؤلاء القوم سنح لهم شيطان اغترّهم بالشبهة ولبس عليهم أمر دينهم، وذلك لما ظهرت فريتهم واتّفقت كلمتهم ونقموا علي عالمهم وأرادوا الهدي من تلقاء أنفسهم فقالوا: لم، ومن، وكيف، فأتاهم الهلاك من مأمن احتياطهم، وذلك بما كسبت أيديهم «وَمَا رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ»،(3) ولم يكن ذلك لهم ولا عليهم، بل كان الفرض عليهم والواجب لهم من ذلك الوقوف عنـد التحيّر ورد ما جهلوا من ذلك إلي عالمه ومستنبطه، لأنّ الله يقول في محكم كتابه:

«وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَي الرّسُولِ وَإِلَيٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ».(4)

يعني آل محمد عليهم السلام، وهم الذين يستنبطون من القرآن ويعرفون

الحلال والحرام، وهم الحجّة علي خلقه.(5)

أهل البيت عليهم السلام هم ولاة الأمر:

هـذا وقـد ظهر مما ذكر أنّ الأئمـة عليهم السـلام هم ولاة الأمر، وأنّهم المقصودون بأولي الأمر في الآيتين، أمّا الآية الثانية فلما ذكرنا، وأمّا الآية الأولي فللأخبار المستفيضة.

1- النساء: 83.

2- بحار الأنوار 23: 284.

3- فصّلت: 46.

4- النساء: 83.

5- بحار الأنوار 23: 295 - 296 ح 36.

الدليل النقلي:

أمّا الأخبار فمنها ما رواه في البحار عن تفسير فرات بن إبراهيم، عن عبيد بن كثير معنعناً، أنّه سُئل جعفر بن محمد عليهما السلام عن قول الله: «أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ».(1)

قال: أولي الفقه والعلم، قلنا: أخاصّ أم عامّ؟ قال عليه السلام: بل خاصّ لنا.(2)

وفي الكافي عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية، قال: الأوصياء.(3)

وفيه أيضاً عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: « إِنّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَيٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ».(4)

فقال عليه السلام: إيّانا عني، أن يؤدّي الأول إلي الإمام الذي بعده الكتب والعلم والسلاح، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل الذي في أيديكم، ثمّ قال للناس: «يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»(5) إيّانا عني خاصّة، أمر جميع المؤمنين إلي يوم القيامة بطاعتنا، فإن خضتم تنازعاً في أمر فردّوه إلي الله وإلي الرسول وإلي أولي الأمر منكم، كذا نزلت، وكيف يأمرهم عزّوجَل لا بطاعة ولاة الأمر ويرخّص في منازعتهم، إنّما قيل ذلك للمأمورين الذين قبل لهم: «أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»(6) والأخبار في هذا الباب كثيرة لا تحصي.

1- النساء: 59.

2- بحار الأنوار 23: 298/ ح 47.

3- انظر الكافي 1: 189/ ح16.

4- النساء: 58.

5- النساء: 59.

6- الكافي 1: 276/ ح 2.

الدليل العقلي:

وأمّا دليل العقل فلأنّه سبحانه أمر بوجوب طاعة أولي الأمر علي نحو العموم، فلابدّ من كونه معصوماً، وإلاّ لزم أن يكون تعالي قد أمر بالقبيح، لأنّ من ليس بمعصوم لا يُؤمَن صدور القبيح عنه، فإذا وقع كان الاقتداء به قبيحاً، والمعصوم بعد الرسول صلي الله عليه وآله منحصر بإجماع الأمة في الأئمّة.

ويحتمل أن يكون المراد بالأمر في قوله عليه السلام: (ولجاء أمره) الأعمّ من الأمور الدينيّة، وربّما فسّر به في الآيتين أيضاً، فالمراد به علي ذلك جميع الأمور المقدّرة المشار إليها في قوله سبحانه: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»(1) وفي قوله: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»(2)

وقد جاء في رواية الكافي عن الباقر عليه السلام أنّه لينزل في ليلة القدر إلي وليّ الأمر تفسير الأمور سنة سنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا.(3) وهذا الاحتمال أقرب بالنظر إلي عموم وظيفتهم عليهم السلام.

الثالث: أهل البيت عليهم السلام عيبة علم الله

ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «و عيبة علمها» يعني أنّ علمه مودع عندهم كالثياب النفسيّة المودعة في العيبة، وتشبيههم بالعيبة من حيث إنّهم كانوا حافظين وصائنين له عن الضياع والاندراس حسن الاستعارة بالعية الحافظة للباس عن الأدناس.

قال البحراني: و كونهم عيبة علمه مرادف لكونه موضع سرّه، إذ يقال في العرف: فلان عيبة العلم إذا كان موضع أسراره.

قال الخوئي: أمّا ترادفها في اللغة والعرف فقد صرّح به بعض اللغويّين

1- قدر: 4.

2- الدخان: 4.

3- الكافي 1: 248/ ح 3.

أيضاً، ولكن الظاهر أنّ السرّ أخصّ من العلم، لما قد عرفت سابقاً من أنّ السرّ هو العلم الذي يُكتم، وقد صرّح به غير واحد من اللغويين، وهو المتبادر منه أيضاً، فيكون حقيقة فيه. وعلي هذا فيكون العلم أعمّ منه، وهو الأنسب بالمقام أيضاً من حيث إنّ التأسيس أولي من التأكيد.

وكيف كان، فلا غبار علي أنّ علم الله و علم رسوله المتلقّي منه سبحانه مودع عندهم وهم الحافظون له.

الدليل النقلي:

ويدلّ عليه الأخبار المتواترة القطعية.

منها ما رواه الكليني في الكافي بإسناده عن يونس بن رباط قال: دخلت أنا و كامل التمّار علي أبي عبد الله عليه السلام فقال له كامل: جُعلت فداك حديث رواه فلان. فقال: أذكره، فقال: حدّثني أنّ النبي صلي الله عليه وآله حدّث علياً عليه السلام بألف باب يوم توفّي رسول الله، كلّ باب يفتح له ألف باب، فذلك ألف ألف باب، فقال: لقد كان ذلك، قلت: جُعلت فداك فظهر ذلك لشيعتكم ومواليكم؟ فقال عليه السلام: يا كامل، باب أو بابان، فقلت له: جُعلت فداك فما بروي من فضلكم من ألف ألف باب إلاّ باب أو بابان؟ قال: فقال: وما عسيتم أن تروا من فضلنا؟ ما تروون من فضلنا إلاّ ألفاً غير معطوفة.(1)

وفي البحار من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من نوادر الحكمة يرفعه إلي أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه المفضّل بن عمر فقال: مسألة يابن رسول الله، فقال عليه السلام: سَل يا مفضّل، قال: ما منتهي علم العالم؟ قال عليه السلام: قد سألت جسيماً، لقد سألت عظيماً، ما السماء الدنيا في السماء الثانية إلاّ كحلقة درع ملقاة في أرض فلاة، وكذلك كلّ سماء عند سماء

1- الكافي 1: 297 ح 9.

أخري، وكذلك السماء السابعة عند الظلمة، ولا الظلمة عند النور، ولا ذلك كلّه في الهواء، ولا الأرضين بعضها في بعض، ولا مثل ذلك كلّه في علم العالم ـ يعني الإمام ـ إلا مثل مـدٍ من خردل دقّقته دقّاً ثمّ ضـربته بالماء، حتّي إذا اختلط ورغا أخذتَ منه لعقة بأصـبعك، ولا علم العـالم في علم الله إلاّ مثل حبّـة من خردل دقته دقاً ثم ضـربته بالماء حتّي إذا اختلط ورغا انتهزت منه برأس ابرة نهزة، ثمّ قال عليه السـلام: يكفيك من هذا البيان بأقلّه، وأنت بأخبار الموت تصيب».(1)

وفي كتاب المحتضـر أيضاً نقلاً من كتاب الأربعين رواية سـعد الأربلي عن عمّار بن خالد، عن إسحاق الأزرق، عن عبد الملك بن سليمان قال: وجد في ذخيرة أحد حواري المسـيح رقّ مكتوب بالقلم السـرياني منقولاً من التوراة، وذلك لمّا تشاجر موسي والخضر عليهما السلام في قضية السفينة والغلام والجدار ورجع موسي إلي قومه، سأله أخوه هارون عمّا استعمله مع الخضر وشاهد من عجائب البحر.

قال: بينما أنا والخضـر علي شاطئ البحر إذ سـقط بين أيـدينا طائر أخـذ في منقاره قطرة من ماء البحر ورمي بها نحو المشـرق، ثم أخذ ثانية ورمي بها نحو المغرب، ثمّ أخـذ ثالثة ورمي بها نحو السـماء، ثمّ أخذ رابعة ورمي بها نحو الأرض، ثمّ أخذ خامسة وألقاها في البحر، فبهت الخضـر وأنا، قال موسي:فسألت الخضر عن ذلك، فلم يجب، وإذا نحن بصياد يصطاد فنظر إلينا وقال: مالي أراكما في فكر و تعجّب؟ فقلنا: في أمر الطـائر، فقـال: أنـا رجل صـيّاد وقـد علمتُ إشارته وأنتما نبيّان لا تعلمان، قلنا: ما نعلم إلاّ ما علّمنا الله عزّوجَل، قال: هـذا طائر في البحر يسـمّي مسـلم، لأنّه إذا صاح يقول في صـياحه مسلم، وأشار بذلك إلي أنّه يأتي في آخر الزمان نبي يكون عِلم أهل المشرق والمغرب وأهل السـماء والأرض عند عِلمه مثل هذه القطرة الملقاة في البحر ويرث علمه ابنُ عمّه ووصيّه، فسكن ما كنّا فيه من المشاجرة واستقلّ كلّ واحد منا علمه بعد أن

1- بحار الأنوار 25: 385/ ح43.

كنّا به معجبين، ومشينا ثمّ غاب الصياد فعلمنا أنّه مَلَك بعثه الله إلينا يعرّفنا بنقصنا حيث ادّعينا الكمال.(1) وبهذه الأخبار يعرف المعيار إجمالاً لعلومهم عليهم السلام، وفيها كافية لن ألقي السمع وهو شهيد.

الرابع: أهل البيت عليهم السلام موئل حكم الله

ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «و موئل حكمه» والمراد بالحكم أمّا الأحكام الشرعية _ أي خطاب الله المتعلق بأفعال المكلّفين من حيث الاقتضاء أو التخير _ وإما القضاء الرافع للخصومات، وعلي أيّ تقدير فهم موئله و منجاه، إليهم يلتجئ فيه، وبهم يحصل الخلاص والنجاة، لأنّ ما عندهم هو الحكم المتلقّي من الوحي الإلهيّ الذي هو مطابق للمواقع والواقع مطابق له، وهو كلّه صواب لا ريب فيه، وهم المرشدون إليه والأدلاّء عليه.

ويشهد به ما في البحار من مجالس المفيد بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أما أنّه ليس عند أحد من الناس حقّ ولا صواب إلاّ شيء أخذوه منّا أهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحقّ ولا عدل إلاّ ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوّله وسنّته أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قِبلهم إذا أخطأوا، والصواب من قِبل علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أصابوا.(2)

وفي البحار عن بصائر الدرجات عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد: علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب».(3)

1- المحتضر: 100- 101؛ بحار الأنوار 26: 199 - 200 ح 12.

2- بحار الأنوار 2: 179/ ح 1؛ أمالي المفيد: 95 - 96/ ح 6.

3- بحار الأنوار 26: 147/ ح 27؛ بصائر الدرجات: 286 ح 2.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا أبا بصير إنّا أهل بيت أوتينا علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب، وعرفنا شيعتنا كعرفان الرجل أهل بيته».(1)

والمراد بفصل الخطاب الحكم الفاصل بين الحقّ والباطل، أو المفصول الواضح الدلالة علي المقصود، أو ما كان من خصائصهم من الحُكم المخصوص في كلّ واقعة والجوابات المسكتة للخصوم في كلّ مسألة.

إذا عرفت ما ذكرناه فنقول: إنّ اللازم حينئذ أخذ الأحكام منهم والرجوع إليهم، ولا يجوز الاستبداد بالعقول الناقصة والآراء الفاسدة في الأحكام الشرعية والاعتماد فيها علي الأقيسة والاستحسانات، وقد قال أبو الحسن عليه السلام فيما رواه في بصائر الدرجات عن محمد بن حكيم، عنه عليه السلام؛ إنّما هلك مَن كان قبلكم بالقياس، وإنّ الله تبارك و تعالي لم يقبض نبيّه صلي الله عليه وآله حتّي أكمل له جميع دينه في حلاله وحرامه، فجاء كم بما تحتاجون إليه في حياته و تستغنون به وبأهل بيته بعد موته، و إنّها مخبية عند أهل بيته، حتّي أنّ فيه لأرش الخدش، ثم قال عليه السلام: «إنّ أبا حنيفة لعنه الله ممّن يقول: قال عليّ وقلت أنا».(2)

وكذلك لا يجوز الرجوع في المرافعات إلي قضاة السوء، فمن رجع إليهم كان بمنزلة الذين قال عنهم الله عزّوجَل: «أَلَمْ تَرَ إِلَي الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَي الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ»(3) الآية.

الخامس: أهل البيت عليهم السلام كهف الكتب السماويّة

ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «و كهف كتبه» تشبيههم بالكهف باعتبار أنّهم يُلتجأ إليهم فيها، أو أنّهم المأوي لها والحاوون لما فيها، كالكهف الذي يحوي من يأوي إليه.

قال العلاّمة الشيخ عبد الصمد التبريزيّ في الدّرة النجفية:

1- بحار الأنوار 26: 146/ ح 25؛ بصائر الدرجات: 286 ح 9.

2- بصائر الدرجات: 167/ ح3.

3- النساء: 60.

«وإنّهم أهلُ حفظها وعندهم عِلم ظاهرها وباطنها، وهذا الحكم ظاهر الصدق للرواية والدراية، أمّا الرواية فلقوله عليه السلام: لو كُسرت لي الوسادة ثمّ جلست عليها لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، واللهِ ما من آية نزلت في برّ أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلاّ أنا أعلم فيمن نزلت، وفي أيّ وقت نزلت،(1) ولقول الصادق عليه السلام: إنّ الله عزّوجلّ لم يُعطِ الأنبياء شيئاً إلاّ وقد أعطي محمداً صلي الله عليه وآله جميع ما أعطي الأنبياء، وعندنا الصحف التي قال الله عزّوجَل «صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ»(2) قيل: هي الألواح؟ قال: نعم».(3)

وأمّا الدراية فإنّ الرجوع بكتب الأخبار والتتبّع بطريقتهم لأرباب الملل في احتجاجاتهم شاهد علي المدّعي.

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع الجاثليق ورأس الجالوت وبقية المذاهب :

وقد روي المجلسيّ قدس سرّه في البحار عن محمّد بن فضل الهاشمي في رواية طويلة نكتفي بذكر موضع الحاجة منها، قال: لمّا توفّي موسي بن جعفر عليه السلام أتيتُ المدينة فدخلت علي الرضا عليه السلام قلت: إنّي سائر إلي البصرة وقد عرفت كثرة خلاف الناس، وقد نُعي إليهم موسي وما أشكّ أنّهم سيسألون عن براهين الإمام عليه السلام،ولو أريتني شيئاً من ذلك، فقال الرضا عليه السلام: لم يَخْفَ عليَّ هذا، فأبلغ أولياءنا بالبصرة أنّي قادم عليهم، ولا قوّة إلاّ بالله، ثمّ أخرج إليّ جميع ما كان للنبي صلي الله عليه وآله عند الأئمّة من بُردته وقضيبه وسلاحه وغير ذلك، فقلت: متي تقدم عليهم؟ قال: بعد ثلاثة أيام من وصولك ودخولك البصرة... إلي أن قال:

1- شرح مائة كلمة لابن ميثم البحراني: 218.

2- النجم: 36.

3- بصائر الدرجات: 157ح 11؛ بحار الأنوار 26: 61/ ح138.

فلمّا كان اليوم الثالث من دخولي البصرة فإذا الرضا عليه السلام قد وافي، فقصد منزل الحسن بن محمد وأخلي له داره وقام بين يديه يتصرّف بين أمره ونهيه، فقال: يا محمد أحضر جميع القوم الذين حضروا عند محمد بن الفضل وغيرهم من شيعتنا، وأحضر جائليق النصاري ورأس الجالوت، ومُر القوم يسألوا عمّا بدا لهم. فجمعهم كلّهم والزيديّة والمعتزلة... إلي أن قال: فقال لهم الرضا عليه السلام: لا تتفرّقوا فإني إنّما جمعتكم لتسألوا عمّا شئتم من آثار النبوّة وعلامات الإمامة التي لا تجدونها إلا عندنا أهل البيت: فهلمّوا مسائلكم، فسُئل عليه السلام عن كلّ مسألة، فأجابهم عمّا سألوا، حتّي انتهي الأمر إلي الجاثليق، فالتفت إليه الرضا عليه السلام فقال: هل دلّ الإنجيل علي نبوّة محمد صلي الله عليه وآله، قال: لو دلّ الإنجيل علي ذلك ما جحدنا، فقال عليه السلام: أخبرني عن السكتة التي لكم في السفر الثالث، فقال الجاثليق: إسم من أسماء الله تعالي ولا يجوز لنا أن نظهره، قال الرضا عليه السلام: فإن قررتك أنّه إسم محمد صلي الله عليه وآله وذكره، وأقرّ عيسي به، وأنّه بشّر بني إسرائيل بمحمّد صلي الله عليه وآله لتقرّبه ولا تُنكره، قال الجاثليق: إن فعلتَ أقررتُ، فإنّي لا أردّ الإنجيل ولا أجحده، قال الرضا عليه السلام: فخُذ علي السفر الثالث الذي فيه ذِكر محمّد صلي الله عليه وآله وبشارة عيسي بمحمّد صلي الله عليه وآله ، قال الجائليق: هاتِ، فأقبل الرضا عليه السلام يتلو ذلك السِفر من الأنجيل حتّي بلغ ذكر محمد صلي الله عليه وآله فقال: يا جاثليق من هذا الموصوف؟ قال الجاثليق: صِفه، قال عليه السلام: لا أصفه إلاّ بما وصفه الله، هو صاحب الناقة والعصا والكساء، النبيّ الأمّيّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلّ لهم الطيّبات ويُحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، يهدي إلي الطريق الأقصد والمنهاج الأعدل والصراط الأقوم، سألتُك يا جاثليق بحقّ عيسي روح الله وكلمته، هل تجدون هذه الصفة في الإنجيل لهذا النبي صلي الله عليه وآله؟

فأطرق الجاثليق مليّاً وعلم أنّه إن جحد الأنجيل كفر، فقال: نعم هذه الصفة من الإنجيل، وقد ذكر عيسي في الإنجيل هذا النبي ولم يصحّ عند النصاري أنّه صاحبكم، فقال الرضا عليه السلام: أمّا إذا لم تكفر بجحود الانجيل وأقررت بما فيه من صفة محمد صلي الله عليه وآله، فخُذ علي في السفر الثاني فإنّي أوجدك ذِكره وذِكر وصيّه وذِكر ابنته فاطمة وذِكر الحسن والحسين، فلمّا سمع الجاثليق ورأس الجالوت علما أنّ الرضا عليه السلام عالم بالتوراة والإنجيل، فقالا: واللهِ قد أتي بما لا يمكننا ردّه ودفعه إلاّ بجحود التوراة والانجيل والزبور، ولقد بشّر به موسي وعيسي ولكن لم يتقرّر عندنا بالصحّة أنّه محمد هذا، فأمّا اسمه فمحمد فلا يجوز لنا أن نقرّلكم بنبوّته، ونحن شاكُون أنه محمّد كم أو غيره، فقال الرضا عليه السلام: احتججتم بالشكّ، فهل بعث الله قبل أو بعد من ولد آدم إلي يومنا هذا نبيّاً اسمه محمد أو تجدونه في شيء من الكتب التي أنزلها الله علي جميع الأنبياء غير محمد؟ فأحجموا عن جوابه، قالوا: لا يجوز لنا أن نقرّلك بأنّ محمداً هو محمّد كم؛ لأنّا إن أقررنا لك بمحمّد ووصيّه وابنته وابنيهما علي ما ذكرتم أدخلتمونا في الإسلام كرهاً، فقال: الرضا عليه السلام : أنت يا جاثليق آمن في ذمّة الله وذمّة رسوله لا يبدرك منّا شيء تكره ممّا تخافه وتحذره، قال: أمّا إذ قد أمنتني فإنّ هذا النبي الذي اسمه محمّد وهذا الوصيّ الذي اسمه عليّ، وهذه البنت التي اسمها فاطمة، وهذان السبطان اللذان اسمهما الحسن والحسين في التوراة والأنجيل والزبور، قال الرضا عليه السلام : فهذا الذي ذكرته في التوراة والإنجيل والزبور من اسم هذا النبيّ وهذا الوصيّ وهذه البنت وهذين السبطين صدق وعدل أم كذب وزور؟ قال: بل صدق وعدل ما قال إلاّ الحقّ، فلمّا أخذ الرضا عليه السلام إقرار الجاثليق بذلك، قال لرأس الجالوت: فاسمع الآن يا رأس الجالوت السفر الفلاني من زبور داود، قال: هاتِ بارك الله عليك وعلي ولدك، فتلا الرضا

عليه السلام السفر الأول من الزبور حتّي انتهي إلي ذِكر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: سألتُك يا رأس الجالوت بحقّ الله هذا في زبور داود ولك من الأمان والذمة والعهد ماقد أعطيته الجاثليق؟ فقال رأس الجالوت: نعم هذا بعينه في الزبور بأسمائهم، قال الرضا عليه السلام: بحقّ العشرة الآيات التي أنزلها الله علي موسي بن عمران في التوراة، هل تجد صفة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين في التوراة منسوبين إلي العدل والفضل؟ قال: نعم، ومن جحدها كافر بربّه و أنبيائه، قال له الرضا عليه السلام: فخُذ الآن في سفر كذا من التوراة، فأقبل عليه السلام يتلو التوراة ورأس الجالوت يتعجّب من تلاوته وبيانه وفصاحته، حتّي بلغ ذكر محمد، قال رأس الجالوت: نعم هذا أحماد وإليا وبنت أحماد وشبر وشبير، تفسيره بالعربية محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فتلا الرضا عليه السلام إلي تمامه، فقال رأس الجالوت لمّا فرغ من تلاوته: والله يابن محمّد لولا الرئاسة التي حصلت لي علي جميع اليهود لآمنتُ بأحمد واتّبعتُ أمرك، فوالله الذي أنزل التوراة علي موسي والزبور علي داود ما رأيتُ أقرء للتوراة والإنجيل والزبور منك، ولا رأيت أحسن تفسيراً وفصاحة لهذه الكتب منك.

إلي أن قال محمد بن فضيل: كان فيما أوصاني به الرضا عليه السلام في وقت منصرفه من البصرة أن قال لي: صِر إلي الكوفة فاجمع الشيعة وأعلِمْهم أنّي قادم عليهم إلي أن قال: انظر يا محمّد مَن بالكوفة من المتكلّمين والعلماء فأحضِرهم، فأحضرناهم، فقال لهم الرضا عليه السلام: إنّي أريد أن أجعل لكم حظّاً من نفسي كما جعلتُ لأهل البصرة، وإنّ الله قد علّمني كلّ كتاب أنزله، ثمّ أقبل علي جاثليق ـ وكان معروفاً بالجدل والعلم والانجيل ـ فقال: يا جاثليق هل تعرف لعيسي صحيفة فيها خمسة أسماء يعلّقها في عنقه، إذا كان بالمغرب فأراد المشرق فتحها فأقسم علي الله باسمٍ واحد من خمسة الأسماء أن تنطوي له الأرض، فيصير من المغرب إلي المشرق ومن المشرق إلي المغرب فيلحظة؟

فقال الجاثليق: لا عِلم لي بها، وأمّا الأسماء الخمسة فقد كانت معه يسأل الله بها أو بواحد منها يُعطيه الله جميع ما يسأله.

قال: الله أكبر، إذاً ما تنكر الأسماء. فأمّا الصحيفة فلا يضرّ أقررتَ بها أم أنكرتها، اشهدوا علي قوله.

ثمّ قال: يا معاشر الناس أليس أنصف الناس من حاجّ خصمه بملّته وكتابه ونبيّه وشريعته؟ قالوا: نعم، قال الرضا عليه السلام: فاعلموا أنّه ليس بإمام بعد محمّد إلا من قام بما قام به محمّد حين يُفضي الأمر إليه، ولا يصلح للإمامة إلاّ من حاجّ الأمم بالبراهين للإمامة. فقال رأس الجالوت: وما هذا الدليل علي الإمام؟

قال: أن يكون عالماً بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن الحكيم، فيحاجّ أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل القرآن بقرآنهم، وأن يكون عالماً بجميع اللغات حتّي لا يخفي عليه لسان واحد، فيحاجّ كلَّ قوم بلُغتهم، ثمّ يكون مع هذه الخصال تقيّاً نقيّاً من كلّ دنس، طاهراً من كلّ عيب، عادلاً منصفاً حكيماً رؤوفاً رحيماً مغفوراً عطوفاً صادقاً مشفقاً بارّاً أميناً مأموناً واثقاً قائماً، فقام إليه رجل فقال: يابن رسول الله ماتقول في جعفر بن محمد؟ قال: ما أقول في إمام شهدت أمّة محمّد قاطبة بأنّه كان أعلم أهل زمانه، قال: فما تقول في موسي بن جعفر؟ قال: كان مثله، قال: فإنّ الناس قد تحيّروا في أمره، قال: إنّ موسي بن جعفر عمّر برهة من الزمان فكان يكلّم الأنباط بلسانهم، ويكلّم أهل خراسان بالدريّة، وأهل روم بالروميّة، ويكلّم العجم بألسنتهم، وكان يرد عليه من الآفاق علماء اليهود والنصاري فيحاجّهم بكتبهم وألسنتهم، فلمّا نفذت مدّته وكان وقت وفاته أتاني مولي برسالته يقول: يا بُنّي إنّ الأجل قد نفد، والمدة قد انقضت، وأنت وصيّ أبيك، فإنّ رسول الله صلي الله عليه وآله لمّا كان وقت وفاته دعا عليّاً وأوصاه ودفع إليه الصحيفة التي كان فيها الأسماء التي خصّ الله بها الأنبياء والأوصياء، ثمّ قال: يا علي ادن منّي، فغطّي رسول الله صلي الله عليه وآله رأس علي عليه السلام

بملاءة، ثمّ قال له: أخرج لسانك، فأخرجه فختمه بخاتمه، ثمّ قال: يا علي اجعل لساني في فيك فمصّه وأبلغ عني كلّ ما تجد في فيك: ففعل علي ذلك، فقال له: إنّ الله فهّمك ما فهّمني، وبصّرك ما بصّرني، وأعطاك من العلم ما قد أعطاني إلاّ النبوّة فإنّه لا نبّي بعدي، ثمّ كذلك إمام بعد إمام، فلمّا مضي موسي علمت كلّ السان و كلّ كتاب، انتهي.(1)

***

والمراد بالكتب إمّا كتب الله وهو علي تقدير رجوع الضمير فيه إليه سبحانه، فالمراد بها القرآن وما أنزل قبله من الصحف والكتب السماويّة.

أمّا كونهم كهف القرآن والحافظين له والعاملين به: تأويله وتنزيله ظهره وبطنه وبطن بطنه وهكذا إلي سبعة أبطن، وكذلك سائر أوصافه من العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والأحكام والتشابه إلي غير ذلك.

عدد الكتب السماوية:

وأمّا سائر الكتب السماويّة وهي مائة كتاب وأربعة كتب علي ما تضمّنته رواية أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب ؟ قال صلي الله عليه وآله: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل منها علي آدم عشر صحف، وعلي شيث خمسين صحيفة، وعلي أخنوخ ـ وهو إدريس ـ ثلاثين صحيفة، وعلي إبراهيم عشر صحائف، وأنزل علي موسي قبل التوراة عشرة صحائف، وأنزلت التوراة والأنجيل والزبور والفرقان، وكانت صحف إبراهيم كلّها أمثالاً.(2)

وروي في البحار من إرشاد القلوب بالإسناد إلي المفيد، يرفعه إلي سلمان

1- بحار الأنوار 49: 73 - 81/ ح 1.

2- عوالي اللئالي 1: 92؛ الخصال للصدوق 523 - 526/ ح 13.

الفارسي رَضي الله عَنهُ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا سلمان الويل كلّ الويل لمن لا يعرف لنا حقّ معرفتنا و أنكر فضلنا، يا سلمان أيّما أفضل محمّد و أم سليمان بن داود عليه السلام؟

قال سلمان: قلت: بلي محمّد أفضل، فقال: يا سلمان فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس إلي سبأ في طرفة عين وعنده عِلمٌ من الكتاب، ولا أفعل أنا ذلك وعندي مائة كتاب وأربعة وعشرون كتاباً؟ أنزل الله علي شيث بن آدم خمسين صحيفة، وعلي إدريس ثلاثين صحيفة، وعلي إبراهيم الخليل عشرين صحيفة والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فقلت: صدقت يا سيدي، قال الإمام عليه السلام: إنّ الشاكّ في أمورنا و علومنا كالمستهزئ في معرفتنا أو حقوقنا، وقد فرض الله ولايتنا في كتابه في غير موضع، وبيّن ما أوجب العمل به وهو مكشوف».(1)

ومن كتاب التوحيد عن هشام بن الحكم من خبر طويل قال: جاء بريهة جاثليق النصاري فقال لأبي الحسن عليه السلام: جُعلت فداك أنّي لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟

قال: هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها ونقولها كما قالوها؛ إنّ الله لا يجعل حجّة في أرضه يُسئل عن شيء فيقول: لا أدري، الخبر.(2)

ومن بصائر الدرجات بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمّد عندنا الصحف التي قال الله «صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ»، قلت: الصحف هي الألواح؟ قال: نعم.(3)

هذا كلّه علي احتمال أن يكون المراد بالكتب الكتب المنزلة من الله سبحانه، وأمّا علي تقدير رجوع الضمير في كتبه إلي النبيّ صلي الله عليه وآله، فالمراد بالكتب القرآن وغيره ممّا أشير إليه في الأخبار. مثل مارواه في البحار من البصائر

1- بحار الأنوار 26: 221 - 222/ ح 47.

2- التوحيد للصدوق: 270 - 275، ح 37.

3- بصائر الدرجات: 157/ ح8.

بإسناده عن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: حدّثني أبي عمّن ذكره، قال: خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وآله وفي يده اليمني كتاب، وفي يده اليسري كتاب، فنشر الكتاب الذي في يده اليمني فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم كتاب لأهل الجنّة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يُزاد فيهم واحد ولا ينقص منهم واحد، قال: ثمّ نشر الذي بيده اليسري فقرأ: كتاب من الله الرحمن الرحيم لأهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم لا يُزاد فيهم واحد ولا ينقص منهم واحد».(1)

ومن البصائر أيضاً بإسناده عن الأعمش قال: قال الكلبي: يا أعمش أيّ شيء أشدّ ما سمعت من مناقب علي عليه السلام؟ قال: فقال: حدّثني موسي بن طريف عن عباية، قال: سمعت علياً عليه السلام وهو يقول: «أنا قسيم النار، فمن تبعني فهو منّي، ومن عصاني فهو من أهل النار» فقال الكلبي: عندي أعظم ممّا عندك، أعطي رسول الله صلي الله عليه وآله علياً عليه السلام كتاباً فيه أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار، فوضعه عند أم سلمة، فلمّا ولي أبو بكر طلبه فقالت: ليس لك، فلمّا ولي عمر طلبه فقالت: ليس لك، فلمّا ولي علي عليه السلام دفعته إليه.(2)

ومنه أيضاً بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد إنّ عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة! قال: قلت: جُعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلي الله عليه وآله أملاه من فلق _ أي من شفته _ فيه، وخطّه علي عليه السلام بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يَحتاج إليه الناس حتّي الأرش في الخدش».(3)

وفي الاحتجاج في حديث طويل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وكان عليه السلام يقول: علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع، وإنّ عندنا الجفر

1- بصائر الدرجات: 211/ح 2؛ بحار الأنوار 17: 146 _147/ ح 40.

2- بصائر الدرجات: 211ح/3.

3- بصائر الدرجات: 163/ ح 4؛ بحار الأنوار 26: 22/ح 11.

الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عليها السلام، وعندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه، فسُئل عن تفسير هذا الكلام، فقال عليه السلام: أمّا الغابر فالعلم بما يكون، وأمّا المزبور فالعلم بما كان، وأمّا النكت في القلوب فهو الإلهام، وأمّا النقر في الأسماع فحديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نري أشخاصهم، وأمّا الجفر الأحمر فوعاءٌ فيه سلاح رسول الله صلي الله عليه وآله ولن يخرج حتّي يقوم قائمنا أهل البيت، وأمّا الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسي وإنجيل عيسي وزبور داود وكتب الله الأولي، وأمّا مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حادث وأسماء من يملك ومن لا يملك إلي أن تقوم الساعة، وليس فيه قرآن، وأمّا الجامعة فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً إملاء رسول الله صلي الله عليه وآله من فلق فيه وخطّ علي بن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه _ والله _ جميع ما يحتاج الناس إليه إلي يوم القيامة، حتّي أنّ فيه أرش الخدش والجلدة والنصف الجلدة» الحديث.(1)

السادس: أهل البيت عليهم السلام جبال الدين

ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «وجبال دينه» قال الشارح المعتزلي: لا يتحلحلون عن الدين أو أنّ الدين ثابت بوجودهم كما أنّ الأرض ثابتة بالجبال، لولا الجبال لمادت بأهلها.(2)

وقال البحراني: وأشار بكونهم جبال دينه إلي أنّ دين الله سبحانه بهم يعتصم عن وصمات الشياطين وتبديلهم وتحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممّن يؤذيه.

قال ميرزا حبيب الله الخوئي: والمعيار متقاربان والمقصود واحد، وهو أنّ وجودهم سبب لبقاء الدين و انتظام أمر المسلمين، وبهم ينفي عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين و تأويل الجاهلين.

1- الاحتجاج للطبرسي 2: 134.

2- شرح نهج البلاغة: 1: 138، ط مكتبة المرعشي النجفي - قم.

كما روي في البحار من كتاب قرب الاسناد عن هارون، عن ابن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام أنّ النبي صلي الله عليه وآله قال: «في كلّ خلف من أمتي عدل من أهل بيتي ينفي عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين و تأويل الجهّال، وإنّ أئمتكم وفد كم إلي الله، فانظروا من توفدون في دينكم وصلواتكم».(1)

ومن علل الشرائع بإسناده عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله لم يدع الأرض إلاّ وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان من دين الله عزّوجَل، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإذا نقصوا أكمل لهم، ولولا ذلك لالتبس علي المسلمين أمرهم»(2).

وعن أبي حمزة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لن تبقي الأرض إلاّ وفيها من يعرف الحقّ، فإذا زاد الناس فيه قال: قد زادوا، وإذا نقصوا منه قال: قد نقصوا، وإذا جاؤوا به صدقهم، ولو لم يكن كذلك لم يُعرف الحقّ من الباطل»(3) والأخبار في هذا المعني كثيرة.

السابع والثامن: أهل البيت عليهم السلام سبب قوام الدين

ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه» والمراد بذلك ـ علي تقدير رجوع الضمير في ظهره و فرائصه إلي الدين ـ واضح، وهو أنّهم أسباب لقوام الدين ورافعون لإضطرابه حسبما عرفتَ آنفاً. وأمّا علي تقدير رجوعها إلي النبي صلي الله عليه وآله فهو إشارة إلي أنّ الله سبحانه جعلهم أعضاداً يشدّون أزره ويقومون ظهره، وانحناء ظهره كناية عن ضعفه في بدء الإسلام، وارتعاد الفرائص كناية عن الشيء ببعض لوازمه، إذ كان ارتعاد الفرائص من لوازم شدّة الخوف، يعني أنّ الله أزال عنه صلي الله عليه وآله بمعونتهم خوفه

1- بحار الأنوار 23: 30/ ح46.

2- علل الشرايع 1: 200/ ح 27.

3- علل الشرايع 1: 200/ ح 30.

الذي كان يتوقّعه من المشركين علي حوزة الدين، واتّصافهم عليهم السلام بهذين الوصفين ظاهر لا ريب فيه، لأنّهم لم يألوا جهدهم في نصرة النبي صلي الله عليه وآله وتقوية دينه قولاً أو فعلاً، وقد قال الله تعالي:

«وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الّذِي أَيّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ». (1)

وقد روي العامّة والخاصّة عن أبي هريرة قال: مكتوب علي العرش «لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي، ومحمّد عبدي ورسولي أيّدتُه بعلي عليه السلام، فأنزل الله عزّوجَل:

«هُوَ الّذِي أَيّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ».(2)

فكان النصر عليّاً عليه السلام، ودخل مع المؤمنين فدخل في الوجهَين جميعاً، وبمضمونه أخبار أخر من الطريقَين، وقال سبحانه أيضاً:

«يَا أَيّهَا النّبِيّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».(3)

قال أبو هريرة: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام وهو المعنيّ بقوله: «المؤمنين».(4)

وبالجملة فانتصار النبي صلي الله عليه وآله بأمير المؤمنين عليه السلام وحمايته له باليد واللسان وجدّه في إعلاء كلمة الإسلام ممّا هو غني عن البيان.

بدر له شاهد والشعب من أحد *** والخندقان ويوم الفتح إن علموا(5)

وكفي بذلك شاهداً مبيته علي فراش رسول الله صلي الله عليه وآله حتّي باهي الله سبحانه بذلك علي ملائكته وأنزل:

1- الأنفال: 63.

2- أمالي الصدوق: 28/ ح 312؛ نظم درر السمطين: 120.

3- الأنفال: 64.

4- بحار الأنوار 9: 94؛ مناقب آل أبي طالب 2: 311.

5- مناقب آل أبي طالب 3: 307؛ بحار الأنوار 46: 127.

«وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّهِ».(1) (2)

وبرازه يـوم الخنـدق لعمرو بن عبـدودّ، حـتّي أنزل فيه: «وَكَفَي اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَـالَ»(3) بعليّ بـن أبي طـالب، وقتلـه عمراً علي مـا ورد في الروايات الكثيرة،(4) وفي ذلك اليوم قال رسول الله صلي الله عليه وآله: ضربة عليّ أفضل من عبادة الثقلين.(5)

وأمّا سائر الأئمة عليهم السـلام فقد كانت هممهم مقصورة علي حماية حمي الدين وإحياء أحكام سيّد المرسلين، بعضهم بالقتال والجدال كالحسـين عليه السـلام، وبعضـهم باللسان والبيان كسائر المعصومين عليهم السـلام، وذلك مع ما هم عليه من التقيّة والخوف، ولذلك أنّ الصادقين لها لما تمكّنا من إظهار الأحكام ونشـر الشـرايع، وزالت عنهما التقيّة التي كانت علي غيرهما، قصـرا أوقاتهما في إحياء الشـريعة وإقامـة السـنّة علي ما هو معروف، وقـد كان أربعـة آلاف نفر من أهل العلم خرّيجي مدرسـة الإمام الصادق عليه السـلام حتّي صـنّفوا من أجوبته في المسائل أربعمائة كتاب وهي معروفة بكتب الأصول، فبوجودهم اسـتقام أمر الدين واسـتحكمت شريعة خاتم النبيّين، وبقائمهم يملا الله الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً و جوراً.

***

1- البقرة: 207.

2- شرح الأخبار للقاضي النعمان 2: 345؛ شواهد التنزيل 1: 103/ ح 14.

3- الأحزاب: 25.

4- روضة الواعظين: 106؛ بحار الأنوار 20: 205.

5- كشف اليقين للعلاّمة الحلّي: 83؛ عوالي اللئالي 4: 86/ ح 102.

ومن خطبة له عليه السلام :يوصي بالتقوي والاعتبار بالقرون السالفة ويشير إلي المهدي عليه السلام

اشارة

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَي اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَي الْبَقَاءِ سُلَّماً أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ (عليه السلام) الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَ عَظِيمِ الزُّلْفَةِ فَلَمَّا اسْتَوْفَي طُعْمَتَهُ وَ اسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ وَ أَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً وَ الْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً وَ وَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَ أَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَ أَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَ أَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَ أَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَ هَزَمُوا بِالْأُلُوفِ وَ عَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَ مَدَّنُوا الْمَدَائِنَ «وَ مِنْهَا» قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا وَ أَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَ الْمَعْرِفَةِ بِهَا وَ التَّفَرُّغِ لَهَا فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَ حَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ وَ ضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَ أَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ».(شرح ابن أبي الحديد مج 2 ص 534 ط الأولي).

***

ضبط الألفاظ اللغوية:

(الرياش) والريش ما ظهر من اللباس، وقيل الرياش جمع الريش وهو اللباس الفاخر. و(المعاش) والمعيشة مكتسبة الإنسان الذي يعيش به، و (السلّم) كسكّر ما يُرتقي عليه، و(القسيّ) جمع القوس، و(النبل) السهام العربية، و(العمالقة) والعماليق أولاد عمليق من ولد نوح، و(الفراعنة) جمع فرعون، و(الرسّ) بتشديد السين نهر عظيم بين آذربيجان وإرمينيّة، وهو المعروف بالآن بالأرس، مبدؤه من مدينة طراز وينتهي إلي شهر الكر فيختلطان ويصبّان في البحر.

وقال في القاموس: بئر كانت لبقيّة من ثمود كذّبوا نبيّهم ورسّوه في بئر، و (مدّن المدائن) مصّرها، و (الجُنّة) بالضم نوع من السلاح يُتّقي به. (عسيب ذنبه) العسيب عظيم الذنب أو منبت الشعر منه، و (جران) البعير صدره أو مقدّم عنقه.

***

الشرح:

قوله عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوي الله» التي هي الزاد وبها المعاد، زاد مبلغ ومعاد منجح، وهي أن لا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

وإنّما عقّب بالموصول، أعني قوله «الذي ألبسكم الرياش وأسبغ عليكم المعاش» تأكيداً للغرض المسوق له الكلام، وتنبيهاً علي أنّه سبحانه مع عظيم إحسانه ومزيد فضله وإنعامه حيث أنعم عليكم باللباس والرياش، وأكمل عليكم المعاش، اللذين هما سببا حياتكم وبهما بقاء نوعكم، كيف يسوغ كفران نعمته بالعصيان، ومقابلة عطوفته بالخطيئة، بل اللازم مكافاة نعمائه بالتقوي و عطاياه بالحسني.

ثمّ لمّا كان رأس كلّ خطيئة هو حبّ الدنيا، وكان عمدة أسباب الغفلة والضلالة الركون إليها وطول الأمل فيها، نبّه علي فنائها وزوالها بقوله: (ولو أنّ أحداً يجد إلي البقاء سلمّاً) ووسيلة (أو لدفع الموت سبيلاً)، أو سبباً (لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام) لأنّه (الذي) اختصّ من سائر الخلق لكمال السلطنة والملك العظيم حيث (سخّر له ملك الجنّ والانس والوحش والطير فهم يوزعون (مع النبوّة وعظيم الزلفة) والقربي إلي الحقّ سبحانه. ومعلوم أنّ النبوّة والتقرّب والمنزلة من الوسائل إلي البقاء لاستجابة الدعاء معهما، فهما مظنّتان للتوصّل إليه في الباطن كما أنّ الملك والسلطنة مظنّة لأن تكون وسيلة إليه في الظاهر، لكنّه مع نبوّته وعظم سلطانه وقدرته علي ما لم يقدر عليه غيره لم يجد وسيلة إلي البقاء، فليس لأحد بعده أن يطمع في وجدانه. أمّا أنّه عليه السلام لم يجد

وسيلة إلي ذلك، فلأنّه (لما استوفي طُعمته) أي رزقه المقدّر (واستكمل مدّته) المقرّرة (رمته قسيُّ الفناء بنبال الموت) إسناد الرمي إلي القسيّ من المجاز العقليّ والنسبة إلي الآلة.

قال الشارح البحراني: ولفظ القسيّ والنبال استعارة لمرامي الأمراض وأسبابها التي هي نبال الموت. (وأصبحت الديار منه خالية والمساكن معطّلة ورثها قوم آخرون).

سليمان عليه السلام وملك الموت:

جاء في البحار من (العلل) و(العيون) عن أحمد بن زياد الهمداني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسي الرضا عليه السلام، عن أبيه موسي بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد قال: «إنّ سليمان بن داود عليه السلام، قال ذات يوم لأصحابه: إنّ الله تبارك وتعالي قد وهب لي مُلكاً لا ينبغي الأحد من بعدي، سخّر لي الريح والإنس والجنّ والطير والوحوش، وعلّمني منطق الطير، و آتاني كلّ شيء، ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تمّ لي سرور يوم إلي الليل، وقد أحببتُ أن أدخل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلي ممالكي، فلا تأذنوا لأحدٍ عليَّ لئلاّ يرد عليَّ ما ينغّص عليَّ يومي، قالوا: نعم.

فلمّا كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلي أعلي موضع من قصره، وقف متّكئاً علي عصاه ينظر إلي ممالكه مسروراً بما أوتي، فرحاً بما أعطي، إذ نظر إلي شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلمّا بصر به سليمان عليه السلام قال:من أدخلك إلي هذا القصر وقد أردتُ أن أخلو فيه اليوم، فبإذن من دخلت؟

فقال الشاب: أدخلني هذا القصر ربُّه، وبإذنه دخلت، فقال عليه السلام: ربّه أحقّ به مني، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت. قال: وفيما جئت؟

قال: جئت لأقبض روحك، قال: إمضِ لما أمرت به فهذا يوم سروري، وأبي الله عزّوجَل أن يكون لي سرور دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متّكئ علي عصاه.

فبقي سـليمان متّكئـاً علي عصـاه وهو ميّت مـا شاء الله والناس ينظرون إليه، وهـم يقـدّرون أنّه حي، فافتتنوا فيه واختلفوا، فمنهم من قال: إنّ سليمان قد بقي متّكئاً علي عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشـرب، إنّه لربّنا الذي يجب علينا أن نعبده، وقال قوم: إنّ سليمان ساحر، إنّه يرينا أنّه واقف ومتّكئ علي عصاه بسحر أعيننا وليس كذلك. فقال المؤمنون: إنّ سليمان هو عبد الله ونبيّه يدبّر الله بما شاء.

فلمّا اختلفوا بعث الله عزّوجَل الأرضة فدبّت في عصاه، فلمّا أكلت جوفها انكسـرت العصا وخرّ سليمان من قصره علي وجهه، فشكر الجنّ للأرضة صـنيعها، فلأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان إلاّ وعندها ماء وطين، وذلك قول الله عزّوجَل: «فَلَمّا قَضَـيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلّهُمْ عَلَيٰ مَوْتِهِ إِلّا دَابّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمّا خَرّ تَبَيّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» .(1) (2)

قصة راعي الغنم مع صاحب الزرع:

كان سـليمان عليه السلام أنبه الملوك شأناً، وأعجبهم نبأ، وأمدّهم شوكة، وأبسطهم ولاية، ناهيك بما فيه من النبوّة والحكمة، فإنّه خُصّ بأمور ليس من سـعة العقـل أن يتصوّرهـا في مخلوق سواه، فـذكروا أنّ أوّل مـا ظهر من نجابته و تبريزه في القضاء مسألـة راعي الغنم مع صاحب الزرع، قالوا: أتي يوماً صاحب الزرع إلي داود عليه السلام وقال له: إنّ هذا انفلتت غنمه ليلاً فوقعت في زرعي فلم تُبقِ منه شيئاً، قال له داود: اذهب فإنّ الغنم لك، فأعطاه رقاب الغنم بالحرث، فمرّا علي سليمان وهو ابن إحدي عشرة سنة، فقال لهما: كيف قضي بينكما؟

1- سبأ: 14.

2- علل الشرايع: 73 - 74/ ح 2؛ عيون أخبار الرضا 2: 239 - 240/ ح 24؛ بحار الأنوار 14: 136 - 137/ ح 1.

فأخبراه، فقال: لو وليتُ أمر كما لقضيت بغير هذا، فأخبرا بذلك داود النبي عليه السلام، فاستقدمه وقال له: كيف كنت تصنع في القضاء بينهما؟ قال: كنت أدفع الغنم إلي صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها، وينذر صاحب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع إلي أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيتَ،(1) وعلي ذلك الآية: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا»(2) والآية المشيرة إلي هذه القصة في قوله تعالي: «وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ».(3)

إجابة سليمان عليه السلام علي أسئلة السماء:

وأنزل الله علي داود كتاباً من السماء مختوماً بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسألة، فأوحي إليه أن: سَل عنها ابنك سليمان، فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك، فدعا داود سبعين قسّاً وسبعين حبراً وأجلس سليمان بين أيديهم وقال: يابُنيّ إنّ الله تعالي أنزل عليَّ كتاباً من السماء فيه مسائل أمرني أن أسألك عنها، فإن أخرجتها فأنت الخليفة من بعدي؟

فقال سليمان: ليسأل نبي الله عمّا بدا له وما توفيقي إلاّ بالله.

قال داود: يابُنيّ ما أقرب الأشياء وما أبعدها؟ وما أنس الأشياء وما أو حشها؟ وما أحسن الأشياء وما أقبحها؟ وما أقلّ الأشياء وما أكثرها؟ وما القائمان؟ وما الساعيان؟ وما المشتركان؟ وما المتباغضان؟ وما الأمر الذي إذا ركبه الرجل حمد آخره؟ وما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذمّ آخره؟

1- تفسير الطبري 17: 68.

2- الأنبياء: 79.

3- الأنبياء: 78.

فقال سـليمان: أمّا أقرب الأشياء فالآخرة، وأمّا أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا، وأمّا آنس الأشياء فجسدٌ فيه روح، وأمّا أوحش الأشياء فجسد لا روح فيه، وأمّا أحسن الأشـياء فالايمان بعـد الكفر، وأمّا أقبـح الأشـياء فالكفر بعـد الايمان، وأمّا أقلّ الأشـياء فاليقين، وأمّا أكثر الأشـياء فالشـكّ، وأمّـا القائمان فالسـماء والأرض، وأمّا الساعيان فالشـمس والقمر، وأمّا المشتركان فالليل والنهار، وأمّا المتباغضان فالموت والحياة، وأمّا الأمر الـذي إذا ركبه الرجل حمـد آخره فالحلم عند الغضب، وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذمّ آخره فالحدّة عند الغضب، ففكّوا خاتم الكتاب فإذا جواب السؤال سواء علي ما نزل من السماء. فقال القسّيسون والرهبان: لا نرضي حتّي نسأله عن مسألة، فإن أخرجها فهو الخليفة من بعدك.

فقال سليمان: سلوني وما توفيقي إلاّ بالله.

قالوا: ما الشيء الذي إذا صلح صلح كلّ شيء من الإنسان، وإذا فسد فسد كلّ شيء منه ؟ فقال: هو القلب.

فقام داود وصـعد المنبر فحمد الله تعالي وأثني عليه ثم قال: إنّ الله تعالي يأمرني أن اسـتخلف عليكم سليمان، فضجّوا وقالوا: غلام حدث يُسـتخلف علينـا وفينـا من هو أفضل منه وأعلم منه، فبلغ ذلك داود فـدعا رؤساء أسـباط بني اسـرائيل وقال لهم: أروني عصـيكم فأيّ عصاة أثمرت فإنّ صاحبها وليّ هذا الأمر بعدي، قالوا: رضـينا، فجاؤا بعصـيّهم، فقال لهم داود: ليكتب كلّ رجل منكم اسـمه علي عصاه، فكتبوا، ثمّ جاء سـليمان بعصاه فكتب اسمه عليها، ثمّ أدخلت العصيّ بيتاً وأغلق عليها الباب وسُدّ بالأقفال، ومرّت رؤساء أسباط بني إسرائيل، فلمّا أصبح فتح الباب فأخرج عصيّهم كما هي، و أمّا عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت، فسلّموا إليه الأمر.(1)

1- بحار الأنوار 14: 5.

وفي المجلّد الأول من السيرة الحلبية ص 27 ط _ 2 مطبعة الأزهرية بمصر.

من وصايا داود لسليمان عليهما السلام:

«إنّ داود عليه السلام لمّا استخلف ولده سليمان أوصاه فقال: يا بُنيّ إيّاك والهزل فإنّ نفعه قليل ويهيّج العداوة بين الاخوان، ومن ثمّ قيل لا تمازح الصبيان فتهون عليهم، ولا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيّ فيجترء عليك، ولكلّ شيء بذور وبذر العداوة المزاح. وقد قيل: المزاح يذهب بالمهابة ويورث الضغينة، وقيل: آكد أسباب القطيعة المزاح، وقد قيل: من كثر مزاحه لم يخلُ من استخفاف به أو حقد عليه، واقطع طمعك من الناس فإنّ ذلك هو الغِنى، وإيّاك وما تعتذر فيه من القول أو الفعل، وعوّد لسان الصدق، والزم الإحسان، ولا تُجالس السفهاء، وإذا غضبت فألصق نفسك بالأرض _ وقد جاء في الحديث (إذا جهل علي أحدكم جاهل فإن كان قائماً جلس، وان كان جالساً فليضطجع). (1)

نوادر أخبار ملك سليمان عليه السلام :

و قال تعالي في سورة النمل: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ»(2)

وفي سورة سبأ: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ

1- لم أعثر عليه بهذا اللفظ. وقد روي عن النبيّ صلي الله عليه وآله: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع. انظر: الترغيب والترهيب 3: 450/ ح19؛ مسند أحمد 5: 152.

2- النمل: 15 و16.

السّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ».(1)

وقوله سبحانه: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ».(2)

قال الإمام الصادق عليه السلام في رواية إكمال الدين: «إنّ داود عليه السلام أراد أن يستخلف سليمان لأنّ الله عزّوجَل أوحي إليه بأمره بذلك، فلمّا أخبر بني اسرائيل ضجّوا من ذلك وقالوا: يستخلف علينا حدثاً وفينا من هو أكبر منه، فدعي أسباط بني اسرائيل فقال لهم: قد بلغني مقالتكم، فأروني عصّيكم فأيّ عصا أثمرت فصاحبها وليّ الأمر»(3) الحديث المتقدّم الذكر.

وفي البحار من محاسن البرقي عن أبي الحسن موسي بن جعفر عليه السلام قال: استخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة، ومكث في ملكه أربعين سنة.(4)

قوله : «عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ» قيل: إنّ النطق عبارة عن الكلام وهو مختصّ بالانسان، إلاّ أنّ سليمان لمّا فهم معني صوت الطير سمّاه منطقاً مجازاً، وقال علي بن عيسي: إنّ الطير كانت تكلّم سليمان عليه السلام معجزة له كما أخبر عن الهدهد، و منطق الطير صوت يتفاهم به معانيها علي صيغة واحدة، بخلاف منطق الناس الذي يتفاهمون به المعاني علي صيغ مختلفة، ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم تفهم هي عنّا، لأنّ إفصاحها مقصور علي تلك الأمور المخصوصة، ولمّا جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها.

قوله: «وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» أي من كلّ شيء تؤتي الأنبياء والملوك، وقيل: من كلّ شيء يطلبه طالب لحاجته إليه وانتفاعه به.

1- سبأ: 12 و 13.

2- النمل: 16.

3- كمال الدين: 156 الباب 7/ ح 17.

4- بحار الأنوار 11: 56/ ح 5.

وقوله: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ»(1) قال الطبرسي: أي وسخّرنا لسليمان الريح مسير غدوّ تلك الريح المسخّرة مسير شهر، و مسير رواحها مسير شهر، والمعني أنّها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب. قال قتادة: كانت تغدو مسيرة شهر إلي نصف النهار، وتروح مسيرة شهر إلي آخر النهار. وقال الحسن: كانت تغدو من دمشق فتقيل باصطخر من أرض اصفهان وبينهما مسيرة شهر للمستريح، وتروح من اصطخر فتبيت بكابل وبينها مسيرة شهر، تحمله الريح مع جنوده، أعطاه الله الريح بدلاً من الصافنات الجياد.

قوله: «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ» أي أذبنا له عين النحاس وأظهرناها له.

قوله: «وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ» المعني وسخّرنا له من الجنّ من بحضرته وأمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدميّ بين يدي الآدميّ بأمر ربّه تعالي، وكان يكلّفهم الأعمال الشاقة، وفيه دلالة علي أنّه قد كان من الجنّ من هو غير مسخّر له.

قوله: «وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ» أي من يعدل من هؤلاء الجنّ الذين سخّرناهم لسليمان عمّا أمرناهم به من طاعة سليمان نُذقه من عذاب النار في الآخرة عن أكثر المفسّرين. وقيل: نذقه العذاب في الدنيا، وأنّ الله سبحانه و كّل بهم ملكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ منهم من طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته.

بناء بيت المقدس:

قوله: «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ» وهي بيوت الشريعة، قيل: وهي القصور والمساجد يتعبّد فيها، عن قتادة والجبائي، قال: وكان ممّا عملوا بيت المقدس، وقد كان الله عزّوجَل سلّط علي بني إسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد، فأمرهم داود أن يغتسلوا ويبرزوا إلي الصعيد بالذراري والأهلين

1- سبأ: 12.

ويتضـرّعوا إلي الله تعالي لعلّه يرحمهم، وذلك صـعد بيت المقدس قبل بناء المسـجد، وارتفع داود عليه السـلام فوق الصخرة فخرّ ساجداً يبتهل إلي الله سبحانه وسجدوا معه، فلم يرفعوا رؤوسهم حتّي كشف الله عنهم الطاعون.

فلمّا أن شـفّع الله داود في بني اسـرائيل جمعهم داود بعد ثلاث وقال لهم: إنّ الله تعالي قد منّ عليكم ورحمكم، فجدّدوا شكراً بأن تتّخذوا من هـذا الصـعيد الذي رحمكم فيه مسـجداً، ففعلوا، وأخذوا في بناء بيت المقدس، فكان داود عليه السـلام ينقل الحجارة لهم علي عاتقه، كذلك خيار بني اسرائيل حتّي رفعوه قامة، ولداود يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة، فأوحي الله إليه أنّ تمام بنائه يكون علي يد ابنه سليمان.

فلمّا صار داود عليه السـلام ابن أربعين ومائة سـنة توفّاه الله تعالي واسـتخلف سـليمان، فأحبّ إتمام بيت المقدس، فجمع الجنّ والشياطين فقسّم عليهم الأعمال، يخصّ كلّ طائفة منهم بعمل، فأرسل الجنّ والشـياطين في تحصـيل الرخام والمها الأبيض الصافي من معادنه،وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضاً، وأنزل كلّ ربض منها سبطاً من الأسباط.

فلمّا فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسـجد فوجّه الشـياطين فرقاً، فرقة يسـتخرجون الذهب واليواقيت من معادنها، وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها، وفرقـة يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب، وفرقـة يأتونه بالـدرّ من البحار، فأوتي من ذلك بشـيء لا يُحصـيه إلاّ الله تعالي، ثمّ أحضر الصنّاع وأمرهم بنحت تلك الأشجار حتّي يصيّروها ألواحاً، ومعالجة تلك الجواهر واللآلي.

وبني سـليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وعمّده بأساطين المها الصافي، وسقّفه بألواح الجواهر، وفضّض سقوفه وحيطانه باللآـلي واليواقيت والجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروزج، فلم يكن في الأرض بيت أبهي منه ولا أنور من ذلك المسـجد، كان يضـيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر.

وجعل فيه أشياء عجيبة: منها القبّة التي فيها السلسلة المعلقة ينالها صاحب الحقّ ولا ينالها المبطل، حتّي اضمحلت بحيلة غير معروفة، وكان من عجائب بنائه أنّه بني بيتاً وأحكمه وَصّ قَله، فإذا دخله الفاجر والورع تبيّن الفاجر من الورع، لأنّ الورع كان يظهر خياله في الحائط أبيض، والفاجر يظهر خياله أسود، وكان أيضاً ممّا اتّخذ من الأعاجيب أن نصب في زاوية من زواياه عصا آبنوس، فكان من مسّ ها من أولادالأنبياء لم تضرّه، ومن مسّها من غيرهم أحرقت يده.

فلمّا فرغ من ذلك جمع إليه خيار بني اسرائيل فأعلمهم أنّه بناه لله تعالي، واتّخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً.

فلم يزل بيت المقدس علي ما بناه سليمان حتّي غزا بخت نصّ ر بني إسرائيل فخرّب المدينة وهدمها، ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه و حيطانه من الذهب والدرّ واليواقيت والجواهر، فحملها إلي دار مملكته من أرض العراق.

قال سعيد بن المسيّب: لمّا فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلّقت أبوابه، فعالجها سليمان فلم تنفتح، حتّي قال في دعائه: بصلوات أبي داود عليه السلام إلاّ فتحت الأبواب، ففرغ له عشرة آلاف من قرّاء بني اسرائيل: خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار، ولا تأتي ساعة من ليل ونهار إلاّ ويعبد الله فيها.

قوله: «وَتَمَاثِيلَ» يعني صوراً من نحاس وشبه زجاج كانت الجنّ تعملها، ثمّ اختلفوا فقال بعضهم: كانت صوراً للحيوانات، وقال آخرون: كانوا يعملون صور السّباع والبهائم علي كرسيّه ليكون أهيب له.

فذكروا أنّهم صوّروا أسدين أسفل كرسيّه، ونسرين فوق عمودي كرسيّه، فكان إذا أراد أن يصعد الكرسيّ بسط الأسدان ذراعيهما، وإذا علا علي الكرسيّ نشر النسران أجنحتهما فظّللاه من الشمس، ويقال: إنّ ذلك كان ممّا لا يعرفه أحد من الناس.

فلمّا حاول بخت نصّر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب علي بني

إسـرائيل لم يعرف كيف كان يصـعد سـليمان، فرفع الأسد ذراعيه فضـرب ساقه فقدّها فوقع مغشيّاً عليه، فما جسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسي.

قال الحسن: ولم تكن يومئذ التصاوير محرّمة وهي محظورة في شـريعة نبيّنا صلي الله عليه وآله فإنّه قال: «لعن الله المصوّرين»(1) ويجوز أن يكره ذلك في زمن دون زمن، وقد بيّن الله سـبحانه أنّ المسـيح عليه السـلام كان يصوّر بأمر الله من الطين كهيئة الطير، وقال ابن عباس: كانوا يعملون صور الأنبياء والعبّاد في المساجد ليقتدي بهم.

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: والله ماهي تماثيل النساء والرجال، ولكنّها الشجر وما أشبهه.(2)

قوله : «وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ» أي صـحاف كالحياض التي يُجبي فيها الماء أي يجمع، و كان سـليمان عليه السـلام يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان، فإنّه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قصاع الناس لكثرتهم، ويقال إنّه كان يجمع علي كلّ جفنة ألف رجل يأكلون من بين يديه.

«وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ» أي ثابتات لا يزلن عن أمكنتهنّ لعظمهنّ، وقيل: كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم، و كان سليمان عليه السلام يُطعم جنده.

صفة سليمان في ملكه وفي بدنه:

وفي البحار عن صاحب الكامل قال: لمّا توفّي داود ملك بعده ابنه سليمان عليه السلام علي بني اسرائيل، و كان عمره ثلاث عشر سنة، وآتاه مع الملك النبوّة وسـخّر له الجنّ والإنس والشياطين والطير والريح، فكان إذا خرج من بيته إلي مجلسه عكفت عليه الطير وقام الإنس والجن متي يجلس فيه.

وكان سليمان أبيض جسيماً كثير الشعر يلبس البياض، وكان يأكل من

1- تفسير مجمع البيان 8: 203.

2- تفسير مجمع البيان 8: 204.

كسبه، و كان كثير الغزو، و كان إذا أراد الغزو أمر فعُمل بساط من خشب يسع عسكره فيركبون عليه هم ودوابّهم وما يحتاجون إليه، ثمّ أمر الريح فسارت في غدونه مسيرة شهر وفي روحته كذلك، وكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة سريّة، وأعطاه الله أخيراً أنّه لا يتكلّم أحد بشيء إلاّ حملته الريح فيعلم ما يقول.(1)

وفيه من كتاب قصص الأنبياء بالإسناد عن أبي حمزة، عن الأصبغ بن نباتة قال: خرج سليمان بن داود من بيت المقدس مع ثلاثمائة ألف كرسي عن يمينه عليها الإنس وثلاثمائة ألف كرسي عن يساره عليها الجنّ، وأمر الطير فأظلّتهم، وأمر الريح فحملتهم حتّي وردت بهم المدائن، ثمّ رجع وبات في اصطخر، ثمّ غدا فانتهي إلي جزيرة بركاوان، ثمّ أمر الريح فخفضتهم حتّي كادت أقدامهم يصيبها الماء، فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكاً أعظم من هذا؟ فنادي ملك: لثواب تسبيحة واحدة أعظم ممّا رأيتم.(2)

وفيه منه عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان ملك سليمان مابين الشامات إلي بلاد اصطخر.(3)

وفيه عن الطبرسي قال: قال محمد بن كعب: بلغنا أنّ سليمان بن داود عليه السلام كان عسكره مائة فرسخ، خمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للجنّ، وخمسة وعشرون اللوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من القوارير علي الخشب فيها ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية، فيأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرّخاء فتسير به، فأوحي الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إنّي قد زدتُ في ملكك أنّه لا يتكلّم أحد من الخلائق بشيء إلاّ جاءت الريح فأخبرتك.

وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخ في فرسخ ذهباً في

1- بحار الأنوار 14: 79 نقلا عن صاحب الكامل.

2- بحار الأنوار 14: 72/ ح 11.

3- بحار الأنوار 14: 70.

ابريسم، و كان يوضع فيه منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسيّ من ذهب وفضّة، فيقعد الأنبياء علي كراسي الذهب، والعلماء علي كراسي الفضّة وحولهم الناس، وحول الناس الجنّ والشياطين، وتظلّها الطير بأجنحتها حتّي لا تقع عليهم الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلي الرواح ومن الرواح إلي الصباح.(1)

عرش سليمان:

وفيه من تفسير الثعلبي قال: وروي أنّ سليمان عليه السلام لمّا ملك بعد أبيه أمر باتّخاذ كرسيّ ليجلس عليه للقضاء، وأمر بأن يعمل بديعاً مهولاً، بحيث أن لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع و تهيّب.

قال: فعُمل له كرسي من أنياب الفيلة، وفصّصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر، وحفّوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر، علي رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب، وعلي رأس الآخرين نسران من ذهب بعضها مقابلاً لبعض، وجعلوا من جنبي الكرسي أسدين من الذهب، علي رأس كلّ واحد منهما عمود من الزمرّد الأخضر، وقد عقدوا علي النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر، واتّخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر، بحيث يظلّ عريش الكروم النخل والكرسي.

قال: وكان سليمان عليه السلام إذا أراد صعوده وضع قدميه علي الدرجة السفلي فيستدير الكرسيّ كلّه بما فيه دوران الرحي المسرعة، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها، وتبسط الأسدان أيديهما فتضربان الأرض بأذنابهما، فكذلك كلّ درجة يصعدها سليمان عليه السلام.

فإذا استوي بأعلاه أخذ النسران اللذان علي النخلتين تاج سليمان فوضعاه

1- بحار الأنوار 14: 80 - 81، تفسير مجمع البيان 7: 370.

علي رأس سـليمان، ثمّ يسـتدير الكرسـي بما فيه ويدور معه النسـران والطاووسان والأسدان مايلات برؤسهما إلي سليمان ينضحن عليه من أجوافها المسك والعنبر. ثمَّ تناولت حمامـة من ذهب قائمة علي عمود من جوهر من أعمدة الكرسـي التوراة فيفتحها سـليمان يقرؤها علي الناس ويدعوهم إلي فصل القضاء، ويجلس عظماء بني إسـرائيل علي كراسـي من الذهب المفصّـص بالجوهر وهي ألف كرسي عن يمينه، وتجيء عظماء وتجلس علي كراسـي الفضّـة علي يساره وهي ألف كرسـي حافّين جميعاً به، ثمَّ تحفّ بهم الطير فتظلّهم، وتتقدّم إليه الناس للقضاء.

فـإذا دعي البيّنـات والشـهود لإقامـة الشـهادات دار الكرسـي بما فيه مع جميع ما حوله دوران الرحي المسـرعة، ويبسط الأسـدان أيـديهما ويضربان الأرض بأذنابهما وينشر النسران والطاووسان أجنحتهما، فتفزع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب ولا يشهدون إلاّ بالحق.(1)

هدايا بلقيس:

في تفسـير مجمع البيان، أنّ بلقيس لمّا وقفت علي كتاب سليمان وفيه «أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ»(2) قالت لأشراف قومها «إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ» أي إلي سليمان وقومه «بِهَدِيَّةٍ» أصانعه بذلك عن ملكي «فَنَاظِرَةٌ» أي منتظرة «بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ»(3) بقبول أم ردّ، وإنّما فعلت ذلك لأنّهـا عرفت عادة الملوك في حسن موقع الهـدايا عنـدهم، و كان غرضـها أن يتبيّن لها بـذلك أنّه ملك أو نبيّ، فإن قبل الهديـة تبيّن أنّه ملك وعندها ما يرضيه، وإن ردّها تبيّن أنّه نبيّ.

1- النمل: 31.

2- النمل: 35.

3- بحار الأنوار 14: 84 - 85 نقلا عن تفسير الثعلبي.

واختُلف في الهدية، فقيل: أهدت إليه وصفاء ووصائف، ألبستهم لباساً واحداً حتّي لا يُعرف ذكر من أنثي، وقيل: أهدت مائتي غلام ومائتي جارية، ألبست الغلمان لباس الجواري، وألبست الجواري ألبسة الغلمان، وقيل: أهدت له صفائح الذهب في أوعية من الديباج، فلمّا بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموّهوا له الآجر بالذهب، ثمّ أمر به فألقي في الطريق، فلمّا جاؤوا رأوه ملقي في الطريق في كلّ مكان، فلمّا رأوا ذلك صغر في أعينهم ما جاؤوا به، وقيل أنّها عمدت إلي خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، فأليست الجواري الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً مرصّعات بأنواع الجواهر، وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة، و تاجاً مكلّلاً بالدرّ والياقوت المرتفع، وعمدت إلي حقّة فجعلت فيها درّة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعيّة مثقوبة معوجّة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمّت إليه رجالاً من قومها أصحاب رأيٍ وعقل، وكتبت إليه كتاباً بنسخة الهدية، قالت فيها: إن كنتَ نبياً فميّز بين الوصفاء والوصائف، وأخبر بما في الحقّة قبل أن تفتحها، واثقب الدرّة ثقباً مستوياً، وأدخل الخرزة خيطاً من غير علاج إنس ولاجنّ، وقالت للرسول: أنظر إليه إذا دخلت عليه، فإن نظر إليك نظرة غضب فاعلم أنّه مَلِك، فلا يهولنّك أمره، فأنا أعزّ منه، وإن نظر إليك نظر لطف فاعلم أنّه نبيّ مرسل.

فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلي سليمان فأخبره الخبر، فأمر سليمان الجنّ أن يضربوا البنات الذهب والبنات الفضّة ففعلوا، ثمّ أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلي بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً شُرَفه من الذهب والفضّة ففعلوا، ثم قال للجّن: علي بأولادكم، فاجتمع خلق كثير، فأقامهم علي يمين الميدان ويساره، ثمّ قعد سليمان في مجلسه علي سريره ووضع له أربعة آلاف كرسيّ عن يمينه ومثلها عن يساره، وأمر الشياطين أن يصطفّوا صفوفاً فراسخ، وأمر

الانس فاصطفّوا فراسخ، وأمر الوحش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره، فلمّا دنا القوم من الميدان ونظروا إلي مُلك سليمان تقاصرت إليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا.

فلمّا وقفوا بين يدي سليمان نظر إليهم نظراً حسناً بوجهٍ طلق، وقال: ما وراء كم؟ فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له وأعطاه كتاب الملكة، فنظر فيه وقال: أين الحقّة؟ فأتي بها وحرّكها وجاءه جبرئيل عليه السلام فأخبره بما في الحقّة، فقال: إنّ فيها درّة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجّة الثقب، فقال الرسول: صدقتَ، فاثقُب الدرّة وأدخِل الخيط في الخرزة، فأرسل سليمان إلي الأرضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتّي خرجت من الجانب الآخر، ثمّ قال: مَن لهذه الخرزة يسلكها الخيط؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا رسول الله ، فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتّي خرجت من الجانب الآخر، ثم بيّن بين الجواري والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدي يديها ثمّ تجعله علي اليد الأخري ثمّ تضرب به الوجه، والغلام كان يأخذ من الآنية يضرب به وجهه، وكان الجارية تصبّ علي باطن ساعدها والغلام علي ظهر الساعد، وكانت الجارية تصبّ الماء صباً والغلام يحدر الماء علي يده حدراً، فميّز بينهما بذلك.

وقيل: أنّها أنفذت مع هداياها عصاً كان يتوارثها ملوك حمير، وقالت: أريد أن تعرّفني رأسها من أسفلها، وبقدح ماء وقالت: تملؤها ماء رواء ليس من الأرض ولا من السماء، فأرسل سليمان العصا إلي الهواء وقال: أيّ الرأسين سبق إلي الأرض فهو أسفلها، وأمر الخيل فأجريت حتّي عرقت وملأ القدح من عرقها وقال: ليس هذا من ماء الأرض ولا من ماء السماء.

ثمّ قال سليمان: «أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللّهُ خَيْرٌ مِمّا آتَاكُمْ» أي مما أعطاني الله من الملك والحكمة والنبوّة خير مما أعطاكم من الدنيا و أموالها، «بَلْ

أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ»(1) إذا أهدي بعضكم إلي بعض، وأمّا أنا فلا أفرح بها، أشار إلي قلّة اكتراثه بأموال الدنيا.

ثمّ قال للرسول: «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ» بما جئت من الهدايا «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا» أي لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم علي دفعها «وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً» أي من تلك القرية ومن تلك المملكة «وَهُمْ صَاغِرُونَ» فلمّا ردّ سليمان الهدية و ميّز بين الغلمان والجواري إلي غير ذلك علموا أنّه نبيّ مرسل وأنّه ليس كالملوك الذين يغترّون بالمال.(2)

***

وفي البحار من كتاب تنبيه الخاطر: روي أنّ سليمان بن داود عليه السلام مرّ في موكبه والطير والجنّ والإنس عن يمينه وعن شماله بعابد بني إسرائيل فقال: واللهِ يا ابن داود لقد آتاك الله مُلكاً عظيماً، فسمعه سليمان فقال: لَتسبيحة في صحيفة مؤمن خير ممّا أعطي ابن داود، وإنّ ما أعطي ابن داود يذهب وإنّ التسبيحة تبقي.(3)

وكان سليمان إذا أصبح تصفّح وجوه الأغنياء والأشراف حتّي يجيء إلي المساكين ويقعد معهم ويقول: مسكين مع المساكين.(4)

ومن إرشاد القلوب: كان سليمان مع ما هو فيه من الملك يلبس الشعر، وإذا جنّه الليل شدّ يديه إلي عنقه فلا يزال قائماً حتّي يُصبح باكياً، وكان قُوته من سفائف الخوص يعملها بيده، وإنّما سأل المُلك ليقهر ملوك الكفر.(5) انتهي.

وجاء في المجلّد الأول من كتاب (ماذا في التاريخ) ص 169 تحت عنوان :

1- النمل: 36.

2- تفسير مجمع البيان 7: 380 - 383.

3- بحار الأنوار 14: 83 ح 27.

4- بحار الأنوار 14: 83 ح 28.

5- بحار الأنوار 14: 83/ ح 29، نقلاً عن إرشاد القلوب.

سيرة نبي الله سليمان وتاريخه عليه السلام :

«وهو الـذي أفاء الله عليه بنِعم الـدنيا والآخرة معاً، وجعل له مُلكاً لا ينبغي الأحـد من بعـده،فقـد أكرمه الله تعالي بالنبوّة، وجمع له معها الملك، وزاده عليها بالحكمة حتّي لُقّب بالحكيم، ثمّ جعل مُلكه شاملاً للبشر والجنّ والشياطين والحيوانات والطيور والحشرات».

فكان يفهم لغتها جميعاً، وكانت كلّها تأتمر بأمره، وزاده سـلطة علي الرياح والسـحاب، ومع هذا كلّه فإنّه لم يخرج عن تواضـعه، ولم يغادر خوف الله قلبه، ولم يتعالَ علي المساكين، و كان يعمل بيده لقوت نفسه.

وممّا يذكر من كرامات سـليمان عليه السـلام أنّ الله تعالي لمّا أمر داود عليه السـلام أن يجعل الخلافة لولده سليمان من بعده وكان لا يزال حدثاً ابن ثلاث عشرة سنة فقط، أنكر ذلك بنو إسرائيل وضجّوا قائلين:

إنّ داود يسـتخلف فينا حدثاً لأنّه ابنه، وفينا من هو أولي منه وأقدر علي إدارة الحكم، فدعا داود عليه السلام أكابرهم وأسباطهم وقال لهم: قد بلغني ماقلتم من أنّ سـليمان صبيّ لا يليق للخلافة، ولكنّ هذا أمر الله، وإن شئتم أن تختبروا مقدرة سليمان وجدارته فوجّهوا إليه ما يقضي به الإمتحان من الأسئلة، ثمّ دعاه داود عليه السلام وأراد امتحانه بحضرتهم ليبين لهم فضله وحكمته.

فوجّه إليه إسـئلة كثيرة، وقد أجاب عليها بأجمعها ممّا أخضع شوكة المعارضـين لاسـتخلافه، فمن جملة تلك الأسـئلة أنّه قال له: يا بُنيّ أيّ شيء أبرد؟ فقال سـليمان عليه السلام: عفو الله علي عبده، وعفو الناس بعضهم عن بعض، فقال داود: أيّ شيء أحلي؟ فأجاب سليمان عليه السـلام: المحبّة من الله في عباده، فقال بعض كبار بني اسـرائيل له: ما الشـيء إذا صلح صلح معه كلّ شيء في الانسان، وإذا فسد فسد كلّ شيء فيه؟ فقال سليمان عليه السلام: ذاك هو القلب.

وممّا نُقل عن الثعلبي أنّ كتاباً نزل من السماء علي نبيّ الله داود وفيه ثلاث عشرة مسألة، أمر الله أن يسأل عنها ابنه سليمان عليه السلام، فتكون برهاناً له علي تعيينه خليفة من الله تعالي.

فدعا داود عليه السلام سبعين قسّاً وسبعين حبراً، وأجلس سليمان بينهم فقال: يا بُنيّ أخبِرني ما أقرب الأشياء؟ وما أبعد الأشياء؟ وما آنس الاشياء وما أوحشها؟ وما أحسن الاشياء وما أقبحها؟ وما أقل الأشياء وما أكثرها؟ وما القائمان وما المختلفان وما المتباغضان؟ وما الأمر الذي إذا ركبه الرجل حمد آخره؟ وما الأمر الذي إذا ركبه ذمّ آخره؟

فقال سليمان عليه السلام: أمّا أقرب الأشياء فالآخرة، وأبعد الأشياء ما فاتك من الدنيا، وأمّا آنس الأشياء فجسد فيه روح ناطق، وأوحشها جسد بلا روح، وأمّا أحسن الأشياء فالايمان بعد الكفر، وأقبحها الكفر بعد الإيمان، وأمّا أقل الأشياء فاليقين، وأكثرها الشكّ.

وأمّا القائمان فالسماء والأرض، والمختلفان فالليل والنهار، وأمّا المتباغضان فالموت والحياة، وأمّا الذي إذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب، وأمّا الذي إذا ركبه ذمّ آخره فالحدّة عند الغضب.

ولمّا أتّم سليمان عليه السلام الجواب عن جميع تلك الأسئلة، فكّ داود خاتم الكتاب بحضرة القوم فإذا المسائل مكتوبة فيه مع أجوبتها كما ذكرها سليمان عليه السلام، فعندئذ سلّم بنو إسرائيل لسليمان بالحكمة والخلافة، وظهر لهم أهليّته وجدارته لما خصّه الله تعالي به.

ومن جملة دلائل حكمة سليمان واستحقاقه للخلافة بعد أبيه، حكمة مسألة الغنم التي أكلت الكرم، فحكم بنتاجها لصاحب الكرم تلك السنة مقابل تلف ثمره، بعد أن كان الحكم تمليك الغنم لصاحب الكرم، وقد أشار الله تعالي لذلك في كتابه المجيد فقال تعالي:

«وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...»(1)

حكاية سليمان مع النملة:

روي أنّ سليمان عليه السلام كان علي ساحل البحر ينتظر بعض جنوده، فأبصر نملة تحمل حبّة حنطة وهي تسعي إلي الماء، فتعجّب من قصدها الماء مع أنّها تهرب منه لو وقعت فيه قهراً، فما أن وصلت إلي شاطئ البحر حتّي خرجت ضفدع فدنت من النملة ثمّ فتحت فاها فدخلت النملة في فيها باختيارها، فأطبقت الضفدع فمها عليها وغاصت في البحر، فما لبثت إلاّ بُرهة يسيرة حتّي رجعت الضفدع فقفزت إلي البرّ ثمّ فتحت فاها فخرجت النملة من فيها وليس معها حبّة الحنطة، فلمّا نظر سليمان النملة تقدّم إليها وسألها عن شأنها مع الضفدع، وأين ذهبت معها، وكيف أرجعتها، وأين وضعت حبّة الحنطة؟

فقالت له النملة: اعلم يا نبّي الله أنّه يوجد في قعر هذا البحر صخرة مجوّفة، في وسطها دودة عمياء ولا تستطيع الخروج منها لطلب معاشها، وقد وكّلني الله تعالي برزقها وسخّرني مع هذا الضفدع لتأمين معاشها، فأنا أحمل طعامها من البرّ، وهذا الحيوان يقلّني في فمه إليها، فإذا وصل بي إلي الصخرة وضع فمه علي ثقبها ثمّ قذف بي إلي داخلها، فأوصل الحبّة إلي الدودة فأضعها في فمها ثمّ أعود إلي هذا الحيوان فيحملني إلي البرّ ثانية، وهذه قصّتي يا نبي الله.

فدهش نبي الله سليمان من تلك القصة فزاد في تمجيد الله سبحانه، ثمّ سألها: هل سمعت لها تسبيحاً؟ فقالت: نعم سمعتها تردّد دائماً هذا الدعاء:

«يا من لا ينساني في جوف هذه الصخرة تحت هذه اللجّة من رزقه، لا تنسَ عبادك المؤمنين من رحمتك الواسعة».(2)

1- الأنبياء: 77.

2- بحار الأنوار 14: 97 - 98/ ح 4؛ الدعوات للراوندي: 115/ ح 264.

قصّة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان:

روي أنّ نبي الله سليمان عليه السلام سافر إلي بلاد اليمن في بعض رحلاته، وكانت الطير تضلّله من حرارة الشمس، فلمّا حان وقت الصلاة نزل عن بساطه وانصرفت الطيور لسبيلها في تلك البرهة، وكان من جملتها الهدهد، فتوغّل في طيرانه، فصادف هدهداً مثله فتعارفا وجعل كلّ منهما يسأل رفيقه عن حاله وحال بلاده، فأخبره هدهد سليمان عن عظمة سليمان وكثرة جنوده وبطشه وما آتاه الله من المال والنبوّة وتسخير الإنس والجن والوحوش والطير له في كلّ ما أراد.

وجعل هدهد بلاد سبأ يشرح لرفيقه عظمة ملكة سبأ وكثرة جنودها وسعة بلادها، ودعاه للذهاب معه ليشاهد ذلك بعينه، فرغب هدهد سليمان بذلك وأحبّ أن ينقل أخبار ذلك لنبيّ الله سليمان، خصوصاً حينما سمع من رفيقه أنّ ملكة سبأ وقومها يعبدون الشمس دون الخالق القهّار، وطالت غيبة الهدهد، وانتهي سليمان من صلاته و جلس علي بساطه فظلّلته الطير وبقي مكان الهدهد فارغاً، فسأل سليمان عنه وتهدّده إن لم يأت بسبب صحيح يدلّ علي مضيّه، ثمّ أرسل العقاب وراءه، فصادفه راجعاً فأتي به إلي سليمان عليه السلام.

فسأله عن غيابه بدون إذنه، فشرح له قصّه ملكة سبأ وعظمة ملكها، وأنّها وقومها يعبدون الشمس ويسجدون لها دون الخالق القهّار، فأراد سليمان عليه السلام أن يتحقّق صحّة كلام الهدهد، فكتب كتاباً أرسله معه إلي ملكة سبأ، وأمره أن يعرّفه بحالها بعد قراءتها الكتاب، فأخذ الهدهد الكتاب ودخل علي بلقيس وهي في قصرها من كوة كانت في أعلي القصر، فما شعرت إلاّ والكتاب قد سقط علي صدرها وهي مستلقاة، فدهشت من ذلك وقد شاهدت الهدهد حينما دخل من الكوة و كيف ألقاه وخرج من حيث أتي.

فأخذت بلقيس الكتاب و إذا فيه: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا

تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ».(1) وكانت عاقلة فلم تتسرّع بالغضب والاستنكار أو الردّ، بل أرسلت إلي أشراف قومها ووجوه أجناده، فلمّا حضروا قالت:

«يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ».

وقرأت لهم الكتاب، و كانوا قد سمعوا عن سليمان وعظمة ملكه، فقالوا لها:

«نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ».

فجعلت تفكّر وتدبّر، ثمّ انتهي بها التفكّر إلي أن تداري سليمان وتغريه بالأموال والهدايا، وتمتحن صحّة نبوّته، فإن كان مَلِكاً دنيويّاً قبل الهدايا ومغريات الملك، وحينئذ يمكنها الانتصار عليه مهما بلغت عظمته، وإن كان نبيّاً فلا يرضي بديلاً عن التوحيد وعبادة الله تعالي، ولن تغريه الهدايا مهما عظمت وغلت، وفي هذه الحالة لن تستطيع الانتصار عليه ولو كان لها أضعاف قوّتها.

ثمّ جمعت الهدايا المتنوّعة، فجهّزت خمسمائة غلام ألبستهم لباس الجواري، وخمسمائة جارية ألبستهنّ لباس الرجال. وجهّزت له خمسمائة لبنة من ذهب ومثلها من فضة، وعصا نفيسة كانت تتوارثها الملوك السابقة، لا يُعرف رأسها من أسفلها، وأضافت إلي كلّ هذه الهدايا درّة يتيمة غير مثقوبة، ودرّة مثقوبة معوجّة الثقب أرسلتها مع العصا لاجراء امتحان آخر.

ثمّ دعت رجلاً من الأشراف فراسته علي الوفد الناقل للهدايا، فبعثت معه قدحاً، وضمّت إليه رجالاً من قومها من أصحاب الرأي والعقل، وأمرتهم بحمل الهدايا إلي سليمان عليه السلام، وأرسلت معهم رسالة إلي سليمان، وأوصتهم بطلب الجواب علي أسئلتها هذه: منها أن يعرّفها رأس العصا، وأن يثقب الدرة ثقباً مستقيماً، وأن يُدخل في المثقوبة خيطاً دون أن يعالجه إنس ولا جان، ثمّ يملأ القدح بماء لا من السماء نزل ولا من الأرض نبع ولا من البحار أخذ.

1- النمل: 30 و 31.

ثمّ أوصت القيم علي الوفد أن تأمّل أحوال سليمان حين تدخل عليه، فإن هو نظر إليك نظر غضب و إرهاب فاعلم أنه مَلِكَ عادي، فلا يهولنّك أمره، فأنا أعزّ منه، و إن نظر إليك نظرة حلم و عطف فاعلم أنّه نبي مرسل، فاحذر من مخالفته.

فلمّا تحرّكت قافلة الهدايا في المسير، صادف مجيء الهدهد فنظر إلي جميع ما أعدّته بلقيس من الهدايا والتحف لسليمان فسارع ليخبره الخبر، فبادر سليمان بعد إخباره إلي إعداد ما يلزم فعله في مقابلة ذلك الوفد المرسل من عند ملكة سبأ.

فأمر جنوده من الإنس والجنّ والطير والوحش أن يصطّفوا علي جانبي طريق الوفد إلي بُعد أميال. فلمّا دنا سُل بلقيس من الميدان ونظروا إلي عظمة سليمان عليه السلام وكثرة جيوشه وعظمة ملكه وشدّة سطوته ووفرة غِناه، تصاغرت عندهم نفوسهم واستحقروا هداياهم واستضعفوا شأنهم وشأن ما حملوه معهم، فعدلوا عن تقديم هداياهم خجلاً بها.

ثمّ أقبلوا خاشعين حتّي وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام بخشية وخوف وتهيّب. ولكنّ نبيّ الله استقبلهم بوجه باشّ، ورحّب بهم ترحيباً صادقاً، وشجّعهم علي الحديث عن مهمّتهم وعن ملكتهم وديارهم.

فتقدّم إليه رئيسهم وناوله رسالة بلقيس وفيها أسئلتها وطلباتها، ولمّا قرأ سليمان أسئلة بلقيس طلب الدرة، ثمّ أمر (الأرضة) أن تثقبها ثقباً مستقيماً، ثمّ طلب الخرزة المثقوبة فتقدّمت إليه دودة بيضاء وقالت: أنا لها يا رسول الله، فأخذت خيطاً بفمها ودخلت في ثقب الخرزة حتّي خرجت من الطرف الآخر. وطلب العصا و أمر برميها في الهواء قائلاً: أيّ الطرفين كان أقرب إلي الأرض فهو رأسها، وأخيراً استحضر الكأس وأمر بفرسان تُجري الخيل حتّي عرقت عرقاً كثيراً فملأ القدح منه وقال: هذا ماء ليس من ماء السماء ولا من ماء الأرض ولا من البحار.

وبعد أن أري الوفد مقدرته وحسن تدبيره، طلب استعراض الهدايا، فلمّا عُرضت عليه غضب وقال: ليس من أجل هذا طلبنا طاعتكم، بل نحن طلبنا الإسلام وعبادة الواحد

الديّان، فأرجِعوا هداياكم إلي ملكتكم وأنذروها وقومها بالمجيء إليَّ مسلمين ولله خاضعين، فإن لم يفعلوا فلنأتينّهم بجنود لا يستطيعون مقاومتها.

فلمّا رجع رسول بلقيس إليها بهداياها وبتهديد سليمان عليه السلام لها ولقومها علمت أنِه نبيٍّ لا طاقة لها بمقاومته، فتجهّزت للخروج إليه مع وجوه قومها...

ونزل جبرئيل عليه السلام علي سلمان عليه السلام بنبأ خروجها إليه في حاشيتها، ففكّر سليمان في أمر يُدهشها فيه ويريها مقدرته التي خصّه الله تعالي بها، فالتفت إلي أشراف عسكره قائلاً:

«أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ»؟

وكانت بلقيس قد خلّفت عرشها في قصرها بمدينة سبأ بعد أن أوثقته في الأرض وو كّلت به ثقات قومها، لأنّه رائع الصنعة من حيث النقش أو الترصيع بالمجوهرات، فلمّا سأل سليمان عليه السلام عمّن يأتيه به.

«قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ».

ولكنّ سليمان كأنّه أراد أعجل من ذلك.

«قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ».

و كان القائل آصف بن برخيا وزير سليمان ووصيّه من بعده، وابن أخته، وكان عنده جزء من ثلاثة وسبعين جزءاً من أجزاء اسم الله الأعظم، وفعلاً سأل آصف ربّه تعالي فقام العرش من مكانه بقدرة الله تعالي وطويت له الأرض حتّي كان بطرفة عين أمام كرسي سليمان، وقد كان عند نبي الله سليمان عليه السلام مثل ما عند وزيره آصف من العلم باسم الله الأعظم، ولكنّه تعمّد أن يترك وزيره وابن أخته به ليرُي أمّته طاقة آصف علي الإيمان بالمعجزة بقدرة الله تعالي وأنّه خليفته فيهم من بعده.

فلمّا رآه سليمان عليه السلام: «مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هُذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي».

فلمّا جائت بلقيس استقبلها سليمان استقبالاً حسناً، فلمّا صارت أمامه «قِيلَ أَهٰكَذَا عَرْشُ»؟

فبهتت وحارت في أمرها وجعلت تنظر إليه وهي تراه شبيهاً بعرشـها، وكانت حليمـة لا تتسـرّع في أحكامها قبل أن تتثبّت، لـذا قالت «كَأَنَّهُ هُوَ»وبذلك لم تنفِ ولم تُثبت، فلمّا رأي نبي الله سليمان دهشتها وعجبها حمد الله تعالي علي ما آتاه من العلم ونعمة الإسلام.

ثمّ إنّ بلقيس أسلمت و تابت إلي الله تعالي من عبادة الأوثان توبة نصوحاً، وتزوّجها سليمان وردّها إلي أرضها وممالكها بعد أن أقرّها علي ملكها.

وكان نبي الله سـليمان عليه السـلام يعتكف غالباً في مسـجد بيت المقدس، فلمّا بالغ من العمر ثلاثاً وخمسين سنة أي بعد أربعين سنة من توليه الملك _ إذ أنّه تولّي الملك وهو ابن ثلاثة عشـر سـنة _ أحبّ يوماً أن يعمد إلي أعلي قصره ويتأمّل وحده بناء مسجده من عَلٍ، فأمر أن يمنع دخول أي شـخص حتّي لو كان من خواصّه وجنوده، ثمّ صعد وحده حتّي بلغ أعلي مطلّ تحت القبّة المصنوعة من قوارير، وأطلّ علي العمال وهم يشهدون المسجد، وكان قد بقي من مدة كمال بنائه ما يقرب من سنة.

وفجأة نظر فلمـح شـجرة خرنوب من ناحية من نواحي البلدة، وكان متّكئاً علي عصاه فاضـطربت جوارحه، لأنّ الله تعالي كان قد عرّفه أنّ آية موته خروج شـجرة خرنوب من بيت المقـدس، وبعـد هذا الاضـطراب الذي أصابه التفت فرأي شاباً جميل الوجه في زيّ حسن يخرج إليه، فغضب وقال: من أدخلك هذا القصر، ومن الذي سمح لك في دخوله، ومن أنت؟

فقال: أمّا الذي أمرني بالدخول فهو صاحب القصر، وأمّا الاستئذان عليك فلم يكن لي عادة أن أستأذن في الدخول علي الملوك والسلاطين.

فعلم عندئذٍ أنّ هذا ملك الموت، فسأله عليه السلام: فيم جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك.

عندئذٍ سأل ربّه أن يخفي عن الجنّ موته لجهتين: الأولي ليداوموا علي

أعمالهم في عمارة بيت المقدس، الثانية يعلمهم هم والإنس أنّهم لا يعلمون الغيب وأنّ عِلمه عند الله.

فأجابه الله تعالي، وقبض عزرائيل عليه السلام روحه، وقومه ينظرون إليه وهو متّكي علي عصاه، وهم يحسبونه حيّاً مدّة سنة كاملة.

وكان وزيره آصف خلال تلك المدة يُدير أمر المملكة وينظّم أعمال الجنّ والإنس، فلمّا كمل بناء المسجد بعد سنة ولم يعد موجب لبقاء جثمانه قائماً، أرسل الله تعالي دودة الأرض فأكلت العصا فقط.

«فَلَمّا خَرّ تَبَيّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ»(1)

وتبيّنت الجن أنّهم لو كانوا علموا بموته يوم وفاته كانوا يخلّصون أنفسهم من عذاب العمل طيلة هذه المدة، فظهر لهم ولغيرهم أنّهم عاجزون عن معرفة الأشياء إلاّ ما عرفهم الله تعالي».

***

ضرورة الاعتبار من التاريخ:

ثم نبّه عليه السلام علي الاعتبار بأحوال القرون الخالية والأمم الماضية فقال: «وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة» وأشار إلي وجه العبرة علي سبيل الاستفهام التقريري قصداً للتذكير والتذكر بقوله: «أين العمالقة وأبناء العمالقة».

تاريخ العمالقة:

قوله عليه السلام: «أين العمالقة وأبناء العمالقة» قال الشارح المعتزلي: العمالقة أولاد لاوز بن ارم بن سالم بن نوح عليه السلام، كان الملك باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الأقاليم، فمنهم عملاق بن لاوز، ومنهم طسم بن لاوز أخوه، ومنهم جديس بن لاوز أخوهما، وكان العزّ والملك بعد عملاق بن لاوز في طسم، فلمّا ملكهم عملاق بن طسم

1- سبأ: 14.

بغي وأكثر الفساد في الأرض، حتّي كان يطأ العروس ليلة إهدائها إلي بعلها، وإن كانت بكراً افتضّها قبل وصولها إلي البعل، ففعل ذلك بإمرأة من جديس يقال لها غفيرة بنت غفار، فخرجت إلي قومها وهي تقول:

لا أحدٌ أذل من جديس *** أهكذا يُفعل بالعروس

فغضب لها أخوها الأسود بن غفار و تابعه قومه علي الفتك بعملاق بن طسم وأهل بيته، فصنع الأسود طعاماً ودعي العملاق إليه، ثمّ وثب به وبطسم فأتي علي رؤسائهم، ونجا منهم رباح بن مز فصار إلي ذي جيشان بن تبّع الحميري ملك اليمن فاستغاث به علي جديس، فسار ذوجيشان في حمير فأتي بلاد جوّ وهي قصبة اليمامة واستأصل جديساً كلها وأخرب اليمامة، فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم إلاّ اليسير منهم، ثمّ ملك بعد طسم وجديس وباز بن ايم بن لاوز بن ارم فسار بولده وأهله ونزل برمل عالج، فبغوا في الأرض حيناً حتّي أفناهم الله، ثمّ ملك الأرض بعد وباز عبد طعحم بن أثيف بن لاوز فنزلوا بالطايف حيناً ثمّ بادوا.

قال الشارح: وممن يعدّ من العمالقة عاد و ثمود.

فأمّا عاد فهو ابن عويص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام كان يعبد القمر، يقال إنّه كان رأي من صلبه أولاداً وأولاد أولاد أربعة آلاف، وأنّه نكح ألف جارية، وكانت بلاده الأحقاف المذكورة في القرآن، وهي من شجر عمان إلي حضرموت، ومن أولاده شدّاد بن عاد صاحب المدينة المذكورة في سورة الفجر.

وأمّا ثمود فهو ابن عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت دياره بين الشام والحجاز إلي ساحل بحر الحبشة.(1)

«أين الفراعنة وأبناء الفراعنة» وهم ملوك مصر، فمنهم الوليد بن الريّان فرعون يوسف عليه السلام، ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسي، ومنهم فرعون بن الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وأخرب بيت المقدس.(2)

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 10: 93 - 94.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 10: 95.

«أين أصحاب مدائن الرسّ» وهم (الذين) جحدوا ربّ العالمين و(اقتلوا النبيين) مظلومين (وأطفئوا سنن المرسلين) وشرايع الدين (وأحيوا سُنن الجبّارين) وبدع الشياطين (وأين) الملوك (الذين ساروا بالجيوش وهزموا الألوف) وفتحوا الأمصار (وعسكروا العساكر) وجمعوهم (ومدّنوا المدائن) وبنوها.

في بيان مدائن الرسّ وقصّة أصحابها:

قال تعالي في سورة الفرقان: «وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ»(1) وفي سورة ق: «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ».(2)

قال الطبرسي: أي وأهلكنا عاداً و ثمود وأصحاب الرسّ ـ وهو بئر رسّوا فيها نبيّهم ـ أي ألقوه فيها، عن عكرمة.

وقيل: إنّهم كانوا أصحاب مواشٍ ولهم بئر يقعدون عليها، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعيباً عليه السلام فكذّبوه فانهار البئر وانخسفت بهم الأرض فهلكوا.

وقيل: الرسّ قرية باليمامة يقال لها فلج قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله، عن قتادة.

وقيل: كان لهم نبيّ يسمّي حنظلة فقتلوه فُأهلكوا، عن سعيد بن جبير والكلبي.

وقيل: هم أصحاب رسّ، والرسّ بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيباً النجّار فنُسبوا إليها، عن كعب ومقاتل.(3)

وفي البحار من تفسير علي بن إبراهيم: أصحاب الرسّ هم الذين هلكوا لأنّهم استغنوا الرجال بالرجال والنساء بالنساء.(4)

ومن معاني الأخبار: معني أصحاب الرسّ أنّهم نُسبوا إلي نهر يقال له: الرسّ من بلاد المشرق.(5)

1- الفرقان: 38.

2- ق: 12.

3- تفسير مجمع البيان 7: 296.

4- بحار الأنوار 14: 152 -153/ ح 2.

5- بحار الأنوار 14: 153/ ح3.

وقد ذكروا في الرسّ أقوالاً كثيرة أعرضنا عنها وذكرنا موضع الحاجة.

***

الإمام المهدي علي لسان عليّ عليه السلام :

قوله عليه السلام: «قد لبس للحكمة جُنّتها الخ».

قال العلاّمة المجلسي قدس سرّه: إنّه اشارة إلي القائم عليه السلام ونقله الشارح المعتزلي عن الشيعة الإماميّة.

وقالت الصوفيّة: إنّه عليه السلام يعني به وليّ الله في الأرض، وعندهم لا تخلو الدنيا من الأبدال والأولياء.

وقالت الفلاسفة: إنّ مراده عليه السلام به العارف.

وقالت المعتزلة: إنّه يريد به العالم بالعدل والتوحيد، وزعموا أنّ الله لا يُخلي الأمّة من جماعة من المؤمنين العلماء بالتوحيد والعدل، وإنّ الإجماع إنما يكون حجّة باعتبار قول أولئك، لكنّه لمّا تعذّرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع الجميع، وإنّما الأصل قول أولئك.

قال الشارح المعتزلي بعد نقل هذه الأقوال: وليس يبعد أن يريد عليه السلام به القائم من آل محمد صلي الله عليه وآله في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالي وإن لم يكن الآن موجوداً، فليس في الكلام ما يدلّ علي وجوده الآن، وقد وقع اتّفاق الفرق من المسلمين أجمعين علي أنّ الدنيا والتكليف لا ينقضي إلاّ عليه،(1) انتهي.

قال الخوئي في شرح النهج: أمّا ما ذكره من كون المراد به القائم عليه السلام فهو كما ذكره غير بعيد، لظهور اتّصافه عليه السلام بهذه الأوصاف و كونه مظهراً لها، وأمّا ما زعمه _ كسائر المعتزلة _ من أنّه عليه السلام غير موجود الآن وإنّما يخلقه الله في آخر الزمان فهو زعمٌ فاسد ووهم باطل، لقيام البراهين العقلية والنقلية علي

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 10: 96.

أنّ الأرض لو تبقي بغير حجّة لانخسفت و ساخت، وعلي أنّه لابدّ من وجوده في كلّ عصر وزمان، وأنّه إمّا ظاهر مشهود أو غائب مستور، وأنّ القائم من آل محمد صلي الله عليه وآله مخلوق من غابر الزمان و موجود الآن، وهو غائب مستور لمصالح مقتضية لغيبته، والانتفاع بوجوده الشريف حال الغيبة كالانتفاع بالشمس المجلّلة للعالم المحجوبة بالسحاب.

وبعد قيام الأدلة المحكمة علي ذلك كلّه فلا يُعبأ بالاستبعادات الوهميّة للمنكرين، والاستدلالات السخيفة الهيّنة للمبطلين علي ما أشير إليها في كتب أصحابنا الإماميّة المؤلّفة في الغيبة مع أجوبتها المتقنة.

***

معرفة الحكمة وتفسيرها:

هذا والحكمة اسم لمجامع الخير كلّه، قال أبو البقاء: هي في عُرف العلماء استعمال النفس الإنسانيّة باقتباس العلوم النظريّة، واكتساب الملكة التامّة علي الأفعال الفاضلة قدر طاقتها.

وقال بعضهم: هي معرفة الحقائق علي ما هي عليه بقدر الاستطاعة، وهي العلم النافع المعبّر عنها بمعرفة ما لها ومعرفة ما عليها.

وقال ابن دريد: كلّ ما يؤدّي إلي ما يلزمه أو يمنع من قبيح، وقيل: ما يتضمّن صلاح النشأتَين.

وقال في البحار: العلوم الحقّة النافعة مع العمل بمقتضاها، قال: وقد تُطلق علي العلوم الفائضة من جنابه تعالي علي العبد بعد العمل بما علم.(1)

وقد تفسّر بأنها معرفة الله وطاعته، وقد تفسّر بأنها العلم الذي يرفع الانسان عن فعل القبيح، وفسّرت في قوله تعالي: «بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»(2)

1- بحار الأنوار 1:215 ؛ الخصال للصدوق: 111/ ح 83.

2- النحل: 125.

بالنبوّة، وفي قوله: «وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»(1) بالفقه والمعرفة وفي قوله: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»(2) بالقرآن والشريعة وفي قوله: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا»(3) بتحقيق العلم وإتقان العمل.

وفي الصافي من الكافي وتفسير العياشي عن الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قال: طاعة الله ومعرفة الإمام.(4)

وعنه عليه السلام: معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار.(5)

وعن العياشي عنه عليه السلام: إنّ الحكمة المعرفة والتفقّه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم.(6)

وعن مصباح الشريعة عنه عليه السلام : الحكمة ضياء المعرفة وميراث التقوي وثمرة الصدق، ولو قلت: ما أنعم الله علي عباده بنعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهي من الحكمة، لقلت: قال الله «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»(7) أي لا يعلم ما أودعتُ وهيّاتُ في الحكمة إلاّ من استخلصتُه لنفسي وخصصته بها، والحكمة هي الكتاب، وصفة الحكيم الثبات عند أوائل الأمور والوقوف عند عواقبها، وهو هادي خلق الله إلي الله.(8)

وعن الخصال عن النبي صلي الله عليه وآله: رأس الحكمة مخافة الله.(9)

1- آل عمران: 48.

2- البقرة: 129؛ آل عمران: 164؛ الجمعة: 2.

3- البقرة: 269.

4- تفسير الصافي 1: 298.

5- تفسير الصافي 1: 298؛ تفسير العيّاشي 1: 151 /ح496.

6- تفسير الصافي 1: 98، تفسير العيّاشي 1: 151/ ح498.

7- البقرة: 269.

8- تفسير الصافي 1: 299؛ مصباح الشريعة: 198.

9- تفسير الصافي 1: 299؛ الخصال: 111 / ح83.

وعنه وعن الكافي عنه صلي الله عليه وآله: أنّه كان ذات يوم في بعض أسفاره إذ لقاه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فالتفت إليهم وقال: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون، قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله والتفويض إلي الله، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتّقوا الله الذي إليه ترجعون.(1)

معاني الحكمة في القرآن:

وقد جاء معني الحكمة في القرآن علي أربعة أوجه:

أحدها: مواعظ القرآن وهو قوله تعالي: «وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ»(2) يعني مواعظ القرآن.

ثانيها: الحكمة بمعني الفهم والعلم ومنه قوله تعالي: «وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا»(3) وقوله تعالي: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ»،(4) يعني الفهم والعلم.

ثالثها: الحكمة بمعني النبوّة، ومنه قوله تعالي: «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»(5) ـ يعني النبوّة ـ وقوله تعالي:«وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ»(6) وقوله تعالي: «وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ».(7)

1- تفسير الصافي 1: 299 ح 269؛ الخصال: 146/ ح 145؛ الكافي 2: 53/ ح 1.

2- البقرة: 231.

3- مريم: 12.

4- لقمان: 12.

5- النساء: 54.

6- ص: 20.

7- البقرة: 251.

رابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسرار، ومنه قوله تعالي: «ادْعُ إِلَيٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ»(1) وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع إلي العلم.

وبالتالي فحقيقة الحكمة نور من أنوار صفات الحقّ يؤيّد الله به عقل من يشاء من عباده، فهي ليست ممّا تُدرك بالعقول وبالبراهين العقلية والنقليّة.

وذلك أنّ المعقولات مشتركة بين أهل الدين وأهل الكفر، فالمعقول ما يحكم العقل عليه ببرهان عقليّ، وهذا ميسّر لكلّ عاقل بالدراية وعالم بالقراءة، فمن صفّي عقله عن شرب الوهم والخيال فيدرك عقله المعقولات بالبرهان درايةً عقليّة، ومن لم يُصفِّ العقل عن هذه الآفات فهو يدرك المعقول قراءةً بتفهيم أستاذ مرشد.

أمّا الحكمة فليست من هذا القبيل، وما يذّكّر إلاّ أولو الألباب، وهم الذين لم يقنعوا بقشور العقول الإنسانيّة، بل سعوا في طلب لبّها بمتابعة الأنبياء عليهم السلام، فأخرجوهم من ظلمات قشور العقول الانسانيّة إلي نور لبّ المواهب الربّانيّة، فتحقّق لهم أنّ «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»، وقد استوعبنا ذلك في كتابنا (الحكمة والحكماء).(2)

***

تبع حكيم حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات:

عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تبع حكيم حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلمّا لحق به قال له: يا هذا ما أرفع من السماء، وأوسع من الأرض، وأغني من البحر، وأقسي من الحجر، وأشدّ حرارة من النار، وأشدّ برداً من الزمهرير، وأثقل من الجبال الراسيات؟ فقال له: يا هذا الحقّ أرفع من السماء، والعدل أوسع من

1- نحل: 125.

2- مخطوط.

الأرض، وغني النفس أغني من البحر، وقلب الكافر أقسي من الحجر، والحريص الجشع أشدّ حرارة من النار، واليأس من روح الله أشدّ برداً من الزمهرير، والبُهتان علي البريء أثقل من الجبال الراسيات.(1)

بين إفلاطون وسقراط:

كتب إفلاطون إلي سقراط: إنّي أسألك عن ثلاثة أشياء فإن أجبتَ عنها تلمّذت لك. فكتب إليه سقراط: سَل وبالله التوفيق. فكتب إفلاطون إليه: أيّ الناس أولي بالرحمة، ومتي تضيّع أمور الناس، وبماذا تتلّقي الرحمة والنعمة من الله تعالي؟ فأجابه: أولي الناس بالرحمة ثلاثة: الحكيم الذي في مملكة السلطان الفاجر، فهو في الدهر حزين لما يسمع ويري، والعاقل في تدبير الجاهل، فهو في الدهر متعب مغموم، والكريم المحتاج إلي اللئيم، فهو في الدهر له خاضع ذليل؛ وتُضيّع أمور الناس إذا كان الرأي عند من لا يعقل، والسلاح لمن لا يستعمله، والمال عند من لا يُنفقه؛ وتتلّقي نعمة الله بكثرة الشكر له ولزوم طاعته واجتناب معصيته، فأقبل إفلاطون إليه وتتلمذ له حتي مات.

بزرجمهر في السجن:

غضب أنوشروان علي وزيره بزرجمهر فسجنه في بيت كالقبر وصفّده بالحديد وألبسه الخشن من الصوف وأمر أن لا يزاد في كلّ يوم علي قرصين من الخبز و كفّ ملح جريش ودورق ماء، وأن تُنقل ألفاظه إليه، فأقام شهوراً لا تُسمع له لفظة، فقال أنوشروان: أدخِلوا عليه أصحابه ومروهم أن يسألوه ويفتحوه الكلام وعرّفونيه، فدخل إليه جماعة من المختصّين به فقالوا له: أيّها الحكيم نراك في هذا الضيق والحديد والشدّة التي دفعت إليها، ومع هذا فإنّ

1- الخصال: 348/ ح 21؛ بحار الأنوار 75: 31، ح 99.

سحنة وجهك وصحّة جسمك علي حالها لم تتغيّر، فما السبب في ذلك؟ فقال: إنّي عملت جوارش من ستّة أخلاط، فآخذ منه كلّ يوم شيئاً، فهو الذي أبقاني علي ماترون. فقالوا: فصفه لنا فعسي أن نُبتلي بمثل بلواك أو أحد من إخواننا فنستعمله أو نصفه له. فقال: الخليط الأول الثقة بالله، والثاني أنّ كلّ مقدّر كائن، والثالث الصبر خير ما استعمله الممتحن، والرابع إن لم أصبر فأيّ شيء أعمل؟ ولِمَ أعن علي نفسي بالجزع؟ والخامس قد يمكن أن أكون في شرٍّ أصعب مما أنا فيه، والسادس من ساعة إلي ساعة فرج.(1)

حكمة فيثاغورس:

كان فيثاغورس الحكيم اليوناني إذا جلس علي كرسيّه أوصي بهذه الوصايا السبع: قوّموا موازينكم واعرفوا أوزانها، عدّلوا الخط تصحبكم السلامة، لا تشعلوا النار حيث ترون السكّين يقطع، عدّلوا شهواتكم تستديموا الصحّة، استعملوا العدل تحظ بكم المودّة، عاملوا الزمان كالولاة الذين يُستعملون عليكم و يُعزلون عنكم، لا ترقّهوا أبدانكم وأنفسكم فتفقدوا في أوقات الشدائد إذا وردت عليكم.

التحكمة أرسطاطاليس:

أمر أرسطاطاليس عند موته أن يُدفن ويُبني عليه بيت مثمّن يُكتب علي كلّ ثُمن منه كلمة من هذه الكلمات الجامعات لجميع الأمور التي بها يصلح الناس: «العالم بُستان ساقيته الدولة، الدولة سلطان محجّته الشريعة، الشريعة سياسة يسوسها الملك، الملك راع يعضده الجيش، الجيش أعوان يكفلهم المال، المال رزق تجمعه الرعيّة، الرعيّة عبيد يستملكهم العدل، العدل ألفة بها صلاح العالم».

1- الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي 1: 38.

حكاية الملك ووزراءه الأربعة:

كـان ملـك من الملوك من ذوي البصـيرة والرأي والتقي والصـلاح قـد اتّخـذ له جملـة من الحكمـاء الروحانيّين يستروح بهم ويسـكن إلي حكمتهم، وكان أربعة من عظمائهم أقربهم منزلة منه وأخصّ هم عنده: فارسيّ ويسمي المنُجِّح، وهندي ويسمّي المُصحّح، ورومي ويسمّي المُفصح، وعربي ويسمي الموضّح، فجمعهم يوماً عنده وقال: أيّها الحكماء أريد أن أسألكم عن أشياء تختلج في ذهني فأجيبوني. قالوا: نعم أيّهـا الملك سَل. قال: أيهّا الحكماء بما السـعادة في الـدنيا والآخرة ونجاة النفوس الفاخرة؟ قال الحكيم الفارسـي: بالتسـليم لأمر الله. قال الحكيم الهندي: بالرضا بقضاء الله. قال الحكيم الرومي: بالتوكّل علي الله. قال الحكيم العربي: بالخشية من أمر الله والطاعة لله.

فقال: أيّها الحكماء بم تزكو الأعمال ويفوز المرء بعـد الانتقال؟ قال الحكيم الفارسـي: بطاعـة الربّ وعصـيان الهوي. قال الحكيم الهندي: بكثرة الصيام وبرّ الأيتام. قال الحكيم الرومي: بأداء الشكر والانعطاف علي من شمله الفقر. قال الحكيم العربي: بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

فقـال: أيّهـا الحكمـاء فبمـا الخلاص والكون مع الخواصّ؟ قـال الحكيم الفارسـي: بالاجتهـاد في العبادة والاعتماد علي الزهادة والاغتنام للافادة. قال الحكيم الهندي: بتصـحيح اليقين وإيثار الدين وتحقيق النبيّين. قال الحكيم الرومي: بطول الرحمة واتّباع الحكمة والشكر علي النعمة، قال الحكيم العربي: بحسن الصمت وإزالة المقت والقيام بواجب الوقت.

فقال الملك: أيّها الحكماء فيم السـموّ والافتخار؟ فقال الحكيم الفارسـي: بحكمةٍ زاهرة ونفس طاهرة ودولة قاهرة وعشرة فاخرة. قال الحكيم الهندي: بعلومٍ مضيئة ونفس رضيّة ومملكة هنيّة وعطيّة زكيّة. قال الحكيم الرومي:

بهداية شاملة ونفس فاضلة ونعمة متوالية ومواهب متواصلة. قال الحكيم العربي: بصيرة رشيدة، ونفس سعيدة، وولاية حميدة، وسماحة مفيدة.

فقال: أيّها الحكماء فبم دوام الملك و حراسته من الهلك؟ قال الحكيم الفارسي: ببسط العدل، وكثرة الفضل، واستشارة أهل العدل. قال الحكيم الهندي: بالقيام بالقسطاس، والاقناط من الناس، وقهر العدوّ بشدّة البأس، قال الحكيم الرومي: بحسن السيرة في الرعيّة، والعدل في البريّة، والحكم بينهم بالسويّة، وكثرة البذل والعطيّة، قال الحكيم العربي: بجمع الأموال، وحسن الأعمال، وكثرة الإفضال، والرأفة والإجمال.

فقال: أيّها الحكماء فيم زوال النعم والتعرّض لحلول النقم؟ قال الحكيم الفارسي: بالجرأة علي المحارم، والهجوم علي المآثم، وارتكاب العظائم، واستنقال المكارم. قال الحكيم الهندي: بإهانة السادات، وترك الواجبات، واتّباع الشهوات. قال الحكيم الرومي: بالكسل الفاضح، واستعمال القبائح، وترك القبول من الناصح، والميل من الصالح إلي الطالح. قال الحكيم العربي: باتّباع الفضول، و مشاورة الجهول، وشرب الخمور، والعزف بالطنبور.

قال الملك: أيّها الحكماء فبم بقاء الملك ودوامه وعلوّه وتمامه؟ قال الحكيم الفارسي: بإغاثة اللهيف وإعانة الضعيف وأمن المخيف، وإنصاف الدنيّ من الشريف. قال الحكيم الهندي: بتدبير الحكم وإدرار النعم وإمداد الكرم وإنفاذ الهمم. قال الحكيم الرومي: ينفع الأولياء وقمع الأعداء ومؤانسة العقلاء وإبعاد الجهلاء. قال الحكيم العربي: بكثرة البرّ وترك الكبر والصدقة في السرّ.

فقال الملك: أيّها الحكماء بم تكمل السعادة وتستوجب الافادة؟ قال الحكيم الفارسي: بلين الجانب وإرفاد الطالب والصبر علي المصائب والقيام بحقّ الصاحب. قال الحكيم الهندي: ببذل العطايا والعدل في القضايا والصبر علي الرزايا والاحسان في البرايا. قال الحكيم الرومي: بطلب المعالي والنجاح

واصطفاء الثقاة من أهل الصلاح وترك رقدات الصباح. قال الحكيم العربي: بلين الكلام وإطعام الطعام و اجتناب الآثام وإفشاء السلام.

***

وفي كتب الفرس أنّ أنوشروان جمع عمّال السواد و بيده درّة يقلّبها،

فقال: أيّ شيء أضرّ بارتفاع السواد و أدني إلي محقه؟ أيّكم قال ما في نفسي جعلت هذه الدرّة في فيه؟ فقال بعضهم: انقطاع الشرب، وقال بعضهم: احتباس المطر، وقال بعضهم: استيلاء الجنوب وعدم الشمال، فقال لوزيره: قُل أنت فإنّي أظنّ عقلك يعادل عقول الرعيّة كلّها أو يزيد عليها، فقال: تغيّر رأي السلطان في رعيّته وإضمار الحيف لهم، والجور عليهم، فقال: لله أبوك، بهذا العقل أهّلك آبائي وأجدادي لما أهّلوك له، ودفع إليه الدرّة فجعلها في فيه.

***

رُأيَ صورة حكيمين من الحكماء في بعض المساجد وفي يد أحدهما رقعة فيها: إن أحسنت كلّ شيء فلا تظنّ أنّك أحسنتَ شيئاً حتّي تعرف الله وتعلم أنّه سبب الأسباب وموجد الأشياء.

وفي يد الآخر: كنت قبل أن عرفت الله أشرب وأظمأ، حتّي إذا عرفته رويتُ بلا شرب.

***

تكلّم أمير المؤمنين علي عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهنّ ارتجالاً، فقأن عيون الحكمة والبلاغة، وأيتمن جواهر الحكمة، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهنّ: ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب.

فأمّا اللاتي في المناجات: فقال: «إلهي كفي بي عِزّاً أن أكون لك عبداً، وكفي بي فخراً أن تكون لي ربّاً، أنت كما أحبّ، فاجعلني كما تحبّ».

وأمّا اللاتي في الحكمة: فقال: «قيمةُ كلّ امريءٍ ما يُحسنه، وما هلك امرؤٌ عرف قدره، والمرء مخبوء تحت لسانه».

واللاتي في الأدب: فقال: «أمنُن علي مَن شئت تكن أميره، واحْتَج إلي

من شئت تكن أسيره، واستغنِ عمّن شئت تكن نظيره».

***

وصفة الحكيم لكل داء:

قال رجل من الصالحين: مررت بجماعة من الناس مجتمعين، بينهم حكيم يصف لكلّ داءٍ دواء ولكلّ علّة شفاء، دنوتُ منه فسلّمت عليه فقلت: أيّها الحكيم هل عندك لدائي دواء ولعلّتي شفاء؟ قال: نعم عندي دواؤك إن عملت به شُفيت، وإن تركته بقيت. قال: فقلت: إن كان موافقاً صرت مرافقاً، فما هو؟ قال لي: خُذ عروق الفقر وورق الصبر، وهليلج الخضوع و ترياق الخشوع، واجعله في هاون التوبة، واسحنه بمسحن التقوي، وانخله بمنخل العقل، وأفرغه في قدح المناجاة وأوقد عليه نار المحبّة، وروّحه بمروحة الزهد، واشربه بمعاليق الاستغفار، وتمضمض بماء الورع، فالنفس بيت كلّ دواء، والحميا بيت كلّ شفاء، ودع نفسك وما عودّتها فإنّك تبرأ بإذن الله تعالي.

قال: فقلت: أيّها الحكيم ليس عندي ثمن الدواء. قال: اقصد باب الرضا وادع صاحبه بالضيق والفضا، وقال بالتذلّل والخضوع والاستكانة والخشوع: يا معدن الجود والاحسان لك الحمد يا منّان.

فقلت: أيّها الحكيم إنّ بيني وبينه قطعة ووحشة من سوء معاملة عاملته بها قبيحة غير صحيحة، فهربت منه خائفاً متوجّلاً.

فقال لي: يا ضعيف اليقين أما علمتَ بأنّ الله تعالي يغفر ذنوب المذنبين؟ ثم أنشأ يقول:

حاسبونا فدقّقوا *** ثم منّوا فأعتقوا

هكذا عادة الملوك *** بالمماليك ترفقُ

إنّ قلبي يقول لي *** ولساني يُصدّق

إنّ من مات عاشقاً *** ليس بالنار يحرقُ

قال: ثم قام و مضـي عنّي فتفرّق الناس، فقلت لبعضـهم: بالله عليك من هذا الحكيم؟ قال لي: أولم تعرفه؟ قلت: أجل والله، قال: هذا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

***

ومن رام الزيادة في معرفة الحكمة ومعرفة حال الحكماء أكثر مما ذكرنا هنا، فليرجع إلي كتابنا (الحكمة والحكماء).(1)

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلي الأصل من شرح الكلمات في خطبته عليه السلام فأقول:

قوله عليه السلام: «قد لبس للحكمة جُنّتها» الظاهر أنّه أراد بجُنّة الحكمة مخافة الله، كما أنّ النبي صلي الله عليه وآله جعلها رأسها في قوله: «رأس الحكمة مخافة الله»(2) فاستعار لفظ الجُنّة لها باعتبار أنّ مخافته سبحانه و وجود وصف التقوي الموجب لقمع النفس عن الشهوات وقلعها عن العلائق والأمنيات مانع عن كون الحكمـة غرضاً عن إلهام الهوي، وعن وقوع الحكيم في الهلاك والردي، كما أنّ الجُنّة _ وهو ما يُستتر به من السلاح كالدرع ونحوه _ مانعة للابسها عن إصابة سهام الأعداء.

فيكون محصّل المعني أنّ ذلك الحكيم قـد اتّصف بمخافة الله سـبحانه وخشـيته التي هي بمنزلة الجُنّة للحكمة لأجل حفظ حكمته وكونها وقاية لها عمّا يصادمها، كما أنّ الجُنّة تحفظ الانسان عن صدمات الأعداء.

1- مخطوط.

2- مستدرك الوسائل 11: 229 / ح 12823؛ الاختصاص للمفيد: 343.

قوله عليه السلام: «وأخذها بجميع أدبها» أي أخذ الحكمة علي وجه الكمال وقام بآدابها (من الاقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها) يعني أنّه لما علم أنّه لاخصلة أعظم وأشرف وأرفع وأبهي من الحكمة، وعرف أنّه من يُؤتها فقد أوتي خيراً كثيراً، أقبل بالكليّة عليها وقصرت همّته ونهمته فيها، وعرف شرفها وقدرها ونفاستها، وتفرّغ لها وتخلّي عن جميع العلائق الدنيويّة التي تضادّها، وتنحّي عن كلّ ما سواها.

«فهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها وحاجته التي يسأل عنها» ذلك مثل قوله عليه السلام: «الحكمة ضالّة المؤمن».(1)

دلالة قوله عليه السلام فهو مغترب علي الإمام المهدي:

«فهو مغترب» يعني هذا الشخص يخفي نفسه ويختار العزلة، وهو إشارة إلي غيبة القائم عليه السلام «إذا اغترب الاسلام» أي إذا ظهر الجور والفساد وصار الإسلام غريباً ضعيفاً بسبب اغتراب الصلاح والسداد، كما قال رسول الله صلي الله عليه وآله: بدء الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدء.(2) ثمّ شبّه الإسلام بالبعير البارك في قلّة النفع والضعف علي سبيل الاستعارة بالكناية، فأثبت له لوازم المشبّه به وقال: «وضرب بعسيب ذنبه» لأنّ البعير إذا أعيي و تأذّي ضرب بذنبه، «وألصق الأرض بجرانه» أي مقدّم عنقه فلا يكون له تصرّف ولا نهوض، وقلّ أن يكون له نفع حال بُروكه.

ولمّا وصفه عليه السلام بلبسه لجُنّة الحكمة وإيثاره العزلة والغيبة عرّفه بأنّه «بقيّة من بقايا حجتّه» علي عباده «وخليفة من خلائف أنبيائه» في بلاده، وهذان الوصفان يقويّان الظنّ بكون نظره عليه السلام بما أورده في هذا الفصل إلي القائم المنتظر عليه السلام و آبائه الطاهرين عليهم السلام.

1- الكافي 8: 167/ ح 186.

2- المعجم الأوسط للطبراني 3: 156، وفيه «إنّ الدين بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبي للغرباء».

قال الشارح المعتزلي: فإن قلت: أليس لفظ الحجّة والخليفة مُشعراً بما يقوله الإماميّة _ أي كون المراد بها الإمام القائم عليه السلام.

قلت: لا، لأنّ أهل التصوّف يسمّون صاحبهم حجّة وخليفة، و كذلك الفلاسفة وأصحابنا لا يمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ علي العلماء المؤمنين في كلّ عصر لأنّهم حُجج الله _ أي إجماعهم حجّة _ وقد استخلفهم الله في أرضه ليحكموا بحكمه.(1)

الرد علي المعتزلي:

قال الشارح الخوئي: أقول: فيه أوّلاً: منع صحّة إطلاق حجّة الله وخليفته علي غير الأنبياء والأوصياء، إذ العصمة منحصرة فيهم، فتختصّ الحُجّيّة والخلافة بهم لمكان العصمة التي فيهم، وأمّا غيرهم فليس بمعصوم بالاتّفاق، فلا يكون قوله وفِعله حجّة، وحجّيّة إجماع العلماء أيضاً باعتبار دخول قول المعصوم في جملة أقوالهم لا من حيث أنّ كلاً من العلماء من حيث إنّه عالم قوله حجّة.

وثانياً: علي فرض التنزّل والتسليم لصحّة إطلاقه علي غيرهم، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ليس بمعتزليّ المذهب ولا صوفيّ المذاق ولا فلسفيّ المسلك، فلا يُحمل لفظ الحجّة والخليفة في كلامه عليه السلام علي اصطلاحاتهم، وإنّما يُحمل علي المعني الغالب إرادته منهذه اللفظة في كلماتهم عليهم السلام، وغير خفيّ علي المتتبّع لأحاديثهم و كثير الأنس بأخبارهم أنّهم كثيراً ما يُطلقون لفظ الحُجج ويريدون به الأئمّة الاثني عشر، وقد يطلقونه ويريدون به سائر المعصومين من الأنبياء والأوصياء، ويطلقون لفظ الحجّة أيضاً أحياناً بالقرائن علي العقل والقرآن، ولم نر إلي الآن أن يُطلق هذا اللفظ في كلامهم علي العارف أو العالم غير المعصوم أو أحد الأبدال المصطلح في لسان الفلاسفة والمعتزلة والمتصوّفة.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 10: 98 - 99.

وعلي ذلك فحيثما أطلق لفظ حجّة الله في كلامهم خالياً عن القرائن فلا بدّ من حمله علي المعني الكثير الدوران في ألسنتهم وهو الإمام، لأنّ الظنّ يلحق الشيء بالأعمّ الأغلب.

الردّ علي ابن ميثم:

ومن هذا كلّه ظهر ما في كلام الشارح البحراني أيضاً، فإنّه بعد ما جعل قوله عليه السلام: «قد لبس للحكمة جنّتها» إشارة إلي العارف مطلقاً ونفي ظهور كونه إشارة إلي الامام المنتظر عليه السلام، قال في شرح هذا المقام: قوله عليه السلام : «بقيّة من بقايا حُججه» أي علي خلقه إذ العلماء والعارفون حُجج الله في الأرض علي عباده، وظاهر كونه خليفة من خلفاء أنبيائه لقوله صلي الله عليه وآله: «العلماء ورثة الأنبياء».(1) انتهي.

ويرد عليه ـ مضافاً إلي ما مرّ ـ أنّ استدلاله علي خلافة العلماء والعرفاء بقوله «ورثة الأنبياء» واستظهاره من ذلك كون المراد بالخليفة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام هؤلاء لا وجه له.

أمّا أولاً: فلأنّ الدليل أخصّ من الدعوي، لإفادته وراثة العلماء فقط دون

العرفاء مع أنّ المدّعي أعمّ.

وثانياً: أنّ قوله صلي الله عليه وآله: «العلماء ورثة الأنبياء» لم يُرد به الوراثة الحقيقيّة قطعاً، وإنّما هو من باب التشبيه والمجاز، يعني أنّ علومهم انتقلت إليهم كما أنّ أموال المورث تنتقل إلي الوارث، فكانوا بمنزلة الورثة.

قال الشارح الخوئي: وعلي ذلك فأقول: إنّ وراثة العلماء للأنبياء و خلافتهم عنهم علي سبيل المجاز والاستعارة، ووراثة الإمام المنتظر عليه السلام وخلافته علي سبيل الحقيقة، فلا بدّ من حمل لفظ الخليفة في كلامه عليه السلام عليه

1- الدعوات للراوندي: 63؛ الكافي 1: 32 /ح 2.

لا علي العالم، لأنّ اللفظ إذا دار بين أن يُراد منه معناه الحقيقي ومعناه المجازي، فالأصل الحقيقة كما بُرهن في علم الأصول.

موضوع الإمام المنتظر عليه السلام:

قضيّة الإمام الثاني عشر في الحقيقة كثيراً ما تعلو عليها نبرات الاستهتار والاستنكار من سائر فرق المسلمين، بل ومن غيرهم علي الإماميّة في الاعتقاد بوجود إمام غائب عن الأبصار وليس له أثر من الآثار، زاعمين أنّه رأي فائل وعقيدة سخيفة، والمعقول من إنكارهم يرجع إلي أمرين:

الأوّل: استبعاد طول العمر

استبعاد بقائه طول هذه المدّة التي تتجاوز الألف سنة، وهذا الاستغراب والاستبعاد لا يتأتّي من أرباب الأديان، لأنّهم جميعاً يقولون بأكثر من هذه المدّة في أعمار البشر، فالبراهمة والبوذائيّون يعتقدون في براهما و كرشنا ومهاديو وبوذا أنّهم أحياء مضت علي حياتهم ألوف ألوف من السنين، والمجوس يعتقدون أنّ الطبقة الأولي للبشر _ وهم طبقة مهاباد _ كانوا يعيشون ألوف الملايين من السنين، والطبقة الثانية _ وهم طبقة جي إفراميان _ كانوا يعيشون ملايين السنين، وهكذا سائر طبقات البشر منهم مثل «كلشاه» و «جمشيد» و «افراسياد» وهوشنك» و«مَنُوجَهَر» وأمثالهم يعيشون ألوفاً من السنين، وذلك مذكور في كتبهم الدينية مثل كتاب «الدساتير» و كتاب «زند» و كتاب «بازند» و كتاب «أوستا» وغيرها.

واليهود والنصاري يعتقدون بالتوراة، وقد جاء في الأبواب الأولي من سفرها الأول _ وهو سفر التكوين (براشيت) _ أنّ آدم وأخنوخ ومهلائيل و نوحاً وغيرهم عاشوا بين ستمائة سنة وألف سنة وأكثر، ويضيف النصاري إلي ذلك أنّ المسيح عليه السلام حيّ وقد مضت علي ولادته ما يقرب من ألفي سنة واليهود يعتقدون أنّ (الياهو) _ وهو من أنبياء بني إسرائيل _ دعا الناس إلي

التوراة ثمّ غاب خمسمائة سنة، ثمّ ظهر ودعا إليها، ثمّ غاب ولا يزال حيّاً، وقد مضي علي عمره ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة.

وجميع أهل الأديان القديمة والحديثة معتقدون بأنّه سيظهر في آخر الزمان عند فساد العالم وانتشار الظلم والجور مَن يصلحه ويبدّل الظلم بالعدل والفساد بالصلاح، وإن اختلفوا في ذلك المصلح، فالبراهمة يسمّونه بهرام _ وترجمة بهرام في العربية (محمد) _ واليهود يسمّونه الياهو، والنصاري يقولون هو المسيح، وأنّه هو الذي يقتل الدجّال كما جاء في أواخر مكاشفات يوحنّا من كتب الإنجيل (العهد الجديد).

وأمّا المسلمون فلا مجال لهم إلي استبعاد هذا العمر الطويل بعد أن يقرأوا في سورة الصافّات قوله تعالي: «فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَيٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ»(1) فجوّز إمكان البقاء واللبث إلي يوم البعث، وقوله تعالي في سورة الكهف:«وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا»(2) فأخبر أنّ أصحاب الكهف عاشوا أكثر من ثلاثمائة سنة، وقوله تعالي في سورة العنكبوت: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَيٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ»(3) فأخبر أن نوحاً عليه السلام دعا قومه ما يقرب من ألف سنة إلي زمن الطوفان، ولا بدّ أنّه عاش بعد الطوفان طويلاً، وكان قبل الدعوة كثيراً، والأخبار وردت أنّ عمره كان يزيد علي ألفي سنة، فإمكان هذا العمر الطويل ووقوعه ثابت في القرآن، وتحتّمه لصاحب الزمان ثابت بقوله تعالي في سورة الصفّ، وفي سورة الفتح، وفي سورة التوبة: «لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ»(4) فلا بدّ من يوم يُظهر الله فيه دين الإسلام علي جميع الأديان حتّي يدين به أهل العالم، وليس هو إلاّ اليوم الموعود الذي يظهر فيه الإمام الثاني عشر، وبقوله تعالي في أخريات سورة النساء

1- الصافات: 143 و 144.

2- الكهف: 25.

3- العنكبوت: 14.

4- التوبة: 33؛ الفتح: 28، الصف: 9.

عن المسيح عليه السلام: «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ»(1) فأخبر أنّ جميع أهل الكتاب مؤمنون بالمسيح ولم يقع ذلك، وهو ما جاءت به الأحاديث الشريفة من أنّ المسيح يكون مع المهدي، وأنّ الأمم كلّهم يؤمنون بهما، وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلي الله عليه وآله أنّ المهدي سيظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، وقد رواها جميع فرق المسلمين من الخاصّة والعامّة، وذكر ابن حجر وحده منها خمسين حديثاً، فكيف ينكر مسلم قرأ القرآن وتصفّح الأحاديث بقاءه وظهوره وأنّه هو الذي سيحكم الأرض كلها وبه يدين أهل العالم جميعهم بدين الإسلام، وهو الذي يملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلما وجورة، حتّي ترعي الشاة إلي جنب الذئب فلا يصيبها منه أذي كما ورد في الأحاديث،(2) والعدل إذا بسط في العالم استراح الانسان والحيوان معاً ورغد عيشهما.

فهذه الأديان كلها تصرّح بإمكان العمر الطويل للبشر ووقوعه، وأهل الأديان جميعاً مُذعنون به ولا يتأتّي لهم أن يستبعدوه، ولم يبقَ إلاّ الطبيعيّون والماديّون الملحدون الذين ينكرون وجود الله وقدرته ولا يدينون بدين وإن استبعدوه فليس لنا هنا معهم كلام، لأنّا إنّما نتكلّم في هذا المقام بعد إثبات التوحيد وقدرة الله، وأنّه هو القاهر فوق عباده، القدير علي كلّ شيء، الذي يفعل ما يشآء ويحكم ما يريد، ونحن إذا أثبتنا قدرة الله تعالي علي كلّ شيء وأنّه إذا قضي أمراً فإنّما يقول له كن فيكون، لم نُبق مجالاً للاستبعاد المادي والطبيعي لهذا العمر الطويل بعد أن أثبتنا له قدرة الله وأنّه الفاعل لما يشآء كيف يشاآء.

وقد اعترف أهل العلم في هذا العصر الذي حدث فيه التطوّر العلمي والصناعي بإمكان بقاء الانسان طويلاً، وتصدّي كثير من الأطباء والعلماء إلي ايجاد وسائل تُعيد الشيخ شاباً أو تمنع شيخوخة الشاب حتّي يعيش ألوفاً من

1- النساء: 159.

2- انظر معجم أحاديث المهدي ه: 148 و418.

السنين، وقد أعدّت الدول جوائز كبيرة لمن يتوصّل إلي هذا الاختراع، فاعترف كلّهم علماً وعملاً بإمكان هذا الأمر بنفسه لطبيب مخترع، فكيف باللطيف الخبير الذي هو علي كلّ شيء قدير.

الثاني: عدم الحكمة في الوجود مع الغيبة

السؤال عن الحكمة والمصلحة في بقائه مع غيبته، وهل وجوده مع عدم الانتفاع به إلاّ كعدمه؟ ولكن ليت شعري هل يريد أولئك القوم أن يصلوا إلي جميع الحكم الربّانيّة والمصالح الإلهيّة وأسرار التكوين والتشريع، ولا تزال جملة أحكام إلي اليوم مجهولة الحكمة: كتقبيل الحجر الأسود مع أنّه [في الظاهر] حجر لا يضرّ ولا ينفع، وفرض صلاة المغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً والصبح اثنين، وهكذا إلي كثير من أمثالها.

حكاية الشيخ محمد حسين الاصفهاني عن الإمام المهدي عليه السلام :

حدّثني العلاّمة المرحوم الشيخ جعفر نقدي عن حجّة الإسلام الشيخ محمد حسين الأصفهاني قدس سرّه قال: كان رجل من أهل العلم والفضيلة اسمه الشيخ حسن، وكان أكثر اختصاصه بعلم الحساب والاصطرلاب، فخطر يوماً في ذهنه أن يجتمع مع الإمام المنتظر حجّة آل محمد عليه السلام ويسأله عن يوم خروجه، فأوّل ما وضع دائرة الحساب حسب فنّه علي مكّة وحصر شوارعها وطرقها وأسواقها وبيوتها في الخانات الحسابيّة ورقّمها، ثمّ أخذ يتتبّع خانة خانة ودائرة دائرة حسب تخطيطه حتّي استقصي جميع مكّة فلم يجده في مكّة، فانتقل إلي المدينة فحصرها كما حصر مكّة في الدوائر الحسابيّة فلم يجده في المدينة، ثم انتقل إلي النجف وهكذا كربلاء والكاظميّة، فوجده في الكاظميّة، فحصرها ثمّ ضيّق الدوائر حتّي حصره في الجلوخانة ما بين بابي الصحن الشريف، وكان هذا المكان سابقاً تُباع فيه الخرّازيّة، فذهب يفتّش وينظر وجوه

النـاس ليصل إلي الإمام، فوقف علي حانوت خرّاز وعلي باب الحانوت رجل جالس وامرأة واقفـة تعامل صاحب الحانوت علي قفل فيسومه صاحب الحانوت مثلاً بخمسـة وثلاثين فلساً وهي تقول له: لا أملك إلاّ أربعـة وثلاثين فلساً، فقال لها صاحب الحانوت: يا أمة الله هو عليّ أربع وثلاـثين وأنا أربـح منه فلساً واحـدً، حتّي طال الالحاح من المرأة، فالتفت الشـيخ إلي صاحب الحانوت قائلاً: ما يضـرّك لو دفعت لها القفل بما عندها وهي صادقة في قولها، فقال له صاحب الحانوت: ما أنت وذاك؟ أوما بلغك أنّه من حُسن إسلام المرء تَرْكُه ما لا يعنيه؟ فقال الرجـل الجالس: صـحيح إنّ هناك أناساً يريـدون أن يتوصّـلوا إلي سـرٍّ ليس من شأنهم، فانتزعـج الشـيخ ولـم يلتفت إلي قول الرجل وأنّه هو مطلوبه والذي هو في صدره، فانصرف يفتّش عن غرضه إلي أن وصل إلي باب الصحن الثانية فذكر قول الرجل وأنّه هو مطلوبه والذي يسعي في أثره، وأنّ الرجـل وقف علي سـرّه، فرجع مسـرعاً فلم ير الرجـل، فسأل عنه صاحب الحانوت فقال له: قام ومضـي في سوق الاسترابادي، فأسـرع يفتّش عليه فلم يجده، فرجع إلي صاحب الحانوت مستفسـراً عنه فقال: لا أعرفه، إلاّ أنّه أكثر من عشرين سنة يتردّد عليّ ولا أحبّ أن أسأله من هو خوفاً ألاّ يرضـي، إلاّ أنّ هذا الرجل من نوادر الزمن، فقال: كيف ذاك؟ فقال: يظهر أنّه من الأثرياء، لأنّه يذكر لي أنّ له قصـراً في مكّـة وفي المدينة والنجف وكربلاء وسامرّاء وأعتقد أنّه صادق. ثمّ إنّه عالم لأنّه لم تعترض لي مسألة فقهيّة فأسأل عنها الحجّة الشـيخ محمّد حسن آل ياسـين فيُجيبني، فإذا جاءني هـذا الرجل فيسألني: هل عرضت لك مسألة فقهيّة؟ فأقول: بلي فسألت عنها الشـيخ محمد حسن آل ياسـين فأجابني بكـذا، فيقول: صـحيح، دليلُها من القرآن فلان آيـة وآيـة كذا، فيذكر جملة من الآيات القرآنيّة، ومن السـنّة كذا وكذا، فيذكر جملة من الأحاديث النبوية،ثم إنّه

طبيب حاذق، ما وَصف لي دواء إلاّ وعوفي مرضي من وقته وساعته بذلك الدواء. فقال الشيخ: أما تعرفه؟ قال: لا والله ولا أحبّ أن أسأله، فقال الشيخ: هذا صاحب الأمر المنتظر، فقال صاحب الحانوت: من الأسف أنّه لا يعود إليّ بعد هذا، وهكذا كان؛ انتهي ما علق بخاطري.

وبالتالي فقد استأثر الله سبحانه بعلم جملة أشياء لم يُطلع عليها ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مُرسَلاً: كولم الساعة وأخواتها «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ».(1)

وأخفي جملة أمور لم يعلم علي التحقيق وجه الحكمة في إخفائها: كالاسم الأعظم وليلة القدر وساعة الاستجابة. والغاية أنّه لا غرابة في أن يفعل سبحانه فعلاً أو يحكم حكماً مجهول الحكمة لنا، إنّما الكلام في وقوع ذلك و تحقّقه،فإذا صحّ إخبار النبيّ صلي الله عليه وآله وأوصيائه المعصومين عليهم السلام لم يكن بدّ من التسليم والاذعان ولا يلزمنا البحث عن حكمته وسببه.

والقول الفصل أنّه إذا قامت البراهين في مباحث الإمامة علي وجوب وجود الإمام في كلّ عصر، وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة، وأنّ وجوده لطف وتصرّفه لطف آخر فالسؤال عن الحكمة ساقط.

كلام محي الدين العربي في حق الإمام المهدي عليه السلام :

والأدلّة والأحاديث عن النبي صلي الله عليه وآله مستفيضة متواترة لا يسعها المقام. ونكتفي هنا بعبارة الشيخ محي الدين العربي، فقد ذكر في الباب السادس والستين والثلاثمائة من كتابه _ الفتوحات المكّيّة _ وهو من كبار علماء السنّة وأحد أقطابها قال ما نصّه في وصف الإمام:

«واعلم أنّه لابدّ من خروج المهدي عليه السلام، لكن لا يخرج حتّي تمتلأ

1- لقمان: 34.

الأرض جوراً و ظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، ولو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد الطوّل الله ذلك اليوم حتّي يلي هذا الخليفة، وهو من عترة رسول الله صلي الله عليه وآله من ولد فاطمة عليها السلام، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده الحسن العسكري ابن الإمام علي النقي ـ بالنون ـ ابن الإمام محمد التقي ـ بالتاء ـ ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسي الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي ابن أبي

طالب عليهم السلام ، يواطئ اسمه اسم رسول الله، يُبايعه المسلمون ما بين الركن والمقام، يشبه رسول الله في الخَلق وينزل عنه في الخُلق، إذ لا يكون أحد مثل رسول الله في أخلاقه والله تعالي يقول: «إِنَّكَ لَعَلَيٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ».(1)

هو أجلي الجبهة، أقني الأنف، أسعد الناس به أهل الكوفة، يقسم المال بالسويّة، ويعدل في الرعيّة، يأتيه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني ـ وبين يديه المال ـ فيحثي له ما استطاع أن يحمله، يخرج علي فترة من الدين، يزع الله به ما لا يزع بالقرآن، يُمسي الرجل [من أتباعه] جاهلاً وبخيلاً، فيصبح عالماً شجاعاً كريماً، يمشي النصر بين يديه، يعيش خمسة أو سبعاً أو تسعاً، يقفو أثر رسول الله ولا يُخطئ، له مَلَك يُسدّده من حيث لا يراه، يحمل الكَلّ ويُعين الضعيف ويساعد علي نوائب الحقّ، يفعل ما يقول ويقول ما يفعل ويعلم ما يشهد، ويُصلحه الله في ليلة(2) يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألف من المسلمين من ولد إسحاق، يشهد الملحمة العظمي مأدبة الله بمرج عكاء، يُبيد

1- القلم:4.

2- وفي رواية أخري: يُصلح الله له أمره في ليلة. «قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لبعض أصحابه: كن لما لا ترجو أرجي منك لما ترجو، فإنّ موسي بن عمران عليه السلام خرج ليقتبس لأهله ناراً، فرجع إليهم وهو رسول نبيّ، فأصلح الله تبارك وتعالي أمر عبده ونبيّه موسي عليه السلام في ليلة، وهكذا يفعل الله تبارك وتعالي بالقائم.

الظلم وأهله ويقيم الدين وينفخ الروح في الإسلام، يُعزّ الله به الإسلام بعد ذلّه، ويُحييه بعد موته، يضع الجزية ويدعو إلي الله بالسيف، فمن أبي قتل، ومن نازعه خذل، يُظهر الدين علي ما هو عليه في نفسه حتّي لو كان رسول الله صلي الله عليه وآله حيّاً لحكم به، فلا يبقي في زمانه إلاّ الدين الخالص عن الرأي، يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنّهم أنّ الله تعالي لا يحدث بعد أئمتهم مجتهداً.

وأطال في ذلك وفي ذكر وقايعه معهم، ثمّ قال: واعلم أنّ المهدي إذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصّتهم وعامّتهم، وله رجال إلهيّون يُقيمون دعوته وينصرونه وهم الوزراء له يتحمّلون أثقال المملكة ويُعينونه علي ما قلّده الله له، ينزل عليه عيسي ابن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقيّ دمشق متّكئاً علي مَلَكين ملك عن يمينه وملك عن شماله، وفي زمانه يُقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه في البيداء، فمن كان مجبوراً من ذلك الجيش مكرهاً يُحشر علي نيّته، وقد جاء كم زمانه وأظلكم أو أنه، وقد ظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صلي الله عليه وآله وهو قرن الصحابة ثمّ الذي يليه ثمّ الذي يلي الثاني، ثمّ جاء بينها فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسُفكت دماء فاختفي إلي أن يجيء الوقت المعلوم، فشهداؤه خير الشهداء، وأمناؤه خير الأمناء، وقد استوزر الله له طائفة خبأهم الحقّ له في مكنون غيبه أطلعهم كشفاً وشهوداً علي الحقائق وماهو أمر الله عليه في عباده، وهم علي إقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهم من الأعاجم ليس فيهم عربي لكن لا يتكلّمون إلاّ بالعربية، لهم حافظ من غير جنسهم ما عصي الله قطّ هو أخصّ الوزراء به.

وبعد فصل صحيفة يقول: فإن قلت: فما صورة ما يحكم به المهدي إذا

خرج، هل يحكم بالنصوص أو الاجتهاد أو بهما؟ فالجواب أنّه يحكم بما ألقي

إليه ملـك الإلهام من الشـريعة، وذلك أن يُلهمه الله الشـرع المحمّـدّي فيحكم به، كما أشار إليه حـديث النبي صـلي الله عليه وآله أنّه يقفو أثري،(1) فعرّفنـا أنّه متّبع لا مُبتـدع، وأنّه معصوم في حكمه، إذ لا معني للمعصوم في الحكم إلاّ أنّه لا يُخطئ، وحكم رسول الله لا يخطئ، فـإنّه لاـ ينطق عن الهوي إن هو إلاّ وحيٌ يوُحي، وقـد أخبر عن المهـدي أنّه لا يخطئ، وجعله ملحقاً بالأنبياء في ذلك الحكم، قال الشـيخ: فعلم أنّه يحرم علي المهـدي القياس مع وجود النصوص التي منحه الله إياها علي لسان ملك الالهام، بل حرّم بعض المحقّقين علي جميع أهل القِبلـة القياس لكون رسول الله صـلي الله عليه وآله مشـهوداً لهم، فإذا شـكّوا في صـحّة حـديث أو حكم رجعوا إليه في ذلك فأخبرهم بالأمر الحقّ يقظة ومشافهة، وصاحب هذا المشـهد لا يحتاج إلي تقليد أحد من الأئمّة غير رسول الله صلي الله عليه وآله... إلي آخر مقالته «قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَي اللَّهِ ۚ عَلَيٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي»(2) وأطال في ذلك.(3) انتهي.

وجـاء هـذا المقـال أيضاً في كتاب (مشارق الأنوار) تأليف الشـيخ حسن العـدوي الحمزاوي ص 112 طبقة 1307 سـنة هجرية بالمطبعة العثمانيّـة بمصـر، وذكر أيضـاً في كتاب (اليواقيت والجواهر) لعبـد الوهاب الشـعراني في الجزء الثاني ص 143 طبعة سـنة 1321 هجرية بالمطبعة الأزهرية بمصر.

***

1- إسعاف الراغبين للصبّان: 141.

2- يوسف: 108.

3- الفتوحات المكّيّة لابن عربي، الباب 366 من المجلّد الثالث.

من خطبة له عليه السلام: يحذر فيها من الغفلة و يبين علمه و فضله علي الاخرين

ضبط الالفاظ اللغوية

ص: 299

الشرح:

إنّ مدار هذه الخطبة الشريفة علي فصلين:

الفصل الاول إيقاظ الغافلين

في إيقاظ الغافلين و تنبيه الجاهلين من رقدة الغفلة والجهالة، وهو قوله عليه السلام : (أيّها الغافلون غير المغفول عنهم) الظاهر أنّ الخطاب لكلّ من اتّصف بالغفلة من المكلّفين، أي الذين غفلوا عمّا أريد منهم من المعارف الحقّة والتكاليف الشرعيّة، ولم يُغفل عنهم وعمّا فعلوا، لكون أعمالهم مكتوبة محفوظة في اللوح المحفوظ وصحائف الأعمال، و كلّ ما فعلوه في الزُّبر وكلّ صغير وكبير مُستطَر.

(والتاركون) لما أمروا به من الفرائض والواجبات، (المأخوذ منهم) ما اغترّوا به من الأهل والمال والزخارف والقينات، (مالي أراكم عن الله ذاهبين) كناية عن إعراضهم عن الله سبحانه والتفاتهم إلي غيره تعالي، (وإلي غيره راغبين) إشارة إلي رغبتهم في زهرة الحياة الدنيا وإعجابهم بها.

(كأنّكم نَعَم أراح بها سائم إلي مرعي وبيّ ومشرب دويّ) شبّههم بأنعامٍ ذهب بها سائم إلي مرعي ومشرب وَصْفُهما ما ذكر، والمراد بالسائم حيوان يسوم ويرعي، وهو المستفاد من الشارح المعتزليّ حيث قال: شبّههم بالنعم التي تتبع نعماً أخري سائمة أي راعية، وإنّما قال ذلك لأنّها إذا تبعت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل التي يسيمها راعيها.

وفسّره الشارح البحرانيّ بالراعي، أي الذي يراعي النعم ويحفظها ويواظب عليها، من الرعاية وهو المراعاة والملاحظة، قال: شبّههم بالنعم التي أراح بها راعيها إلي مرعي كثير الوباء والداء، ووجه الشبه أنّهم ـ لغفلتهم ـ كالنعم، ونفوسهم الأمّارة القائدة لهم إلي المعاصي كالراعي القائد إلي المرعي الوبي ولذّات الدنيا ومشتهياتها، وكون تلك

اللذّات والمشتهيات محل الآثام التي هي مظّنة الهلاك الأخرويّ والداء الدويّ، يشبه المرعي الوبيّ والمشرب الدويّ.

(إنّما هي كالمعلوفة للمّدي) السكاكين (لا تعرف ماذا يُراد بها إذا أحسن إليها) أي تزعم وتظن أنّ العلف إحسان إليها علي الحقيقة، ولا تعرف أنّ الغرض من ذلك هو الذبح والهلاك، (تحسب يومَها دهرَها) يعني أنّها لكثرة إعجابها لعلفها في يومها تظنّ أنّ دهرها مقصور علي ذلك اليوم ليس لها وراءه يوم آخر، وقيل: معناه أنّها تظن أنّ ذلك العلف والاطعام كما هو حاصل لها ذلك اليوم يكون حاصلاً لها أبداً، (وشبعها أمرها) أي تظنّ انحصار أمرها وشأنها في الشبع، مع أنّ غرض صاحبها من إطعامها وإشباعها أمر آخر.

الفصل الثاني إشارة إلي مناقب علي عليه السلام

في الإشارة إلي بعض مناقبه الجميلة ومقاماته الجليلة، وهو قوله عليه السلام : «واللهِ لو شئتُ أن أخبر كلّ رجلٍ منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلتُ» أي لو أشاء لأخبر كل واحد منكم بأنّه من أين خرج، وأين دخل، وكيفية خروجه وولوجه، وأخبر بجميع شأنه وشغله من أفعاله وأقواله ومطعمه ومشربه وما أكله وما ادّخره في بيته وغير ذلك ممّا أضمروه في قلوبهم وأسرّوه في ضمائرهم، كما قال المسيح عليه السلام: «أُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ».(1)

«ولكن أخاف أن تكفروا فيَّ برسول الله صلي الله عليه و آله »،(2) قال الشارع المعتزلي: أي أخاف عليكم الغلوّ في أمري وأن تفضّلوني علي رسول الله صلي الله عليه وآله ، بل أخاف عليكم أن تدّعوا فيّ الألوهية كما ادّعت النصاري ذلك في المسيح لمّا أخبرهم بالأمور الغايبة، ومع أنّه قد كتم ما علمه حذراً من أن يكفروا فيه برسول الله

1- آل عمران: 49 .

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 10: 10.

صلي الله عليه وآله، فقد كفر كثير منهم وادّعوا فيه النبوّة، وادّعوا فيه أنّه شريك الرسول في الرسالة، وادّعوا فيه أنّه هو مكان الرسول ولكن الملك غلط فيه، وادّعوا أنّه الذي بعث محمداً إلي الناس، وادّعوا فيه الحلول، وادّعوا فيه الاتحاد، ولم يتركوا نوعاً من أنواع الضلالة فيه إلاّ وقالوه واعتقدوه. وقال شاعرهم فيه من أبيات:

ومن أهلك عاداً وثموداً بدواهيه *** و من كلّم موسي فوق طور أو يناديه

ومن قال علي المنبر يوماً وهو راقيه *** سلوني أيها الناس فحاروا في معانيه

وقال بعض شعرائهم أيضاً:

إنّما خالق الخلائق مَن *** زعزع أركان حصن خيبر جَذْبا

قد رضينا به إماماً ومولي *** وسجدنا له إلهاً وربّا(1)

***

في ناس هذا العصر من إذا وقعت أبصارهم أو سمعت آذانهم بالإخبار عن المغيّبات طاف علي ثغورهم شبح ابتسامة، ولاح في أعينهم بريق الهزء، وارتسمت معالم وجوههم بإمارات الاستنكار، ولم كل هذا؟! لأنّنا في هذا العصر الآليّ لا نستطيع _ إذا أردنا أن نحترم أنفسنا وعقولنا _ أن نؤمن بوجود إنسان يعلم الغيب، إنسان تنقشع من أمام عينيه حُجب القرون وتنطوي المسافات، فيقرأ المستقبل البعيد أو الخاطر المحجوب كما يقرأ في كتاب مفتوح، ويعي حوادثه كأنّها بنت الساعة التي هو فيها.

وطبيعة الثقافة المنحرفة التي يلقاها إنسان هذا العصر في كلّ مكان هي التي تدفع بهؤلاءإلي أن يقفوا هذا الموقف ويتّجهوا هذا المتّجه في إنكار كلّ دعوة تذهب إلي أنّ في الانسان شيئاً آخر وراء غدده وخلاياه. فهذه الثقافة تعتبر الانسان آلة دقيقة الصنع فقط، فلا شيء وراء الغدد والأعصاب يمكن أن يعتبر موجّهاً للنشاط الإنساني وباعثاً له.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 12:10 - 13.

وليس هؤلاء سوي طائفة من الناس تنظر إلي الإنسان من أحد جوانبه، وتبني أحكامها علي ما تري، غير حاسبة أن ثمّة غير هذا الجانب، وأنّ حكمها علي الانسان قبل الاحاطة به من أقطاره ضرب في الخبط العشوائيّ الذي لا يليق بمن يدّعي العلم ويستهديه فيما يفعل أو يقول، وهؤلاء أشبه بمن يحكم بأنّ لون الهرم أحمر لمجرّد أنّه رأي ضلعاً واحداً من أضلاعه بهذا اللون قبل أن يري بقية الأضلاع .

في حين أنّ العلم التجريبي نفسه يؤمن بأنّ هناك قوّة خفيّة مودعة بالانسان تصله بالمجهول المحجوب في أحشاء الزمان أو ثنايا المكان، وتلك القوة هي المعّبر عنها بالروح، فكلّما كان الانسان علي حال رفيعة من الصفاء العقليّ والطهارة الروحيّة والنقاء الوجدانيّ، كانت هذه القوي أنشط وأبلغ في النفوذ إلي المغيّب المحجوب.

وقد اكتشف الباحثون في العصور الأخيرة أنّ في الإنسان ملكات نفسيّة خارقة أهمّها ثلاث: تناقل الأفكار، رؤية الأشيآء من وراء حاجز أو عن بُعد، والتنبّؤ.

وإذا كانت هذه الظاهرة حقيقة واقعّية، و كانت القوانين العلميّة الحديثة لا تأباها، فلا حرج علينا إذن أن ندرسها عند علي أمير المؤمنين عليه السلام كما تبدو لنا في نهج البلاغة وغيره.

قد دلّت الأبحاث الحديثة علي أنّ كلّ إنسان يملك مقداراً من هذه القوة الخارقة التي تكشف له عما اضطمّت عليه أحشاء المستقبل، ولكنّ الناس إذا تساووا في نوع هذه القوّة فإنّهم يختلفون في مقدارها.

فقد ثبت أنّ هذه الحاسّة توجد عند بعض الناس بقوّة تثير الدهشة، بينما توجد في بعض آخر علي حال من الضعف والوهن لا تكاد تبين معه، فما السبب في هذا التفاوت؟

لقد تبيّن للباحثين أنّ قوّة هذه الحاسّة تتناسب تناسباً طرديّاً مع درجة الصفاء الروحيّ والنقاء الداخليّ اللذين يتمتّع بهما الشخص، فكلّما كان الانسان

صافي النفس نقيّ الضـمير، منعتقاً من أسر التقاليد الاجتماعيّة الضارّة، منفلتاً من قيد الضرورات وما إليها، خالي النفس من العُقد والأحقاد والمطامع، كانت هذه الحاسّة فيه قويّة بالغة القوّة، وكلّما كان الانسان مشوّش النفس، موزّع الضـمير، مسـتغرقاً في حواسّه، أسيراً لضرورات جسده وشهواته، كانت هذه الحاسّة فيه ضامرة لا تكاد تبين، فهذه الحاسّة لا تنشط إلاّ في ساعات الصفاء العقليّ والروحيّ والوجدانيّ، فعند ذلك تبلغ أقصي قوّتها.

فإذا شئنا أن نبحث عن هذه الظاهرة في حياة الإمام علي عليه السلام طالعتنا فيه علي أتّم وأكمل ما تكون، فلقد بلغ من الصفاء الروحيّ حدّاً لم يُدانِه فيه إنسان علي الإطلاق، ولم يزد عليه فيه إلاّ النبي صـلي الله عليه وآله ، وتاريخ حياته عليه السـلام سلسـلة ذهبيّة من هذه الظواهر الرائعة الفاتنة.

وإذا صـحّ أنّ تجرّداً وصـفاء وتقّيين يقوم بهما إنسان عاديّ يتيحان له إطلاق قواه الخارقـة، فما قولك فيمن كانت حياته كلها تجرّداً وصـفاء لا يعدله في بني الإنسان صفاء؟

إنّ هذه الظاهرة التي تبدو لأعيننا في تاريخه عليه السـلام لتدلّ أنّه عليه السلام كان يدخل في وسعه أن يُطلق قواه الخارقة متي أراد، وأن يعي ما غاب عنه في أحشاء الزمان وطوايا المكان متي شآء.

ويصدّق قولنا هذا ما أثبته المؤرّخون وتسالموا عليه من إخباراته

بالمغيّبات، وصدق ما أخبر به ووقوعه بعده بأزمان.

لقد تحدّث الأمام عليه السـلام عن علمه بالمغيّبات في مناسـبات كثيرة منها قوله:«فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْ ءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ السَّاعَةِ وَ لَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَ تُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَ قَائِدِهَا وَ سَائِقِهَا وَ مُنَاخِ رِكَابِهَا وَ مَحَطِّ رِحَالِهَا وَ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا وَ مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً ولَوْ قَد

فَقَدتُموني ونَزَلَت بِكُم كَرائِهُ الاُمورِ وحَوازِبُ الخُطوبِ لَأطرَقَ كَثيرٌ مِنَ السّائِلينَ ، وفَشِلَ كَثيرٌ مِنَ المَسؤولينَ».(ابن ابي الحديد مج 2ط 1 ص 174).

وقد ذكر عليه السلام أنّه استقي علمه هذا من رسول الله صلي الله عليه وآله ، فقد أتي في كلام له بعد أن هزم أصحاب الجمل في البصرة علي ذكر بعض ما يلمّ بالبصرة من الخطوب، فذكر فتنة الزنج، وذكر التتر، فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك الإمام وقال للرجل: «لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَ إِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وَ إِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ مَا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ»(1) فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَ مَا سِوَي ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلي الله عليه وآله فَعَلَّمَنِيهِ وَ دَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وَ تَضُمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي. (ابن ابي الحديد مج 2 ط ا ص 361).

وقال عليه السلام:«أَيُّهَا النَّاسُ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي وَ لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي وَ لَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صلي الله عليه وآله وَ اللَّهِ مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَ لَا جَهِلَ السَّامِعُ». (ابن ابي الحديد مج 2 ط 1 ص 193).

قلنا: لقد أخبر عليه السلام عن البصرة وما يلمّ بها من الخطوب، وذلك بعد فراغه من أصحاب الجمل بقوله: «... وَايْمُ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّي كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَي مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ». وقد صدّقت الحوادث هذه النبوءة، فقد ذكر ابن أبي الحديد أنّ البصرة غرقت مرّتين مرّة في أيام القادر بالله، ومرّة في أيام القائم بأمر الله، غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلاّ مسجدها الجامع بارزاً كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام، وخربت دورها وغرق كلّ ما في ضمنها وهلك كثير من أهلها، وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة يتناقله خلفهم عن سلفهم. (الحديدي مج 1 ط1 ص 84).

1- لقمان:34.

وأخبر عليه السلام عن هلاك البصرة بالزنج، فقال مخاطباً الأحنف بن قيس بعد حرب الجمل: «يَا أَحْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَ قَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَ لَا لَجَبٌ(أي صوت) وَ لَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ وَ لَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ وَالدُّورِالْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَ خَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ وَ لَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ أَنَا كَأَبِّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا وَ قَادِرُهَا بِقَدْرِهَا وَ نَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا»(الحديدي مج 2 ط 1 ص 310).

هـذه النبوءة صدّقتها الحوادث، ففي سـنة خمسة وخمسـين ومائتين ظهر المدعوّ علي بن محمد بن عبد الرحيم، وجمع الزنوج وخرج علي المهتدي العبّاسـي، واستشـري أمره، وكاد يبيد البصـرة ويُفني أهلها، واسـتمرّت الحرب بينه وبين السلطة المركزيّة خمسة عشر عاماً، إلي أن قُتل في سنة سبعين ومائتين. وقد كتب ابن أبي الحديد فصلاً كبيراً عن هذه النبوءة في المجلّد الثاني من كتابه شرح النهج ص 310 و 361.

ولا يفوتنا التنبيه علي تنبّؤه عليه السلام في النصّ الآنف بما ستكون عليه حال البصرة من الناحية العمرانيّة.

وأخبر عليه السلام عن هلاك البصرة بالتتر فقال:

«كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَ الدِّيبَاجَ وَ يَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ، وَ يَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّي يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَي الْمَقْتُولِ وَ يَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ»(الحديـدي مج 2 ط ا ص 361) وهذه النبوءة تحقّقت بظهور التتار واكتساحهم للممالك حتّي وصـلوا إلي العراق، فلقيت البصـرة منهم أعظم البلاء وأشـنعه،فقـد تكـدّست الجثث في الشوارع الأزقّة، وحلّ بالناس منهم خوف عظيم. وقـد وقعت هـذه الأحـداث في زمن ابن أبي الحديـد، فكتب عنها فصـلاً كبيراً في المجلّد الثاني من كتابه «شـرح النهج» ص 361.

وتنبّأ عليه السلام بما سيحلّ بالكوفة من الظالمين فقال:

«كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ وَ تُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ وَ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ أَوْ رَمَاهُ بِقَاتِلٍ».(1)

وقد صدّقت الحوادث نبوءته، فقد تعاقب علي الكوفة سلسلة من ولاة الجور وأعوان الظلمة، أذاقوها المصاب، وساموها العذاب، فزياد بن أبيه، وعبيد الله بن زياد، والحجّاج بن يوسف، ويوسف بن عمرو الثقفيّ، والمغيرة بن شعبة، وخالد بن عبد الله القسري وأضرابهم، هؤلاء كلّهم أقاموا الحكم في الكوفة علي ركام من الجماجم وأنهار من الدماء.

ورمي الله كلّ واحد منهم ببلاء: فمن ذلك أنّ زياد ابن أبيه جمع الناس في المسجد ليلعن علياً، فخرج الحاجب وقال: أيّها الناس انصرفوا فإنّ الأمير مشغول عنكم وقد أصابه الفالج في هذه الساعة، وابنه عبيد الله وقد أصابه الجذام، والحجّاج بن يوسف وقد تولّدت الحيّات في بطنه حتّي مات، وعمر بن هبيرة وابنه يوسف وقد أصابهما البرص، وخالد القسريّ وقد حُبس فطوّلت مدّته حتّي مات في الحبس جوعاً.

وتنبّأ عليه السلام بتغلّب معاوية علي الخلافة، وسيطرته علي الكوفة، وأنّه سيأمر أهل الكوفة من الشيعة بسبّ الإمام والبراءة منه، فقال:

«أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَ يَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ أَلَا وَ إِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَ الْبَرَاءَةِ مِنِّي فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَ لَكُمْ نَجَاةٌ وَ أَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّءُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَي الْفِطْرَةِ وَ سَبَقْتُ إِلَي الْإِيمَانِ وَ الْهِجْرَةِ».(2)

هذه النبوءة تحقّقت بتمامها، فقد غلب معاوية بعد صلح الحسن عليه السلام وأمر الناس بسبّ الإمام عليه السلام والبراءة منه، وقتل طائفة من عظماء أصحابه لأنّهم ثبتوا علي ولائه فلم يتبرّؤا منه، كحجر بن عديّ وأصحابه، وعمرو بن الحمق الخزاعيّ ونظرائه.

1- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 3: 197.

2- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 4: 54.

وتنبّأ عليه السلام بما سيصير إليه أمر الخوارج من بعده، فقال مخاطباً الخوارج :

«...أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا وَ سَيْفاً قَاطِعاً وَ أَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً».(1)

ولمّا قُتل الخوارج قيل له : هلك القوم بأجمعهم .قال:«كَلاّ و اللّه إِنَّهُم نُطَفٌ في أصْلابِ الرِّجالِ و قَراراتِ النّساءِ كُلَّما نَجَمَ مِنهُم قَرْنٌ قُطِعَ حتّي يكونَ آخِرُهُم لُصوصا سَلاّبِينَ». (2)

وقد صحّت نبوءته، فلم يمض زمن طويل حتّي نجم أمرهم مرّة أخري واستمرّت بينهم وبين السلطات المركزيّة المتعاقبة حروب طاحنة، وكانت نهايتهم أن صاروا قطّاع طرق ولصوصاً سلاّبين.

وتنبّأ بعدد من يُقتل من أصحابه، وبقدر من يبقي من الخوارج قبل أن يشتبك معهم في النهروان، فقال: «مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ ـ النهر ـ، وَ اللَّهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَ لَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ» فلم يُقتل من أصحاب الإمام إلاّ ثمانية، ولم ينجُ من الخوارج إلاّ تسعة.(الحديدي مج ا ط ا ص 424).

وتنبّأ عليه السلام بخلافة مروان بن الحكم وبما سيحلّ بالأمّة منه ومن أولاده، فقال: « أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَ هُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ وَ سَتَلْقَي الْأُمَّةُ مِنْهُ وَ مِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ».(3)

وقد تمّ كلّ ما قال: فقد كانت إمرة مروان قصيرة جدّاً، إذ لم تزد علي تسعة أشهر، وكان له من الأبناء أربعة: عبد الملك عبد العزيز، بشر، محمد، ولي عبد الملك الخلافة، ملك عبد العزيز مصر، ولي محمد الجزيرة، ولي بشر العراق، وقد حلّ بالمسلمين منهم ظلم عظيم.

وتنبّأ عليه السلام عن ظلم بني أميّة فقال:«وَ اللَّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّي لَا يَدَعُوا لِلَّهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ وَ لَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ، وَ حَتَّي لَا يَبْقَي بَيْتُ مَدَرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَ نَبَا بِهِ

1- شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد 4: 129.

2- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 5: 73.

3- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 6: 146.

سُوءُ رَعْيِهِمْ وَ حَتَّي يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وَ بَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ وَ حَتَّي تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ وَ إِذَا غَابَ اغْتَابَهُ».(الحديدي مج 2 ط 1 ص 186).

ولاـ يجهـل أحـد مبلغ مـا نزل بالناس من ظلم بني أميّـة وانتهاكهم للحرمات واسـتهتارهم بالفضـيلة،حتّي صار خلفاوءهم مثلاً في الظلم والفسق والتهتّك.

وتنبّأ عليه السـلام بولاية الحجّاج وبما سـيحلّ بالعراق من بلوائه، فقال: «أَمَا وَاللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيف الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ يَأْكُلُ خَضِرتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ».(1)

وقـال من تتمـة خطبـة أخري تنبّـأ فيها بولايـة الحجّاج بن يوسف الثقفي، ويوسف بن عمرو الثقفي: «وَسَتَلِيكُمْ مِنْ بَعْدِي وُلَاةٌ يُعَذِّبُونَكُمْ بِالسِّيَاطِ وِالْحَدِيدِ، وَسَيَأْتِيكُمْ غُلاَما ثَقِيفٍ أَخْفَشُ وَجعبوب، يَقْتُلانِ وَيَظْلِمَانِ، وَقَلِيلٌ مَا يَمْكُثَانِ».

قال ابن أبي الحديد (مج 2 ط 1 ص 133): «الأخفش ضعيف البصر خلقة، والجعبوب القصير الذميم، وهما الحجّاج بن يوسف، ويوسف بن عمرو الثقفي.

وفي كتاب عبد الملك بن مروان إلي الحجاج: قاتلك الله أخيفش العينين، أصكّ الجاعرتين.

ومن كلام الحسن البصري يذكر فيه الحجّاج: أتانا أخفش أعَيمش يمدبيد قصيرة البنان، ماعرق فيها عنان في سبيل الله. وكان المثل يُضرب بقصر يوسف بن عمرو، و كان يغضب إذا قيل له قصير.

ذكر ابن أبي الحديد (مج 1 ص 209) من كتابه «شـرح النهج» عن الأعمش عن اسماعيل بن رجاء قال: قام أعشي باهلة ـ وهو غلام يومئذ حـدث ـ إلي علي عليه السـلام وهو يخطب ويـذكر الملاحم فقال: يا أمير المؤمنين ما أشـبه هـذا الحديث بحديث خرافة، فقال علي عليه السلام: «إنْ كنتَ آثماً فيما قلت يا غلام،

1- نفس المصدر 7: 277.»

فرماك الله بغلام ثقيف، ثمّ سكت، فقام رجال فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه، لا يترك لله حرمة إلاّ انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها. قالوا: فيُقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه» قال إسماعيل بن رجاء: فو الله لقد رأيت بعيني أعشي باهلة وقد أحضر في جملة الأسري الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجّاج، فقرّعه ووبخّه و استنشده شعره الذي يحرّض فيه عبد الرحمن علي الحرب، ثمّ ضرب عنقه في ذلك المجلس.

***

إنّ الشريف الرضي رَحمه اللهُ لم يذكر في «نهج البلاغة كلّ ما صحّ عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من إخباره بالمغيّبات، ولكنّ ابن أبي الحديد قد سدّ هذا النقص حين أفاض في ذكر ما صحّ في هذا الباب. وممّا يحسن ذِكره هنا أنّ ابن أبي الحديد لم ينقل كلّما وقع إليه من إخبار الإمام عليه السلام بالمغيّبات، بل حقّق فيما وقع إليه من ذلك، فطرح المشتبه أمره وذكر ما صحّ عنه عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج (مج 2 ط 1 ص 508) «... وقد وقفت له علي خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم، فوجدتُها تشتمل علي ما يجوز أن يُنسب إليه وما لا يجوز أن يُنسب إليه، ووجدت في كثير منها اختلالاً ظاهراً، وهذه المواضع التي أنقلها ليست من تلك الخطب المضطربة، بل من كلام وجدته متفرّقاً في كتب مختلفة».

و علّل ابن أبي الحديد هذه الظاهرة الفذّة في الامام بقوله:

«واعلم أنّه غير مستحيل أن تكون بعض الأنفس مختصّة بخاصيّة تدرك بها المغيّبات، ولكن لا يمكن أن تكون نفس تدرك كلّ المغيبات، لأنّ القوّة المتناهية لا تحيط بأمور غير متناهية، وكلّ قوّة في نفس حادثة فهي متناهية، فوجب أن يُحمل كلام

أمير المؤمنين عليه السلام لا علي أن يريد به عموم العالميّة، بل يعلم أموراً محدودة من المغيّبات ممّا اقتضت حكمة الباري سبحانه أن يؤهّله لعلمه...».

ولابن أبي الحديد هذا نصّ طويل ذكر فيه طائفة كبيرة من إخبارات الإمام بالمغيّبات، نذكره لطرافته ولما له من الصلة ببحثنا هذا علي أن نتبعه بذكر ما أهمل ابن أبي الحديد ذكره في هذا النصّ، وذكره في مناسبات أخري.

(إخبار علي عليه السلام بالمغيبات:

قال ابن أبي الحديد في المجلد الثاني ص 175 من كتابه شرح النهج:

«... وهذه الدعوي ليست منه عليه السلام إدّعاء الربوبيّة ولا ادّعاء النبوّة، ولكنّه كان يقول: إنّ رسول الله صلي الله عليه وآله أخبره بذلك، ولقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك علي صدق الدعوي المذكورة، كإخباره عن الضربة التي يُضرب في رأسه فتخضب لحيته، وإخباره عن قتل الحسين عليه السلام، وما قاله في كربلاء حيث مرّ بها. وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده. وإخباره عن الحجّاج وعن يوسف بن عمرو، وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان. وما قدّمه إلي أصحابه من إخباره بقتل من يُقتل منهم وصلب من يُصلب. وإخباره بعدّة الجيش الوارد إليه من الكوفة لمّا شخص إلي البصرة لحرب أهلها، وإخباره عن عبد الله بن الزبير، وقوله فيه: «خبّ ضبّ يروم أمراً ولا يدركه، ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا، وهو بَعْدُ مصلوب قريش».

وكإخباره عن هلاك البصرة بالغرق، وهلاكها تارة أخري بالزنج، وكإخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان، وتنصيصه علي قوم من أهلها يعرفون ببني رزيق وهم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين وولده إسحاق بن ابراهيم، وكانوا هم وسلفهم دعاة الدولة العباسية. وكإخباره عن الأئمة الذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر والداعي وغيرهما في قوله: «و إنّ لآل

محمد بالطالقان لكنزاً سيظهره الله إذا شآء، دعاؤه حقّ حتي يقوم بإذن الله فيدعو إلي دين الله». و كإخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة، وقوله: «إنّه يقتل عند أحجار الزيت». وقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباخمرا: «يُقتل بعد أن يظهر، ويُقهر بعد أن يَقهر» وقوله فيه أيضاً: «يأتيه سهم غرب تكون فيه منيّته، فيابؤساً للرامي شلّت يده ووهن عضده» و كإخباره عن قتلي (وَج) وقوله فيهم: «هم خير أهل الأرض» ، و كإخباره عن المملكة العلوية بالمغرب، وتصريحه بذكر كتامة وهم الذين نصروا أبا عبد الله الداعي المعلّم. وكقوله وهو يشير إلي أبي عبد الله المهدي وهو أوّلهم: «ثمّ يظهر صاحب القيروان الغضّ البَضّ.(1) ذو النسب المحض المنتخب من سلالة ذي البداء، المسجّي بالرداءه». وكان عبد الله المهدي أبيضاً مترفاً مشرباً بحمرة رخص البدن تار الأطراف، وذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمد عليهما السلام وهو المسجّي بالرداء، لأنّ أباه أبا عبد الله جعفر أسجاه بردائه لمّا مات وأدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته

وتزول عنهم الشبهة في أمره.

وكإخباره عن بني بويه وقوله فيهم: «ويخرج من ديلمان بنو الصيّاد» أشار إليهم وكان أبوهم صيّاد السمك يصيد منه بيده ما يتقوّت هو وعياله بثمنه، فأخرج الله تعالي من ولده لصُلبه ملوكاً ثلاثة، ونشر ذرّيتهم حتّي ضُربت الأمثال بملكهم، وكقوله فيهم: «ثمّ يستشري أمرهم حتّي يملكوا الزوراء ويخلعوا الخلفاء» فقال له قائل: فكم مدّتهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: ماءة أو تزيد قليلاً، وكقوله فيهم: «و المترف بن الأجذم يقتله ابنُ عمّه علي دجلة» وهو إشارة إلي عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة أبي الحسن، وكان معزّ الدولة أقطع اليد قُطعت يده في الحرب، وكان ابنه عزّ الدولة بختيار مترفاً صاحب لهو وطرب، وقتله عضد الدولة فنا خسرو ابن عمه بقصر الجصّ علي دجلة في الحرب وسلبه ملكه.

1- وفي بعض المصادر «النصّ».

فأمّا خلعهم للخلفاء فإنّ معزّ الدولة خلع المستكفي ورتّب عوضه المطيع، وبهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة خلع الطائع ورتّب عوضه القادر، وكانت مدّة مُلكهم كما أخبر به عليه السلام.

وكإخباره عليه السلام لعبد الله بن العبّاس عن انتقال الأمر إلي أولاده، فإنّ علي بن عبد الله بن العباس لمّا ولد أخرجه أبوه عبد الله إلي علي عليه السلام، فأخذه وتفل في فيه وحنّكه بتمرة قد لاكها، ودفعه إليه وقال: «خُذ إليك أبا الاملاك...».

وكم له عليه السلام من الإخبار عن الغيوب الجارية هذا المجري ممّا لو أردنا استقصاءه لكرّسنا كراريس كثيرة، وكتب السير تشتمل عليها مشروحة (شرح النهج مج 2، ط 1، ص 175).

مجموعة أخري من المغيبات:

ونأخذ الآن في ذكر ما أهمل بن أبي الحديد ذكره في النصّ السابق، وأتي علي ذكره في مناسبات أخري:

1_ لمّا شجرهم - أي الخوارج _ علي عليه السلام بالرماح قال: اطلبوا ذا الثدية، فطلبوه طلباً شديداً حتّي وجدوه في وهدة من الأرض تحت ناس من القتلي، فأتي به وإذا رجل علي ثديه مثل سبلات السنّور، فكبّر علي وكبّر الناس معه.(1)

2_ قال عليه السلام لمن قال له: أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر! بعد كلام: «و إنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلي الله عليه وآله . قال ابن أبي الحديد: وكان ابنه قاتل الحسين طفلاً يحبو، وهو سنان بن أنس النخعي لعنه الله.(2)

3 _ وخطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال: يا أمير المؤمنين إنّي مررت بوادي القري فوجدت خالد بن عرفطة قد مات فاستغفرت له. فقال

1- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 2: 276.
2- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 2: 286.

عليه السلام: «والله ما مات ولا يموت حتّي يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمّاد» فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمّاد، وإنّي لك شيعة ومحبّ. فقال عليه السلام: أنت حبيب بن حماد؟ قال: نعم، فقال له ثانية: واللهِ إنّك لحبيب بن حمّاد؟ فقال: إي والله. قال: أما والله إنّك لحاملها، ولتحملنّها ولتدخلنّ بها من هذاالباب، وأشار إلي باب الفيل بمسجد الكوفة. قال ثابت _ وهو راوي الحديث _: فو الله ما مات حتّي رأيت ابن زياد وقد بعث عمر بن سعد إلي الحسين بن علي عليه السلام وجعل خالد بن عرفطة علي مقدّمته، وحبيب بن حمّاد صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل. وفي المجلد 4 من شرح النهج لابن أبي الحديد ص 17 اختلاف في الرواية.

4 _ كان عليه السلام جالساً في مسجد الكوفة وبين يديه قوم منهم عمرو بن حريث إذ أقبلت إمرأة مختمرة لا تُعرف، فوقفت فقالت لعلي عليه السلام: يا من قتل الرجال وسفك الدماء وأيتم الصبيان وأرمل النساء. فقال علي عليه السلام: «وإنّها لهي هذه السلقلقة الجلعة المجعة، وإنّها لهي هذه الشبيهة بالرجال والنساء، التي ما رأت دماً قطّ» قال يزيد الأحمسي _ وهو راوية الحديث : فولّت هاربة منكّسة رأسها، فتبعها عمرو بن حريث، فلمّا صارت بالرحبة قال لها: والله لقد سررتُ بما كان منك اليوم إلي هذا الرجل فادخلي منزلي حتّي أهب لك و أكسوك، فلمّا دخلت منزله أمر الجواري بتفتيشها و كشفها ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها، فبكت وسألته أن لا يكشّفها وقالت: أنا والله _ كما قال _ لي ركب النساء وأنثيان كأنثيين الرجال، وما رأيت دماً قط، فتركها وأخرجها ورجع إلي مجلسه مع الامام عليه السلام فحدّث بذلك.(1)

5_ قال عليه السلام لعمرو بن الحمق الخزاعي في حديث: «ياعمرو إنّك

1- نفس المصدر 2: 288.

لمقتول بعـدي، وإنّ رأسك لمنقول، وهو أوّل رأس نُقل في الاسـلام، والويل لقاتلك، أما إنّك لا تنزل بقوم إلاّ أسـلموك برمّتك إلاّ هذا الحيّ من بني عمرو بن عامر من الأزد، فإنّهم لن يسـلموك ولن يخذلوك» قال شمير بن سدير الأزدي ـ وهو الراوي ـ: فو الله ما مضت الأيام حتي تنقّل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب خائفاً مذعوراً حتّي نزل في قومه من بني خزاعة، فأسـلموه فقُتل وحُمل رأسـه من العراق إلي معاوية بالشام، وهو أوّل رأس حُمل في الإسلام من بلد إلي بلد. (1)

قصة عمرو بن الحمق الخزاعي:

قـال الخوئي في كتـابه (شـرح النهـج): ما رواه صاحب مدينـة المعاجز عن الخصـيبي مسـنداً عن أبي حمزة الثمالي، عن جابر بن عبـد الله الأنصاري قال: أرسل رسول الله صـلي الله عليه وآله سـريّة فقال: تصـلون ساعة كذا وكذا من الليل أرضاً لا تهتدون فيها سـيراً، فإذا وصلتم إليها فخُذوا ذات الشمال فإنّكم تمرّون برجل فاضل خيّر فتسترشدونه فيأبي أن يُرشدكم حتّي تأكلوا من طعامه، ويذبح لكم كبشاً فيُطعمكم، ثمّ يقوم معكم فيرشدكم علي الطريق، فاقرءوه مني السلام وأعلموه أنّي قد ظهرت في المدينة.

فمضوا فلمّا وصـلوا إلي الموضع في الوقت ضـلّوا، فقال قائل منهم: ألم يقل لكم رسول الله صلي الله عليه وآله و خُذوا ذات الشمال، ففعلوا فمرّوا بالرجل الـذي وصـفه رسول الله صـلي الله عليه وآله ، فاسترشـدوه الطريق، فقال: إنّي لا أرشدكم حتّي تأكلوا من طعامي، فذبح لهم كبشاً، فأكلوا من طعامه وقام معهم فأرشدهم الطريق، فقال: أظهر النبي صـلوات الله عليه وآله بالمدينة؟ فقالوا: نعم، فأبلغوه سلامه، فخلّف في شأنه من خلّف ومضي إلي رسول الله

1- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 2: 290.

صلي الله عليه وآله وهو عمرو بن الحمق الخزاعي ابن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن درّاج بن عمرو بن سعد بن كعب، فلبث معه ما شاء الله.

ثمّ قال له رسول الله صلي الله عليه وآله : ارجع إلي الموضع الذي هاجرت إليّ منه، فإذا نزل أخي أمير المؤمنين الكوفة وجعلها دار هجرته فأتِهِ.

فانصرف عمرو بن الحمق إلي شأنه، حتّي إذا نزل أمير المؤمنين عليه السلام أتاه فأقام معه في الكوفة.فبينا أمير المؤمنين جالس وعمرو بين يديه فقال له: يا عمرو ألك دار؟ قال نعم، قال: بعها واجعلها في الأزد فإنّي غداً لو قد غبت عنكم الطُلبت فتبعك الأزد حتّي تخرج من الكوفة متوجّهاً نحو الموصل، فتمرّ برجل نصرانيّ فتقعد عنده فتستسقيه الماء فيسقيكه ويسألك عن شأنك فتخبره، وستصادفه مقعداً فادعه إلي الإسلام فإنّه يُسلم، فإذا أسلم فامرر بيدك علي ركبتيه فإنّه ينهض صحيحاً سليماً ويتبعك.

وتمرّ برجل محجوب جالس علي الجادّة فتستسقيه الماء فيسقيك ويسألك عن قصّتك وما الذي أخافك وممّن تتوقّع، فحدّثه بأن معاوية طلبك ليقتلك ويُمثّل بك الايمانك بالله وبرسوله صلي الله عليه وآله وطاعتك لي وإخلاصك في ولايتي ونصحك لله تعالي في دينك، فادعه إلي الإسلام فإنّه يُسلم، فامرر يدك علي عينيه فإنّه يرجع بصيراً بإذن الله فيتبعانك ويكونان معك، وهما اللذان يُواريان جثّتك في الارض.

ثم تصير إلي الدير علي نهر يدعي بالدجلة فإنّ فيه صديقاً عنده من علم المسيح عليه السلام ما تجده لك أعون الأعوان علي سرّك، وما ذاك إلاّ ليهديه الله، فإذا أحسّت بك شرطة ابن أم الحكم وهو خليفة معاوية بالجزيرة ويكون مسكنه بالموصل فاقصد إلي الصدّيق الذي في الدير في أعلي الموصل فناده فإنّه يمتنع عليك، فاذكر اسم الله الذي علّمتك إياه فإنّ الدير يتواضع لك حتّي تصير في ذروته، فإذا رآك ذلك الراهب الصديق قال لتلميذ معه: ليس هذا أوان المسيح، هذا شخص كريم، و محمد قد توفّاه الله، ووصيّه قد استشهد بالكوفة وهذا من

حواريه، ثمّ يأتيك ذليلاً خاشعاً فيقول لك: أيّها الشخص العظيم قد أهّلتني لما لم استحقّه، فبم تأمرني! فتقول: استر تلميذيّ هذين عندك، وتشرف علي ديرك هذا فانظر ماذا تري؟ فإذا قال لك: إنّي أري خيلاً غامرة نحونا، فخلّف تلميذيك عنده وانزل واركب فرسك واقصد نحو غار علي شاطيء الدجلة تستتر فيه، فإنّه لا بدّ من أن يسترك، وفيه فسقة من الجنّ والانس، فإذا استترت فيه عرفك فاسق من مردة الجنّ يظهر لك بصورة تنين فينهشك نهشاً يبالغ في إضعافك، فينفر فرسك، فتبدر بك الخيل فيقولون: هذا فرس عمرو ويقفون أثره.

فإذا أحسست بهم دون الغار فابرز إليهم بين دجلة والجادّة، فقف لهم في تلك البقعة فإنّ الله جعلها حفرتك، فالقهم بسيفك فاقتُل منهم ما استطعت حتّي يأتيك أمر الله، فإذا غلبوك حزّوا رأسك وشهروه علي قناة إلي معاوية، ورأسك أوّل رأس شهر في الإسلام من بلد إلي بلد.

ثم بكي أمير المؤمنين عليه السلام وقال: بنفسي ريحانة رسول الله صلي الله عليه و آله وثمرة فؤاده وقرّة عينه ابني الحسين، فإنّي رأيته يسير وذراريه بعدك يا عمرو من كربلا بغربيّ الفرات إلي يزيد بن معاوية عليهما لعنة الله.

ثمّ ينزل صاحبك المحجوب والمقعد فيواريان جسدك في موضع مصرعك، وهو من الدير والموصل علي مأة وخمسين خطوة من الدير.(1)

(دخول جويرية علي علي عليه السلام:

6 ـ قال ابن أبي الحديد: دخل جويرية بن مسهر العبدي علي علي عليه السلام يوماً وهو مضطجع وعنده قوم من أصحابه، فناداه جويرية: أيّها النائم استيقظ، فلتضربنّ علي رأسك ضربة تُخضب بها لحيتك. قال حبّة العرني ـ وهو الراوي ـ فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «وأحدّثك باجويرية بأمرك، أما والذي

1- مدينه المعاجز 179 - 182/ح 820.

نفسي بيده لتأتينّ إلي العُتلّ الزنيم، فليقطعنّ يدك ورجلك، وليصلبنّك تحت جذع كافر» قال حبّة العرني: فوالله ما مضت الايام علي ذلك حتّي أخذ ابن زياد جويرية فقطع يده ورجله وصلبه إلي جانب جذع ابن مكعبر، و كان جذعاً طويلاً فصلبه علي جذع قصير إلي جانبه.(1)

إخباره عليه السلام بصلب ميثم التمار:

7 ـ قال الامام عليه السلام لميثم التمّار بمحضر من خلق كثير من أصحابه، وفيهم الشاكّ والمخلص: «يا ميثم إنّك تؤخذ بعدي وتُصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دماً حتّي تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طُعنت بحربة تقضي عليك، فانتظر ذلك، والموضع الذي تُصلب فيه علي باب دار عمرو بن حريث، إنّك عاشر عشرة أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهّرة ـ يعني الأرض ـ ولأرينّك النخلة التي تُصلب علي جذعها، ثمّ أراه إيّاها بعد ذلك بيومين. وقد تحقّقت هذه النبوءة بحذافيرها كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في حديث طويل يضيق به المقام في المجلد 1، ص 210 من شرحه.

قصة رشيد الهجري:

8 ـ روي إبراهيم بن العباس النهدي في سند ينتهي إلي زياد بن النضر

الحارثي أنّه قال: كنت عند زياد وقد أتي برُشيد الهجري و كان من خواصّ أصحاب علي عليه السلام، فقال له زياد: ما قال لك خليلك إنّا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني، فقال زياد: أما والله لأكذّبنّ حديثه، خلّوا سبيله، فلمّا أراد أن يخرج قال: رُدّوه، لا نجد شيئاً أصلح ممّا قال لك صاحبك، إنّك لا تزال تبغي لناسوء إن بقيتَ، اقطعوا يديه ورجليه، فقطعوا يديه ورجليه

1- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 2: 291.

وهو لا يتكلّم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه، فقال رشيد: قد بقي لكم عندي شيء ما أراكم فعلتموه، فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلمّا أخرجوا لسانه ليقطع، قال: نفّسوا عني أتكلّم كلمة واحدة، فنفّسوا عنه فقال: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام، أخبرني بقطع لساني. فقطعوا لسانه وصلبوه. (ابن ابي الحديد مج 1، ط 1، ص 310).

9 _ حدّث سعد بن وهب فقال في حديث: فأتيته _ يعني علياً _ في كربلاء، فوجدته يُشير بيده ويقول: «هنا ههنا، فقال له رجل: وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال: ثقل لآل محمد ينزل ههنا، فويلٌ لهم منكم، وويلٌ لكم منهم. فقال له الرجل: ما معني هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: ويلٌ لهم منكم تقتلونهم، وويلٌ لكم منهم يُدخلكم الله بقتلهم النار» (ابن ابي الحديد مج 1، ط 1، ص 278).

10 _ قال ابن أبي الحديد في المجلد الثاني من شرح النهج، ط 1، ص 508: ومن عجيب ما وقفت عليه من ذلك قوله في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم، وهو يشير إلي القرامطة: «ينتحلون لنا الحبّ والهوي، ويُضمرون لنا البُغض والقِلي، وآية ذلك قتلهم ورّاثنا وهجرهم أحداثناء وصحّ ما أخبر به لأنّ القرامطة قتلت من آل أبي طالب خلقاً كثيرة وأسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، ومرأبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي في جيشه بالغري والحائر فلم يعرج علي واحد منهما ولا دخل ولا وقف. وفي هذه الخطبة قال عليه السلام وهو يشير إلي السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة: «كأنّي بالحجر الاسود منصوباً ههنا، ويحهم إنّ فضيلته ليست في نفسه بل في موضعه وأسّه، يمكث ههنا برهة ثمّ هاهنا برهة _ وأشار إلي البحرين _ ثمّ يعود إلي مأواه وأمّ مثواه» ووقع الأمر في الحجر الاسود بموجب ما أخبر به عليه السلام.

إخباره عليه السلام بمقتل الحسين عليه السلام بكربلاء:

11 _ ذكر ابن أبي الحديد (مج 1 من شرح النهج ص 278) عن أبي

عبيدة، عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع علي عليه السلام صفّين، فلمّا نزل كربلاء صلّي بنا، فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثمّ قال: «واها لك يا تربة، ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب»قال فلمّا رجع هرثمة من غزاته إلي امرأته جرداء بنت سمير ـ وكانت من شيعة علي ـ حدّثها فيما حدث، فقال لها: ألا أعجبك من صاحبك أبي حسن؟ قال: لمّا نزلنا كربلاء وقد أخذ حفنة من تربتها فشمّها وقال: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب. وما علمه بالغيب؟! فقالت المرأة له: دعنا منك أيّها الرجل، فإنّ أمير المؤمنين لم يقل إلاّ حقّاً. قال: فلمّا بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلي الحسين عليه السلام كنت في الخيل التي بعث إليه، فلمّا انتهيت إلي الحسين عليه السلام وأصحابه عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع علي والبقعة التي رفع إليه من تربتها والقول الذي قاله، فكرهت مسيري، فأقبلت علي فرسي حتّي وقفت علي الحسين فسلّمت عليه وحدّثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين عليه السلام: أمعنا أم علينا؟ فقلت: يا ابن رسول الله لا معك ولا عليك، تركت ولدي وعيالي بالكوفة وأخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين عليه السلام : فولّ هرباً حتّي لا تري مقتلنا، فوالذي نفسُ حسينٍ بيده لا يري اليوم مقتلنا أحد ثمّ لا يُعيننا إلاّ دخل النار. قال: فأقبلت في الأرض اشتدّ هرباً حتّي خفي عليَّ مقتلُهم.

إلي غير ذلك ممّا لا نطيل بروايته، وقد وضح و اتّضح ممّا أوردناه من الأخبار تصديق ما ذكره عليه السلام في هذه الخطبة من علمه بالغيب وأنّه يعلم أعمال الناس وأفعالهم، ويطّلع علي ما أعلنوه وما أسرّوه، ويعرف مهلك من يهلك، ومنجي من ينجو، ويخبر من ذلك ما يتحمّل علي من يتحمّل من خواصه وبطانته وشيعته، ومن رام الوقوف علي أكثر ممّا ذكرناه هنا فليرجع إلي كتابنا (مسند الإمام علي) في باب إخباره بالملاحم.

***

من كلام له عليه السلام: ينهي عن التنجيم ويدعو إلي الاستعانة بالله

قال لبعض أصحابه لمّا عزم علي المسير إلي الخوارج، وقد قال له: إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيتُ أن لا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم.

فقال عليه السلام: «أَتَزْعَمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَي السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ وَ تُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيها حَاقَ بِهِ الضُّرُّ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ وَ اسْتَغْنَي عَنِ الْاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَ دَفْعِ الْمَكْرُوهِ وَ تَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَن يُوَلِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ؛ لِأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَي السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيها النَّفْعَ، وَ أَمِنَ الضُّرَّ، ثم أقبل عليه السلام علي الناس فقال: أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَ تَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَي بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ فَإِنَّها تَدْعُو إِلَي الْكَهَانَةِ وَ الْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ وَ الْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَ السَّاحِرُ كَالْكَافِرِ وَ الْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَي اسْمِ اللَّهِ».

(شرح النهج لابن أبي الحديد مج 2، ص 71، ط الأولي).

***

قال الشارح الخوئي قدس سرّه: إن هذا الكلام قاله عليه السلام لمّا عزم علي المسير إلي حرب الخوارج، فقال له بعض أصحابه _ وهو عفيف بن قيس أخو الأشعث بن قيس الكندي الملعون رأس المنافقين ومثير الفتن في أيام خلافة أمير المؤمنين، ولا سيّما في وقعة صفّين.

وكيف كان فقال له عفيف: «يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك» الذي هو الغلبة علي أهل النهر (من طريق علم

النجوم) فقال له عليه السلام علي سبيل الاستفهام التقريري «أتزعم أنّك تهدي إلي الساعة التي مَن سار فيها صُرف عنه السوء» لسعود الساعة، «وتُخوِّف من الساعة التي مَن سار فيها حاق به الضرّ» وأحاط به سوء الحال بملاحظة نحوس الساعة، «فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن» أي من صدّقك بدعواك العلم بالساعتين فقد كذّب كتاب الله، لأنّ الله تعالي يقول:

«وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا»(1) «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»(2) «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ».(3)

إلي غير ذلك ممّا أفاد انحصار العلوم الغيبية في الله سبحانه.

وقال العلاّمة المجلسي قدس سرّه: ويمكن حمل الكلام علي وجه آخر، وهو أنّ قول المنجّم بأنّ صرف السوء ونزول الضر تابع للساعة، سواء قال إنّ الأوضاع العلوية مؤثّرة تامة في السفليّات ولا يجوز تخلّف الآثار عنها، أو قال بأنّها علامات تدل علي وقوع الحوادث حتماً، فهو مخالف لما ثبت من الدين من أنّه سبحانه يمحو ما يشاء ويثبت، وأنّه يقبض ويبسط ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولم يفرغ من الأمر، وهو تعالي كلّ يوم في شأن. والظاهر من أحوال المنجّمين السابقين و كلماتهم جلّهم ـ بل كلّهم ـ أنّهم لا يقولون بالتخلّف وقوعاً أو إمكاناً، فيكون تصديقهم مخالفاً لتصديق القرآن وما عُلم من الدين والايمان من هذا الوجه.

ولو كان منهم من يقول بجواز التخلّف ووقوعه بقدرة الله واختياره، وأنّه تزول نحوسة الساعة بالتوكّل و الدعاء والتوسّل والتصدّق، وينقلب السعد نحساً

1- لقمان: 34.

2- النمل: 65.

3- الأنعام: 59.

والنحس سعداً، وبأنّ الحوادث لا يعلم وقوعها إلاّ إذا علم أنّ الله سبحانه لم تتعلّق حكمته بتبديل أحكامها، كان كلامه عليه السلام مخصوصاً بمن لم يكن كذلك، فالمراد بقوله «صُرف عنه السوء وحاق به الضرّ» أي حتماً هذا.(1)

ولمّا نبّه علي فساد زعم المنجم بكون تصديقه موجباً لتكذيب كلام الله سبحانه، نبّه علي فساده ثانياً بقوله: (واستغني) أي مصدّقُك و متّبعك (عن الاستعانة بالله) تعالي (في نيل المحبوب ودفع المكروه) لأنّك إذا كنت عارفاً بالساعة السعد والساعة النحس وهادياً إليهما فيهتدي بك التابعون لك والمصدّقون بك، وتراقبون سعد الساعات فينالون الخير والسعادة، ويتّقون نحسها فيسلمون من النحوسة والكراهة، فيلزم علي ذلك استغناؤهم بك عن الله، وغناهم برأيك عن اللجأ إلي الله والفزع إليه سبحانه.

وأيضاً ينبغي في قولك للعامل بأمرك أن يُوليك الحمد دون ربّه، لأنّك ـ بزعمك ـ أنت هديته إلي الساعة التي نال فيها النفع وأمن فيها الضّر، فكنت أنت المنعم عليه بتلك النعمة، فلابدّ أن تستحقّ الحمد والثناء بذلك، ولزم أن يكون حمده علي تلك النعمة راجعاً إليك.(2)

(ثم) إنّه عليه السلام بعد التنبيه علي فساد زعم المنجّم بالوجوه الثلاثة (أقبل علي الناس) ونهاهم عن الأخذ بالنجوم وحذّرهم عن تعلّمها، فقال: «أيّها الناس إيّاكم و تعلّم النجوم».

1- بحار الأنوار 55: 258 - 259.

2- ذكر الصفوري في نزهة المجالس ج 2 ص 207 ط مطبعة الأزهرية بمصر سنة 1345 ها 1937م: دخل علي مدينة فوجد فيها منجّماً يدّعي معرفة الغيب وعنده خلق كثير، فقال له علي رَضي الله عَنهُ: أنت في ضيافتي، فأعطاه رغيفاً وأخذ علي رغيفاً، وقال: كلّ واحد منا يثرد رغيفه في هذا الطعام، ثم قال له: ميّز رغيفك من رغيفي، فقال: لا أعلم، فقال: رغيف ثردنه بيدك عجزت عن معرفته،فكيف تدّعي الغيب، فقال: يا أمير المؤمنين أأنت تعرف رغيفك؟ قال: لا، ولكنّي أسأل الله إلهي أن يميزه، فارتفع رغيفه فأكل منه نحو ثلاثة آلاف رجل من أهل تلك المدينة.

النهي عن تعلم النجوم :

قال الشارح البحراني قدس سرّه: الذي يلوح من سرّنهي الحكمة النبويّة عن تعلّم النجوم أمران:

الأوّل: اشتغال متعلّمها بها، واعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسنده إلي الكواكب والأوقات، والاشتغال بالفزع إليه وإلي ملاحظة الكواكب عن الفزع إلي الله والغفلة عن الرجوع إليه فيما بهم من الأحوال، وقد علمت أنّ ذلك يضادّ مطلوب الشارع، إذ كان غرضه ليس إلاّ دوام التفات الخلق إلي الله وتذكّرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه.

الثاني: أنّ الأحكام النجوميّة إخبارات عن أمور ستكون، وهي تشبه الاطّلاع علي الأمور الغيبيّة، وأكثر الخلق من العوامّ والنساء والصبيان لا يميّزون بينها وبين علم الغيب والإخبار به، فكان تعلّم تلك الأحكام والحكم بها سبباً الضلال كثير من الخلق و موهناً لاعتقاداتهم في المعجزات أو الإخبار عن الكائنات منها، وكذلك في عظمة بارئهم، وتشكّكهم في عموم الآيات الدالّة علي اختصاص علم الغيب بالله سبحانه، وكان هذان الوجهان هما المقتضيان التحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها.

وكيف كان، فلمّا نهي الناس عن تعلّم النجوم بالوجهين الذين عرفت استثني عن ذلك قوله: «إلاّ ما يُهتدي به في برّ أو بحر» لعدم استلزام تلك الجهتين المذكورتين، وقد نصّت علي جواز الاهتداء بها الآيات الكريمة مضافة إلي الأخبار الكثيرة، قال تعالي: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»(1) وقال تعالي: «وعلامات وبالجم هم بهتون».(2)

قال الطبرسي: لأنّ من النجوم مايكون بين يدي الإنسان، ومنها ما يكون

1- الأنعام: 97.

2- النحل: 16.

خلفه، ومنهـا ما يكون عن يمينه، ومنها ما يكون عن يساره، ويُهتـدي بها في الأسـفار وفي البلاد وفي القبلـة وأوقات الليل، وإلي الطرق في مسالك البراري والبحار.(1) وقيـل: أراد الاهتـداء به في القبلـة. قـال ابن عباس: سألت رسول الله صـلي الله عليه وآله عنه فقال: «الجـدي علامة قِبلتكم، وبه تهتدون في برّكم وبحر كم».(2)

قال الشارح الخوئي قدس سـرّه: وهذه الرواية موافقة لما رواه الصدوق مرسـلاً قال: قال رجل للصادق عليه السـلام: «أنا أكون في السفر ولا أهتـدي إلي القبلة بالليل. قال: أتعرف الكوكب الذي يقال له جدي؟ قلت: نعم. قال: اجعله علي يمينك، وإذا كنت في طريق الحجّ فاجعله بين كتفيك».(3)

وروي أيضاً محمد بن سنان عن أحدهما عليهما السلام قال: سألته عن القبلة قال: ضع الجدي في قفاك وصلِّ.(4)

هـذا ولا ـ ينحصـر جواز تعلّمهـا فيمـا ذُكر، بـل ربّمـا يجوز التعلّم لما يترتّب عليها من الأحكام الشـرعيّة المتعلّقـة بها في أبواب العبادات والمعاملات، بل قـد يجب لوجوب الحكم المترتّب عليها، فيجب معرفتها من باب المقدّمة مثلاً لوجوب معرفة الأوقات الخمسة للصـلاة، ومعرفـة الحول المضـروبة للزكاة وإتيان الحـجّ والعمرة في الأشـهر المعلومات، وضـبط عدد الحولين لرضاع الحاملات، وتعيين أيام العدّة للمتوفّي عنهـا زوجهـا وللحامل وسائر المطلّقات، والعلم بما ضـرب للـدَّين المؤجّل من الأوقات، كما أشـير إلي ذلك في غير واحـدة من الآيات، قال تعالي:

«أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَيٰ غَسَقِ اللَّيْلِ»(5) وقال: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ

1- تفسير مجمع البيان 4: 120.

2- تفسير مجمع البيان 6: 146.

3- من لا يحضره الفقيه 1: 280.

4- وسائل الشيعة 4: 306/ ح 5223.

5- الاسراء: 78.

مَوَاقِيتُ لِلنّاسِ وَالْحَجِّ»(1) وقال: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ».(2)

وقوله عليه السلام: «فإنّها تدعو إلي الكهانة» تعليل للنهي عن النجوم.

والكِهانة بالكسر، قال في البحار: هي عمل يوجب طاعة بعض الجان له، بحيث يأتيه بالأخبار الغايبة، وهي قريبة من السحر، قيل قد كان في العرب كهنة كشقّ وسطيح وغيرهما، فمنهم من يزعم أنّ له تابعاً من الجن يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنّه يعرف الأمور بمقدّمات وأسباب يستدّل بها علي مواقعها من كلام ممّن يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصّونه باسم العرّاف، كالذي يدّعي معرفة الشيء المسروق و مكان الضالّة ونحوهما.

ودعوة معرفة النجوم إلي الكهانة إمّا لأنّه ينجرّ أمر النجم إلي الرغبة في تعلّم الكهانة والتكسّب به، أو ادّعاء ما يدّعيه الكاهن.

ثمّ إنّه شبّه المنجّم بالكاهن وقال: المنجّم كالكاهن، ووجه الشبه إمّا الاشتراك في الإخبار عن الغائبات أو في الكذب والإخبار بالظنّ والتخمين والاستناد إلي الإمارات الضعيفة والمناسبات السخيفة، أو في العدول والانحراف عن سبيل الحقّ و التمسّك في نيل المطالب ودرك المأرب بأسباب خارجة عن حدود الشريعة وصدّهم عن التوسّل إلي الله بالدعاء والصدقة وسائر أصناف الطاعة، أو في البُعد عن الرحمة والمغفرة.

وتجري بعض هذه الوجوه في التشبيهين في قوله عليه السلام: «والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر» والمشبّه في التشبيهات أقوي.

حقيقة السحر:

والسحر ـ علي ما قيل ـ كلام أو كتابة أو رُقية أو أقسام وعزائم ونحوها يحدث

1- البقرة: 189.

2- يونس: 5.

بسببها ضرر علي الغير، ومنه عقد الرجل عن زوجته، وإلقاء البغضاء بين الناس، ومنه استخدام الملائكة والجن واستنزال الشياطين في كشف الغائبات وعلاج المصاب واستحضارهم وتلبّسهم ببدن صبيّ أو امرأة و كشف الغائبات علي لسانه انتهي.(1)

والظاهر أنّه لا يختصّ بالضرر، بل ربّما يفعل لعباً أو لإبداء أمر غريب. وعن صاحب العين: السحر عمل يقرب إلي الشياطين، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتّي تظنّ أنّ الأمر كما تري وليس الأمر كما تري، فالسحر عمل خفيّ الخفاء سببه يصوّر الشيء بخلاف صورته ويقلبه من جنسه في الظاهر ولا يقلبه من جنسه في الحقيقة، ألا تري إلي قوله تعالي:

«يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَيٰ».(2)

قال الشيخ في محكيّ كلامه عن التبيان: قيل في معني السحر أربعة أقوال:

أحدها: أنّه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة يخيّل إلي المسحور أنّها حقيقة.

والثاني: أنّه أخذ بالعين علي وجه الحيلة.

والثالث: أنّه قلب الحيوان من صورة إلي صورة وإنشاء الأجسام علي وجه الاختراع، فيمكن الساحر أن يقلب الإنسان حماراً وينشئ أجساماً.

والرابع: أنّه ضرب من خدمة الجنّ. وأقرب الأقوال الأوّل، لأنّ كلّ شيء خرج عن العادة الجارية فإنّه سحر لا يجوز أن يأتي من الساحر، ومن جوّز شيئاً من هذا فقد كفر، لأنّه لا يمكن مع ذلك العلم بصحّة المعجزات الدالّة علي النبوات، لأنّه أجاز مثله علي جهة الحيلة والسحر، وفي الرياض والسحر عرّف تارة بما في الكتاب، قال تعالي:

«فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ».(3) (4)

1- بحار الأنوار 55: 259 - 260.

2- طه: 66.

3- البقرة: 102.

4- تفسير التبيان للطوسي 1: 374.

وفي الاحتجاج: من أكبر السحر النميمة يفرّق بها بين المتحابّين، وتجلب العداوة بين المتصافيين.(1) قيل: ومنه استخدام الجنّ، وعرف بأنّه عمل يستفاد منه حصول ملكة نفسانيّة يقتدر بها علي أفعال غريبة وأخري لوجه يدخل فيه علم الطلسمات والنيرنجات وغير ذلك، وذلك أن يقال: هو استحداث الخوارق إمّا بمجرد التأثيرات النفسانيّة وهو السحر، أو بالاستعانة بالفلكيّات فقط وهو دعوة الكواكب، أو علي تمزيج القوي السماويّة بالقوي الأرضيّة، وهو الطلسمات، أو علي سبيل الاستعانة بالأرواح الساذجة، وهو العزائم، قيل: والكلّ حرام في شريعة الإسلام.

وظاهره إجماع المسلمين عليه، وهو الحجّة مضافاً إلي النصوص المستفيضة منها، ويدخل فيه النيرنجات علي ما ورد في الساحر أنّ دم الساحر حلال، وأن تعلّم السحر آخر العهد بالله تعالي، وحدّه القتل ونحو ذلك، وظاهرها التحريم مطلقاً، وقد استُثني منه السحر للترقّي ودفع المتنبّي، وربّما وجب كفايةً.

وروي في العيون في تفسير آية «هَارُوتَ وَمَارُوتَ»(2) أنّه كان بعد نوح قد كثرت السحرة والمموّهون، فبعث الله ملكين إلي نبيّ ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة وذكر ما يبطل به سحرهم ويردّ به كيدهم، فتلقّاه النبي من الملكين وأدّاه إلي عباد الله بأمر الله أن يقفوا به علي السحر وأن يُبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به الناس،(3) وربما خصّت روايات الحلّ بغير السحر كالقرآن والذكر والتعويذ ونحوها جمعاً، وهو أحوط.

ثمّ إنّه عليه السلام بعد تشبيه المنجم بالكاهن، والكاهن بالساحر، والساحر بالكافر، أشار بقوله: «والكافر في النار» إلي نتيجة الجميع وهو دخول النار، إمّا علي وجه الخلود _ كما في الكافر _ أو لا كما في غيره.

1- الاحتجاج 2: 82.

2- البقرة: 102.

3- عيون أخبار الرضا 2: 241.

فصل ووصل

استعرض العلاّمة الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (علي والقرآن) قول الإمام عليه السلام: «الكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار».

ثمّ قال: «وكلّنا يعرف القصّة المشهورة: حين أراد السفر إلي بعض أسفاره، وقال له بعض أصحابه: إن سرتَ في هذا الوقت خشيتُ أن لا تظفر بمرادك. فأجابه الإمام: من صدّقك بهذا القول فقد كذّب القرآن».(1)

ورأي ذات يوم منجّماً فسأله مُنكراً: أتدري ما في بعض هذه الدابّة أذَكَرٌ أو أنثي؟ ! من صدّقك فقد كذّب القرآن: «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ».(2)

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «المنجّم،والكاهن ملعون،والساحر ملعون».(3)

وقال علماء الإماميّة: «من صدّق منجّماً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل علي محمّد صلي الله عليه وآله».(4)

وأطالوا الكلام في هذا الباب، فشدّدوا النكير علي من سلك غير طريق الحقّ والعلم، واستعمل الغشّ والكذب والرياء والتدليس في معاملاته وأقواله وأفعاله، وعلّلوا ذلك بأنّه بدعة في الدين وإخلال في النظام وإفساد للأخلاق الإنسانيّة، وأجمعوا علي أنّ من عمل بالسحر يُقتل إن كان مسلماً، ويؤدّب إن كان كافراً، والآن يتّجه هذا السؤال: إذا كان السحر والكهانة والإخبار بالغيب

1- انظر: الاحتجاج 1: 357؛ بحار الأنوار 33: 362.

2- لقمان: 34.

3- الخصال للصدوق: 297 ح 67.

4- المكاسب للشيخ الأنصاري 1: 205 نقلاً عن المعتبر.

محرّماً عند علي وشيعته، فكيف أخبر عليه السلام بحوادث تقع بعد زمانه؟ فمن الجائز من الوجهة المنطقيّة أن يحدّد العلماء وقت الكسوف والخسوف استناداً إلي قياساتهم لدورات الأرض، أمّا أن يتنبّأ متنبّئ بحدوث حريق في مكان معيّن بعد عشرات السنين، أو بقيام ثورة في بلد من البلدان، أو بأنّه سيخلق من صُلب فلان حاكماً أو عالماً، أمّا هذا التنبؤ وما إليه ممّا لا تناله الخبرة العلمية فمستحيل.

ويمكننا أن نستخرج الجواب عن هذا السؤال من الإمام عليه السلام: «من أفتي بغير علمٍ لعنته الأرضُ والسماء».(1) «لا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم».(2) «ما من حركة إلاّ وتحتاج إلي علم».(3) وما إلي ذلك، ولو جُمعت أقواله في هذا الباب لجاءت في كتاب.

وما كان الإمام لينهي عن خُلقٍ ويأتي مثله. إذن لا بدّ أن يكون إخباره عمّا يقع في المستقبل تعلّماً من ذي علم، كما أشرنا إليه في بحث الملاحم وإخباره بالمغيبات حين أجاب من قال له: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب ؟! فقال عليه السلام: «ليس هو علم غيب، وإنّما تعلّمٌ من ذي علم».(4)

وذو العلم الذي عناه الإمام وأخذ عنه هو النبيّ بالذات، فكلّ ما أخبره به ممّا لا يمكن معرفته بالنهج العلميّ فقد تعلّمه عن الرسول صلي الله عليه وآله، و تلقّاه الرسول وحياً من الله عزّوجَل «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَيٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَيٰ مِنْ رَسُولٍ»(5) والرسول بدوره يُطلع من ارتضي من وليّ حسب ما تستدعيه المصلحة.

1- المحاسن للبرقي 1: 205 ح 58 و 59؛ دعائم الإسلام 1: 96.

2- وسائل الشيعة 15: 169/ ح 20224، وفيه «ولا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم».

3- تحف العقول: 171؛ مستدرك الوسائل 17: 268، وفيهما «ما من حركة الاّ وأنت محتاج فيها إلي المعرفة».

4- نهج البلاغة 2: 10؛ الصراط المستقيم للبياضي 1: 167.

5- الجن: 27.

إخبار النبي صلي الله عليه وآله بالمغيبات:

وقد أخبر النبي صلي الله عليه وآله بمغيّبات كثيرة تحقّق قسم منها قبل زماننا، وقسم تحقّق في هذا الزمان، فمن القسم الأول: قوله صلي الله عليه وآله أنّ المسلمين بعده يحكمون ويفتحون كنوز كسري وقيصر،(1) وقوله لأم الفضل حين ولدت عبد الله بن العباس: «إذهبي بأبي الخلفاء»،(2) ومنها قوله لعلي عليه السلام: «ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين»،(3) «وأنّه لا يموت حتّي تُخضب لحيته من هامته».(4)

إخباره صلي الله عليه وآله القيس بعدم مسه بضرر:

ومنها قوله صلي الله عليه وآله لقيس بن خرشة العبيسي وقد قال له: يا رسول الله أبايعك علي ما جاء من الله وعلي أن أقول الحقّ. قال: يا قيس عسي إن مرّ بك الدهر أن يليك ولاة لا تستطيع أن تقول معهم الحقّ، فقال قيس: لا والله لا أبايعك علي شيء إلاّ وفيتُ به، فقال له رسول الله: إذاً لا يضرّك شيء، و كان قيس يعيب زياداً وابنه عبيد الله بن زياد و من بعده، فبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فأرسل إليه فقال له: أنت الذي تفتري علي الله وعلي رسوله؟ فقال: لا والله ولكن إن شئت أخبرتُك بمن يفتري علي الله وعلي رسوله، قال: ومن هو؟ قال: مَن ترك العمل بكتاب الله وسنّة رسوله صلي الله عليه وآله، قال: ومن ذلك؟ قال: أنت وأبوك ومن أمرّ كما، قال: وأنت الذي تزعم أنّك لا يضرّك بشر؟ قال: نعم. قال: لتعلمنّ اليوم أنّك كاذب، آتوني بصاحب العذاب، فمال قيس عند ذلك فمات. السيرة الحلبية مج3 ص 32 ط _ 2 مطبعة الأزهرية بمصر.

1- الكافي 8: 216/ ح 264؛ روضة الواعظين: 86.

2- تاريخ بغداد 1: 85 كنز العمّال 11: 705/ ح 33632.

3- عوالي الثالي 4: 87/ ح 106؛ بحار الأنوار 18: 132.

4- الارشاد 1: 322؛ الاحتجاج 1: 229؛ مناقب آل أبي طالب 3: 46.

إشارته إلي عائشة بأنّها صاحبة الجمل:

و تنبحها كلاب الحوأب جاء في السيرة الحلبية مج 3، ص 320 ط 2، مطبعة الأزهرية بمصر:

«ومن ذلك قوله صلي الله عليه وسلم لزوجاته: أيتّكنّ تنبحها كلاب الحوأب؟ وأيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب؟ يُقتل حولها قتلي كثير وتنجو بعد ما كادت، فكانت تلك عائشة، فإنّه لما قتل عثمان بن عفان كانت عائشة بمكّة لأنها خرجت إلي مكّة وهو محاصر، و كلّمها مروان بن الحكم في عدم الخروج وقال لها: لا تخرجي يا أماه، فجاء إليها طلحة والزبير بعد أن بايعا علياً علي كره، واستأذنا علياً _ كرم الله وجهه _ في العمرة، فأذن لهما فقدما مكّة، وخرجت بنو أمية من المدينة ولحقت بمكّة قبل المبايعة لعلي، فخرج مروان وغيره من أهل المدينة، وجاء إلي عائشة يعلي بن أمية و كان عاملاً لعثمان باليمن فلمّا بلغه حصار عثمان قدم لنصرته فسقط من علي بعيره في أثناء الطريق فكُسر فخذه وبلغه قتل عثمان، فلا زالوا بعائشة حتي وافقت علي الخروج إلي العراق في طلب دم عثمان، ودفع لها ذلك الجمل يعلي بن أمية، اشتراه بمائتي دينار، وأعان الزبير بأربعماءة ألف دينار وصار يقول: من خرج في طلب دم عثمان فعليَّ جهازه، فحمل سبعين رجلاً من قريش، وطلبت عائشة عبد الله بن عمر أن يكون معها: فقال: معاذ الله أن أدخل في الفتنة، ويقال أن طلحة والزبير دعوا عبد الله بن عمر إلي الخروج معهم فقال لهم: أما تخافون الله أيها القوم وتدعوا هذه الأباطيل عنكم، وكيف أضرب في وجه علي بن أبي طالب _ كرم الله وجهه _ بالسيف وقد عرفت فضله وسابقته ومكانته من رسول الله صلي الله عليه وآله، وإنّكما بايعتماه وسألتماه القيام بهذا الأمر ثم نكثتما بعد أن جعل الله عليكما شهيداً، وإنه ما غيرّ ولابدّل، والقاتل لعثمان أخو زعيمتكم ورئيستكم يعني عائشة وأخوها محمد بن أبي بكر، فلما كانت عائشة في أثناء الطريق سمعت

ص: 332

كلاب تنبح، فسألت عن ذلك المحل، فقيل لها: هذا الحوأب، فأرادت الرجوع لمّا تذكرت ما قال لها رسول الله، فصرخت وأناخت بعيرها وقالت: والله أنا صاحبة الحوأب، ردّوني ردّوني، فعند ذلك أحضر طلحة والزبير خمسين وشهدوا أن هذا ليس بماء الحوأب وأن المخبر لها كذاب. قال الشعبي وهي أوّل شهادة زور وردت في الإسلام، وبالتالي سارت معها ونشبت الحرب حتي قُتل بسببها من المسلمين عشرة آلاف، ويقال اثنا عشر ألفاً».

ومنها قوله لأبي ذر: «كيف بك إذا أخرجوك من مكانك هذا»(1) مشيراً إلي قصّته مع عثمان ونفيه إلي الربذة.

ومنها قوله يوم بدر لعمّه العبّاس: «أين المال الذي استودعته زوجتك أم الفضل؟»(2) وكان العبّاس ادّعي أنّه لا مال عنده.ومنها قوله لابنته فاطمة عليها السلام: «إنّك أوّل أهلي لحاقاً بي »(3) فكان كما قال صلي الله عليه وآله.

ومنها قوله لعمّار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية، و آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن»(4) فقتله معاوية يوم صفين بعد أن شرب اللبن.

ومنها إخباره عن قتل ذي الثديّة رئيس الخوارج،(5) فقُتل يوم النهروان. ومنها قوله للزبير: «ستقاتل علياً وأنت ظالم له»(6) فخرج عليه يوم الجمل. ومنها ما أخبر به صلي الله عليه وآله عن بني مروان إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله بينهم دولاً وعباده خولاً ودينه دغلاً».(7)

1- الخرائج والجرائح 1: 65؛ بحار الأنوار 18: 112.

2- تاريخ اليعقوبي 2: 46.

3- بحار الأنوار 43: 37؛ تفسير ابن كثير 4: 600.

4- دعائم الإسلام 1: 392، الخصال: 275.

5- الخصال: 574؛ أبواب السبعين؛ شرح الأخبار 2: 63.

6- الاحتجاج 1: 238؛ مناقب آل أبي طالب 1: 95.

7- سليم بن قيس: 303؛ بحار الأنوار 33: 152.

ومنها أن كسري ملك الفُرس أرسل رسله ليأتوه بالنبي صلي الله عليه وآله حيّاً وميتاً، فلما وصلوا إليه أخبرهم بأن كسري قتله ولده شيرويه(1)، فجاء الحديث موافقاً.

ومنها إخباره عن وقعة الحرّة.(2)

ومنها قوله: «إنّ زيد بن صوحان أحد الصحابة سيسبق منه عضو إلي الجنّة،(3) فقُطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله..

ومنها إشاراته وتلويحاته المتكرّرة إلي ما حدث لأهل بيته من بعده.(4) وما إلي هذه ممّا لايُحصي عددها، وهي مذكورة في أبواب شتّي من كتب التفسير والحديث والتاريخ والسيرة.

ومن القسم الثاني ـ أي المغيّبات التي تحقّقت في هذا العصر ـ ما جاء عن النبي صلي الله عليه وآله في صحيح البخاري (الجزء التاسع صفحة 73 طبعة محمد علي صبيح) قال صلي الله عليه وآله: «يوشك أن ينحسر الفرات عن كنز من الذهب». إشارة إلي البترول.

وفي الكتاب المذكور صفحة 61: «سيتقارب الزمان وينقص العمل» إشارة إلي سرعة المواصلات والاستغناء بالآلات الفنّية عن اليد العاملة.

وفي مسند أحمد (ج12 ص 173 طبعة سنة 953) قال صلي الله عليه وآله: «تتقارب الأسواق وتتقارب الأزمان» ومن أبرز المظاهر في هذا العصر تصدير الانتاج إلي جميع الاسواق بأمد قصير.

وفي كتاب (مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيّد البرية) تأليف الشيخ أحمد الصدّيق الغماري:

روي أحمد بن حنبل في مسنده عن النبي صلي الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتي

1- بحار الأنوار 20: 390؛ تاريخ الطبري 2: 297.
2- بحار الأنوار 18: 125، قال صلي الله عليه وآله: يُقتل بهذه الحرّة خيار أمّتي بعد أصحابي.
3- الخرائج والجرائح 1: 66/ ح116؛ بحار الأنوار 18: 112ح 81.
4- شرح الأخبار 3: 360؛ بحار الأنوار 51: 83.

تكلّم الرجل عذبة سوطه وشراك نعاله».(1) إشارة إلي الراديو الصغير وما إليه من آلات الالتقاط أو الارسال التي يحملها الانسان معه كما يحمل علبة الدخان.

وجاء في الكتاب المذكور: «يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر»(2) وفي رواية ابن أبي الحديد (مج 2، ط 1، ص 190 من شرح النهج). قال صلي الله عليه وآله: «يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرض البقر بألسنتها».

إشارة إلي أرباب الصحف المأجورة الذين يعيشون علي الأكاذيب والشتائم. فالصحف اليوم عندنا _ ولعلي قويّ العزم علي لا أن أستثني واحدة منها _ تتهادي في الكذب، ويزعمون أنّ ذلك يستهوي القرّاء فيزداد البيع، هذه الصحافة التي يطلقون عليها لقب صحابة الجلالة، والمأخوذ من مفهومها توجيه الشعب وإصلاحه، ورعاية حقوقه وردّ مظالمة، هذه الصحافة تري أنّ الكذب والتهويل والجعجعة الفارغة تعود علي مهنتها بالنفع والتعزيز والرواج في الشعب.

الغرض وأعجب ما جاء عنه صلي الله عليه وآله قوله: «سيري الناس أموراً يتفاقم شأنها في نفوسهم يتسائلون بينهم هل كان النبي صلي الله عليه وآله ذكر ذلك». رواه أحمد بن حنبل في كتاب المسند،(3) وقد مضي علي وفاة بن حنبل 1338 عام، ولم يكتفِ النبي صلي الله عليه وآله بالإخبار عن البترول في بلاد العرب، بل أخبر أنّ الذين يستخرجونه ويصفّونه حتّي يصبح حاضراً صالحاً للاستعمال هم المستعمرون شرار الناس وأراذلهم، فقد جاء في مسند أحمد بن حنبل: «ستكون معادن يحضرها شرار الناس»(4) وفي حديث آخر: أراذل الناس.(5)

1- مسند أحمد 3: 84.

2- مجمع الزوائد 8: 116 وقال: رواه أحمد والبزّار.

3- مسند أحمد 5: 16.

4- مسند أحمد 5: 430.

5- مجمع الزوائد 7: 331.

وفي كتاب _ الشجرة المباركة _ للشيخ علي اليزدي حديث طويل نقله عن تفسير علي بن إبراهيم القمي من علماء القرن الثالث الهجري، جاء فيه عن النبي صلي الله عليه وآله: «التقارب الأسواق، ويظهر الربا، وتتعامل الناس بالغيبة والرشا، ويتفقّه أقوام لغير الله، ويكثر أولاد الزنا ويتغنّون بالقرآن».(1)

ولم يبق شيء من هذه إلاّ تحقّق في هذا العصر، ولكنّ الذي يبعث علي الدهشة أكثر من أيّ شيء قوله صلي الله عليه وآله: « يتعامل الناس بالغَيبة» (بفتح الغين) وهو إخبار عمّا يجري الان بين التجّار، يُبرق تاجر في الشرق لآخر في الغرب، فتتمّ الصفقة دون أن يشاهد أحدهما الآخر، ودون أن يحصل بينهم السوء والأخذ والردّ. وفي الكتاب المذكور عن الإمام عليه السلام: «ستخرج الأرض بركاتها، وتؤكل ثمرة الصيف في الشتاء وبالعكس، وتحمل الشجرة في كلّ سنة مرّتين، ويزرع الرجل الحنطة والشعير فينتج الصاع مئة... وتكون السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، و الأسبوع كاليوم، واليوم كالساعة».(2)

وإذا أخبر النبي صلي الله عليه وآله أصحابه بهذه المغيّبات فأولي أن يُطلع علياً علي أمثالها ونظائرها، وأيّ إنسان أحقّ بعلم النبي صلي الله عليه وآله من علي عليه السلام وهو منه بمنزلة الرأس من الجسد كما جاء في الحديث.

إذن جميع إخباراته عليه السلام بالغيب تستند إلي الرسول وتنتهي إليه، وليس للإمام إلاّ الرواية، فمن أنكر عليه الإخبار بالغيب فإنّما يُنكر علي الرسول من حيث يريد أو لا يريد.

ومن الطريف أنّ بعض من أنكر واستكثر أن يخبر الإمام عن الرسول يؤمن ويعتقد بأنّ شقّاً وسطيحاً كانا يخبران الناس بالغيب وبظهور النبي صلي الله عليه وآله قبل زمانه.

1- تفسير القميّ 2: 303 - 307.

2- انظر مستدرك الوسائل 11: 377 - 378 / ح 13304.

قال الرازي في كتابه الكبير عند تفسير آية «عَالِمُ الْغَيْبِ»(1) إنّه كان في بغداد كاهنة في عهد السلطان سنجر بن ملك شاه تُخبر بالغيب فيأتي علي وفق كلامهـا، وأنّه رأي كبـاراً من المحقّقين في علم الكلام والحكمـة يؤمنون بأقوالها، وإنّ (أبو البركات) بالغ في كتاب ـ المعتبر ـ في شرح حالها، إنّه قـد تفحّص عنها ثلاثين سـنة حتي تيقن أنها كانت تخبر بالمغيبات خبراً مطابقاً. وروي هـذه القصة أيضاً ابن أبي الحديد في شرح النهج (مج 1، ط 1، ص 427).

إمرأة لاـ يُعرف لهـا أصـل ولا حقيقـة تقول الغيب فيصـدّقها العلماء المحقّقون، بل حتّي الرازي المشـكّك الكبير يقول: «ليس علم الغيب مختصّاً بالأولياء، بل قد يوجد في السحرة أيضاً». وبعد فأيّ غرابة أن يحدّث الإمام بالغيب عن النبي صلي الله عليه وآله عن الله سبحانه؟

رُبّ قائل يقول: بأنّ ما قدّمته من الأدلّة إنّما يقنع، أو يجب أن يقتنع به المسـلم الذي يؤمن بالله ونزول الوحي علي محمد، لأنّ كلّ ما ذكرته مبنيّ علي أساس التسـليم بالقرآن وأصول الاسـلام، أمّا الذي لا يؤمن بالله أصلاً، أويؤمن ولا يعترف بنبوّة محمد فلا تلزمه الحجّة، وبالتالي لا يجب عليه التصديق بشيء ممّا قلت. وأجيب بأنّي لا أطلب ممّن يشكك بمغيبات الإمام أن يغيّر دينه وعقيدته كي يصدّق ما أقول، ولكنّي أخاطب عقله ووجـدانه إذا كان علي شـيء من التمييز والانصاف، وأوجّه إليه هـذا السؤال: إذا أخبرك مُخبرٌ بوقوع حادثـة ما، وصَدَق قولُه مئة بالمئة، فبماذا تفسّر هذا الصدق، مع العلم بأنّ تلك الحادثة لا تمتّ إلي التبنّوات العلميّة وخبرة الانسان بسبب؟!

بماذا تفسّـر المغيّبات التي نقلناها عن الرسول صـلي الله عليه وآله وعن الإمام علي عليه السلام؟ وإلي أيّ شيء نسند قول الإمام علي: «إنّ في الطالقان كنوزاً ليست من

1- الجن: 27.

ذهب ولا فضّة»(1) إشارة إلي بترول ايران. نقل هذا القول عن الإمام أبو الغنائم الكوفي في كتاب (الفتن) وقد مضي علي وفاته مئات السنين.

بماذا تفسّر قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام حفيد الإمام علي عليه السلام: «إنّه يأتي علي الناس زمان يري ويسمع مَن في المشرق من في المغرب، و كلّ قوم يسمعون الصوت بلغتهم، وإنّ العرب تخرج من سلطان الأجانب وتملك نفسها بنفسها، وحينئذٍ تخلع أعنّتها، وإنّه لا يبقي صنف من الناس إلاّ ويحكم الناس». ذكر ذلك المجلسي مج 13 من البحار ص 135 و 163 و 168. والشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة)، والمفيد في الارشاد، وقد مضي علي وفاتيهما ما يقرب من ألف سنة.

نطق الإمام بهذه الحقائق منذ ألف سنة ومئتي سنة. ودُوّنت في الكتب منذ ألف سنة وأكثر، وقد تحقّقت بكاملها، ونحن الآن نراها ونعيش معها، فتسمع أهل الغرب يخاطبون أهل الشرق بواسطة الراديو، ويوجّهون الإذاعات إلي كلّ قوم بلغتهم، وعمّا قريب نشاهد الأوروبيين والأمريكيين بالتلفزيون، بعد أن وضع العلماء التصميم لأن يكون البعيد فيه كالقريب تماماً كالراديو، وسادت الديمقراطيّة في أكثر الشعوب، وأجهزت علي أرستقراطية الأنساب والأموال، و حكم الناس كلّ فئة من الناس من نكروما إلي كاسترو إلي كلّ جنس ولون، وما أوشك أن يسير العرب في طريق الاستقلال حتّي خلعوا اللجام وشتم بعضهم بعضاً، فكأن مصيبة الاستعمار كانست تجمع كلمتهم، فلمّا استقلّوا أو كادوا ألقي كلّ عربي بأسه علي رأس أخيه.

هذه صورة طبق الأصل عبّر بها الإمام عليه السلام عمّا سيقع قبل عشرات الأجيال، ومحال أن يعلم بحدوثها قبل الأوان إلاّ علام الغيوب ومَن ارتضي من عباده الصالحين.

***

1- عقد الدرر: 122، ب5.

من كلام له عليه السلام علي منبرالكوفة:

يدعو الناس للإستفادة من علمه

«سَلوني قبل أن تفقدوني، فإنّي بطرق السماء أدري منّي بطرق الأرض. سَلوني هذا سقط العِلم و(أشار إلي صدره) وهذا لعاب رسول الله صلي الله عليه وآله.(1) إنّي انطوت علي مكنون علمٍ لو بُحتُ به لاضطرتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة».(2)

***

يستكثر بعض الناس علي الإمام علي عليه السلام أن يقول ذلك لما فيه من الأنانيّة والدعوي، وأنّ إنساناً علي هذه الأرض الجامعة بين الخير والشرّ في بنيها منذ جبلّتها لا يقدم علي ما يشعر بعصمته وكماله.

ولكنّهم إذا رجعوا إلي قول محمد معلّم علي هذا حيث يقول: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».(3) وإذا رجعوا إلي قول هذا المعلّم: «من زهد في الدنيا علّمه الله بغير تعلّم»(4) ثمّ إذا وقفوا علي قول الإمام علي: «إنّ في السماء مدناً كمدنكم هذه تربط بينها أعمدة من نور». في تفسير علي بن إبراهيم القمي من علماء القرن الثالث الهجري (مج 2، ص 219 من الطبعة النجفية)، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ هذه النجوم التي في السماء مدائن

1- الأمالي للصدوق: 422/ ح 560؛ الاختصاص للمفيد: 235.

2- بحار الأنوار 74: 332، من خطبة له عليه السلام أوّلها «أيّها الناس شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة»؛ ولم أعثر علي الخطبة التي أشار إليها المؤلّف قدس سرّه كاملة مجموعة في المصادر التي بين يديّ.

3- عيون أخبار الرضا 1: 71/ ح 298؛ أمالي الصدوق: 425؛ ذخائر العقبي لمحبّ الدين الطبري: 77.

4- انظر تحف العقول: 60: بحار الأنوار 74: 163.

مثل المدائن التي في الأرض، مربوطة كلّ مدينة بعمود من نور، طول ذلك العمود مسيرة مائتين وخمسين سنة».

أقول: لو رجع هـذا المنكر إلي تلك الأقوال لأراح نفسه من عناء التفكير في إنكار هذا القول علي الإمام، واسـتحالة صدوره من إنسان يبحث في السماء وهو علي الأرض.

فهـل حفـظ التاريـخ لنا أنّ سائلاً أفحم علياً بعـد أن قال: «سـلوني قبل أن تفقـدوني» وعلي العكس يحفظ لنا التاريـخ أنّ كثيراً من السائلين المتعنّتين كـانوا يتحـدّونه وهو علي المنبر بأسـئلة في العلوم والفنون التي لاـ تمتّ إلي الوعـظ والارشـاد وأحكـام الـدين بصـلة، وكان علي يجمعهم بما يُـذهلهم فيما وعوا، ويُخزيهم فيما أسّـروا، ومن شاء الكشف عن ذلك فليرجع إلي شـرح العلامـة ابن أبي الحديد لنهج الإمام [الذي ألقاه] منذ ألف عام.

ولقد تري اليوم في الصـحف أبواباً خاصة في العلوم والفنون، ونري فيها باباً للسؤال والجواب يختصّ به رجل كإحسان عبد القدّوس في (روز البوسف)، و كأمينة السـعيد في مجلّة الهلال، ونري عنوان هذا الباب ـ اسألوني ـ، فهل كان إحسان هذا وهو ـ صاحب البدائع ـ... وأمينة هذه وهي ـ أم المؤمنين ـ هل كانا أحقّ بكلمة (اسألوني) من علي بن أبي طالب عليه السلام وهو وزير محمد وعضده ووصيّه من بعده؟

ويُمعن بعض العلماء في تأويل كلمـة الإمام هـذه علي الشـكل الـذي يحفظ تواضـعه كإنسان، وأنّ أيّ انسان يجرأ علي الدعوي بأنّه بما في السماء أعلم منه بما في الأرض.

يقول هـذا البعض: إنّ الإمام مع افتراض سـموّه وعلوّ كعبه في العلوم لم يخرج عن كونه إنساناً، وإلاّ كنّا مُغالين في تقديره، والنبي صـلي الله عليه وآله كان قد تنبّأ لذلك بقوله: «يا علي يهلك فيك إثنان: عدوّ قالٍ، ومحبّ غال»(1) وحمل الإمام

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديدة 5: 4.

علي الحقيقة في قوله: «إنّي بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض» يدعونا لأن نكون مغالين في تحديد شخصه.

أقول: يمعن هؤلاء بتأويل قول الإمام في أنّه إنّما أطلق العام وأراد به الخاص _ وهو من مجاز اللغة في علم البيان _ فقد أراد بطرق السماء الخطط التي يضعها الله في السماء لهدي عباده في الأرض. وهذه الخطط هي النواميس الدينيّة التي يتنزّل بها الروح الأمين علي الأنبياء والرسل المصطفين لتبليغ الرسالة الإلهيّة في الخلق. ويريد الإمام وفقاً لذلك بقوله: «سلوني قبل أن تفقدوني» أن يكون السؤال في حدود هذه الخطط لا أنّها في شيء العلوم والفنون.

ذلك ما أراده هؤلاء المتأوّلون. وأراني جريئاً علي أن لا أحسب حساباً لهذا التأويل، وإنّما يصحّ التمحّل في ذلك حرصاً علي تنزيه الرجل الناقص من أمثالنا.

فأمّا الرجل الكامل من أمثال علي عليه السلام فلا يصحّ أن نتأوّل عليه ولا له، لأنّه ثبت عن طريق النقل كونه معصوماً بقول معلّمه محمد صلي الله عليه وآله: «عليّ مع الحقّ»(1) وعن طريق العقل من أنّ الرجل الكامل لا يتهافت في تفكير ولا عمل، وأنّ في وجود الإنسان حقّاً يهيمن عليه فيعصمه من هذا التهافت. فضلاً عن أنّ علياً عليه السلام كان أزهد الناس بدنياه، والرسول يقول: «من زهد في الدنيا علّمه الله بلا تعلّم».(2)

ومن هنا نسمع له إخباره بالمغيّبات كقوله لكميل بن زياد: «لو شئتُ أن أصيّر لكم من الماء نوراً لفعلت».

يقول الإمام هذا القول في وقت لم تعرف الكهربائيّة و كيفية استخدام الشلاّلات في تحريك الدينامو وإيجاد التيّار الكهربائي.

وقوله عليه السلام: «والذي بعث محمّداً بالحقّ، لولا خوفي من أن تكفروا بي فيه لأمليت عليكم علم ما كان وما يجيء، فو الله ما فارقته حتي مرّ علي سمعي بكلّ شيء».

1- الخصال للصدوق: 496؛ أمالي الصدوق: 150/ ح146.

2- الجامع الصغير للسيوطي 2: 606/ ح 8725.

تلك هي آثار محمـد وأهل بيته مائلـة أمامنا في أقوالهم وأعمالهم تبعث فينا أقوي الايمان بأنّ علمهم قائم علي الحكمة الملهمة، لأنّه وحي يتنزّل به الروح الأمين علي نبيّه من لدن حكيم خبير.

وللإمام علي عليه السلام شخصيّتان عبقريّتان: إحداهما إنسانيّة ترابيّة تضعف حتّي يستسلم لأوهن الأحداث، كانصياعه للتحكيم بالكره عنه يوم صفّين، وكانقياده موثوقاً يوم تهديد عمر داره بالإحراق، وثانيهما جبروتيّة سماويّة تقوي حتّي لا يصمد أمامها جبروت، كجندلته عمرو بن عبدود يوم الأحزاب، ودكّه حصن خيبر، ثمّ اقتلاع باب الحصن وهو ما لا تطيقه قوّة إنسان.

فشخصيّته الأولي هي الصلة بينه وبين البشر، وشخصيّته الثانية هي الصلة بينه وبين الملكوت الأعلي.

وللتـدليل علي هاتين الشخصـيّتين و أنّهما رُكّبنا فيه، قوله لسائل سأله حين رآه يعجز عن كسـر قرص يابس من الشـعير بيديه، فاسـتعان علي كسـره بركبته، قال له السائل: كيف تضعف عن كسر القرص وأنت داحي باب خيبر؟ فقال له الإمام عليه السلام: «ثكلتك أمّك تلك قوّة الله، وأمّا هذه فهي قوّتي. (ابن أبي الحديد مج 1، ط 1، ص 426).

وبالتالي يقول الإمام عليه السلام: «إنّ في السماء مُدناً كمدنكم هذه تربط بينها أعمدة من نور».

الحياة في كوكب المريخ:

يقول العلماء الفلكيّون في العصـر الحاضـر تأييـداً لقول الإمام عليه السـلام: «إنّه من الممكن أن يكون المرّيـخ مسـكوناً بمخلوقات وُهبت العقل والذكاء». وقد أيّدت هذه النظرية بعض الوقايع التي لوحظت خلال السـنوات الثلاث الأخيرة. وأهم هذه الأدلّة هو بلا شكّ الانفجار الغامض الذي حدث في المريخ عام

1949م، وقـد لاحظ هذه الظاهرة فلكيّ ياباني مشـهور اسـمه (تسوينو ساهيكي) الذي لم ينقطع عن مراقبة المريخ من 1933. ولذلك فإنّ لتقريره وزناً كبيراً، وقـد أحدث الانفجار الذي حدث تحديداً في 9 ديسمبر 1949م ضوءاً ساطعاً خلال عدّة دقائق، تكوّنت علي أثره سحابة مضيئة رماديّة تميل إلي الاصفرار بلغ ارتفاعها 64 كيلومتراً، وقطرها 112 كيلومتراً.

ويري العالـم المـذكور أنّ هذا الانفجار قد حدث بواسـطة مخلوقات علي درجة هائلة من الذكاء، فأمّا أنّ سـكّان المريخ هـم الذين أحدثوه، وأمّا أنّ جنساً آخر جاء من كوكب آخر أمكنه أن يضع قدمه في المريخ.

وقـد وردت الأنباء بأنّ الـدكتور (ا. س. سـليفر) العالـم الفلكي الـذي كان قائـداً للبعثـة التي أرسـلتها الجمعية الجغرافيّة الأهلية بالولايات المتحدة في عام 1954م لتصوير المريخ من جنوب إفريقيا، أعلن أنّه لـم يبق هناك شكّ في أنّ المناطق المعتمة فوق سطح المريخ هي نبات حيّ. ويؤخـذ من بيان الجمعيـة الأهلية أنّ العلامة الجديدة المعتمة ـ والتي تشـغل مساحة قدرها 200 الف ميـل مربّع ـ لـم تكن منتظرة وأنّها ليست ثابتـة، ممّا يـدلّ علي أنّ الفاصل بين الصـحراء والمناطق المعتمـة متغيّر. كما أعلنت أنّ هـذا الكشف يؤيّد الاعتقاد أنّ المريخ كوكب غير ميّت، وأنّ الظلمـة المخيّمـة علي بعض أجزائه مرجعها نموّ حياة آتيـة فيه، وأنّ واقع الدراسـة أثبت أنّ معالـم المريـخ تشـهد بأنّه كوكب حيّ فيه نوع ما من الحياة.

يقول العلماء الـذين تابعوا دراسـة المريـخ: إنّ ما به من ماء يبلغ نحواً من خمس اليابس، وإنّ قُطبيه مغطّيان بطبقـة من الثلـج والجليد. وقد ظهرت علي وجه المريخ خطوط مستوية منتظمة، عُرف أنّها قنوات رئيسيّة لتوزيع المياه، عندما شوهد تغيّر أماكنها سنة بعد أخري.

وقـد أعلن أنّه قـد أنشـيء في المريـخ أخيراً جسـر طويـل طوله مئـات الكيلو مترات، كمـا لوحظ تغيير لون مساحات شاسـعة فيه من اللون الأخضر إلي

الأبيض إلي البنّي القاتم، وفي 5 مارس 1957 أعلنت الهيئات العلميـة السوفيتية أنّه قد تحقّق وجود نباتات بالمريخ. وما دام الماء والنبات وُجـدا فـإنّ ذلـك دليل علي وجود الكائن الحيّ كائناً من كان. وإذا كان المريـخ به أحياء، أليس ذلك دليلاً علي وجود الأحياء في الكواكب التي في محيطه، إذ تُشابهه في كافّة الظروف المكيفة للحياة؟

أصدقاء عالم الفضاء:

وممّا أذيع في 15 يناير 1957م أنّه قـد تكونت جمعية في مدريد تضمّ مائة عضو، تطلق علي نفسـها اسم جمعية (أصدقاء الزائرين في عالم الفضاء) وذلك لدراسة الظواهر غير العاديّة التي تؤكد بأنّ الأرض يزورها رجال من الفضاء، أو علي الأقل من كواكب أخري.

ويجتمع هؤلاء الأعضاء كلّ أسبوع في مدريد، وممّا يستندون إليه من أدلّة علي زيارة الأرض لرجال من العالم المجهول ما يحتفظون به من حجر يؤكّدون أنّهم أخذوه من قائد طبق طائر تحت شـجرة بحديقة جامعة مدريد في الساعة الثانية من صـباح أحد أيّام شـهر نوفمبر 1954. وهذا الحجر كان في البداية ورديّ اللون، ثمّ تحوّل لونه إلي الأخضـرار ثمّ إلي الاصفرار. وهو ملحيّ المذاق وقابل للاحتراق، وعلي سطحه رسوم كالكتابة الهيروغليفية، وقد أرسلت قطعة من هذا الحجر إلي معلّمين جيولوجيين في أسبانيا، وإلي معهد علمي في نيويورك، ولكنّهما لم تستطيعا تحليله لافتقارهما إلي الأجهزة اللازمة التي تستطيع بها أداء هذا التحليل.

وقد صـرّح الأميرال (بلمر فاهرناي) المشـرف علي توجيه الطائرات والقذائف الموجّهة، والمرشّح للعمل بمكتب الملاحة الجوية في شؤون القذائف الموجّهة بامريكا، في حديث له في 17 يناير 1957 بأنّه شاهد أجساماً

طائرة مجهولة يبدو أنّها موجّهة بفعل كائنات مفكّرة تخترق طبقات الجوّ، وأنّ هذه الاجسام تطير بسرعة مذهلة لا يمكن للعقل البشريّ أن يتصوّرها.

وقد جاء في تقرير نشر في 11 مارس 1957 لأحد طيّاري شركة (بان أمريكان) أنّ جسماً غريباً اعترض طائرته وهي في منتصف الطريق بين نيويورك وسان جون، وقال الطيّار: إنّ هذا الجسم واجه الطائرة بطريقة مباشرة، وأنّه اجتاز فترة عصيبة حتّي يتعدّاه. وقد أمضي ركّاب الطائرة مدّة من الوقت في المستشفي من أثر الصدمة والانفعال اللذين تسبّبا عن مجاورة الطيّارة للجسم الغريب.

وصرّح متحدّث رسمي أنّ طائرات أخري تعرّضت لأكثر من جسم، ولم يمكن تحديد ماهيّة هذا الجسم.

أليس كلّ هذا تلميحاً _ إن لم يكن تصريحاً _ لما يقوله الامام علي عليه السلام من أربعة عشر قرناً: بأنّ في السماء مدناً كمدنكم هذه تربط بعضها ببعض أعمدة من نور.

وفي منتصف 1957 أذيع أنّ رجال البوليس الفرنسي قد وجدوا في شمال فرنسا كتلاً من مادة تشبه المادة البركانيّة السوداء، وأنّها كانت نهاية آثار واضحة في الطريق. وقال القرويّون في هذه المنطقة أنّها نتيجة مرور طبق طائر نزل إلي الأرض في الليلة السابقة وعليه أربعة أشياء متحرّكة. وأفضي (ميشيل سيكيت) إلي رجال التحقيق بأنّه كان متّجهاً إلي داره بعد منتصف الليل حين بهرت عينيه قذيفة غريبة، فاختبأ وراء أحد أعمدة أسلاك البرق، فرأي طبقاً طائراً يهبط ومحرّكاته تزمجر وأضواء غريبة تشعّ، خلفها مخلوقات صغار الأجسام غير واضحي المعالم، فصاح ميشيل واتّجه بكلّ سرعته صوب محطّة السكّة، وقرّر خفير المحطّة وزوجته أنّهم انتبهوا علي صوت صراخ ميشيل وخرجوا من المبني ليروا الطبق الطائر والمخلوقات الصغيرة... وفي لحظة خاطفة اختفي الطبق ومن فيه.

ص: 345

وهناك حوادث تعدّدت وأصبحت عشرات في كافّة البلاد، كلّها تلتقي عند وجود أشياء غامضة لم يمكن تفسيرها. ويستند الفلكيّون في قرارهم بوجود حياة وأحياء في المريخ علي أنّ ظروفه الجويّة تقارب ظروف الارض.

فكلّ مقوّمات الحياة التي نعرفها علي الأرض ومستلزماتها متوافرة في المريخ، بل في الكواكب التي تقع علي بُعد مقارب من بعد الأرض، أمّا الكواكب التي تقرب من الشمس أو تبعد عنها فقد قال الفلكيّون: إنّها كواكب ميّتة لأنّ الظروف التي يمكن العيش معها لا تتوافر فيها.

واهتمام العلماء في هذه الناحية إنّما ينصب علي الحياة التي نألفها علي وجه الأرض، فهل يمكن أن توجد حياة في ظروف تغاير ظروف الارض؟

إنّ الانسان يعلم بتجاربه علي نفسه أنّه لا بدّ للحياة من وجود الهواء، وأن تكون درجة حرارة الجو المحيط به بما يتناسب و درجة حرارته التي تبلغ 37 درجة مئويّة، فما بالنا بالسمك؟ إنّه يعيش في الماء ولو خرج إلي الهواء لمات.

وحيوانات المناطق المتجمدة لو انتقلت إلي الحرارة العالية في منطقة خطّ الاستواء لماتت. ألا يمكن أن يكون هناك _قياساً علي ذلك _ حياة بلا هواء _ مثلاً _ لأحياء يسكنون في الكواكب التي ثبت أنّ جوّها خالٍ من الهواء. وإذا كانت درجة حرارة الكائن الحي مثلاً 1000 درجة مئوية، ألاّ يمكنه بذلك أن يعيش في كواكب تقرب من الشمس، ولماذا نتخيّل أنّ الكائنات الحيّة في الكواكب ستكون ذات أنف وأذن وفم ويد وقدم. إنّ الكائن تتلائم أعضاؤه مع حاجاته المعيشيّة، فقد يكون العيش في الكواكب لا يحتاج إلي سمع... أوهواء... أو غذاء عن طريق الفم. فلا توجد الأعضاء الخاصة بهذه الحواس، أو لماذا لا يوجد الكائن أو ينقسم مثلاً... ويكون نموّ خلاياه وانقسامها عن عنصر معيّن يوجد في جوّ الكوكب. هذا إن كان الكائن الحيّ يتكاثر بانقسام خلاياه...

ص: 346

أو حتّي إن كان له خلايا... فلابدّ أن تكون الكائنات في الكواكب علي شكل يتناسب وظروف المعيشة، وبأعضاء تؤهّلها أن تحيا الحياة التي كتبها الله لها.

***

لسنا وحدنا في الكون:

جاء في ملحق جريدة الجريدة الجمهورية الأسبوعي العراقية العدد 84 الخميس 23 تشرين ثاني 1978م 22 ذو الحجّة 1398ه تحت عنوان (السنا وحدنا في الكون) ما نصّه:

نشرت الصحف في الأسبوع الماضي أنّ طبقاً طائراً قد هبط مرّتين بالقرب من المحطة «أمّ العيش» بالكويت، وترتّب علي هبوطه توقّف محطة ضخّ النفط القريبة من مكان الهبوط عن العمل طوال فترة وجوده التي استمرّت سبع دقائق، ثمّ عادت للعمل تلقائياً بمجرّد إقلاع الطبق الطائر.

وصرّح المسؤولون أنّ الجسم الطائر الغريب ليس لطائرة عموديّة، لأنّه لم يترك أيّة آثار علي الرمال ولم يصدر أيّ صوت، كما أنّ سبعة شهود عيان من المهندسين والفنيّين العاملين في شركة نفط الكويت قد شاهدوا الطبق الطائر.

طبق طائر في الكويت:

وبدأت الحادثة عندما اكتشف الفنّيّون العاملون في المركز الرئيسيّ لمحطّة ضخّ النفط في شركة نفط الكويت توقّف احدي محطّات الضخّ عن العمل علي الشاشة الالكترونيّة التي تتنبّأ بحدوث أيّ عطل في المحطة، وعلي أثر ذلك تمّ إرسال مجموعة مكوّنة من سبعة من المهندسين والفنيين من ضمنهم خبير أجنبي إلي موقع المحطة في _ أمّ العيش _ لمعرفة أسباب العطل الفنّيّ المفاجيء، و كانت دهشة المجموعة هناك كبيرة عندما فوجئوا بوجود جسم أسطواني الشكل يفوق في حجمه الطائرة العاديّة، تعلوه قبّة حمراء اللون

يجثم علي الأرض علي بعد 250 متراً من المحطة، وكانت دهشتهم أكبر عندما توجّهوا إلي محطّة الضخ حيث وجدوا بابها مفتوحاً وجميع أجهزتها متوقّفة عن العمل دون ظهور أيّ سبب فنّيّ لهذا التوقف، ممّا أدّي إلي سريان الخوف والتوتّر في نفوس المجموعة، وقد حاولوا الاقتراب من الجسم إلاّ أنّهم تردّدوا خوفاً منه خلال دهشتهم، وبعد سبع دقائق أخذ الجسم الغريب بالارتفاع نحو الأعلي في كلّ هدوء وصمت حيث اختفي عالياً في الفضاء.

المنطقة العربية والأطباق الطائرة:

هذه الحادثة ليست الوحيدة من نوعها، فقد شهدت المنطقة العربية بشكلّ عام ظهور كثير من الأجسام الطائرة المجهولة الهويّة _ الأطباق الطائرة _ في السنوات الأخيرة الماضية في عام 1975، ذكرت وكالة اليونايتد بريس أنّ أجساماً طائرة غريبة ظهرت فوق سوريا والاردن والمغرب، وفي 29 آب من عام 1977م مرّ طبق طائر بسماء الكويت، وفي 9 حزيران من عام 1978 ظهر جسم طائر غريب أيضاً في سماء الكويت وشوهد من قبل مواطن كويتيّ، وفي 1 نيسان 1978 ظهرت أطباق طائرة بشكل مثير في سماء طهران في إيران علي ارتفاع 45 ألف قدم وسرعة طيرانها 5 آلاف كيلومتر في الساعة، وقد قدّر حجمها عشرين مرة بقدر حجم طائرة الجمبو الضخمة حسب تقادير برج المراقبة في مطار طهران. ولا ننسي الجسمين الطائرين اللذين ظهرا في قُطرنا هذا العام، ففي 5 آذار ظهر جسم طائر في محافظة الديوانية، وجسم طائر آخر في سماء محافظة أربيل كما أوردت ذلك وكالة الأنباء العراقية نقلاً عن مراسليها هناك، وغيرها من الحوادث التي لا تُحصي في شتّي بقاع العالم، وخاصة في الأرجنتين وتشيلي والهند والولايات المتحدة وبيرو و بوليفيا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي.

ص: 348

طبق طائر فوق الأراضي السوفيتية:

من الحوادث الأخري الغريبة والمشابهة لما حدث لمحطّة ضخّ النفط في الكويت تلك التي جائت في كتاب _ مشروع الكتاب الأزرق _ ومشروع كوندان _ وهو برنامج وضعته الحكومة الأمريكيّة أواخر الستّينات كان الهدف منه تشكيل فريق من العلماء والمختصّين لدراسة ظواهر الأجسام الطائرة المجهولة الهويّة (الأطباق الطائرة) يلاحظ عدّة صفات وظواهر مشتركة ومتشابهة، والعمل علي كشف الخرافات والأساطير التي تدور حولها. ومن الحوادث الغريبة التي ذكرها الكتاب ما حدث في الاتحاد السوفيتي عام 1961، تلك الحادثة التي أذهلت الخبراء والعلماء الأمريكان وأثارت دهشة البنتاجون الأمريكيّ، ففي صيف عام 1961 وأثناء إقامة قاعدة صاروخيّة جديدة ضمن الشبكة الدفاعيّة لمدينة موسكو ظهرت فجأة أجسام طائرة مجهولة بقيت محلّقة فوق قاعدة الصواريخ. كانت عبارة عن جسم كبير يشبه السيجار، أسطوانيّ الشكل، محاط بهالة من الأضواء، وحوله أجسام أصغر منه تحلّق معه. أصابت الدهشة قائد المركز الدفاعيّ فأسرع وأعطي أوامره بإطلاق القذائف علي الأجسام الطائرة وخاصّة الجسم الكبير منها، وعندما أطلقت الصواريخ كانت تنفجر كلّها قريباً من الجسم الكبير ولا تُصيبه، وحدث نفس الشيء عندما انطلقت الدفعة الثانية من الصواريخ، أمّا الدفعة الثالثة فلم يُكتب لها الانطلاق أصلاً، ذلك أنّ جميع الأجهزة الكهربائية التي تعمل القاعدة علي أساسها قد توقّفت عن العمل فجأة وبشكل لا تفسير له، تماماً كما حدث لمحطّة ضخّ النفط في الكويت.

وقد اتّضح للسوفيت بعد فترة طويلة أنّه لا علاقة للأمريكان بهذه

الحادثة الخارقة.

صفات مشتركة للأطباق الطائرة:

إنّ أيّ باحث أو متتبع لموضوع الأطباق الطائرة يلاحظ جملة من الصفات المشتركة فيها بينها، علي الرغم من اختلاف الزمان والمكان الذي تقع فيه الحوادث.

1_ إنّ الأجسام الطائرة الغريبة (الأطباق الطائرة) تظهر فجأة دون أن تكشفها أجهزة الرصد الأرضيّ والجويّ المتقنة _ وخاصة الرادار _ والتي أحرز الانسان فيها تقدماً كبيراً، وهذا يدلّ علي أنّ الأطباق الطائرة تسير علي نظام لا يخضع إطلاقاً للقوانين الأرضيّة، ذلك أنّها تملك قوّة وقدرة ذكية ومتطوّرة _ قياساً لتقدّم الانسان في مجال الفضاء _ تستطيع بها أن تدخل أيّ مكان في العالم دون أن يكشفها الرادار، تماماً كما حدث في الكويت والاتحاد السوفيتي الذي يملك أجهزة رادار ورصد متقدّمة جداً.

2_أشكالها وحركاتها متشابهة (أسطوانيّة، دائريّة، مضيئة، مشعّة، تدور حول نفسها...).

3 _ إن حادثة توقّف محطّة ضخّ النفط فجأة في الكويت ومحطّة إطلاق الصواريخ في الاتحاد السوفيتي بمجرد ظهور الأجسام يدلّ علي أنّها تمتلك قوّة متقدّمة جداً وغير معروفة، الأمر الذي يدلّ علي أنّها تعود إلي عقل ذكيّ ومتطوّر جداً.

إنّ الأمر في الواقع يحتاج إلي نظرة جديدة حول هذا الموضوع، فالأطباق الطائرة التي تظهر للإنسان تحاول أن تؤكّد له حقيقة واحدة، هي أنّنا لسنا وحدنا في الكون.

وممّا تحقّق أخيراً في النصف الأوّل من العام الحالي وهو عام 1379 هجرية: أنّ القمر _ وقد اعتبره جميع العلماء كوكباً ميّتاً _ ثبت أنّه ليس كذلك، فقد أعلن العالم السوفيتي (نيقولا كوزيريف) أنّ هناك نشاطاً بركانياً علي سطح القمر، ثمّ بعد أن أطلقت روسيا صاروخها (مونيك) في يناير 1959 الذي تجاوز الجاذبية الأرضيّة ومرّ بالقمر واتّخذ مداره حول الشمس، أعلن أنّه أمكن إثبات وجود بترول وغاز طبيعي في القمر، وهذه المادّة تتكوّن نتيجة تحلّل كائنات حيّة دُفنت أجيالاً متعددة، إذاً لقد ثبت أنّ القمر علي الأقلّ كان به أحياء، إن لم يكن به حتّي الآن. فهل الكواكب الأخري التي يقول عنها العلماء أنّ ظروفها لا

تساعد علي وجود الحياة، أي الحياة بمعناها ومظاهرها التي نعرفها نحن بني الانسان، يتّضح أنّها _ كالقمر _ كان بها، أو مازال بها حياة وأحياء.

هذا وقد أصدر العالمان الروسيان (أوبارني وفسنكوف) كتاباً عنوانه (الكون) بحثا فيه موضوع الكواكب الأخري وهل فيها حياة، وذلك علي أثر الأبحاث التي قام بها علماء الفلك والكيمياء والفضاء الكوني وعلي رأسهم العالم (أمير تسوميان) و (شاني)، ويقول الكتاب إنّه بعد عدد لا يُحصي من التجارب ثبت أنّ الحياة لا تنتقل من كوكب إلي آخر. وإنّما تتولّد من جديد وبشكل جديد يتّفق مع ظروف كلّ كوكب، وأنّ نشأة الحياة لم تكن مجرّد مصادفة، وأنّ هناك كثيراً من الكواكب المسكونة في هذا الكون.

ويقول الكتاب كذلك: إنّ الوقت الذي ينطلق فيه المستكشفون من الأرض إلي أعماق الفضاء بات قريباً، وإنّنا سنري في الكواكب عوالم خفيّة فيها أشكال الحياة العجيبة تتنفّس و تتطوّر وتتّجه دائماً نحو الكمال.

إنّ الصواريخ التي ترتفع من الأرض إلي الكواكب الأخري، والأطباق الطائرة التي تهبط من الكواكب إلينا، والنهضة الخطيرة التي نهض بها علم السفر في الفضاء، والطفرة التي استحدثها التقدّم الفكريّ في العلوم في حياة الانسان. كلّ ذلك سيجعل اليوم الذي تعرف فيه الكثير عن الحياة والأحياء في الكواكب قريباً، وأقرب ممّا كان الانسان يتصوّر. وسنعرف أن الامام علياً عليه السلام سبق العلم في تقريره:

«إنّ في السماء مدناً كمدنكم هذه تربط بينها أعمدة من نور».

***

حديث علي عليه السلام مع ذعلب:

وبالتالي لمّا قال عليه السلام «سلوني»: قام إليه رجل يقال له ذعلب، جاء في كتاب «مسند الامام علي» (تأليف مؤلف هذا الكتاب حسن السيّد علي القبانجي

النجفي، يقع هـذا المسـند في عشـر مجلدات، نسأل الله تعالي أن يوفّقنا لطبعه كما وفّقنا لتأليفه)(1) جاء في المجلّد الأول في باب إبطال الرؤية:

محمد بن أبي عبد الله رفعه، عن أبي عبد الله عليه السـلام قال: «بَيْنَا أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخْطُبُ عَلَي مِنْبَرِ الْكُوفَةِ إِذْ قَامَ إِلَيهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ذِعْلَبٌ ذَرِبُ اللِسَانِ بَلِيغٌ فِي الْخِطَابِ شُجَاعُ الْقَلْبِ فَقَالَ يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ هَلْ رَأَيْتَ رَبّكَ فَقَالَ وَيْلَكَ يَا ذِعْلَبُ مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ قَالَ: يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ رَأَيْتَهُ قَالَ وَيْلَكَ يَا ذِعْلَبُ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الأبْصَارِ وَ لَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإيمَانِ وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ إِنّ رَبّي لَطِيفُ اللَطَافَةِ فَلَا يُوصَفُ بِاللُطْفِ عَظِيمُ الْعَظَمَةِ لَا يُوصَفُ بِالْعِظَمِ كَبِيرُ الْكِبْرِيَآءِ لَا يُوصَفُ بِالْكِبَرِ جَلِيلُ الْجَلَالَةِ لَا يُوصَفُ بِالْغِلَظِ قَبْلَ كُلّ شَيْ ءٍ فَلَا يُقَالُ شَيْ ءٌ قَبْلَهُ وَ بَعْدَ كُلّ شَيْ ءٍ فَلَا يُقَالُ شَيْ ءٌ بَعْدَهُ شَآئِي الاشْيَآءِ لَا بِهِمّةٍ دَرّاكٌ لَا بِخَدِيعَةٍ هُوَ فِي الاشْيَآءِ كُلِّهَا غَيْرُ مُتَمَازِجٍ بِهَا وَ لَا بَآئِنٍ عَنْهَا ظَاهِرٌ لَا بِتَأْوِيلِ الْمُبَاشَرَةِ مُتَجَلٍّ لَا بِاسْتِهْلَالِ رُؤْيَةٍ بَآئِنٌ لَا بِمَسَافَةٍ قَرِيبٌ لَا بِمُدَانَاةٍ لَطِيفٌ لَا بِتَجَسُّمٍ مَوْجُودٌ لَا بَعْدَ عَدَمٍ فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَارٍ مُقَدّرٌ لَا بِحَرَكَةٍ مُرِيدٌ لَا بِهَمَامَةٍ سَمِيعٌ لَا بِآلَةٍ بَصِيرٌ لَا بِأَدَاةٍ لَا تَحْوِيهِ الاَمَاكِنُ وَ لَا تَصْحَبُهُ الاوْقَاتُ وَ لَا تَحُدُّهُ الصِّفَاتُ وَ لَا تَأْخُذُهُ السِّنَاتُ سَبَقَ الاوْقَاتَ كَوْنُهُ وَ الْعَدَمَ وُجُودُهُ وَ الإبْتِدَآءَ أَزَلُهُ بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ وَ بِتَجْهِيرِهِ الْجَوَاهِرَ عُرِفَ أَنْ لَا جَوْهَرَ لَهُ وَ بِمُضَآدّتِهِ بَيْنَ الاشْيَآءِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدّ لَهُ وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الاشْيَآءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ ضَادّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ وَ الْجَسْوَ بِالْبَلَلِ وَ الصّرْدَ بِالْحَرُورِ مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا مُفَرّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا دَالَّةً بِتَفْرِيقِهَا عَلَي مُفَرّقِهَا وَ بِتَأْلِيفِهَا عَلَي مُؤَلِّفِهَا وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزّ وَ جَلّ «وَمِن كُلّ شَيْ ءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ»(2) فَفَرّقَ بِهَا بَيْنَ قَبْلٍ وَ بَعْدٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لَا قَبْلَ لَهُ وَ لَا بَعْدَ شَاهِدَةً بِغَرَآئِزِهَا عَلَي أَنْ لَا غَرِيزَةَ لِمُغَرّزِهَا مُخْبِرَةً بِتَوْقِيتِهَا أَنْ لَا وَقْتَ لِمُوَقّتِهَا حَجَبَ بَعْضَهَا عَنْ

1- وقد طبع الكتاب بعد شـهادة المؤلف في الجمهورية الإسـلامية وفي بيروت، كما حصل علي أكثر من جائزة علمية وتقديريّة، وقد عني سبطه سماحة الشيخ طاهر السلامي بمراجعته وتصحيحه مشكورا.

2- الذاريات: 49.

بَعْضٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لَا حِجَابَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ غَيْرُ خَلْقِهِ كَانَ رَبًّا إِذْ لَا مَرْبُوبٌ وَ إِلَهًا إِذْ لَا مَأْلُوهٌ وَ عَالِمًا إِذْ لَا مَعْلُومٌ وَ سَمِيعًا إِذْ لَا مَسْمُوعٌ.

ثمّ أنشأ عليه السلام يقول:

ولم يزل سيّدي بالحمد معروفا *** ولم يزل سيّدي بالجود موصوفا

وكنت(1) إذ ليس نور يستضاء به *** ولا ظلام علي الآفاق معكوفا

وربّنا بخلاف الخلق كلّهمُ *** وكلّ ما كان في الأوهام موصوفا

ومن يُرده علي التشبيه ممتثاً *** يرجع أخا حصر بالعجز مكتوفا

وفي المعارج يلقي موج قدرته *** موجاً يعارض طرف الروح مكفوفا

فاترك أخا جدلٍ في الدين منعمقاً *** قد باشر الشكّ فيه الرأي مأووفا

واصحب أخا ثقة حبّاً لسيده *** وبالكرامات من مولاه محفوفا

أمسي دليل الهدي في الأرض منتشراً *** وفي السماء جميل الحال معروفا(2)

ثمّ قال عليه السلام: سلوني! فقام إليه رجل من أقصي المسجد متوكّئاً علي عكّازة فلم يزل يتخطّي الناس حتّي دنا منه، فقال: يا أمير المؤمنين دُلّني علي عمل إذا أنا عملتُه نجّاني الله من النار وأدخلني الجنّة. فقال له عليه السلام: «اسمع يا هذا ثمّ افهم ثمّ استيقن، قامت الدنيا بثلاثة: بعالمٍ ناطق مستعمل لعلمه، وبغنيٍّ لا يبخل بماله علي أهل دين الله عزّوجَل، وفقير صابر، فإذا كتم العالمُ عِلمه وبخل الغنيّ ولم يصبر الفقير فعندها الويل والثبور، وعندها يعرف العارفون الله أنّ الدار قد رجعت إلي بدئها (أي إلي الكفر بعد الايمان)، أيّها السائل فلا تغترّنّ بكثرة المساجد وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتّي، أيّها السائل إنّما الناس ثلاثة: زاهد وراغب وصابر، فأمّا الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن علي شيء منها فاته، وأمّا الصابر فيتمنّاها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها

1- في بعض النسخ: «وكان».

2- التوحيد: 308 - 309/ ح 2؛ ورواه الكليني في الكافي ولم يذكر الشعر. الكافي 1: 138 - 139/ ح4.

نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها، وأمّا الراغب فلا يبالي من حِلٍّ أصابها أم من حرام. قال: يا أمير المؤمنين فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: ينظر إلي ما أوجب الله عليه من حقّ فيتولاّه، وينظر إلي ما خالفه فيتبرّأ منه وإن كان حبيباً قريباً، قال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، ثمّ غاب الرجل فلم نره، وطلبه الناس فلم يجدوه، فتبسّم علي عليه السلام علي المنبر ثمّ قال: ما لكم، هذا أخي الخضر عليه السلام».(1)

كلام الإمام علي عليه السلام مع ابن الكوا:

وفي (مسند الإمام علي عليه السلام) في باب «سلوني» عن الأصبغ بن نباتة قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام علي منبر الكوفة، فحمد الله وأثني عليه، ثم قال: «أيّها الناس سلوني، فإنّ بين جوانحي علماً جمّاً، فقام إليه ابن الكوّا فقال: يا أمير المؤمنين ما الذاريات ذرواً؟ قال: الرياح. قال: فما الحاملات وقراً؟ قال السحاب. قال: فما الجاريات يُسراً؟ قال: السفن. قال: فما المقسّمات أمراً؟ قال: الملائكة. قال: يا أمير المؤمنين وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً. قال: ثكلتك أمّك يا ابن الكوّا! كتاب الله يصدّق بعضُه بعضَه ولا ينقض بعضه بعضاً، فسَلْ عمّا بدا لك».

قال: يا أمير المؤمنين سمعتُه يقول: «رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ»(2) وقال في آية أخري: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»(3) وقال في آية أخري: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»(4) قال: ثكلتك أمّك يا ابن الكوّا! هذا المشرق وهذا المغرب. وأمّا قوله: «ورب المشرقين ورب المغربين» فإنّ مشرق الشتاء علي حِدة ومشرق الصيف علي حدة، أما تعرف بذلك من قُرب الشمس وبُعدها؟ وأمّا قوله: «رَبِّ الْمَشَارِقِ

1- التوحيد للصدوق: 304 - 307/ح 1 (حديث ذعلب).

2- المعارج: 40.

3- الرحمن: 17.

4- الشعراء: 28؛ المزمل: 9.

وَالْمَغَارِبِ» فإنّ لها ثلثماءة وستّين بُرجاً، تطلع كلّ يوم من برج وتغيب في آخر فلا تعود إليه إلاّ من قابل في ذلك اليوم.

قال: يا أمير المؤمنين كم بين موضع قدمك إلي عرش ربك؟ قال: ثكلتك أمُّك يا ابن الكوّا! سَل متعلّماً ولا تسأل متعنّتاً، من موضع قدمي إلي عرش ربّي أن يقول قائل مُخلصاً: «لا إله إلا الله».

قال: يا أمير المؤمنين فما ثواب من قال: «لا إله إلا الله»؟ قال: من قال: «لا إله إلا الله» مخلصاً طُمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرقّ الأبيض، فإن قال ثانية «لا إله إلا الله» مخلصاً خرقت أبواب السماوات وصفوف الملائكة حتّي تقول الملائكة بعضها لبعض: اخشعوا لعظمة الله، فإذا قال ثالثة «لا إله إلا الله» مخلصاً تنته دون العرش، فيقول الجليل: اسكني فو عزّتي وجلالي لأغفرنّ لقائلك بما كان فيه، ثمّ تلا هذه الآية: « إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ»(1) يعني إذا كان عمله صالحاً ارتفع قوله وكلامه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قوس قزح؟ قال: ثكلتك أمّك! لا تقل (قوس قزح) فإنّ قزحاً اسم شيطان، ولكن قُل: (قوس الله)، إذا بدت يبدو الخصب و الريف.

قال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن المجرّة التي تكون في السماء؟

قال: هي شرج في السماء، وأمان لأهل الأرض من الغرق، ومنه أغرق الله قوم نوح بماء منهمر. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن المحو الذي يكون في القمر؟ قال عليه السلام: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، رجل أعمي يسأل عن مسألة عمياء، أما سمعت الله تعالي يقول: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً»؟ (2) قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب رسول

1- فاطر: 10.

2- الإسراء: 12.

الله صلي الله عليه وآله. قال: عن أيّ أصحاب رسول الله تسألني؟ قال: يا أمير المؤمنين عن أبي ذر الغفاري. قال عليه السلام: سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء علي ذي لهجة أصدق من أبي ذر» قال: يا أمير المؤمنين فأخبرني عن سلمان الفارسي؟ قال: بخ بخ سلمان منّا أهل البيت، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم، عَلِم عِلم الأوّل والآخر. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن حذيفة بن اليماني. قال: ذلك امرؤٌ علم أسماءالمنافقين، إن تسألوه عن حدود الله تجدوه بها عالماً. قال: يا أمير المؤمنين فأخبرني عن عمّار بن ياسر؟ قال: ذاك امرؤٌ حرّم الله لحمه ودمه علي النار أن تمسّ شيئاً منها. قال: يا أمير المؤمنين فأخبرني عن نفسك؟ قال كنتُ إذا سألتُ أعطيت، واذا سكتُّ ابتُديت. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عزّوجَل: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» الآية؟ قال: كفرت أهلُ الكتاب اليهود والنصاري وقد كانوا علي الحقّ، فابتدعوا في أديانهم وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، ثمّ نزل عليه السلام عن المنبر وضرب بيده علي منكب ابن الكوّا، ثمّ قال: يا ابن الكوّا وما أهل النهروان منهم ببعيد. فقال: يا أمير المؤمنين ما أريد غيرك ولا أسأل سواك. قال: فرأينا ابن الكوّا يوم نهروان، فقيل له: ثكلتك أمك! بالأمس تسأل أمير المؤمنين عمّا سألته وأنت اليوم تقاتله، فرأينا رجلاً حمل عليه فطعنه فقتله.(1)

***

علي عليه السلام وآخرالزمان:

قال عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» فقام إليه صعصعة بن صوحان وميثم التمار و كميل بن زياد و عمر بن صالح، فقالوا: سيّدنا حدِّثنا بما يجري في آخر الزمان، فإنّ حديثك يُحيي قلوبنا ويزيد في إيماننا.

1- الاحتجاج 1: 385 - 388.

قال: نعم، سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: ستجتمع في آخر الزمان في أمّتي مائة خصلة لم تجتمع في غيرها من الأمم: يكون منهم قوم لهم وجوه جميلة وضمائر رديّة، من رآهم أعجبوه، ومن عاملهم ظلموه، الوجوه وجوه الآدميّين والقلوب قلوب الشياطين، هم أمرّ من الصبر وأنتن من الجيفة وأهرش من الكلب وأروغ من الثعلب، لا يتناهون عن منكر فعلوه، إن حدّثتهم كذّبوك، وإن ائتمنتهم خانوك، وإن كان لك مال حسدوك، وإن بخلت عليهم هلبوك، سمّاعون للكذب، أكّالون للسحت، يستحلّون الزنا والخمر والمعاني والطرب، الفقير بينهم هالك، والقويّ عندهم مالك، ويطيع الرجل زوجته ويعصي والديه، ويكثر ما بينهم سفك الدماء، فتقلّ المكاسب وتختلف المذاهب، ويحكم فيهم كلّ سلطان جائر، وشُربت الخمور، ورُكبت الذكور، واكتفت الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وعلت الفروج السروج، ويتشبّهنّ بالرجال، وتحجّ الناس علي ثلاثة أقسام: الأغنياء للنُزهة، والأوساط للتجارة، والفقراء للمسألة، فيختبط الإسلام وتظهر دولة الصبيان، مساجدهم معمورة بالأذان وقلوبهم خالية من الإيمان، فإذا دخلت السوق لم تسمع إلاّ ذامّاً لربّه، هذا يقول: لم أبع شيئاً، وهذا يقول: لم أربح شيئاً؛ إلي أن قال عليه السلام: فإذا اجتمعت هذه الخصال توقّعوا ظهور القائم عجل الله تعالي فرجه الشريف.(1) وهذا الباب واسع من أراد الزيادة فليرجع إلي كتابنا الكبير (مسند الإمام علي) في باب «سلوني قبل أن تفقدوني».

***

1- قد وردت روايات كثيرة من هذا الحديث في تفسير القمّي 2: 307 في حديث رسول الله صلي الله عليه وآله لسلمان الفارسيّ رَضي الله عَنهُ.

من كلام له عليه السلام: في مدح الكوفة

«كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وَ تُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَ رَمَاهُ بِقَاتِلٍ» (ابن ابي الحديد مج 1 ط 1 ص286).

***

ضبط الألفاظ اللغوية:

الأديم: الجلد المدبوغ الذي لم تتمّ دباغته، وعُكاظ _ بالضمّ _ موضع بناحية مكّة كانت العرب تجتمع فيه في كلّ سنة ويقيمون به سوقاً مدّة شهراً، ويتعاكظون أي يتفاخرون ويتناشدون الشعر، ويُنسب إليه الأديم لكثرة البيع فيه.والعرك: الدلك والحكّ، وعركه أي حمل عليه الشر، وعركت القوم في الحرب: إذا مارستهم حتّي أتعبتهم.

***

الشرح:

إنّ هذا الكلام من جملة ما أخبر به عليه السلام من المغيّبات، فقد بيّن فيه حال الكوفة وحال أهلها وتجاذب أيدي الظالمين وتسلّطهم عليهم بالظلم والعدوان.

وفي قوله عليه السلام: «كأنّي بك يا كوفة» إشارة إلي أن المخبَر به لا محالة واقع، ووقوعه مشاهد بعين اليقين. وقوله: «تُمدين مدّ الأديم العُكاظيّ» وجه الشبه شدّة ما يقع بأهلها من الظلم والبلاء، كما أنّ الأديم العكاظيّ مُستحكم الدباغ شديد المدّ.

وقوله: «تُعركين بـالنوازل وتركبين بالزلاـزل» أراد بهمـا الشدائـد والمصائب التي نزلت بأهل الكوفـة والظلم والبلايا التي حلّت بها وأوجبت اضطراب أهلها، وهي كثيرة مذكورة في كتب السير والتواريخ.

وقوله: «و إنّي لأـعلم أنّه مـا أراد بـك جبّارٌ سوءاً» إشارة إلي تحقيق وقوع المخبر به، يعني أنّه معلوم بعلم اليقين أنّه ما أراد بك جبار سوءاً إلاّ ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل.

قـال ابن أبي الحديـد المعتزلي: فأمّـا ما همّ به الملوك وأرباب السـلطان فيها من السوء ودفاع الله تعالي عنها فكثير. قال المنصور لجعفر بن محمد الصادق عليه السـلام: إنّي قد هممتُ أن أبعث إلي الكوفة من ينقض منازلها ويجمّر نخلها ويستصفي أموالها ويقتل أهل الريبة منها، فأشِر عليَّ. فقال عليه السـلام: يا أمير المؤمنين إنّ المرء ليقتـدي بسـلفه، ولك أسـلاف ثلاثـة: سـليمان أعطي فشـكر، وأيوب ابتُلي فصبر، ويوسف قَدَر فغفر، فاقتدِ بأيّهم شئت.

فصمت قليلاً ثمّ قال: قد غفرت.

وروي أبو الفرج عبـد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتـاب المنتظم: إنّ زياداً لمّا حصـبه أهل الكوفـة وهو يخطب علي المنبر قطع أيـدي ثمانين منهم، وهّم أن يخرّب دورهم ويجمّر نخلهم، فجمعهم حتّي ملأ بهم المسـجد والرحبة يعرضـهم علي البراءة من علي عليه السلام، وعلم أنّهم سـيمتنعون فيحتـجّ بـذلك علي استئصـالهم وإخراب بلـدهم. قـال عبـد الرحمن بن السائب الأنصاري: فإنّي لمع نفر من قومي والناس يومئذ في أمر عظيم، إذ هوّمتُ تهويمة فرأيت شـيئاً أقبل طويل العنق مثل عنق البعير أهدر أهدل، فقلت: ما أنت؟ فقال: أنا النقّاد ذو الرقبـة بُعثت إلي صـاحب هـذا القصـر، فاستيقظت فزعاً فقلت لأصـحابي: هل رأيتم ما رأيت؟ قالوا: لا، فأخبرتهم، وخرج علينا خارج من القصـر فقال: انصـرفوا فإنّ الأمير يقول لكم: إنّي عنكم اليوم مشغول، وإذا بالطاعون قد ضربه، فكان يقول: إنّي لأجد في النصف من جسدي حرّ النار، حتّي مات، فقال عبد الرحمن بن السائب:

ما كان منتهياً عمّا أراد بنا *** حتّي تناوله النقّاد ذو الرقبهْ

فأثبت الشقّ منه ضربة عظمت *** كما تناول ظلماً صاحب الرحبه(1)

وابنه عبيد الله وقد أصابه الجذام، والحجّاج بن يوسف وقد تولّدت الحيّات في بطنه حتّي مات، وعمر بن هبيرة وابنه يوسف وقد أصابهما البرص، وخالد القسريّ وقد حُبس وضُرب فطوّلت مدّته في الحبس حتّي مات جوعاً.

الكوفة وفضلها:

وفي قوله عليه السلام: «ما أراد بك جبّار سوءاً إلاّ ابتلاه الله» إشعار بمدح الكوفة وفضلها وأنّها المدينة المقدّسة.

ولا غرو فقد كانت قاعدة للعلم، ومركزة للسياسة الإسلاميّة، وعاصمة للخلافة الكبري، ودار هجرة المسلمين. و كفاها فخراً ما رواه أبو سعيد الخدريّ عن النبي صلي الله عليه وآله «الكوفة جُمجمة العرب ورُمح الله وكنز الإيمان»(2) وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «نعمت المدرة، إنّه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً وجوههم في صورة القمر»(3) وقوله: «مدينتنا ومحلّتنا ومقرّ شيعتنا».(4) وقال الصادق عليه السلام: «اللهمّ ارمِ مَن رماها، وعادِ من عاداها»(5) وقوله: «تربة تحبنّا ونحبّها».(6)

وعن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا علي أبي عبد الله الصادق عليه السلام فسلّمنا عليه وجلسنا بين يديه، فسألنا: من أنتم؟ قلنا: من أهل الكوفة، فقال: أما إنّه ليس من بلد من

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 3: 198 - 199.

2- فضل الكوفة للشريف العلوي: 72، وفيه: «الكوفة جمجمة الإسلام، وكنز الإيمان، وسيف الله ورمحه، يضعه الله حيث يشاء...».

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 3: 198.

4- نفس المصدر.

5- نفس المصدر.

6- نفس المصدر.

البلـدان أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفـة، ثمّ هـذه العصابـة خاصّ، إنّ الله هداكم لأمرٍ جهله الناس، أحببتمونا وأبغضـنا الناس، وصدّقتمونا و كـذّبنا الناس، واتّبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا، ومماتكم مماتنا.(1) وقول سلمان الفرسي رَضي الله عَنهُ: «أهل الكوفة أهل الله، وهي قبّة الإسلام يحنّ إليها كلُّ مسلم».(2)

إذاً فلا بـدع من أن تكون الكوفـة مركزاً للأدب والعلم، ومدرسـة للثقافـة، وجامعة يأوي إليها مختلف طبقات الناس من كل فجّ عميق، ولقد ازدلفت إليها زرافات من خيار الصحابة ورجالات التابعين وروّاد العلم وحفّاظ الحديث، فكان منهم قضاة، وكان منهم نقباء، وذلك ممّا زاد في قيمتها التاريخية وأهميّتها العلميّة، كما أنّها أنجبت علماء وأدباء وشعراء هم مفاخر التاريخ الإسلامي وغرّة واضحة في جبهة الدهر.

الكوفة رائدة الأدب العربي:

كانت الكوفة _ ولا سـيّما في العصـر الأمويّ _ ملتقي العلماء والأدباء والشـعراء، يزدحمون في المسـجد الأعظم وغيره من الجوامع العامّة والنوادي والمحافل للمفاخرة والمناظرة، وكان أشراف الكوفة يخرجون إلي ضواحيها أيضاً لمثل هذا الغرض، لما كان في ضواحيها من جالية العرب وأهل البادية من القبائل التي نزحت إلي هناك بعد الإسـلام، فكانت الكوفة وضواحيها يومئذ كسوق عُكاظ في الجاهليّة، تتألّف فيها من فحول شـعرائها حلقات المناشدة والمفاخرة ومجالس العلم والأدب، وكان الشـعر في الكوفة أكثر منه في البصـرة، وقد وقف المختار بن أبي عبيدة في أثناء حروبه بالعراق علي أشعار مدفونة في القصر الأبيض بالكوفة،وذلك ممّا يدلّ علي عناية الكوفيّين بالشعر.

1- الكافي 8: 236 /ح 316.

2- معجم البلـدان للحموي 4: 492. وروي ابن أبي شـيبة في المصنّف 7: 554 /ح 12 عن سـلمان قال: الكوفة قبّة الإسـلام، يأتي علي الناس زمان لا يبقي فيها مؤمن إلاّ بها أو قلبه يهوي إليها.

في الكوفة احتكّ العرب بغيرهم من الأمم المتمدّنة، وفيها اشتغل المسلمون بجمع أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم، وفيها وُلدت الآداب اللسانيّة، فتكاثرت فيها الأندية الأدبيّة، وذلك من أهمّ البواعث علي زهو الشعر فيها، فلا غرو إذا نبغ فيها الشعراء والأدباء أمثال الكميت بن زيد الأسدي، وأبي الطيّب المتنبّي، وأبي العتاهية، ودعبل الخزاعي، وحمّاد عجرد وحمّاد الراوية وغيرهم من فطاحل الشعراء.

ومن المعتقد أنّ شعراء السياسة في الكوفة أكثر من غيرهم من سائر الطبقات، إذ قلّما نبغ شاعر لم يتعرّض لحزب من الأحزاب التي كانت مؤلّفة فيها يومئذ، لا سيّما والكوفة كانت معروفة بأنها علويّة المبدأ علي الأكثر، فكان فيها من أنصار العلويّين والهاشميّين ومن أنصار الأمويّين، وفيها من أنصار الخوارج وآل المهلّب وغيرهم.

وإنّ من يلقي نظرة في التاريخ الإسلاميّ في العهد العبّاسيّ الأوّل يري أنّ سوق المناظرة والمفاخرة كانت رائجة بين الكوفيّين والبصريّين في مسائل شتّي في الفقه والنحو والأدب واللغة وغيرها، الأمر الذي كوّن المنافرة بين الفريقين بالطبع، وانتمت إلي كلّ مذهب طائفة، حتّي قيل: (مذهب الكوفيّين ومذهب البصريّين).

وكان خلفاء الدولة العباسيّة يقدّمون الكوفيّين لأنّهم كانوا من أنصارهم لمّا قاموا لطلب الخلافة في الكوفة، فكانوا يقرّبونهم دون البصريّين، ويختارون منهم أساتذة لأولادهم: فالكسائيّ والفرّاء والمفضّل الظبّي والشرقي بن القطامي كلّهم من أهل الكوفة وقد علّموا أبناء الخلفاء.

وقد جرت مفاخرة طويلة بين أبي بكر الهذلي البصري وبين أبي العيّاش بالكوفة بمحضر أبي العباس السفاح، وكلّ يتعصّب لبلده فيصفها بكلّ ما في وُسعه من الصفات الفاضلة، فنري أبا العباس يتعصّب لأبي عيّاش الكوفي ويقول بعد انتهاء المفاخرة: «الكوفة بلاد الأدب ووجه العراق ومبزغ أهله، وهي غاية الطالب ومنزل خيار الصحابة وأهل الشرف، وإنّ البصرة لأشيه الناس بهم».

مرّت علي الكوفة أدوار متناقضة مُنيت خلالها بحروب وحوادث مدهشة،

فكانت الأفكار فيها تتضارب والنزعات تتخالف، فربّما أخـذت الحقائق بأعضاد ذويها، وربّما ساعـدت الحظوظ وثّابة النهمة والشـره، وكلّما خبا ذِكر أحد الفريقَين تربّص الفريق الآخر به الدوائر حتّي تتضاءل مِرّةُ صاحبه وتلين قوّته، ولم يزل تباين الخطط بهذه العاصـمة حتّي حكم عليها بالتدمير وألحقها بحديث أمس الدابر.

مسلم بن عقيل وأهل الكوفة:

نعم انتابتها سلسلة حوادث، أشهرها حادثة مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام ورسوله إلي أهل الكوفة، فقد دخلها سنة ستّين للهجرة طالباً البيعة للإمام الحسين، فبايعه أهل الكوفة بيعة واحدة، ثمّ ما أسرع أن تفرّقوا عنه عندما دخلها ابن زياد.

يروي ابن اعثم الكوفي عن ابن اسحاق صاحب المغازي وابن هشام وغيرهم: أنّ أهل الكوفة لما تفرّقوا عن مسلم بن عقيل عليه السلام وبقي وحيداً امتطي ظهر جواده وهمّ بالخروج من الكوفة، إلاّ أنّه بقي يتردّد في شوارعها لعدم اهتدائه الطريق المنهي إلي خارجها، وبينما هو يسير إذ عرض له سـعيد بن أحنف فعرف مسـلماً بشـمائله، فاسـتوقفه وسأله عن سبب خروجه هذا وأنّه علي خلاف الغرض الذي جاء له، فقال له مسـلم: إنّي لما يأست من الجماعـة الـذين بايعوني وتفرّقوا عني صـمّمت علي ترك الكوفـة عَلّي أري جماعـة يُبايعوني ولا ينكثون، فقال له سعيـد: لا يكون ذلك أبداً لأنّ القوم أخذوا عليك الطرق، وبثّوا الأرصاد والعيون والحرس من أجلك، فإذا وقعت عليك أعينهم قبضوك قبض اليد، فقال مسـلم، إذن ما الرأي؟ قال: الرأي أن نذهب سويّة إلي دارٍ آمنة ومكان حصـين لا يطّلع علينا أحد من القوم. فأجابه مسـلم ومضيا حتّي انتهيا إلي دار محمد بن كثير.

وما أن شـعر بهما محمد حتّي انكبّ علي أقدام مسـلم يقبّلهما وهو يقول: ما أسـعدني ومن مثلي! فقد حظوتُ بالدين والدنيا، وكانت في دار محمد مواضع خفيية

واقيـة قلّمـا يهتـدي أحـد لمعرفـة من بها، ولكنّ الحرس الكثير والعيون المتطايرة والإرصادات المبثوثـة اسـتطاعت أن تكشف هـذا الخبر، وسـرعان ما طيّر إلي ابن زياد وما كان أشـدّ فرحه بذلك، وبالفعل أمر ابنه خالد أن يصـحب معه فوجاً من العسـكر وأن يطوّقوا دار محمد بن كثير، وهكـذا كان، ولمّا لم يكن مع محمد من الأعوان ما يكتفي بهم لصدّ هذا العمل فقد قُبض عليه وعلي ابنه بسـهولة وبُعثا إلي ابن زياد، غير أنّه خفي عليهم موضع مسلم، وكلّما فتّشوا عليه زادوا بمقامه جهلاً وضلالاً، فراجع خالد دار الأمارة بذاك وأطلعها علي الحال.

ومن الجهة الثانية فإنّ سـليمان بن صـرد الخزاعي والمختار بن أبي عبيدة الثقفي وورقاء بن عازب وجماعة من أشـراف أهل الكوفة لمّا علموا بخبر محمد وأنه أخذ هو وابنه صـمّموا علي أن يكوّنوا لهم أتباعاً وأعواناً ويهاجموا دار الامارة ويُنقذوا محمداً وابنه، وأن يخيّموا خارج الكوفة ويُعلنوا نصـرة الحسـين عليه السـلام ويكوّنوا جيشاً قويّاً علي أعـدائه. هذا ما تآمروا عليه وصـمّموا علي تنفيذه صـبح اليوم التالي. إلاّ أنّ من القضاء والقدر أن قدم عامر بن الطفيل مع عشرة آلاف جنديّ من عسكر أهل الشام قبل طلوع فجر تلك الليلة خاضعين لأوامر ابن زياد، فسُرّ ابن زياد بـذلك سـروراً عظيماً، وفي صبيحة تلك الليلة أحضـر ابن زياد محمد بن كثير فسـبّه وشـتمه ما شاء، فقال له محمد: لستُ بالمكان الـذي اسـتحقّ من مثلك كلّ هذا الشـتم، ولستَ بالمحلّ الذي تقتدر أن تشـتم مثلي،فما أنت إلاّ لئيم حسبٍ خسـيسُ نسبٍ ألصـقت بأبي سفيان إلصاقاً، وشرّ ما أولد هذا الإلصاق من الفساد والشر والفتن بين المسلمين، فإنّما أنت نغل وابن زنا.

وبينمـا همـا بالكلاـم إذ علت أصوات الرجال و كثر الهتاف والغوغاء، وإذا هم بأربعين ألف رجل أو أكثر يحاصـرون دار الامارة علي أتمّ ما يكون من الاستعداد لمواجهة الطوارئ الحادثة، فلم يُبالِ ابن زياد ولم يُرعه ذلك، بل استمر مع محمد بن كثير واسترسل بجبروته وغطرسته، فأقسم لابن كثير برأس يزيد أن لا مزيد علي هذا الاعتداء، وأن يسلّم مسلم بن عقيل لا محالة وإلاّ

جعله طُعمة لحدّ السيوف. فقال له ابن كثير: لا، لستَ بالمقام الذي تتمكّن به من مسّ شعرة من بدني فضلاً عن إراقة قطرة من دمي.

وكان ابن زياد مغضباً في تلك الساعة، إلاّ أنّه بعيد نظر بعاقبة الأمر، فخفّف من غلوائه فجأة وألان طرفاً من لسانه حالاً مع ابن كثير، فقال له: حسناً فلتعرف هل روحك أعزّ عليك أم روح مسلم بن عقيل؟ فقال ابن كثير: أمّا روح مسلم فلها من خالقها وبارئها من يحميها وينصرها، وأمّا روحي فبينها وبين أن تُسلب ثلاثون ألفاً من السيوف المخضّبة بدماء صناديد الرجال.

وهاج بابن زياد غضبه واتّقدت عيونه، فنظر ما حوله فلم يجد إلاّ دواة ضرب بها جبهة محمد فتكسّرت أوصالاً، وسالت دماء محمد علي وجهه ولحيته فجرّد سيفه وحمل علي ابن زياد، فصرخ ابن زياد صرخة دوي لها كلّ من في دار الامارة من الجنود والغلمان، و حالت أشراف من الكوفة بين محمد وبين ابن زياد، إلاّ أنّ معقلاً الذي كان هاني بن عروة جرحه قبل هذا هجم علي محمد، فاستقبله محمد استقبال الأسد لفريسته، فضربه ضربة واحدة شطرته شطرين، فثار ابن زياد و ترك وسط المجلس وتجنّب ناحية منه، ثمّ صاح بغلمانه وحاشيته أن دونكم الرجل! فانثالوا علي محمّد وابنه بأسيافهم من كلّ جانب، وكان محمّد يقاتلهم ويُضاربهم ذات اليمين مرّة وذات الشمال أخري، وأماماً تارة و خلفاً أخري، حتّي عثرت رجله بحبل الشاذروان فسقط علي الأرض، فانكبّ عليه الحرس والغلمان انكبابة واحدة ما أمهلوه بها حتّي قضوا عليه.

وأمّا ابنه فاستمر علي قتال القوم متّجهاً نحو باب دار الامارة، وقتل في الأثناء عشرين أو أكثر، فلمّا كان قريباً من الباب طعنه أحد الغلمان من خلفه طعنه أكبّه علي وجهه، فتلاقفوه بالسيوف والرماح حتّي قُتل رَحمه اللهُ.

وكان أهل الكوفة والجند الشامي في تلك الأثناء في تضارب و تصادم وتسايف و تنابل، فضجّ الجيش الشامي من جري الكوفيين وشدّة مقاومتهم،

فشكوا ذلك إلي ابن زياد، فقال لهم: إنّ أهل الكوفة يشدّون حرصاً علي محمد وابنه فارموا برأسيهما إليهم، فإذا رأوهم تفتر حركتهم ويسكن هياجهم، فُرمي الرأسان للناس من أعلي القصر، فما اكترث الناس بقتلهما بل اشتدّوا و داموا يحاربون الجيش حتّي حجزهم الليل وعاد كلّ منهم إلي داره ولم يبق منهم بباب القصر أحد، وكان ابن زياد غير آمن من هياج الكوفة عليه وانتصارها لمسلم، فجدّ في أثر مسلم وبثّ الأرصاد أيضاً والعيون عليه.

ولمّا انتهي خبر هذه الوقعة إلي مسلم ترك دار محمد بن كثير وخرج، إلاّ أنّه لا يدري أين يتّجه، وجيش ابن زياد أخذ الطرق عليه، وكان عدده اثني عشر ألف وُزِّعوا في طرق الكوفة وشوارعها، وكان بين كلّ الفرق والأقسام إشارات خاصّة يجتمعون بمجرد المبادرة لها. فقصد مسلم جهة من الجهات من دون أن يعلم ما هي وإلي أين تنتهي، وبينما هو سائر اذ عرض له قسم من هذه الأقسام، فصاحوا به: من أنت وإلي أين تريد؟ فقال: إنّي رجل من فزارة أريد الرواح إلي قبيلتي. فقالوا له: ارجع لا يمكن العبور من ههنا، فترك هذا الطريق وأخذ محلّة دار البيع فعارضه خالد بن عبيد الله بن زياد في ألف رجل فلم يُفسحوا له، فترك هذا الطريق أيضاً، فرجع وأخذ طريق الكناسة فعارضه الخادم الشامي في ألفي رجل، فرجع وأخذ طريق السوق، إلاّ أن رجلاً يقال له «الحراث» التفت إلي رجوع مسلم بسرعة من طريق الكناسة وأخذه طريق السوق فقطع أنّه هو مسلم بعينه، فمضي مسرعاً إلي دار الامارة ـ وكان الليل قد أوشك أن يصبح ـ وقال لنعمان الحاجب: إنّ مسلماً قصد السوق الفلاني راكباً فرسه متوجّهاً إلي باب البصرة، فركب نعمان من وقته ومعه خمسون فارساً وقصد السوق، فطرق سمع مسلم وقع حوافر الخيل فعرف أنّهم في طلبه، فلم يَر بُدّاً من أن يترجّل ويهمز جواده خالياً، وهكذا فعل ومرّ الجواد يسارع في الشوارع، فلحقه نعمان مع فوارسه حتّي ظفروا به في محلّة الحلاّجين خالياً فأخذوه إلي ابن زياد وأعلموه الحال، فبعث ابن زياد برجاله وحراسه إلي رؤوس المحلات ومفارق الطرق ومعابر الناس ومداخل الأسواق فأقامهم فيها، وأمر المنادي أن

يُنادي في الناس كافّة أنّه: من دلّنا علي مسلم أو عرّفنا بمكانه أو جاء به إلينا فله منّا المكافأة الجزيلة والعطايا الوفيرة والمنزلة الرفيعة والمرتبة السامية وغير ذلك، ممّا بعث بمحبّي المال والجاه وعشّاق الذهب والفضة أن يصبحوا له عيناً واحدة علي مسلم، يتجسّسون عليه في الصبح المضيء والليل المظلم.

وأمّا مسلم فبعد مغالطة نعمان وفرسانه أخذ يمشي في الأزقّة والطرق جائعاً عطشاناً لا يهتدي لسبيل ولا يركن إلي دليل، وخاف أن يظفر به الناس، فرأي في أحد الشوارع مسجداً خرباً فالتجأ إليه وقضي بياض نهاره فيه، حتّي إذا جنّ الليل قام وأخذ يجوب الطرق وكلّها مسدودة في وجهه سدّاً محكماً، وكان عبوره بمحلّة ابن جبلة من كندة فوقع نظره علي دار عالية البنيان جلس أمامها يستريح بعض الشيء ممّا حلّ به، وكانت الدار لأم ولد يقال لها طوعة كانت قبلاً تحت الأشعث بن قيس، ولمّا طلّقها صارت تحت أسيد الحضرمي وأولدها غلاماً إسمه بلال.(1)

***

1- انظر قصّة شهادة مسلم عليه السلام في الإرشاد 2: 39 - 66؛ تاريخ الطبري 4: 263 - 284؛ بحار الأنوار 44: 343 - 354.

من خطبة له عليه السلام :يوصي بالوفاء وعدم القدر ويذكر سوء عصره

اشارة

«إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَلاَ أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَي مِنْهُ وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَان قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلي حُسْنِ الْحِيلَةِ مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ قَدْ يَرَي الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَ نَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْن بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ».(شرح النهج لابن أبي الحديد مج1، ص216، ط الأولي).

***

ضبط الألفاظ الغريبة:

(التوأم) معروف، يقال هـذا توأم هـذا، وهـذه توأم هـذه، وهما توأمان. (والجنّة) بالضم الترس. و(الكيس) الفطنة والعقل. (والحوّل القُلّب) البصـير بتقليب الأمور وتحويلها. (والانتهاز) المبادرة، يقال انتهز الفرصـة: اغتنمها وبادر إليها. (والحريجة) التحرّج والتأثّم، أي التحرّز من الحرج والاثم.

***

المعني لهذه الفقرات النيّرة:

إنّ الوفاء والصـدق من جنود العقل، كما إنّ الغـدر والكـذب من جنود الجهل، وتقابل الأوليين مع الآخرين تقابل العـدم والمَلَكة، لأنّ عدّ هذه الأوصاف من جنود العقل والجهل باعتبار مباديها الراسخة ومَلَكاتها في النفس دون آثارها التي من الأعمال والأفعال.

ص: 369

وعلي هـذا فالوفاء مَلكـة نفسانيّة تنشأ من لزوم العهد كما ينبغي والبقاء عليه، والغدر ضدّ الوفاء عمّن من شأنه الوفاء، والصدق ملكة تحصـل من لزوم مطابقة الأقوال للواقع، والكذب عدم الصدق لمن من شأنه الصدق.

ولمّا كان الوفاء والصـدق متشاركين في كونهما من جنود العقل، متلازمين غالباً، لاجرم شـبّههما بالتوأمين، قال: (إنّ الوفاء توأم الصدق) ثمّ قال عليه السـلام: (ولا أعلم جُنّـة أوقي منه) أي أشـدّ وقايـة منه من عذاب الآخرة ومن عار الدنيا المترتّبين علي الغدر وخلف الوعد، مضافاً إلي ما فيه من الثمرات والمنافع الدنيويّـة والأخرويّـة. فمن ثمراته الدنيويّـة اعتماد الناس علي قول الوفيّ وثقتهم به وركونهم إليه، واسـتحقاق المدح الثناء عند الخالق والخلائق. ومن هنا قيل في المثل: (الوفاء مليح، والغدر قبيح).

وفاء السموْل:

وحتّي الآن وقد مضت قرون وقرون يُضرب المثل بوفاء السموءل فيقال: (أوفي من السموءل).

ومن وفائه أنّ امرء القيس بن الحجر لمّا أراد الخروج إلي أحـد الملوك اسـتودع السـموءل دروعاً، فلمّا مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام، فتحرّز منه السـموءل، فأخذ الملك إبناً له كان مع ظئرٍ خارجاً من الحصن، ثمّ صاح بالسموءل فأشرف عليه، قال له الملك: هذا ابنك في يـدي، وقـد علمتَ أنّ امرء القيس ابن عمّي وأنـا أحقّ بميراثه،فإن دفعت إليّ الـدروع وإلاّ ذبحتُ ابنك. فقال السـموءل: أجّلني، فأجّله، فجمع أهل بيته ونساءه فشاورهم فكلٌّ أشار إليه بـدفع الـدروع، فأبي قال: ما كنت لأحقر أمانة، فقال للملك: فاصـنع ما أنت صانع، إنّ الغدر طوق لاـ يبلي، ولاـبني هـذا أخوة، فذبـح الملك ابنه وهو ينظر إليه ورجع خائباً، فلمّا دخلت أيام الموسم وافي السـموءل بالـدروع الموسـم فدفعها

إلي ورثة امرئ القيس. وهذا أقصي ما يُتصوّر في الوفاء. لذلك ضُرب به المثل واستمرّ حتّي اليوم فيقال: (أوفي من السموءل).(1)

قصة المنذر بن ماء السماء ويوماه البؤس والسعد:

جاء في التاريخ: أنّ المنذر بن ماء السماء _ ملك الحيرة _ جدّ النعمان بن المنذر _ خرج يتصيّد، فأجري فرسه خلف صيد، فذهب الفرس به في الأرض ولم يقدر علي كبح جماحه، فانفرد عن أتباعه، وأخذته السماء فطلب ملجأ يلجأ إليه، فدفع إلي بناء فإذا فيه رجل من طيء يدعي حنظلة ومعه امرأة له، فقال لهما: هل من مأوي؟ فقال حنظلة: نعم، فخرج إليه فأنزله ولم يكن للطائيّ غير شاة، وهو لا يعرفه، فقال لامرأته: أري رجلاً ذا هيئة، وما أخلقه أن يكون شريفاً خطيراً، فما الحيلة؟ قالت: عندي شيءمن طحين كنت ادّخرته، فاذبح الشاة، وأخرجت الطحين وخبزت منه، وقام الطائي إلي شاته فاحتلبها ثمّ ذبحها واتّخذ من لحمها مضيرة (طعام يُطبخ باللبن) فأطعمه من لحمها، وسقاه من لبنها، واحتال له بشراب فسقاه، وقطع بقيّة ليلته يحدّثه، فلمّا أصبحا لبس المنذر ثيابه وركب فرسه ثم قال: يا أخا طيء اطلب ثوابك، أنا الملك المنذر، قال: أفعل إن شاء الله، ثمّ اتّجه نحو الحيرة.

ومكث الطائي بعدها زماناً فأصابه جهد وساءت حاله، فقالت له إمرأته: لو أتيتَ الملك لأحسن إليك، فأقبل إلي الحيرة، وكان المنذر وقد جعل له يومين: يوم بؤس مَن صادفه فيه قتله وأرداه، ويوم نعيم مَن لقيه فيه أحسن إليه وأغناه، فصادف الطائيّ مجيئه يوم بؤس المنذر، فإذا هو واقف في خيله في السلاح، فلمّا نظر إلي الطائي عرفه وساءه مكانه، و جاء الطائي حتّي وقف بين يديه فقال له المنذر: أنت حنظلة؟ قال: نعم. قال: أفلا جئت في غير هذا اليوم؟ قال: أبيتَ اللعن وما عليّ بهذا اليوم؟ قال: والله لو سنح لي في هذا اليوم ابني لم

1- المحبر لمحمّد بن حبيب البغدادي: 349.

أجـد بـدّاً من قتله، فاطلب حاجتك من الدنيا وسَل ما بدا لك فإنّك مقتول. قال: أبيتَ اللعن وما أصـنع بالدنيا بعد نفسـي؟ والله ما أتيتك إلاّ زائراً ولأهلي من خيرك مائراً، فلا تكن مبرّتهم قتلي. فقال: لا بدّ من ذلك، فاسأل حاجة أقضـها لك قبل موتك. قال: تؤجّلني سـنة أرجع فيها إلي أهلي وأحكم منهم مـا أريـد ثمّ أصـير إليـك فأنفِـذ فيّ حكمك. فقال المنـذر: ومَن يكفل بك حتّي تعود. فنظر في وجوه جلسائه فعرف منهم شريك بن عمرو بن شراحيل الشيباني ـ أبا الحوفزان ـ وكان صاحب الردافة فقال:

يا شريكٌ يا بن عمروٍ *** ما من الموت مَحالَه

يا شريكٌ يابن عمرو *** يا أخا من لا أخا لَه

يا أخا شيبان فُكَّ *** اليوم رهناً قد أنالَه

يا أخا كلّ مضافٍ *** وحيا من لا حَيا لَه

إنّ شيبان قبيلي *** أكرم الناس رجالَه

وأبو الخيرات عمرو *** وشراحيل الحِمالَه

رتّباك اليوم في المجد *** وفي حسن المقالَه

فوثب شـريك وقال: أبيت اللعن، يـدي بيـده ودمي بدمه إن لم يَعُدْ إلي أجله. فأطلقه المنذر، فلما كان من القابل قعد المنذر في مجلسه في يوم بؤسه ينتظر حنظلـة فأبطأ عليه، فأمر بشـريك فقُدّم ليُقتل، فلم يشـعر إلاّ وراكب قـد طلع، فإذا هو حنظلـة وقد تحنّط وتكفّن ومعه ناديته تنـدبه، وقـد قامت نادبـة شـريك تندبه، فلمّا رأي المنذر ذلك عجب من وفاء الطائيّ وقال له: ما حملك علي قتل نفسك؟ فقال: أيّها الملك: الوفـاء، ومَن لا وفاء له لا دين له، قال: وما دينك؟ قال: النصـرانيّة، فاسـتحسن ذلك منه وأطلقهما معاً وأبطل تلك البدعـة، وكان ذلك سـبب تنصّره و تنصّر أهل الحيرة فيما زعموا.(1)

1- معجم البلدان 4: 198 ـ 199.

وأرجـح دليل يتمسّك به الإنسان لمبتغاه، وأوضـح سبيل يهـدي سالكه إلي بلوغ مناه، كتاب الله الـذي مَن تمسّك به هـداه، ومن اسـتدلّ به أرشـده إلي هـداه، وقد دلّ بمنطوقه أنّ الوفاء يجب علي كلّ عاقل أن يرعاه، ويحرم عليه أن يخون عهده وينقض عراه، فقال عزّوجَل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»(1) وقال تقـدّس اسـمه: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا»(2) وقال تعالي: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا»(3) فهـذه الآيـات مع اختلاف محالّها وتعـدّد أسـبابها متّفقـة علي وجوب الوفاء بالعهود والتمسّك بحبالها وتجنّب نقضـها، ولو لم يكن في الوفاء فضـيلة إلاّ أنّ المتّصف به يعدّ في زمرة الصادقين وينزّه نفسه عن التحلّي بسـمة المنافقين لكفي، فإنّ رسول الله صـلي الله عليه وآله لما سُئل عن صفات المنافقين قال: «إذا عاهد غدر».(4) فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخِلال الحميدة، يعظم صاحبه في العيون ويحلّ بين الناس في رتب الكرامة.

ثمّ إنّه عليه السلام بعد الترغيب في الوفاء وبيان حسنه، حذّر من الغدر بقوله: «ولا يغدر من علم كيف المرجع» يعني من كان له علم بحالة الغادر في الآخرة وبما يستحّق بغدره من الجحيم والعذاب الأليم لا يصدر منه غدر ولا تكون له رغبة إليه.

قال عليه السـلام علي منبر الكوفة: «أيّها الناس، لولا كراهية الغدر لكنتُ من أدهي الناس، ألا إنّ لكلّ غدرة فجرة، ولكلّ فجرة كفرة، ألا وإنّ الغدر والفجور والخيانة في النار».(5)

***

1- المائدة: 1.

2- النحل: 91.

3- الاسراء: 34.

4- الخصال: 254 /ح 129؛ بحار الأنوار 69: 261/ ح 34.

5- الكافي 2: 338/ ح 6؛ بحار الأنوار 33: 197/ ح 483.

وقال عليه السلام: «قد يري الحوّلُ القُلّب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوي الله، ثمّ ينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين».

يقول الإمام عليه السلام هذا وهو صادق في قوله، فكم أدرك مدرك متفقّه في حياته حيلة الوصول إلي مفاتن الدنيا، ثمّ حال بينه وبين تلك المفاتن وازع من دين ورادع من شرف أو كرامة أو إنسانية، فإذا بالرجل الانتهازي الذي لم يتوفّر علي كرامة النفس ونُبل الضمير وشرف الدين، إذا به يتحلّل من كلّ ذلك، ويُقبل علي دنياه طويل الأمل عريض الشهوات.

فمن هو ذلك المتحرّج الورع الزاهد؟ ثم من هو هذا المتحلّل المتحرّر؟ ذاك علي عليه السلام وهذا معاوية، ذاك علي وتابع علي منذ كان ويكون حتّي الحشر، وهذا معاوية وتابع معاوية منذ كان و يكون حتّي الحشر، ذاك علي والقليل النادر من الناس الذين تفهّموا حياة علي وفقهوا رسالة محمد علي لسان علي، وهذا معاوية والكثير الغالب من الناس الذين آثروا الدنيا علي الدين، والذين لم يفهموا من الدنيا إلاّ أنّها أداة للمتعة، ولم يفقهوا من الدين إلاّ أنّه واسطة لا غاية، وأنّ الغاية التي تبرّره إنّما هي بلغة من العيش تضخم في عين الضعيف إيمانه حتّي تراها ملء الدنيا، أطائب من طعام، ولذائذ من شراب، ثمّ طرائف من لباس وسكن ومفاتن من جمال ومتع.

تلك هي فلسفة هذه الكلمة وحكمتها التي حيّرت عقول المؤرّخين، فضلّ بها من سفه، واهتدي بها من عقل، ضلّ بها من لم يعصمه دينه ولا شرفه بين يدي هواه، فكان مثالاً لمعاوية وأخلافه فينا حتّي يومنا هذا وحتّي تقوم الساعة. واهتدي بها من عصمه عقله عن أن يتردّي في هوّة لا ـ ينشله منها إلاّ التحسّس من دينه كيف قام رغم المحن التي تعاقبت عليه، ومن عقله كيف نضج وهو يعلّل دنياه كيف قامت فاستقامت و كلّها بهرج زائف.

تلك هي الحكمة التي فاه بها عليٌ في صدر هذا البحث ردّاً علي من

يقول في عهده وبعد عهده من عبيد الشـهوات، يقولون في معرض التحليل السياسـي: إنّ علياً لايُحسن السياسة، وإنّ معاوية هو الجدير بها، حتّي اضطرّوه إلي القول: «والله ما معاوية بأدهي مني، ولكنّه يفجر ويغدر، ولولا كراهية الغدر كنتُ من أدهي الناس».(1)

ولا تليق السـياسة بالغـدر والفجور، فإنّ السـياسة إذا لـم تقم علي الصـدق والصـراحة والعـدل فإنّما هي ظلم وبُهتان وفجور، ولا تليق هـذه الخلال بمن يسود أمّته و يخلف الله في خلقه.

تلك هي الحكمة في قول الإمام و تعليله، وتلك هي الغاية من إقدامه في السياسة علي كلّ ما هو حق، وإحجامه فيها عن كلّ ما هو باطل.

إذا أفسد الدهرُ أخلاقَنا *** فَعِث فالسياسة أن تُفسِدا

ونافق تَسُد فبغير النفاق *** لـم يكُ سيّدنا سيّدا

***

ألم ترَ ما حلّ بالمرتضي *** عليٍّ وما قيل في شأنه

أبي أن ينافق عصر النفاق *** ففاز ابنُ هند بسلطانه

***

وقالوا السياسة عند الطليق *** وليس لحيدر فيها يدُ

ولو كان خبّاً لكانت له *** يدٌ في السياسة لا تُجحدُ

***

إنّ سـياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السـلام في جميع شؤونها قد عبّرت عن جميع القيم السياسـيّة الخيّرة التي أعلنها الإسلام، فهي لا تقرّ الغدر ولا المكر ولا الخداع، ولا تؤمن بأيّ وسيلة من وسائل النفاق الاجتماعي وإن توقّف عليها النجاح السياسيّ المؤقّت، لأنّ

1- بحار الأنوار 33: 197 و 40: 193.

الخلافة الإسلاميّة من أهمّ المراكز الحسّاسة في الإسلام، فلا بدّ لها من الاعتماد علي الخُلق الرصين والايمان العميق بحقّ المجتمع والأمة.

وإنّ الغدر لا ينبعث إلاّ عن نفس لا تؤمن بالمُثل الانسانيّة والقِيم الدينيّة، ينبعث ممّن لا حراجة له في الدين ولا سلامة ضمير ولاشرف نفس.

فالدين يمنع من كلّ ذلك، ولا يوصف بالغدر رجل له حريجة في الدين، قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «يا علي إيّاك والغدر، فإنّ كلّ غادر يأتي يوم القيامة مائلاً شدقه وله لواء يُعرف به فيقال: هذه غدرة فلان».(1)

كما أنّه لا يأتلف الغدر مع شيء من المآثر الفاضلة، لأنّه ينمّ عن خسّة في الطبع ودناءة العنصر وعدم مبالاة بنواميس الدين.

آل الأشعث والغدر:

وكانت العرب تجتنب الغدر وتأنف منه وتعدّه وصمة في جبين الرجل مدي الدهر، وكانوا يضربون المثل بغدرة آل الأشعث، وقالوا: (أعرق العرب في الغدر آل الأشعث) فإنّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث غدر بأهل سجستان، وغدر أبوه محمد بأهل طبرستان بعد أن عقد بينهم وبينه عهداً، فغزاهم فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكر وفضحوه. وغدر الأشعث ببني الحارث بن كعب _ وكان بينه وبينهم عهد _ فغزاهم وأسروه، ففدي نفسه بمأتي قلوص فأدّي مأة وعجز عن البقية، ولمّا أسلم أهدره الإسلام. وغدر قيس أبو الأشعث ببني مراد، فإنّه كان بينه وبينهم عهد إلي أجل وآخره يوم الجمعة فغزاهم يوم الجمعة، فقالوا له: لم ينتهِ الأجل، فكان جوابه: إنّه لا يحلّ لي القتال يوم السبت لأنّه يهودي، فقتلوه وهزموا جيشه. وغدر معديكرب أبو قيس ببني

1- الكافي 2: 338/ ح 5 باختصار أوّله.

مهرة، وقد كان بينهم صلح فغزاهم غادراً، فقتلوه وشقّوا بطنه وملأوه حصي وقالوا: (اشبع لا شبعتَ با ابن بغايا ضَرِيّة).(1)

فالغدر ضامن العثرة، قاطع ليد النصرة، والغالب في الغدر مغلوب، ولا عُذر لغادر. يقول الشاعر العربي:

أخلق بمن رضيَ الخيانة شيمةً *** ألاّ يُري إلاّ صريع حوادثِ

ما زالت الأرزاء تلحق بؤسها *** أبداً يغادر ذمّة أو ناكث

غدرة خالد بن الوليد:

وكانوا ينصبون الألوية في الأسواق الحافلة بالناس للتعريف بغدرة الغادر والتشهير به ليتجنّبه الناس.

وغدرة خالد بن الوليد بيني جذيمة أعقبته عاراً وخزياً طول الزمن، وقد تبرّأ النبي صلي الله عليه وآله من فعله وغدره. و كان صلي الله عليه قد أرسله داعياً لا مقاتلاً، وكانت بينه وبينهم إحنة، فإنّهم قتلوا عمّه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية، فلمّا نزل علي ماء لهم أخذوا السلاح فَرَقاً منه، فصاح بهم: ضعوا السلاح فإنّ الناس أسلموا، فلمّا وضعوا السلاح آمنين أمر جنده فكتّفوهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وآله فساءه وأنكره ورفع يديه مبتهلاً إلي الله تعالي قائلاً: اللهمّ إنّي أبرأ إليك من فعل خالد، وأرسل أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومعه مال ليودي بني جذيمة حتّي ميلغة الكلب.

هكذا جاء في صحيح البخاري مج 3 من كتاب المغازي، والاستيعاب بترجمة خالد، وتاريخ الطبري ج 3 ص 133، و كامل ابن الأثير في حوادث سنة 8.

وكم أوقع الغدر في المهالك من غادر، وضاقت عليه من موارد الهلكات

1- المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي: 244 - 245.

فسيحات المصادر، و طوّقه غدره طوق خزي، وأوقعه في خطّة حتفه، يقول الله تعالي: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِ».(1)

قصة ثعلبة بن حاطب:

ويشـهد لصـّحة هـذه الأسـباب قصّة ثعلبة بن حاطب الأنصاري، وذلك أنّ ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صـلي الله عليه وآله، فجاءه يوماً وقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني مالاً. فقال له رسول الله صلي الله عليه وآله: ويحك يا ثعلبة، قليلٌ تؤدّي شكره خير من كثير لا تُطيقه. ثمّ أتـاه بعـد ذلك مرّة أخري فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني مالاً. فقال رسول الله صـلي الله عليه وآله: يا ثعلبـة أمالك في رسول الله أسوة حسـنة؟ والذي نفسـي بيده لو أردتُ أن تسير الجبال معي ذهباً وفضّة لسارت. ثمّ أتاه بعد ذلك مرّة ثالثة فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لتن رزقني الله مالاً لأعطين كلّ ذي حقٍّ حقّه، وعاهد الله تعالي علي ذلك. فقال رسول الله صـلي الله عليه وآله: اللهمّ ارزق ثعلبـة مالاً، فاتّخـذ ثعلبـة غنماً فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحّي عنها ونزل وادياً من أوديتها، وهي تنمو كما ينمو الدود، وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد، فلمّا كثرت الغنم وتنحّي صار يصلّي مع رسول الله صلي الله عليه وآله الظهر والعصـر، ويصـلّي بقيّة الصـلوات في غنمه، فكثرت ونمت حتّي بَعُد عن المدينة، فصار لا يشهد إلاّ الجمعة، ثمّ كثرت ونمت فتباعـد أيضاً عن المدينـة حتّي صار لا يشـهد جمعـة ولا جماعـة، فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقّي الناس يسألهم عن الأخبار، فذكره رسول الله صـلي الله عليه وآله ذات يوم فقال: ما فعل ثعلبة؟ قالوا: يا رسول الله اتّخذ غنماً ما يسـعها وادٍ، فقال صلي الله عليه وآله: يا ويح ثعلبة، فأنزل الله تعالي آية الصدقة، فبعث رسول الله صلي الله عليه وآله رجلين: رجل من بني سليم ورجل من جهينة، وكتب لهما

1- فاطر: 43.

أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها، وقال لهما: مرّا بثعلبة بن حاطب و برجل آخر من بني سليم فخُذا صدقاتهما، فخرجا حتّي أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلي الله عليه وآله فقال: ما هذه إلاّ جِزية _ أو ما هذه إلاّ أخت الجزية _ انطلقا حتّي تفرغا ثمّ عودا إلي، فانطلقا، وسمع بهما السلمي فنظر إلي خيار إبله فعزلها للصدقة ثمّ استقبلهما بها، فلمّا رأياه قالا: ما هذا؟ قال: خُذاه نفسي به طيّبة، فمرّا علي الناس وأخذا الصدقات ثمّ رجعا إلي ثعلبة، فقال: أروني كتابكما، فقرأه، ثمّ قال: ما هذه الاّ جزية أو ما هذه إلاّ أخت الجزية، اذهبا حتّي أري رأياً. قال: فذهبا من عنده وأقبلا علي رسول الله صلي الله عليه وآله، فلمّا رآهما قال قبل أن يتكلّما: يا ويح ثعلبة. فأنزل الله تعالي: «وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحِينَ * فَلَمّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَيٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنّ اللّهَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ».(1)

وكان عند رسول الله صلي الله عليه وآله رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك فخرج حتّي أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة، قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتّي أتي النبي صلي الله عليه وآله فسأله أن يقبل صدقته، فقال: إنّ الله تعالي منعني أن أقبل منك صدقة، فجعل ثعلبة يحثو التراب علي رأسه ووجهه، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: هذا عملك، قد أمرتُك فلم تُطعني، فلمّا أبي رسول الله أن يقبل صدقته رجع إلي منزله، وقُبض رسول الله صلي الله عليه وآله ولم يقبل منه شيئاً، ثمّ أتي إلي أبي بكر حين استُخلف فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله صلي الله عليه وآله وموضعي من الأنصار، فاقبل صدقتي، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله صلي الله عليه وآله منك فلا أقبلها أنا، فقُبض أبوبكر ولم يقبلها، فلمّا ولي عمر أتاه فقال: يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي، فلم

1- التوبة 75 - 78.

يقبلها منه وقال: لم يقبلها رسول الله ولا أبوبكر فأنا لا أقبلها، وقُبض عمر ولم يقبلها، ثمّ ولي عثمان بن عفّان فسأله أن يقبل صدقته، فقال له: لم يقبلها رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر فأنا لا أقبلها، ثمّ هلك ثعلبة في خلافة عثمان.(1)

فانظر إلي سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره، ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسران، فأيّ خزيٍ أرجح من ترك الوفاء بالميثاق، وأيّ سوء أقبح من غدر يسوق إلي النفاق؟

وكان يقال: لم يغدر غادر قطّ إلاّ لصغر همتّه من الوفاء، واتّضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم.

ولمّا حلف محمّد الأمين للمأمون في بيت الله الحرام وهما وليّا عهد، طالبه جعفر بن يحيي أن يقول: خذلني الله إن خذلتُه، فقال ذلك ثلاث مرات، فقال الفضل بن الربيع: قال لي الأمين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله : يا أبا العبّاس أجد في نفسي أنّ أمري لا يتمّ. فقلت له: ولم ذلك أعزّ الله الأمير؟ قال: لأنّي كنت أحلف وأنا أنوي الغدر. و كان كذلك لم يتمّ أمره.

***

قصة سابور وبنت الملك الغادرة:

وورد في أخبار العرب: أنّ الضّيزَن بن معاوية بن قضاعة كان ملكاً بين دجلة والفرات، وكان له هناك قصر مشيد يُعرف بالجوسق، وبلغ مُلكه الشام، فأغار علي مدينة سابور ذي الأكتاف فأخذها وقتل منهم خلقاً كثيراً، ثمّ إنّ سابور جمع جيوشاً وسار إلي الضيزن فأقام علي الحصن أربع سنين لا يصل منه إلي شيء، ثمّ أنّ النضيرة بنت الضيزن عركت _ أي حاضت _فخرجت من الربض _ وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا

1- بحار الأنوار 22: 40؛ فيض القدير : 688 - 689.

حضن ـ وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته فعشقها وعشقته، وأرسلت إليه تقول: ما تجعل لي إن دللتُك علي ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي؟ فقال: أحكّمك. فقالت: عليك بحمامة مطوّقة وورقة فاكتب عليها بحيض جارية ثمّ أطلقها فإنّها تقعد علي حائط المدينة فتتداعي المدينة كلها ـ وكان ذلك طلسماً لا يهدمها إلاّ هو ففعل ذلك، فقالت له: وأنا أسقي الحرس الخمر، فإذا صُرعوا فاقتلهم، ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة وأعرس بها، فلمّا دخل بها لم تزل ليلتها تتضوّر وتململ في فراشها وهو من حرير محشوّ بريش النعام ـ فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هو ورقة آسٍ التصقت بعكنتها وأثّرت فيها، وقيل كان ينظر إلي مخّ عظمها من صفاء بشرتها، ثمّ إنّ سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها، وقيل أنّه أمر رجلاً فركب فرساً جموحاً وضفر غدائرها بذنبه ثمّ استر كضه فقطعها قطعاً.(1)

جزاني جزاء سنمار:

وتقول العرب في المثل: (جزاني جزاء سنّمار) وهو أنّ أزدجرد بن سابور لمّا خاف علي ولده بهرام ـ وكان قبله لا يعيش له ولد – سأل عن منزل صحّي مري فدُلّ علي ظهر الجزيرة، فدفع ابنه بهرام إلي النعمان ـ وهو عامله علي أرض العرب ـ وأمره أن يبني له جوسقاً، فامتثل أمره وبني له جوسقاً كأحسن ما يكون، وكان الذي بني الجوسق رجلاً يقال له سنّمار، فلمّا فرغ من بنائه عجبوا من حسنه، فقال: لو علمتُ أنّكم توفوني أجره لبنيته بناء بدور مع الشمس حيث دارت. فقالوا: وإنّك لتبني أحسن من هذا ولم تبنه، ثم أمر به فطُرح من أعلي الجوسق فتقطّع. فكانت العرب بعد ذلك تقول: (جزاني جزاء سنّمار) إلي كثير و كثير من هذه النظائر.(2)

1- تاريخ الطبري 1: 484 - 585.

2- تاريخ الطبري 1: 499.

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتّي ألجؤها إلي خباء أعرابي، فأجارها وجعل يُطعمها ويسقيها، فبينما هو نائم ذات يوم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت، فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقي، فتبعها حتّي قتلها وأنشد يقول:

ومن يصنع المعروف مَعْ غير أهله *** يُلاقي كما لاقي مجيرُ أمّ عامر

أعدّ لها لمّا استجارت ببيته *** أحاليب ألبان اللقاح الدرائر

وأسمنها حتّي إذا ما تمكّنت *** فَرَتْهُ بأنياب لها وأظافر

فقُل لذوي المعروف هذا جزاء من *** يجود بمعروفٍ علي غير شاكر(1)

***

1- قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: 83.

من كلام له عليه السلامالتحذير من اتباع الهوي وطول الأم

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَي وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَي فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا أَلَا وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ».

(شرح النهج لابن أبي الحديد مج 1 ص 218، ط الأولي).

***

ضبط الألفاظ الغريبة:

(الحذّاء) السريعة. ومن الناس من يروي جذّاء بالجيم والذال أي انقطع خيرها و درّها. (والصبابة) بضمّ الصاد المهملة: بقية الماء في الاناء. (والاصطباب) افتعال من الصبّ وهو الإراقة.

***

المعني:

إنّ مقصوده عليه السلام بهذه الخطبة: النهي عن اتّباع الهوي، والمنع من طول الأمل في الدنيا، فإنّهما من أعظم الموبقات وأشدّ المهلكات، كما قال سبحانه: «فَأَمَّا مَنْ طَغَيٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَيٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَي النَّفْسَ عَنِ الْهَوَيٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَيٰ».(1)

1- النازعات: 37 - 41.

يعني من تجاوز الحدّ الذي حدّه الله وارتكب المعاصي وفضّل الدنيا علي الآخرة واختارها عليها فإنّ النار منزله ومأواه، وأمّا من خاف مقام مسألـة ربّه فيما يجب عليه فعله أو تركه، ونهي نفسه عن الحرام الـذي تهواه و تشـتهيه فإنّ الجنّـة مقرّه ومثواه، ولكونهما من أعظم المهلكات كـان خوفه منهمـا أشـد، كمـا أشار اليهما بقوله عليه السـلام: «أيّها الناس إنّ أخوف ما أخافه عليكم اثنتان» أي خصـلتان، إحـداهما (اتّباع الهوي) والمراد به ميل النفس الأمّارة بالسوء إلي مقتضي طباعها من اللذات الدنيوية إلي حدّ الخروج عن قصد الشريعة.

إتباع الهوي:

ولا ريب أنّ حبّ الهوي يعمي البصيرة، وقد قيل: حبّك الشيء يُعمي ويُصمّ. قال بعض الصالحين: رحم الله امرءاً أهدي إليّ عيوبي، وذاك لأنّ الإنسان يحبّ نفسه، ومن أحبّ شيئاً عمي عن عيوبه فلا يكاد يلمح عيب نفسه، وقد قيل في ذلك:

أري كلّ إنسان يري عيب غيره *** ويعمي عن العيب الذي هو فيه(1)

ولهـذا اسـتعان الصالحون علي معرفـة عيوبهم بأقوال غيرهم، علماً منهم أنّ هوي النفس لذاتها يصـمّها عن أن تدرك عيبها، وما زال الهوي مردياً قتّالاً، ولهذا قال سبحانه: «وَنَهَي النَّفْسَ عَنِ الْهَوَيٰ»(2) وقال رسول الله صلي الله عليه وآله: ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهويً متّبع، وإعجاب المرء بنفسه.(3)

مجامع الهوي خمسة:

ومجامع الهوي خمسة أمور جمعها قوله سبحانه:

«أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ

1- فيض القدير للمناوي (6): 591، ولم ينسبه.

2- النازعات: 40.

3- عوالي اللئالي 1: 273/ ح 96.

أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ ثُمّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ».(1)

والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة جمعها قوله سبحانه:

«زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الـذَّهَبِ وَالْفِضَّـةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ».(2)

طول الأمل:

والخصـلة الثانيـة (طول الأمـل) والمراد بالأمـل تعلّق النفس بحصول محبوب في المسـتقبل، ويرادفه الطمع والرجاء، إلاّ أنّ الأمل كثيراً ما يسـتعمل فيمـا يسـتبعد حصوله، والطمع فيما قرب حصوله، والرجاء بين الأمل والطمع، وطول الأمل عبارة عن توقّع أمور دنيويّة يسـتدعي حصولها مهلة في الأجل وفسحة من الزمان المستقبل.

ثم أنّه عليه السـلام بعـد تحـذيره عن اتّباع الهوي وطول الأمل أشار إلي ما يترّتب عليهما من المفاسـد الدينيّة والمضار الأخرويّة فقال: «أمّا اتّباع الهوي فيصدّ عن الحقّ» وذلك لأنّ اتّباع الهوي يوجب صرف النظر إلي الشهوات الدنيويّة وقصر الهمّة في اللذّات الفانية، وهو مستلزم للاعراض عن الحقّ، وهو واضح، لأنّ حبّك للشيء صارفك عمّا وراه، وشاغلك عمّا عداه.

«وأمّاطول الأمل فيُنسـي الآخرة» وذلك لما عرفت من أنّ طول الأمل عبارة عن توقّع أمور محبوبة دنيويّة، فهو يوجب دوام ملاحظتها، ودوام ملاحظتها مستلزم لإعراض النفس عن ملاحظة أحوال الآخرة، وهو مستعقب لانمحاء تصوّرها في الذهن، وذلك معني النسيان لها.

قال بعضهم: سبب طول الأمل هو حبّ الدنيا، فإنّ الإنسان إذا أنس بها

1- الحديد: 20.

2- آل عمران: 14.

وبلـذّاتها ثقل عليه مفارقتها وأحبّ دوامها، فلا يتفكّر في الموت الذي هو سـبب مفارقتها، فإنّ من أحبّ شـيئاً كره الفكر فيما يُزيله ويُبطله، فلا تزال نفسه تتمنّي البقاء في الدنيا وتقدّر حصول ما تحتاج إليه من أهل ومال وأدوات وأسـباب، ويصـير فكره مستغرقاً في ذلك، فلا يخطر الموت ولا الآخرة بباله.

وإن خطر بخاطره الموت والتوبـة والاقبال علي الأعمال الأخرويّة أخّر ذلك من يوم إلي يوم، ومن شـهر إلي شـهر، ومن عام إلي عام، وقال: إلي أن أكتهل ويزول سنّ الشباب، فإذا اكتهل قال: إلي أن أصير شيخاً، فإذا شاخ قال: إلي أن أتمّ هذه الدار وأزوّج ولدي فلاناً، وإلي أن أعود من هذا السـفر، وهكذا يسوّف التوبة، كلّما فرغ من شغل عرض له شغل آخر ـ بل أشغال ـ حتّي يختطفه الموت وهو غافل عنه غير مستعدّ له مستغرق القلب في أمور الدنيا، فتطول في الآخرة حسرته، وتكثر ندامته، وذلك هو الخسران المبين.

النهي والتحذير من طول الأمل:

وقد وردت أخبار كثيرة في ذمّ طول الأمل والتحذير منه وبيان ما يترتّب عليه من المفاسد.

ففي الحديث القدسـيّ: يا موسـي لا تطوّل في الدنيا أملك فيقسو لذلك قلبك، وقاسي القلب منّي بعيد.(1) وقال رسول الله صلي الله عليه وآله لأبي ذر رَحمه اللهُ: «يا أبا ذر إيّاك والتسويف بأملك، فإنّك بيومك ولست لما بعـده، فإن يكن غـدٌ لك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غـدلك لم تنـدم علي مـا فرّطت، يـا أبـا ذر كم مُسـتقبلٍ يوماً لا يسـتكمله، ومُنتظرٍ غـداً لا يبلغه، يا أبا ذر لو نظرتَ إلي الأجل ومصـيره لأبغضتَ الأمل وغروره، يا أبا ذر إذا أصـبحتَ فلا تُحـدثّ نفسك بالمساء، وإذا أمسـيت فلا تحـدّث نفسك بالصـباح، وخُذ من صحّتك قبل

1- الجواهر السنيّة: 31؛ بحار الأنوار 74: 31.

سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنّك لا تدري ما اسمك غداً».(1)

وعن أنس أنّ النبي صـلي الله عليه وآله خطّ خطاً وقال: هذا الانسان، و خط خطّاً إلي جنبه وقال: هذا أجله، و خطّ آخر بعيداً منه فقال: هذا الأمل، فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب.(2)

وفي رواية أنّه اجتمع عبدان من عباد الله، فقال أحدهما للآخر: ما بلغ من قصـر أملك؟ فقال: أملي إذا أصبحتُ أن لا أمسي، وإذا أمسيتُ أن لا أصبح. فقال: إنّك لطويل الأمل، أمّا أنا فلا أؤمّل أن يدخل لي نَفَس إذا خرج، ولا يخرج لي نَفَس إذا دخل.

وفي الديوان المنسوب إلي أمير المؤمنين عليه السلام:

تؤمّل في الدنيا طويلاً ولا تدري *** إذا جنّ ليلٌ هل تعيش إلي فجر

فكم من صحيحٍ مات من غير علّة *** وكم من مريضٍ عاش دهراً إلي دهر

وكم من فتيً يُمسي ويُصبح آمناً *** وقد نُسجت أكفانُه وهو لا يدري

***

1- أمالي الطوسي: 526؛ مكارم الأخلاق: 459.

2- العهود المحمّديّة للشعراني: 559.

من كلام له عليه السلاميدعو فيها للزهد والشكر عند النعم

اشارة

«أَيُّها النَّاسُ الزَّهادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ والشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ والتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ ولا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظاهِرَةٍ وكُتُبٍ بارِزَةِ الْعُذْرِ واضِحَةٍ».

(شرح النهج لابن أبي الحديد مج 2، ص 82، ط 1).

***

ضبط الألفاظ الغريبة:

(الزهادة) كسعادة، والزهد بمعني ترك الميل إلي الشيء، وفي الاصطلاح إعراض النفس عن الدنيا و طيّباتها، وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة. و (عزب) الشيء غاب وذهب. و(أعذر الله إليكم) أظهر عذره.

المعني: الحث علي الزهد

إنّ مقصوده عليه السلام بهذه الخطبة بيان معني الزهد والتنبيه علي لزومه لكونه من عظائم مكارم الصالحين، وجلائل صفات المتّقين، وعمدة مقامات السالكين إلي الله تعالي بقدمَي الطاعة واليقين، والرغبة ضدّه، والأوّل من جنود العقل، والثاني من جنود الجهل، وقد فسّره بقوله عليه السلام : «أيّها الناس الزهادة قصر الأمل، والشكر عند النعم، والورع عن المحارم» وهذه الثلاثة من لوازم الزهد.

وإنّما قلنا إنّها من لوازمه لأنّ الزهد في الحقيقة عبارة عن إعراض النفس عن الدنيا وإقبالها إلي الآخرة، ومن هنا قيل إنّه جَعْلُ القلب حيّاً بمشاهدة أحوال الآخرة وميّتاً

في طمع الدنيا، ومن المعلوم أنّ إعراض النفس عن الدنيا مستلزم لقصر الأمل فيها، والإقبال علي الآخرة مستلزم للشكر، إذ الكفران موجب للعذاب باعث للسخط والعقاب، كما قال تعالي: «وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ».(1)

وكذلك يلزمه الورع عن المحارم والكفّ عنها، إذ لا يُنال ما عند الله إلاّ بالورع، قال الإمام الصادق عليه السلام في رواية الوسائل: «عليكم بالورع، فإنّه الدين الذي نلازمه وندين الله تعالي به، ونريدهُ ممّن يوالينا، لا تُتعبونا بالشفاعة».(2)

وفي حديث أبي ذر رَحمه اللهُ قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «يا أبا ذر من لم يأتِ يوم القيامة بثلاث فقد خسر. قلت: وما الثلاث فداك أبي وأمّي؟ قال: وَرَعٌ يحجزه عمّا حرّم الله عزّوجَل عليه، وحلم يردّ به جهل السفيه، وخُلق يداري به الناس».(3)

ولمّا كان ملازمة هذه الأمور الثلاثة بأجمعها شاقّة صعبة في حقّ الأغلب من الناس، لاجرم رخصّ لهم في طول الأمل بقوله: «فإن عزب» بَعُد «ذلك عنكم فلا يغلب الحرامُ صبرَكم، ولا تنسوا عند النعم شُكر كم» يعني أنّكم إن لم تتمكّنوا من الإتيان بالأمور الثلاثة، فلا محالة لا تتركوا الاثنين، إذ ما لا يُدرك كلّه لا يُترك كلّه.

وإنّما رخّص في ترك طول الأمل ولم يرخّص في ترك الشكر أو الورع، لأنّ طول الأمل ليس محرّماً بالذات وإن كان ينجرّ إلي المحرّم أحياناً، بخلاف الكفران والتقحّم في المحارم، فإنّهما محرّمان بالذات، والترخيص فيهما موجب للاغراء بالقبيح.

ثم أكّد ملازمة الزهادة وعلّل لزومها بقوله عليه السلام: «فقد أعذر الله إليكم بحُجج مُسفرة وكُتب بارزة العذر واضحة» يعني أظهر عذره إليكم في تعذيبكم لو خالفتم تكاليفه بإقامة الحجج الظاهرة المضيئة وإنزال الكتب الواضحة التي

1- إبراهيم: 7.

2- وسائل الشيعة 15: 248/ح 20411.

3- بحار الأنوار 74: 87.

أبرز فيها عذره، «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَيٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ»(1) و «لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَي اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ».(2)

أو أنّه سبحانه أزال عذره بإقامة البراهين العقلية والنقليّة والحُجج الباطنيّة والظاهريّة، فلم يبق لكم مقام للاعتذار وأن تقولوا يوم القيامة: «رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَيٰ».(3)

ومن الخير أن نشير إلي بعض ما ورد في فضيلة الزهد من الآيات والأحاديث الشريفة.

قال الله سبحانه: «فَخَرَجَ عَلَيٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقّاهَا إِلّا الصّابِرُونَ».(4)

فنسب الزهد إلي العلماء ووصف أهله بالعلم، وهو غاية المدح والثناء.

موكب قارون:

استعرض الله سبحانه في هذه الآية الشريفة قصّة قارون وطغيانه و تجبّره لما رآي كثرة ما عنده من خزائن المال، وأنّ هذا إنّما أوتيه باستحقاق، فخرج يوماً علي قومه في زينة تبهر العقول، خرج في أربعة آلاف من أتباعه ومواليه علي خيول مصفّحة بالذهب، عليها من اليواقيت والفلزّات ما يخطف الأبصار ويُدهش الأفكار، وعلي قومه من ألبسة الحرير والديباج ما لم تره عين، فأخذه الزهو والعجب وأظهر التكبّر علي موسي ـ وهو ابن عمّه أو ابن خالته ـ فكفر وتحدّي أمر موسي و استهزأ به وأوغل في إيذائه، وصرف

1- الأنفال: 42.

2- النساء: 165.

3- طه: 134.

4- القصص: 79 و 80.

وجه الناس وموّه عليهم إلي أن موسي إنّما هو ساحر وليس بنبيّ مرسل، وألجأه الحسد الموسي أنّه دعي إمرأة من بني اسرائيل بغيّاً فقال لها: إنّي أعطيك ألفين علي أن تجيئي غداً إذا اجتمعت بنو اسرائيل عندي فتقولي: يا معشر بني إسرائيل ما لي ولموسي قد آذاني. قالت: نعم، فأعطاها خريطتين عليهما خاتمه، فلمّا جاءت بيتها ندمت وقالت: يا ويلتي قد عملت كلّ فاحشة، فما بقي إلاّ أن أفتري علي نبيّ الله، فلمّا أصبحت أقبلت ومعها الخريطتان حتي قامت بين بني إسرائيل، فقالت: إنّ قارون قد أعطاني هاتين الخريطتين علي أن آتي جماعتكم فأزعم أنّ موسي يراودني عن نفسي، ومعاذ الله أن أفتري علي نبيّ الله، وهذه دراهمه عليها خاتمه. فعرف بنو اسرائيل خاتم قارون. فغضب موسي فدعا الله عليه، فأوحي الله إليه: إنّي أمرت الأرض أن تطيعك، وسلّطتها عليه فمُرها. فقال موسي: يا أرض خُذيه ـ وهو علي سريره وفرشه ـ، فأخذته حتي غيّبت سريره، فلمّا رأي قارون ذلك ناشده الرحم، فقال: خذيه، فأخذته حتي غيّبت قدميه،ثم أخذته حتي غيّبت ركبتيه، ثم أخذته حتي غيّبت حقويه، وهو يُناشده الرحم، فأخذته حتي غيّبته، فأوحي الله إليه: يا موسي ناشدك الرحم واستغاثك فأبيتَ أن تُغيثه، لو إيّاي دعا و استغاثني لأغثته.

ولمّا ابتلعته الأرض قال بنو إسرائيل: إنّما فعل ذلك موسي ليرث ماله لأنّه كان ابن عمّه، فخُسف بداره وبجميع أمواله بعده بثلاثة أيام «فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ» بنفسه لنفسه «وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ» حين خرج عليهم في زينته «يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللّهَ يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ» وهي كلمة تندّم واعتراف «لَوْلَا أَنْ مَنّ اللّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ»(1) أي لا يفوز بثواب الله وينجو من عقابه الجاحدون لنعمه، العابدون معه سواه.(2)

1- القصص: 82.

2- تفسير مجمع البيان 7: 461 - 462.

وقال سبحانه: «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَيٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَيٰ».(1)

وقال سبحانه: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ».(2)

ومن الأحاديث الشريفة ما جاء في أصول الكافي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه من الدنيا سالماً إلي دار السلام».(3)

وقال عليه السلام: «جُعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا».(4)

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ من أعوان الأخلاق علي الدين الزهد في الدنيا».(5)

وإنّ رجلاً سأل علي بن الحسين عليه السلام عن الزهد، فقال: عشرة أشياء، فأعلي درجة الزهد أدني درجة الورع، وأعلي درجة الورع أدني درجة اليقين، وأعلي درجة اليقين أدني درجة الرضا، ألا وإنّ الزهد في آية من كتاب الله عزّوجَل «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَيٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ».(6) (7)

وعن سفيان بن عيينة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: «كلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط، وإنّما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم في الآخرة».(8)

1- طه: 131.

2- الشوري: 20.

3- الكافي 2: 128/ ح 1.

4- الكافي 2: 128/ ح 2.

5- الكافي 2: 128/ ح3.

6- الحديد: 23.

7- الكافي 2: 128/ح 4.

8- الكافي 2: 129/ ح 5.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الحياة الدنيا، أما إنّ زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه ممّا قسم الله عزّوجَل له فيها وإن زهد، وإنّ حرص الحريص علي عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص، فالمغبون من حُرم حظّه من الآخرة».(1)

موعظة علي عليه السلام لنوف صاحبه:

في كتاب (مسند الإمام علي عليه السلام) عن أمالي الشيخ المفيد، عن نوف البكّالي: قال: بتّ ليلة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فرأيته يكثر الاختلاف من منزله وينظر إلي السماء، قال: فدخل كبعض ما كان يدخل، قال: أنائم أنت أم رامق ؟ فقلت: بل رامق يا أمير المؤمنين، ما زلت أرمقك منذ الليلة بعيني وأنظر ما تصنع، قال: يَا نَوْفُ طُوبَي لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ أُولئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطاً وَتُرَابَهَا فِرَاشاً وَمَاءَهَا طِيباً وَالْقُرْآنَ شِعَاراً وَالدُّعَاءَ دِثَاراً ثُمَ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَي مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ عليه السلام.

يانوف إنّ الله أوحي إلي عيسي عليه السلام: قل للملأمن بني اسرائيل لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلاّ بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأكفّ نقيّة، وقل لهم: اعلموا إنّي غير مستجيب لأحد منكم دعوة ولأحد من خلقي قِبَله مظلمة، يا نوف إيّاك أن تكون عشّاراً أو شاعراً أو شرطياً أو عرّيفاً أو صاحب عرطبة ـ وهي الطنبور ـ أو صاحب كوبة ـ وهي الطبل ـ فإنّ نبيّ الله خرج ذات ليلة فنظر إلي السماء فقال: إنها الساعة التي لا تُردّ فيها دعوة إلاّ دعوة عِرّيف أو دعوة شاعر أو شرطيّ أو صاحب عرطبة أو صاحب كوبة.(2)

1- الكافي 2: 129/ح6.

2- أمالي المفيد: 133، المجلس 16؛ بحار الأنوار 41: 16.

رسول الله صلي الله عليه وآله وليلة الإسراء:

وفي إرشاد القلوب للديلميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلي الله عليه وآله أنّه قال: قال الله تعالي له في ليلة الإسراء: «يا أحمد إن أحببت أن تكون أورع الناس فازهد في الدنيا وارغب في الآخرة. فقال: يا إلهي وكيف أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة؟ فقال: خُذ من الدنيا خفّاً من الطعام والشراب واللباس، ولا تدّخر شيئاً لغدٍ، ودُم علي ذِكري. إلي أن قال: يا أحمد هل تعرف ما للزاهدين عندي في الآخرة؟ قال: لا ـ يا ربّ، قال: تُبعث الخلائق ويُناقشون بالحساب وهم من ذلك آمنون، إنّ أدني ما أعطي للزاهدين في الآخرة أن أعطيهم مفاتيح الجنان كلّها حتّي يفتحوا أي باب شاؤا، ولا أحجب عنهم وجهي، ولأمتّعنّهم بأنواع التلذّذ من كلامي، ولأجلسنّهم في مقعد صدق، فأذكّرهم ماصنعوا وتعبوا في دار الدنيا، وأفتح لهم أربعة أبواب: باب تدخل عليهم الهدايا بكرة وعشيّاً من عندي، وباب ينظرون منه إليّ كيف شاؤا بلا صعوبة، وباب يطّلعون منه إلي النار فينظرون إلي الظالمين كيف يُعذَّبون، وباب تدخل عليهم منه الوصائف والحور العين. قال: يا ربّ فمن هؤلاء الزاهدون الذين وصفتهم؟ قال: الزاهد الذي ليس له بيت يخرب فيغتمّ بخرابه، ولا ولد يموت فيحزن بموته، ولاله مال يذهب فيحزن بذهابه، ولا يعرفه إنسان يشغله عن الله عزّوجَل طرفة عين، ولا له فضل طعام فيُسئل عنه، ولا له ثوب ليّن.

يا أحمد، وجوه الزاهدين مصفرّة من تعب الليل وصوم النهار، وألسنتهم كلال إلاّ من ذِكر الله، قلوبهم في صدورهم مطعونة من كثرة ما يخالفون أهواءهم، قد ضمروا أنفسهم من كثرة صمتهم، قد أعطوا المجهود من أنفسهم، لا من خوف نار ولا من شوق جنّة ولكن ينظرون في ملكوت السماوات والأرضين فيعلمون أنّ الله سبحانه و تعالي أهل للعبادة».(1)

1- إرشاد القلوب، الباب 54؛ وعنه بحار الأنوار 74: 21 ـ 30/ ح 6.

أوجه الزهد:

وبالتالي: الزهد علي ثلاثة أوجه:

الأول الزهد الذي ليس فوقه زهد، أن يكون المرء لا يسرّه أنّ الدنيا كلها له يُعَمَّرُ عمرها ويحتوي ملكها ولا يصل إليه شيء من مكارهها، فلا يسأل عليها ولا يرضي بها ولا يتمنّاها لنفادها وانقراضها، فهذا هو الزهد الذي ليس فوقه زهد، وهو غير موجود إلاّ ما بقي ذِكره في الكتب ويتردّد علي الألسنة منه في المحاضر.

الوجه الثاني: أن يزهد الانسان في الدنيا و قلبه معلّق بها محبّ لها مائل إليها، فهو يمنع نفسه قسراً عنها مخافة سوء عواقبها، فهو من نفسه في جهاد، ومن علاجها في اجتهاد، فهو زاهد صابر.

والوجه الثالث: أن يزهد فيما حرّم الله عليه، وهو اللازم للعباد والمفروض عليهم الذي ليس للعبد فيه عذر ولا له عليه حجّة، وهو دون الوجه الثاني، وله فيه نجاة من النار برحمة الله العزيز الغفار. قال بعض العلماء: «لن يصل الانسان إلي ما يريد من الطاعة، ولن يبلغ إلي بُغيته من العبادة إلاّ بالزهد في الدنيا والصبر علي تركها».

وصفوة القول: إنّ الزهد في الدنيا ليس بإهمال النفس وحرمانها المتاع المباح وإضعاف الجسم وإدخال الضرر بتقتير العيش والتعرّض للمعاطب والتصدّي إلي المهالك، فإنّ استعمال ما تصحّ به القوي وتحيا به النفس ويُعين علي العمل واجب متعيّن، وحقيقة الزهد كما قال تعالي: «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَيٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ».(1)

***

جاء في دائرة المعارف البستانية: الزهد لغةً: الاعراض عن الشيء احتقاراً له، من قولهم: شيء زهيد _ أي قليل _ وهو عند الصوفيّة أخذ قدر الضرورة من الحلال. وقيل: بغض الدنيا والاعراض عنها. وقيل: ترك راحة الدنيا طلباً لراحة

1- الحديد: 23.

الآخرة. وقيل: هو أن يخلو قلبك ممّا خلت منه يـدك. وقيل: هو أخـذ قدر الضـرورة من الحلال المتيقّن الحلّ، فهو أخصّ من الورع، إذ هو ترك المشـتبه وهـذا زهـد العارفين؛ وأعلي منه زهد المقرّبين، وهو الزهد فيما سوي الله تعالي من دنيا وجنّة وغيرهما، إذ ليس لصاحب هذا الزهد إلاّ الوصول إليه تعالي والقرب منه، ويندرج فيه كلّ مقصود لغيرهم.

وقد اختلف العلماء في تفسـير المزهود فيه، فقيل: الدنيا والدرهم، وقيل: المطعم والمشـرب والملبس والمسـكن، وقيل: الحياة. ويشـتمل الزهد عندهم علي ثلاثة أمور كلّها من القلب دون الجوارح، ومن ثم كان أبو سـليمان يقول: لانشـهد إلي أحد بالزهد لأنّه في القلب، فمنشأ أوّل تلك الأمور الثلاثة من صـحّة اليقين وقوّته، فإنّ الله تعالي يتكفّل بأرزاق عباده. وفي حديث مرفوع: من سرّه أن يكون أغني الناس فليكن بما في يـد الله أوثق مما في يـده.(1) ومنشـأ الثـاني من كمـال اليقين، ومن ثم روي أنّ من دعـائه صـلي الله عليه وآله: اللهمّ اقسم لنا من خشـيتك ما تحول به بيننا وبين معصـيتك، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنّتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الـدنيا.(2) ولهذا قيل: من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب. ومنشأ الثالث من سقوط منزلة المخلوقين من القلب وامتلائه من محبّة الحقّ.

وقد عرّف بعض الصوفية الزهد بقوله: إنه إسقاط الرغبة عن الشيء بالكليّة، فلا يفرح بموجود ولا يأسف علي مفقود، وثمرته القناعة من الدنيا بقـدر الضـرورة من زاد الطريق: وهو مطعم يـدفع الجوع، وملبس يستر العورة، ومسـكن يصونه عن الحرّ والبرد، وأثاث يحتاج إليه. وأقسامه ثلاثة: وهي زهد

1- فقه الرضا: 354؛ الكافي 2: 139/ ح 8.

2- عوالي اللئالي 1: 159/ ح 144.

العوام وهو ترك الحرام، وزهد الخواص وهو ترك ما زاد عن الضرورة من الحلال، وزهد خواص الخواص وهو ترك ما سوي الله تعالي. وأنشد بعضهم:

وما الزهد إلاّ في انقطاع العلائق *** وما الحقّ إلاّ في وجود الحقائقِ

وما الحبّ إلاّ حبّ من كان قلبه *** عن الخلق مشغولاً برب الخلائقِ(1)

***

وكان شقيق بن إبراهيم البلخي يقول: ثلاث خصال هي تاج الزاهد: الأولي أن يميل علي الهوي ولا يميل مع الهوي، والثانية ينقطع الزاهد إلي الزهد بقلبه، والثالثة أن يذكر كلّما خلا بنفسه كيف مدخله في قبره و كيف مخرجه، ويذكر الجوع والعطش والعري، وطول القيامة والحساب والصراط وطول الحساب والفضيحة البادية، فإذا ذكر ذلك شغله عن ذكر دار الغرور، فإذا كان ذلك كان من محبّي الزهّاد، ومن أحبّهم كان معهم.

وقال إبراهيم بن أدهم: أقرب الزهّاد من الله عزّوجَل أشدّهم خوفاً، وأحبّ الزهّاد إلي الله أحسنهم له عملاً، وأفضل الزهّاد عند الله أعظمهم فيما عنده رغبة، وأكرم الزهّاد عليه أتقاهم له، وأتمّ الزهّاد زهداً أسخاهم نفساً وأسلمهم صدراً، وأكمل الزهّاد زهداً أكثرهم يقيناً.

وقال أيضاً: الزاهد يكتفي من الأحاديث والقال والقيل وما كان وما يكون، يقول الله تعالي: «لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ»(2) يوم يقال «اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَيٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا».(3)

وقال شقيق البلخيّ: والزاهد والراغب كرجلين يريد أحدها المشرق والآخر

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 41: 250، أنّ أبا العبّاس البلخي أنشده بمدينة السلام، وبعده: يصدّ عن الدنيا ولم يرضَ بالمُني *** وصار إلي المولي بأرضي الطرائق

2- المرسلات: 12 ـ 15.

3- الاسراء: 14.

يريد المغرب، هل يتّفقان علي أمر واحد وبغيتهما مخالفة هواهما؟ دعاء الراغب: الله ارزقني مالاً وولداً وخيراً، وانصرني علي أعدائي، وادفع عنّي شرورهم وحسدهم وبغيهم وبلاءهم وفتنهم آمين. ودعاء الزاهد: اللهم ارزقني علم الخائفين، وخوف العاملين، ويقين المتوكّلين، وتوكّل الموقنين، وشكر الصابرين، وصبر الشاكرين، وإخبات المغلبين، وإنابة المخبتين، وزهد الصادقين، وألحقني بالشهداء والأحياء المرزوقين، آمين ربّ العالمين. هذا دعاء هل من شيء من دعاء الراغب يحيط به؟ لا والله! هذا طريق وذاك طريق.

كلام الإمام الصادق عليه السلام في الزهد:

جاء في كتاب (إحياء الأحياء) روي في الكافي عن علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: دخل سفيان الثوري علي أبي عبد الله عليه السلام فرأي عليه ثياب بيض كأنها غرفئ البيض، فقال له: إنّ هذا اللباس ليس من الباسك، فقال له: اسمع منّي وعِ ما أقول لك، فإنّه خير لك عاجلاً و آجلاً إن أنت متّ علي السنّة والحقّ ولم تمت علي بدعة، أخبرك أن رسول الله صلي الله عليه وآله كان في زمان مقفر جدب، فأمّا إذا أقبلت الدنيا فأحقّ أهلها بها أبرارُها لا فجّارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفّارها، فما أنكرتَ ياثوريّ؟! فو الله إنّني ـ لمع ما تري ـ ما أتي علي مُذ عقلت صباح و مساء ولله في مالي حقّ أمرني أن أضعه موضعاً إلاّ وضعته.

قال: فأتاه قوم ممّن يُظهرون الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم علي مثل الذي هم عليه من التقشّف، فقالوا له: إنّ صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حُججه، فقال لهم عليه السلام: فهاتوا حُججكم، فقالوا له: إنّ حُججنا من كتاب الله، فقال لهم: فأدلوا بها فإنها أحقّ ماتُتّبع و عُمل به، فقالوا: يقول الله تبارك وتعالي مُخبراً عن قوم من أصحاب النبي صلي الله عليه وآله: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَيٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»(1) فمدح فعلهم، وقال في موضع آخر: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَيٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا».(2)

فنحن نكتفي بهـذا، فقال رجل من الجلساء: إنّا ما رأيناكم تزهـدون في الأطعمـة الطيّبة ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتي تمتّعوا أنتم منها؟

فقال له أبو عبد الله عليه السـلام: دعوا عنكم مالا تنتفعون به، أخبروني أيها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه الـذي في مثله ضـلّ من ضلّ وهلك من هلك من هـذه الأمّـة؟ فقالوا له: أو بعضه فأمّا كلّه فلا فقال لهم: فمن ههنا أتيتم، وكـذلك أحاديث رسول الله صـلي الله عليه وآله، فأمّا ما ذكرتم من إخبار الله عزّوجَل إيّانا في كتابه عن القوم الـذين أخبر عنهم بحُسن فعالهم فقد كان مباحاً جائزاً ولم يكونوا نُهوا عنه، وثوابهم منه علي الله عزّوجَل، ذلك أن الله جلّ وتقـدّس أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسـخاً لفعلهم، وكان نهي الله تبارك وتعالي رحمة منه للمؤمنين ونظراً لكيلا يضـرّوا بأنفسـهم وعيالاتهم، منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة الذين لا يصـيرون علي الجوع، فإن تصدّقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً، ومن ثمّة قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «خمس تمرات أو خمس قرص أو دنانير أو دراهم يملكها الانسان وهو يريد أن يمضيها فأفضلها ما أنفقه الانسان علي والديه ثم الثانية علي نفسه وعياله، ثم الثالثة علي قرابته الفقراء، ثم الرابعة علي جيرانه الفقراء، ثم الخامسة في سبيل الله وهو أخسّها أجراً».

وقال صـلي الله عليه وآله للأنصاري حين أعتق عنـد موته خمسة أو سـتّة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صـغار: «لو أعلمتموني أمره ما تر كتكم تدفنونه مع

1- الحشر: 9.

2- الدهر: 8.

المسلمين، ترك صبية صغاراً يتكفّفون الناس» ثم قال عليه السلام: حدّثني أبي أن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: «إبدأ بمن تعول الأدني فالأدني».

ثم هـذا ما نطق به الكتاب رداً لقولكم ونهياً عنه مفروضاً من الله العزيز الحكيم، قال: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا»(1) أفلا ترون أن الله تبارك وتعالي قال غير ما أراكم تدعون الناس إليه من الأثرة علي أنفسـهم، وسـمّي مَن فعل ما تدعون الناس إليه مسرفاً، وفي غير آية من كتاب الله يقول: «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»(2) فنهاهم عن الاسراف ونهاهم عن التقتير ولكن أمر بين أمرين، لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يسـتجيب له للحديث الذي جاء عن النبي صلي الله عليه وآله: إن أصنافاً من أمتي لا يُستجاب لهم دعاؤهم: رجل يدعو علي والديه، ورجل يدعو علي غريم ذهب له بمال فلم يكتب عليه ولم يُشـهد عليه، ورجل يدعو علي امرأته وقد جعل الله عزّوجَل تخليـة سبيلها بيـده، ورجل يقعـد في بيته ويقول: ربّ ارزقني، ولا يخرج ولا يطلب الرزق، فيقول الله له: عبدي ألم أجعل لك السبيل إلي الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري، ولكيلا تكون كلاًّ علي أهلك، فإن شـئت رزقتك، وإن شـئت قتّرت عليك وأنت غير معـذور عندي، ورجل رزقه الله مالاً كثيراً فأنفقه ثم أقبل يدعو: يا ربّ ارزقني، فيقول الله عزّوجَل: ألم أرزقك رزقاً واسعاً، فهلاّ اقتصدتَ فيه كما أمرتُك ولم تسرف وقد نهيتُك عن الاسراف؟ ورجل يدعو في قطيعة رحم.

ثم علّم الله نبيّه صـلي الله عليه وآله كيف ينفق وذلك أنه كانت عنده أوقية من الذهب، فكره أن تبيت عنده فتصدّق بها، فأصبح وليس شيء، وجاءه من يسأله فلم يكن

1- الفرقان: 67.

2- الأنعام: 141؛ الأعراف: 31.

عنـده مـا يعطيه، فلامه السائل واغتمّ هو حيث لـم يكن عنـده ما يعطيه، وكان رحيماً رقيقاً، فأدّب الله عزّوجَل نبيّه صـلي الله عليه وآله بأمره فقال: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَيٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا»(1) يقول: إنّ الناس قد يسألونك ولا يعذرونك، فإذا أعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من المال.

فهذه أحاديث رسول الله صلي الله عليه وآله يصدّقها الكتاب، والكتاب يصدّقه أهله من المؤمنين.

وقال أبو بكر عند موته حيث قيل له: أوص، فقال: أوصي بالخُمس والخمس كثير فإنّ الله عزّوجَل قد رضي بالخُمس، فأوصي بالخمس، وقد جعل الله له الثُلث عند موته، ولو علم أن الثلث خير له أوصي به، ثم من قد علمتم بعده في فضله وزهده سلمان الفارسي رَضي الله عَنهُ وأبو ذر رَحمه اللهُ، فأمّا سـلمان فكان إذا أخذ عطائه رفع منه قوته لسـنته حتي يحضر عطاؤه من قابل، فقيل له: يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هـذا وأنت لا تـدري لعلّك تموت اليوم أو غـداً؟ فكان جوابه أن قال: مالكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم عليّ الفناء، أما علمتم يا جهلة أنّ النفس قد تلتاث علي صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه، فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنّت، وأما أبو ذر رَضي الله عنهُ فكانت له نويقـات وشويهات يحلبها ويذبـح منها إذا اشـتهي أهله اللحم، أو نزل به ضـيف، أو رأي بأهل الماء الـذين هم معه خصاصـة، نحر لهم الجزور أو من الشـياه علي قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم فيقسـمه بينهم ويأخذ هو كنصـيب واحد منهم لا يتفضّل عليهم، ومن أزهد من هؤلاـء وقـد قـال فيهم رسول الله صـلي الله عليه وآله مـا قال؟ ولـم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شـيئاً البتـة كما تأمرون الناس بإلقاء أمتعتهم وشيئهم ويؤثرون به علي أنفسهم وعيالاتهم.

1- الاسراء: 29.

واعلموا أيّها النفر أنّي سمعت أبي يروي عن آبائه أنّ رسول الله صلي الله عليه وآله قال يوماً: «ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن أنّه إن قُرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له، وإن ملك ما بين مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له، وكلّ ما يصنع الله به فهو خير له» فليت شعري هل يحيق فيكم ما قد شرحت لكم منذ اليوم أم أزيدكم، أما علمتم أنّ الله قد فرض علي المؤمنين في أوّل الأمر أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ليس له أن يولّي وجهه عنهم، ومن ولاّهم يومئذ دبره فقد تبوّأ مقعده من النار، ثم حوّلهم عن حالهم رحمة منه لهم، فصار الرجل منهم عليه أن يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله عزّوجَل للمؤمنين، فنسخ الرجلان العشرة.

وأخبروني أيضاً عن القضاة أجورةً حيث يقضون علي الرجل منكم نفقة امرأته إذا قال: إنّي زاهد وإنّي لا شيء لي، فإن قلتم «جورة» ظلمتم أهل الإسلام، وإن قلتم «بل عدول» خصمتم أنفسكم، وحيث تردّون صدقة من تصدّق علي المساكين عند الموت بأكثر من الثلث.

أخبروني لو كان الناس كلّهم كالذين تريدون زهّاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم، فعلي من كان يُتصدّق بكفّارات الأيمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة من الذهب والفضة والتمر والزبيب وسائر ما وجب فيه الزكاة من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك إذا كان الأمر كما تقولون لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عرض الدنيا إلاّ قدّمه وإن كان به خصاصة، فبئس ما ذهبتم إليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عزّوجّل وسنّة نبيّه وأحاديثه التي يصدّقها الكتاب المنزل، وردّكم إيّاها بجهالتكم وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي.

وأخبروني أين أنتم عن سليمان بن داود حيث سأل الله مُلكاً لا ينبغي الأحد من بعده فأعطاه الله جلّ اسمه ذلك وكان يقول الحق ويعمل به، ثمّ لم

نجد الله عزّوجَل عاب عليه ذلك ولا أحداً من المسـلمين، وداود النبي قبله في مُلكه وشدّة سلطانه، ثم يوسف النبي حيث قال الملك مصر «اجْعَلْنِي عَلَيٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ»(1) فكان من أمره الـذي كان أن اختار مملكـة الملك وما حولها إلي اليمن، وكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم، وكان يقول الحقّ ويعمل به، فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه، ثم ذوالقرنين عبد أحبّ الله فأحبّه الله وطوي له الأسـباب وملّكه مشـارق الأـرض ومغاربهـا، وكان يقول الحقّ ويعمل به، ثم لم نجـد أحـداً عاب ذلك عليه، فتأدّبوا أيها النفر بآداب الله عزّوجّ ل للمؤمنين، واقتصـروا علي أمر الله ونهيه، ودعوا عنكم ما اشـتبه عليكم ممّا لا علم لكم به، ورُدّوا العلم إلي أهله تُؤجروا وتعـذروا عنـد الله تبارك وتعالي، وكونوا في طلب علم ناسـخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه وما أحلّ الله فيه ممّا حرّم، فإنّه أقرب لكم من الله و أبعـد لكم من الجهـل، ودعوا الجهالـة لأهلهـا، فـإنّ أهـل الجهل كثير وأهل العلم قليل، وقـد قال الله عزّوجَل: «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ».(2) (3)

***

1- يوسف: 55.

2- يوسف: 76.

3- الكافي 5: 65 ـ 70/ح 1، كتاب المعيشة؛ بحار الأنوار 67: 122 ـ 128 / ح13.

من كلام له عليه السلام: يصف الدنيا

«مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ».

(شرح النهج لابن أبي الحديد مج 2، ص 84، ط 1).

***

ضبط الألفاظ الغريبة:

(العناء) بالمدّ التعب والمشقة. و(فُتن) بالبناء علي المجهول من الفتنة بمعني الضلالة. و (حزن) بالبناء علي المعلوم من باب فرح. (واتته) من المواتاة، قال الطريحي: هو حسن المطاوعة والموافقة، ومنه الحديث: خير النساء المواتية لزوجها.(1)

المعني: عشرة أوصاف للدنيا

إنّ هذا الكلام له عليه السلام مسوق للتنفير عن الدنيا والذمّ لها، وقد ذكر من أوصافها أموراً عشرة:

الأوّل: عناء في بداية الطريق

قوله عليه السلام: «ما أصف من دار أوّلها عناء» وهو إشارة إلي أنّ الإنسان فيها في تعب ومشقّة، كما قال تعالي: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ»$سورة البلد (90): الآية 4.$ أي في شدّة منذ حمله وولادته ورضاعه وفطامه ومعاشه وحياته وموته، ثم إنّه

1- مجمع البحرين 1: 33.

سبحانه لم يخلق خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم، وهو مع ذلك أضعف الخلق، ويكفي في الإشارة إلي متاعب الانسان فيها ما نقل عن الحكيم برزويه في صدر (كتاب كليلة ودمنة) في معرض تطويع نفسه بالصبر علي عيش النساء:

أو ليست الدنيا كلها أذيّ وبلاء، أو ليس الانسان يتقلّب في ذلك من حين يكون جنيناً إلي أن يستوفي أيّامه، فقد حقّق في كتب الطبّ أنّ مبدء نشوء الانسان هو الماء الدافع يخرج من بين الصلب والترائب، وذلك الماء إذا ما وقع في الرحم اختلط بماء المرأة ودمها و غلظ، ثم الريح يمخض ذلك الماء والدم حتي يتر كه كالرائب الغليظ، ثم يقسّمه في الأعضاء، فإن كان ذكراً فوجهه قِبل ظهر أمّه، وإن كان أنثي فوجهها قِبل بطن أمّها، وذقنه علي ركبتيه ويداه علي جنبيه، مُقبَض في المشيمة كأنه مصرور في صرّة، ويتنفس من متنفّس شاقٍ، وليس منه عضو إلاّ كأنّه مقموط، فوقه حزّ البطن وتحته ما تحته، وهو منوط بمعاء من سرته إلي سرّة أمّه، ومنها يمتصّ ويعيش من طعام أمّه وشرابها.

فهو بهذه الحالة في الغمّ والظلمات والضيق، حتي إذا كان وقت ولادته سلّط الله الريح علي بطن أمّه وقوي عليه التحريك، فتصوّب رأسه قِبل المخرج، فيجد من ضيق المخرج وعصره ما يجده صاحب الرهق، فإذا وقع علي الأرض فأصابته ريح أو مسّته يد وجد من ذلك من الألم ما لا يجده من سلخ جلده.

ثم هو في ألوان من العذاب إن جاع فليس له استطعام، وإن عطش فليس له استسقاء، أو وجع فليس له استغاثة، مع ما يلقاه من الرفع والوضع واللف والحلّ، إذا أنيم علي ظهره لا يستطيع تقلّباً، أو أقعد لا يستطيع تمدّداً.

فلا يزال في أصناف هذا العذاب ما دام رضيعاً، فإذا أفلت من ذلك أخذ بعذاب الأدب فأذيق منه ألواناً، وإذا أدرك فهم المال والأولاد والشره والحرص ومخاطرة السعي والطلب.

وكلّ هذا يتقلّب معه فيها أعداؤه الأربعة: المرّة والبلغم والدم والريح، والسم المميت والحياة اللاذعة مع خوف السباع والناس وخوف البرد والحرّ، ثم ألوان عذاب الهرم إن بلغه.

والثاني: فناء في آخر الطريق

أنّ (آخرها فناء): إذ كلّ نفس ذائقة الموت مشرفة علي الفوت، ومفارقة للأهل والأولاد، مهاجرة عن الوطن والبلاد، وكلّ شيء هالك إلاّ وجهه، وكلّ إنسان ملاقٍ ربّه.

والثالث: الحساب في الحلال

أنّه (في حلالها حساب) قال سبحانه: «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ»$الغاشية: 26.$ وقال أيضاً: «وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَيٰ بِنَا حَاسِبِينَ»$الأنبياء: 47.$ وقال سبحانه: «وَوَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسَابَهُ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ».$النور:39.$

قال الطبرسي: لا يشغله حساب عن حساب، فيحاسب الجميع علي أفعالهم في حالة واحدة. وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يحاسبهم في حالة واحدة؟ فقال: كما يرزقهم في حالة واحدة.(1)

والحساب يوم القيامة ممّا يجب أن يؤمن به، وأما أنّ المحاسب عليه والمسؤول عنه ماذا؟ فقد اختلفت الأخبار فيه، فبعضها كالآيات واردة علي نحو العموم أو الاطلاق، وبعضها مخصوصة أو مقيّدة.

ففي الحديث النبويّ المعروف بين الخاصّة والعامّة: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: لا يزول قدم عبد يوم القيامة من بين يدي الله عزّوجَل حتي يُسأل عن أربع خصال: عمرك فيما أفنيته، وجسدك فيما أبليته، ومالك من أين اكتسبته وأين وضعته،

1- تفسير مجمع البيان7 : 256.

وعن حبّنا أهل البيت. فقال عمر بن الخطاب: وما علامة حبّكم يا رسول الله ؟ فقال: محبّة هذا، ووضع يده علي رأس أمير المؤمنين عليه السلام.(1)

وجاء في تفسير مجمع البيان أنّ رسول الله صلي الله عليه وآله سُئل عن هذه الآية «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا»(2) فقال صلي الله عليه وآله: يُحشر عشرة أصناف من أمّتي أشتاتاً قد ميّزهم الله عن المسلمين وبدّل صورهم، فبعضهم علي صورة القردة، وبعضهم علي صورة الخنازير، وبعضهم منكوسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثمّ يُسحبون عليها، وبعضهم عمّي يتردّدون، وبعضهم صُمّ بُكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم، يسيل القيح من أفواههم لعاباً، يتقذّرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مُصلّبون علي جذوع من النار، وبعضهم أشدّ نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

فأمّا الذين علي صورة القردة فالقتّاة من الناس، وأما الذين علي صورة الخنازير فأهل السحت، وأما المنكوسون علي رؤوسهم فأكلة الربا، والعمي الجائرون في الحكم، والصمّ والبُكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم العلماء والقضاة الذين خالفت أعمالهم أقوالهم، والمقطّعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلّبون علي جذوع من نار فالسعاة بالناس إلي السلطان، والذين أشدّ نتناً من الجيف فالذين يتمتّعون بالشهوات واللذّات ويمنعون حقّ الله في أموالهم، والذين هم يلبسون الجباب من القطران فأهل الفخر والخيلاء.(3)

1- شرح الأخبار للقاضي النعمان 1: 157؛ أمالي المفيد: 353/ ح 5؛ المعجم الأوسط للطبراني 2: 348.

2- النبأ: 38.

3- تفسير مجمع البيان 10: 242.

ومن الأسئلة الموجّهة للعباد يوم المعاد السؤال عن النعيم في قوله تعالي: «ثُمّ لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ».(1)

اختلف العلماء في هـذا النعيم ما هو، روي الصـدوق بإسـناده عن إبراهيم بن العباس الصولي قال: كنّا بين يدي علي بن موسـي الرضا عليه السـلام فقال: ليس في الـدنيا نعيم حقيقيّ، فقال له بعض الفقهاء ممّن بحضـرته: قول الله عزّوجَل: «ثُمّ لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ» أما هذا النعيم في الدنيا هو الماء البارد؟ فقال له الرضا عليه السـلام ـ وعلا صوته ـ: هكذا فسّرتموه أنتم وجعلتموه علي ضروب، فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب، وقال آخرون: هو النوم الطيّب.

ولقد حدّثني أبي عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ أقوالكم هذه ذُكرت عنده في قوله تعالي: «لَتُسْئَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النّعِيمِ» فغضب وقال: إنّ الله تعـالي لا يسـأل عبـاده عمّـا تفضّـل عليهم به ولا يمنّ بـذلك عليهم، والامتنان مُسـتقبح من المخلوقين، فكيف يُضاف إلي الخالق عزّوجَل ما لا يرضـي به للمخلوقين، ولكنّ النعيم حبنّا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوّة، لأنّ العبد إذا وافي بذلك أدّاه إلي نعيم الجنّة الذي لا يزول.

ولقد حدّثني بذلك أبي محمد بن علي عن أبيه، عن الحسـين بن علي، عن أبيه عليهم السلام أنّه قال له: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: يا علي أوّل ما يسـئل عنه العبد بعد موته شـهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، وأنك وليّ المؤمنين بما جعله الله لك، فمن أقرّ بذلك وكان معتقده صار إلي النعيم الذي لا زوال له.(2)

وروي العيّاشي بإسناده في حديث طويل، قال: سأل أبو حنيفة أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية، فقال له عليه السلام: ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام والماء البارد. فقال: لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتّي يسألك عن

1- التكاثر: 8.

2- عيون أخبار الرضا 1: 136 ـ 137/ ح8.

كلّ أكلـة أكلتَها وشـربة شـربَتها ليطولنّ وقوفك بين يـديه. قال: فما النعيم جُعلت فداك؟قال: نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا علي العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله للإسلام، وهي النعمة التي لا تنقطع.

والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله به عليهم، وهو النبي صلي الله عليه وآله وعترته عليه السلام.(1)

وفي كتـاب أصول الكـافي عن الإمام الصادق عليه السـلام قال: ثلاثـة أشـياء لا يُحاسَب عليهنّ المؤمن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه ويُحصن بها فرجه.(2)

الرابع: قوله عليه السـلام: «في حلالها حساب» وهو إشارة إلي ما يظهر في صـحيفة الانسان يوم القيامة من الآثار المكتوبة عليه، ممّا خاض فيه من مباحـات الـدنيا، وتوسّع فيه من المأكل والمشارب والمناكـح والمراكب، وما يظهر في لوح نفسه من محبّـة ذلك فيعوقه عن اللحوق بالمجرّدين عنها الذين لم يتصـرّفوا فيها تصـرّف الملاّك، فلم يكتب عليه في شـيء منها ما يحاسبون عليه، وإليه إشارة سيّد المرسلين صلي الله عليه وآله «إنّ الفقراء ليدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام، وإنّ فقراء أمتي ليدخلون الجنة سـعياً»(3) وما ذاك إلاّ لكثرة حساب الأغنياء بتعويقهم بثقل ما حملوا من محبّة الدنيا وقنياتها عن اللحوق بدرجة المخفين منها.

العقوبة علي المحرمات:

الخامس: قوله عليه السلام: «في حرامها عقاب» وهو واضح لا غبار عليه، وإلي هذا الوصف و سابقه نظر الشاعر في قوله:

1- تفسير العيّاشي؛ وعنه بحار الأنوار 7: 258؛ تفسير الصافيه 5: 370.

2- الكافي 6: 280 ح 2.

3- تفسير مجمع البيان 7: 161؛ بحار الأنوار 7: 122.

الدهر يومان فيومٌ مضي *** عنك بما فيه ويوم جديد

حلال يومَيك حساب وفي *** حرام يوميك عقاب شديد

تجمع ما يأكله وارث *** وأنت في القبر وحيد فريد

إنّي لغيري واعظ تارك *** نفسي وقولي من فعالي بعيد

حلاوة الدنيا ولذّاتها *** تكلّف العاقل ما لا يريد(1)

السادس: قوله عليه السلام: «من استغني فيها فُتن» لأنّ الاستغناء شاغل عن ذكر الله، مضلّ عن سبيل الله، فهو بلاء ابتلاه الله به كما نطق به القرآن الكريم: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ».(2)

السابع: الفقر يجلب الحزن

أنّ «من افتقر فيها حزن» لظهور أنّ الافتقار فيها لطالبها موجب لشدّة المحنة ومنتهي الحزن والكآبة، قال النبيّ صلي الله عليه وآله: الفقر أشدّ من القتل.$بحار الأنوار 69: 47.$ وقال: أوحي الله إلي إبراهيم فقال: يا إبراهيم خلقتك وابتليتك بنار نمرود، فلو ابتليتك بالفقر ورفعت عنك الصبر فما تصنع؟ قال ابراهيم عليه السلام : يارب الفقر إليّ أشدّ من نار نمرود. قال الله تعالي: فبعزّتي وجلالي ما خلقت في السماء والأرض أشدّ من الفقر.$بحار الأنوار 69: 47.$

وقال عليه السلام: الفقر الموت الأكبر.(3) وقال: لولا رحمة ربي علي فقراء أمتي كاد الفقر أن يكون كفراً.(4)

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 6: 239، نسبه لبعض الشعراء.

2- التغابن: 15.

3- مشكاة الأنوار: 228.

4- بحار الأنوار 69: 47.

وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «من ابُتلي بالفقر فقد ابتلي بأربع خصال: بالضعف في يقينه، والنقصان في عقله، والرقّة في دينه، وقلّة الحياء في وجهه، فنعوذ بالله من الفقر».(1)

هذا ولشدّته دعا سيّد العابدين وزين الساجدين عليه السلام أن يصرفه الله عنه ولا يبتليه به، حيث قال:

«اللهم لا طاقة لي بالجهد، ولا صبر لي علي البلاء، ولا قوّة لي علي الفقر، فلا تحظر عليّ رزقي، ولا تكلني إلي خلقك، بل تفرّد بحاجتي، وتولَّ كفايتي، وانظر إليّ في جميع أموري، فإنّك إن وكلتني إلي نفسي عجزت عنها ولم أقم ما فيه مصلحتها، وإن وكلتني إلي خلقك تجهّموني، وإن ألجأتني إلي قرابتي حرموني، وإن أعطوني أعطوني قليلاً نكداً، ومنّوا علي طويلاً وذمّوا كثيراً، فبفضلك اللهمّ فأغنني، وبعظمتك فأنعشني، وبسعتك فابسُط يدي، وبما عندك فاكفني».(2)

لذلك جعل الله تعالي للفقراء الصابرين عنده منزلة ودرجة سامية رفيعة، حتّي ورد في الحديث المتقدّم الذكر: يدخل الفقراء إلي الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، ومقداره خمسماءة عام.

وفي جامع الأخبار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالي منادياً فينادي: أين الفقراء؟ فيقوم عُنق من الناس فيؤمر بهم إلي الجنّة، فيقول خزنة الجنّة: قبل الحساب؟ فيقولون: ما أعطونا شيئاً فيحاسبون عليه، فيقول الله تعالي: صدقوا، عبادي ما أفقرتُكم هواناً بكم، ولكن ادّخرت هذا لكم لهذا اليوم، انظروا وتصفّحوا وجوه الناس فمن أتي إليكم معروفاً

1- بحار الأنوار 69: 47 و 48.

2- إقبال الأعمال لابن طاووس 1: 303، في أدعية الليلة العشرين من شهر رمضان؛ بحار الأنوار 98: 51 و 52.

فخذوا بيده وأدخلوه الجنة».(1) وقال رسول الله صلي الله عليه وآله: «خير هذه الأمة فقراؤها، وأسرعها تصعّداً في الجنة ضعفاؤها»(2) وقال صلي الله عليه وآله: «اللهمّ أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»(3) وقال : إنّ لي حرفتين اثنتين فمن أحبّهما فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني: الفقر والجهاد.(4) وقال صلي الله عليه وآله: «الفقر أزين للمؤمنين من العذار الحسن علي خدّ الفرس».(5)

وسئل عن الفقر فقال: «خزانة من خزائن الله، وسئل عنه ثانياً فقال: كرامة من الله، وسُئل عنه ثالثاً فقال: شيء لا يُعطيه الله إلاّ نبياً مرسلاً أو مؤمناً كريماً علي الله».(6)

مقام الفقراء في الجنة

وقال : «إنّ في الجنّة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلي نجوم السماء، لا يدخل فيها إلاّ نبيّ فقير أو مؤمن فقير»،(7) وقال صلي الله عليه وآله: يقوم فقراء أمتي يوم القيامة وثيابهم خضر وشعورهم منسوجة بالدرّ والياقوت، وبأيديهم قضبان من نور يخطبون علي المنابر، فيمرّ عليهم الأنبياء فيقولون: هؤلاء من الملائكة، وتقول الملائكة: هؤلاء من الأنبياء، فيقولون: نحن لا ملائكة ولا أنبياء، بل من فقراء أمّة محمد صلي الله عليه وآله، فيقولون: بم نلتم هذه الكرامة؟ فيقولون: لم تكن أعمالنا شديدة، ولم نصم الدهر، ولم نقم الليل، ولكن أقمنا علي الصلوات الخمس، وإذا سمعنا ذكر محمد فاضت دموعنا علي خدودنا.(8)

1- رواه الصدوق في ثواب الأعمال: 166؛ والمجلسي في بحار الأنوار 69: 42.

2- جامع السعادات 2: 63.

3- سنن الترمذي 4: 577/ ح 2352؛ تذكرة الفقهاء للعلاّمة الحلّي 5: 237.

4- مستدرك الوسائل للنوري 11: 14/ ح 12295؛ ذيل تاريخ بغداد لابن النجّار 2: 143.

5- عوالي اللئالي 1: 40.

6- بحار الأنوار 69: 47

7- بحار الأنوار 69: 47.

8- مستدرك الوسائل 10: 318/ ح 12083.

أحاديث في فضل الفقر والفقراء:

وقال صلي الله عليه وآله: كلّمني ربّي فقال: يا محمّد، إذا أحببتُ عبداً أجعل له ثلاثة أشياء: قلبه حزيناً، وبدنه سقيماً، ويده خالية من حطام الدنيا، وإذا أبغضتُ عبداً أجعل له ثلاثة أشياء: قلبه مسروراً، وبدنه صحيحاً، ويده مملوّة من حطام الدنيا (1)، وقال صلي الله عليه وآله: «الناس كلّهم مشتاقون إلي الجنّة، والجنّة مشتاقة إلي الفقراء».(2) وقال صلي الله عليه وآله: «الفقر فخري»(3)، وقال صلي الله عليه وآله: «تحفة المؤمن في الدنيا الفقر»(4)، وقال صلي الله عليه وآله: يؤتي بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالي إليه كما يعتذر الأخ إلي أخيه في الدنيا، فيقول: وعزّتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة، أخرج يا عبدي إلي هذه الصفوف، فمن أطعمك فيّ أوكساك فيّ يريد بذلك وجهي فخُذ بيده فهو لك _ والناس يومئذ قد ألجمهم العرق _ فيتخلّل الصفوف وينظر من فعل ذلك به ويُدخله الجنة،(5) وقال صلي الله عليه وآله: أكثروا معرفة الفقراء واتّخذوا عندهم الأيادي، فإنّ لهم دولة، قالوا: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال: إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا إلي من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً فخُذوا بيده ثم امضوا به إلي الجنّة.(6)

وقال صلي الله عليه وآله: ألا أخبركم بملوك أهل الجنة؟ قالوا: بلي يا رسول الله، قال: كلّ ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه به، لو أقسم علي الله لأبرّه.(7)

1- بحار الأنوار 69: 48.

2- بحار الأنوار 69: 49.

3- بحار الأنوار 69: 49.

4- الجامع الصغير للسيوطي 1: 502/ ح 3258.

5- رواه المجلسي في بحار الأنوار 78: 193 عن الإمام الصادق عليه السلام باختلاف في اللفظ والمعني.

6- انظر كشف الخفاء للعجلوني 1: 37 ـ 38.

7- بحار الأنوار 36:347.

ودخل صلي الله عليه وآله علي رجل فقير ولم ير له شيئاً فقال: «لو قُسّم نور هذا علي أهل الأرض لوسعهم».(1)

وقال صلي الله عليه وآله: «إذا أبغض الناس فقراءهم، وأظهروا عمارة الدنيا، وتكالبوا علي جمع الدراهم والدنانير، رماهم الله بأربع خصال: بالقحط من الزمان، والجور من السلطان، والجناية من ولاة الحكام، والشركة من الأعداء».(2)

وروي الصدوق في الأمالي بسند معتبر عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من أهل الجنّة، فقير في الدنيا وغنّي في الدنيا، فيقول الفقير: يا ربّ علي مَ أوقف؟ فو عزّتك إنّك لتعلم أنّك لم تولني ولاية فأعدل فيها أو أجور، ولم ترزقني مالاً فأؤدّي منه حقاً أو أمنع، ولا كان رزقي يأتيني منها إلاّ كفافاً علي ما علمتَ وقدّرت لي. فيقول الله جل جلاله صدق عبدي، خلّوا عنه يدخل الجنّة. ويبقي الآخر حتّي يسيل منه من العرق ما لو شربه أربعون بعيراً لكفاها، ثم يدخل الجنّة، فيقول له الفقير: ما حبسك؟ فيقول: طول الحساب، مازال الشيء يجيئني بعد الشيء يُغفر لي ثم أسأل عن شيء آخر، حتي تغمّدني الله عزّوجَل برحمته وألحقني بالتائبين، فمن أنت؟ فيقول: أنا الفقير الذي كنت معك آنفاً، فيقول: لقد غيّرك النعيم بعدي.(3)

***

1- انظر مشكاة الأنوار: 505.

2- رواه المتّقي في كنز العمّال 16: 39/ ح 43841 باختلاف يسير.

3- عدّة الداعي: 106؛ بحار الأنوار 7: 259.

من خطبة له عليه السلام:في الاهتمام بفروع الدين وصلة الرحم والانفاق

اشارة

«إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَي اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَي الْإِيمَانُ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وَ إِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ وَ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ وَ حَجُّ الْبَيْتِ وَ اعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَ يَرْحَضَانِ الذَّنْبَ وَ صِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ، وَ صَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ وَ صَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ وَ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ».

(شرح النهج لابن أبي الحديد مج 2، ص 236، ط الأولي).

***

ضبط الألفاظ الغريبة:

(ذروة الشيء): أعلاه، و(الملّة): الدين، و(الجُنّة): الوقاية، و(يرحضان):يغسلان،و(المثراة): المكثرة وهي محلّ للكثرة والثروة، و(المنسأة) محلّ النسأ وهو التأخير.

***

الشرح: أسباب القرب الي الله

إنّ هذه الخطبة الشريفة مسوقة للارشاد إلي بعض أسباب القرب والوسائل التي يتوسّل بها إلي الله سبحانه، وللأمر بالافاضة إلي ذكر الله، وببعض ما يدرك به رضوان الله. ولمّا كانت أسباب الزُلفي والتقرّب كثيرة خصّ عليه السلام أفضلها بالبيان، وهي ـ علي ما ذكره ـعشرة أمور:

أوّلها: الإيمان بالله

وإليه أشار بقوله: «إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلي الله سبحانه وتعالي الايمان به وبرسوله». قدّم الإيمان علي غيره لكونه أصلاً بالنسبة إليه، والمراد به هنا التصديق المجرّد عن الإقرار والعمل، بقرينة ذكر كلمة الاخلاص التي هي الاقرار، وسائر العبادات التي هي من باب الأعمال بعده.

الفرق بين الإسلام والإيمان:

والفرق بين الإسلام والإيمان: الإيمان هو التصديق القلبيّ، والإسلام هو التسليم والانقياد الظاهريّ.

والايمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان، وهو أعلي درجة من الاسلام وأرفع.

وفي رواية أبي الصباح الكنانيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّهما أفضل الايمان أو الإسلام؟ فإنّ من قبلنا يقولون: إنّ الإسلام أفضل من الإيمان. فقال عليه السلام: الإيمان أرفع من الإسلام، قلت: فأوجدني ذلك. قال: ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمّداً؟ قال: قلت: يُضرب ضرباً شديداً. قال: أصبت، فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمّداً؟ قلت يُقتل، قال: أصبت، ألا تري أنّ الكعبة أفضل من المسجد، وأنّ الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة، و كذلك الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان؟(1)

فإنّ المستفاد من هذه الرواية أنّه كلّ ما وُجد الإيمان وُجد الإسلام ولا عكس.

أمّا من جهة أن الإسلام عبارة عن التصديق بالظاهر _ أعني الاعتراف باللسان _ والايمان عبارة عن التصديق بالباطن، والأول غير مستلزم للثاني، ولذلك كذبّ الله الأعراب بقوله: «قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا» في دعواهم وصف الإيمان لأنفسهم حيث قالوا: «آمَنّا»،

1- الكافي 2: 26 ح 4.

وذلك لأجل أنّهم لم يكونوا مصدّقين بالباطن ولم يكونوا علي ثقة وطمأنينة فيما أقرّوا به ظاهراً، وأثبت لهم وصف الإسلام بقوله: «وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا»(1) باعتبار شهادتهم بالتوحيد و الرسالة واعترافهم ظاهراً.

ويدلّ علي ما ذكرنا ما رواه في الكافي بإسناده عن سماعة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟ فقال عليه السلام: إنّ الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان.

فقلت: فصفهما لي. فقال: الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله والتصديق برسول الله صلي الله عليه وآله، وبه حُقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلي ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهُدي وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل به، والايمان أرفع من الإسلام بدرجة. إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الايمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة.(2)

وعن عجلان بن أبي صالح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أوقفني علي حدود الايمان. فقال: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، والاقرار بجميع ما جاء من عند الله، والصلوات الخمس، وأداء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، وولاية وليّنا، وعداوة عدوّنا، والدخول مع الصادقين.(3)

فإنّ المراد بالدخول مع الصادقين: الدخول في زمرة آل محمّد عليم السلام والكون معهم، كما قال تعالي: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ».(4)

مراتب الإيمان:

جاء في أصول الكافي عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن

1- الحجرات: 14.

2- الكافي 2: 25/ ح 1.

3- الكافي 2: 18/ ح 2.

4- التوبة: 119.

القاسم بن بريد، قال: حدّثنا أبو عمر الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أيّها العالِم أخبرني أيّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به. قلت: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلاّ هو أعلي الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظّاً . قال: قلت: ألا ـ تخبرني عن الإيمـان، أقولٌ هو وعمل، أم قولٌ بلا عمل؟ فقال عليه السـلام: الإيمان عمل كلّه، والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيّن في كتابه واضح نوره، ثابتة حجّته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه. قال: قلت له: صفه لي جُعلت فداك حتّي أفهمه. قال: الايمان حالات و درجات وطبقات ومنازل: فمنه التام المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزايد رجحانه. قلت: إنّ الايمان ليتمّ وينقص ويزيـد؟ قـال: نعم. قلت: كيف ذاك؟ قـال: لأـنّ الله تبـارك و تعالي فرض الايمان علي جوارح ابن آدم وقسّـمه عليها و فرّقه فيها، فليس من جوارحه إلاّ وقـد وكّلت من الايمان بغير ما و كّلت به أختها، فمنها قلبه الـذي به يعقل ويفقه ويفهم، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلاّ عن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللتان يُبصر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، وفرجه الـذي الباه من قِبله، ولسانه الـذي ينطق به، ورأسه الـذي فيه وجهه، فليس من هذه جارحة إلاّ وقد وكّلت من الإيمان بغير ما وكّلت به أختها بفرض من الله تبارك وتعالي اسمه، وينطق به الكتاب لها ويشهد به عليها، ففرض علي القلب غير ما فرض علي العينين، وفرض علي العينين غير مـا فرض علي اللسـان، وفرض علي اللسـان غير مـا فرض علي اليــدين، وفرض علي اليـدين غير مـا فرض علي الرجليـن، وفرض علي الرجلين غير ما فرض علي الفرج، وفرض علي الفرج غير ما فرض علي الوجه.

فأمّا ما فرض علي القلب من الايمان: فالاقرار والمعرفـة والعقـد والرضا والتسـليم بأن لا إله إلاّ الله وحـده لا شـريك له إلهاً واحداً لم يتّخذ صاحبـة ولاـ ولـداً، وأنّ محمـداً عبـده ورسوله، والاـقرار بما جاء من عنـد الله من نبيّ أو كتاب، فـذلك ما فرض الله علي القلب من الاقرار والمعرفة، وهو قول عزّوجَل: «إِلّا مَنْ

أَكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا»(1) وقال: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»(2) وقال: «الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ»(3) وقال: «وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ».(4)

فذلك ما فرض الله عزّوجَل علي القلب من الاقرار والمعرفة، وهو عمله وهو رأس الايمان.

وفرض الله علي اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقرّ به، قال الله تبارك وتعالي اسمه: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا»(5) وقال: «قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»(6) فهذا ما فرض الله علي اللسان وهو عمله.

وفرض علي السمع أن يتنزّه عن الاستماع إلي ما حرّم الله، وأن يُعرض عمّا لا يحلّ له مما نهي الله عزّوجَل عنه، والاصغاء إلي ما أسخط الله عزّوجَل، فقال في ذلك:

«وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّيٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ»(7) ثم استثني الله عزّوجَل موضع النسيان فقال: «وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَيٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»(8) وقال: «فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ»(9) وقال عزّوجَل: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ

1- النحل: 106.

2- الرعد: 28.

3- المائدة: 41.

4- البقرة: 284.

5- البقرة: 83.

6- العنكبوت: 46.

7- النساء: 140.

8- الأنعام: 68.

9- الزمر: 17 و 8.

* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ»(1) وقال: «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ»(2) وقال: «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا».(3)

فهذا ما فرض الله علي السمع من الإيمان أن لا يُصغي إلي ما لا يحلّ له، وهو عمله وهو من الإيمان.

وفرض علي البصر أن لا ينظر إلي ما حرّم الله عليه، وأن يُعرض عما نهي الله عنه ممّا لا يحلّ له، وهو عمله وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالي: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ»(4) فنهاهم عن أن ينظروا إلي عورات غيرهم، وأن يحفظوا عوراتهم أن يُنظر إليها، وقال تعالي: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ»(5) من أن تنظر إحداهن إلي عورة غيرها من النساء، وتحفظ عورتها من أن يُنظر إليها، ثم نظم تعالي ما فرض علي القلب واللسان والسمع والبصر في آية أخري، فقال: «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ»(6) يعني بالجلود الفروج والأفخاد، وقال: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا».(7)

فهذا ما فرض الله علي العينين من غضّ البصر عمّا حرّم الله، وهو عملهما وهو من الإيمان.

وفرض علي اليدين أن لا يبطش بهما إلي ما حرّم الله، وأن يبطش بهما إلي ما أمر

1- المؤمنون: 1 ـ 4.

2- القصص: 55.

3- الفرقان: 72.

4- النور: 30.

5- النور: 31.

6- فصلت: 22.

7- الإسراء: 36.

الله عزّوجّل، وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والطهور للصلوات، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَي الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَي الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَي الْكَعْبَيْنِ»(1) وقال: «فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّيٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّيٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا»(2) فهذا ما فرض الله علي اليدين، لأنّ الضرب من علاجهما.

وفرض علي الرجلين أن لا يمشي بهما إلي شيء من معاصي الله، وفرض عليهما المشي إلي ما يُرضي الله عزّوجَل، فقال: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا»(3) وقال: «وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ».(4)

وقال فيما شهدت الأيدي والأرجل في أنفسهما وعلي أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عزّوجَل به وفرضه عليهما: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَيٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»(5) فهذ أيضاً ممّا فرض الله عزّوجَل علي اليدين وعلي الرجلين، وهو عملهما، وهو من الإيمان.

وفرض علي الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»(6) وهذه فريضة جامعة علي الوجه واليدين والرجلين، وقال في موضع آخر: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا».(7)

1- المائدة: 6.

2- محمّد: 4.

3- الأسراء: 37.

4- لقمان: 19.

5- يس: 65.

6- الحجّ: 77.

7- الجنّ: 18.

وقال فيما فرض علي الجوارح من الطهور والصلاة بها، وذلك أنّ الله عزّوجّل لمّا صرف نبيّه صلي الله عليه وآله إلي الكعبة عن بيت المقدس أنزل الله عزّوجَل عليه: «وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ»(1) فسمّي الصلاة إيماناً، فمن لقي الله عزّوجَل حافظاً لجوارحه، موفّياً كلّ جارحة من جوارحه ما فرض الله عزّوجَل عليها، لقي الله عزّوجَل مستكملاً لايمانه وهو من أهل الجنّة، ومن خان في شيء منها أو تعدّي ما أمر الله عزّوجَل فيها، لقي الله عزّوجَل ناقص الإيمان.

قلت: قد فهمت نقصان الايمان وتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ فقال عليه السلام: قول الله عزّوجَل: «وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيّكُمْ زَادَتْهُ هَـ ذِهِ إِيمَانًا فَأَمّا الّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمّا الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَيْ رِجْسِ هِمْ»(2) وقال: «نَحْنُ نَقُصّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقّ إِنّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًي».(3)

ولو كان كلّه واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل علي الآخر ولاستوت النعم فيه، ولاستوي الناس وبطل التفضيل، ولكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنّة، وبالزيادة في الايمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرّطون النار.(4)

الثاني: الجهاد من الوسائل إلي الله سبحانه

(الجهاد) في سبيله فإنه ذروة الإسلام، ولمّا كان ذروة كلّ شيء عبارة عن أعلاه، جعل الجهاد ذروة الإسلام باعتبار رفعته وعلوّ رتبته فيه وتقدّمه علي سائر العبادات البدنيّة، باعتبار اقتضائه قوّة التصديق واليقين بما جاء به خاتم

1- البقرة: 143.

2- التوبة: 124 و 125.

3- الكهف: 13.

4- الكافي 2: 33 - 37/ ح 1.

النبيّين ما لا تقتضيه سائر الطاعات والقربات، وإلاّ لما ألقي المجاهد نفسه إلي المهالك مع غلبة ظنّه بأنه عاطب هالك، ولولا سيف المجاهدين لما اخضرّ للإسلام عود ولما قام له عمود، وهو باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوي ودرع الله الحصينة.

والثالث: كلمة الاخلاص

أي الكلمة المتضمّنة لاخلاص الله تعالي وتنزيهه عن الشركاء والأنداد، وهي كلمة التوحيد _ أعني لا إله إلا الله _ تلك الكلمة الطيّبة المباركة. وعلّل عليه السلام كونها أفضل القرب بقوله: (فإنّها الفطرة) أي الفطرة المعهودة الواردة في الكتاب العزيز، المأمور باتّباعها بقوله تعالي: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللّهِ الّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا».(1) قال في مجمع البيان: أي اتّبع فطرة الله وهي التوحيد التي فطر الناس _ أي خلق الناس _ عليها ولها وبها، أي لأجلها والتمسّك بها، قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «كلّ مولود يُولد علي الفطرة بأنّ الله عزّوجَل خالقه».(2) ولمّا كانت كلمة الإخلاص متضمّنة للفطرة التي هي التوحيد والمعرفة جعلها نفس الفطرة، تسميةً للدالّ علي مدلوله.

والرابع: الصلاة ركن الدين وعموده

(إقام الصلاة فإنها الملّة) قال الطريحي: الملّة في الأصل ما شرع الله لعباده علي ألسنة الأنبياء ليتوصّلوا به إلي جوار الله. وتُستعمل في جملة الشرائع دون آحادها، ولا تكاد توجد مضافة إلي الله ولا إلي آحاد أمّة محمّد صلي الله عليه وآله، بل يقال ملّة محمّد، قال تعالي: «مِلّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ»(3) أي دينه.(4)

1- الروم: 30.

2- تفسير مجمع البيان: 58 - 59.

3- الحجّ: 78.

4- مجمع البحرين 4: 232.

والصلاة هي الركن الأعظم من الدين، قال رسول الله صلي الله عليه وآله: الصلاة عماد الدين(1)، فإنّه لمّا كان قوام الدين و ثباته بها جعلها عماداً له، كما صرّح بذلك في قوله صلي الله عليه وآله: «مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود ثبتت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء».(2) وقال صلي الله عليه وآله: «الصلاة عماد الدين، فمن ترك صلاته متعمّداً فقد هدم دينه».(3)

وكيف كان فالآيات والروايات في فضلها وعقوبة تاركها كثيرة فوق حدّ الاحصاء، ونحن نشير إلي بعضها تنبيهاً للغافل.

قال الله تعالي: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَيٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَيٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا».(4)

وفي سورة النساء: «فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَي الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا».(5)

وفي سورة مريم: «أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا».(6)

وفي سورة العنكبوت: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَيٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَ».(7)

وفي سورة أرأيت: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ».(8)

أي غافلون غير مبالين بها.

1- أمالي الطوسي: 529؛ عوالي اللئالي 1: 322.
2- بحار الأنوار 79: 218 ح 36.
3- بحار الأنوار 79: 202/ ح 1.
4- الإسراء: 78 و 79.
5- النساء: 103.
6- مريم: 59.
7- العنكبوت: 45.
8- الماعون: 5 و6.

قـال علي بن ابراهيم القمي:عني به التاركين، لأنّ كلّ إنسان يسـهو في الصـلاة.(1) وفي المجمع عن الصـادق عليه السـلام: هو الترك لها والتواني عنها.(2)

جاء في الخصال للشـيخ الصدوق قدس سرّه عن أمير المؤمنين عليه السلام: ليس عمل أحبّ إلي الله عزّوجَل من الصلاة، فلا يشغلكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا، فإنّ الله عزّوجَل ذمّ أقواماً فقال: «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ»،(3) يعني أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها.(4)

وفي الكافي بإسـناده عن معاويـة بن وهب قال: سألت أبا عبـد الله عليه السـلام عن أفضل ما يتقربّ به العباد إلي ربّهم وأحبّ ذلك إلي الله عزّوجَل ما هو؟ فقال عليه السـلام: ما أعلم شـيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصـلاة، ألا تري أن العبد الصالح عيسي بن مريم عليه السلام قال: «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا».(5) (6)

وقـال عليه السـلام: «أحبّ الأعمال إلي الله عزّوجَل الصـلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء عليهم السـلام، فما أحسن الرجل يغتسل أو يتوضّـأ فيُسـبغ الوضوء ثم يتنحّي حيث لا يراه أنيس، فيُشـرف الله عليه وهو راكع أو ساجد، إنّ العبد إذا سـجد فأطال السـجود نادي إبليس: يا ويلاه أطاعوا وعصيتُ، وسجدوا وأبيتُ».(7)

وعن أبي جعفر عليه السـلام قال: قال رسول الله صـلي الله عليه وآله: «إذا قام العبد المؤمن في صلاة نظر الله إليه _ أو قال: أقبل الله عليه _ حتّي ينصرف، وأقلّته الرحمة من فوق رأسه إلي أفق السماء، والملائكة تحفّه من حوله إلي أفق السماء، وو كّل

1- تفسير القمّي 2: 444.

2- تفسير مجمع البيان 10: 456.

3- الماعون: 6.

4- الخصال 2: 621، في حديث طويل.

5- مريم: 32.

6- الكافي 3: 264/ ح 1.

7- الكافي 3: 264/ ح 2.

الله به ملكاً قائماً علي رأسه يقول: أيّها المصلّي لو تعلم مَن ينظر إليك ومن تناجي ما التفتَّ ولا زلت من موضعك أبداً».(1)

وقال الإمام الرضا عليه السلام: الصلاة قربان كلّ تقيّ.(2)

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: مَن قبل الله منه صلاة واحدة لم يُعذّبه، و من قبل منه حسنة لم يعذّبه.(3)

وقال عليه السلام: من صلّي ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف وليس بينه وبين الله ذنب.(4)

وقال النبي صلي الله عليه وآله: ما من صلاة يحضر وقتها إلاّ نادي مَلَك بين يدي الناس: أيّها الناس قوموا إلي نيرانكم التي أوقدتموها علي ظهوركم فأطفؤها بصلاتكم.(5)

وقال صلي الله عليه وآله: لا تضيّعوا صلاتكم، فإنّ من ضيّع صلاته حشره الله تعالي مع قارون وفرعون وهامان، وكان حقّاً علي الله أن يُدخله النار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ علي صلاته.(6)

وقال صلي الله عليه وآله: من ترك الصلاة حتّي تفوته من غير عذر فقد حبط عمله. ثم قال صلي الله عليه وآله: بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة.(7)

وقال صلي الله عليه وآله: من ترك الصلاة لا يرجو ثوابها ولا يخاف عقابها فلا أبالي يموت يهوديّاً أو نصرانياً أو مجوسياً.(8)

1- الكافي 3: 265/ح 5.
2- الكافي 3: 265/ ح6.
3- الكافي 3: 266/ ح 11.
4- الكافي 3: 266/ ح 12.
5- مكارم الأخلاق: 300؛ عوالي اللئالي 1: 353/ ح 8.
6- مسند الرضا عليه السلام: 63/ ح 20؛ بحار الأنوار 79: 202/ ح 2.
7- بحار الأنوار 79: 202/ ح 2.
8- بحار الأنوار 79: 202 - 203/ ح 2.

والأخبار في موضوع الصلاة كثيرة وكثيرة جداً، وفيما أوردناه هنا كفاية للمهتدي المترشد، وإنّما المهم الإشارة إلي علّة وجوب الصلوات الخمس في الأوقات المعيّنة و أسرارها.

أمّا علّة وجوبها في الأوقات المعيّنة:

فقد ورد في الفقيه عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «جاء نفر من اليهود إلي رسول الله صلي الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن مسائل، فكان فيما سأله أنّه قال: أخبرني عن الله عزّوجَل لأيّ شيء فرض هذه الخمس الصلوات في خمسة مواقيت علي أمّتك في ساعات الليل والنهار؟».

فقال النبي صلي الله عليه وآله: «إنّ الشمس عند الزوال لها حلقة _ أي دائرة نصف النهار _ تدخل فيها، فإذا دخلت فيها زالت الشمس، فيسبّح كلّ شيء دون العرش بحمد ربّي جل جلاله، وهي الساعة التي يصلّي فيها عليَّ ربّي، ففرض الله عليّ وعلي أمتي فيها الصلاة وقال: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَيٰ غَسَقِ اللَّيْلِ»(1) وهي الساعة التي يُؤتي فيها بجهنّم يوم القيامة، فما من مؤمن يوافق تلك الساعة أن يكون ساجداً أو راكعاً أو قائمة إلا حرّم الله جسده علي النار».

وأمّا صلاة العصر فهي الساعة التي أكل آدم فيها من الشجرة فأخرجه الله من الجنّة، فأمر الله ذريّته بهذه الصلاة إلي يوم القيامة واختارها لأمّتي، فهي من أحبّ الصلوات إلي الله عزّوجَل، وأوصاني أن أحفظها من بين الصلوات، وأمّا صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله علي آدم عليه السلام وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيّام الدنيا، وفي أيام الآخرة يوم كألف سنة ما بين العصر إلي العشاء، فصلّي آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته، وركعة لخطيئة حوّا، وركعة التوبته، فافترض الله هذه الثلاث ركعات علي أمّتي، وهي الساعة التي يُستجاب فيها الدعاء، فوعدني الله

1- الإسراء: 78.

أن يستجيب لمن دعاه فيها، وهي الصلاة التي أمرني ربي بها في قوله: «فَسُبْحَانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ».(1)

وأمّا صلاة العشاء الآخرة: فإنّ للقبر ظلمة وليوم القيامة ظلمة، أمرني الله بهذه الصلاة وأمتي لتنوّر وليُعطيني وأمتّي النور علي الصراط، وما من قدم مشت إلي صلاة العتمة إلاّ حرّم الله جسدها علي النار، وهي الصلاة التي اختارها الله للمرسلين قبلي.

وأمّا صلاة الفجر: فإنّ الشمس إذا طلعت تطلع علي قرن شيطان، فأمرني الله أن أصلّي قبل طلوع الشمس صلاة الغداة وقبل أن يسجد لها الكافر، لتسجد أمّتي لله عزّوجَل، وسرعتها أحبّ إلي الله، وهي الصلاة التي تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار.(2)

وعلّة فرض الصلوات الخمس ما رواه الفقيه أيضاً عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لمّا هبط آدم عليه السلام من الجنة ظهرت به شامة سوداء في وجهه [فطالت] من قرنه إلي قدمه، فطال حزنه وبكاؤه علي ما ظهر به، فأتاه جبرئيل فقال: له ما يُبكيك يا آدم؟ فقال: لهذه الشامة التي ظهرت بي، قال: قُم يا آدم فصلّ، فهذا وقت الصلاة الأولي، فقام فصلّي فانحطّت الشامة إلي عنقه، فجاءه في الصلاة الثانية فقال: يا آدم قم فصلّ، فهذا وقت الصلاة الثانية، فقام فصلّي فانحطّت الشامة إلي سرّته، فجاءه في الصلاة الثالثة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الثالثة. فقام فصلّي فانحطت الشامة إلي رُكبتيه، فجاءه في الصلاة الرابعة، فقام فصلّي فانحطّت الشامة إلي قدميه، فجاءه في الصلاة الخامسة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الخامسة. فقام فصلّي فخرج منها، فحمد الله وأثني عليه، فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك في هذه الصلاة كمثلك في هذه الشامة، من صلّي من ولدك في كلّ يوم وليلة خمس صلوات، خرج من ذنوبه كما خرجتَ من هذه الشامة».(3)

1- الروم: 17.

2- من لا يحضره الفقيه 1: 211 - 214/ ح643؛ بحار الأنوار 9: 294 - 296/ ح 5.

3- من لا يحضره الفقيه 1: 214/ ح 644.

هذا وقد استوفينا موضوع الصلاة في المجلّد الثاني من كتابنا «الجواهر الروحية» تحت عنوان (الصلاة وطرق التقدّم الثلاث)، وفي المجلّد الأول من كتابنا «شرح رسالة الحقوق، وفي كتابنا «علي والأسس التربويّة» فلتُراجع.

الخامس: الزكاة فريضة واجبة

(إيتاء الزكاة فإنّها فريضة واجبة) والاتيان بالوجوب بعد الفرض لمحض التأكيد، والاشارة إلي تأكّد وجوبها، نظير قوله سبحانه:

« إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».(1)

فإنّه سبحانه بعد الأمر بها بالجملة الخبريّة التي هي في معني الآنشاء،عقّبه بقوله «فريضة» تأكيدة للوجوب.

قال الزجّاج: فريضة منصوب علي التوكيد، لأنّ قوله: إنّما الصدقات لهؤلاء جارٍ مجري قوله فرض الله الصدقات لهؤلاء فريضة، وذلك كالزجر عن مخالفة هذا الظاهر.

قال رفاعة بن موسي: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مافرض الله علي هذه الأمة أشدّ من الزكاة، وفيها تهلك عامّتهم.(2)

أو الفريضة من الفرض بمعني القطع والتقدير، ومنه قوله سبحانه: «لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا»(3) أي منقطعاً محدوداً، ويُطلق الفقهاء في باب المواريث علي ذوي السهام المقدّرة ذوي الفرائض باعتبار أنّ سهامهم مقدّرة معيّنة في كتاب الله سبحانه، وعلي هذا فيكون معني قوله عليه السلام: «إنّها فريضة واجبة» أنّها شيء مقدّرمنقطع متّصف بالوجوب.

1- التوبة 60.

2- أمالي الطوسي: 693/ ح 1474؛ بحار الأنوار 93: 22/ ح 51.

3- النساء: 118.

وقد شرّعت الزكاة لحكم كثيرة: منها ما هو نفسي، ومنها ما هو خلقي،ومنها ما هو اجتماعي مثل الصلاة.

الحكم النفسية للزكاة:

إنّ الزكـاة عطاء وبـذل، ومواساة ومعاونـة، والنفس بطبيعتها تهتزّ للكرم، وتفرح بالجود، و تجـد الراحـة والاطمئنان في مواساة الغير وإدخال السرور عليه، وهذا هو السبب في أنّ بعض الناس يقومون بمساعدة المحتاجين ومعاونة المعوزين دون رغبة في ثواب أو رهبة من عقاب.

وكما أنّ المعطي يهتزّ للجود والنـدي، فإنّ الآخـذ لا يقلّ عنه فرحاً واغتباطاً. سُئل رسول الله صـلي الله عليه وآله عن أفضل الأعمال فقال: «إدخال السرور علي المؤمن؟ قيل: وما إدخال السرور علي المؤمن؟ قال: سدّ جوعته، وفكّ كربته، وقضاء دَينه».(1)

أثرها في الاخلاق:

والانسان يحبّ المال بطبعه، وهذا الحبّ يدعو صاحبه إلي البُخل والحرص والجشع والأنانية والأثرة وسائر الرذائل الخلقيّة. وهذه الصـفات تنزل بالانسان إلي مسـتوي الحيوان، وإلي هذا المعني يشـير الرسول صـلي الله عليه وآله فيقول: «أدوأ الداء البخل»(2) ويقول: «شرّ ما في المرء شـحّ هالع، وجُبن خالع»(3) ولا يتخلّص المرء من هـذه الرذائل إلاّ بالتمرين علي البـذل والدربـة علي العطاء، ومن ثمّ كانت الزكاة ضريبة إجباريّة لا يمكن المرء أن يتخلّص منها. وإلي هذا المعني تشير الآية الكريمة: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا».(4)

1- انظر الكافي 2: 190/ ح7؛ 2: 192/ ح 16. 4: 51/ ح 7.

2- الكامل لابن عديّ 3: 403.

3- مسند أحمد 2: 302.

4- التوبة: 103.

علي أنّ في مغالبـة النفس والانتصـار عليهـا بإخراج المال المحبوب لها دليل علي قوّة الايمان و كمال اليقين، وفي الحـديث عن رسول الله صلي الله عليه وآله أنه قال: «الصدقة برهان»(1) أي دليل علي قوّة الايمان والارادة... وإذا انتصرت النفس علي هواها ومحبوبها مرّة بعد مرّة أصبحت مذلّلة لحكم العقل، وخاضعة لأوامر الله، وبعيدة عن الاندفاع العاطفيّ.

أسرارها الاجتماعية:

والفقراء يمثّلون الأكثريّـة من أفراد المجتمع، ولا بـدّ من رعاية هؤلاء المساكين والعجزة والضـعفاء والمحافظة علي إنسانيّتهم وكرامتهم، ولا سبيل إلي ذلك إلاّ بإخراج جزء معلوم من أموال الأغنياء حتّي يكفي هؤلاء ليصـبحوا أعضاء نافعين ومواطنين صالحين، وقد يكون فيهم من هو أوفر ذكاء وأقدر علي النهوض بالأعمال الجسام إذا وجد ما يقوم بحاجته الضرورية من الطعام والملبس والمأوي. وفي الحديث أنّ رسول الله صلي الله عليه وآله قال: «إنّ الله فرض علي أغنياء المسلمين في أموالهم بالقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلاّ بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإنّ الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذّبهم عذاباً أليماً».(2)

وإذا لم يجد الفقراء والضـعفاء الكفاية ممّا هو ضـروريّ و تعرّضوا للجوع، حملهم ذلك علي الاتيان بكلّ ضرب من ضروب الشرّ للحصول علي الضروري من القوت، فإنّ البطون إذا جاعت دفعت أصحابها إلي الجرائم وارتكاب كلّ موبقة، واعتبرت ذلك عملاً مشروعاً.

وبالاضافة إلي ذلك فإنّ الجماعة التي ينتشـر فيها الفقر وينشب أنيابه فيها تشـتعل فيها العداوة والبغضاء، فيهتزّ كيان الأمة بما يشـيع فيها من تقاطع، وتتعرّض لرواج المذاهب المتطرّفة، ولا سبيل للقضاء علي شرور الفقر إلاّ

1- بحار الأنوار 81: 245.

2- مجمع الزوائد للهيثمي 3: 62.

بإخراج حقّ الفقراء ونصيبهم الذي فرضه الله وجعله أمانة في يد الأغنياء. يقول الله سبحانه: «وَأَنْفِقُوا مِمّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ».(1)

ثم إنّ الزكاة تقوّي الصلات بين الأغنياء والفقراء، وتجعل منهم أسرة واحدة متعاونة علي الخير وتنمية المال وتقوية الأواصر.

وهي الضمان الاجتماعي الذي يكفل التوازن بين الطبقات، ويضمن اشتراكيّة سليمة، وهي أفضل وسيلة لتوزيع المال، فهي في الوقت الذي لا يضيق بها الغني ترفع مستوي الفقير إلي حدّ الكفاية و تجنّبه شظف العيش وألم الحرمان.

وبالتالي هي من أعظم دعائم الدين، وأقوي أركان الإسلام، والكلام فيها أيضاً يقع في مقامين:

المقام الأول: في محلّ وجوبها وعقوبة مانعها:

أمّا وجوبها فكفي بذلك أنّ اكثر الآيات المتضمّنة للأمر باقامة الصلاة متضمّنة للأمر بإيتاء الزكاة، فجعل الزكاة تالي الصلاة، والأخبار في هذا المعني فوق حدّ الاحصاء.

عن مبارك العقرقوفي قال: قال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله عزّوجَل وضع الزكاة قوتاً للفقراء وتوفيرا لأموالكم.(2)

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام لعمّار الساباطيّ: أنت ربّ مال كثير؟ قال: نعم جُعلت فداك. قال: فتؤدّي ما افترض الله عليك من الزكاة؟ قال: نعم. قال: فتخرج الحقّ المعلوم من مالك؟ قال: نعم. قال: فتصل قرابتك؟ قال: نعم. قال: فتصل إخوانك؟ قال: نعم. فقال عليه السلام: يا عمّار إنّ المال يفني، والبدن يبلي، والعمل يبقي، والديّان حيّ لا يموت، يا عمار إنّه ما قدّمت فلن يسبقك، وما أخّرت فلن يلحقك.(3)

1- الحديد: 7.

2- الكافي 3: 498/ ح6.

3- الكافي 3: 501/ ح 15.

وقال عليه السلام: إنّما وُضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء، ولو أنّ الناس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً، ولاستغني بما فرض الله له، إنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلاّ بذنوب الأغنياء، وحقيق علي الله أن يمنع رحمته ممّن منع حقّ الله في ماله، وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق أنّه ما ضاع مال في برّ ولا بحر إلاّ بترك الزكاة، وما صيد في برٍّ ولا بحر إلاّ بتركه التسبيح في ذلك اليوم، وإنّ أحبّ الناس إلي الله أسخاهم كفّاً، وأسخي الناس من أدّي زكاة ماله ولم يبخل علي المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله.(1)

وكتب الإمام الرضا عليه السلام إلي محمّد بن سنان فيما كتب إليه من جواب مسائله: إنّ علّة الزكاة من أجل قوت الفقراء، وتحصين أموال الأغنياء، لأنّ الله كلّف أهل الصحّة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوي، كما قال تعالي: «لَتُبْلَوُنّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ».(2) (3)

في أموالكم: إخراج الزكاة، وفي أنفسكم: توطين النفس علي الصبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله والطمع في الزيادة مع ما فيه من الرفادة والرأفة والرحمة لأهل الضعف، والعطف علي أهل المسكنة والحثّ لهم علي المواساة وتقوية الفقراء والمعونة لهم علي أمر الدين، وموعظة لأهل الغني و عبرة لهم ليستدلّوا علي فقراء الآخرة بهم ومالهم عن الحثّ في ذلك علي الشكر لله لما خوّلهم وأعطاهم، والدعاءوالتضرّع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف.

قال الإمام موسي بن جعفر عليه السلام: من أخرج زكاة ماله تامّة فوضعها في موضعها لم يُسأل من أين اكتسب ماله.(4)

1- من لا يحضره الفقيه 2: 7/ ح 1579.

2- آل عمران: 186.

3- من لا يحضره الفقيه 2: 8/ ح 1580.

4- من لا يحضره الفقيه 2: 9/ ح 1581.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّما جعل الله الزكاة في كلّ ألف خمسة وعشرين درهماً، لأنّ الله تعالي خلق الخلق فعلم غنيّهم وفقيرهم وقويّهم وضعيفهم، فجعل من كلّ ألف خمسة وعشرين مسكيناً [و] لولا ذلك لزادهم الله لأنّه خالقهم وهو أعلم بهم».(1)

أمّا عقوبة تارك الزكاة ومانعها فقد قال الله تعالي في سورة آل عمران: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»(2) وفي سورة براءة «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَيٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَيٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ».(3)

ولا يخفي ما في الآيتين من وجوه الحثّ علي الانفاق والوعيد علي الإمساك.

أمّا الآية الأولي فجهات الانذار فيها غير خفيّة: الأولي: أنّه سبحانه نهي عن حسبان الممسكين إمساكهم خيراً لهم ونفعاً في حقّهم، وأكّد ذلك بالنون المفيدة للتأكيد. الثانية: أنّه وصف الممسكين بصفة البخل وهو صفة ذمّ، الثالثة: أنّ ما بخلوا به هو ممّا آتاهم الله، فاللازم عليهم أن يتصرّفوا فيه بما أمر الله ويصرفوه إلي ما أراده الله. الرابعة: أنّ ذلك شرّ لهم وضرّ في حقّهم. الخامسة: أنّهم يُطَّوقون ما بخلوا به يوم القيامة.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: ما من ذي ذهب أو فضّة يمنع زكاة ماله إلاّ حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر، وسلّط عليه شجاعاً أقرع يريده وهو يحيد عنه، فإذا رأي أنّه لا يتخلّص منه أمكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل، ثم يصير طوقاً في عنقه،

1- من لا يحضره الفقيه 2: 9/ ح 1582.

2- آل عمران: 180.

3- التوبة: 34 و 35.

وذلك قوله تعالي: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(1) وما من ذي إبل أو بقر أو غنم يمنع زكاة ماله إلاّ حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر، تطؤه كلّ ذات ظلف بظلفها، وينهشه كلّ ذات ناب بنابها، وما من ذي نخل أو كرم أوزرع يمنع زكاته إلاّ طوّقه الله ربعة أرضه علي سبع أرضين إلي يوم القيامة.(2)

وفي الكافي باسناده عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّوجَل «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فقال: يا محمد ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلاّ جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه ينهش من لحمه حتي يفرغ من الحساب، ثم قال: هو قول الله عزّوجَل: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يعني ما بخلوا به من الزكاة.(3)

السادسة: أنّ ميراث السماوات والأرض كلّه لله سبحانه، بمعني أنّه وحده يبقي وغيره يفني، ويبطل مُلك كلّ مالك إلاّ ملكه، فإذا كان المال في معرض الفناء والزوال فأجدر بالعاقل أن لا يبخل بالانفاق، ولا يحرص علي الامساك، فيكون وزره عليه ونفعه لغيره.

السابعة: أنّه سبحانه خبير بما يعمله المكلّفون، بصير بمخالفتهم لأمره، لا يعزب عن علمه بخلهم بالانفاق ومنعهم عن أهل الاستحقاق، فيُذيقهم وَبال أمرهم عند المساق إذا التّفت الساق بالساق.

وأما الآية الثانية: فقد روي الطبرسيّ عن النبيّ صلي الله عليه وآله أنه لمّا نزلت هذه الآية قال صلي الله عليه وآله: تبّاً للذهب والفضة _ يكرّرها ثلاثاً _ فشقّ ذلك علي أصحابه، فسأله عمر: أيّ المال نتّخذ؟

1- آل عمران: 180.

2- الكافي 3: 505/ ح 19؛ من لا يحضره الفقيه 2: 9-10/ ح1583.

3- الكافي 3: 504/ 10؛ بحار الأنوار 7: 196/ ح 65.

فقال: «لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة مؤمنة تُعين أحدكم علي دينه».(1)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ما زاد علي أربعة آلاف فهو كنز، أدّي زكاته أو لم يؤدّ.(2)

وعن الصادق عليه السلام: ما أعطي الله عبداً ثلاثين ألفاً وهو يريد به خيراً. وقال: ما جمع رجل قط عشرة ألف درهم من حلّ، وقد جمعهما الله لأقوام، إذا أعطوا القوت ورزقوا العمل الصلاح، فقد جُمعت لهم الدنيا والآخرة.(3)

ومحصّل المعني أنّ الذين يجمعون المال ولا يؤدّون زكاتهم فأخبرهم بعذاب موجع، وللتعبير عن ذلك بلفظ البشارة مبنيّ علي التهكّم، لأنّ من يكنز الذهب والفضّة فإنّما يكنزهما لتحصيل الوجاهة بهما يوم الحاجة والتوصّل إلي الفرج يوم الشدّة، فقيل له: هذا هو الوجاهة والفرج، كما يقال: تحيّتهم ليس إلاّ الضرب، وإكرامهم ليس إلاّ الشتم.

«يوم يُحمي عليها» أي يوقد علي الكنوز «فِي نَارِ جَهَنَّمَ» حتي تصير ناراً «فتكوي بها» أي بتلك الأموال والكنوز التي منعوا حقوقها الواجبة.

كوي الجباه والجنوب والظهور:

«جباههم وجنوبهم وظهورهم» وتخصيص هذه الأعضاء بالكيّ بوجوه: أحدها: أنّ منظورهم بكسب الأموال وترك الانفاق ليس إلاّ الأغراض الدنيويّة، وهو حصول الوجاهة لهم عند الناس، و حصول الشبع لهم بأكل الطيّبات فينفتح منه الجنبان، ولبس ثياب فاخرة يطرحونها علي ظهورهم، فوقع الكيّ علي هذه الأعضاء جزاء لأغراضهم الفاسدة.

1- تفسير مجمع البيان 5: 47.

2- تفسير مجمع البيان 5: 47؛ بحار الأنوار 8: 243.

3- مشكاة الأنوار: 474؛ بحار الأنوار 69/ 66 / ح 23.

الثاني: أنّ الجباه كناية عن مقاديم البدن، والجنوب عن طرفيه، والظهور عن المأخير، والمراد به أنّ الكيّ يستوعب تمام البدن.

الثالث: أنّ الجبهة محلّ السجود فلم يقم فيه بحقّه، والجنب مقابل القلب الذي لم يُخلص في معتقده، والظهر محلّ الأوزار، قال: «يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَيٰ ظُهُورِهِمْ».(1)

الرابع: أنّ هذه الأعضاء مجوّفة وليست بمُصمتة، وفي داخلها آلات ضعيفة يعظم التألّم بسبب وصول أدني أثر إليها، بخلاف سائر الأعضاء.

الخامس: وهو أحسن الوجوه وألطفها: أنّ صاحب المال إذا رأي الفقير أولاً قبض جبهته وعبس وجهه، وإذا دار الفقير يوليه وجهه، وإذا دار يوليه ظهره.

قصة تحكي عن بعض مشاهد القيامة:

وتأتي هنا قصّة قصيرة يصوّرها سيّد قطب في كتابه (مشاهد القيامة) بين موقف الغني يوم القيامة الذي لم يشر من نفسه بماله ابتغاء مرضاة الله، ولم يتخلّص من شوائب الدنيا، وبين الفقير الذي أنس بما قسم الله له وارتضاه.

والقصة هكذا نصّها:

«تطلّع (ساتني) ذات يوم من أعلي داره فرأي جنازة رجل غنيّ تسير من ممفيس إلي الجبل في موكب حافل بالناديات والمشيّعين ومظاهر التكريم، ثم رأي في الوقت نفسه جنازة رجل فقير مُدرَج في حصير، ولا موكب معه ولا مشيّعين، فالتفت إلي ولده وقال إنّه يرجو أن يكون له في الدار الآخرة مصير كمصير ذلك الغني لا كمصير هذا الفقير، فقال (سينوزيريس): إنّه ـ بالعكس ـ يرجو له مثل مصير الفقير لا مثل مصير الغني.

فامتعض الوالد ولحظ الولد ذلك، فأخذ بيد أبيه بريه مصير الاثنين،... وذهب بأبيه إلي مكان في جبل ممفيس، فنزل به إلي الدار التي يُحاسب فيها

1- الأنعام: 31.

الأموات (تسـمّي هـذه الدار الجحيم)، فإذا هما في سـبع قاعات واسـعة مملوءة بناس من جميع الطبقات، فاجتازا ثلاثاً من هذه الدور، ثم دخلا الرابعـة، فإذا ناس يذهبون ويجيئون، بينما حمير تأكل من خلفهم، ثم ناس يثبون علي طعام معلّق فوق رؤوسـهم فلا يُدركونه، فيثبون ويثبون، بينما حفّارون يحفرون تحت أقدامهم ليزيدوا مسافة ما بينهم وبينه.

ثم دخلا القاعـة السادسـة فوجـدا أرواحاً من الأبرار لكلّ منها مكان تقيم فيه، بينما في الباب أرواح متّهمة، فهي واقفة تتضـرّع، ثم رأي رجلاً منطرحاً تحت الباب علي ظهره، و محور هـذا الباب مركّز في عينه اليمني يـدور عليها كلّما فُتح أو أقفل، وهو لا ينفكّ يُفتح ويقفل، والرجل لا ينفكّ يصيح من الألم.

ثم دخلا القاعة فوجدا آلهة الحساب جالسين والمنادين ينادون قضايا الأموات واحدة بعد أخري، والإله الكبير (أوزريس) جالس علي عرش من الـذهب متوّج بالتاج ذي الريشتين، بينما الإله (أنوبيس) واقف إلي يساره، والإله (توت) إلي يمينه، والآلهة الآخرون الذين يتألّف منهم مجلس دار الحسـاب واقفـون يمينـاً ويسـاراً، والميزان منصوب يزن السـيّئات والحسـنات، فمن رجحت سـيّئاتُه حسـناته ألقي إلي الوحش (إماييت) يفترسه، ومن رجحت حسـناتُه سـيّئاته قيد إلي حيث الآلهة، وصـعدت روحه إلي السـماء، أما من تعادلت حسـناته وسـيّئاته، فلا يفترسه الوحش ولا ينضمّ إلي الآلهة، بل يُعيّن للخدمة.

ونظر الفتي فرأي علي مقربـة من (أوزريس) رجلاً حسن البزّة مرفوع المنزلة، فالتفت إلي أبيه وقال: أتري هذا الجالس بجانب (أوزريس)؟ إنه الفقير الذي شاهدته مدرجاً في حصـير وليس في جنازته أحد من المشيّعين، لقد جيء به إلي هنا، ثم وُزنت سيئاته وحسناته فرجحت الثانية الأولي، وكان الإله (توت) قد سجّل له في سجلّه أنه لم يتمتّع علي الأرض بسعادة كافية، فأمر (أوزريس) أن يُعطي كلّ ما كان مجهّزاً به ذلك الغني الذي رأيت جنازته مشيّعة بمظاهر التكريم، وأن تُرفع منزلته بين الآلهة.

أما الغني فقد وُزنت سيئاته وحسناته فوجد الأولي ترجع الثانية، فقيد إلي الجزاء، وهو الذي رأيت محور الباب يدور علي عينه اليمني، وسمعته يصيح من الألم...

ولهذه القصّة قيمتها العظمي في الكشف عن تصوّرات عالم الآخرة، والدقّة في الجزاء الذي يناله الأفراد دون النظر إلي مظاهرهم في الدنيا من مال أو جاه.

***

وقوله: «هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ» أي يقال لهم في حالة الكيّ: هذا هو الذي ادّخرتموه لأنفسكم، وهو تبكيتٌ لهم بأنّ المال الذي بخلتم بإنفاقه وادّخرتموه لتنتفعوا به صار عذابكم به، فكأنّكم اكتنزتموه ليُجعل عقاباً لكم «فذوقوا» عقاب «ما كنتم تكنزون» به لا بغيره.

قال الطبرسيّ صاحب التفسير: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: ما من عبد له مال لا يؤدّي زكاته إلاّ جُمع يوم القيامة صفائح يُحمي عليها في نار جهنم، فتُكوي بها جبهته و جنباه وظهره حتّي يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ممّا تعدّون، ثم يري سبيله إمّا إلي الجنّة وإمّا إلي النار.(1)

وروي ثوبان عن النبيّ صلي الله عليه وآله: «من ترك كنزاً مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان(2) يتبعه، فيقول: ويلك ما أنت؟ فيقول: أنا كنزك الذي تركتَ بعدك، فلا يزال يتبعه حتي يُلقمه يده فيقضمها ثم يتبعه سائر جسده».(3)

المقام الثاني: في أسرار الزكاة ودقائق بذل المال، وهي أمور:

الأوّل: أنّ المؤمن الموحّد إذا أقر بالتوحيد باللسان لزم إذعانه به بالجنان، ومعني التوحيد إفراد المعبود بالمحبوبية، وإخلاص القلب عمّا سواه والفراغ عن كلّ ما عداه،

1- تفسير مجمع البيان 5: 48.

2- زبيبتان: نقطتان سوداوان فوق عيني الحيّة.

3- تفسير مجمع البيان 5: 48.

فإنّ المحبّة أمر لا يتقبّل الشركة، والأموال محبوبة عند الخلائق لأنّها آلة تمتّعهم بالدنيا، وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أنّ فيه لقاء المحبوب، فجعل الله بذل المال امتحاناً لهم وتصديقاً لدعوتهم المحبّة لله سبحانه.

أصناف الناس:

والناس في ذلك ثلاثة أصناف: [الأول] صنف صدّقوا التوحيد وحذفوا عن ساحة قلوبهم ما سوي المعبود، وبذلوا أموالهم من غير تعرّض بوجوب الزكاة، ولم يدّخروا لأنفسهم ديناراً ولا درهماً، ولم يتركوا بعدهم صفراء ولا بيضاء، وهم الذين قال الله سبحانه في حقّهم:

«وَيُؤْثِرُونَ عَلَيٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ»،(1) «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَيٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا».(2)

جاء في الكافي بإسناده عن محمد بن سنان، عن المفضّل قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل: في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال عليه السلام له: الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟ فقال: أريدهما جميعاً. فقال عليه السلام: أمّا الظاهرة ففي كلّ ألف خمسة وعشرون، وأمّا الباطنة فلا تستأثر علي أخيك بما هو أحوج إليه منك.(3)

الصنف الثاني:

وصنف درجتهم دون درجة الصف السابق، وهم الممسكون أموالهم، المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات، فيكون قصدهم في الادّخار والانفاق علي نفسه وعياله الواجب النفقة بقدر الحاجة، وصرف الفاضل إلي وجوه البرّ مهما ظهر، وهؤلاء لا يقتصرون علي مقدار الزكاة، وهم الذين في أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم.

1- الحشر: 9.

2- الإنسان: 8.

3- الكافي 3: 500/ ح13.

جاء في أصول الكافي بإسناده عن أبي بصير قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام ومعنا بعض أصحاب الأموال، فذكروا الزكاة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الزكاة ليس يُحمَد بها صاحبها وإنّما هو شيء ظاهر، إنما حقن بها دمه وسُمّي بها مسلماً، ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة، وإنّ عليكم في أموالكم غير الزكاة. فقلت: أصلحك الله وما لنا في أموالنا غير الزكاة؟ فقال عليه السلام: سبحان الله! أما تسمع الله عزّوجَل يقول في كتابه: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسّائِلِ وَالْمَحْرُومِ».(1) قال: ماذا الحقّ المعلوم الذي علينا؟ قال عليه السلام: هو الشيء يعمله الرجل في ماله، يُعطيه في اليوم أو في الجمعة أو في الشهر قلّ أو كثر غير أنه يدوم عليه.(2)

وعن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّوجَل: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» أهو سوي الزكاة؟ فقال عليه السلام: هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال فيخرج منه الألف والألفين والثلاثة آلاف والأقل والأكثر فيصل به رحمه ويحمل به الكَلّ عن قومه.(3)

وعن القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ رجلاً جاء إلي أبي علي بن الحسين عليه السلام فقال له: أخبرني عن قول الله عزّوجَل: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»(4) ما هذا الحقّ المعلوم؟ فقال له علي بن الحسين: الحقّ المعلوم الشيء يُخرجه الرجل من ماله ليس من الزكاة ولا من الصدقة المفروضين. قال: فإذا لم يكن من الزكاة ولا من الصدقة، فما هو؟ فقال عليه السلام: هو الشيء يُخرجه الرجل من ماله إن

1- المعارج: 24 و 25.

2- الكافي 3: 499/ ح 9.

3- الكافي 3: 499 - 500/ ح10.

4- المعارج: 24 و 25.

شآء أكثر وإن شاء أقلّ علي قدر ما يملك. فقال له الرجل: فما يصنع به؟ قال: يصل به رحماً، ويقويّ به ضعيفاً، ويحمل به كلاًّ، أو يصل به أخاً له في الله أو لنائبة تنوبه، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته.(1)

هذا والمحروم: الرجل الذي ليس بعقله بأس ولم يُبسط له في الرزق.

والصنف الثالث: الذين يقتصرون علي أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه، وهي أدون الرتب، وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وفرط ميلهم إليه وضعف حبّهم للآخرة.

السرّ الثاني: من أسرار الزكاة أنّها مطهرة من صفة البخل، وهي صفة مذمومة من جنود النفس، قال سبحانه: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا»(2) وقال: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».(3)

الثالث: أنّ شكر النعمة واجب عقلاً و شرعاً، وهو_ علي ما قاله العلماء_ عبارة عن صرفها إلي طلب مرضاة المنعم. فالعبادات البدنيّة شكر النعمة البدن، والعبادات الماليّة شكر لنعمة المال، فيحكم العقل بوجوبها لكونها شكراً للمنعم، وما أخسّ من ينظر إلي الفقير وقد ضيّق عليه الرزق وامتقع لونه من مسّ الجوع ثمّ لا تسمح نفسه أن يؤدّي شكر الله تعالي علي إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العُشر من ماله.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ومن أدّي ما فرض الله عليه فقد قضي ما عليه، وأدّي شكر ما أنعم الله عليه في ماله، إذا هو حمده علي ما أنعم الله عليه فيه بما فضّله به من السعة علي غيره، ولما وفّقه لأداء ما فرض الله عزّوجَل عليه وأعانه عليه.(4)

1- الكافي 3: 500/ ح 11.

2- التوبة: 103.

3- الحشر: 9؛ التغابن: 16.

4- بحار الأنوار 93: 10/ ح 8.

الرابع: أنّ النفس الناطقة لها قوّتان: نظريّة وعمليّة، فالقوّة النظريّة كمالها في التعظيم لأمر الله، والقوّة العمليّة كمالها في الشفقة علي خلق الله، فأوجب الزكاة ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال وهو اتّصافه بكونه محسناً إلي الخلق، ساعياً في إيصال الخيرات إليهم، دافعاً للآفات عنهم.

الخامس: أنّ المال سُمّي مالاً لميل كلّ أحد إليه، وهو في معرض التلف والزوال، فهو غاد ورائح، وإذا أنفق في مصارف الخير ووجوه الله بقي بقاء لا يزول، لأنّه يوجب الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة، وإنّ لسان الصدق في الناس خير له من المال يورثه غيره، فإنّ المراد بلسان الصدق هو الذكر الجميل، قال حاتم الطائي لامرأته ماويّة:

أماويَ إن المال غادٍ ورائح *** ويبقي من المال الأحاديثُ والذِّكرُ

لقد علم الأقوام لو أنّ حاتماً *** أراد ثراء المال كان له وفر(1)

السادس: أنّ كثرة المال موجبة لحصول الطغيان والانحراف عن سبيل الرحمن كما قال عزّ من قائل: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَيٰ * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَيٰ»(2) فأوجب الله الزكاة لتقليل سبب الطغيان وجبراً لمفسدته، إلي كثير وكثير من الأسرار التي يستنبطها العقل بأدني توجّه، والله الهادي إلي الخيرات.

***

السادس: الصيام والنجاة من النار

«صوم شهر رمضان فإنّه جُنّة من العقاب» ووقاية من النار يوم الحساب، وإنّما خصّه عليه السلام، بهذه العلّة _ مع كون سائر العبادات كذلك _ لكونه أشدّ وقاية من غيره.

بيان ذلك: أنّ استحقاق الانسان للعقوبة إنّما هو بقربه من الشيطان وإطاعته له

1- أمالي المرتضي 4: 63.

2- العلق: 7 و8.

وللنفس الأمّارة، وبشدّة القرب وضعفه يتفاوت العقاب شدّة وضعفاً، وبكثرة الطاعة وقلّتها يختلف العذاب زيادة ونقصاناً، وسبيل الشيطان علي الانسان ووسيلته إليه إنّما هي الشهوات، وقوّة الشهوة بالأكل والشرب، فبالجوع والصوم تضعف الشهوة وتنكسر صولة النفس وينسدّ سبيل الشيطان وينجي من العقوبة والخذلان، كما قال رسول الله صلي الله عليه وآله: إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجري الدم، فضيّقوا مجاريه بالجوع.(1)

قال الغزالي في «إحياء علوم الدين» في تعداد فوائد الجوع: ومن أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء علي النفس الأمّارة بالسوء، فقلّة الأكل يضعف كلّ شهوة وقوّة، وإنّما السعادة كلّها في أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة في أن تملكه نفسه، و كما أنّك لا تملك الدابّة الجموح إلاّ بضعف الجوع، فإذا شبعت قويت وشردت وجمحت، فكذلك النفس، وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد، ولذلك قيل: الجوع خزانة من خزائن الله. وبذلك يظهر كون الصوم جنّة من النار ووقاية من غضب الجبّار، وأنّ فيه من إذلال النفس وقهر إبليس وكسر الشهوات ما ليس في سائر العبادات. هو واجب بالضرورة من الدين وإجماع المسلمين ونصّ الكتاب المبين، قال سبحانه:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَيٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَي الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًي لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَيٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَيٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَيٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».(2)

1- عوالي النالي 1: 273/ ح 97؛ بحار الأنوار 60: 332.

2- البقرة: 183 - 185.

قال الإمام الصادق عليه السلام في هذه الآية: «لذّة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء»(1) وفي قوله تعالي: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» إشارة إلي ما ذكرنا سابقاً من أنّ الصوم جنّة ووقاية، به يُتّقي من العذاب ويُنجي من العقاب.

والمستفاد من الآية الشريفة أنّ الصوم كان مكتوباً مفروضاً علي الأمم السابقة، كما أنّه مكتوب علي الأمّة المرحومة.

ولا خلاف في ذلك، وإنّما الخلاف في أنّ الصوم المفروض علينا بهذه الكيفيّة المخصوصة في وقته وعدده هل كان في سائر الأمم كذلك؟

ذهب بعض العامّة إلي ذلك علي ما حكاه في مجمع البيان، حيث روي فيه عن الشعبي والحسن أنهما قالا: إنّه فُرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان علي النصاري، وكان يتّفق ذلك في الحرّ الشديد والبرد الشديد، فحوّلوه إلي الربيع وزادوا في عدده.(2)

وذهب آخرون إلي أنّ التشبيه في الآية بين فرض صومنا وفرض صوم من تقدّمنا من الأمم، أي كُتب عليكم صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيّام، وليس في ذلك تشبيه عدد الصوم المفروض علينا ولا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم ولا وقته.

هذا هو الأقوي، ويدلّ عليه صريحاً ما رواه الصدوق عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث النخعي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ شهر رمضان لم يفرض الله صيامه علي أحد من الأمم قبلنا، فقلت له: يقول الله عزّوجَل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»(3) قال عليه السلام: إنّما فرض الله صيام شهر رمضان علي الأنبياء دون الأمم، ففضّل الله به هذه الأمّة وجعل صيامه فرضاً علي رسول الله صلي الله عليه وآله وعلي أمّته.(4)

1- تفسير مجمع البيان 2: 6؛ تفسير الصافي 1: 218.

2- تفسير مجمع البيان 2: 6.

3- البقرة: 183.

4- من لا يحضره الفقيه 2: 99/ ح 1844.

والكلام بعدُ في علّة وجوب الصوم وفضله وفضل صوم شهر رمضان خصوصاً والآداب التي يكون عليها الصائم

أمّا علّة وجوب الصوم:

فقد جاء في الفقيه: سأل هشام بن الحكم أبا عبد الله عليه السلام عن علّة الصيام، فقال عليه السلام: «إنّما فرض الله الصيام ليستوي به الغنيّ والفقير، وذلك أنّ الغنيّ لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير، لأنّ الغني كلّما أراد شيئاً قدر عليه، فأراد الله أن يسوّي بين خلقه وأن يُذيق الغنيّ مسّ الجوع والألم ليرقّ علي الضعيف ويرحم الجائع».(1)

وكتب أبو الحسن علي بن موسي الرضا عليه السلام إلي محمّد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله: «علّة الصوم عرفان مسّ الجوع والعطش ليكون ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً، ويكون ذلك دليلاً له علي شدائد الآخرة، مع ما فيه من الإنكسار له عن الشهوات، واعظاً له في العاجل، دليلاً علي الآجل، ليعلم شدّة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة».(2)

وروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: جاء نفر من اليهود إلي رسول الله صلي الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن مسائل، فكان فيما سأله أنه قال: لأيّ شيء فرض الله الصوم علي أمّتك بالنهار ثلاثين يوماً، وفرض علي الأمم أكثر من ذلك؟ فقال النبي صلي الله عليه وآله: «إنّ آدم عليه السلام لمّا أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً، ففرض الله علي ذرّيته ثلاثين يوماً الجوع والعطش، والذي يأكلونه بالليل تفضّل من الله عليهم، وكذلك كان علي آدم، ففرض الله عزّوجَل ذلك علي أمّتي، ثم تلي هذه الآية: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ».(3)

1- من لا يحضره الفقيه 2: 73/ ح 1766؛ تفسير مجمع البيان 2: 7.

2- من لا يحضره الفقيه 2: 73/ ح 1767.

3- البقرة: 183 و 184.

قال اليهودي: صـدقت يا محمد، فما جزاء من صامها؟ فقال النبي صـلي الله عليه وآله: ما من مؤمن يصوم شـهر رمضان احتساباً إلاّ أوجب الله له سـبع خصال: أوّلها: يذوب الحرام من جسده، والثانية: يقرب من رحمة الله، والثالثة: يكون قد كفّر خطيئة أبيه آدم، والرابعة: يهوّن الله عليه سكرات الموت، والخامسة: أمان من الجوع والعطش يوم القيامة، والسادسة: يعطيه الله براءة من النار، والسابعة:

يُطعمه الله من طيّبات الجنّة. قال: صدقت يا محمد.(1)

وأما فضل الصوم مطلقاً:

ففي الكافي والفقيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: بُني الإسلام علي خمسة أشياء: علي الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية.(2)

وقال رسول الله صلي الله عليه وآله: «الصوم جُنّة من النار».(3)

وعنه صـلي الله عليه وآله أنه قال لأصـحابه: «ألا أخبركم بشـيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلي يا رسول الله، قال: الصوم يسوّد وجهه، والصدقـة تكسـر ظهره، والحبّ في الله والموازرة علي العمل الصالح يقطعان دابره، والاسـتغفار يقطع وتينه، ولكلّ شيء زكاة، وزكاة الأبدان الصوم».(4)

وعن أبي عبـد الله الصـادق عليه السـلام قال: «أوحي الله إلي موسـي: ما يمنعك من مناجاتي؟ فقال: يارب أجلّك عن المناجاة لخلوف فم الصائم، فأوحي الله إليه: يا موسي لخلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك».(5)

1- من لا يحضره الفقيه 2: 74/ ح 1769.
2- من لا يحضره الفقيه 2: 74/ ح 1770؛ الكافي 2: 18/ ح 1.
3- من لا يحضره الفقيه 2: 74/ ح 1771؛ الكافي 2: 19/ح5.
4- من لايحضره الفقيه 2: 75/ ح 1774؛ الكافي 4: 62/ ح 2.
5- من لا يحضره الفقيه 2: 76/ ح 1779؛ الكافي 4: 65/ ح13.

وعنه عليه السلام قال: اللصائم فرحتان: فرحة حين إفطاره، وفرحة حين لقاء ربّه».(1)

وقال عليه السلام: «من صام الله يوماً في شدّة الحرّ فأصابه ظمأ و كّل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشّرونه، حتّي إذا أفطر قال الله عزّوجَل: ما أطيب ريحك وروحك، يا ملائكتي اشهدوا أنّي قد غفرت له».(2)

وقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالي يقول: «الصوم لي وأنا أجزي عليه».(3)

وتخصيصه من بين سائر العبادات مع كون جميعها لله سبحانه من جهة مزيد اختصاصه به تعالي، أمّا لأجل أنّ الصوم عبادة لم يُعبد بها غير الحقّ سبحانه، بخلاف سائر العبادات والركوع والقيام والقربان ونحوها، فإنّها ربّما يُؤتي بها للمعبودات الباطلة كما يتعبّد بها للمعبود بالحقّ، وأمّا الصوم فلم يُتعبّد به إلاّ لله سبحانه وتعالي، أو لأنّ الصوم عبادة نقيّة بعيدة عن الرياء وليست مثل سائر العبادات التي تعلّقها بالجوارح والأعضاء الظاهرة غالباً، ولذلك لم تسلم من الشرك الخفي والرياء كثيراً.

وأما فضل شهر رمضان وفضل صومه:

ففي الوسائل عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «أعطيت أمّتي في شهر رمضان خمساً لم يعطها الله أمة نبي قبلي: إذا كان أول يوم منه نظر الله لهم، فإذا نظر الله عزّوجَل إلي شيء لم يعذّبه بعدها، و خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة كلّ يوم وليلة منه، ويأمر الله عزّوجَل جنّته فيقول: تزيّني لعبادي المؤمنين يوشك أن يستريحوا من نصب الدنيا وأذاها إلي جنّتي و كرامتي، فإذا

كان آخر ليلة منه غفر الله عزّوجَل لهم جميعاً».(4)

1- من لا يحضره الفقيه 2: 76/ ح 1780؛ الكافي 4: 65/ ح15.
2- من لا يحضره الفقيه 2: 76/ ح 1781؛ الكافي 4: 64/ ح 8.
3- الكافي 4: 63/ ح6.
4- وسائل الشيعة 10: 317/ ح 13501.

وعن علي بن موسي الرضا عليه السلام عن آبائه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: رجب شهر الله الأصبّ، و شهر شعبان تتشعّب فيه الخيرات، وفي أول يوم من شـهر رمضان تُقَلّ المردة من الشـياطين ويُغفر في كلّ ليلة لسبعين ألفاً، فإذا كان ليلة القدر غفر الله لمثل ما غفر في رجب وشعبان وشهر رمضان إلي ذلك اليوم، إلاّ رجل بينه وبين أخيه شحناء فيقول الله عزّوجَل: أنظِروا هؤلاء حتّي يصطلحوا.(1)

وعن علي بن الحسين عليه السلام كان يقول: «إنّ لله عزّوجَل في كلّ ليلة من شهر رمضان عند الافطار سبعين ألف ألف عتيق من النار كلٌّ قد استوجب النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق مثل ما أعتق في جميعه».(2)

وعن الصادق عليه السـلام قال: حدّثني أبي عن أبيه، عن جدّه عن رسول الله صـلي الله عليه وآله في حديث قال: «من صام رمضان، وحفظ فرجه ولسـانه، و كفّ أذاه عن الناس غفر الله له ذنوبه ما تقـدّم منها وما تأخّر، وأعتقه من النار دار القرار، وقبل شـفاعته بعـدد رمل عالـج من مذنبي أهل التوحيد».(3)

وفي العيون باسـناده عن حسن بن فضّال، عن أبيه، عن الرضا، عن آبائه، عن علي عليه السـلام: أنّ رسول الله صلي الله عليه وآله خطب ذات يوم فقال: «أيّها الناس إنّه قـد أقبل إليكم شـهر الله بالبركـة والرحمة والمغفرة، شـهر هو عند الله أفضل الشـهور، وأيّامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، وهو شـهر دُعيتم فيه إلي ضـيافة الله، وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مسـتجاب، فاسألوا الله ربكم بنيّات صادقـة وقلوب طاهرة أن يوفّقكم الصـيامه وتلاوة كتابه، فإنّ الشـقيّ مـن حُرم غُفران اللـه في هـذا الشـهر العظيم، واذكروا بجـوعكم وعطشـكم فيه جـوع يـوم القيامـة وعطشه، وتصـدّقوا علي فقرائكم ومساكينكم،

1- وسائل الشيعة 10: 315/ ح 13495.

2- وسائل الشيعة 10: 317/ ح 13502.

3- وسائل الشيعة 10: 243/ ح 13321.

ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصِلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغُضّوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، وعمّا لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا علي أيتام الناس يُتحنّن علي أيتامكم، وتوبوا إلي الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلوتكم، فإنّها أفضل الساعات ينظر الله عزّوجَل فيها إلي عباده، يُجيبهم إذا ناجوه، ويُلبّيهم إذا نادوه، ويُعطيهم إذا سألوه، ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفار كم، وظهور كم ثقيلة من أوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله تعالي أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والساجدين، وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

أيّها الناس من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عِتق نسمة ومغفرة لما مضي من ذنوبه، فقيل: يا رسول الله فليس كلّنا نقدر علي ذلك، فقال صلي الله عليه وآله: اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة، اتّقوا النار ولو بشربة من ماء.

أيّها الناس من حسّن في هذا الشهر منكم خُلقه كان له جواز علي الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه خفّف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن تطوّع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدّي فيه فرضاً كان له ثواب من أدّي سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلوات عليّ ثقّل الله له ميزانه يوم تخفّ فيه الموازين، ومن تلي فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيّها الناس إنّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة، فاسألوا ربّكم أن لا يُغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلّقة، فاسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة، فاسألوا ربكم أن لا يسلّطها عليكم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فقمت وقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال

في هذا الشـهر؟ فقال صلي الله عليه وآله: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّوجَل. ثمّ بكي صلي الله عليه وآله فقلت: ما يُبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي لما يُسـتحلّ منك في هـذا الشـهر، كأنّي بك وأنت تصـلّي لربّك وقد انبعث أشـقي الأوّلين والآخرين شـقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة علي قرنك فخضب منها لحيتك. فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال صلي الله عليه وآله: في سـلامة من دينك. ثم قال: يا علي من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، لأنّك منّي كنفسي، وطينتك من طينتي، وأنت وصيّي وخليفتي علي أمّتي».(1)

آداب الصوم:

وأمّا آداب الصوم والحالات التي يجب أن يكون الصائم عليها فنقول:

إنّ الصوم علي ثلاث مراتب ودرجات بعضها فوق بعض: الأولي صوم العموم، الثانية صوم الخصوص، الثالثة صوم الأخصّ.

أمّا صوم العموم فهو المفروض علي عامّة المكلّفين، وهو الكفّ عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلي الغروب الشرعيّ مع النيّة.

والمشـهور في المفطرات أنّها عشـرة: الأكل والشـرب، والجماع، والبقاء علي الجنابـة عمداً، وفي حكمه النوم بعد انتباهتين، والغبار الغليظ، وفي حكمه الدخان كذلك، والكذب علي الله سـبحانه ورسوله والأئمّة عليهم السـلام، والارتماس، والاسـتمناء مع خروج المني، والحقنة، والقيء، والتفصيل مذكور في الكتب الفقهيّة.

أمّا صوم الخصوص فهو أن يكون جامعاً لشـرائط الكمال مضافة إلي شرائط الصحّة، كما أشار إليه الإمام سيّد الساجدين وزين العابدين عليه السلام في دعائه عند دخول شهر رمضان حيث قال:

1- رواه الصدوق في الأمالي: 153 - 155/ ح 149؛ وفي عيون أخبار الرضا 2: 266/ ح 53؛ وفي فضائل الأشهر الثلاثة: 77/ ح 61.

«اللهم صلّ علي محمد و آل محمد وألهمنا معرفة فضله، وإجلال حرمته، والتحفّظ ممّا حظرت فيه، وأعنّا علي صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك، واستعمالها

بما يُرضيك، حتّي لا نُصغي بأسماعنا إلي لغو، ولا نسرع بأبصارنا إلي لهو، وحتّي لا نبسط أيدينا إلي محظور، ولا نخطو بأقدامنا إلي محجور، وحتي لا تعي بطوننا إلاّ ما أحللت، ولا تنطق ألسنتنا إلاّ بما مثّلت، ولا نتكلّف إلاّ ما يُدني من ثوابك ولا نتعاطي إلاّ ما يقي من عقابك، ثم خلّص ذلك كلّه من رياء المرائين وسمعة المسمعين،(1) لانشرك فيه أحداً دونكَ ولا نبغي به معبوداً سواك».(2)

شروط كمال الصوم:

ومحصّل شروط الكمال أن لا يكون يوم صومه كيوم فطره، ومداره علي أمور:

منها غضّ السمع والبصر عن محارم الله وعن كلّ ما يلهي النفس عن ذِكر الله، و كذلك حفظ سائر الأعضاء عن المعاصي والآثار.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إذا صُمت فليَصُم سمعُك وبصرُك وشعرك وجلدك، وعدّد أشياء غير هذا. وقال عليه السلام: لا يكون يوم صومك كيوم فطرك.(3)

ومنها: حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والخصومة، بل عن مطلق التكلّم إلاّ بذكر الله.

روي الكافي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، ثمّ قال: قالت مريم: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا»(4) _ أي صمتاً _ فاحفظوا ألسنتكم، وغضّوا أبصاركم، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا».(5)

1- وفي نسخة: المستمعين.

2- إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس 1: 112، من دعائه عليه السلام عند دخول شهر رمضان.

3- بحار الأنوار 93: 292/ ح 15.

4- مريم: 26.

5- بحار الأنوار 93: 292/ ح16.

قال: وسمع رسول الله صلي الله عليه وآله امرأة تسبّ جارية لها وهي صائمة، فدعي رسول الله بطعام فقال لها: كُلي. فقالت إنّي صائمة. فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببتِ جاريتك؟ إنّ الصوم ليس من الطعام والشراب.(1)

قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا صُمت فليصم سمعُك وبصرُك من الحرام والقبيح، ودع المِراء وأذي الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك».(2)

قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «ما من عبد صالح يُشتَم فيقول: إنّي صائم سلام عليك لا أشتمك كما تشتمني، إلاّ قال الربّ تبارك وتعالي: استجار عبدي بالصوم من شر عبدي، وقد أجرتُه من النار».(3)

وبالجملة فاللازم علي الصائم التحفّظ من سقطات اللسان وفضول البيان،والمواظبة علي الاستغفار والدعاء وتلاوة القرآن و سائر الأذكار.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء، فأمّا الدعاء فيُدفع به عنكم البلاء، وأمّا الاستغفار فتُمحي به ذنوبكم».(4)

وقال أبو عبد الله عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا كان شهر رمضان لم يتكلّم إلاّ بالدعاء والتسبيح والاستغفار والتكبير، فإذا أفطر قال: اللهمّ إن شئتَ أن تفعل فعلتَ.(5)

ومنها ترك شمّ الرياحين ولا سيّما النرجس.

ومنها الكفّ عن الافطار علي الشبهات: روي في الوسائل عن أبي عبد الله عليه السلام

1- بحار الأنوار 93: 294/ ح 23.

2- بحار الأنوار 93: 292/ ح16.

3- الكافي 4: 88/ ح 5.

4- إقبال الأعمال 1: 69؛بحار الأنوار 93: 378 ـ 379/ ح 2.

5- بحار الأنوار 46: 65/ ح 35.

عن أبيه قال: جاء قنبر مولي علي عليه السلام بفطره إليه، فجاء بجراب فيه سويق و عليه خاتم، قال: فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إنّ هذا لهو البخل تختم علي طعامك. قال: فضحك عليه السلام ثم قال: أو غير ذلك، لا أحبّ أن يدخل بطني شيء لا أعرف سبيله.(1)

ومنها: أن لا يُكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ ويثفل، فما من وعاء أبغض إلي الله من بطن مملوّ.

وفي البحار عن مجالس ابن الشيخ قدس سرّه بإسناده عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليه السلام _ في حديث طويل لإبليس مع يحيي عليه السلام _ قال يحيي: فهل ظفرت بي ساعة قط؟ قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني، قال يحيي: فما هي قال: أنت رجل أكول، فإذا أفطرت أكلت وبشمت، فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل. قال يحيي: فإنّي أعطي الله عهداً أنّي لا أشبع من الطعام حتي ألقاه. قال له إبليس: وأنا أعطي الله عهداً أنّي لا أنصح مسلماً حتّي ألقاه، ثم خرج فما عاد إليه.(2)

ومنها: أن يكون قلبه بعد الافطار مضطرباً بين الخوف والرجاء، إذ لا يدري أنّ صومه مقبول فهو من المقرّبين، أو مردود فهو من المحرومين.

مرّ بعض أصحاب العقول بقومٍ يوم عيدهم وهم ضاحكون مستبشرون، فقال: إنّ الله سبحانه جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته، فسبق أقوام ففازوا، و تخلّف أقوام فخابوا، فالعجب كلّ العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون.(3)

وأمّا صوم أخصّ الخواص: فصوم القلوب عن الهمم الدنيويّة والأغراض الدنية، و كفّه عن التوجّه إلي ما سوي الله بالكلّية، لدوام استغراقه بالحقّ عن الالتفات بغيره، فالفطر في هذا الصوم الذي هو فيه هو الفكر فيما

1- بحار الأنوار 40: 339/ ح 24.

2- بحار الأنوار 14: 171 - 173/ ح 12؛ أمالي الطوسي: 340/ ح 692.

3- روي في إقبال الأعمال 1: 467 وبحار الأنوار 75: 110 عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

سوي الله واليوم الآخر وصرف الهمّة في غير طاعة الله وطاعة رسوله صلي الله عليه وآله من أغراض النفس ومقاصد الطمع، وقد استوفينا الموضوع في المجلد الثاني من كتابنا (الجواهر الروحيّة) تحت عنوان (مدرسة الصوم).

السابع: أثر الحج في الدنيا والآخرة

«حجّ البيت واعتماره فإنّهما يَنفيان الفقر ويُرحضان الذنب» أي يغسلانه و يطهّرانه.

قد يبدو أنّ الحجّ عبادة رمزيّة غير معقولة المعني، ولا ـ ظاهرة الحكمة، وأنّ ما يأتيه الانسان من أعمال إنّما هو امتثال للأمر، وإظهار للعبوديّة، وقيام بحقّ الله، ولكنّه عند التأمّل تتجلّي أسراره و تظهر آثاره النفسيّة والخُلقيّة والاجتماعية.

أسراره النفسية:

إنّ شعائر الحجّ تُثير في النفس ذكريات عِذاباً، إذ أنّها ترتبط بالواقع التاريخي لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه.

والحجّ يُلقي علي هذه الذكريات من الظلال والألوان ما يجعلها شاخصة للعيون وماثلة في الأذهان.

إنّ إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع قواعد البيت وإسماعيل.

وهو أوّل بيت وضع لعبادة الله في الأرض. ومن ثمّ أمر الحنفاء أن يتوجّهوا إليه كلّما توجّهوا إلي الله في صلاتهم، وأن يتلاقوا عنده كلّ عام، يحدوهم الحبّ في الله والاجتماع عليه، ليُعلنوا تضامنهم واتّفاقهم علي إقامة شريعة الله الواحد.

ولا تزال النفس الإنسانية تهفو إلي مصدر إشعاعها الأوّل وتحنّ إليه، وتقيم لذلك المعالم الهادية، وتتّخذ منها حافزاً يرقي بحاضرها وينهض بها إلي حياة أهدي وأزكي.

ولقد جاشت نفس رسول الله صلي الله عليه وآله وانفعلت بهذه الذكريات، فبكي وهو عند الكعبة وقال: «هنا تُسكب العبرات».(1)

1- رواه ابن ماجة في سننه 2: 982/ ح 2945 والحاكم في المستدرك 1: 454.

آثاره الخلقية:

والحجّ نوع من السلوك ولون من ألوان التدريب العمليّ علي مجاهدة النفس من أجل الوصول إلي المثل والاندماج في حياة روحيّة خالصة تمتلئ فيها القلوب بحبّ الله، وتنطلق الحناجر هاتفة بذكره مثنية بينما يرتدي المرء ملابس الاحرام، وهي ملابس خالية من الزينة و من كلّ ما يثير في النفس دواعي العجب والخيلاء.

يقول الله تعالي: «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنّ الْحَجّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ».(1)

تشير هذه الآية إلي أنّ المرء حينما يدخل في أعمال الحجّ يجب عليه أن يعيش في جوّ من العفاف والأدب العالي، فلا يتدلّي إلي رفثٍ ولا يميل إلي فسوق ولا ينطق بكلمة طائشة، أو ينظر نظرة فاحشة. كما تشير أيضاً إلي فعل الخير، وهو عمل إيجابيّ يجمل بكلّ مؤمن أن يهتمّ به ويحرص عليه.

آثاره الاجتماعية:

يمكن تلخيص الحكم الاجتماعيّة للحجّ فيما يلي:

1_ إنّ الحجّ رحلة سياسيّة لتجميع أكبر عدد ممكن من أفراد الأمّة الاسلامية ليشهدوا المنافع التي تعود عليهم بالخير والبركات، سواء كانت منافع روحيّة أم منافع اقتصاديّة، أم منافع سياسيّة.

2_ أنّ فيه تعارف الشعوب الإسلاميّة وتوحيد غاياتهم التي توجّههم الوجهة التي تأخذ بأيديهم إلي حياة القوّة والعزّة والعلم والعمل بما يفيده بعضهم من بعض، و من تبادل الآراء المختلفة والثقافات المتنوعة.

3- يمكن عقد معاهدات و اتفاقات في موسم الحجّ ودراسة الوسائل لتيسير التبادل الاقتصاديّ والثقافيّ ممّا تحتاج إليه هذه البلاد.

1- البقرة: 197.

هذه هي بعض حِكم الحجّ وأسـراره، فلننظر إلي أرض الله الواسعة ولنستحضر كلّ المؤتمرات والتجمّعات، فهل نجد مجتمعاً أطهر وأبرّ من هـذا المجتمع مع هذا العدد الوفير والكثرة الكاثرة؟ وصدق الله إذ يقول: «وَأَذِّنْ فِي النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَيٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ».(1)

قال ابن عباس: يعني بالمنافع التجارات. وقال سـعيد بن المسـيّب وعطيّة: هي منافع الآخرة وهي العفو والغفران. وقال مجاهد: هي التجارة في الدنيا، والأجر والثواب في الآخرة.

ويُشعر به المرويّ عن الصادق عليه السلام حيث قال في رواية: إنّي سمعت الله عزّوجَل يقول: «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ»(2) فقيل: منافع الدنيا و منافع الآخرة؟ فقال عليه السلام: الكلّ.(3)

وفي الفقيه قال رسول الله صـلي الله عليه وآله: «ما من حاجّ يُضـحي ملبّياً حتي تزول الشـمس إلاّ غابت ذنوبه معها، والحجّ والعمرة ينفيان الفقر كما ينفي الكيرُ الحديدَ».(4)

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «حجّوا واعتمروا تصحّ أبدانكم وتتّسع أرزاقكم وتُكفون مونات عيالاتكم».(5)

وقال عليه السلام : «الحاجّ مغفور له، وموجوب له الجنة، ومُستأنَف له العمل، ومحفوظ في أهله وماله».(6)

وقال رسول الله صلي الله عليه وآله: «الحجّة [المتقبّلة] ثوابها الجنّة، والعُمرة كفّارة لكلّ ذنب».(7)

1- الحجّ: 27 و 28.

2- الحجّ: 28.

3- تفسير الصافي 3: 374؛ منتهي المطلب للعلامة الحلّي 2: 701.

4- من لا يحضره الفقيه 2: 222/ ح2238.

5- الفصول المهمّة للحرّ العاملي 3: 231.

6- الفصول المهمّة 3: 231.

7- بحار الأنوار 96: 50/ ح 46.

وعن اسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي قد وطّنت نفسي علي لزوم الحجّ كلّ عام بنفسي أو برجلٍ من أهل بيتي بمالي. فقال عليه السلام: وقد عزمتَ علي لزوم ذلك؟ قال: قلت نعم. قال : إن فعلتَ فأيقِن بكثرة المال.(1)

وعن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر يقول: قال رسول الله صلي الله عليه وآله:لا يحالف الفقر والحمّي مُدمن الحجّ والعمرة.(2)

وعن ابن الطيار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «حِججٌ تتري وعُمَر تسعي يدفعن عيلة الفقر وميتة السوء».(3)

والمستفاد من هذه الروايات أنّ للحجّ والعمرة بذاتها مدخليّة في زيادة المال ونفي الفقر، لا من حيث التجارة والحاصلة في موضع الحجّ وقيام الأسواق حينئذ.

الثامن: آثار صلة الرحم الوضعية

«صلة الرحم فإنّها مثراة في المال ومنسأة في الأجل» يعني أنّها موجبة للزيادة في المال، والتأخير في الأجل ومحلّ لهما.

قال الشارح البحراني: كونها مثراة في المال من وجهين:

أحدهما: أنّ العناية الإلهيّة قسمت لكل حيّ قسطاً من الرزق يناله مدّة الحياة الدنيا و تقوم به صورة بدنه، فإذا أعدّت شخصاً من الناس للقيام بأمر جماعة وكفلت بإمدادهم ومعونتهم وجب في العناية إفاضة أرزاقهم علي يده وما يقوم بإمدادهم بحسب استعداده لذلك، سواء كانوا ذوي أرحام أو مرحومين في نظره، حتّي لو نوي قطع أحدهم فربّما نقص ماله بحسب رزق ذلك المقطوع، وذلك معني كونه مثراةً للمال.

1- بحار الأنوار 96: 25/ ح 107.
2- الكافي 4: 254/ ح 8.
3- الكافي 4: 261/ ح 36.

الثاني: أنّ صلة الرحم من الأخلاق الحميدة التي يُستمال بها طباع الخلق،فواصلُ رَحِمِه مرحوم في نظر الكلّ، فيكون ذاك سبباً لإمداده ومعونته من ذوي الإمداد والمعانات كالملوك ونحوهم، فكان صلة الرحم مظنّة لزيادة المال.

وكونها منسأة في الأجل من وجهين:

أحدهما: أنّ صلة الرحم توجب تعاطف ذوي الأرحام وتوازرهم ومعاضدتهم الواصلهم، فيكون عن أذي الأعداء أبعد، وفي ذلك مظنّة تأخيره و طول عمره.

الثاني: أنّ مواصلة ذوي الأرحام توجب تعلّق هممهم ببقاء واصلهم وإمداده بالدعاء، ويكون دعاؤهم و تعلّق هممهم بقائه من شرائط بقائه ونسأ أجله، فكانت مواصلتهم منسأة في أجله.

التاسع: الصدقة وأنواعها

الصدقة وهي علي قسمين:

أحدهما: صدقة السرّ فإنها تكفّر الخطيئة وتُطفيء غضب الربّ سبحانه، وإنّما خصّها عليه السلام بذلك _مع كون سائر العبادات كذلك _ لكونها أبعد من الرياء، وتضمّنها من الخلوص والتقرّب ما ليس في غيرها.

روي في الكافي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «صدقة السرّ تطفيء غضب الرب تبارك وتعالي».(1)

وعن عمّار الساباطي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا عمّار الصدقة والله في السرّ أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك _ والله _ العبادة في السرّ أفضل منها في العلانية».(2)

وعن معلّي بن خنيس قال: خرج أبو عبد الله عليه السلام في ليلة قد رشّت وهو

1- الكافي 4: 7/ ح 1 و 4: 8/ ح3.

2- الكافي 4: 8/ ح 2.

يريد ظلّة بني ساعدة، فاتبعته فإذا قد سقط منه شيء، فقال: بسم الله اللهمّ رُدّ علينا. قال: فأتيته فسلمت عليه، فقال عليه السلام: معلّي؟ قلت: نعم جُعلت فداك. فقال لي: التمس بيدك فما وجدتَ من شيء فادفعه إلي، فإذا أنا بخبز منتثّ كثير، فجعلت أدفع عليه ما وجدت فإذا أنا بجراب أعجز عن حمله من خبز، فقلت: جعلت فداك أحمل علي رأسي؟ فقال: لا، أنا أولي به منك، ولكن امض معي. قال: فأتينا ظلّة بني ساعدة فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يدسّ الرغيف والرغيفين حتّي أتي علي آخرهم ثم انصرفنا، فقلت: جُعلت فداك يعرف هؤلاء الحقّ؟ فقال: لو عرفوه لواسيناهم بالدُقّة ـ والدُقّة هي الملح ـ إنّ الله تبارك وتعالي لم يخلق شيئاً إلاّ وله خازن يخزنه إلاّ الصدقة، فإنّ الربّ يليها بنفسه، وكان أبي عليه السلام إذا تصدّق بشيء وضعه في يد السائل ثم ارتدّه منه فقبّله وشمّه ثم ردّه في يد السائل، إنّ صدقة الليل تُطفيء غضب الرب وتمحو الذنب العظيم و تهوّن الحساب، وصدقة النهار تثمر المال وتزيد في العمر، إنّ عيسي بن مريم عليه السلام لمّا مرّ علي شاطيء البحر رمي بقرص من قوته في الماء، فقال له بعض الحواريّين: يا روح الله وكلمته لم فعلت هذا وإنّما هو من قُوتك؟ قال عليه السلام: فعلت هذا لدابّة تأكله من دواب الماء، و ثوابه عند الله عظيم.(1)

والثاني: «صدقة العَلانية فإنّها تدفع ميتة السوء». كالغرق والحرق والهدم ونحوها.

ويدلّ عليه روايات أخر، مثل ما رواه الكليني باسناده عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ الصدقة باليد تقي ميتة السوء، وتدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء، و تفكّ عن لحي سبعين شيطاناً، كلّهم يأمره أن لا يفعل».(2)

وعن أبي ولاد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «بكّروا بالصدقة وارغبوا فيها،

1- الكافي 4: 8 - 9/ ح3.
2- الكافي 4: 3/ ح 7.

فما من مؤمن يتصدّق بصدقة يُريد بها ما عند الله ليدفع الله بها عنه شرّ ما ينزل من السماء إلي الأرض في ذلك اليوم إلاّ وقاه الله شرّ ما ينزل في ذلك اليوم».(1)

وعن السكوني عن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: إنّ الله لا إله إلاّ هو ليدفع بالصدقة الداء والدبيلة _ أي الطاعون _ والحرق والغرق والهدم والجنون، وعدّ صلي الله عليه وآله سبعين باباً من السوء.(2)

وعن سالم بن مكرم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مرّ يهودي بالنبي صلي الله عليه وآله فقال: السّام عليك، فقال صلي الله عليه وآله: عليك. فقال أصحابه: إنّما سلّم عليك بالموت. فقال صلي الله عليه وآله: وكذلك رددت. ثم قال النبي: إنّ هذا اليهودي يعضّه أسود في قفاه فيقتله. قال: فذهب اليهودي فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله، ثمّ لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول الله صلي الله عليه وآله: يا يهودي أيّ شيء عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملاً إلاّ حطبي هذا احتملته وجئت به، فكان معي كعكتان، فأكلت واحدة وتصدّقت بواحدة علي مسكين. فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: بها دفع الله عنك، وقال صلي الله عليه وآله: إنّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان».(3)

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الصدقة لتدفع سبعين بليّة من بلايا الدنيا مع ميتة السوء، إنّ صاحبها لا يموت ميتة السوء أبداً، مع ما يُدَّخر لصاحبها من الأجر في الآخرة».(4)

العاشر صنع المعروف

«صنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان» المعروف اسم لكلّ فعل

1- الكافي 4: 5/ ح 1.
2- الكافي 4: 5/ ح 2.
3- الكافي 4: 5/ ح3.
4- الكافي 4: 6/ ح5.

يُعرف حُسنه بالعقل والشرع: كالاحسان والبرّ والصلة والصدقة علي الناس والرفق معهم وسائر أعمال الخير، واصطناع المعروف لمّا كان مستلزماً لتأليف قلوب الخلق وجامعاً لهم علي محبة المصطنع، لاجرم كان وقاية له، والناس يتّقون قتله ويجتنبون عن فعل ما يوجب الهوان به وذلّته، وهو ظاهر.

ونظير هذا الكلام ما رواه عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».(1)

وهذا من جملة خواصّه في الدنيا، ومنها أيضاً زيادة البركة.

قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «إنّ البركة أسرع إلي البيت الذي يمتار منه المعروف من الشفرة إلي سنام البعير، أو من السيل إلي منتهاه».(2)

وأمّا ثمراته الأخرويّة فكثيرة أشرت إليها في باب المعروف: ففي الفقيه قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «أوّل من يدخل الجنة المعروف وأهله، وأوّل من يرد عليَّ الحوض».(3)

وقال صلي الله عليه وآله: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة».(4)

وتفسيره أنّه إذا كان يوم القيامة قيل لهم: هَبوا حسناتكم لمن شئتم وادخلوا الجنّة.

وقال الصادق عليه السلام: «أيّما مؤمن أوصل إلي أخيه المؤمن معروفاً فقد أوصل ذلك إلي رسول الله صلي الله عليه وآله».(5)

وقال عليه السلام: «المعروف شيء سوي الزكاة، فتقربوا إلي الله عزّوجَل بالبرّ وصلة الرحم».(6)

1- الكافي 4: 29/ ح 1.
2- الكافي 4: 29/ ح 2.
3- الكافي 4: 28/ ح 11.
4- الكافي 4: 29 - 30/ ح3.
5- الكافي 4: 27/ ح 8.
6- الكافي 4: 27/ ح5.

وقال أيضاً: «رأيت المعروف لا يصلح إلاّ بثلاث خصال: تصغيره، وستره، و تعجيله، فإذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تمّمته، وإذا عجّلته هنّأته، وإن كان غير ذلك سخّفته و نكّدته».(1)

وفي رواية مفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا مفضّل إذا أردت أن تعلم إلي خير يصير الرجل أم إلي شرّ، أنظر إلي أين يضع معروفه، فان كان يضع معروفه عند أهله فاعلم أنّه يصير إلي خير، وإن كان يضع معروفه عند غير أهله فاعلم أنّه ليس له في الآخرة من خَلاق».(2)

وقد استوفينا موضوع المعروف ونكته وما ورد فيه من المزايا في فصل والمعروف» من هذا الكتاب، فراجعه.

***

1- الكافي 4: 30/ ح 1.

2- الكافي 4: 31/ ح 2.

فهرست الموضوعات

المقدمة ...3

كتاب صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة...6

نشاطات مؤسسة إحياء التراث الشيعي...7

عملنا في الكتاب ...8

شكر وتقدير ...8

تقديم بقلم نجل المؤلف السيد صدر الدين القبانچي ...9

سياسة الإمام علي عليه السلام...9

الأصول الثلاثة ...9

هذا الكتاب ...10

كتابات المؤلف في الإمام علي عليه السلام ...10

الأول: علي والأسس التربوية...11

الثاني: مسند الإمام علي عليه السلام...11

الثالث: صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ...11

كلمة الشكر ...12

مقدمة وذكريات بقلم الدكتور الشيخ محمد حسين الصغير ...13

كلمات أقطاب العلم وعباقرة الأدب حول نهج البلاغة ...19

كلمة السيد كاظم القزويني ...19

كلمة الحجّة آغا بزرك الطهراني ...19

كلمة العلاّمة السيد هبة الدين الشهرستاني ...23

كلمة الحجّة العلاّمة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ...23

كلمة ابن أبي الحديد المعتزلي ...24

كلمة الفيلسوف الشيخ محمّد عبدة...29

كلمة محمد محي الدين مصدّر شرح النهج لابن عبدة ...31

كلمة السيد شريف الرضي ...31

كلمة ميرزا حبيب الله الخوئي ...32

كلمة الأستاذ حسن نائل المرصفي المصري ...33

كلمة الصحافي الشهيد أمين نخلة ...35

كلمة نرسيسيان...36

كلمة مستر كرينو الانكليزي أستاذ الآداب العربية ...36

كلمة الأستاذ جورج جرداق...36

كلمة الشيخ محمد مهدي شمس الدين ...43

كلمة الأديب جبران خليل جبران...44

كلمة الشيخ محمد حسن القبيسي العاملي...44

كلمة روكس بن زائدة العزيزي الكاثوليكي...45

العقاد و نهج البلاغة ...46

كلمة سبط ابن الجوزي...47

كلمة الحجّة الشيخ هادي كاشف الغطاء ...47

كلمة الدكتور زكي نجيب محمود ...47

كلمة الأستاذ العلاّمة أحمد أمين الكاظمي ...48

كلمة الدكتور صبحي الصالح ...49

كلمة شبلي شميل حول نهج البلاغة...51

ص: 468

كلمة سليمان كتّاني ...52

نهج البلاغة في الشعر العربي...53

قيل فيه شعراً...53

علي ونهج البلاغة فيما ذهب إليه بعض المرجفين ...61

مختارات من خطب وكتب الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وشرحها

من كتاب له عليه السلام إلي الحارث الهمداني:

يوصيه بالتمسك بالقرآن وذكر الموت ونصائح أخري عظيمة ...69

دخول الحارث الهمداني علي أمير المؤمنين عليه السلام...70

حديث علي عليه السلام مع نوف البكالي...73

موعظة الإمام الجواد عليه السلام لعبد العظيم الحسني ...74

موعظة الإمام علي عليه السلام للحسن البصري ...75

مواعظ وحكم لعلي عليه السلام...77

الذنوب ثلاثة...80

من خطبة له عليه السلام: في صفة الإسلام والإيمان ...81

الإيمان يدل علي الصالحات...82

إعمار الفقه بالإصلاح ...83

بالفقه يرهب الموت...85

أشعار في الموت ...85

من خطبة له عليه السلام: في ذم قريش وبيان عظمة أهل البيت عليهم السلام...91

أهل البيت عليهم السلام أظلة العرش ...93

حرّة بنت حليمة السعدية والحجّاج الثقفي ...97

علي عليه السلام والأنبياء ...99

أسماء مباركة توسّل بها نوح عليه السلام...101

مقتطفات في فضل أهل البيت عليهم السلام...103

أوجه عظمة أهل البيت عليهم السلام...105

من خطبة له عليه السلام: في وصف القرآن والاستفتاء بآياته...107

خصائص القرآن ...107

آيات مفيدة لدفع الأذي والأوجاع والفقر و كلّ ضرر ...109

مناظرة طبيّة بين الصادق عليه السلام وطبيب هندي ...116

من خطبة له عليه السلام: في معرفة الخالق وتوحيده...119

ولاية أهل البيت عليه السلام شرط في التوحيد ...121

من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: في المعروف والانفاق ...125

مواضع المعروف ...126

تعاريف للمعروف...126

أنواع المعروف ...129

شروط تأثير الأمر بالمعروف ...130

الإمام الكاظم عليه السلام والعمري...134

المأمون وعفوه عن عمّه إبراهيم ...135

الرشيد وعفوه عن الخارجي ...137

معن بن زائدة وعفوه عن الأسري...138

المروءة النادرة ...138

من وصية له إلي ولده الحسن عليهما السلام:

في الدعاء والتوبة إلي الله وعفوه تعالي ...141

الدعاء وشرائط القبول...142

فوائد الدعاء ...143

أدعية القرآن ...145

فصول أربعة ...146

الأول: في حقيقة الدعاء ...146

الفصل الثاني: في استحباب الدعاء وفوائده ...146

سؤال وجواب ...147

الفصل الثالث: في اقتران الدعاء بالاهتمام والعمل ...148

الفصل الرابع: في آداب الدعاء والمسألة...149

عشرون باباً...151

الباب الأول: في الاستعاذة بالله سبحانه من الشياطين...151

الباب الثاني: في الاستعاذة بالله من الشرور والأشرار ومن سيّئات الأعمال...151

الباب الثالث: في الاستعاذة من النار ومن عذاب الملك القهار...152

الباب الرابع: في الدعاء للأبوين...153

الباب الخامس: في الدعاء لطلب الذريّة والأولاد والأزواج...154

الباب السادس: في الدعاء للذرية والأولاد...154

الباب السابع: في الدعاء للاخوان...155

الباب الثامن: في الدعاء لعموم المؤمنين والمؤمنات ...156

الباب التاسع: في الدعاء لطلب الهداية والاستقامة في الدين ...156

الباب العاشر: في الدعاء لطلب الخيرات والحسنات ...158

الباب الحادي عشر: في الدعاء لطلب العلم والحكمة...158

الباب الثاني عشر: لطلب الرحمة والغفران وتكفيرالسيئآت ...159

الباب الثالث عشر: لطلب التوبة وقبول الأعمال...161

الباب الرابع عشر: في الدعاء لتطلب حسن المثوي...162

الباب الخامس عشر: لطلب الرزق واليُسر في الأمور وحسن العيش...163

الباب السادس عشر: في الدعاء السلامة والأمان ...163

الباب السابع عشر: لطلب النصر والظفر ومزيد القوّة والأنصار ...164

الباب الثامن عشر: لطلب الصبر و توفيق الثبات...166

الباب التاسع عشر: في الدعاء لطلب النجاة من الظالمين ...166

الباب العشرون: لطلب الدخول في صفّ الأخيار ...167

أدعية أهل البيت عليهم السلام...168

موت القلوب بعشرة أشياء...170

الذنوب تمنع الغيث ...172

النميمة وخطرها في المجتمع...173

قصة العبد النمام ...174

قال عليه السلام في خطبة له:

يوصي فيها بعدم الغفلة ويحذر من الكذب والرياء والحسد ...175

ضبط الألفاظ اللغوية ...175

المعني ...176

جهاد النفس...176

مجالسة أهل المعاصي تسلب الإيمان ...180

أحاديث في النهي عن مجالسة أهل المعاصي ...181

الحسد وأثره النفسي ...183

الحسد ومنشؤه ...184

الحسد وعلله.. وآثاره ...186

علة قتل قابيل لأخيه هارون...188

علي والحاسدون ...193

ص: 472

معاوية ينطق بالحق ...194

أعرابي يمدح علياً عليه السلام في مجلس الوليد ...197

أعرابي يمدح علياً عليه السلام في مجلس معاوية ...200

و من وصية له إلي ولده الحسن عليهما السلام:

في محبة الآخرين والنهي عن الظلم والعجب...203الشرح...203

نفسك ميزانك ...204

العجب آفة نفسية ...206

قصيدة إيليا أبي ماضي ...207

أحاديث في ذم العجب ...208

من خطبة له عليه السلام: في وصف آل محمد عليهم السلام...211

ضبط الالفاظ اللغوية...211

الأمر الأول: أهل البيت عليهم موضع سرّ الله ...220

حديثنا صعب مستصعب...223

الثاني: أهل البيت عليهم السلام ملتجأ أمر الله ...224

أهل البيت عليهم السلام هم ولاة الأمر ...225

الدليل النقلي ...226

الدليل العقلي ...227

الثالث: أهل البيت عليهم السلام عيبة علم الله ...227

الدليل النقلي ...228

الرابع: أهل البيت عليهم السلام موئل حكم الله ...230

الخامس: أهل البيت عليهم السلام كهف الكتب السماوية...231

مناظرة الإمام رضا عليه السلام مع الجاثليق ورأس الجالوت وبقية المذاهب ...232

عدد الكتب السماوية ...237

السادس: أهل البيت عليهم السلام جبال الدين ...240

السابع والثامن: أهل البيت عليهم السلام سبب قوام الدين ...241

من خطبة له عليه السلام:

يوصي بالتوقي والاعتبار بالقرون السالفة ويشير إلي المهدي ...245

ضبط الالفاظ اللغوية...245

الشرح...246

سليمان عليه السلام وملك الموت ...247

قصة راعي الغنم مع صاحب الزرع ...248

إجابة سليمان عليه السلام علي أسئلة السماء...249

من وصايا داود لسليمان عليهما السلام...251

نوادر أخبار ملك سليمان ...251

بناء بيت المقدس...252

صفة سليمان في ملكه وفي بدنه ...256

عرش سليمان ...258

هدايا بلقيس ...259

سيرة نبي الله سليمان و تاريخه عليه السلام...263

حكاية سليمان مع النملة ...265

قصّة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان ...266

ضرورة الاعتبار من التاريخ...271

تاريخ العمالقة ...271

في بيان مدائن الرسّ وقصّة أصحابها ...273

ص: 474

الإمام المهدي عليه السلام علي لسان علي الكلام عليه السلام...274

معرفة الحكمة وتفسيرها ...275

معاني الحكمة في القرآن ...277

تبع حكيم حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات...278

بين إفلاطون وسقراط ...279

بزرجمهر في السجن...279

حكمة فيثاغورس...280

حكمة أرسطاطاليس...280

حكاية الملك ووزراءه الأربعة ...281

وصفة الحكيم لكل داء...284

دلالة قوله عليه السلام «فهو مغترب» علي الإمام المهدي عليه السلام...286

الرد علي المعتزلي ...287

الرد علي ابن ميثم ...288

موضوع الإمام المنتظر عليه السلام ...289

الأول: استبعاد طول العمر ...289

الثاني: عدم الحكمة في الوجود مع الغيبة...292

حكاية الشيخ محمد حسين الاصفهاني عن الإمام المهدي عليه السلام...292

كلام محي الدين العربي في حق الإمام المهدي عليه السلام...294

من خطبة له عليه السلام:

يحذر فيها من الغفلة ويبين علمه وفضله علي الآخرين...299

ضبط الالفاظ اللغوية...299

الشرح...300

الفصل الأول: إيقاظ الغافلين...300

ص: 475

الفصل الثاني: إشارة إلي مناقب علي عليه السلام...301

إخبار علي عليه السلام بالمغيبات...311

مجموعة أخري من المغيبات...312

قصة عمرو بن حمق الخزاعي...315

دخول جويرية علي علي عليه السلام...317

إخباره عليه السلام بصلب ميثم التمار...318

قصة رشيد الهجري...318

إخباره عليه السلام بمقتل الحسين عليه السلام بكربلاء...319

من كلام له عليه السلام: ينهي عن التنجيم ويدعو إلي الاستعانة بالله...321

النهي عن تعلم النجوم ...324

حقيقة السحر...326

فصل ووصل...329

إخبار النبي صلي الله عليه وآله بالمغيبات...331

إخباره صلي الله عليه وآله لقيس بعدم مسّه بضرر...331

إشارته إلي عائشة بأنّها صاحبة الجمل ...332

من كلام له عليه السلام علي منبر الكوفة:

يدعو الناس للإستفادة من علمه...339

الحياة في كوكب المريخ...342

اصدقاء عالم الفضاء...344

لسنا وحدنا في الكون...347

طبق طائر في الكويت ...347

المنطقة العربية والأطباق الطائرة...349

طبق طائر فوق الأراضي السوفيتية...349

ص: 476

صفات مشتركة للأطباق الطائرة...349

حديث علي عليه السلام مع ذعلب...351

كلام الإمام علي عليه السلام مع ابن الكوا...354

علي عليه السلام وآخر الزمان...356

من كلام له عليه السلام: في مدح الكوفة...359

ضبط الألفاظ اللغوية...359

الشرح...359

الكوفة وفضلها...361

الكوفة رائدة الأدب العربي...362

مسلم بن عقيل وأهل الكوفة...364

من خطبة له عليه السلام:

يوصي بالوفاء وعدم الغدر ويذكر سوء عصره ...369

ضبط الالفاظ اللغوية...369

المعني لهذه الفقرات النيّرة ...369

وفاء السمؤل...370

قصة المنذر بن ماء السماء ويوماه البؤس والسعد...371

آل الأشعث والغدر...376

غدرة خالد بن الوليد...377

قصة ثعلبة بن حاطب...378

قصة سابور وبنت الملك الغادرة...380

جزاني جزاء سنمار...371

من خطبة له عليه السلام: التحذير من اتباع الهوي وطول الأمل...383

ضبط الالفاظ اللغوية...383

ص: 477

المعني...383

إتباع الهوي...384

مجامع الهوي خمسة...384

طول الأمل...385

النهي والتحذير من طول الأمل...386

من خطبة له عليه السلام:

يدعو فيها للزهد والشكر عند النعم...389

ضبط الألفاظ الغريبة...389

المعني: الحث علي الزهد...389

موكب قارون...391

موعظة علي عليه السلام لنوف صاحبه...394

رسول الله صلي الله عليه وآله وليلة الإسراء...395

أوجه الزهد...396

كلام الإمام الصادق عليه السلام في الزهد ...399

من كلام له عليه السلام: يصف الدنيا...405

ضبط الالفاظ اللغوية...405

المعني: عشرة أوصاف للدنيا...405

الأول: عشرة أوصاف للدنيا...405

الثاني: فناء في آخر الطريق...407

الثالث: الحساب في الحلال...407

العقوبة علي المحرمات...410

السابع: الفقر يجلب الحزن...411

مقام الفقراء في الجنة...413

أحاديث في فضل الفقر والفقراء...414

من خطبة له عليه السلام:

في الإهتمام بفروع الدين وصلة الرحم والانفاق...417

ضبط الالفاظ اللغوية...417

الشرح: أسباب القرب إلي الله...417

أولها: الإيمان بالله...418

الفرق بين الإسلام والإيمان...418

مراتب الإيمان...419

الثاني: الجهاد من الوسائل إلي الله سبحانه...424

والثالث: كلمة الإخلاص...425

والرابع: الصلاة ركن الدين وعموده...425

أمّا علّة وجوبها في الأوقات المعيّنة...429

الخامس: الزكاة فريضة واجبة...431

الحكم النفسية للزكاة...432

أثرها في الأخلاق...432

أسرارها الاجتماعية...433

المقام الأول: في محلّ وجوبها وعقوبة مانعها...434

كوي الجباه والجنوب والظهور...438

قصة تحكي عن بعض مشاهد القيامة...439

المقام الثاني: في أسرار الزكاة ودقائق بذل المال...441

أصناف الناس...442

السادس: الصيام والنجاة من النار...445

أمّا علّة وجوب الصوم...448

ص: 479

وأمّا فضل الصوم مطلقاً...449

وأمّا فضل شهر رمضان وفضل صومه...450

آداب الصوم...453

شروط كمال الصوم...454

السابع: أثر الحج في الدنيا والآخرة...457

أسراره النفسية...457

آثاره الخلقية...458

آثاره الاجتماعية...458

الثامن: آثار صلة الرحم الوضعية...460

التاسع: الصدقة وأنواعها...461

العاشر: صنع المعروف...463

فهرست الموضوعات...467

***

المجلد 2

اشارة

الجزء الثاني

صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ج 2

تأليف :العلامة الشهيد السيد حسن السيد علي القبانچي النجفي

موسسه احياء التراث الشيعي

النجف الأشرف

ص: 1

اشارة

موسسه احياء التراث الشيعي

النجف الأشرف - شارع الرسول صلي الله عليه وآله- محلة الحويش

رقم الزقاق: 54 - رقم الدار 2

هاتف: 332811 و 332813

ص.ب 588

http://www.turathshiai.com

http://www.turathshiai.net

http://www.turathshiai.org

صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ج 2

العلامة السيد حسن القبانچي رحمة الله

المطبعة : تقارش

الطبعة: الأولي

سنة النشر : ربيع الأول 1426 ه-

عدد النسخ : 2000 نسخة

السعر: 5000 دينار

ردمك: ISBN 964-397-098-1

الدورة :x- ISIBN 964-397-099

جميع الحقوق محفوظة للمؤسسة

من كلام له عليه السلام:في تهامية الرسالة والتحذير من النار

اشارة

«تَالله لَقَد عُلّمتُ تَبليغَ الرِّسالات وَإتمَامَ العِداتِ وَتَمامَ الكَلماتِ وَعِندَنا أهلَ البَيتَ أبوابُ الحُكمَ وَضياءُ الأمرِ أَلا وَ انَّ شَرائِعَ الدَينِ واحِدةُ وَسُبُلَهُ قاصِدَةٌ مَن أخَذ بِها لَحَقَ وَغَنِمَ وَمَن وَقَفَ عَنها ضَلَّ وَ نَدِمَ اعمَلوا لِيَومٍ تُذخَرُ لَهُ الذِخائرُ و تُبلي فيه السَّرائِرُ ومَن لا يَنفُعُهُ حاضِرُ لُبّه فعازُبُهُ عَنهُ أعجَزُ وغائبُهُ أعوَر وَاتَّقُوا ناراً حَرُّها شَديدِ وَقعُرُها بَعيدٌ وَحليَتُها حَديدٌ، وشَرابُهَا صَديدٌ. الا و أنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجعَلُهُ الله تَعالي للَمَرءِ فِي النَّاسِ لَهُ مِنَ المالِ يُورِثهُ مَن لا يَحمَدُهُ.»

(شرح ابن أبي الحديد مج 2، ص 26، ط 1).

ضبط الألفاظ الغريبة :

(علّمت) في أكثر النسخ علي صيغة المجهول من باب التفعيل، وفي بعضها بالتخفيف علي المعلوم، قال الشارح المعتزلي: والرواية الأولي أحسن، و(الحكم) في أكثرالنسخ بالضم وسكون الكاف، وفي بعضها بالكسر وفتح الكاف جمع الحكمة، و(عزب) التي من باب قعد: بعد عني وغاب، و(عوز) الشيء – كفرح إذا لم يوجد، والرجل افتقر، وأعوزه الدهر أفقره.

الشرح:

جاء في منهاج البراعة (مج 8،ص 110 من الطبعة الحديثة): إن المقصود بهذا الكلام – كما يفهم من سياقه _ الإشارة إلي وجوب اتباعه

وملازمته والتمسك بذيل ولايته واتباع الطيبين من عترته وذريته، ووجوب أخذ معالم الدين وأحكام الشرع المبين عنهم صلوات الله عليهم.

وعقبه بـذكر جملـة من فضائله المخصوصـة به المفيـدة لتقـدمه علي غيره، والدالة علي وجوب تقديمه، نظراً إلي قبح ترجيح المرجوح علي الراجح.

وغير خفي علي الذكي البصـير أن كلاً من هذه الخصائص برهان واضح وشاهد صدق علي اختصاص الخلافة والولاية بهم عليهم السـلام، وعلي أنها حق لهم دون غيرهم.

وافتتح كلامه عليه السـلام بالقسم البار تحقيقاً للمقصد، فقال: (تالله لقد علمت تبليغ الرسالات) أي علمنيه رسول الله صـلي الله عليه وآله بتعليم من الله سبحانه، وأعلمنيه بأمر منه تعالي، لا أنه علمه بوحي كما توهمه بعض الغلاة، لأن الأئمة عليهم السلام محدثون. .

والرسالة هو الإخبار عن مراد الله تعالي بكلامه بدون واسـطة بشـر، والمراد أنه عليه السلام علمه رسول الله صلي الله عليه وآله إبلاغ ما جاء به إلي الخلق علي اختلاف ألسـنتهم وتعدد لغاتهم، سواء كان ذلك في حال حياة الرسول، كبعثه صـلي الله عليه وآله له عليه السـلام بسورة براءة إلي أهـل مكـة وعزله لأبي بكر، معللاً بقوله له صـلي الله عليه وآله: أمرت أن لا يبلغها إلا أنا أو رجل مني،(1) أو بعد وفاته صلي الله عليه وآله، فقد كان هو عليه السـلام وأولاده الطاهرون عليه السلام أوعية علم النبي صلي الله عليه وآله وحملة سره و حفظة شرعه، مؤدين له إلي أمته. وكـانوا عمـدة نشـر الأحكـام وانتشـار مسائـل الحلال والحرام وانفتاح باب العلم في زمنهم عليه السـلام، وكانوا مأمورين بالتبليغ والانذار كما كان رسول الله صـلي الله عليه وآله مأموراً بذلك، ويشهد بذلك ما رواه الكليني والطبرسي والعياشي عن الصادق عليه السلام، في قوله تعالي: (وَأُوحِيَ إليَّ هذَا القُرانُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ) الآية، قال: ومن بلغ أن يكون إماماً من آل محمد صلي الله عليه وآله، فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صلي الله عليه وآله (2)

1- مسند أحمد 1: ح 21؛ تفسير مجمع البيان 4:22؛ تفسير العياشي 1:356

2- الكافي 1: 416 ح 21؛ تفسير مجمع البيان 4: 22؛ تفسير العياشي 1: 356.

وفي غاية المرام عن الصدوق بإسناده عن يزيد بن معاوية العجلي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قوله تعالي: (إنَّما أنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِ قَومٍ هادٍ) (1) فقال: المنذر رسول الله صلي الله عليه وآله ، وعلي الهادي، وفي كل وقت وزمان إمام منا يهديهم إلي ما جاء به رسول الله صلي الله عليه وآله (2)

وفيه أيضاً عن الصدوق مسنداً عن أبي هريرة قال: دخلت علي رسول الله صلي الله عليه وآله وقد نزلت هذه الآية: (إنَّما أنتَ مُنذِرٌ ولِكُلِ قَومٍ هادٍ) فقرأها علينا رسول الله صلي الله عليه وآله، قال: أنا المنذر، أتعرفون الهادي؟ قلنا: لا يا رسول الله. قال: هو خاصف النعل. فطولت الأعناق، إذ خرج علينا علي عليه السلام من بعض الحجر وبيده نعل رسول الله صلي الله عليه وآله، ثم التفت إلينا وقال: ألا إنه المبلغ عني، والإمام بعدي، وزوج ابنتي، وأبو سبطي، فنحن أهل بيتٍ أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً من الدنس . (3)

وفي البحار عن بصائر الدرجات باسناده عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلي الله عليه وآله، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: يا علي أنت تعلم الناس تأويل القرآن بما لا يعلمون. فقال علي عليه السلام : ما أبلغ رسالتك بعدك يا رسول الله؟ قال: تخبر الناس بما أشكل عليهم من تأويل القرآن .(4)

وفيه أيضاً من كشف الغمة، من كتاب محمد بن عبد الله بن سليمان، مسنداً عن أنس، قال: كنت أخدم النبي صلي الله عليه وآله فقال لي: يا أنس بن مالك يدخل علي رجل إمام المؤمنين، وسيد المسلمين، وخير الوصيين. فضرب الباب، فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام، فدخل بعرق، فجعل النبي صلي الله عليه وآله لا يمسح العرق عن

1- الرعد: 7.

2- رواه الصدوق في إكمال الدين: 667/ ح 10

3- بحار الأنوار 36: 316، ح 162

4- بحار الأنوار 23: 195/ ح 23؛ بصائر الدرجات: 215/ ح 3

وجهه ويقول: أنت تؤدي عني – أو تبلغ عني – فقال: يا رسول الله أو لم تبلغ رسالات ربك؟ فقال صلي الله عليه وآله: بلي، ولكن أنت تعلم الناس. (1)

قوله عليه السلام: و إتمام العدات أي إنجازها، يحتمل أن يكون المراد بها ما وعده الله سبحانه في حقه، فقد علمه رسول الله صلي الله عليه وآله بأن الله سيفي له بما أنزل عليه في القرآن حيث قال: (أفَمَن وَعَدناهُ وَعداً حُسناً فهُوَ لاقيه) (2) جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في هذه الآية، قال: الموعود علي بن أبي طالب عليه السلام، وعده الله أن ينتقم له من أعدائه في الدنيا، ووعده الجنةله و لأوليائه في الآخرة.(3)

ولكن الأظهر أن يراد بها العدات والعهود التي عاهد عليها الله سبحانه ويشهد به قوله تعالي: (مِنَ المُؤمِنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَليهِ فَمنهُم مَن قَضي نَحبَه وَمِنهُم مَن يَنتَظِرُ وَما بَدَّلوا تَبديلاً) (4) جاء عن أبي عبد الله عليه السلام عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال: قال علي عليه السلام: كنت عاهدت الله و رسوله أنا وعمي حمزة وأخي جعفر وابن عمي عبيدة بن الحارث علي أمر وفينا به لله ورسوله، فتقدمني أصحابي وخلفت بعدهم لما أراد الله عزوجل، فأنزل الله سبحانه:(مِنَ المُؤمِنينَ رِجالٌ صَدَقوُا الآية.) (5)

أو يراد بها مواعيد رسول الله صلي الله عليه وآله التي وعدها للناس، فقد قال رسول الله صلي الله عليه وآله : أنت وصيي ووارثي وقاضي ديني ومنجز عدتي، (6) وعلمه صلي الله عليه وآله و كيفية أدائها ومن أين يؤديها.

1- كشف الغمة، وعنه بحار الأنوار 38: 17/ ح29

2- القصص: 61

3- بحار الأنوار 150:36-151/ح129

4- الأحزاب:23

5- بحار الأنوار 35: 410/ ح 5

6- انظر: مدينة المعاجز 1: 347/ ح 224؛ بحار الأنوار 38: 111/ ح46

فقـد حدث صاحب كتاب غاية المرام عن محمد بن علي الحكيم الترمذي –من أعيان علماء العامة– في كتابه المسـمي ب افتح المبين من كتـاب الأوصال قال: وروي أن أمير المؤمنين (كرم الله وجهه) قـد أدي سـبعين ألفاً من دينه صـلي الله عليه وآله، و كان أكثره من الموعود. (1)

قصة أبي صمصام العبسي مع رسول الله صلي الله عليه وآله :

وفيه أيضاً من كتاب ثاقب المناقب، قال: حدثني شـيخي أبو جعفر محمد بن حسين الشهرابي في داره بمشهد الرضا عليه السلام بإسناده إلي عطا، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال:

قدم أبو الصـمصام العبسـي إلي رسول الله صـلي الله عليه وآله فأناخ ناقته علي باب المسـجد ودخل وسـلم وأحسن التسليم، ثم قال: أيكم الفتي الغوي الذي يزعم أنه نبي؟

فوثب إليه سـلمان الفارسـي رضـي الله عنه فقال: يا أخا العرب أما تري صاحب الوجه الأقمر والجبين الأزهر، والحوض والشفاعة والتواضع والسـكينة، والمسألة والإجابة، والسـيف والقضـيب، والتكبير والتهليل، والنور والشـرف، والعلو والرفعة، والسخاء والشجاعة والنجدة، وذلك مولانا رسول الله صلي الله عليه وآله.

فقال الأعرابي: إن كنت نبياً فقل متي تقوم الساعة؟ ومتي يجيء المطر؟ وأي شيء في بطن ناقتي؟ وأيء شيء أكتسب غدا؟ ومتي أموت؟

فبقي رسول الله صـلي الله عليه وآله ساكتاً لا ينطق بشـيء، فهبط الأمين جبرئيل فقال: يا محمد اقرأ (إِنَّ اللهَ عندَهُ علمُ السّاعَة ويُنَزِّلُ الغَيثَ ويَعلَمُ ما فِي الأَرحامِ وَما تَـدرِي نَفسٌ ماذا تَكسِبُ غَـداً وَما تَدري نَفسٌ بِأَيِ أَرضٍ تَموُتُ إِنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ) (2) قال الأعرابي: مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأقر أنك رسول الله، فأي شيء لي عندك إن أتيتك بأهلي وبني عمي

1- غاية المرام 6: 331

2- لقمان: 34

مسـلمين؟ فقال له النبي صـلي اله عليه وآله: لك عنـدي ثمانون ناقـة ځمر الظهور بيض البطون سود الحدق، عليها من طرائف اليمن ونمط الحجاز.

ثم التفت النبي صلي الله عليه وآله إلي علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: اكتب يا أبا الحسن بسم الله الرحمن الرحيم أقر محمد بن عبد الله بن عبـد المطلب بن هاشم بن عبـد مناف وأشـهد علي نفسه في صـحة عقله وبـدنه وجواز أمره أن لأبي الصـمصام عليه وعنـده في ذمته ثمانين ناقـة ځمر الظهور بيض البطون سود الحدق عليها من طرائف اليمن ونمط -ثوب من صوف ملون _ الحجاز، وأشـهد عليه جمعاً من أصحابه.

وخرج أبو الصـمصام إلي أهله، فقبض النبي صـلي الله عليه وآله ، فقدم أبو الصمصام وقد أسلمت بنو عبس كلها، فقال: ما فعل رسول الله؟ قالوا: قبض. قال: فمن الوصـي بعده؟ قالوا: ما خلف فينا أحداً. قال: فمن الخليفة بعده؟ قالوا: أبوبكر. فدخل أبو الصمصام المسجد فقال: يا خليفـة رسول الله إن لي علي رسول الله صـلي الله عليه وآله ديناً ثمانين ناقة حمر الظهور بيض البطون سود الحدق عليها من طرائف اليمن ونمـط الحجـاز. فقـال أبو بكر: يـا أخا العرب سألت ما فوق العقل، والله ما خلف فينا رسول الله صـلي الله عليه وآله لا صـفراء ولا بيضاء، خلف فينا بغلته الذلول ودرعة الفاضلة فأخذها علي بن أبي طالب، وخلف فينا فدكاً فأخذناها بحق، ونبينا صلي الله عليه وآله لا يورث.

فقام سـلمان الفارسـي رضي الله عنه و ومد يده إلي أبي الصمصام فأقامه وجاء به إلي منزل علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يتوضأ وضوء الصلاة، فقرع سلمان الباب، فنادي علي عليه السلام : ادخل أنت وأبو الصمصام العبسي. فقال أبو الصمصام: أعجوبة ورب الكعبة، من هذا الذي سـماني ولم يعرفني؟ فقال سـلمان: هذا وصي رسول الله صلي الله عليه وآله، هذا الذي قال له رسول الله: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب، هذا الذي قال له رسول الله صلي الله عليه وآله : علي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبي فقد كفر.

وهذا الذي قال الله تعالي فيه (وجَعَلنا لَهُم لِسانَ صِدقٍ عَلياً.) (1)

وهذا الذي قال الله تعالي فيه: (أفَمَن كانَ مُؤمِنا كَمن كانَ فاسقاً لا يَستُوونَ.) (2)

وهو الـذي قال الله تعالي فيه:(أجعَلتُم سِقايَة الحاجِ عَمارَةَ المَسـجِدِ الحَرامِ كَمَن آمَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ وجاهَدَ فِي سَبيلِ اللهِ لا يَسـتَوُونَ) (3)

وهذا الذي قال الله تعالي فيه: (يا أيُّها الرَّسولُ بَلِغ ما أنزِلَ إليكَ مِن ربّكَ.) (4)

وهذا الذي قال الله تعالي فيه: (فَمَن حاجَّكَ فيه مِن بَعد ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُل تَعالَوا نَدعُ أبناءَنا وأبناءكُم ونِساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكُم) (5) الآية.

وهذا الذي قال الله تعالي فيه: (إنَّما يريدُ الله ليُذهِبَ عَنكُمُ الرِجسَ أهلَ البَيتِ ويُطَهِرَكُم تَطهيراً.) (6)

وهذا الذي قال الله تعالي فيه: (إنَّما وَلِيُكُمُ اللهُ ورَسولُهُ والّذينَ آمَنُوا الّذينَ يُقيمُونَ الصّلاةَ ويُؤتونَ الزَّكاةَ وهُم راكِعُونَ.) (7)

أدخل يا أبا الصـمصام وسـلم عليه، فـدخل أبو الصـمصام وسـلم عليه ثم قال: إن لي علي رسول الله صـلي الله عليه وآله ثمانين ناقـة حمر الظهور بيض البطون سود الحـدق، عليها من طرائف اليمن ونمط الحجاز. فقال علي عليه السـلام: أمعك حجـة؟ قال: نعم، وأخرج الوثيقة، فقال عليه السلام: يا سلمان ناد في الناس: ألا من أراد أن ينظر إلي قضاء دين رسول الله صلي الله عليه وآله فليخرج إلي خارج المدينة.

1- مريم:50

2- السجدة: 18

3- التوبة: 19

4- المائدة: 67

5- آل عمران: 61

6- الأحزاب: 33

7- المائدة: 55

فلما كان من الغد خرج الناس، وقال المنافقون: كيف يقضـي الدين وليس معه شيء؟ غداً يفتضح، من أين له ثمانون ناقة حمر الظهور بيض البطون سود الحـدق عليهـا من طرائف اليمن ونمـط الحجـاز؟ فلمـا كان الغـد اجتمع الناس وخرج علي عليه السـلام في أهل بيته ومحبيه وجماعة من أصـحاب رسول الله صـلي الله عليه وآله ، وأسـر إلي الحسن عليه السلام سراً لم يدر أحد ما هو. ثم قال: يا أبا الصمصام امض مع ابني الحسن إلي كثيب الرمـل، فمضـي الحسن عليه السـلام ومعه أبو الصـمصام، وصـلي الحسن ركعتين عنـد الكثيب و كلم الأـرض بكلمات لا يدري ما هي، وضـرب علي الكثيب بقضـيب رسول الله صـلي الله عليه وآله، فانفجر الكثيب عن صـخرة ململمة مكتوب عليها سطران علي الأـول: لاـ إله إلا الله محمـد رسول الله، وعلي الآخر لا إله إلا الله علي ولي الله.وضـرب الحسن عليه السـلام تلك الصـخرة بالقضـيب فانفجرت عن خطام ناقة، فقال: قد يا أبا الصـمصام، فقاد فخرج منها ثمانون ناقة حمر الظهور بيض البطون سود الحدق عليها من طرائف اليمن ونمط الحجاز، ورجع إلي علي عليه السـلام فقال عليه السلام : استوفيت حقك يا أبا الصمصام؟ فقال عليه السلام: نعم، فقال عليه السـلام: سـلم الوثيقة، فسـلمها إليه فخرقها عليه السـلام ثم قال: هكذا أخبرني ابن عمي رسول الله صلي الله عليه وآله أن الله عزوجل خلق هذه النوق في هذه الصخرة قبل أن يخلق ناقة صالح بألفي عام (1) وتروي هذه القصة أيضاً بوجه آخر.

قال صاحب ثاقب المناقب: ويروي هذا الخبر علي وجه آخر، وهو ما روي أبو محمد الادريسـي عن حمزة بن داود الديلمي، عن يعقوب بن يزيد الأنباري، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حبيب الأحول، عن أبي حمزة الثمالي، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس قال:

لما قبض النبي صلي الله عليه وآله وجلس أبو بكر نادي في الناس: ألا من كان له علي رسول

1- الثاقب في المناقب: 127 - 132/ ح127؛ غاية المرام 6: 335 - 337

الله صلي الله عليه وآله عدة أو دين فليأت أبا بكر وليأت معه بشاهدين، ونادي علي عليه السلام بذلك علي الاطلاق من غير طلب شاهدين، فجاء أعرابي متلثم متقلداً سيفه، متنكياً كنانته، وفرسه لا يري منه إلا حافره. وساق الحديث ولم يذكر الاسم والقبيلة، و كان ما وعده مائة ناقة حمراء بأزمتها وأثقالها موقرة ذهباً وفضة بعبيدها.

فلما ذهب سلمان بالأعرابي إلي أمير المؤمنين عليه السلام قال له حين بصر به مرحباً بطالب عدة والده من رسول الله صلي الله عليه وآله، فقال: ما وعد أبي يا أبا الحسن؟

قال: إن أباك قدم علي رسول الله صلي الله عليه وآله قال: أنا رجل مطاع في قومي إن دعوتهم أجابوك، وإني ضعيف الحال، فما تجعل لي إن دعوتهم إلي الاسلام فأسلموا؟ فقال صلي الله عليه وآله : من أمر الدنيا أم من أمر الآخرة؟ قال: وما عليك أن تجمعهما لي يا رسول الله وقد جمعهما الله لأناس كثيرة. فتبسم النبي صلي الله عليه وآله وقال: أجمع لك خير الدنيا والآخرة، أما في الآخرة فأنت رفيقي في الجنة، وأما في الدنيا فما تريد؟ قال: مائة ناقة حمر بأزمتها وعبيدها موقرة ذهباً وفضة، ثم قال: وإن دعوتهم فأجابوني وقضي علي الموت ولم ألقك فتدفع ذلك إلي ولدي؟ قال: نعم، علي أني لا أراك ولا تراني في دار الدنيا بعد يومي هذا، وسيجيبك قومك، فإذا حضرتك الوفاة فليصر ولدك إلي وليي من بعدي ووصيي، وقد مضي أبوك ودعا قومه فأجابوه، وأمرك بالمصير إلي رسول الله صلي الله عليه وآله، أو إلي وصيه، وها أنا وصيه ومنجز وعده.

فقال الأعرابي: صدقت يا أبا الحسن، ثم كتب عليه السلام له علي خرقة بيضاء وناول الحسن عليه السلام وقال: يا أبا محمد سر بهذا الرجل إلي وادي العقيق وسلم علي أهله واقذف الخرقة وانتظر ساعة حتي تري ما يفعل، فإن دفع إليك شيء فادفعه إلي الرجل. ومضيا بالكتاب.

قال ابن عباس: فسرت من حيث لم يرني أحد. فلما أشرف الحسن عليه السلام علي الوادي نادي بأعلي صوته: السلام عليكم أيها السكان البررة الأتقياء، أنا

ابن وصي رسول الله صلي الله عليه وآله، أنا الحسن بن علي سبط رسول الله صلي الله عليه وآله وابن رسول الله صلي الله عليه وآله ورسوله إليكم. وقد قذف الخرقة في الوادي، فسمعت من الوادي صوت: لبيك لبيك يا سبط رسول الله وابن البتول وابن سيد الأوصياء سمعنا وأطعنا، انتظر ليدفع إليك. فبينا أنا كذلك إذ ظهر غلام لم أدر من أين ظهر وبيده زمام ناقة حمراء تتبعها ستة، فلم يزل يخرج غلام بعد غلام، في يد كل غلام قطار حتي عددت مأة ناقة حمراء بأزمتها وأحمالها، فقال الحسن عليه السلام: خذ بزمام نوقك وعبيدك ومالك وامض يرحمك الله. (1)

الكلمات التامات :

قوله سلام الله عليك: «و تمام الكلمات ».

فسّرها الشارح المعتزلي بتأويل القرآن وبيانه الذي يتم به، قال: لأن في كلامه تعالي المجمل الذي لا يستغني عن متمم ومبين يوضحه.

ويجوز أن يراد بالكلمات الكلمات القرآنية خصوصاً، أعني الآيات وما تضمنته من التأويل والتنزيل، والمفهوم والمنطوق، والظهر والبطن، والنكات والأسرار، وما فيها من الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والجدل والمثل والقصص، والترغيب والترهيب، إلي غير ذلك، فإن تمام ذلك و كله عند أمير المؤمنين عليه السلام، والعلم بجميع ذلك مخصوص به وبالطاهرين من أولاده سلام الله عليهم أجمعين.

أو يراد بها مطلق كلمات الله النازلة علي الأنبياء والرسل في الكتب السماوية والصحف الإلهية.

1- الثاقب في المناقب: 133 - 134/ ح 128؛ غاية المرام 6: 338 - 339

أو أن يراد بها الأعم من هـذه أيضاً، وهو الأنسب باقتضاء عموم وظيفتهم عليه السـلام، فيكون المراد بها ما ورد في الأخبار من أن رسول الله صلي الله عليه وآله علم علياً عليه السـلام كلمـة تفتـح له ألف كلمـة، وألف كلمة تفتح كل كلمة ألف كلمة، وعبر عنها في أخبار أخر بلفظ الباب، ومن هنا كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن في صدري هذا لعلماً جماً علمنيه رسول الله صلي الله عليه وآله، لو أجد له حفظة يرعونه حق رعـايته ويروونه عتي كمـا يسـمعونه مني، إذاً لأودعتهم بعضه، يعلم به كثيراً من العلم، إن العلم مفتاح كل باب، و كل باب يفتح ألف باب. (1)

سؤال اليهود لعمر بن الخطاب:

جـاء في كتـاب غايـة المرام عن محمـد بن علي الحكيم الترمـذي، عن صـاحب الينـابيع قال: سأل قوم من اليهود عمر في زمن خلافته عن مسائل بشرط إن أجابهم أو غيره من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وآله آمنوا به.

قـالوا: مـا قفـل السـماء؟ ومـا مفتـاح ذلك القفل؟ وما القبر الجاري؟ ومن الرسول الـذي وعظ قومه ولم يكن من الجن ولا من الإنس؟ وما الخمسـة الـذين يسـيرون في الأـرض ولم يخلقوافي أرحام الأمهات؟ وما يقول الـديك في صوته والـدراج في صديـده والقمري في هـديله والفرس في صـهيله و الحمار في نهيقه والضـفدع في نقيقه؟ فأطرق عمر زماناً ثم رفع رأسه وقال: لا أدري. فغدي سلمان وأخبر علياً بالقصة، فـأتي فلمـا رآه عمر اسـتقبله وعـانقه وأخبره بالقصـة فقال (كرم الله وجهه): لا تبال فإن رسول الله صـلي الله عليه وآله علمني ألف باب من العلم، يتشعب منه ألف باب آخر. قال عمر: فاسألوه عنها. فقال عليه السلام في جوابهم:

أما قفل السـماء فهو الشـرك، وأما مفتاح ذلك القفل فقول لا إله إلا الله محمـد رسول الله. قالوا: صدق الفتي. ثم قال: وأما القبر الجاري فهو الحوت

1- الفصول المهمة 1: 564/ ح 846؛ ينابيع المعاجز 141

الذي كان يونس في بطنه حيث دار به في سبعة أبحر، وأما الرسول الذي لم يكن من الجن والانس فنملة سليمان كما قال الله تعالي:(قالَت نَملَةٌ يا أيُّها النَملُ ادخُلُوا مَساكِنَكُم لا يَحطِمَنكُم سُ لیمانُ وَجُنُودُهُ وهُم لا يَشعُرُونَ) (1) قال: وأما الخمسة الذين لم يخلقوا في أرحام الأمهات: فآدم و حوا وناقة صالح و كيش إبراهيم وثعبان موسي، وأما الديك فيقول: اذكروا الله أيها الغافلون، وأما الدراج فيقول: الرحمن علي العرش استوي، وأما القمري فيقول: اللهم العن مبغضي محمد و آل محمد، وأما الفرس فيقول عند الغزو: اللهم انصر عبادك المؤمنين علي عبادك الكافرين، وأما الحمار فيلعن العشارين ولا ينهق إلا في وجه الشيطان، وأما الضفدع فيقول: سبحان ربي المعبود في لجج البحار. فآمنوا لما سمعوا ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام. (2)

أهل البيت عليهم السلام باب الحكمة:

قوله عليه السلام : وعندنا أهل البيت أبواب الحكم، يجوز أن يراد بالحكم القضاء والفصل بين الناس في الخصومات والدعاوي، وأن يراد به الحكم الشرعي الفرعي، أعني خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين.

فعلي الأول فالظاهر أن المراد بأبوابه هو طرقه ووجوهه، فإنهم عليهم السلام كانوا عالمين بهاعارفين بتمامها، يحكمون في القضايا الشخصية علي ما تقتضيه المصلحة الكامنة الظاهرية أو الواقعية.

ففي بعضها كانوا يحكمون بظاهر الشريعة علي ما يقتضيه اليمين والبينة.

1- سورة النمل (27): الآية 18

2- غاية المرام5 : 216 - 217، عن الحكيم الترمذي في شرح الرسالة الموسومة ب الفتح المبين في كشف حق اليقين؛ ورواه أيضاً في التحصين لابن طاووس: 642 - 644؛ بحار الأنوار 61: 35 - 36

وفي بعضـها يمر الحق علي وجه التدبير واستخراج وجه الحيلة والإحتيال في إعمال الحق واستخراج الأفراد بالحقوق الباطنة بلطائف الفكر، كمـا كان يفعله أمير المؤمنين عليه السـلام في أيام خلافـة عمر وغيرها كثيراً، مثل قضائه في المرأة التي اسـتودعها رجلان وديعـة (1)، وفي المرأة التي توفي عنها زوجها وادعي بنوها أنها فجرت (2) ، وفي الجارية التي افتضتها سيدتها اتهاماً ورمياً لها بالفاحشة (3) ، ومثل أنه توفي رجل وخلف إبناً وعبداً، فادعي كل واحد منهما أنه الابن وأن الآخر عبدله، فأتيا أمير المؤمنين عليه السلام فتحاكما إليه، فأمر عليه السلام أن يثقب في حائط المسجد ثقبان، ثم أمر كل واحد منهما أن يدخل رأسه في ثقب، ففعلا،ثم قال: يا قنبر جرد السيف – وأشار إليه: لا تفعل ما آمرك به – ثم قال: اضـرب عنق العبـد، قال: فنحي العبد رأسه، فأخذه أمير المؤمنين عليه السـلام وقال للآخر: أنت الابن وقد أعتقته وجعلته مولي لك. (4)

وفي بعضـها بـالحكم الواقعي المحض، وبه يحكم القائم من آل محمـد عليه السـلام وعليهم بعـد ظهوره، وهو المعبر عنه بحكم داود في الأخبار، فإن داود عليه السـلام كان يعمل زماناً علي مقتضـي علمه بالوحي من دون أن يسأل عن البيئة، ثم إن بني اسرائيل اتهموه لبعده عن طور العقل، فرجع إلي العمل بالبينات.

قضاء علي عليه السلام بين النبي صلي الله عليه وآله وأعرابي:

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يحكم بهذا الحكم أحياناً، مثل ما روي عنه في محاكمة رسول الله صلي الله عليه وآله مع الأعرابي .

1- انظر: مناقب آل أبي طالب 2: 191؛ بحار الأنوار 40: 317

2- بحار الأنوار40: 307 ح/81

3- بحار الأنوار 40: 296 ح 70

4- من لا يحضره الفقيه 3: 105 – 106/ ح 3425؛ بحار الأنوار 40: 308 – 309

قال في الفقيه: جاء أعرابي إلي النبي صلي الله عليه وآله فادعي عليه سبعين درهماً ثمن ناقة باعها منها، فقال صلي الله عليه وآله: قد أوفيتك. فقال اجعل بيننا وبينك رجلاً يحكم بيننا، فأقبل رجل من قريش، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله : احكم بيننا. فقال للأعرابي: ما تدعي علي رسول الله؟ قال: سبعين درهماً ثمن ناقة بعتها منها. فقال ما تقول يا رسول الله؟ قال صلي الله عليه و آله : قد أوفيته. فقال للأعرابي: ما تقول؟ قال: لم يوفني. فقال لرسول الله صلي الله عليه وآله : ألك بينة علي أنك قد أوفيته؟ قال: لا، قال للأعرابي: أتحلف أنك لم تستوف حقك وتأخذه؟ فقال نعم. فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: لأتحاكمن مع هذا إلي رجل يحكم بيننا بحكم الله عزوجل فأتي رسول الله صلي الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام ومعه الأعرابي، فقال علي عليه السلام: ما لك يا رسول الله؟ فقال: يا أبا الحسن احكم بيني وبين هذا الأعرابي، فقال علي عليه السلام : يا أعرابي ما تدعي علي رسول الله؟ قال: سبعين درهماً ثمن ناقة بعتها منه. فقال: ما تقول يا رسول الله؟ فقال: قد أوفيه ثمنها. فقال: يا أعرابي أصدق رسول الله فيما قال؟ قال لا ما أوفاني شيئاً. فأخرج علي عليه السلام سيفه فضرب عنقه، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: لم فعلت ذلك يا علي؟ فقال: يا رسول الله نحن نصدقك علي أمر الله ونهيه وعلي أمر الجنة والنار والثواب والعقاب ووحي الله عزوجل، ولا نصدقك في ثمن ناقة هذا الأعرابي، إني قتلته لأنه كذبك لما قلت له «أصدق رسول الله فيما قال؟» فقال «لا ما أوفاني شيئاً».فقال رسول الله : صلي الله عليه وآله أصبت يا علي، فلا تعد إلي مثلها. ثم التفت صلي الله عليه وآله إلي القرشي – وكان قد تبعه –فقال: هذا حكم الله لا ما حكمت به. (1)

وعلي الثاني – أي علي كون المراد بالحكم الأحكام الشرعية –فالمراد بأبوابه هو طرق الإفتاء ووجوه بيان المسائل علي ما تقتضيه المصلحة، فيفتون بعض الناس بالحكم الواقعي، وبعضهم بالتقية حقناً لدمائهم أو لدماء السائلين.

وكيف كان، فقد وضح وظهر مما قررنا أن الأئمة عليهم السلام ولا عندهم أبواب

1- من لا يحضره الفقيه 3: 105 – 106/ ح 3425؛ عوالي الثالي 3: 518 – 519

الحكم بأي معني أخذ الحكم، وأنهم عارفون بها محيطون بأقطارها، وهذا الوصف مخصوص بهم لا يوجد في غيرهم، لأن معرفة المصالح الكامنة لا تحصل إلا بتأييد إلهي وقوة ربانية مخصوصة بأهل العصمة والطهارة.

ولذلك _ أي لقصد الاختصاص والتخصيص- قدم عليه السلام عقله المسند وقال: «وعندنا أبواب الحكم».

(وضياء الأمر) والمراد بالأمر إما الولاية كما كتي به عنها كثيراً في أخبار أهل البيت عليهم السلام، وفي قوله تعالي: (وأُولِي الأَمرِ مِنكُم)، والضياء حينئذ بمعناه الحقيقي، أي عندنا نور الإمامة والولاية، وأما الأوامر الشرعية فالضياء استعارة للحق، لأن الحق يشبه بالنور كما أن الباطل يشبه بالظلمة، قال سبحانه:

(اللهُ وَلِيُّ الّذينَ امَنوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إلي النّورِ والّذينَ كَفَروا أولياؤهُمُ الطاغُوتُ يُخرجُونَهُم منَ النُور إلي الظُلماتِ) (1) فالمقصود أن الأئمة عليهم السلام عندهم حق الأوامر الشرعية والتكاليف الإلهية، وإليه أشير في قوله سبحانه:

(أَطيعُوا اللهَ وَأطيعُوا الرَسُولَ وأوُلِي الأَمرِ مِنكُم). (2)

وأما مطلق الأمور المقدرة في الكون كما قال تعالي:

(تَنزَّلُ المَلائِكَةُ والرُوحُ فيها بِإذنِ ربّهم مِن كُل أمرٍ). (3)

أي تنزل إلي ولي الأمر بتفسير الأمور.

ثم إنه عليه السلام بعد ما ذكر جملة من فضائله وفضائل آله الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين أردف ذلك بالإشارة إلي وجوب اتباعهم وأخذ معالم الدين عنهم عليهم السلام فقال:

«ألا وإن شرايع الدين»و هي طرقه، أي قواعده و قوانينه «واحدة وبله قاصدة»أي معتدلة مستقيمة، وهي ما دل عليها أهل بيت العصمة والطهارة،

1- البقرة: 257

2- النساء:59

3- القدر: 4

لأنهم أولياء الـدين وأبواب الايمان وأمناء الرحمن والأدلاء علي الشـريعة والهـداة إلي السـنة. من أخـذ بها، واتبع أئمة الهدي سـلك الجادة الوسـطي والحق بالحق «وغنم» النعمـة العظمي، «ومن وقف عنها»وانحرف عن الصـراط الأعظم والسبيل الأقوم وأخـذ في أمر الدين بطرق الأقيسـة ووجوه الاسـتحسانات العقلية، أو رجع فيه إلي الهمج الرعاع وأئمة الضـلال العاملين فيه لعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة «ضـل وندم».

ثم أمر بتحصـيل الزاد ليوم المعاد فقال عليه السـلام: «اعملوا ليوم تـذخر له الـذخائر» وهي الأعمال الصالحة «وتبلي فيه السـرائر، الغرض بالوصف إما تخصيص الموصوف أو التهويل حتا علي العمل، كما في قوله سبحانه:

(في يَومٍ كانَ مِقدارُهُ خَمسينَ ألفَ سَنَةٍ). (1)

والجملة الثانية مأخوذة من الكتاب العزيز، قال تعالي: (يومَ تُبلَي السَّرائِرُ) (2) أي تختبر، والسرائر: ما أسر القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما خفي من الأعمال.

قال الطبرسـي: والسـرائر أعمال بني آدم، والفرائض التي أوجبت عليه،وهي سـرائر في العبد تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتي يظهر خيرها وشرها.

عن معاذ بن جبل قال: سألت النبي صلي الله عليه وآله و ما هذه السرائر التي تبلي بها العباد يوم القيامة؟ قال صلي الله عليه وآله : سرائر كم هي أعمالكم من الصـلاة والزكاة والصـيام والوضوء والغسل من الجنابة و كل مفروض، لأن الأعمال كلها سـرائر خفية، فإن شاء قال صليت ولم يصل وإن شاء قال توضأت ولم يتوض، فذلك قوله: (يَومَ تُبلي السَّرائرُ) (3) هذا ولما كان كمال القوة العملية لا يحصل إلا بكمال القوة النظرية أردفه بقوله عليه السلام:

«ومن لا ينفعه حاضر به فعازبه»أي بعيده «أعجز وغايبه أعوز» أي أعدم

1- السجدة: 5

2- الطارق: 9

3- تفسير مجمع البيان 10: 323

للمنفعة، يعني أن من لا ينفعه به الحاضر وعقله الموجود فهو بعدم الانتفاع بما هو غير حاضر ولا موجود عنده من العقل أولي وأحري.

وقيـل في تفسـيره بوجوه أخر: الأـول من لاـ يعتبر بلبه في حياته فأولي بأن لا ينتفع به بعـد الموت. الثاني أن من لـم يعمل بما فهم وحكم به عقله وقت إمكان العمل، فأحري أن لا ينتفع به بعد انقضاء وقته، بل لا يورثه إلا ندامة وحسرة. الثالث أن من لم يكن له من نفسه رادع وزاجر فمن البعيد أن ينزجر ويرتدع بعقل غيره وموعظة غيره، كما قيل: (وزاجر من النفس خير من عتاب العواذل).(1)

ولما حث علي العمل أكده بالتحذير من النار، فقال عليه السـلام: «واتقوا ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليتها حديد، وشرابها صديد» لا يخفي مـا في هـذه الفقرات من حسن الخطابـة، حيث ناط بكل لفظـة ما يناسـبها ويلايمها، لو نيطت بغيرها لـم تلائم، والاضافـة في القرينة الأولي علي أصـلها، وفي الأخيرة لأدني المناسـبة، وفي الوسـطين تحتمل الأول والثاني، واستعارة الحلية للقيود والأغلال من باب التحكم، والقرينة الأخري مأخوذة عن قوله سبحانه:(يُسقي مِن ماءٍ صَديدٍ)، (2) وهو القيح والدم، وقيل: هو القيح كأنه الماء في رقته والدم في شكله، وقيل: هو ما يسيل من جلود أهل النار. و كيف كان فتوصف النار بهذه الأوصاف الأربعة للتحذير والترهيب منها، كما أن في ذكر حلية أهل الجنة وشرابهم في قوله تعالي:

(وحُلُّوا أساوِرَ مِن فِضَّةٍ وسَقاهُم ربُّهُم شَراباً طَهُوراً .) (3)

ترغيباً و تشويقاً إليها.

1- وتمام البيت: وأقصرت عما تعهدين و زاجرٌ*** من النفس خيرٌ من عتاب العواذل انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 6: 397

2- ابراهيم:16

3- الإنسان: 21

ثم قال عليه السلام: «ألا وإن اللسان الصالح، أي الذكر الجميل، تسمية للشيء باسم مسببه ايجعله الله للمرء في الناس خير له من مال يورثه من لا يحمده» والمراد أن تحصيل مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال من البذل والانفاق ونحوهما مما يوجب الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبي خير من تحصيل المال و جمعه و توريثه من لا يشكره عليه، أي وارثه الذي لا يعد ذلك الأيراث فضلاً ونعمة الإيجابه العذاب الأليم والندم الطويل، وهو شاهد بالعيان معلوم بالوجدان.

ص: 20

من خطبة له عليه السلام: في بيان فضله عليه السلام ووفاة النبي صلي الله عليه وآله:

اشارة

وَلَقَد عَلِمَ المُستَحفَظُونَ مَن أصحَابِ مُحَمَّدٍ صلي الله عليه وآله أنّي لَم أرُدَ عَلَي اللهِ ولا عَلي رَسُولِه سَاعَةً قَطُّ وَلَقَد وَاسَيتُهُ بِنَفسِي فِي المَواطِنِ التِي تَنكُصُ فيهَا الأبطالُ وتَتَاَخَرُ فيها الأقدَامُ نَجدَةً أكرَمَني اللهُ بِها وَلَقَد قُبضَ رسول الله صلي اللهعليه وآله وانَّ رَأسَهُ لَعَلي صَدري وَلَقَد سَالِت نَفسُهُ في كَفي فَاَمرَرتُها عَلي وَجهِي وَلَقد وُليتُ غُسلَهُ صلي الله عليه وآله والملائكَةُ أعوانِي فَضَجَّت الدَّارُ والافنيَةُ مَلا يَهبِطُ و ملا يَعرُجُ وما فارَقَت سَمعي هَينَمَةٌ مِنهُم يَصَلونَ عَليه حَتَّي وارياهُ فِي ضَريحَه فمَن ذَا أحَقُّ به مِني حَياً و ميتاً فَانفَذُوا عَلي بَصَائِرِكُم وَلتَصدُقَ نيَّاتُكُم فِي جِهَادِ عَدُوَكُم فَوَ الذِي لا إله إلّا هُو إنّي لعَلي جادَّةِ الحَقِّ وانَّهُم لَعَلي مَزلَةِ البَاطَلِ أقُولُ ما تَسمَعُونَ وَأستَغفِرُ اللهَ لِي وَلَكُم.

(شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد مج 2، ص 591، ط الأولي).

ضبط الألفاظ الغريبة:

(المستحفظون) بصيغة المفعول من استحفظه الشيء، أي أودعه عنده وطلب منه أن يحفظه، فهو مستحفظ وذاك مستحفظ، و(واسيته) من المواساة، يقال: واسيته وآسيته، وبالهمزة أفصح، و(نكص) عن الشيء نكوصاً من باب قعد: أحجم عنه، ونكص علي عقبيه: رجع، قال تعالي: (فَلَمّا تَرَاءَتِ الفِئتانِ نَكَصَ عَلي عَقَبَيهِ) (1) و(النجدة) البأس والشدة والشجاعة، و (النفس) بسكون الفاء: الدم، وبالتحريك واحد الانفاس، و(فناء)

1- الأنفال: 48

الـدار وزان كساء: ما اتسع أمامها أو ما امتد من جوانبها، والجمع أفنية وفني، و (الضـجيج) الصـياح عند المكروه والجزع، و(الهينمة) بفتح الهاء: الصوت الخفي، وقيل الكلام الخفي لا يفهم، و(الضـريح) القبر أو الشـقة وسـطه، والأول هو المراد هنا، و(المزلة) الموضع الذي تزل فيه قدم الإنسان كالمزلقة.

الشرح:

إن هـذه الخطبـة الشـريفة مسوقـة لبيان جملة من مناقبه الجليلة وخصائصه المختصة به عليه السـلام، المفيدة لمزيد اختصاصه برسول الله صلي الله عليه وآله و وقربه منه، اسـتدلالاً بـذلك علي أنه أحق وأولي بالخلافة والقيام مقامه صـلي الله عليه وآله، وأنه علي الحق وغيره علي الباطل، وغرضه عليه السلام تنبيه المخاطبين علي وجوب إطاعته فيما يأمرهم به من جهاد الأعداء المبطلين.

خمس فضائل لعلي عليه السلام:

وذكر عليه السـلام خمساً من فضائله، وصدر كلام بالقسم البار تأكيداً للغرض المسوق له الكلام، و تنبيهاً علي أن اتصافه بها جميعاً حق لا يعتريه ريب ولا يدانيه شك.

أولها: عدم الرد علي النبي صلي الله عليه وآله هود والتسليم له

ما أشار إليه بقوله: «ولقد علم المسـتحفظون من أصحاب محمد صلي الله عليه وآله و أني لـم أرد علي الله ولا علي رسوله ساعةً قط» المراد بالمستحفظين خيار الصحابة المطلعون علي أسرار رسول الله صلي الله عليه وآله ومعجزاته و كراماته وعهوده ومواثيقه والملاحم الواقعة في زمانه صـلي الله عليه وآله و ونحو ذلك مما يتعلق به صـلي الله عليه وآله في نفسه وفي أوصيائه وأتباعه من الأمور المعظمة التي يهتم بها في الشـرعية ولهـا مـدخل في قوام أركان الـدين وإعلاء لواء الشـرع المبين، الـذين كلفوا بحفظ ذلك كله، وأمروا بأن يبلغوها ويؤدوها في مقام الضرورة والحاجة .

وإنما خص علم ماذكره بهؤلاء مع عدم اختصاصه بهم لأن هؤلاء بمقتضـي تصلبهم في الدين لا يكتمون الشهادة ولا يغيرونها ولا يبدلونها في

مقام الحاجة للأغراض الدنيوية الفاسدة كما كتمها جمع منهم مثل زيد بن أرقم، وأنس بن مالك ونظرائهم .

حدث العلامة المجلسي في البحار عن الخصال والأمالي عن جابر الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثني عليه ثم قال: «أيها الناس إن قدام منبر كم هذا أربعة رهط من أصحاب محمد صلي الله عليه وآله، منهم أنس بن مالك، والبراء بن عازب الأنصاري، والأشعث بن قيس الكندي، وخالد بن يزيد البجلي، ثم أقبل بوجهه علي أنس بن مالك فقال: يا أنس، إن كنت سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول «من كنتُ مولاه فهذا علي مولاه»ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية فلا أماتك الله حتي يبتليك ببر ص لا تغطيه العمامة.

وأما أنت يا أشعث، فإن كنت سمعت من رسول الله وهو يقول «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية فلا أماتك الله حتي يذهب بكريمتيك .

وأما أنت يا خالد بن يزيد، إن كنت سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية فلا أماتك الله إلا ميتة جاهلية.

وأما أنت يا براء بن عازب، إن كنت سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ثم لم تشهد لي بالولاية فلا أماتك الله إلا حيث هاجرت منه.

قال جابر بن عبد الله الانصاري: والله لقد رأيت أنس بن مالك قد ابتلي ببرص يغطيه بالعمامة فما يستره.

ولقد رأيت الأشعث بن قيس وقد ذهبت كريمتاه وهو يقول: الحمد لله

الذي جعل دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالعمي في الدنيا، ولم يدع علي بالعذاب في الآخرة فأعذب.

وأما خالد بن يزيد فإنه مات، فأراد أهله أن يدفنوه وفر له في منزله فسمعت بذلك كندة فجاءت بالخيل والإبل فعقرتها علي باب منزله، فمات ميتة جاهلية.

وأما البراء بن عازب فإنه ولاه معاوية اليمن فمات بها ومنها كان هاجر(1)

فقد ظهر بذلك أن المستحفظين هم المكلفون بحفظ الأمور المهمة المعتد بها في أمر الدين، وأن تخصيصهم بالعلم لعدم كتمانهم لما حملوه لو رجع الخاطئون إليهم.

وأما أنه عليه السلام ما رد علي الله ورسوله أبداً فهو معلوم محقق لا خفاء فيه، بل من ضروريات المذهب، لملكة العصمة المانعة من مخالفته لله ولرسوله صلي الله عليه وآله.

رد عمر علي رسول الله صلي الله عليه وآله :

وهذا القول إيماء إلي ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع بالقول والاعتراض علي الرسول صلي الله عليه وآله، كما نقل عن عمر يوم الحديبية عندما سطر كتاب الصلح أنه أنكر ذلك وقال لرسول الله صلي الله عليه وآله: ألسنا علي الحق؟ قال: بلي، قال: أو ليسوا الكافرين؟ قال: بلي. قال: فكيف نعطي الدنية في ديننا؟ والله لو وجدت أعوانا لم أعط الدنية أبداً، فقال له أبو بكر: ويحك الزم غرزه، فوالله إنه الرسول الله وإن الله لا يضيعه، ثم قال له: أقال لك أنه سيدخل مكة هذا العام؟ فقال لا. قال: فسيدخلها، فلما فتح النبي صلي الله عليه وآله مكة وأخذ مفاتيح الكعبة دعاه فقال: هذا الذي وعدتم به. (2)

قال ابن أبي الحديد بعد نقل هذا الخبر: واعلم أن هذا الخبر صحيح لاريب فيه،

1- الخصال للصدوق: 219 - 220/ ح 44؛ أمالي الصدوق: 184 - 185/ ح 190؛ بحارالأنوار 31: 446 - 447/ ح3 و 4

2- شرح نهج البلاغة 10: 180؛ بحار الأنوار 20: 333

والناس كلهم رووه، وليس عندي بقبيح ولا مستهجن أن يكون هذا الشخص سأل رسول الله صلي الله عليه وآله عما سأله عنه علي سبيل الاسترشاد والتماساً لطمأنينة النفس، فقد قال الله تعالي لخليله إبراهيم: (أوَ لَم تُؤمِن قالَ بَلي وَلكِن لِيَطمَئِنَّ قَلبي) (1) وقد كانت الصحابة تراجع رسول الله صلي الله عليه وآله في الأمور وتقول له: أهذا منك أم من الله؟ كقول السعدان يوم الخندق، وقول الأنصار يوم بدر، وقد كانت من عمر أمور دون هذه القصة، كقوله: دعني أضرب عنق أبي سفيان، وقوله: دعني أضرب عنق عبد الله بن أبي، وقوله: دعني أضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة، ونهي النبي صلي الله عليه وآله ورد عن التسرع إلي ذلك، وجذبه ثوب رسول الله صلي الله عليه وآله حين قام علي جنازة ابن أبي سلول يصلي، وقوله: وكيف تستغفر لرئيس المنافقين ؟ وليس في ذلك جميعه ما يدل علي وقوع القبيح منه، وإنما الرجل كان مطبوعاً علي الشدة والخشونة، وكان يقول ما يقول علي مقتضي السجية التي طبع عليها، وعلي أي حال كان لقد نال الإسلام بولايته وخلافته خيراً كثيراً. (2)

أقول: والعجب من الرجل كيف أعمي الله بصيرته كلما ذكر شيئاً من رذائله وقبائحه يجيب مرة بأن هذه وإن كانت رذيلة إلا أن له فضائل جمة تنغمر هذه الرذيلة تحتها، وأخري ينفي القبيح عما فعله، وليس هذا إلا شدة العصبية بحيث صار قلبه مسوداً، نعوذ بالله من الختم والطبع، كما قال سبحانه: (ختَم اللهُ عَلي قُلُوبِهم وعَلي سَمعِهِم وعَلي أبصَارِهِم غِشاوَةٌ) (3) وقول: (وَمَن لَم يَجعَل اللهُ لهُ نُوراً فَما لَه مِن نورٍ) .(4)

الثانية: المواساة النبي صلي الله عليه وآله

ما أشار إليه بقوله عليه السلام: «ولقد واسيه بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام نجدةً وشجاعة أكرمني الله بها وجعلها مخصوصة بي وآثرني بها علي غيري.

1- البقرة: 260

2- شرح نهج البلاغة 10: 180

3- البقرة: 7

4- النور: 40

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: وهذا يعني المواساة _ مما اختص عليه السلام بفضيلته غير مدافع، ثبت معه يوم أحد وفر الناس، وثبت معه يوم حنين وفر الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتي فتحها وفر من كان بعث بها من قبله. وروي المحدثون أن رسول الله صلي الله عليه وآله لما ارتث – أي حمل من المعركة جريحاً يوم أحد قال الناس: قتل محمد، رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلي إلا أنه حي فصمدت له، فقال لعلي عليه السلام : اكفني هذه، فحمل عليها وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة أخري فقال: يا علي اكفني هذه، فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة ثالثة فكذلك، فكان رسول الله صلي الله عليه وآله بعد ذلك يقول: قال لي جبرئيل: يا محمد إن هذه المواساة. فقلت: وما يمنعه وهو مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما.

وروي المحدثون أيضا أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادي «لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتي إلا علي».فقال رسول الله صلي الله عليه وآله و لمن حضره: ألا تسمعون؟ هذا صوت جبرئيل .

وأمايوم حُنين فثبت معه في نفر يسير من بني هاشم بعد أن ولي المسلمون الأدبار، وحامي عنه وقتل قوماً من هوازن بين يديه حتي ثابت إليه الأنصار وانهزمت هوازن وغنمت أموالها. وأما يوم خيبر فقصته مشهورة انتهي كلام ابن أبي الحديد المعتزلي. (1)

قال الميرزا الخوئي: أقول: أول مواساته عليه السلام مبيته علي فراش خاتم الأنبياء حتي باهي الله به ملائكة السماء، فوهب نفسه لله تعالي وبذلها لنبيه المصطفي وبات علي فراشه لينجو به من كيد الأعداء وتتم له بذلك السلامة والبقاء، وينتظم له به الغرض في الدعوة إلي الحنيفية البيضاء، فكان ذلك سبب نجاة النبي صلي الله عليه وآله وبقائه وحقن دمه حتي صدع بأمر ربه.

1- شرح نهج البلاغة 10: 182

ولولاه عليه السلام لما تم لرسول الله صلي الله عليه وآله و التبليغ والأداء، ولا استدام له العمر والبقاء، ولظفر به الحسدة والأعداء، فلما أصبحوا وعرفوا تفرقوا عنه وانصرفوا، وقد ضلت لهمالحيل وانقطع بهم الأمل، وانتفض ما بنوه من التدبير، وخابت لهم الظنون .

وكان بذلك انتظام الإيمان، وإرغام الشيطان، وخذلان أهل الكفر والعدوان، وهذه منقبة لم يشركه عليه السلام فيها أحد من أهل الإسلام، وقد أنزل فيه محكم التبيان، وهو قول الله تعالي: (وَمِنَ النّاسِ مَن يَشرِي نَفسَهُ ابتِغاءَ مَرضاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالعِبادِ)(1)

وأما مواساته له صلي الله عليه وآله في مواطن جهاده ومواطن جده واجتهاده، و مقامات جداله بالسنة الأستة وجلاده فهو فوق حد الاحصاء، متجاوز عن حد العدة والاستقصاء:

منها غزوة بدر:

التي هدت قوي الشرك وقذفت طواغيته في قليب الهلك، ودوخت مردة الكفار وسقتهم كاسات الدمار والبوار، ونقلتهم من القليب إلي النار.

فيومها اليوم الذي لم يأت الدهر بمثله، وأفاض الله فيه من أحسن فضله، أنزل فيه الملائكة لتأييد رسوله تفضيلاً له علي جميع سله، وحباه من علو القدر ما لم ينله أحد من قبله، وأشرب صناديد قريش كأس أسره وقتله، وجبرئيل ينادي: إقدم حيزوم، الإظهار دينه علي الدين كله، وأمير المؤمنين عليه السلام كان فارس تلك الملحمة، فما تعد الأسد الغضاب بشسع نعله، ومسعر تلك الحرب العوان، ينصب علي الأعداء انصباب السحاب ووبله، ونار سطوته ونجدته تتسعر تسر النار في دقيق الغضا وجزله. فكان نصف القتلي يومئذ علي يده من دون شركة غيره له.

منها غزوة أحد:

قال في كشف الغمة في حديث عمران بن حصين، قال: لما تفرق الناس عن

1- البقرة: 207

رسول الله صلي الله عليه وآله جاء علي عليه السلام متقلداً بسيفه حتي قام بين يديه، فرفع رأسه إليه وقال له: مالك لم تفر مع الناس؟ فقال: يا رسول الله أرجع كافراً بعد إسلامي؟! فأشار إلي قوم انحدروا من الجبل فحمل عليهم فهزمهم، فجاء جبرئيل وقال: يا رسول الله قد عجبت الملائكة من حسن مواساة علي لك بنفسه، فقال رسول الله صلي الله عليه و آله : ما يمنعه من ذلك وهو مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما.(1)

قال في كشف الغمة: وروي عن عكرمة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: لما انهزم الناس عن رسول الله صلي الله عليه وآله يوم أحد لحقني من الجزع عليه مالم أملك نفسي، وكنت أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أره، فقلت: ما كان رسول الله صلي الله عليه وآله ليفر، وما رأيته في القتلي، وإنه رفع من بيننا إلي السماء، فكسرت جفن سيفي وقلت: لأقاتلن به حتي أقتل، وحملت علي القوم فأفرجوا، فإذا أنا برسول الله صلي الله عليه وآله وقد وقع مغشياً عليه، فنظر إلي وقال: ما فعل الناس با علي؟ قلت: كفروا يا رسول الله وولوا الدبر وأسلموك، فنظر إلي كتيبة قد أقبلت فقال: ردهم عني. فحملت عليهم أضربهم يميناً وشمالاً حتي فروا، فقال صلي الله عليه آله : أما تسمع مديحك في السماء؟ إن ملكاً اسمه رضوان ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتي الا علي، فبكيت سروراً وحمدت الله علي نعمته. (2)

وقد ذكر أهل السير قتلي أحد من المشركين، وكان جمهورهم قتلي أمير المؤمنين عليه السلام، وانصرف المشركون إلي مكة، وانصرف النبي صلي الله عليه وآله و إلي المدينة، فاستقبلته فاطمة ومعها إناء فيه ماء، فغسل به وجهه، ولحقه أمير المؤمنين عليه السلام وقد خضب الدم يده إلي كتفه ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة وقال: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم، وقال:

1- كشف الغمة 1: 193

2- كشف الغمة1: 194

أفاطم هاك السيف غير ذميم ***فلست بر عديد ولا بمليم

أميطي دماء الكفر عنه فإنه***سقي آل عبد الدار كأس حميم

العمري لقد أعذرت في نصر أحمد ***وطاعة رب العباد عليم

وقال رسول الله صلي الله عليه وآله: خُذيه يا فاطمة، فقد أدي بعلك ما عليه وقد قتل

الله صناديد قريش بيده. (1)

منها: وقعة الأحزاب المعروفة بغزوة الخندق:

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: وقد روي قيس بن الربيع قال: حدثنا أبو هارون العبدي، عن ربيعة السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إنا لنتحدث عن علي عليه السلام ومناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنكم لتفرطون في علي عليه السلام، فهل أنت تحدثني بحديث فيه. قال حذيفة: يا ربيعة وما تسألني عن علي، فوالذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد صلي الله عليه وآله في كفة الميزان منذ بعث الله محمداً إلي يوم الناس هذا، ووضع عمل علي عليه السلام في الكفة الأخري لرجح عمل علي عليه السلام علي جميع أعمالهم. فقال ربيعة:هذا الذي لا يقام ولا يقعد. فقال حذيفة: بالكع وكيف لا يحمل؟ وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمد صلي الله عليه وآله يوم عمرو بن عبدود وقد دعا إلي المبارزة فأحجم الناس كلهم ما خلا علياَ عليه السلام فإنه برز إليه وقتله الله علي يده، والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد صلي الله عليه وآله به إلي يوم القيامة. (2)

قال في كشف الغمة: رأيت في بعض الكتب أن النبي صلي الله عليه وآله قال حين بارز علي عمرو بن عبدود: خرج الإسلام كله إلي الشرك كله.

1- الإرشاد للمفيد 1: 90؛ بحار الأنوار 20: 88

2- الإرشاد 1: 103

وقـال الـدميري في كتـابه (حياة الحيوان في مادة (حيـدرة): جاء في بعض الروايات أن علياً رضـي الله عنه الي لما بارز عمراً قال رسول الله صلي الله عليه وآله : «اليوم برز الإيمان كله للشرك كله».(1)

منها غزوة وادي الرمل :

وتسـمي غزوة ذات السلاسل – وإنما سميت بذلك لأنه عليه السلام شد أسراهم في الحبال مكتفين كأنهم في السلاسل وقد كان الفتح فيها الأمير المؤمنين عليه السـلام خاصة بعد أن كان فيها من غيره من الإفساد ما كان، وفيها نزلت علي النبي صلي الله عليه وآله سورة العاديات فتضمنت ذكر ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام فيها.

قال الشـيخ المفيد: روي عن أم سلمة قالت: كان نبي الله صلي الله عليه وآله قائلاً في بيتي إذ انتبه فزعاً من منامه، فقلت له: الله جارك. قال: صـدقت والله جاري، لكن هذا جبرئيل يخبرني أن علياً قادم، ثم خرج إلي الناس فأمرهم أن يسـتقبلوا علياً عليه السـلام، فقام المسـلمون له صفين مع رسول الله صـلي الله عليه وآله ، فلما بصر بالنبي صلي الله عليه وآله ترجل عن فرسه وأهوي إلي قدميه يقبلهما، فقال له صلي الله عليه وآله: اركب فإن الله تعالي ورسوله عنك راضيان. فبكي أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً وانصرف إلي منزله، وتسلم المسلمون الغنائم.. إلي أن قال: ثم قال له رسول الله صـلي الله عليه وآله : يا علي لولا أنني أشفق أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصاري في عيسي ابن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملامنهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك. (2)

منها غزوة الحديبية:

وفيها أقبل سـهيل بن عمرو إلي النبي صـلي الله عليه وآله، فقال له: يا محمد إن أرقاءنا لحقوا بك، فارددهم علينا، فغضب رسول الله صـلي الله عليه وآله ، حتي تبين الغضب في وجهه ثم قال: لتنتهين يا

1- كشف الغمة 1: 205

2- الإرشاد 1: 116

معاشـر قريش أو ليبعثن الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالايمان يضـرب رقابكم علي الـدين، فقال بعض من حضـر: يا رسول الله أبوبكر ذلـك الرجـل؟ فقـال: لاـ قال: فعمر؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة. فتبادر الناس إلي الحجرة ينظرون من الرجل، فإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. رواه المفيد في الإرشاد، (1) ورواه في كشف الغمة،(2) وفي صحيح الترمذي (3) نحوه.

منها غزوة خيبر:

قال المفيـد: ثم تلت الحديبية خيبر، وكان الفتح فيها الأمير المؤمنين عليه السـلام بلا ارتياب، فظهر من فضـله في هذه الغزاة ما أجمع عليه نقلة الرواة. (4)

جاء في كتاب (كشف الغمـة): قال ابن طلحة: و تلخيص المقصد فيها علي ماذكره أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب السـيرة النبوية، يرفعه بسنده عن ابن الأكوع، قال:

بعث النبي صلي الله عليه وآله أبا بكر برايته _ وكانت بيضاء – إلي بعض حصون خيبر، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث عمر بن الخطاب فكان كـذلك، فقال رسول الله صـلي الله عليه وآله : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ويفتح الله علي يـديه، ليس بفرار، قال سـلمة: فـدعا علياً عليه السـلام وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال: خذ هذه الراية فامض بها حتي يفتح الله عليك، فخرج يهرول وإنا خلفه نتبع أمره، حتي ركّز رايته في رخم من حجارة تحت الحصن، فاطلع عليه يهودي من الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن

1- الإرشاد 1: 122

2- كشف الغمة 1: 210

3- سنن الترمذي :5: 298 ح 3799

4- الإرشاد 1: 124

أبي طالب، فقال اليهودي: علوتم حصنتا وما أنزل علي موسي، قال: فما رجع حتي فتح الله علي يديه. (1)

منها فتح مكة:

قال المفيد رضي الله عنه: وفيما ذكرناه من أعمال أمير المؤمنين عليه السلام في قتل من قتل من أعداءه بمكة وإخافة من أخاف، ومعونة رسول الله علي تطهير المسجد من الأصنام، وشدة بأسه في الله، وقطع الأرحام في طاعة الله عزوجل أول دليل علي تخصيصه من الفضل بما لم يكن لأحد منهم سهم فيه. (2)

منها غزوة حنين:

فاستظهر فيها رسول الله صلي الله عليه وآله و بكثرة الجمع، فخرج رسول الله صلي الله عليه وآله ومعه عشرة آلاف من المسلمين، فظن أكثرهم أنهم لن يغلبوا لما شاهدوا من كثرة جمعهم وعددهم وعدتهم، وأعجب أبا بكر الكثرة يومئذ فقال: لن تغلب اليوم من قلة، فكان الأمر بخلاف ما ظنوه.

فلما التقوا لم يلبثوا وانهزموا بأجمعهم، فلم يبق مع النبي صلي الله عليه وآله إلا تسعة من بني هاشم وعاشرهم أيمن بن أم أيمن، وقتل الله رحمة الله، وثبت التسعة الهاشميون رئيسهم أمير المؤمنين عليه السلام، ورجعوا بعد ذلك وتلاحقوا، و كانت الكثرة لهم علي المشركين، فأنزل الله في إعجاب أبي بكر بالكثرة (وَيَومِ حُنَينٍ إذ أَعجَبَتكُم كَثرَتُكُم فَلَم تُغنِ عَنكُم شَيئاً وَضاقَت عَليكُمُ الأَرضُ بِما رَحُبَت ثُمَ وَليتُم مُدبِرينَ ثُم أنزَلَ اللهُ سَكينتُهُ عَلي رسُولِهِ وعَلي المُؤمِنينَ) (3) يريد علياً ومن ثبت معه من بني هاشم. (4)

1- كشف الغمة 1: 211

2- الإرشاد 1:138

3- التوبة: 25 و 26

4- الإرشاد 1: 140 - 141

هذا قليل من كثير، ويسير من جم غفير من مناقبه ومفاخره ومجاهداته ومواساته لرسول الله صلي الله عليه وآله.

وهذا معني قوله عليه السلام: «ولقد واسيه في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام»

الثالثة: النبي صلي الله عليه وآله في مرض الموت

ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «ولقد قبض رسول الله صلي الله عليه وآله وإن رأسه لعلي صدري»

قيل: لعله عليه السلام أسنده صلي الله عليه وآله إلي صدره عند اشتداد مرضه، وقيل: إنه كان رأسه علي ركبته، فيكون رأسه صلي الله عليه وآله في صدره عند إكبابه عليه، والأول أظهر.

ويؤيده ما في البحار عن أمالي الشيخ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كنت عند رسول الله صلي الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه، و كان رأسه في حجري، والعباس يذب عن وجه رسول الله صلي الله عليه وآله، فأغمي عليه إغماء ثم فتح عينيه فقال: يا عباس يا عم رسول الله اقبل وصيتي واضمن ديني وعداتي. فقال العباس: يا رسول الله أنت أجود من الريح المرسلة، وليس في مالي وفاء لدينك وعداتك. فقال النبي صلي الله عليه وآله ذلك ثلاثا يعيده عليه و العباس في كل ذلك يجيبه بما قال أول مرة.

قال: فقال النبي صلي الله عليه وآله : لأقولها لمن يقبلها ولا يقول يا عباس مثل مقالتك. فقال: يا علي اقبل وصيتي واضمن ديني وعداتي.

قال: فخنقتني العبرة وارتج جسدي ونظرت إلي رأس رسول الله صلي الله عليه وآله يذهب ويجيء في حجري، فقطرت دموعي علي وجهه ولم أقدر أن أجيبه، ثم ثني فقال: اقبل وصيتي واضمن ديني وعداتي. قال، قلت: نعم بأبي وأمي. قال: أجلسني. فأجلسته، فكان ظهره في صدري فقال: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة ووصيي وخليفتي في أهلي. ثم قال: يا بلال هلم سيفي ودرعي وبغلتي وسرجها ولجامها ومنطقتي التي أشد بها علي درعي. فجاء بلال بهذه الأشياء فوقف بالبغلة بين يدي رسول الله صلي الله عليه وآله فقال: ياعلي قم فاقبض. فقال: قمت

وقام العباس فجلس مكاني، فقمت فقبضت ذلك، فقال: انطلق به إلي منزلك، فانطلقت ثم جئت فقمت بين يدي رسول الله صلي الله عليه وآله بعد قائماً، فنظر إلي ثم عهد إلي خاتمه فنزعه ثم دفعه الي فقال: هاك يا علي، هذا لك في الدنيا والآخرة. والبيت غاص من بني هاشم والمسلمين.

فقال: يا بني هاشم، يا معشر المسلمين، لا تخالفوا علياً فتضلوا، ولا تحسدوه فتكفروا، يا عباس قم من مكان علي عليه السلام فقال: قيم الشيخ وتجلس الغلام ؟ فأعادها ثلاث مرات. فقام العباس فنهض مغضباً وجلست مكاني.

فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: يا عباس ياعم رسول الله، لا أخرج من الدنيا وأناساخط عليك فيدخلك سخطي عليك النار، فرجع وجلس . (1)

ومن الأمالي أيضاً عنه عليه السلام في حديث، قال: فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: يا علي أجلسني، فأجلسته وأسنده إلي صدري، قال علي عليه السلام: فلقد رأيت رسول الله صلي الله عليه وآله ليثقل ضعفاً وهو يقول يسمع أهل البيت أعلاهم وأدناهم: إن أخي ووصيي ووزيري وخليفتي في أهلي علي بن أبي طالب عليه السلام ، يقضي ديني وينجز وعدي. يا بني هاشم يا بني عبد المطلب لا تبغضوا علياً ولا تخالفوا عن أمره فتضلوا، ولا تحسدوه و ترغبوا عنه فتكفروا، أضجعني يا علي، فأضجعته، الحديث.(2)

وفي البحار من الأمالي أيضاً بإسناده عن ابن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: دخلت علي نبي الله وهو مريض، فإذا رأسه في حجر رجل أحسن ما رأيت من الخلق، والنبي نائم، فلما دخلت عليه صلي الله عليه وآله قال الرجل: أدن إلي ابن عمك فأنت أحق به مني، فدنوت منهما، فقام الرجل وجلست مكانه ووضعت رأس النبي صلي الله عليه وآله ولد في حجري كما كان في حجر الرجل، فمكث ساعة، ثم إن النبي صلي الله عليه وآله استيقظ فقال: أين الرجل الذي كان رأسي في حجره؟

1- أمالي الطوسي: 572 - 573/ ح 1185؛ بحار الأنوار 22: 499 ـ 500/ ح46

2- أمالي الطوسي: 600- 602ح 1244؛ بحار الأنوار 22: 500 - 501/ ح 47

فقلت: لما دخلت عليك دعاني إليك ثم قال: ادن إلي ابن عمك فأنت أحق به متي، ثم قام فجلست مكانه. فقال النبي صلي الله عليه وآله : فهل تدري من الرجل؟ قلت: لا ـ بأبي وأمي، فقال النبي صلي الله عليه وآله: ذاك جبرئيل كان يحدثني حتي خف عني وجعي، ونمت ورأسي في حجره. (1)

وفاة النبي صلي عليه وآله :

وأما كيفية وفاته صلي الله عليه وآله ففي البحار عن أمالي الصدوق بإسناده عن ابن عباس قال: لما مرض رسول الله صلي الله عليه وآله وعنده أصحابه، قام إليه عمار بن ياسر فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله فمن يغسلك ما إذا كان ذلك منك؟ قال: ذلك علي بن أبي طالب، لأنه لا يهم بعضو من أعضائي إلا أعانته الملائكة علي ذلك.

فقال له: فداك أبي وأمي يارسول الله، فمن يصلي عليك ما إذا كان ذلك منك. قال: مه رحمك الله.

ثم قال صلي الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا ابن أبي طالب إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني وأنت غسلي، و كفني في طمري هذين أو في بياض مصر وبرد يمان، ولا تغال في كفني، واحملوني حتي تضعوني علي شفير قبري، فأول من يصلي علي الجبار جل جلاله من فوق عرشه، ثم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله جل وعز، ثم الحاقون بالعرش، ثم سكان أهل سماء فسماء، ثم جل أهل بيتي ونسائي الأقربون فالأقربون، ومون إيماءوتسلمون تسليماً، لا تؤذوني بصوت نادبة ولا مرنة.

ثم قال: يا بلال هلم علي بالناس، فاجتمع الناس، فخرج رسول الله صلي الله عليه وآله متعصباً بعمامته متوكئاً علي قوسه حتي صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال: معاشر أصحابي أي نبي كنت لكم؟ ألم أجاهد بين أظهركم؟ ألم تكسر

1- أمالي الطوسي: 385 ح 836؛ بحار الأنوار 22: 506 -507/ ح 8

رباعبتي؟ ألم يعقر جبيني؟ ألم تسل الـدماء علي حر وجهي حتي كنفت لحيتي؟ ألم أكابد الشدة والجهد مع جهال قومي؟ ألم أربط حجر المجاعة علي بطني؟!

قالوا: بلي يا رسول الله، ولقد كنت له صابراً وعن منكربلاء الله ناهياً، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء.

قـال: وأنتم فجزاكم الله، ثم قـال: إن ربي عزوجل حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم، فناشـدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة علي رؤوس الملائكة والأنبياء.

فقام إليه رجل من أقصـي القوم يقال له سوادة بن قيس فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله إنك لما أقبلت من الطائف اسـتقبلتك وأنت علي ناقتك العضـباء وبيدك القضـيب الممشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأ. فقال صلي الله عليه وآله : معاذ الله أن أكون تعمدت ثم قال: يا بلال قم إلي منزل فاطمة فأتني بالقضيب الممشوق.

فخرج بلال وهو ينادي في سـلك المدينة: معاشـر الناس من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة، فهذا محمد صـلي الله عليه وآله يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة.

وطرق بلال الباب علي فاطمة عليهاالسلام وهو يقول: يا فاطمة قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق. فأقبلت فاطمة وهي تقول: يا بلال وما يصـنع والـدي بالقضـيب وليس هـذا يومالقضـيب؟ فقال بلال: يا فاطمة أما علمت أن والدك قد صـعد المنبر وهو يودع أهل الدين والدنيا. فصـاحت فاطمـة عليهـا السـلام وقالت: واغماه الغمك يا أبتاه، من للفقراء والمساكين وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب، ثم ناولت بلالاً القضيب، فخرج حتي ناوله رسول الله صلي الله عليه وآله.

فقال رسول الله صلي الله عليه وآله : أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أناذا يا رسول الله بأبي أنت

وأمي، فقال: فاقتص مني حتي ترضـي، فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف عن بطنه، فقال الشيخ: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أضع فمي علي بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله صلي الله عليه وآله من النار.

فقـال رسول الله صـلي الله عليه وآله: با سوادة بن قيس، أتعفو أم تقتص؟ فقال: بل أعفو يا رسول الله، فقال صـلي الله عليه وآله: اللهم اعف عن سوادة بن قيس كما عفي عن محمد نبيك.

ثم قام رسول الله صلي الله عليه وآله فدخل بيت أم سلمة وهو يقول: رب سلم أمة محمد من النار، ويستر عليهم الحساب، فقالت أم سلمة: يا رسول الله مالي أراك مغموماً متغير اللون؟ فقال صـلي الله عليه وآله : نعيت إلي نفسي هذه الساعة، فسلام لك في الدنيا فلا تسمعين بعد هذا اليوم صوت محمد أبداً، فقالت أم سلمة: واحزناه حزناً لا تدركه الندامة عليك يا محمد. ثم قال صلي الله عليه وآله : ادع لي حبيبة قلبي وقرة عيني فاطمـة، فجـائت فاطمـة وهي تقول: نفسـي لنفسك الفـداء ووجهي لوجهك الوقاء يا أبتاه، ألا تكلمني كلمـة فإني أنظر إليك وأراك مفارق الدنيا، وأري عساكر الموت تغشاك شديداً.

فقال لها: يابنية إني مفارقك فسـلام عليك مني. قالت: يا أبتاه فأين الملتقي يوم القيامة؟ قال صلي الله عليه وآله: عند الحساب. قالت: فإن لـم ألقك عنـد الحساب؟ قال: عند الشـفاعة لأمتي. قالت: فإن لـم ألقك عند الشـفاعة لأمتك؟ قال: عند الصـراط، جبرئيل عن يميني و ميكائيل عن يساري، والملائكـة خلفي وقـدامي ينادون «رب سـلم أمـة محمد من النار ويستر عليهم الحساب».قالت فاطمة: فأين والدتي خديجة؟ قال: في قصر له أربعة أبواب إلي الجنة.

ثم أغمي علي رسول الله صـلي الله عليه وآله، فـدخل بلاـل وهو يقول: الصـلاة رحمك الله، فخرج رسول الله صـلي الله عليه وآله وصـلي بالناس وخفف الصلاة.

ثم قال: ادعوا لي علي بن أبي طالب وأسامـة بن زيـد، فجاءا، فوضع صـلي الله عليه وآله يـده علي عاتق علي والأخري علي أسامـة، ثم قال: انطلقابي إلي فاطمة، فجاءا به

حتي وضع رأسه في حجرها فإذا الحسن والحسين يبكيان ويصطرخان وهما يقولان: أنفسنا لنفسك الفداء، ووجوهنا لوجهك الوقاء.

فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: من هذان ياعلي؟ فقال عليه السلام : ابناك الحسن والحسين، فعانقهما وقبلهما، وكان الحسن عليه السلام علي أشد بكاء، فقال عليه السلام كف با حسن فقد شققت علي رسول الله صلي الله عليه وآله.

فنزل ملك الموت فقال: السلام عليك يا رسول الله قال: وعليك السلام يا ملك الموت، لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك يانبي الله؟ قال: حاجتي أن لا تقبض روحي حتي يجيئني جبرئيل فيسلم علي وأسلم عليه.

فخرج ملك الموت وهو يقول: يا محمداه، فاستقبله جبرئيل في الهواء فقال: يا ملك الموت قبضت روح محمد؟ قال: لا يا جبرئيل، سألني أن لا أقبضه حتي يلقاك فتسلم عليه ويسلم عليك، فقال جبرئيل: يا ملك الموت أما تري أبواب السماء مفتحة لروح محمد صلي الله عليه وآله؟ أما تري الحور العين قد تزينت لروح محمد صلي الله عليه وآله؟

ثم نزل جبرئيل فقال: السلام عليك يا أبا القاسم، فقال: وعليك السلام يا جبرئيل، ادن مني حبيبي جبرئيل، فدنا منه، فنزل ملك الموت فقال له جبرئيل: يا ملك الموت احفظ وصية الله في روح محمد، وكان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت أخذ بروحه، فلما كشف الثوب عن وجه رسول الله صلي الله عليه وآله به نظر إلي جبرئيل فقال اله: عند الشدائد لا تخذلني، فقال: يا محمد إنك ميت وإنهم ميتون، كل نفس ذائقة الموت. فروي عن ابن عباس أن رسول الله صلي الله عليه وآله في ذلك المرض كان يقول: ادعوالي حبيبي، فجعل يدعي له رجل بعد رجل فيعرض عنه، فقيل لفاطمة عليها السلام: إمضي إلي علي، فما نري رسول الله يريد غير علي، فبعثت فاطمة إلي علي عليه السلام ، فلما دخل فتح رسول الله صلي الله عليه وآله عينيه وتهلل وجهه ثم قال: إلي يا علي، إلي يا علي، فما زال صلي الله عليه وآله من يدنيه حتي أخذه بيده وأجلسه عند رأسه.

ثم أغمي عليه، فجاء الحسن والحسين عليهما السلام يصيحان ويبكيان حتي وقعا

علي رسول الله صـلي الله عليه وآله فـأراد علي أن ينحيهمـا عنه صـلي الله عليه وآله ، فأفـاق رسول الله صـلي الله عليه وآله ثم قال: يا علي دعني أشـمهما ويشـماني، وأتزود منهما ويتزودان مني، أما إنهما سـيظلمان بعـدي ويقتلان ظلماً، فلعنـة الله علي من يظلمهما، يقول ذلك ثلاثاً.

ثم مديـده إلي علي فجـذبه إليه حتي أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه، ووضع فاه علي فيه وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتي خرجت روحه الطيبـة صـلي الله عليه وآله، فانسل علي من تحت ثيابه وقال: أعظم الله أجوركم في نبيكم فقد قبضه الله إليه، فارتفعت الأصوات بالضـجة والبكاء، فقيل لأمير المؤمنين عليه السـلام: ما الذي ناجاك به رسول الله صـلي الله عليه وآله و حين أدخلك تحت ثيابه؟ فقال: علمني ألف باب، كل باب يفتح ألف باب.

وقد كان جبرئيل ينزل علي النبي صـلي الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه في كل يوم وليلة فيقول: السلام عليك، إن ربك يقرؤك السلام فيقول: كيف تجدك وهو أعلم بك، ولكنه أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً إلي ما أعطاك علي الخلق، وأراد أن تكون عيادة المريض شنة في أمتك.

فيقول النبي صلي الله عليه وآله إن كان وجعاً: يا جبرئيل أجدني وجعاً، فقال له جبرئيل: اعلم يا محمد أن الله لم يشدد عليك، وما من أحد من خلقه أكرم عليه منك، ولكنه أحب أن يسـمع صوتك ودعاءك حتي تلقاه مستوجباً للدرجة والثواب الذي أعد لك والكرامة والفضيلة علي الخلق.

وإن قال له النبي صـلي الله عليه وآله: أجـدني مريحاً في عافية، قال له: فاحمد الله علي ذلك، فإنه يحب أن تحمده و نشـكره ليزيدك إلي ما أعطاك خيراً، فإنه يحب أن يحمد ويزيد من شكر.(1)

وفي البحار من المناقب عن سهل بن أبي صالح، عن ابن عباس، أنه

1- بحار الأنوار 22: 507 - 511/ح9؛ أمالي الصدوق: 732 - 737ح 1004

أغمي علي النبي صـلي الله عليه وآله في مرضه فـدق بابه، فقالت فاطمـة: من ذا؟ قال: أنا رجل غريب أتيت أسأل رسول الله، أتأذنون لي في الدخول عليه؟ فأجابت: امض – رحمك الله _ لحاجتك، فرسول الله عنك مشغول.

فمضـي ثم رجع فدق الباب وقال: غريب يسـتأذن علي رسول الله صـلي الله عليه وآله أتأذنون للغرباء؟ فأفاق رسول الله صلي الله عليه وآله من غشيته وقال: يا فاطمة أتدرين من هذا؟ قالت: لا يا رسول الله، قال: هذا مفرق الجماعات ومنغص اللذات، هذا ملك الموت، ما استأذن – والله – علي أحـد قبلي ولا يسـتأذن علي أحد بعدي، اسـتأذن علي لكرامتي علي الله، ائذني له، فقالت: ادخل رحمك الله، فدخل كريح هفافة وقال: السلام علي أهل بيت رسول الله.

ثم قال: يانبي الله إني رسول الله إليك، قال: وأي رسل الله أنت؟ قال: أنا ملك الموت أرسلني إليك خيرك بين لقائه والرجوع إلي الدنيا، فقال له النبي صلي الله عليه وآله: فأمهلني حتي ينزل جبرئيل فأستشيره.

ونزل جبرئيل فقال: يا رسول الله الآخرة خير لك من الأولي ولسوف يعطيك ربك فترضـي، لقاء الله خير لك، فقال صـلي الله عليه وآله: لقاء ربي خير لي، فامض لما أمرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجل حتي أعرج إلي السـماء وأهبط، قال ملك الموت: لقد صارت نفسه في موضع لا أقدر علي تأخيرها، فعند ذلك قال جبرئيل: يا محمد هذا آخر هبوطي إلي الدنيا، إنما كنت أنت حاجتي فيها.(1)

وصاحت فاطمة وصاح المسـلمون وصاروا يضـعون التراب علي رؤوسـهم. ومات صـلي الله عليه وآله لليلتين بقيتا من صـفر سنة عشر من الهجرة صلي الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

الرابعة: قبض روح صلي الله عليه وآله

ما أشارعليه السلام بقوله: ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها علي وجهي.

1- بحار الأنوار 22: 533 – 534؛ مناقب آل أبي طالب 3: 116

المراد بالنفس هنا نفسه الناطقة القدسية التي هي مبدء الفكر والذكر والعلم والحلم والنباهة، ولها خاصية الحكمة والنزاهة، فيكون محصل المراد بالكلام أن روحه الطيبة الكاملة التي هي المصداق الحقيقي لقوله: (قُلِ الرُّوحُ مِن أمرِ ربّي) ،والمقصود الأصلي بقوله: (ونفَختُ فِيهِ مِن رُوحِي) لما فارقت جسده الطاهر فاضت بيدي فمسحت بها علي وجهي.

وإنما مسح بها علي وجهه إما تيمناً أو لحكمة عظيمة لا نعرفها.

لما كانت هذه الخطبة الشريفة التي نحن في شرحها مسوقة لذكر مناقبه وخصائصه الجميلة المخصوصة به، المفيدة لكونه أحق وأولي بالخلافة والإمامة من غيره، أحببت أن أورد رواية متضمنة لجملة من كراماته وبناته التي لم يشركه فيها أحد، تأكيداً للغرض المسوق له الخطبة الشريفة وتكميلاً له، وهي :

سبعون منقبة لعلي عليه السلام:

ما رواه في البحار من الخصال عن القطان والسنان والدقاق والمكتب والوراق جميعاً عن ابن زكريا القطان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن سليمان بن حكيم، عن ثور بن يزيد، عن مكحول، قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلي الله عليه وآله أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم. قلت: يا أمير المؤمنين فأخبرني بهن، فقال عليه السلام:

إن أول منقبة لي أني لم أشرك بالله طرفة عين ولم أعبد اللات والعزي.

والثانية: أني لم أشرب الخمر قط.

والثالثة: أن رسول الله صلي الله عليه وآله استوهبني من أبي في صباي، فكنت أكيلهوشريبه ومؤنسه و محدثه.

والرابعة: أني أول الناس إيماناً و إسلاماً.

والخامسة: أن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسي إلا أنه لا نبي بعدي.

والسادسة: أني كنت آخر الناس عهداً برسول الله صلي الله عليه وآله ووليته في حفرته .

والسابعة: أن رسول الله صلي الله عليه وآله أنا مني علي فراشه حيث ذهب إلي الغار، وسجاني ببرده، فلما جاء المشركون ظنوني محمداً، فأيقظوني وقالوا: مافعل صاحبك؟ فقلت: ذهب في حاجته، فقالوا: لو كان هرب لهرب هذا معه.

وأما الثامنة: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله علمني ألف باب من العلم، يفتح كل باب ألف باب، ولم يعلم ذلك أحدا غيري.

وأما التاسعة: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله قال لي: يا علي إذا حشر الله عزوجل الأولين والآخرين نصب لي منبراً فوق منابر النبيين، ونصب لك منبراً فوق منابر الوصيين فترتقي عليه.

وأما العاشرة: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: لا أعطي في القيامة شيئاً إلا سألت لك مثله.

وأما الحادية عشرة: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: أنت أخي وأنا أخوك، يدك في يدي حتي ندخل الجنة.

وأما الثانية عشرة: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: يا علي مثلك في أمتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجي، و من تخلف عنها غرق.

وأما الثالثة عشرة: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله عممني بعمامة نفسه بيده، ودعي لي بدعوات النصر علي أعداء الله، فهزمتهم بإذن الله عزوجل .

وأما الرابعة عشرة: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله أمرني أن أمسح يدي علي ضرع شاة قد يبس ضرغها، فقلت: يا رسول الله بل امسح أنت، فقال: يا علي فعلك فعلي، فمسحت

عليها يدي فدتر علي من لبنها، فسقيت رسول الله صلي الله عليه وآله شربة، ثم أتت عجوز فشكت الظماء فسقيتها، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: إني سألت الله عزوجل أن يبارك في يدك ففعل.

وأما الخامسة عشرة: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله أوصي إلي وقال: يا علي لا يلي غسلي غيرك، ولا يواري عورتي غيرك، فإنه إن رأي عورتي غيرك تفقأت عيناه، فقلت له: كيف لي بتقليبك يا رسول الله؟ فقال: إنك ستعان، والله ما أردت أن أقلب عضواً من أعضائه إلا قلب لي.

وأما السادسة عشرة: فإني أردت أن أجرده عليه السلام فنوديت: يا أخ محمد لا تجرده، فغسلته والقميص عليه، فلا والله الذي أكرمه بالنبوة وخصه بالرسالة ما رأيت له عورة، خصني الله بذلك من بين أصحابه.

وأما السابعة عشرة: فإن الله عزوجل زوجني فاطمة وقد كان خطبها أبو بكر وعمر، فزوجني الله من فوق سبع سماواته، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: هنيئاً لك با علي، فإن الله عزوجل قد زوجك فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وهي بضعة مني، فقلت: يا رسول الله أو لست منك؟ قال: بلي يا علي، أنت مني وأنا منك كيميني من شمالي، لا أستغني عنك في الدنيا والآخرة.

وأما الثامنة عشرة: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: يا علي أنت صاحب لواء الحمد في الآخرة، وأنت يوم القيامة أقرب الخلائق مني مجلساً، يبسط لي ويبسط لك، فأكون في زمرة النبيين، وتكون في زمرة الوصيين، ويوضع علي رأسك تاج النور وإكليل الكرامة، يحف بك سبعون ألف ملك حتي يفرغ الله عزوجل من حساب الخلائق.

وأما التاسعة عشرة: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله قال لي: ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، فمن قاتلك منهم فإن لك بكل رجل منهم شفاعة في مائة ألف من شيعتك، فقلت: يا رسول الله فمن الناكثون؟ قال: طلحة والزبير، سيبا يعانك بالحجاز وينكتان بالعراق، فإذا فعلا ذلك فحاربهما، فإن في قتالهما

طهارة لأهل الأرض، قلت: فمن القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه، قلت: فمن المارقون؟ قال: أصحاب ذي الثدية، وهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فاقتلهم فإن في قتلهم فرجاً لأهل الأرض وعذاباً مؤجلاً عليهم، وذخراً لك عند الله عزوجل يوم القيامة.

وأما العشرون: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: «مثلك في أمتي مثل باب حطة في بني إسرائيل، فمن دخل في ولايتك فقد دخل الباب كما أمره الله عزوجل.

وأما الحادية والعشرون: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولن يدخل المدينة إلا من بابها، ثم قال: يا علي إنك سترعي ذمتي، وتقاتل علي نتي، و تخالفك أمتي».

وأما الثانية والعشرون: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: «إن الله تبارك وتعالي خلق ابني الحسن والحسين من نور ألقاه إليك وإلي فاطمة، وهما يهتزان كما يهتز القرطان إذا كانا في الأذنين، ونورهما متضاعف علي نور الشهداء سبعين ألف ضعف، يا علي إن الله عزوجل قد وعدني أن يكرمهما كرامة لا يكرم بها أحداً ما خلا النبيين والمرسلين ».

وأما الثالثة والعشرون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله أعطاني خاتمه في حياته ودرعه ومنطقته، وقلدني سيفه وأصحابه كلهم حضور وعمي العباس حاضر، فخصني الله عزوجل بذلك دونهم.

وأما الرابعة والعشرون: (فإن الله عزوجل أنزل علي رسوله (يا أَيُّها الَّذينَ آمنُوا إذا ناجَيتُمُ الرسولَ فَقَدِّمُوا بَينَ يَدَي نَجواكُم صَدَقَةً) (1) فكان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكنت إذا ناجيت رسول الله صلي الله عليه وآله أصدق قبل ذلك بدرهم، ووالله ما فعل هذا أحد من أصحابه قبلي ولا بعدي، فأنزل الله عزوجل (أَأَشفَقتُم أَن تُقَدِّمُوا بَينَ

1- المجادلة: 12

يَدَي نَجواكُم صَدَقاتٍ فَإذلَم تَفعَلوا وَتَابَ اللهُ عَلَيكُم) (1) الآية، فهل تكون التوبة إلا من ذنب كان؟

وأما الخامسة والعشرون: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه و.آله يقول: «الجنة محرمة علي الأنبياء حتي أدخلها أنا، وهي محرمة علي الأوصياء حتي تدخلها أنت، يا علي إن الله تبارك و تعالي بشرني فيك بشري لم يبشر بها نبياً قبلي، بشرني بأنك سيد الأوصياء، وأن ابنيك الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة يوم القيامة.

وأما السادسة والعشرون: فإن جعفراً أخي الطيار في الجنة مع الملائكة، المزين بالجناحين من در و ياقوت و زبرجد .

وأما السابعة والعشرون: فعمي حمزة سيد الشهداء.

وأما الثامنة والعشرون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: «إن الله تعالي وعدني فيك وعداً لن يخلفه، وجعلني نبياً وجعلك وصياً، وستلقي من أمتي من بعدي ما لقي موسي من فرعون، فاصبر واحتسب حتي تلقاني، فأوالي من والاك وأعادي من عاداك»

وأما التاسعة والعشرون: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: «يا علي أنت صاحب الحوض لا يملكه غيرك، وسيأتيك قوم فيستسقونك فتقول: لا ولا مثل ذرة، فينصرفون مسودة وجوههم، وسترد عليك شيعتي وشيعتك فتقول: رووا رواء مرويين، فيردون مبيضة وجوههم »

وأما الثلاثون: فإني سمعته صلي الله عليه وآله يقول: تحشر أمتي يوم القيامة علي خمس رايات: فأول راية ترد علي راية فرعون هذه الأمة وهو معاوية، والثانية مع سامري هذه الأمة عمرو بن العاص، والثالثة مع جاثليق هذه الأمة وهو أبو موسي الأشعري، والرابعة مع أبي الأعور السلمي، وأما الخامسة فمعك يا علي، تحتها المؤمنون وأنت إمامهم، ثم يقول الله تبارك وتعالي للأربعة (ارجِعُوا

1- المجادلة: 13.

وَراءَكُم فَالتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَينَهُم بِسورٍ لَهُ بـابٌ باطِنُهُ فيهِ الرَّحمَـةُ) (1) وهم شـيعتي ومن والاني وقاتل معي الفئـة الباغيـة والناكثة عن الصـراط، وباب الرحمة هم شـيعتي، فينادي هؤلاء: (أَلَم نكُن مَعَكُم قالُوا بَلي وَلِكنَّكُم فَتنتِ ـتُم أنفُسَـكُم وتَرَبَّصـتُم وَارتَبتُم وغَرَّتكُمُ الأَمانِيُ حَتي جاءَ أمرُ اللهِ وغَرَّكُم بالله الغَرورُ فَاليَومَ لا يؤخَذ منكم فِدَيه وَلا مِنَ الَّذينَ كَفَروا مَأواكُمُ النّار هي مؤلاكُم و بئس ـَالمَصـيرُ)، (2) ثم ترد أمتي وشيعتي فيروون من حوض محمد صلي الله عليه وآله و بيدي عصا عوسج أطرد بها أعدائي طرد غريبة الإبل.

وأما الحادية والثلاثون: فإني سـمعت رسول الله صـلي الله عليه وآله يقول: لولا أن يقول فيك الغالون من أمتي ما قالت النصاري في عيسـي ابن مريم، لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون.

وأمـا الثانيـة والثلاثون: فإني سـمعت رسول الله صـلي الله عليه وآله يقول: إن الله تبارك وتعالي نصـرني بالرعب، فسألته أن ينصـرك بمثله، فجعل لك من ذلك مثل الذي جعله لي.

وأما الثالثة والثلاثون: فإن رسول الله صـلي الله عليه وآله التقم أذني وعلمني ما كان وما يكون إلي يوم القيامة، فساق الله لك ذلك إلي لسان نبيه.

وأما الرابعة والثلاثون: فإن النصاري ادعوا أمراً، فأنزل الله عزوجل (فَمَن حاجَّكَ فِيهِ من بَعدِ ما جاءَكُ مِنَ العِلمِ فَقُل تَعالَوا نَدعُ أَبناءَنا وَأبناءَكُم ونِساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكُم) (3) فكانت نفسي نفس رسول الله ، صلي الله عليه وآله والنساء فاطمة، والأبناء الحسن والحسين، ثم ندم القوم فسألوا الإعفاء فأعفاهم، والذي أنزل التوراة علي موسي والفرقان علي محمد لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير.

1- الحديد:13

2- الحديد: 14 و 15.

3- آل عمران: 61

وأما الخامسة والثلاثون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله وجهني يوم بدر فقال: ائتني بكف حصيات مجموعة في مكان واحد، فأخذتها ثم شممتها فإذا هي طيبة تفوح منها رائحة المسك، فأتيته بها فرمي بها وجوه المشركين، وتلك الحصيات أربع منها كن من الفردوس وحصاة من المشرق وحصاة من المغرب وحصاة من تحت العرش، مع كل حصاة مأة ألف ملك مدداً لنا، لم يكرم الله عزوجل بهذه الفضيلة أحداً قبل ولا بعد.

وأما السادسة والثلاثون: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: ويل القاتلك! إنه أشقي من ثمود ومن عاقر الناقة، وإن عرش الرحمن يهتز لقتلك، فأبشر يا علي فإنك في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين.

وأما السابعة والثلاثون: فإن الله تبارك وتعالي قد خصني من بين أصحاب محمد صلي الله عليه وآله بعلم الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص والعام، وذلك مما من الله به علي وعلي رسوله صلي الله عليه وآله، وقال لي الرسول : يا علي إن الله عزوجل أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأعلمك ولا أجفوك، وحق علي أن أطيع ربي، وحق عليك أن تعي.

وأما الثامنة والثلاثون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله بعثني بعثاً ودعا لي بدعوات وأطلعني علي ما يجري بعده، فحزن لذلك بعض أصحابه صلي الله عليه وآله وقال: لو قدر محمد أن يجعل ابن عمه نبياً لجعله، فشرفني الله بالاطلاع علي ذلك علي لسان نبيه.

وأما التاسعة والثلاثون: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: كذب من زعم أنه يحبني ويبغض علياً، لا يجتمع حبي وحبه إلا في قلب مؤمن، إن الله عزوجل جعل أهل حبي وحبك يا علي في أول زمرة السابقين إلي الجنة، وجعل أهل بغضي وبغضك في أول الضالين من أمتي إلي النار.

وأما الأربعون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله وجهني في بعض الغزوات إلي ركي فإذا ليس فيه ماء، فرجعت إليه فأخبرته، فقال: أفيه طين؟ فقلت: نعم، فقال:

إيتني منه، فأتيت منه بطين فتكلم فيه ثم قال: ألقه في الركي، بألقيته فإذا الماء قـد نبع حتي امتلأ جوانب الركي، فجئت إليه فأخبرته، فقال لي: وفقت با علي، وبير كتك نبع الماء، فهذه المنقبة خاصة لي من دون أصحاب النبي صلي الله عليه وآله.

وأما الحادية والأربعون: فإني سـمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: أبشر يا علي! فإن جبرئيل عزوجل أتاني فقال لي: يا محمد إن الله تبارك وتعالي نظر إلي أصحابك فوجد ابن عمك وختنك علي ابنتك فاطمة خير أصحابك، فاجعله وصيك والمؤدي عنك.

وأما الثانيـة والأربعون: فإني سـمعت رسول الله صـلي الله عليه وآله يقول: أبشـر يا علي! فإن منزلك في الجنـة مواجه منزلي، وأنت معي في الرفيق الأـعلي في أعلي عليين، قلت: يـا رسول الله وما أعلي علون؟ فقال: قبـة من درة بيضاء لها سـبعون ألف مصـراع، مسـكن لي ولك يا علي.

وأما الثالثة والأربعون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: إن الله عزوجل رسخ حبي في قلوب المؤمنين، وكذلك رسخ حبك يا علي في قلوب المؤمنين، ورسخ بغضي وبغضك في قلوب المنافقين، فلا يحبك إلا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلا منافق كافر.

وأما الرابعة والأربعون: فإني سـمعت رسول الله صـلي الله عليه وآله يقول: لن يبغضك من العرب إلا دعي، ولا من العجم إلا شقي، ولا من النساء إلا سلقلقية.

وأما الخامسة والأربعون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله دعاني وأنا أرمد العين، فتفل في عيني وقال: اللهم اجعل حرها في بردها، وبردها في حرها، فوالله ما اشتكت عيني إلي هذه الساعة.

وأما السادسـة والأربعون: فإن رسول الله صـلي الله عليه وآله أمر أصـحابه و عمومته بسـد الأبواب وفتـح بابي بأمر الله عزوجل، فليس لأحد منقبة مثل منقبتي.

وأمـا السابعـة والأربعون: فإن رسول الله صـلي الله عليه وآله أمرني في وصـيته بقضاء ديونه وعـداته، فقلت: يا رسول الله قـد علمت أنه ليس عندي مال، فقال: سيعينك الله، فما أردت

أمراً من قضاء ديونه وعـداته إلا يستره الله لي، حتي قضـيت ديونه وعـداته، وأحصـيت ذلك فبلغ ثمانين ألفاً، وبقي بقية فأوصـيت الحسن أن يقضيها.

وأما الثامنة والأربعون: فإن رسول الله صـلي الله عليه وآله أتاني في منزلي ولم يكن طعمنا منذ ثلاثة أيام، فقال: يا علي هل عندك من شيء؟ فقلت: والذي أكرمك بالكرامة واصـطفاك بالرسالة ماطعمت وزوجتي وابناي منذ ثلاثة أيام، فقال النبي صلي الله عليه وآله: يا فاطمة ادخلي البيت وانظري هل تجدين شيئاً؟ فقالت: خرجت الساعة، فقلت: يا رسول الله أدخله أنا؟ فقال: ادخل باسم الله ، فدخلت فإذا بطبق موضوع عليه رطب وجفنـة من ثريـد، فحملتها إلي رسول الله صـلي الله عليه وآله فقال: يا علي رأيت الرسول الـذي حمل هذا الطعام؟ فقلت نعم، فقال: صفه لي، فقلت: من بين أحمر وأخضر وأصفر، فقال صلي الله عليه وآله: تلك خطط جناح جبرئيل عليه السلام مكللة بالدر والياقوت، فأكلنا من الثريد حتي شبعنا فما رأي الأخدش أيدينا وأصابعنا، فخصني الله عزوجل بذلك من بين أصحابه (الصحابة).

وأما التاسـعة والأربعون: فإن الله تبارك و تعالي خص نبيه بالنبوة، وخصـني النبي صـلي الله عليه وآله بالوصية، فمن أحبني فهو سعيد يحشر في زمرة الأنبياء عليهم السلام.

وأما الخمسون: فإن رسول الله صـلي الله عليه وآله بعث ببراءة مع أبي بكر، فلما مضـي أتي جبرئيل فقال: يا محمد لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فوجهني علي ناقته العضباء، فلحقته بذي الحليفة فأخذتها منه، فخصني الله عزوجل بذلك منه.

وأما الحادية والخمسون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله أقامني للناس كافة يوم غدير خم فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين.

وأمـا الثانيـة والخمسون: فـإن رسول الله صـلي الله عليه وآله قـال: يـا علي ألاـ أعلمك كلمات علمنيهن جبرئيل؟ فقلت: بلي، قال: يا رازق المقلين ويا راحم المساكين ويا أسمع السامعين ويا أبصر الناظرين ويا أرحم الراحمين، ارحمني وارزقني.

وأما الثالثة والخمسون: فإن الله تبارك وتعالي لن يذهب بالدنيا حتي يقوم منا القائم يقتل ولا يقبل الجزية، ويكسر الصليب والأصنام و تضع الحرب أوزارها، ويدعو إلي أخذ المال فيقسمه بالسوية ويعدل في الرعية.

وأما الرابعة والخمسون: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: يا علي سيلعنك بنو

أمنية، ويرد عليهم ملك بكل لعنة ألف لعنة، فإذا قام القائم عليه السلام لعنهم أربعين سنة.

وأما الخامسة والخمسون: سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله قال: سيفتتن فيك طوائف من أمتي فتقول: إن رسول الله صلي الله عليه وآله لم يخلق شيئا فيما إذا أوصي علياً، أو ليس كتاب الله ربي أفضل الأشياء بعد الله عزوجل؟ والذي بعثني بالحق لأن لم تجمعه بإتقان لم يجمع أبدا، فخني الله لا بذلك من دون الصحابة.

وأما السادسة والخمسون: فإن الله تبارك و تعالي خصني بما خص به أولياءه وأهل طاعته، وجعلني وارث محمد صلي الله عليه وآله ، فمن ساءه ساءه، ومن سره سره، وأومي بيده نحو المدينة.

وأما السابعة والخمسون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله كان في بعض الغزوات ففقد الماء، فقال لي: يا علي قم إلي هذه الصخرة وقل: أنا رسول رسول الله صلي الله عليه وآله تفجري إلي ماء، فوالله الذي أكرمه بالنبوة لقد أبلغتها الرسالة فطلع منها مثل ثدي البقر، فسال من كل ثدي منهاماء، فلما رأيت ذلك أسرعت إلي النبي د فأخبرته فقال: انطلق يا علي فخذ من الماء، فجاء القوم حتي ملأوا قربهم وأدواتهم وسقوا دوابهم وشربوا وتوضوا، فخصني الله ولا بذلك من دون الصحابة.

وأما الثامنة والخمسون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله أمرني في بعض غزواته وقد نفد الماء وقال: يا علي انت بتور،(1) فأتيته به، فوضع يده اليمني ويدي معها في التور فقال: انبع، فنبع الماء من بين أصابعنا.

1- التور: من الأواني. (لسان العرب4 : 96، مادة «تور»

وأما التاسعة والخمسون: فإن رسول الله -صلي الله عليه وآله وجهني إلي خيبر، فلما أتيته وجدت الباب مغلقا فزعزعته شديدة فقلعته ورميت به أربعين خطوة فدخلت، فبرز إلي مرحب فحمل علي وحملت عليه وسقيت الأرض دمه، وقد كان صلي الله عليه وآله وجه رجلين من أصحابه فرجعا منكسفين .

وأما الستون: فإني قتلت عمرو بن عبدود، وكان يعد بألف رجل.

وأما الحادية والستون: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: يا علي مثلك في أمتي مثل (قُل هُو اللهُ أحَدٌ) فمن أحبك بقلبه وأعانك بلسانه فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن أحبك بقلبه ولسانه ونصرك بيده فكأنما قرأ القرآن كله.

وأما الثانية والستون: فإني كنت مع رسول الله صلي الله عليه وآله في جميع المواطن والحروب، و كانت رايته معي.

وأما الثالثة والستون: فإني لم أفر من الزحف قط، ولم يبارزني أحد إلا سقيت الأرض من دمه.

وأما الرابعة والستون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله أتي بطير مشوي من الجنة فدعي الله عزوجل أن يدخل عليه أحب الخلق إليه، فوفقني الله تعالي للدخول عليه حتي أكلت معه من ذلك الطير.

وأما الخامسة والستون: فإني كنت أصلي في المسجد فجاء سائل فسأل وأنا راكع، فناولته خاتمي من اصبعي، فأنزل الله تبارك وتعالي (انَّما ولّيُكُم اللهُ وَرسُولُهُ والَّذينَ آمَنُوا الّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ وهُم راكِعُونَ). (1)

وأما السادسة والستون: فإن الله تبارك وتعالي رد علي الشمس مرتين،ولم يردها علي أحد من أمة محمد غيري.

وأما السابعة والستون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله أمر أن أدعي بإمرة المؤمنين في حياته وبعد موته، ولم يطلق ذلك لأحد غيري.

1- المائدة: 55

وما الثامنة والستون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: يا علي إذا كان يوم القيامة ناديمناد من بطنان العرش: أين سيد الأنبياء؟ فأقوم، ثم ينادي: أين سيد الأوصياء؟ فتقوم، ويأتيني رضوان بمفاتيح الجنة، ويأتيني مالك بمقاليد النار، فيقولان: إن الله جل جلاله أمرنا أن ندفعها إليك، ويأمرك أن تدفعها إلي علي بن أبي طالب، فتكون يا علي قسيم الجنة والنار.

وأما التاسعة والستون: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: لولاك ما غرف المنافقون من المؤمنين .

وأما السبعون: فإن رسول الله صلي الله عليه وآله نام ونومني وزوجتي فاطمة وابني الحسن والحسين وألقي علينا عباءة قطوانية،(فأنزل الله تبارك وتعالي إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ ويُطَهِرَكُم تَطهِيراً)(1) وقال جبرئيل عليه السلام: أنا منكم يا محمد،فكان سادسنا جبرئيل. (2)

1- الأحزاب: 33

2- بحار الأنوار: 31/ 432 - 446/ ح 2؛ الخصال للصدوق 2: 572 - 580/ ح 1؛ أبواب السبعين وما فوقه

من كتاب له عليه السلام إلي معاوية جواباً:

يذكر فيه مثالب معاوية ومناقب أهل البيت عليه السلام

أمَّا بَعـدُ فَقَـد أتَانِي كِتابُكَ تَذكُرَ فيه اصـطفَاءَ الله محَمَّداًصـلي الله عليه وآله لدينه وَتأييدَهُ إيّاهُ لمَن أيدَهُ مَن أصـحَابِه فَلقَد خبَّاَ لنَا الدَّهرُ مِنكَ عَجَبـا إذ طَفقتَ تُخبرُنَـا بِبَلاءِ اللهِ تَعـاليَ عِنـدَنا و نعمتِهِ عَلَينـا في نَبينـا فكنتَ في ذلـكَ كَناقِلِ التَّمرِ إلي هَجَرَ أو دَاعِي مُسَدّده إلي النّضالَ وَزَعمتَ أن أفضَلُ الناس فِي الاسـلامِ فُلانٌ وفُلان فَـذكَرتَ أمراً إن تمَّ اعتَزلكَ كُلُهُ وإن نَقَصَ لَم يَلحَقكَ ثَلمُهُ وما أنتَ والفاضِلَ والمَفضُولَ والسَّائسَ والمَسُوسَ وما لِلطُلُقاء والتَمييزَ بَينَ المُهاجِرينَ الأوَّلينَ ترتيبَ دَرَجاتِهم وتَعريفَ طبَقاتَهم هيهاتَ لَقَد حَنَّ قـدحٌ لَيسَ مِنهَا وطَفقَ يَحكُمُ فيهَـا مَن عَليهِ الحُكمُ لَها ألا تربَعُ أيُّها الإنسانُ عَلَي ظلعكَ وتعرِفُ قُصُورَ ذرعِكَ ويتاخَّرُ حَيثُ أخرَكَ القـدرُ فما عليكَ غَلبـةُ المَغلوب ولا ظَفَرُ الظافِرِ وانكَ لَذهَّابٌ في التيه ورواغٌ عَنِ القَصدِ ألا تَرَي غَيرَ مُخبِرٍ لَكَ وَلَكن بنعمة الله أُحَدَّثُ أن قَوماً استَشهدُوا فِي سَبيلِ الله تَعالي مِنَ المُهاجِرينَ والانصارِ ولَكُل فَضلٌ حتَّي إذا استشـهد شَهيدا قيل سَيّدُ الشُهَداء وخصَّه رسُولُ اللهِ صلي الله عليه وآله سَبعينَ تكبيرةً عِندَ صَلاتِه عليه أوَ لَا رَيَ أنَّ قَوماً قُطِعَت أيَديهِم في سَبيلِ الله وَلَكل فضلٌ حَتّي إذا فُعِل بِواحـدِنا ما فُعل بِواحـدهم قيل الطيارُ في الجَنَّـةَ و ذو الجنـاحَينِ ولولاـ ما نَهي اللهُ عَنهُ مَن تزكيـة المَرء نفسَهُ لَذكَرَ ذاكرٌ فَضائِلَ جَمَّه تَعرفُهَا قَلوبُ المُؤمِنينَ ولا تَمُجُّها آذانُ السّامِعينَ). (1) إلي آخر الكتاب.

1- شرح نهج البلاغة 15: 181. ومن الطبعة الأولي ج3/ 445

الشرح:

قال العلامة الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (علي والقرآن):

لا ـ يستطيع الإنسان ـ أي إنسان أن يتجرد عن ذاته وانطباعته، وأن يسند معلوماته وتصوراته إلي الواقع بعيدة عن شخصه ومعطياته مهما حاول واجتهد، إلا إذا استطاع أن يوجد علماً بدون عالم، ورسماً بدون رسام، وهو مستحيل كاستحالة وجود القيام بلا قائم، والكتابة بلا كاتب».

وعلي هذا فإذا حصلت لنا المعرفة بشيء وتحدثنا عنه فإنما نتحدث عن وعينا وعن الصورة التي تمثلناها لذلك الشيء، وقد تأتي مطابقة وقد تكون مخالفة، حيث لا تلازم بين الواقع والشعور الذي يعكسه، فالواقع مستقل عن الفكر لا يستدعي معرفة الواقع.

وهذا المبدأ يطرد في الجميع إلا في الأنبياء الذين تلقوا الوحي من الله، وإلا في الأولياء الذين أحاطوا علما بكتاب الله وأخذوا عن الأنبياء بلا واسطة، كالإمام علي عليه السلام، فإن علمه عين الواقع لا ينفك عنه بحال، ومن هنا قال: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناه حيث لا جديد يوجب الزيادة.

فالذي يحج إلي مكة المكرمة لا يزداد معرفة بأصل وجودها بعد أن يصل إليها، وهكذا علوم الإمام تمثل الحقيقة تمثيلا صحيحة بعيدة كل البعد عن الخطأ والإلتباس.

والانسان الذي يعتمد كتاب الله وماتواتر عن النبي صلي الله عليه وآله فعلمه عن الحق واليقين، وعلي هذا الأساس نتكلم في هذا البحث عن صفات الإمام وخصائصه وفضائله، فما دل عليه الكتاب والحديث المروي بطريق الشيعة والسنة أثبتناه، ولا شأن لنا بغيره.

علي أخوالرسول:

قال ابن حجر في كتاب الصواعق المحرقة (ص 122 طبعة سنة 1375) قال النبي صلي الله عليه وآله: «خير أخوتي علي، وخير أعمامي حمزة».وفي ص 120 منه أنه قال لعلي: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

قال الثعلبي في العرائس (ص 149): قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار: إن الله أهبط تابوتة علي آدم عليه السلام من الجنة حين أهبط إلي الأرض فيه صور الأنبياء من أولاده، وفيه بيوت بعدد الرسل منهم، وآخر البيوت بيت محمد صلي الله عليه وآله من ياقوتة حمراء (إلي أن قال): وبين يديه علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) شاهر سيفه علي عاتقه، ومكتوب علي جبهته «هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله ».

وقال محب الدين الطبري في ذخائر العقبي (ص 92)، عن أنس بن مالك قال: صعد رسول الله صلي الله عليه وآله و المنبر فذكر قولا كثيرة ثم قال: أين علي بن أبي طالب؟ فوثب إليه فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فضمه إلي صدره وقبل بين عينيه وقال بأعلي صوته: معاشر المسلمين هذا أخي وابن عمي وختني، هذا لحمي ودمي وشعري، هذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، هذا مفرج الكروب عتي، هذا أسد الله وسيفه في أرضه علي أعدائه، علي مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين، والله بريء منه وأنا منه بريء ».

وذكر البيهقي في كتابه «المحاسن والمساوي»(جزء أول ص 35) عن الزهري في حديث حول حرب الجمل: فقالت عائشة لرجل من ضبة وهو آخذ بخطام جملها أو بعيرها: أين تري علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ؟ قال: ها هو ذا واقف رافع يده إلي السماء، فنظرت فقالت: ما أشبهه بأخيه، قال الضبي: ومن أخوه ؟ قالت: رسول الله صلي الله عليه وآله، قال: فلا أراني أقاتل رجلا هو أخو رسول الله صلي الله عليه وآله، فنبذ خطام راحلتها من يده ومال إليه».

آيات في حق علي عليه السلام:

وفي مسند أحمد بن حنبل، والرياض النضرة لمحب الدين الطبري (ج 2 ص 209)، وتاريخ بن عساكر (مج 6 ص 201)، و تذكرة الخواص لسبط بن

الجوزي ص 14، وفي كنز العمال (مج 6 ص 390)، وفي كفاية الشنقيطي (ص 35)، هؤلاء كلهم رووا عن زيد بن أبي أوفي قال: لما آخي النبي صلي الله عليه وآله بين أصحابه، وآخي بين عمر وأبي بكر (إلي أن قال): فقال علي عليه السلام: لقد ذهب روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك مافعلت غيري، فإن كان هذا من سخط علي فلك العتبي والكرامة، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله : والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسي غير أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي. قال: وما أرث منك يا رسول الله ؟ قال: ما ورث الأنبياء من قبلي. قال: وما ورث الأنبياء من قبلك؟ قال: كتاب ربهم وسنة نبيهم، وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي، وأنت أخي ورفيقي، ثم تلا رسول الله صلي الله عليه وآله إخواناً عَلي سُرُرٍ مُتَقابِلينَ. (1)

إلي كثير وكثير من هذه الأحاديث، ولو ذهبنا إلي جمع شوارد هذا الباب لجاء منه كتاب ضخم.

هذه الأخوة بالمعني الخاص الثابتة لأمير المؤمنين عليه السلام ولا يدعيها غيره إلا كذاب كما ورد في الحديث الذي جاء في مناقب أحمد، وتاريخ ابن عساكر، و كفاية الكنجي، وتذكرة سبط ابن الجوزي وصححه ورد علي جده في تضعيفه سنده، وفي المرقاة في شرح المشكاة (ص 569) هؤلاء كلهم رووا عن جابر بن عبد الله وسعد بن المسيب، قالا: إن رسول الله صلي الله عليه وآله آخي بين أصحابه، فبقي رسول الله صلي الله عليه وآله مد وأبو بكر وعمر وعلي، فآخي بين أبي بكر وعمر، وقال لعلي: أنت أخي وأنا أخوك، فإن ناكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله، لايدعيها بعدك إلاكذاب ».

1- الحجر: 47

علي عليه السلام هو الشاهد:

علي هو الشاهد في الآية 17 من سورة هود أفَمَن كانَ عَلي بَيِنَةٍ مِن رَبّه ويَتلُوُه شاهِدٌ مِنهُ.(1)

قال الرازي: في تفسير الشاهد وجوه: ثالثها أنه علي، والمراد تشريفه بأنه بعض من محمد. وقال السيوطي في الدر المنثور،(2) والطبري في تفسيره:(3) رسول الله صلي الله عليه وآله علي بينة من ربه وعلي شاهد منه ».

علي صاحب النجوي في قوله تعالي: يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا إذا ناجَيتُمُ الرَّسولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَي نَجواكُم صَدَقةً ذلِكَ خَيرٌ لَكُم وَأَطهَرُ (4)

أجمع المفسرون الشيعة والسنة علي أن هذه الآية لم يعمل بها أحد إلا الإمام علي، وذلك أن المسلمين أكثروا السؤال علي الرسول حتي شقوا عليه، فأمرهم الله بهذه الآية أن يتصدقوا قبل أن يسألوا، فأحجموا إلا الإمام تصدق وسأل، ثم سخت الآية، وقال الإمام عليه السلام: كنت إذا سألت النبي صلي الله عليه وآله أجابني، وإذا سكت ابتدأني. (5)

علي هو سابق الأمة في قوله تعالي: وَالسَّابِقُونَ السَّابقُونَ أولئِكَ المُقَربونَ. (6)

قال الفضل بن روزبهان – وهو من كبار العلماء عند السنة في كتاب إبطال الباطل جاء في رواية أهل السنة: سباق الأمم ثلاثة: مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، ولا شك أن علياً عليه السلام سابق في الإسلام وصاحب السابقة والفضائل التي لا تخفة.

1- هود: 17

2- تفسير الدر المنشور 3: 324

3- تفسير الطبري 12: 22.

4- المجادلة: 13

5- 5) السنن الكبري للنسائي 5: 142/ ح 8504؛ سنن الترمذي 2:300 - 301، ح 3805؛ المصنف لابن أبي شيبة 7: 495 ح 6؛ المعجم الكبير للطبراني 6: 213

6- الواقعة: 10

وجاء في الجمع بين الصحاح الستة أن طلحة بن شيبة قال مفتخرة: أنا أولي بالبيت لأن المفتاح بيدي، وقال العباس: أنا أولي أنا صاحب السقاية، فقال علي: أنا أول الناس إسلاماً وأكثرهم جهاداً، فنزلت هذه الآية لبيان أفضلية الإمام علي الجميع: أجَعَلتُم سِقايَة الحاجِّ وعِمارَةَ المَسجدِ الحرامِ كَمَن آمَنَ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ وجاهَدَ فِي سَبيلِ اللهِ لايَستُوُونَ عندَ اللهِ واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظالَمِينَ . (1)

علي عليه السلام والوليد:

علي هو المؤمن في قول الله عزوجل : اَفَمَن كَانَ مُؤمناً كَمن كان فاسِقاً لايَستَوُونَ . (2)

أخرج الطبري في تفسيره (ج 21 ص 22) بإسناده عن عطاء بن يسار، قال: كان بين الوليد وعلي عليه السلام كلام، فقال الوليد: أنا أبسط منك لسانا وأحد منك سنان وارد منك للكتيبة، فقال علي: اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما: فَمَن كَانَ مُؤمناً كَمن كان فاسِقاً لايَستَوُونَ .

وفي الأغاني (ج 4 ص 185) و تفسير الخازن (مج3 ص 470): كان بين علي والوليد تنازع و كلام في شيء، فقال الوليد لعلي: اسكت فإنك صبي وأنا شيخ، والله إني أبسط منك لسان وأحد منك سنانا وأجمع منك جناناً وأملأ منك حشوة في الكتيبة، فقال له علي: أسكت فإنك فاسق، فأنزل الله هذه الآية.

وأخرجه محب الدين الطبري في الرياض النضرة (ج 3 ص 206) عن ابن عباس وقتادة من طريق الحافظين السلفي والواحدي، وفي ذخائر العقبي (ص 88) والخوارزمي في المناقب (ص 188) والكنجي في الكفاية (ص 55) و النيشابوري في تفسيره، وابن كثير في تفسيره (مج 3 ص 462) قال: ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما أنها نزلت في علي ابن أبي طالب وعقبة، وذكرها غير هؤلاء من الأساطين.

1- التوبة: 20

2- السجدة: 18

قـال حسان بن ثابت في ذلك علي ما ذكر أبو المظفر سـبط ابن الجوزي الحنفي في تـذكرته (ص 115) والكنجي الشافعي في الكفاية (ص 50) وابن طلحة الشافعي فيمطالب السؤل (ص 20) – وقال: فشت هذه الأبيات من قول حسان وتناقلها سمع عن سمع ولسان عن لسان:

أنزل الله والكتاب عزيز*** في علي وفي الوليد قرانا

فتبوا الوليد من ذاك فسقاً *** وعلي مبؤاً إيمانا

ليس من كان مؤمناً عرف الله *** كمن كان فاسقاً خوانا

فعلي يلقي لدي الله عزاً*** ووليد يلقي هناك هوانا

سوف يجزي الوليد بيزياً وناراً *** وعلي لا شك يجزي جنانا

رواها ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج (مج 2 ص 103 ط الاولي).

علي هو الأذن الواعية في قوله عزوجل: (وتَعِيَها أذُنٌ واعيةٌ) (الحاقة: آية 12).

قال الفضل بن روزبهان في كتاب إبطال الباطل: روي المفسـرون ـ السـنة ـ أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلي الله عليه وآله لعلي عليه السلام: سألت الله أن يجعلها أذنك. قال علي: فما نسيت بعد هذا شيئاً، وهذا يدل علي علمه وحفظه وفضيلته».

وفي كتـاب ذخائر العقبي للمحب الطبري (ص 61 طبعة سنة 1356 ه) قال الرسول صـلي الله عليه وآله للإمام علي: يا علي ما سألت الله عزوجل شيئاً من الخير إلا سألت لك مثله، ولا استعذت الله من الشر إلا استعذت لك مثله.

علي وقول الله عزوجل: (هُوَ الَّذي أيَّدَكَ بِنَصرِهِ وبِالمؤمنينَ) ـ (الأنفال: آية 63).

أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن مسـلم الشافعي، أخبرنا أبو القاسم بن العلاوأبو بكر محمد بن عمر بن سليمان العريني النصيبي، حدثنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المهدي، حدثنا عباس بن بكار، حـدثنا خالـد بن أبي عمر الأسدي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: مكتوب علي العرش «لا إله إلا الله وحدي لا شريك

لي، ومحمد عبدي ورسولي أيدته بعلي»وذلك قوله عزوجل في كتابه الكريم: (هُو الّذِي أيَدَكَ بِنَصرِهِ وبالمُؤمنينَ) (1) علي وحده. (2)

ورواه بإسناده الكنجي الشافعي في كفايته (ص 110) ثم قال: قلت: ذكره ابن جرير في تفسيره، وابن عساكر في تاريخه في ترجمة علي عليه السلام، ورواه الحافظ جلال الدين السيوطي في الدر المنثور (مج 3 ص 199) نقلاً عن ابن عساكر، والقندوزي في ينابيعه (ص 94) نقلاً عن الحافظ أبي نعيم بإسناده عن أبي هريرة.

وصدر الحديث أخرجه جمع من الحفاظ، منهم الخطيب البغدادي في تاريخه (مج 11 ص 173) بإسناده عن أنس بن مالك، قال: قال النبي صلي الله عليه وآله : لما عرج بي رأيت علي ساق العرش مكتوباً «لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي نصرته بعلي».

اقتران اسم علي عليه السلام باسم رسول الله صلي الله عليه وآله:

وروي السيد الهمداني في مودة القربي، في المودة الثامنة عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: إني رأيت اسمك مقروناً باسمي في أربعة مواطن: لما بلغت بيت المقدس في معراجي إلي السماء وجدت علي صخرة بها «لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي وزيره، ولما انتهيت إلي سدرة المنتهي وجدت عليها «إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، محمد صفوتي من خلقي، أيدته بعلي وزيره ونصرته به»، ولما انتهيت إلي عرش رب العالمين فوجدت مكتوباً علي قائمه «إني أنا الله لا إله إلا أنا، محمد حبيبي من خلقي، أيدته بعلي وزيره ونصرته به، فلما وصلت الجنة وجدت مكتوباً علي باب الجنة «لا إله إلا أنا ومحمد حبيبي من خلقي أيدته بعلي وزيره ونصرته به».

علي في قوله تعالي: (يا أيُّها النَّبيُّ حَسبُكَ اللهُ ومَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمنينَ) (الأنفال: آية 64).

1- الأنفال: 62

2- تاريخ ابن عساكر 2: 353/ ح 864 و 865 ط الثانية

أخرج الحافظ أبو نعيم في فضائل الصحابة بإستاده أنها نزلت في علي وهو المعني بقوله: (المُؤمِنينَ).

علي في قوله تعالي: (مِنَ المُؤمِنينَ رجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَليهِ فَمِنهُم مَن قَضـي نَحبَهُ ومِنهُم مَن يَنتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبديلاً) (الأحزاب آية 23).

أخرج الخطيب الخوارزمي في المناقب (ص 188)، وصدر الكنجي في الكفاية ص 122 نقلاً عن ابن جرير وغيره من المفسرين، أنه نزل قوله: (فَمِنهُم مَن قَضـي نَحبَهُ) في حمزة وأصحابه كانوا عاهدوا الله تعالي لا يولون الأدبار، فجاهدوا مقبلين حتي قتلوا، (وَمِنهُم مَن يَنتَظِرُ) علي بن أبي طالب مضي علي الجهاد ولم يبدل ولم يغير الآثار.

وفي الصواعق لابن حجر (ص 80)، سئل علي عليه السلام وهو علي المنبر بالكوفة عن قوله تعالي: (مِنَ المُؤمنينَ رِجالٌ صَدقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليهِ) الآية فقال: اللهم غفراً، هذه الآية نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فأما عبيدة فقضي نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضي نحبه شهيداً يوم أحد، وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه _ وأشار إلي الحيته ورأسه _ عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسم محمد صلي الله عليه وآله.

تصدق علي عليه السلام بالخاتم:

علي في قوله تعالي:(إنّما وَلِيُكُمُ اللهُ ورَسُولُه والَّذينَ آمنُوا الّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزّكاةَ وهُم راكِعُونَ) (المائدة: 55).

أخرج أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: أما إني صليت مع رسول الله صلي الله عليه وآله يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يديه إلي السماء وقال: اللهم اشهد أني سألت في مسجد نبيك محمد صلي الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي رضي الله عنه في

الصلاة راكعاً، فأومأ إليه بنصره اليمني وفيه خاتم، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأي من النبي صلي الله عليه وآله، وهو في المسجد، فرفع رسول الله صلي الله عليه وآله طرفه إلي السماء وقال: اللهم إن أخي موسي سألك فقال: (ربّ اشرَح لي صَدري وَيَسِرلي أمري وَاحلُل عُقدَةً مِن لِساني يَفقَهُوا قَولي وَاجعَل لي وَزيراً مِن أَهلي هارُونَ أخِي اشدُد بِه أزرِي وَأَشرِكهُ فِي أَمرِي) فأنزلت عليه قرآناً (سَنَشُدُ عَضُدَكَ بِأخِيكَ ونَجعَل لَكُما سُلطاناً فَلا يَصلُون إليكُما) اللهم وإني محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري، قال أبوذر رضي الله عنه : فما استم دعاؤه حتي نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عزوجل و قال: يا محمد اقرأ (إنّما وَليُكُمُ اللهُ ورسُولُهُ والَّذينَ آمَنوُا) الآية. (1)

وفي تصدق علي عليه السلام بخاتمه وهو راكع يقول حسان بن ثابت:

من ذا بخاتمه تصدق راكعاً *** وأسرها في نفسه إسرارا

من كان بات علي فراش محمدٍ *** ومحمد أسري يؤم الغارا

من كان في القرآن مي مؤمناً *** في تسع آياتٍ لين غزارا

ذكرها أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته (ص 10)والكنجي في الكفاية (ص 123).

أخرج هذه الآثار ونزول الآية فيها جمع كثير من أئمة التفسير والحديث، منهم: الطبري في تفسيره (ج 6 ص 165) من طريق ابن عباس وعتبة بن أبي حكيم ومجاهد، والرازي في تفسيره (ج3 ص 431)، والخازن في تفسيره (مج 1 ص 496)، وأبو البركات في تفسيره، والنيشابوري في تفسيره (3 ص 461) و كثير من الحفاظ ورجال الحديث.

1- تفسير الثعلبي فصول المهمة لابن الصباغ 123، ف 1

مفاخرة علي عليه السلام والعباس وشيبة:

علي في قوله تعالي: (أجَعَلتُم سقايَةَ الحاجِ وَعَمارَةَ المَسجِدِ الحَرامِ كَمَن آمَنَ باللهِ واليَومَ الآخِرِ وجاهَدَ في سَبيلِ اللهِ لايستوُونَ عندَ اللهِ). (1)

أخرج الطبري في تفسيره (ج 10 ص 59) بإسناده عن أنس أنه قال: قعد العباس وشيبة (ابن عثمان) صاحب البيت يفتخران، فقال له العباس: أنا أشرف منك، أنا عمرسول الله ووصي أبيه وساقي الحجيج، فقال شيبة: أنا أشرف منك، أنا أمين الله علي بيته وخازنه؟ أفلا ائتمنك كما ائتمني؟ فهما علي ذلك يتشاجران، حتي أشرف عليهما علي، فقال له العباس: إن شيبة فاخرني فزعم أنه أشرف مني، فقال: فما قلت له يا عماه؟ قال: قلت أنا عم رسول الله ووصي أبيه وساقي الحجيج، أنا أشرف منك، فقال لشيبة: ماذا قلت أنت يا شيبة؟ قال: قلت: أنا أشرف منك، أنا أمين الله علي بيته وخازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمنني؟ قال: فقال لهما: اجعلاني معكما فخراً، قالا: نعم، قال: فأنا أشرف منكما، أنا أول من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأمة، وهاجر وجاهد، وانطلقوا ثلاثتهم إلي النبي صلي الله عليه وآله فأخبر كل واحد منهم بمفخره، فما أجابهم النبي بشيء، فانصرفوا عنه، فنزل جبرئيل عليه السلام بالوحي بعد أيام فيهم، فأرسل النبي صلي الله عليه وآله إليهم ثلاثتهم حتي أتوه، فقرأ عليهم(أجَعَلتُم سقايَةَ الحاجِ وَعَمارَةَ المَسجِدِ الحَرامِ كَمَن آمَنَ باللهِ واليَومَ الآخِرِ) الاية.

وحديث هذه المفاخرة ونزول الآية فيها أخرجه كثير من الحفاظ والعلماء مجملاً ومفصلاً، منهم: القرطبي في تفسيره والرازي في تفسيره والخازن في تفسيره و غير هؤلاء .

علي في قوله تعالي: (إنَّ الّذينَ آمَنوُا وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدّا).(2)

أخرج أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده عن البراء بن عازب قال:

1- التوبة: 19.

2- مريم: 96

قال رسول الله صلي الله عليه وآله لعلي عليه السلام: قل اللهم اجعل لي عنك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة، فأنزل الله هذه الآية.(1)

ورواه أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته (ص 10) وقال: وروي عن ابن عباس أن هذا الود جعله الله العلي في قلوب المؤمنين. وأخرج الخطيب الخوارزمي في مناقبه (ص 188) حديث ابن عباس وبعده بالإسناد عن علي عليه السلام أنه قال: لقيني رجل فقال: يا أبا الحسن والله إني أحبك في الله، فرجعت إلي رسول الله صلي الله عليه وآله، فأخبرته بقول الرجل، فقال: لعلك يا علي اصطنعت إليه معروفاً، قال: فقلت: والله ما اصطنعت إليه معروفاً، فقال رسول الله: الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك بالمودة، فنزل قوله: (إنَّ الَّذين آمَنوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ سَيجعَل لَهُم الرَّحمنُ ودّاً). وأخرجه صدر الحفاظ الكنجي في الكفاية (ص 121)، وأخرجه محب الدين الطبري في رياضه (ج 2 ص 207) أنه لا يبقي مؤمن إلا وفي قلبه ود العلي وأهل بيته.

علي عليه السلام وشيعته خير البرية :

علي في قوله تعالي: (إنَّ الَّذين آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالِحاتِ أولئكَ هُم خَيرُ البَريَّة).(2)

أخرج الطبري في تفسيره (ج 3 ص 146) باسناده عن أبي الجارود، عن محمد بن علي في قوله عزوجل (أولِئكَ هُم خَيرُ البَرِيَة) فقال: قال النبي صلي الله عليه وآله: أنت يا علي وشيعتك.

وروي الخوارزمي في مناقبه (ص 66) عن جابر قال: كنا عند النبي صلي الله عليه وآله فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: قد أتاكم أخي، ثم التفت إلي الكعبة فضربها بيده ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا و شيعته هم الفائزون يوم القيامة، إنه أولكم إيماناً معي،وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله،

1- تفسير الثعلبي؛ وعنه: مناقب آل أبي طالب 2: 289؛ العمدة لابن البطريق: 289/ ح 471

2- البينة: 7

وأعـدلكم في الرعية، وأقسـمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية. قال: وفي ذلك الوقت نزلت فيه (إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالِحاتِ أولئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّةِ)، وكان أصحاب النبي صلي الله عليه وآله: إذا أقبل علي قالوا: قد جاء خير البرية.

سأل سائل بعذاب واقع:

علي في قوله تعـالي: (سَـأَلَ سائِـلٌ بعَـذابٍ واقِعٍ لِلكافِرينَ لَيسَ لَهُ دافِعٌ مِنَ اللهِ ذِي المَعارِجِ) ، – سورة المعارج – أذعنت به الشـيعة، وجاء مثبتاً في كتب التفسير والحديث لمن لا يستهان بهم من علماء أهل السنة، ودونك منصوصها: كما جاء في المجلد الأول من الغدير:

الحافظ أبو عبيد الهراتي المتوفي بمكة سنة 223، روي في تفسيره غريب القرآن قال: لما بلغ رسول الله صلي الله عليه وآله بغدير خم مابلغ وشاع ذلك في البلاد، أتي جابر بن النضـر بن حارث بن كلدة العبدي، وفي رواية الثعلبي التي أصـفق العلماء علي نقلها سـماه الحارث بن النعماء الفهري، ولا يبعد صحة ما في هذه الرواية من (جابر بن النضر) حيث أن جابراً قتل أمير المؤمنين عليه السلام والده النضر صبراً بأمر من رسول الله صلي الله عليه وآله و لماأسر يوم بدر الكبري.

الغرض، جاء فقال: يا محمـد أمرتنا من الله أن نشـهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وبالصـلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك، ثم لـم ترض بـذلك حتي رفعت بضـبع ابن عمك ففضـلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهـذا شـيء منك أم من الله ؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: والـذي لا إله إلا هو إن هـذا من الله. فولي جابر يريـد راحلته وهو: يقول اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً، فأمطر علينا حجارةً من السـماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتي رماه الله بحجر فسقط علي هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالي: (سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ) الآية.

وروي هذه القصة أيضاً أبو بكر النقاش الموصلي البغدادي المتوفي

351 في تفسيره شفاء الصدور، وأبو إسحاق الثعلبي النيشابوري المتوفي 427 في تفسيره الكشف والبيان، والحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب دعاة الهداة إلي أداء حق الموالاة، وأبو بكر يحيي القطربي المتوفي 567 في تفسيره في سورة المعارج، وشمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفي 654 في تذكرته (ص 19)، والشيخ إبراهيم اليمني الوصابي الشافعي في كتابه الإكتفاء في فضل الأربعةالخلفاء. وشيخ الإسلام الحموييني المتوفي 722 في كتابه فرائد السمطين في الباب الثالث عشر، والشيخ محمد الزرندي الحنفي في كتابيه معارج الوصول ودرر السمطين، إلي كثير وكثير من فطاحل علماء السنة. انتهي نقلا عن كتاب الغدير.

وهذه الآيات جزو من كل، وقليل من كثير، فقد جاء في كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر نقلاً عن ابن عباس (ص 125 طبعة 1375)«أن ما من آية في القرآن إلا وعلي أميرها وشريفها، وكذا ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير، وإن ابن عساكر قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالي ما نزل في علي، ولقد بلغت الآيات فيه ثلاثمائة آية»

ولو فرضنا أنه لم تنزل آية واحدة بالخصوص في علي، فإن كل ما في القرآن من ثناء علي عامل بخير من أي نوع كان فإنه يشمل علياً ويدل عليه صراحة، لأنه السباق في جميع المكرمات.

ولقد أثار دهشتي ظاهرة فريدة في بابها، فاجأتني وأنا أبحث وأنقب في مصادر هذه الصفات، وهي أن ابن حجر صاحب الصواعق وكثير غيره من شيوخ السنة مع اعترافهم بفضائل علي وإعلانها فضيلة فضيلة ومنقبة منقبة يتحاملون علي شيعة الإمام بما فيهم الإمامية ويعدونهم من أهل البدع والزيغ، ونقدم مثالاً واحداً من هذا التحامل، لأن المقام لا يتسع للمزيد.

قال الفضل بن روزبهان في (كتاب إبطال الباطل): كل ما ذكره الشيعة من الفضائل والمناقب لمولانا علي بن أبي طالب فنحن لا ننكره، لأن فضائل أهل البيت لا تحصي ولا ينكرها إلا منكر نور الشمس والقمر. ولكنه في نفس الكتاب المذكور قال: إن كتب الشيعة من موضوعات يهودي كان يريد تخريب بناء الإسلام، فعملها وجعلها وديعة عند الإمام جعفر الصادق، فلما توفي حسب الناس أنها كلامه...

كنا نظن أن مبدأ (إكذب، واكذب، ثم اكذب فلا بد أن تجد من يصدقك) مبدأ حديث من مخترعات الغرب والاستعمار، وإذا به قديم، وربما نقله الغربيون من الشرق عن ابن روزبهان وأمثاله فيما نقلوا من فلسفات وحضارات..

إن الشيعة اتصلوا بالإمام جعفر الصادق عليه السلام مباشرة، ونقلوا عنه مشافهة، وكل راو من رواتهم يقول: سألت الإمام وحدثني الإمام، ولم يدع واحد من الشيعة أنه وجد عند الصادق بعد وفاته كتاباً وأوراقاً له ولا لغيره، وهذه كتب الشيعة في الحديث والفقه والتفسير بمنظر لكل بصير.

قال مرترزقة هذا القول منذ مئات السنين لغاية الكبد والدس، ونقله أحمد أمين وأضرابه جهلاً أو تحاملاً وهم يعيشون في عصر الفضاء والسماء.

وغريبة الغرائب أن كل شيء في الدنيا تغير إلا الكذب علي الشيعة والافتراء علي مذهب التشيع، منذ زمن مضي وانقضي كتب شيخ سوء أو فقيه شر أن الشيعة بما فيهم الإمامية – يغالون، وأنهم أخذوا دينهم عن ابن سبأ اليهودي، رمي هذا المفتري رميته ولكن بعد أن شق طريق الضلال والتضليل.

لقد اشتري السفاكون من أرباب الأقلام دينهم وضمائرهم ليتقولوا علي الأبرياء الأقاويل، وجاء المتأخر فرأي الكلمة المطبوعة ل(السلف الصالح) فقدسها وركع لها وسجد دون تمحيص وتحقيق، وأخذ يرددها فكرة وأسلوباً، بل نقلها بالحرف الواحد كأنها وحي منزل.

إن العالم المنصف إذا تكلم عماتـدين به طائفـة من الطوائف اعتمـد علي الكتب المعتبرة عنها وماثبت من مذهبها، أما النقل عن خصومها وبخاصة خصوم العقيدة والمذهب، فهو تماماً كالحكم علي المدعي عليه بمجرد إقامة الدعوي وقبل الاستماع إلي الشهود والبينات.

ومن الصدف أتي كلما قرأت افتراء علي الشـيعة تذكرت كلمة لسـيبويه: اجتمع هذا النحوي الشـهير بنفر من نحاة الكوفة فناظروه في مسائل نحوية وطال بينه وبينهم الجدال والنقاش ولكن علي غير طائل، فسأله سائل عن سبب عجزه عن إقناعهم فقال: أخطئهم علي مذهب العرب، ويخطئوني علي مذهبهم، أي أنه تكلم هو علي مقاييس منطقية و تكلموا علي غير أساس.

ص: 68

خطبته عليه السلام المعروفة بخطبة اللؤلؤة :

فيها يتعرض لحوادث المستقبل ويذكر فيها الإمام المهدي

علي بن الحسين بن محمد بن مندة، قال: حدثنا محمد بن الحسين المعروف بأبي الحكم، قال: حدثنا إسماعيل بن موسي بن إبراهيم، قال: حدثني سليمان بن حبيب، قال: شريك عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم، عن علقمة بن قيس، قال: خطبنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علي منبر الكوفة خطبة اللؤلؤة، فقال فيما قال في آخرها:

(ألا ـ وإني ظاعن عن قريب ومنطلق إلي المغيب، فارتقبوا الفتنة الأموية والمملكة الكسروية، وإماتة ما أحياه الله، وإحياء ما أماته الله، واتخذوا صوامعكم بيوتكم، وعضوا علي مثل حجر الغضا، واذكروا الله كثيراً ، فذكره أكبر لوكنتم تعلمون.

ثم قال: تبني مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل والفرات، فلو رأيتموها مشيدة بالجص والآجر، مزخرفة بالذهب والفضة واللازورد المستسقي والمرمر والرخام وأبواب العاج والأبنوس والخيم والقباب والستارات، وقد عليت السلاح والعرعر والصنوبر والشب، وشيدت بالقصور، وتوالت عليها ملوك بني الشيصبان أربعة وعشرون ملكاً علي عدد سني الملك، فيهم السفاح والمقلاص، والجموح والجذوع، والمظفر والمؤنث والمزار والكبش والمهور، والعيار والمصطلم والمستصعب والعلام والرهباني والخليع والسيار والمترف والحديد والأكتب والمسرف والأكلب والوسيم والصيلام والعينوق، وتعمل القبة الغبراء ذات القلاة الحمراء، وفي عقبها قائم الحق يسفر عن وجهه بين أجنحة الأقاليم كالقمر المضيء بين الكواكب الدرية.

ألا وإن لخروجه علامات عشرة: أولها طلوع الكوكب ذي الذنب ويقارب منالحادي، وقع فيه هرج و مرج وشغب، وتلك علامات الحصب، ومن العلامة إلي العلامة

عجب، فإذا انقضت العلامات العشرة إذ ذاك يظهر منا القمر الأزهر وتمت كلمة الاخلاص لله علي التوحيد...) إلي آخر الخطبة.

عن كفاية الأثر (ص 316) والبحار (مج9 ص 157) وفي الثالث منه أيضاً (ص 171).

ضبط الألفاظ الغريبة:

جاء في تاج العروس أن (الشيصبان) اسم للشيطان،(1) والمشهور أن عدد خلفاء بني العباس كان سبعة وثلاثين، ولعله عليه السلام إنما عد منهم من استقر ملكه وامتد، لا من تزلزل سلطانه وذهب ملكه سريعاً: كالأمين، والمنتصر، والمستعين، والمعتز وأمثالهم.

(والكديد) أما كناية عن المعتر فالمراد نسبة أعوام عمره، فإن عمره حين مات كان أربعاً وعشرين سنة، فيكون ما ذكره عليه السلام عند العد علي خلاف الترتيب، أو كناية عن المقتدر، ويكون بنسبة مدة خلافته و كانت أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً، وكان ثامن عشرهم، وفي العد أيضاً العديد هو الثامن عشر.

الشرح:

من الجلي البين الذي هو بمطلع الأكمة عند الناس أن العباسيين كانت سير تهم معاكسة للدين الإسلامي، وأفعالهم مخالفة لما جاء به محمد صلي الله عليه وآله، من تغيير الأحكام الإسلامية ورفض السنن وقتل النفوس الزكية من أولاد محمد وعترته الأطهار وغيرهم من أبرار الناس وأخيارهم.

فكم من عجنت طينته بماء الوحي وغرس بماء الرسالة حتي فاح منهما مسك الهدي وعنبر التقي، جعلوا جسمه دريئة للسيوف، وحشاه طعمة للسم والحتوف.

1- تاج العروس 1: 316

جرائم بني العباس:

إليك نموذجاً مصغراً لما فعلته هذه الدولة وما ارتكبته من الجرائم الفظيعة منذ بدء حكومتها إلي انتهائها، فهذا أبو العباس السفاح (لقب بهذا اللقب لكثرة سفكه الدماء) لما تربع علي دست الخلافة وجلس علي منصة الحكم وانقادت إليه أزمة الأمور، قال المقريزي في النزاع والتخاصم: فكان أول ما فعله أن ولي ابن أخيه إبراهيم بن يحيي بن محمد بن علي بن عبد الله سنة ثلاث وثلاثين ومائة الموصل، فدخلها في اثني عشر ألفاً، فأول ما بدأ به أن دعا أهل الموصل فقتل منهم اثني عشر رجلاً، فنفر أهل البلد وحملوا السلاح، فنادي: من دخل الجامع فهو آمن، فأتاه الناس يهرعون إليه، فأقام الرجال علي أبواب الجامع وقتل الناس فيه قتلاً ذريعاً تجاوز فيه الحد وأسرف في المقدار، فيقال أنه قتل أحد عشر ألف إنسان من له خاتم، سوي من ليس في يده خاتموهم عدد كثير، بحيث لم ينج من رجال الموصل - مع كثرتهم - إلآ نحو أربعماءة رجل صدموا الجند فأفرجوا لهم، فلما كان الليل سمع صراخ النساء اللاتي قتل رجالهن، فأمر من الغد بقتلهن، فأقام رجاله ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيان، و كان في عسكره قائد معه أربعة آلاف عبد زنجي فأخذوا النساء قهراً، فلما فرغ إبراهيم من قتل الناس في اليوم الثالث ركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة فأخذت إمرأة بزمام دابته فأراد أصحابه قتلها فكفهم عنها، فقالت له: ألست من بني هاشم؟ ألست ابن رسول الله صلي الله عليه وآله؟ أما تأنف للعربيات المسلمات أن ينكحهن الزنوج؟ فلم يجبها وبعث معها من بلغها مأمنها، ثم جمع من الغد الزنوج للعطاء وقتلهم عن آخرهم، فكانت هذه فعلة لم نسمع بأقبح منها إلا ما كان من السفاح.(1) ولعمري لقد فاق فرعون في فساده وأربي عليه في عتوه وعناده، وإن السفاح بما فعله ابن أخيه قد صار يسوم أمة محمد صلي الله عليه وآله من سوء العذاب أشد وأقبح ما كان فرعون يسوم بني إسرائيل منه، فكيف بها إذا ضمت مع ما

1- النزاع والتخاصم للمقريزي: 139 - 140

حكاه البلاذري قال: كان أبو العباس – يعني السفاح – يسمع الغناء، فإذا قال للمغني: أحسنت! لم ينصرف من عنده إلا بجائزة وكسوة، فقيل له: إن الخلافة جليلة، فلو حجبت عنك من يشاهدك علي النبيذ، فاحتجب عنهم و كانت صلاته قائمة لهم، فأين هذا من هدي النبوة وسيرة أئمة الهدي فما أبعده عن هداهم، ولله در القائل:

نزلوا بمكة في قبائل نوفل *** ونزلت بالبيداء أبعد منزل

لا يفترق العباسيون عن بني أمية في شيء، لا في الظلم والقسوة، ولا في الفسوق والفجور، ولا في الاستهتار والزندقة، فالغاية واحدة عند الجميع، وهي الانتفاع والاستقلال، والمبدأ واحد وهو اللامبالاة بالدين والقيم، فالكل ركب متون الأهواء وسلك طريق الضلال، من قطع الرؤوس، ونصب المشانق، وهدم الدور علي الأحياء، وما إبراهيم وأخوه السفاح إلا كمعاوية، وما المنصور والرشيد إلا كهشام، وما المتوكل إلا كيزيد بن معاوية، فلقد عرفنا حاكمين يتخذون من القتل وسيلة لتوطيد سلطانهم، أو لحفظ الأمن بزعمهم،أما من ذكرناه من الأمويين وسنذكره من العباسيين فقد كان يقتل لا لسبب إلا بدافع من الغدر والاسراف في القتل.

حين ضاق الناس ذرعاً بالأمويين، وبلغ الاستياء ذروته من سياستهم، أرسل إبراهيم الإمام _ أخو السفاح _ أبا مسلم الخراساني إلي خراسان وقال له فيما قال: احفظ وصيتي: انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم واسكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، واتهم ربيعة في أمرهم، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار، واقتل من شككت فيه، وإن استطعت ألا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله!... (1)

وبعد أن نقل المقريزي هذا الكلام من كتاب (النزاع والتخاصم) قال معقباً: (فأين أعزك الله _ هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين العمالهم، وتالله لو توجه أبر مسلم

1- تاريخ الطبري 6: 14 – 15

إلي أرض الحرب ليغزو أهـل الشـرك بـالله لمـا جـاز أن يوصـي بهـذا، فكيف وإنما توجه إلي دار الإسـلام وقتال أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم من العرب، لينتزع من أيـديهم ما فتحه آباؤهم من أرض الشـرك، ليتخذوا مال الله دولاً، وعبيده خولاً؟! وقد عمل أبو مسـلم بوصـية إبراهيم.(1)

وأي فرق بين قول إبراهيم العباسي:واقتل من شككت فيه وقول معاوية الأموي حين كتب إلي عماله: (انظروا من اتهمتموه بموالاة أهل البيت فنكلوا به واهدموا داره).

المنصور والعلويون:

جاء في كتاب «الشيعة والحاكمون»:

كان البيت العباسي بيت جهل وخمول بعد عبد الله بن عباس، ولولا انتسابهم إلي عم الرسول لم يرد لأحد منهم ذكر في التاريخ، أما البيت العلوي فكان في جميع الأدوار بيت العلم والدين، ومهوي أفئدة المسـلمين،فمن علي أمير المؤمنين إلي ولديه الحسـين، ومنهما إلي الإمام زين العابدين، ومنه إلي الصادقين: محمد الباقر وجعفر الصادق الخ.

وكـان العباسـيون يعتزون بقرابتهم من علي بن أبي طـالب وأبنـائه سـلام الله عليهم كـاعتزازهم بـالنبي الكريم صـلي الله عليه وآله، وكـانوا يحضرون مجالس أبناء علي متأدبين متعلمين، وكان محمد بن عبد الله بن الحسن يأخذ المنصور بركابه ويسوي ثيابه علي السرج.

وحين اضـطربت أمـور بني أميـة اجتمـع بنو العبـاس وعقـدوا البيعـة لمحمـد بن عبـد الله بن الحسن، وكـان فيمن بـايعه إبراهيم والسـفاح والمنصور، وكان المنصور أشدهم حماساً لهذه البيعة، وأرسل المجتمعون إلي الإمام جعفر

1- النزاع والتخاصم: 135

الصادق عليه السلام، فلما حضر رغبوا إليه في أن يبايع محمداً، فقال: إن هذا الأمر لا يتم إلا لهذا وضرب علي ظهر السفاح – ثم لهذا– وأشار إلي المنصور – وقال لعبد الله بن الحسن: إن ولديك إبراهيم ومحمد سيقتلهما المنصور، ثم نهض وخرج من المجلس.(1) (مقاتل الطالبيين).

ولما دارت الدوائر علي الأمويين واستخلف المنصور اختفي محمد بن عبد الله بن الحسن خوفاً علي نفسه، فطلبه المنصور من أبيه وحاول قتله بكل وسيلة ليتخلص من البيعة التي في عنقه، واجتهد في البحث عنه وعن أخيه إبراهيم، ونصب العيون وبذل الأموال، فعرف مكانهما، ولم يعد أمامهما إلا الاستسلام أو الخروج، فخرج محمد في المدينة وإبراهيم في البصرة وحاربا حتي قتلا، وكان محمد عرف بصاحب النفس الزكية، وقتل معه خلق كثير من أبناء الأنصار والمهاجرين وأبناء جعفر بن أبي طالب ومن أبناء الحسين، وقتل معه الحسين وعلي ابنا زيد بن علي بن الحسين.

قال المسعودي: إن المنصور أكل عجة من مخ وسكر فاستطابها وقال: أراد إبراهيم أن يمنعني من هذا وأشباهه.

من أجل هذه العجة قتل المنصور أبناء الرسول الألوف من الأبرياء...

قال المسعودي، والمقريزي(في النزاع والتخاصم): جمع المنصور أبناء الحسن وأمر بجعل القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم وحملهم في محامل مكشوفة وبغيروطاء، تماماً كما فعل يزيد بن معاوية بعيال الحسين، ثم أودعهم مكاناً تحت الأرض لا يعرفون فيه الليل من النهار، وأشكلت أوقات الصلاة عليهم، فجزأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلون علي فراغ كل واحد من حزبه، و كانوا يقضون الحاجة الضرورية في مواضعهم، فاشتدت عليهم الرائحة وتورمت أجسادهم، ولا يزال الورم من القدم حتي يبلغ الفؤاد، فيموت صاحبه مرضاً وعطشاً وجوعاً.

1- مقاتل الطالبين: 172

وقـال ابن الأثير ج 4: دعـا المنصور محمـد بن عبـد الله العثمـاني و كـان أخاً لأبناء الحسن من أمهم، فأمر بشق ثيابه حتي بانت عورته، ثم ضرب مئة وخمسون سوطاً، وأصاب إحدي عينيه سوط فسالت علي وجهه، ثم قتله، كذا في (النزاع والتخاصم).(1)

وقـال ابن الأـثير في الصـفحة نفسـها، وأحضـر المنصور محمـد بن إبراهيم بن الحسن، وكـان أحسن النـاس صورة، فقال له: أنت الـديباج الأصغر؟ لأقتلنك قتلة لـم أقتلها أحداً، ثم أمر به فقتني عليه أسطوانة وهو حي فمات فيها!..

كـان معاويـة بن أبي سـفيان يـدفن الأحياء خنقاً تحت الأرض، وكان المنصور يقيم عليهم البناء فوق الأرض، وهـذا هو الفارق الوحيـد بين خليفـة الشام وخليفة العراق، بينالأموي والعباسـي، علي أننا لا نعرف أموياً واحداً سـجن جماعة تحت الأرض وتركهم يموت الواحد منهم بعد الآخر بين الفضلات والقذارات، ولهذا قال الشاعر:

والله ما فعلت أمنية فيهم *** معشار ما فعلت بنو العباس

وفي كتـاب (النزاع والتخـاصم) أنه كان للقاسم بن إبراهيم طباطبا ضـيعة بالمدينـة يقال لها الرس، فلم يسـمح له المنصور بالمقام بها حتي طلبه فقفز إلي السند وقال:

لـم يروه ما أراق البغي من دمنا *** في كل أرض فلم يقصر من الطلب

ولـم يطف غليلاً في حشاه سوي *** أن لا يري فوقها ابناً لبنت نبي

وكان يفر من بلد إلي بلد، يسير حافياً والدم يسيل من قدميه، ومن قوله وهو مشرد:

عسي جابر العظم الكسير بلطفه*** سيرتاح للعظم الكسير فيجير

عسي الله لا تيأس من الله إنه *** ييسر منه ما يعز ويعسر (2)

1- الكامل في التاريخ 3: 579، حوادث سنة 145ه، النزاع والتخاصم: 142 و 143

2- النزاع والتخاصم: 144

وفي كتاب (النزاع والتخاصم): أن المنصور دل امرأة ابنه المهدي وولي عهده علي بيت واستحلفها أن لا تفتحه إلا بعد وفاته بحضور زوجها، وبعد هلاكه فتحه المهدي وإذا فيه رؤوس من قتل من الطالبين وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وفيهم أطفال».

قال المقريزي: أني هذا الجور والفساد من عدل الشريعة المحمدية وسيرة أئمة الهدي ؟! أين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة من رحمة النبوة، وتالله ما هذا من الدين في شيء. بل هو من باب قول الله سبحانه: (فَهَل عَسَيتُم إن تَوَلَيتُم أن تُفسِدوُا فِي الأرضِ وتَقُطِعوا أرحامَكُم أولئِكَ الَّذينَ لَعَنهُمُ اللهُ فَأَصمَهُم وأعمي أبصارَهُم). (1)

هذا عمل من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر والكتاب المنير، وأنه أمير المؤمنين خليفة رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين ؟! وهكذا يفعل مالا تفعله الوحوش والذئاب ويتوكأ علي الأنساب.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام والمنصور:

أول من أطلق لقب الصادق علي الإمام جعفر بن محمد هو المنصور بعد أن تحقق قوله بأن المنصور سيملك بقتل محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن كما قدمنا، وكان الإمام الصادق عليه السلام في عهد المنصور يوصي شيعته ويقول لهم: عليكم بالطاعة والصمت فإنكم في سلطان من مكرهم لتزول منه الجبال. (2)

ولكن المنصور لا يرضيه الصمت من الإمام والطاعة من الشيعة مادام الناس يعتقدون بإمامته وتفضيله علي المنصور والناس أجمعين.

قال محمد الاسقنطوري: دخلت يوماً علي الدوانيقي - أي المنصور - فوجدته في فكر عميق، فقلت له: ما هذا الفكر؟

1- محمد: 22 و 23 / النزاع والتخاصم: 144

2- أمالي الطوسي: 667/ ح1398

قال: قتلت من ذريـة فاطمـة بنت محمـد ألفاً أو يزيدون، وتركت سـيدهم ومولاهم، فقلت: ومن ذلك؟ قال:قد عرفت أنك تقول بإمامته وأنه إمامي وإمامك وإمام جميع هذا الخلق، ولكن الآن أفرغ منه. (1)

وتدلنا هذه الرواية علي انتشار التشيع لعلي وأولاده حتي بين حجاب المنصور وحواشيه، بل إن الربيع وزير المنصور كان شيعياً.

كلمات تكفي الإمام الصادق عليه السلام شرَّ المنصور:

جاء في كتاب «الشيعة والحاكمون»:

لماحـج المنصور مر بالمدينـة، فقال للربيع: علي بجعفر بن محمـد! قتلني الله إن لم أقتله، فمطل به، ثم ألـح فيه فحضـر، فلما دخل همس الإمام بشـفتيه ثم تقرب وسـلم، فقال المنصور: لا سـلم الله عليك يا عـدو الله! تعمل علي الغوائل في ملكي! قتلني الله إن لم أقتلك، فقال الإمام: إن سـليمان أعطي فشـكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت علي ارث منهم وأحق بالتأسي بهم. فنكس المنصور رأسه ثم رفعه وقال: يا أبا عبـد الله أنت القريب القرابـة، وذو الرحم الواشـجة، ثم عانقه وأجلسه معه علي فراشه وأقبل عليه سائله ويحادثه، ثم قال: عجلوا لأبي عبد الله اذنه و كسوته وجائزته.

ولما خرج الإمام تبعه الربيع وقال: إني منـذ ثلاثـة أيام أدافع عنك وأداري عليك، ورأيتك إذ دخلت همست بشـفتيك، وقد انجلي الأمر، وأنا خادم سـلطان ولا غني عنه، فأحب أن تعلمنيه.. قال الإمام: قل: اللهم احرسـني بعينك التي لا تنام، واكفني بكنفك الذي لا يرام، ولا أهلك وأنت رجائي، فكم من نعمة أنعمتها علي قل عندها شـكري فلم تحرمني، وكم من بلية ابتليتني بها قل عندها صبري فلم تخذلني، اللهم بك أدرأ في نحره، وأعوذ بخيرك من شره. (2)

1- الثاقب في المناقب: 208/ ح 184، عيون المعجزات: 80

2- تاريخ دمشق لابن عساكر 18: 86 ـ 87

وكان المعلي بن خنيس من الشيعة المقربين لدي الصادق، وكان مولاه وو كيله، فكتب المنصور إلي عامله علي المدينة _ وهو داود بن عروة _ بقتله، فاستدعاه داود وقال له: اكتب أسماء الشيعة وإلا ضربت عنقك، فقال: أبالقتل تهددني؟! والله لو كان اسم أحدهم تحت قدمي ما رفعتها،فضرب عنقه وصلبه، فعز ذلك علي الإمام الصادق ودعي علي داود، وما انتهي من دعائه حتي ارتفع الصياح وجاء الخبر بهلاكه. (1)

وأيضاً كتب المنصور إلي عامله أن يحرق علي الإمام الصادق داره، ثم دس إليه السم فمات مسموماً.

قتل المنصور من أبناء علي وفاطمة ألفاً أو يزيدون باعترافه، وقتل من شيعتهم ما لا يعد ولا يحصي، وتفتن في ظلمهم، واخترع أنواعاً من القتل وألواناً من التنكيل، تماماً كما يتفتن علماء القرن العشرين باختراع الوسائل التي تخفف آلام البشرية وتيسر العسير من شؤونهم، فمن الضرب بالسياط علي الأعين حتي تسيل، إلي هدم البيوت علي الأحياء، إلي رصفهم مع الأعجاز في الجدران، إلي تسميمهم بالفضلات والقذارات، إلي ما لا نهاية.

ومهما يكن فيجب أن لا ننسي أن المنصور كان يؤمن بالله،وأنه قرابة نبي الرحمة... والحق أن المنصور أدي رسالته كحاقد علي الفضيلة وأهلها!...

وبالتالي، فإن استقرائي لسيرة الخلفاء المسلمين قد بعث في شعوراً بأن الإسلام لولا المنصور وأمثاله من الحاكمين لعم الناس أجمعين واعتنقوه تلقائياً بدون دعوة ودعاية، ولما وجد علي هذه الكرة إنسان غير مسلم.

جرائم المهدي بن المنصور:

جاء في كتاب «الشيعة والحاكمون»:

مات المنصور وقام ولده محمد الملقب بالمهدي، وبقي في الحكم من

1- الإرشاد للمفيد 2: 185

سنة ثمان وخمسين ومئة إلي سنة تسع وستين ومئة، وكان أبوه قد أتم المهمة وانتهي من تنفيذ ما أعده من خطط الاغتيال والفتك بقري الخير والصلاح، ولم ينج منه إلا إثنان: علي بن العباس بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فأخذه المهدي وسجنه، ثم دس إليه السم فتفسخ لحمه وتباينت أعضاؤه.

قصة عيسي بن زيد:

و عيسي بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، تواني من المهدي خوفاً علي نفسه، قال أبو الفرج في (مقاتل الطالبيين): كان عيسي أفضل من بقي من أهله ديناً، وعلماً، وورعاً، وزهداً، و تقشفاً، وأشدهم بصيرة في أمره ومذهبه، مع علم كثير ورواية للحديث وطلب له، صغيره وكبيره. (1)

هرب عيسي من المهدي واختبأ في دار بعض الشيعة – وهو علي بن صالح – ثم رأي أن يتخذ عملاً يعتاش منه ولا يكون كلاً علي أحد، وكان أهل الكوفة ينقلون الماء من الفرات إلي بيوتهم علي الجمال وسائر الحيوانات، فاتفق عيسي مع صاحب الجمل علي أن يستقي علي الجمل ويدفع له يوم أجراً معيناً ويتقوت هو بما يبقي، وهكذا بقي أمد طويلاً وهو متنكر، وتزوج امرأة من فقراء الكوفة لا تعرفه هي ولا أهلها.

وكان لعيسي أخ اسمه الحسين بن زيد، وله ولد يدعي يحيي، فقال يحيي يوماً لأبيه: يا أبه إني أشتهي أن أري عمي عيسي فإنه يقبح بمثلي أن لا يلقي مثله من أشياخه. فقال له: إن هذا الأمر يثقل عليه، وأخشي أن ينتقل من منزله كراهية لقائك إياه فتزعجه، فما زال يحيي يلح علي أبيه حتي طابت نفسه وقال له: اذهب إلي الكوفة فإذا بلغتها فسل عن دور بني حي،وهناك سكة تسمي كذا، وستري داراً لها باب صفته كذا، فاجلس بالقرب منها، فإنه سيقبل عليك عند المغرب كهل طويل مسنون الوجه، قد أثر السجود في جبهته، عليه

1- مقاتل الطالبيين: 269

جبة صوف، يسقي الماء علي جمل، لا يضع قدماً ولا يرفعها إلا ذكر الله ودموعه تنحدر، فقم وسلم عليه وعانقه، فإنه سيذعر منك كما يذعر من وحش، فعرفه نفسك وانتسب له، فإنه يسكن إليك ويحدثك طويلاً ويسألك عنا جميعاً ويخبرك بشأنه ولا يضجر بجلوسك معه ولا تطل عليه، ودعه فإنه سوف يستعفيك من العودة إليه، فافعل ما يأمرك به من ذلك، فإنك إن عدت إليه تواري عنك واستوحش منك وانتقل من موضعه وفيه من ذلك مشقة.

قال يحيي: ذهبت إلي الكوفة وفعلت ما أمرني به أبي، وحين عانقت عمي عيسي ذعر مني كمايذعر الوحش من الإنس، فقلت: ياعم يحيي بن الحسين بن زيد أنا ابن أخيك، فضمني إليه وبكي، ثم أناخ جمله وجلس معي فجعل يسألني عن أهله رجلاً رجلاً وامرأة امرأة وصبياً صبياً، وأنا أشرح له أخبارهم وهو يبكي، ثم قال: يا بني أنا أستقي علي هذا الجمل الماء فأصرف ما اكتسب من أجرة الجمل إلي صاحبه وأتقوت باقيه، وربما عاقني عائق عن استقاء الماء فأخرج إلي البرية فألتقط ما يرمي الناس به من البقول فأتقوته.

وقد تزوجت إلي رجل ابنته وهو لا يعلم من أنا إلي وقتي هذا، فولدت مني بنتاً فنشأت وبلغت وهي أيضاً لا تعرفني ولا تدري من أنا، فقالت لي أمها: زوج ابنتك بابن فلان السقاء وهو رجل من جيراننا فإنه أيسر منا وقد خطبها، وألحت علي فلم أزل أستكفي الله أمرها حتي ماتت البنت بعد أيام، فلم أجدني آسي علي شيء من الدنياأساي علي أنها ماتت ولم تعلم بموضعها من رسول الله صلي الله عليه وآله. قال يحيي: ثم أقسم علي عمي أن انصرف ولا أعود إليه وودعني. (1)

هذه أمثولة تعبر عن منهج حكومات الجور والظلم: يعاني فيها الطيبون الأخيار ضروب الفواجع والشقاء، ويعيش فيها الخونة والجهلاء آمنين مترفين يجدون كل عون وحماية!.. إن البلد الطيب الأمين يحمل القريب والغريب، وتفيض خيراته علي

1- مقاتل الطالبيين: 270 - 271

المواطنين والمهاجرين علي السواء، أما البلـد الخبيث بحكامه وقادته فهو شـر وبلاء علي العلماء والأبرياء، ونعمـة ورخاء علي أهل الجهل والأدعياء.

لم يسـتطع عيسـي بن زيد بن علي بن الحسـين بن علي وفاطمة بنت رسول الله، لم يسـتطع هذا العالم المخلص المحدث الورع الزاهد أن يظهر نفسه في بلـد الإسـلام، وحاكمه خليفـة المسـلمين، وعاش خائفاً مسـتتراً يخـدم الناس وينقل الماء إلي البيوت بأجر زهيد، عاش ابن رسول الله في خلافـة المهـدي يلتقط ما يرمي به الناس من قشور الخضار والفاكهـة يتقوته هو وزوجته وابنته التي كبرت ثم ماتت ولم تعرف مكانها من رسول الله، عاش مشـرداً متنكراً ينفر من الإنس كما ينفر من الوحش، لا لشـيء إلا أنه عالم زاهـد يعرف الحق ويعمل به. وعاش المختتون والعاثرات وأهل الفسق والفجور في دعة وأمان، تسهل لهم الأمور، وتغدق عليهم الأموال.

قال المسعودي: بسط المهدي يده في العطاء فأذهب جميع ما خلفهالمنصور، و كان 16 مليون درهم و 14 مليون دينار.

و قال لي بعض أساتذة الفلسـفة في القاهرة: إن الشـيعة يقولون بالتقية. قلت: لعن الله من أحوجهم إليها، لقد خرج موسـي الكليم من مصر خائفاً يترقب وقال: (ربِّ نَجِّني مِنَ القَّومِ الظَّالمينَ) (1) وقال النبي صلي الله عليه وآله : «بئس القوم قوم يعيش المؤمن من بينهم بالتقية»(2) إنكم تنادون بحرية الرأي والعقيدة، ثم إذا رأيتم مظلوماً سكت عن رأيه خوفاً من حكام الجور نعيتم علي المظلوم وسكتم عن الظالم، وصدق من قال: ما اختلف الناس ولكن اطرد القياس».

المهدي ويعقوب بن داود بن طهمان:

استعمل المهدي يعقوب بن داود بن طهمان حتي استوزره وفوض إليه أمر الخلافة، وكان يعقوب ممن له الميل في محبة علي وذريته.

1- القصص:21

2- الجامع الصغير للسيوطي 1: 491ح 3186

قال الطبري محمد بن جرير في (تاريخ الأمم والملوك): كان المهدي يجلس عنده مواليه وأصحابه فيشربون النبيذ، و كان يعقوب يعظه في سقيهم النبيذ وفي السماع، قال يعقوب: كنت أعظه وأقول له:إنه ليس علي هذا استوزرتني ولا علي هذاصحبتك، أبعد الصلوات الخمس في المسجد يشرب عندك النبيذ وتسمع السماع،وليتني أمور المسلمين وإعطاء الجند، وليس دنياك عوضاً من آخرتي، قال فكان يقول لي:اللهم غفراً، اللهم أصلح قليه، فقال له شاعره:

فدع عنك يعقوب بن داود جانباً ***وأقبل علي صهباء طيبة النشر(1)

وكان يعقوب سمحاً جواداً كثير البر واصطناع المعروف، جاءته امرأة من اليمامة جعدية مملوكة لبني جعدة يقال لها وحشية، قد كاتبت علي ولدها وأخيها وأهل بيتها بألف دينار، فوقفت بين يديه فقالت:

أما ومعلم التوراة موسي *** ومرسي البيت في حرم الإلال

و باعث أحمد فينا رسولاً *** فعلمنا الحرام من الحلال

لشهراً نحو يعقوب سرينا *** فأذاني له وقت الهلال

أغثني با فداك أبي وأمي *** وعمي لا أحاشيه وخالي

يبشرني بنجحي كل طير *** جرت لي عن يميني أو شمالي

فقال لها: صدقت طيرك، فأعطاها ألف دينار وقال: ارحلي فاشتري أهلك وولدك وأقدميهم، ففعلت، فما زالت في عيال يعقوب هي وأهلها أجمعون حتي ماتت.(2)

روي الطبري عن إبراهيم المسعودي: قال المهدي: وصف لي يعقوب بن داود في منامي فقيل لي أن اتخذه وزيراً، فلما رآه قال: هذه والله الخلقة التي رأيتها في منامي، فاتخذه وزيراً وما زال يقربه ودنيه حتي غلب علي أمره، فقال بشار يهجي المهدي:

1- تاريخ الطبري 6: 386

2- تاريخ بغداد 14: 264

بني أمية هبوا طال نومكم *** إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا *** خليفة الله بين الدف والعود (1)

فجعلت السعاة تسعي إلي المهدي ويحسنون له عزله وقتله، وكانوا يخلون بالمهدي ليلاً فيقولون له بعد أن يشددوا علي يعقوب وينصرفوا عنه علي أن يصبح فيثور بيعقوب، فإذا أصبح غدا عليه يعقوب وقد بلغه الخبر، فإذا نظر إليه المهدي تبسم، فجاء رجل إلي السعاة وقال لهم: أنا أعرف الطريق الذي أقتله به، ثم جاء المهدي وقال: إن هذا يقتلك، قال: يقتلني؟ قال نعم: لأنه خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن علي أبيك المنصور وقد حبسه أبوك، وإنه علوي الرأي وسيقتلك ويعطي الخلافة العلويين، فإن كنت تكذبني فادفع إليه أحد العلويين ليقتله، فإن قتله فهو منك وإلا فصدقني فيما قلت. قال: نعم ما جئت به من الرأي

قال يعقوب: بعث إلي المهدي يوماً فدخلت عليه، فإذا هو في مجلس مفروش بفرش مورد متناه في السرور، علي بستان فيه شجر، ورؤس الشجر علي صحن المجلس، وقد اكتسي ذلك الشجر بالأوراد والأزهار من الخوخ والتفاح، فكل ذلك مورد يشبه المجلس الذي كان فيه، فما رأيت شيئا أحسن منه، وإذا عنده جارية ما رأيت أحسن منها ولا أشط قواماً ولا أحسن اعتدالاً، عليها نحو تلك الثياب، فما رأيت أحسن من جملة ذلك، فقال لي: يعقوب، قلت: بلي. قال: كيف تري مجلسنا هذا؟ قلت: يا أمير ما هذا إلا من موجدة، وأنا أستعيذ بالله من سخط الأمير، قال: لا، ولكن أحب أن تضمن لي قضاء هذه الحاجة وأن تقضيها لي، فقلت: الأمر للأمير وعلي السمع والطاعة، قال: والله ؟ قلت: والله ثلاثاً، قال: وحياة رأسي؟ قلت: وحياة رأسك، قال: فضع يدك عليه واحلف به، قال: فوضعت يدي عليه وحلفت له به لأعملن بما قال ولأقضين حاجته، قال: فلما استوثق مني في نفسه قال: هذا فلان بن فلان من ولد علي، أحب أن تكفيني مؤونته وتريحني منه وتعجل ذلك، قال: قلت أفعل، قال: فخذه إليك، فحولته إلي وحولت الجارية وجميع ما

1- تاريخ الطبري 6: 382 - 383

كـان في البيت من فرش وغير ذلك، وأمر لي معه بمائـة ألف درهم، قال: فحملت جله ومضـيت به، فلشـدة سـروري بالجاريـة صـيرتها في مجلس بيني وبينها ستر، وبعثت إلي العلوي فأدخلته علي نفسـي وسألته عن حاله فأخبرني بها وبمجمل منها، وإذا هو ألب الناس وأحسنهم إباءة، قال: وقال لي في بعض ما يقول: ويحك يا يعقوب، تلقي الله تعالي بـدمي وأنا رجل من ولـد فاطمـة بنت محمد؟ قال: قلت: لا والله، فهل فيك خير؟ قال: نعم إن فعلت خيراً شـكرتك ولك عنـدي دعاء واسـتغفار، قال: فقلت له: أي الطرق أحب إليك؟ قال: طريق كذا و كذا الـذي اتفقوا عليه في وقت كـذا وكـذا من الليل، فقلت له: إذاً احمل معك هـذا المال واسـلك الطريق، وإذا بالجاريـة قد حفظت علي قولي فبعثت به مع خادم لها إلي المهـدي وقالت: هـذا جزاؤك من الـذي آثرته علي نفسك وفعل كذا وكذا حتي ساقت الحديث كله، قال: وبعث المهـدي من وقته ذلـك فشـحن ذلـك الطريق الـذي وصـفة العلوي برجـاله، فلم يلبث أن جاؤه بالعلوي والمال علي السـجية التي حكتها الجاريـة، قال: وأصـبحت من غـد ذلك اليوم فإذا برسول المهدي يستحضـرني، وكنت خالي الذرع غير ملقي إلي أمر العلوي، فدخلت علي المهـدي فوجدته علي كرسـي بيده مخصـرة، فقال: يعقوب، قلت: نعم، قال: ما حال الرجل العلوي؟ قلت: يا أمير قد أراحك الله منه، قال: مات؟ قلت: نعم، قال: والله ؟ قلت: والله، قال: قم فضع يدك علي رأسـي، قال: فوضعت يدي علي رأسه وحلفت له به، فقال: يا غلام أخرج إلينا ما في هذا البيت، ففتح بابه عن العلوي، قال: فبقيت متحيراً وسقط في يدي وامتنع مني الكلام فما أدري ما أقول، فقال لي المهدي: لقد حل لي دمك لو آثرت إراقته، ولكن احبسوه في المطبق ولا أذكر به، فحبست في المطبق، واتخـذ لي فيه بئراً فـديت فيها، فكنت كذلك أطول مدة لا أعرف عدد الأيام، حتي طالت شـعري واسترسل كهيئة شعور البهائم، فمكثت خمسة عشر سنة و كان يدلي إلي في كل يوم رغيف و كوز من ماء وأؤذن بأوقات الصلاة، فلما كان في رأس ثلاث عشرة سنة أتاني آت في منامي فقال:

حنا علي يوسف رب فأخرجه *** من قصر جب وبيت حوله غمم

فحمدت الله لما سمعته وقلت: أتي الفرج، ثم مكثت حولاً لا أري شيئاً،فلما كان رأس الحول أتاني ذلك الآتي فقال لي:

عسي فرج يأتي به الله إنه *** له كل يوم في خليقته أمر

ثم أقمت حولاً لا أري شيئاً، فلما كان آخر الحول أتاني أيضاً ذلك الآتي فقال:

عسي الأمر الذي أمسيت فيه *** يكون وراءه فرجٌ قريبٌ

فيأمن خائف ويفك عانٍ*** ويأتي أهله النائي الغريب

قال: فلما أصبحت نوديت، فظننت أني أوذن بالصلاة، فدلي لي حبل أسود وقيل لي: أشدد به وسطك، ففعلت فأخرجوني، فلما قابلت الضوء غشي بصري، فانطلقوا بي فأدخلت علي الرشيد فقيل لي: سلم علي أمير المؤمنين، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته المهدي، قال: لست به، قلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الهادي، قال: لست به، قلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الرشيد، فقال الرشيد: وعليك السلام فأنا الرشيد، يا يعقوب بن داود، إنه والله ماشفع فيك إلي أحد، غير أني حملت الليلة صبية لي علي عنقي فذكرت حملك إياي علي عنقك، فرثيت لك من المحل الذي كنت به، فأخرجتك، فسل حاجتك، قال: قلت: المقام بمكة، ففعل الرشيد ذلك، ثم قال: فهل غير هذا؟ فقلت: ما بقي مستمع لشيء ولا بلاغ، قال: فراشداً، فخرجت فكان وجهي إلي مكة، ثم لم يزل بمكة ولم تطل أيامه بها حتي مات رحمه الله. (1)

الهادي العباسي

جاء في كتاب (الشيعة والحاكمون): توفي المهدي وبويع موسي

1- تاريخ الطبري6 : 384 - 386

الملقب بالهادي، قال المسعودي: كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، وكان قسي القلب شرس الأخلاق. وفي عهده كان علي المدينة رجل من ولد عمر بن الخطاب اسمه عبد العزيز، فتحامل علي الطالبيين وأساء إليهم وسامهم صنوف العذاب، فحجر عليهم أن يخرجوا من المدينة، وطالبهم أن يثبتوا وجودهم ويعرضوا عليه أنفسهم كل يوم، وكان يلصق بهم تهمة معاقرة الخمرة زوراً وبهتاناً، ويقيم عليهم الحد ويشهر بهم، وأرسل يوماً في طلب الحسين بن علي بن الحسن وأسمعه كلاماً قاسياً وتهدده وتوعده مما أدي إلي خروجه، فقل هو وأكثر من كان معه بمكان يسمي فخ علي بعد ستة أميال من مكة المكرمة، وأقام القتلي ثلاثة أيام لم يواروا حتي أكلتهم السباع والطير، ومن أسر منهم قتل صبراً، عن مروج الذهب للمسعودي.

وبالرغم من قصر أيامه فقد استطاع أن يقوم بعمل تاريخي ويسجل اسمه مع جلادي الشعوب وقتلة أولاد الأنبياء.

قال الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: إن أم الحسين صاحب فخ هي زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قتل المنصور أباها وأخوتها وعمومتها وزوجها علي بن الحسن، ثم قتل الهادي حفيد المنصور ابنها الحسين، و كانت تلبس المسوح علي جسدها، لا تجعل بينها وبينه شيئا حتي لحقت بالله عزوجل. (1)

هارون الرشيد

جاء في كتاب (الشيعة والحاكمون): تولي الرشيد الحكم بعد أخيه الهادي سنة سبعين ومئة، ومات سنة ثلاث وتسعين ومئة، ولم يشتهر أحد من العباسيين شهرة الرشيدو ابنه المأمون، فلقد كانا من أعظم ملوك العالم شأناً وأسماهم مكانة، ولم يبرهما عباسي ولا أموي في تشجيع العلوم والآداب،

1- مقاتل الطالبين: 285

ولعبت قصص ألف ليلة وليلة دوراً كبيراً في شهرة هارون الرشيد، وألبسته أساطيرها ثوبا مضافاً من العظمة والجلال، أما شهرته في إدارة الملك وما إليها من بناء المساجد والكليات والمستشفيات والمنازل والقناطر والطرق المعبدة وشبكة الجداول، أما هذه الادارة والأعمال فتعزي إلي مهارة البرامكة الذين وكل إليهم مهام الدولة خلال السبع عشرة سنة. وكانت مقدرة هذه الأسرة ونزاهتها وإخلاصها السبب الوحيد لهلاكها وإنزال النكبة بها علي يد الرشيد المعروفة بنكبة البرامكة، أما قصة العباسة وجعفر البرمكي وحملها منه سراً فإنها من نسج الخيال للتغطية وتبرير الظلم والتنكيل.

قال صاحب شافية أبي فراس نقلاً عن كتاب (ثمرات الأوراق): إن الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان و الشطرنج والنرد، أما سياسته مع العلويين وشيعتهم فتدل الأرقام أنه كان مصمماً علي أن لا يبقي منهم علي الأرض دياراً، ونذكر فيما يلي طرفاً منها:

ستون شهيداً:

جاء في كتاب (عيون أخبار الرضا): إن حميد بن قحطبة الطائي الطوسي قال:

طلبني الرشيد في بعض الليل وقال لي فيما قال: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به الخادم، فجاء بي الخادم إلي دار مغلقة ففتحها وإذا فيها ثلاثة بيوت وبئر، ففتح البيت الأول وأخرج منه عشرين نفساً عليهم الشعور والذوائب، وفيهم الشيوخ والكهول والشبان، وهم مقيدون بالسلاسل والأغلال، وقال لي: يقول لك أمير المؤمنين: اقتل هؤلاء، وكانوا كلهم من ولد علي وفاطمة، فقتلتهم الواحد بعد الواحد والخادم يرمي بأجسادهم ورؤوسهم في البئر، ثمّ فتح البيت الثاني وإذا فيه أيضاً عشرون من نسل علي وفاطمة، وكان مصيرهم كمصير الذين كانوا في البيت الأول، ثم فتح البيت الثالث وإذا فيه عشرون،فألحقهم بمن مضي، وبقي منهم شيخ وهو الأخير فقال: تباً لك يا ميشوم أي

عذر لك يوم القيامة عند جدنا رسول الله !.. فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي، فنظر إلي الخادم مغضباً وهددني، فقتلت الشيخ ورمي به في البئر! .. (1)

الأسطوانات:

نقل صاحب (مقاتل الطالبيين) عن إبراهيم بن رياح أن الرشيد حين ظفر بيحيي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بني عليه أسطوانة وهو حي، وقدورث الرشيد طريقة البناء علي الأحياء من جده المنصور. (2)

قال صاحب عيون (أخبار الرضا): لما بني المنصور الأبنية ببغداد جعل يطلب العلوية طلباً شديداً ويضع من ظفر به منهم في الأسطوانات المجوفة المبنية من الجص والآجر، فظفر ذات يوم بغلام منهم حسن الوجه وله شعر أسود وهو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب، فسلمه إلي الباني الذي كان يبني له وأمره أن يجعله جوف أسطوانة ويبني عليه، ووكل عليه من يراعي ذلك، وحين أراد الباني أن يدخله حياً في الاسطوانة أخذته الرقة والرحمة، فترك في الأسطوانة فرجة يدخل منها الريح، وقال للغلام: لا بأس عليك، فاصبر فإني سأخرجك في جوف الليل إذا جن.

ولما دخل الليل أتاه وأخرجه من الاسطوانة وقال له: اتق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي، وغيب شخصك فإني أخرجتك خوفاً أن يكون جدك خصمي يوم القيامة، قال له الغلام: سأفعل ولكن لي أم، وهي في مكان كذا فاذهب إليها وعرفها أني قد نجوت وأن عودي إليها غير ممكن، قال الباني: ذهبت إلي الموضع الذي دلني عليه فسمعت دوياً كدوي النحل من البكاء فعلمت أنها أمه، فدنوت منها وعفتها الخبر وأعطيتها شيئاً من شعره وانصرفت. (3)

1- عيون أخبار الرضا 1: 108؛ بحار الأنوار 48: 176- 178

2- انظر مقاتل الطالبين: 319 - 320

3- عيون أخبار الرضا 2: 102

يحيي والرشيد:

ولما اشتد الرشيد علي العلويين خرج عليه يحيي بن عبد الله بن الحسن بالديلم. قال ابن الأثير في الجزء الخامس من الكامل، والاصفهاني في مقاتل الطالبيين ما ملخصه، أن يحيي استتر مدة يجول في البلدان ويطلب موضعاً يلجأ إليه حتي بلغ الديلم، وقد ظهر هناك واشتدت شوكته وأتاه الناس من الأمصار، فانتدب إليه الرشيد الفضل بن يحيي في خمسين ألف مقاتل، فراسل الفضل يحبي في الصلح فأجابه إليه لما رأي من تفرق أصحابه وخلافهم عليه، واشترط يحيي أن يكتب له الرشيد أماناً بخطه يشهد عليه القضاة والفقهاء وجلة بني هاشم ومشايخهم، فكتب الرشيد الأمان علي مارسم يحيي، و أشهد الشهود الذين التمسهم، وجعل الأمان علي نسختين: إحداهما مع يحيي والأخري مع الرشيد.

وحين قدم يحيي علي الرشيد أكرمه وأجازه بمئتي ألف دينار وخلع وغيرها، ولكن الرشيد لم يذهب ما في نفسه وقال له يوماً: أينا أقرب إلي رسول الله أنا أو أنت؟ قال: أعفني، قال: لابد من الجواب، فقال له يحيي: لوعاش رسول الله وخطب ابنتك أكنت تزوجه؟ قال: أي والله، قال يحيي: لو عاش رسول الله فخطب إلي أكان يحل لي أن أزوجه؟ قال الرشيد: لا، فقال يحيي: هذا جواب ما سألت، فغضب الرشيد وقام من مجلسه.

شيوخ السوء :

أراد الرشيد أن يغدر بيحيي وينقض العهد الذي خطه بيمينه وأشهد فيه علي نفسه فلم يجد مبرراً ولا عذراً يعتذر به، فأمسك وسكت علي مضض، وأخيراً فقد الصبر فالتجأ إلي شيخ من شيوخ السوء الذين يبيعون العلل والحيل ويتسابقون إلي عرضها علي من يدفع الثمن، تماماً كما يفعل البزاز والبقال والفحام، فأتاه الشيخ أبو البختري وهب بن

وهب بأن هذا العهد باطل منتقض، وأن يحيي يحل قتله ودمه، وأخذ العهد ومزقه، فأعطاه مليون و ستمئة ألف، وولاه القضاء.

وإستناداً إلي هذه الفتوي أخذ الرشيد يحيي وضربه مئة عصا، ويحيي يناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله، ثم زجه في سجن مظلم، وفي اليوم الثاني أحضره وضربه مئة عصا، ثم رده إلي السجن وضيق عليه من الطعام والشراب، و أخيراً بني عليه أسطوانة وهو حي حتي مات. (1)

والشيخ أبو البختري موجود في كل عصر، في عصر الرشيد وقبله وبعده، جاء في حاشية الكامل لابن الأثير (ج 4 ص 191 طبعة 1357 ه): إن يزيد صاحب حبابة وسلامة القس شهد له أربعون شيخاً أنه ما علي الخلفاء من حساب ولا عذاب، وإني لأعرف اليوم شيوخاً بأسمائهم وسيماهم ناصروا أمثال الرشيد ويزيد في الفسق والفجور ضد من أوقف نفسه لله وسهر الليل لتأييد دين الله والذب عن أولياء الله.

الإمام الكاظم عليه السلام والرشيد :

جاء في القران الكريم أن الأئمة علي نوعين: أئمة حق وهداية، وأئمة باطل و غواية، قال الله تعالي: (وَجَعَلناهُم أئمَةً يَهدُونَ بِأَمرِنا وأَوحَينَا إليهِم فِعلَ الخَيراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدينَ). (2)

وهذه هي صفات علي والأئمة من ولده.

وقال سبحانه (وجَعَلناهُم أئمةً يَدعُونَ إلي النّارِ ويَومَ القيامَةِ لايُنصَرُونَ) . (3)

وهذه صفات الرشيد وأسلافه الأمويين والعباسيين، ومن هنا كان الصراع بين الكاظم والرشيد حقيقي وواقعي. إمام يدعو إلي الله وجنته، وإمام يدعو إلي

1- انظر مقاتل الطالبيين: 318 - 320

2- الأنبياء: 73

3- القصص: 41

الشيطان وغوايته، فكيف يجتمعان؟! أما المجاملة والابتسام فرماد وتحته نار مادام القلب يرتعد من الكراهية والبغضاء. وإليك هذه القصة:

جاء في عيون أخبار الرضا: أن المأمون قال: ما زلت أحب أهل البيت وأظهر للرشيد بغضهم تقرباً إليه، فلما حج الرشيد كنت معه، ولما كان بالمدينة دخل عليه الإمام موسي بن جعفر فأكرمه وجثي علي ركبته، وعانقه يسأله عن حاله وعياله، ولما قام الإمام نهض الرشيد وودعه بإجلال واحترام، فلما خرج سألت أبي وقلت له: من هذا الذي فعلت معه شيئاً لم تفعله بأحد سواه؟ فقال لي هذا وارث علم النبيين، هذا موسي بن جعفر، فإن أردت العلم الصحيح فعند هذا . (1)

عانق الإمام وأكرمه وجلس متأدباً بين يديه وشهد له بأنه وارث علم النبيين، ولكن أي جدوي بهذه الشهادة وذلك الإكرام مادام يدعو إلي الجنة، والرشيد يدعو إلي النار؟! إن علم النبيين لم يشفع للإمام عند الرشيد حين رأي من حب الناس له وتعلقهم به ما رأي، فاستعرت في قلبه نيران الحقد وسيطرة عليه الأنانية، فقتل من أبناء النبيين ما لا يبلغه الاحصاء...

وما ذنب الإمام الكاظم إذا أحب الناس العلم وأهله، والحق ومن انتصر له ؟!.. وهل يجب عليه أن يكون جاهلاً مختثاً مستهتراً حتي يرضي الرشيد عنه كما رضي عن مخارق وأمثاله؟! وإذا كان لك عدو لا يرضيه إلا موتك، فهل تقتل نفسك وتنتحر حتيلا يغضب عليك؟!.. إن الإمام الكاظم لم يخرج علي حاكم ولا دعا أحداً إلي مبايعته، ولم يحرك ساكناً ضد الرشيد ولا غيره، وكل ذنبه أنه وارث علم النبيين، وأنه إمام حق وهدي، والرشيد إمام باطل وضلال.

أرسل الرشيد جلاوزته إلي الإمام موسي بن جعفر، وكان يتعبد عند قبر جده، فأخرجوه منه وقيدوه، وأرسله الرشيد إلي البصرة، و كان عليها عيسي بن

1- عيون أخبار الرضا 1: 87/ ح 12

جعفر بن المنصور، فحبسه عنده سنة، ثم كتب عيسي إلي الرشيد أن خذه مني وسلمه إلي من شئت وإلا خليت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما قدرت علي ذلك، فحبسه ببغداد عند الفضل بن الربيع، ثم عند الفضل بن يحيي، ثم عند السندي بن شاهك وأخيراً تخلص منه بالسم، وقيل أن السندي لفه في بساط وقعد الفراشون علي وجهه فانتقل إلي ربه خنقاً.

الإمام الرضا عليه السلام والرشيد؛

قال السيد الأمين في كتاب أعيان الشيعة (مج 1 ص60 الطبعة الأولي): بعد حياة الإمام الكاظم أرسل الرشيد أحد قواده إلي المدينة – وهو الجلودي – وأمره أن يهجم علي دور آل أبي طالب ويسلب نساءهم ولا يدع علي واحدة منهن إلآ ثوباً واحداً فامتثل الجلودي حتي وصل إلي دار الإمام الرضا، فجعل الإمام النساء كلهن في بيت واحد ووقف علي باب البيت، فقال الجلودي: لا بد من دخول البيت وسلب النساء، فتوسل إليه وحلف له أنه ياتيه بكل ما عليهن من حلي وحلل علي أن يبقي الجلودي مكانه، ولم يزل يلاطفه حتي أقنعه، ودخل الإمام وأخذ جميع ما علي النساء من ثياب ومصاغ وجميع ما في الدار من أثاث وسلمه إلي الجلودي فحمله إلي الرشيد، وحين ملك المأمون غضب علي هذا الجلودي وأراد قتله، وكان الإمام الرضا حاضراً، فطلب من المأمون أن يعفو عنه ويهبه له، فظن الجلودي أن الإمام يحرض المأمون علي قتله لما سبق من إساءته، فقال الجلودي للمأمون: أسالك بالله أن لا تقبل قوله في، فقال المأمون والله لا أقبل قوله فيك، اضربوا عنقه، فضربت. وهناك مظالم أخري للرشيد مع العلويين وشيعتهم نتركها خوف الاطالة، ولأن الشاهد يدل علي الغائب، وهو كاف واف للتعبير عن حقيقة الرشيد وسياسته.

الأمين:

جاء في كتاب (الشيعة والحاكمون): مات هارون الرشيد بطوس سنة ثلاث

ص: 92

وتسـعين ومئة وفيها بويع لابنه الأمين، ودامت خلافة الرشـيد ثلاثاً وعشـرين سنةو شهراً،و كانت خلافة الأمين أربع سنين وأشهر. وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: كانت سـيرة الأمين في أمر آل أبي طالب خلاف من تقـدم، لتشاغله بما كان فيه من اللهو والادمان له، ثم الحرب بينه وبين المأمون حتي قتل، فلم يحدث علي أحد منهم – أي من آل أبي طالب في أيامه حدث بوجه ولا سبب. (1)

المأمون :

قتل المأمون أخاه الأمين واسـتقام الأمر وانبسط التشـيع في عهده وعهد أبيه، وانتشـر في كل بقعة من بقع الإسلام، حتي امتدت جذوره إلي البلاط الملكي، فكان الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير المأمون شيعياً، وطاهر بن الحسين الخزاعي قائد المأمون الذي فتح له بغداد وقتل أخاه الأمين شـيعياً، وكثير سواهما، حتي أن المأمون خشي عاقبة هذين فقتل الفضل وولي طاهراً إمارة هرات، أي عزله من قيادة الجيش إلي وظيفة أدني، و كانت الطاهرية كلها تتشيع، كما قال ابن الأثير في حوادث عام 350.

وقد ساعد إمعان السـلطة في الفساد والمظالم علي هذا الانتشار، فكلما أمعن الحاكمون في الجور كلما تحرك ساكن الأمة وازداد تمسـكها بأهل البيت الطاهر، ونتـج عن قتل كل واحد منهم اعتناق الألوف لمذهب التشـيع، وحسـبك دليلاً علي ذلك أن السـندي بن شاهك خادم الرشـيد حين سـقي الإمام الكاظم السم دعا ثمانين رجلاً من الفقهاء والوجهاء وأدخلهم علي الإمام وقال لهم: انظروا هل حدث به حدث، فإن الناس يزعمون أنه فعل به مكروه، لقد خاف الرشـيد من الرأي العام والناس، لا من الله، فدعاهم إلي النظر ليشهدوا علي أنه لا جرح ولا ضرب ولا أي أثر للقتل، ثم وضعت جنازة الإمام علي الجسر ببغداد حيث يقيم أكثر الشيعة ونودي عليه: هذا موسي بن جعفر قد مات

1- مقاتل الطالبيين: 338

فانظروا إليه، فهاج الشيعة وكادت الفتنة تقع، فتداركها سليمان بن جعفر عم الرشيد، فأخذ الجنازة من الشرطة وشيعها بموكب حافل، ومشي حافياً حاسراً، لا حباً للإمام ولا صلة للرحم كما زعم، بل خوفاً من الثورة علي ابن أخيه هارون وسلطان العباسيين.

ولما جاء المأمون إلي الحكم ورأي ما رأي من كثرة الشيعة وإقبال الناس علي الإمام الرضا ونقمتهم علي أبيه والحاكمين من أسلافه، حاول أن يداهن ويستميل الرأي العام، فأظهر التشيع كذباً ونفاقاً، وأخذ يدافع ويناظر عن إمامة علي أمير المؤمنين وأنه أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر، وهو لا ـ يؤمن بشيء إلا ـ بتثبيت ملكه وتوطيد سلطانه، والغريب أن حيل المأمون قد انطلت علي كثير من الشيعة، فظنوا به خيراً، والحقيقة أن الرشيد والمأمون بنيا علي أساس واحد وهو الاحتفاظ بالسلطة وإن اختلف شكل البناء، فلقد دس الرشيد السم إلي الإمام الكاظم، ودس المأمون السم للإمام الرضا، ولكن المأمون كان قد استفاد من أخطاء أبيه الرشيد الذي جاهر بالعداء لأهل البيت وسجن الإمام علناً ثم اغتاله بأسلوب يدينه وثبت عليه التبعات، ويثير السخط والاستياء، استفاد المأمون من أخطاء أبيه فأحكم الخطط لإخفاء جرائمه ومآثمة، وقصّته مع الإمام الرضا عليه السلام تدل علي ذلك بوضوح، وهذه خلاصتها:

الإمام الرضا عليه السلام والمأمون :

كان الإمام علي بن موسي بن جعفر عليه السلام خيربني آدم في عصره علي الاطلاق، وأعظم منزلة عند الله والناس، نقل المؤرخون وأهل السيرأن الإمام الرضا كان إذا مر ببلد ازدحم خاصة الناس وعامتهم في الطرقات، وأخذ الفقهاء والعلماء بركابه ولجام دابته، يسألونه أن يفيض عليهم من علمه ويحدثهم عن آبائه كما حصل لهحين مر بنيشابور. وخرج في أحد الأعياد للصلاة فامتلأت الطرقات والسطوح بالرجال والنساءوالصبيان، ولما بلغ الجادة رفع رأسه إلي

السماء وكبر فخيل إلي الناس أن الهواء والحيطان والأرض والسماء تجاوبه، وضجوا بالبكاء والصياح، وبلغ المأمون ذلك، فقال الفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلي علي هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأي أن تسأله الرجوع، فبعث إليه المأمون يسأله أن يرجع، فرجع.

وقد حاول المأمون أن يحط من قدر الرضا عند الناس ويظهر لهم أنه ما زهد في الدنيا إلا بعد أن زهدت فيه وامتنعت عنه، ولو وجد السبيل إليها لتقبلها بغبطة وسرور.

في المجلد 12 من الوسائل ص 147 أن المأمون اجتمع مع الرضا فقال له: يا ابن رسول الله قد عرفت فضلك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة مني، فقال الرضا عليه السلام : بالعبودية لله عزوجل أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنياء وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، و بالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزوجل فقال له المأمون: فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك، فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله لا بد لك من قبول هذا الأمر، فقال: لست أفعل ذلك طائعاً أبداً، فما زال يجهد به أياماً حتي يئس من قبوله، فقال: إن لم تقبل الخلافة ولم تحب مبايعتي لك، فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي، فقال الرضا عليه السلام: والله لقد حدثني أبي عن آبائه، عن أمير المؤمنين، عن رسول الله صلي الله عليه و آله أني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسم مظلوماً، تبكي علي ملائكة السماءوالأرض، وأدفن في أرض غربة إلي جنب هارون الرشيد، فبكي المأمون وقال: يا ابن رسول الله ومن الذي يقتلك أو يقدر علي الإسائة إليك وأنا حي؟ فقال الرضا عليه السلام: أما أني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت، فقال المأمون: يا ابن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك ليقول الناس أنك زاهد في الدنيا، فقال له الرضا عليه السلام: والله ما

كـذبت منـذ خلقني الله عزوجل، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإني لأعلم ما تريد، فقال المأمون: وما أريد؟ قال: الأمان علي الصدق، قال: لك الأمان، قال: تريد أن يقول الناس أن علي بن موسـي الرضا لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، أما ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافـة؟ قـال: فغضب المـأمون ثم قـال: إنك تتلقاني أبـداً بما أكرهه، وقـد أمنت سـطوتي، فبالله أقسم لئن لم تقبل ولايـة العهـد وإلا أجبرتك علي ذلك، فإن لم تفعل وإلا ضـربت عنقك، فقال الرضا عليه السلام: قد نهاني الله أن ألقي بيدي التهلكة، فإن كان الأمر علي هذا فأفعل ما بـدا لك، وإنما أقبل ذلك علي أن لا أولي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقض رسـماً ولا سـنة، وأكون في الأمر من بعيد مشـيراً. فرضـي بذلك منه وجعله ولي عهده علي كراهية منه عليه السلام لذلك».

وبالتـالي فـإن موقف المـأمون من الإمـام الرضـا كموقف أبيه الرشـيد من الإمام الكاظم وموقف جـده المنصور من الإمام الصادق وموقف معاويـة بن أبي سـفيان من الإمـام الحسن، لقـد هـانت دمـاء الأبرياء والأولياء علي حكام الجور من أجل الملك، وهانت علي المصـلحين نفوسهم في سبيل الحق، ولذا نوالي هؤلاء، ونبرأ من أولئك.

المتوكل وعداؤه لأهل البيت عليه السلام:

في كتاب (الشـيعة والحاكمون): «أن المتوكل كان معروفاً في اللهو والمجونو معاقرة الخمر، قال المسـعودي: هو أول خليفـة من بني عباس ظهر في مجلس اللعب و المضاحك والهزل».وقال السـيد أمير علي في كتاب (مختصـر تاريخ العرب): وفي عهده بدأ انحلال الامبراطورية العربية، وتسـرب الفساد في جسم الدولة، وأمر الناس بالتمسك بالتقليد، وأقصـي أحرار الفكر عن الوظائف، وتغلب عليه الأتراك، وأصـبحوا أصحاب الأمر والنهي .

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين: كان المتوكل شديد الوطأة علي آل أبي طالب، غليظاً علي جماعتهم، شديد الغلظة والحقد عليهم، وسوء الظن

والتهمة لهم... واستعمل علي المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي فمنع آل أبي طالب من التعرض للناس، ومنع الناس من البربهم، وكان لا يبلغه أن أحداً وصل منهم بشيء وإن قل إلا أنهكه عقوبة، وأثقله غرماً، حتي كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة ثم يرقعته ويجلسن علي مغازلهن عواري حاسرات».(1)

هكذا شاء أمير المؤمنين المتوكل علي الله أن تقبع العلويات في بيوتهن عاريات يتبادلن القميص المرقع عند الصلاة، وأن تختال الفاجرات العاهرات بالحلي وحلل الديباج بين الإماء والعبيد.

لقد أرسل الرشيد إلي بنات الرسول من يسلب الثياب عن أبدانهن، أما المتوكل فقد شدد وضيق عليهن حتي ألجأهن إلي العري، وهكذا تتطور الفلسفات والمناهج مع الزمن علي أيدي القرشيين العرب أبناء الأمجاد والأشراف!

لقد تفرق العلويون أيام المتوكل (نيرون العرب) كما سماه بعض المؤرخين، فمنهم من تواري حتي مات في حال تواريه، كأحمد بن عيسي بن الحسين، وعبد الله بن موسي الحسيني، ومنهم من ثار من الضغط والجور محمد بن صالح، ومحمد بن جعفر.

ولم يكتف المتوكل بتنكيل الأحياء حتي اعتدي علي قبور الأموات، فهدم قبر الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والدور ومنع الناس من زيارته، ونادي مناديه: من وجدناه عند قبر الحسين حبسناه في المطبق – سجن تحت الأرض – فقال الشاعر:

تالله إن كانت أمية قد أتت *** قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها *** هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا علي أن لا يكونوا شايعوا*** في قتله فتتبعوه رميما (2)

1- مقاتل الطالبيين: 396

2- البداية والنهاية لابن كثير 11: 143

وكان المتوكل يقرب علي بن جهم لأنه كان يبغض علية أمير المؤمنين، وكان ابن الجهم هذا مأبوناً، سمعه يوماً أبو العيناء يطعن علي الإمام فقال له: إنك تطعن عليه لأنه قتل الفاعل والمفعول من قوم لوط، وأنت أسفلهما (ابن أبي الحديد ج 1 ص

363).

وكان ابن السكيت من كبار العلماء والأدباء في زمانه، وقد ألزمه المتوكل تعليم ولده المعتز، فقال له يوماً: أيهما أحب إليك:ابناي هذان المعتزوالمؤيدأو الحسن والحسين؟ فقال ابن السكيت: والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك! فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا فمات.

وكان عند المتوكل مخنث يدعي عبادة، فيشد علي بطنه مخدة ويرقص بين يدي المتوكل والمغتون يغنون «أقبل البطين خليفة المسلمين» وهم يعنون علياً أمير المؤمنين، والمتوكل يشرب ويضحك. وفعل ذلك يوماً وابنه المنتصر حاضر، فقال لأبيه: إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك، فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله! فقال المتوكل للمغنين: غنوا-

غار الفتي لابن عمه *** رأس الفتي في حر أمه

وسمعه يوماً يشتم فاطمة بنت الرسول، فسأل أحد الفقهاء فقال له: قد وجب عليه القتل، إلا أن من قتل أباه لم يطل عمره، فقال المنتصر: لا أبالي إذا أطعت الله بقتله ألا يطول عمري، فقتله فعاش بعده سبعة أشهر.

لقد أمر القرآن بمودة أهل البيت، وجعلها أجراً وشكراً لمحمد علي ما أسداه الأمته من الخير، فكانت النتيجة أن أقرب الناس إليه الذين حكموا وتحكموا برقاب الناس باسمه هم الذين استباحوا من دماء أبنائه والتنكيل بهم ما لا يقبل المزيد. إن الذين أنكروا محمداً ورسالته أهون علي الإسلام بكثير من المتوكل وأمثاله الذين أظهروا الإسلام ثم كادوا له وخالفوه مخالفة المضاد المعاند و العدو الحاقد.

ونكتفي بما ذكرناه عن العباسيين، فإن فيه الدلالة الكافية الوافية علي قبح سيرتهم وسوء سياستهم التي تتلخص بكلمتين: اجتراء علي الشر والحرام، وشغف بالظلم والفساد، واحتقار للدين والإنسانية، والمصدر الوحيد لهذه السيئات والمنكرات هو حكم الفرد واستقلاله في شؤون الدولة، واستهتاره بحقوق الجماعة.

ص: 99

ومن كلام له عليه السلام :

في النهي عن غيبة الناس

(انَما يَنبَغِي لاَهلِ العصـمَةِ وَالمَصـنُوعِ إلَيهِم فِي السَّلامَة أَن يَرحَمُوا أهلَ الذُنُوبِ وَالمَعصِـيَةِ وَيكُونَ الشُكرُ هُوَ الغالِبُ عَلَيهِم والحَاجِزَ لَهُم عَنهُم فَكَيفَ بِالعائِبَ الَّذي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلوَاهُ أَمَا ذَكَرَ مَوضِعَ سَترِ الله عَلَيه مِن ذُنوبِه مِمَّا هُوَ أعظَمُ مِنَ الـذَّنبِ الَّذَي عَابَه بِه وَكيفَ يَـذَمُّهُ بِّـذَنبٍ قَـد رَكِبَ مِثلَهُ فَإن لَم يَكُن رَكِبَ ذلكَ الـذَّنبَ بِعَينِهِ فَقَد عَصِـيَ اللهَ فِيمَا سَواهُ مِمَّا هُوَ أعظَمُ مِنهُ وَايمُ الله لَئِن لَم يَكُن عَصاهُ فِي الكَبيرِ وَعَصـاهُ فِي الصَّغيرِ لَجَرَاءَتُـهُ عَلَي عَيبِ النَّاسِ أَكبَرُ يـا عَبـدَ الله لا تَعجَل في عَيبِ أحَـدٍ بـذَنبِهِ فَلَعَلَهُ مَغفُورٌ لَهُ وَلا تَأمَن عَلَي نَفسِكَ صَـغيرَ مَعصِـيَةٍ فَلَعَلـك مُعَـذَّبٌ عَلَيهِ فَليَكُفُف مَن عَلَمَ مِنكُم عَيبَ غَيرِهِ لمَـا يَعلمُ مِن عَيبِ نَفسِهِ وَليَكُن الشُكرُ شاغِلاً لَهُ عَلَي مُعافَاتِهِ ممَّا ابتُلِيَ بِهِ غَيرُهُ). (1)

الشرح:

من المألوف في الأوساط العادية أن يتفشي النقد للأشخاص، وليس ذلك النقد يستند إلي ناحية تبرره، وإنما هو التحدث عن معائب الناس، والافاضة في ذكر النقائص وشرح المعائب، ولن تجد في الحياة الانسانية من استوفي الكمال في جسمه، وفي خلقه، وفي أعماله، فكل إنسان إذا فتش نفسه يجد مساغاً للقول ونافذة يلج منها الناقدون من دون مشقة أو عناء.

1- شرح النهج لابن أبي الحديد مج 2، ص 412، ط 1. ومن الطبعة الأولي ج 413/2

الغيبة وأثرها النفسي والاجتماعي:

ليس في هذه الأندية سوي الغيبة، وهي أن تذكر إنساناً بما يخدش شعوره ويجرح عاطفته إذا سمعه أو نقله ناقل .

إن هؤلاء الـذين يألفون الغيبـة لا يحسـبون أنهم يعيشون في مجتمع، فالغيبـة لابـد أن تصل إلي صاحبها، فيتغير لك قلبه، وتمقتك طبائعه، ويجتنب صـحبتك، ويغض طرفه عمن يعيبـك، ولاـ تحسب أنـك بمنجـاة أن لا يعيبك مغتاب ولا يهاجمك مهاجم، وقـد يتفنن الناس في الغيبـة، فقـد يعيبونه في تشويه في جسده أو بمحاكاة في عرج أو انتفاخ بطن، أو تقليده فيما نقص بأعين الناس من خشونة صوت وإمالة عنق، وقد يرمزون بألقاب و كني يتعارفونها فيما بينهم. هذه نماذج تراها وتسـمعها، وهناك في واقع الحياة العامة أشـكال وصور أخري تستطيع أن تعرفها بنظرة سطحية.

العاقل الفطن يتصون عن الغيبـة، حيث إن الغيبـة تباعد بين القلوب، وتقطع الروابط بين الناس من حب ومودة وصداقة. وقد تكون صدرت عن دواع غير أصـيلة في النفس، وأمـا إذا صـدرت من دواع أصـيلة فهنـاك يكون فاعلهـا بؤرة شـر، حيث إن بواعثها الأصـيلة أصول الشـرور كالحسد والكبر والحرص والحقد، ومن توجد في نفسه هذه العناصـر اللئيمة والمبادئ الأثيمة فهو يعيش وحده تكفيه أدواؤه، ويقضـي عليه بلاؤه.

وبالتـالي، إن هـذا الكلاـم له عليه السـلام كمـا نبه عليه السـيد الرضـي رضـي الله عنه وارد في مقام النهي عن غيبـة الناس، وهي من أعظم الموبقات الموقعـة في الهلكات، والموجبـة الانحطاط الـدرجات، لأن المفاسد التي تترتب علي ارتكابها أكثر منالمفاسد التي تترتب علي سائر المنهيات، وضررها ضرر نوعي، وضرر سائر المعاصي شخصي غالباً.

بيان ذلك كما قاله الشارح البحراني: أنه لما كان من المقاصـد المهمة اجتماع النفوس علي هم واحد وطريقة واحد، وهي سـلوك سبيل الله بسائر وجوه الأوامر والنواهي، ولن يتم ذلك إلا بتعاون هممهم وتصافي بواطنهم

واجتماعهم علي الألفة والمحبة، حتي يكونوا بمنزلة عبدٍ واحد في طاعة مولاه، ولن يتم ذلك إلا بنفي الضغائن والأحقاد والحسد ونحوه، و كانت الغيبة من كل منهم لأخيه مثيرةً لضغنه، ومستدعيةً منه مثلها في حقه، لاجرم كانت ضد المقصود الكلي للشارع، فكانت مفسدة كلية».

قال الخوئي ميرزا حبيب الله: هذا هو محصل قوله سبحانه (وَتَعاوَنُوا عَلَي البِرِ وَالتَّقوي وَلا تَعاوَنُوا عَلي الإِثمِ وَالعُدوانِ). (1)

وسنذكر لك معني الغيبة والأدلة الواردة في ذمها ومفاسدها بعد الفراغ من شرح ما رواه السيد رضي الله عنه. قول عليه السلام : وإنما ينبغي لأهل العصمة وهم الذين عصمهم الله من المعاصي ووقاهم من الجرائر بجعل نفوسهم الأمارة مقهورة لقوتهم العقلانية بما عرفهم من معائب المعاصي ومنافع الطاعات، فحصل لهم بذلك ملكة الارتداع عن الذنوب والامتناع عن اقتحام المحارم، وهم.

المصنوع إليهم في السلامة :

أي الذين اصطنع الله سبحانه إليهم وأنعم عليهم بالسلامة من الانحراف عن صراطه المستقيم والاعتساف عن نهجه القويم، ومن الخروج من النور إلي الظلمات والوقوع في مهاوي الهلكات.

أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية.

لما رأوا منهم الخطيئة والعصيان والغرق في بحر الذل والهوان، والتيه في وادي الضلال والخذلان، والرحمة منهم إنما تحصل بانقاذهم الغريق من البحر العميق، وإرشاد التائه إلي الرشاد بالتنبه علي السداد في العمل والاعتقاد.

ويكون الشكر منهم علي ما اصطنع الله إليهم هو الغالب عليهم يعني أن اللازم علي أهل العصمة أن يكون شكرهم علي نعم الله سبحانه – ومن

1- المائدة: 2

أعظمها عصـمته لهم من الاقتحام في المعاصـي – هو الغالب عليهم دون غيرهم، والشاغل لهم عن حصائد الألسنة وعن التعريض بعيوب الناس، والحاجز لهم عنهم، وعن كشف سوآتهم وعوراتهم.

وإذا كـان اللازم علي أهـل العصـمة مع مـا هم عليه من العصـمة وترك المعاصـي ذلك (فكيف) بمن هو دونهم من اسـراء عالم الحواس والآخـذين بهوي الأـنفس والمتورطين في الجرائم وموبقـات العظائم، أعني (الغائب الـذي عاب) واغتاب (أخاه) بما يكرهه (وعيره) و قرعه (بيلواه) يعني أن اللائق بحال أهل العصمة إذا كان ترك التعرض بعيوب الناس، فغيرهم مع ما عليهم من العيب أولي بترك التعرض وأحري.

وقوله عليه السلام: أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه.

توبيـخ ولوم لهم علي ترك الـذكر، وتحضـيض علي تـداركه في المسـتقبل، يعني أنه ينبغي له أن يـذكر مكـان ستر الله عليه ذنوبه مع علمه وإحاطته سـبحانه بها صغائرها و كبائرها وبواطنها وظواهرها وسوالفها و حوادثها، وقد ستر عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذي عابه به، فإذا ذكر معاملـة الله سـبحانه مع عبده هذه المعاملة وستره عليه جرائمه وجرائره له مع علمه بجميع ما صدر عنه من الخطايا والذنوب، فكيف به وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله، ولا يذم نفسه فإن لم يكن ركب مثل ذلك الذنب بعينه فقد عصـي الله سـبحانه فيما سواه مما هو أعظم منه وأيم الله قسماً حقاً لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته، علي عيب الناس وغيبتهم أكبر.

ومحصل المراد أنه لا يجوز لأحـد أن يعيب أخاه، لأنه إما أن يكون بـذنب وقد ارتكب الغائب مثله أو أكبر منه أو أصـغر، فإن كان بذنب قد ارتكب مثله أو أكبر كان له في عيب نفسه شغل عن عيب غيره.

وفيه قال الشاعر:

إذا جريت مع السفيه كما جري *** فكلاكما في جريه مذموم

وإذا عتبت علي السفيه ولمته *** في مثل ما تأتي فأنت ظلوم

لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم

وإن كان بذنب ارتكب أصغر منه فهو ممنوع أيضاً، لأن جرأته علي الغيبة وإقدامه عليها أكبر المعاصي باعتبار ما يترتب عليها من المفاسد والمضار الدنيوية والأخروية.

ثم نادي عليه السلام نداء استعطاف فقال: «يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعله مغفور له، ولعله تائب عنه ولا تأمن علي نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه و معاتب به.

ثم أكد لهم الوصية بقوله: فليكفف من علم منكم عيب غيره عن غيبته و توبيخه وتفضيحه لمكان ما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له علي ما أنعم الله سبحانه به عليه من معافاته و عصمته له مما ابتلي به غيره.

تنبيه: في تحقيق معني الغيبة والأدلة الواردة في حرمتها

وما يترتب عليها من العقوبات ودواعيها ومستثنياتها وعلاجها و كفارتها.

وقد حقق الكلام فيها علماؤنا البارعون (قدس الله أرواحهم) في كتب الأخلاق والفقه في مقدمات أبواب المعايش بما لا مزيد عليه، بل أفرد بعضهم لتحقيقها رسالة مستقلة، فأحببنا أن نورد بعض ما فيها حسب ما اقتضته الحال، لكونها من أعظم عثرات الإنسان وأوبق آفات اللسان، فأقول وبالله التوفيق: الكلام في المقام في أمور:

الأمر الأول: في تحقيق معناها

فأقول: قال الفيومي: اغتابه اغتياباً: إذا ذكره بما يكره من العيوب وهو حق والاسم الغيبة، فإن كان باطلاً فهو الغيبة في بهت، وفي القاموس: غابه عابه وذكره بما فيه

من السوء، كاغتيابه، والغيبة _ بالكسر – فعلة منه. وعن الصحاح: الغيبة أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فإن كان صدقاً سمي غيبة، وإن كان كذباً مي بهتاناً.

وعن النبي صلي الله عليه وآله _ وقد سأله أبو ذر عن الغيبة –: إنها ذكرك أخاك بما يكرهه. (1)

وفي رواية أخري عنه صلي الله عليه وآله: أتدرون ما الغيبة؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال صلي الله عليه وآله: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته. (2)

والظاهر أن يكون المراد بالذكر في كلامه وكلام غيره – كما فهمه الأصحاب الأعم من الذكر القولي، وإن كان عبارة الصحاح تفيد الاختصاص، فكل ما يوجب التذكر للشخص من القول والفعل والاشارة وغيرها فهو ذكر له، وممن صرح بالعموم ثاني الشهيدين وصاحب الجواهر وشيخنا العلامة الأنصاري في المكاسب.

قال الغزالي: إن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه، فالتعريض به كالتصريح، والفعل فيه كالقول، والاشارة والايماء والغمز والهمزوالكتابة والحركة و كل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة، فمن ذلك قول عائشة: دخلت علينا امرأة، فلما ولت أومأت بيدي أنها قصيرة، فقال صلي الله عليه وآله: اغتبتها. ومن ذلك المحاكاة، كأن يمشي متعارجاً أو كما يمشي، لأنه أعظم في التصوير والتفهيم، ولما رأي صلي الله عليه وآله عائشة حاكت امرأة قال صلي الله عليه وآله: ما يسرني أني حاكيت إنساناً ولي كذا و كذا و كذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسائين.

قال شيخنا العلامة الأنصاري: ومن ذلك تبين المطلب الذي ذكره بعض المصنفين بحيث يفهم منه الأزراء بحال ذلك المصنف، فإن قولك إن هذا المطلب بديهي البطلان تعريض لصاحبه بأنه لا يعرف البديهيات، بخلاف ما

1- أمالي الطوسي: 537؛ مكارم الأخلاق للطبرسي: 470

2- عوالي اللئالي 1: 275؛ بحار الأنوار 72: 222

إذا قيل إنه مستلزم لما هو بديهي البطلان، لأن فيه تعريضاً بأن صاحبه لم ينتقل إلي الملازمة بين المطلب وبين ما هو بديهي البطلان، ولعل الملازمة نظرية.(1)

هـذا والمرادمن الأخ في النبويين كما صـرح به غير واحـد من الأعلام _ هو المسـلم، فإن غيبـة الكافر وإن تسـمي غيبة في اللغة إلا أنها لا يترتب عليها حكم الحرمة، إذ لا أخوة بينه وبين المسـلم، بل لا خلاف في جواز غيبتهم وهجوهم وسبهم ولعنهم وشتمهم مالم يكن قذفاً، وقد أمر رسول الله صلي الله عليه وآله حساناً بهجوهم، وقال: إنه أشد عليهم من رشق النبال. وبذلك يظهر اشتراك المخالفين للمشركين في جواز غيبتهم، كمـا يجوز لعنهم لانتفـاء الأـخوة بينهم وبين المؤمنين، ولـذلك قـال ثاني الشـهيدين في حـدها: هو القول وما في حكمه في المؤمن بما يسوءه لو سمعه مع اتصافه به.

اختصاص حرمة الغيبة بين المؤمنين:

وفي جامع المقاصد: وحدها علي ما في الأخبار أن يقول المرء في أخيه ما يكرهه لو سـمعه مما فيه، ومن المعلوم أن الله تعالي عقد الأخوة بين المؤمنين بقوله (إنَمَا المُؤمِنُونَ إِخوَةٌ) (2) دون غيرهم، و كيف تتصور الأخوة بين المؤمن والمخالف بعـد تواتر الروايات وتظافر الآيات في وجوب معـاداتهم والبرائـة منهم. فانقـدح بـذلك فساد ما عن الأردبيلي والخراساني رحمهما الله من المنع عن غيبـة المخالف نظراً إلي عموم أدلـة تحريمهـا من الكتـاب والسـنة، لأـن قوله تعـالي (ولا يغتب) خطاب للمكلفين أو خصوص المسـلمين، وعلي التقـديرين فيعم المخالف، والسنة أكثرها بلفظ الناس والمسلم، وهما معاً شاملان للجميع، ولا استبعاد في ذلك، إذ كما لا يجوز أخ مال المخالف وقتله لا يجوز تناول عرضه.

1- المكاسب 1: 331

2- الحجرات: 10

ووجه ظهور الفساد أن ذيل الآية مفيد لاختصاص الخطاب بالمؤمنين، الأن تعليل النهي عنها بأنها بمنزلة أكل لحم الأخ يدل علي اختصاص الحرمة بمن كان بينه وبين المغتاب أخوة كما أشرنا.

قال شيخنا العلامة: وتوقم عموم الآية كبعض الروايات المطلق المسلم مدفوع بما علم بضرورة المذهب من عدم احترامهم وعدم جريان أحكام الإسلام عليهم إلا ـ قليلاً ـ مما يتوقف استقامة نظام معاش المؤمنين عليه، مثل عدم انفعال ما يلاقيهم بالرطوبة، وحل ذبائحهم ومناكحهم، وحرمة دمائهم، لحكمة دفع الفتنة وفسادهم لأن لكل قوم نكاحاً أو نحو ذلك.

وقال صاحب الجواهر بعد نقل كلام الأردبيلي: ولعل صدور ذلك منه الشدة تقاته وورعه، لكن لا يخفي علي الخبير الماهر الواقف علي ما تظافرت به النصوص –بل تواترت –من لعنهم وسبهم وشتمهم وكفرهم وأنهم مجوس هذه الأمة وأشرمن النصاري و أنجس من الكلاب، أن مقتضي التقدس والورع خلاف ذلك، وصدر الآية (الَّذينَ آمَنُوا) وآخرها بأكل لحم الأخ (إلي أن قال): وعلي كل حال فقد ظهراختصاص الحرمة بالمؤمنين القائلين بإمامة الأئمة الإثني عشر دون غيرهم من الكافرين و المخالفين ولو بإنكار واحد منهم.

ثم الظاهر من المؤمن المغتاب – بالفتح – أهم من أن يكون حياً أو ميتاً، ذكراً أو أنثي، بالغاً أو غير بالغاً، مميزاً أو غير مميز، وقد صرح بالعموم شيخنا السيد العلامة طاب رمسه في مجلس الدرس، ومثله كشف الريبة، حيث صرح بعدم الفرق بين الصغير والكبير، وظاهره الشمول لغير المميز أيضاً.

وقال شيخنا العلامة الأنصاري: الظاهر دخول الصبي المميز المتأثر بالغيبة لو سمعها لعموم بعض الروايات المتقدمة وغيرها، الدالة علي حرمة اغتياب الناس وأكل لحومهم مع صدق الأخ عليه، كما يشهد به قوله تعالي:

(وان تُخـالِطُوهُم فَإخوانُكُم)(1) ومضافـاً إلي إمكـان الاسـتدلال بالآيـة وإن كان الخطاب للمكلفين بناء علي عـدة أطفالهم منهم تغليباً، وإمكان دعوي صدق المؤمن عليه مطلقاً أو في الجملة. (2)

وعلي مـا ذكرنـاه من التعميم فلابـد أن يراد من السـماع في تعريفهم لهـا بأنها ذكر المؤمن بما يسوءه لو سـمعه الأعم من السـماع الفعلي، والمراد بالموصول فيما يسوءه ما يكره ظهوره، سواء كره وجوده كالجذام والبرص ونحوهما أم لا كالميل إلي القبائح.

والمسـتفاد من بعض الروايات كغير واحـد من الأصـحاب عدم الفرق في مايكره بين أن يكون نقصاً في الدين أو الدنيا أو البدن أو النسب أو الخلق أو الفعل أو القول أو ما يتعلق به من ثوبه أو داره أو دابته أو غير ذلك.

أمـا في الـدين فكقولـك: هو سـارق، أو كـذاب، أو شـارب الخمر، أو خـائن، أو ظـالم، أو متهـاون بالصـلاة أو الزكاة،أو لا يحسن الركوع أو السجود،أو لا يحترزمن النجاسات، أو ليس باراً بوالديه.

وأما في الدنيا فكقوله: إنه قليل الأدب متهاون بالناس، أو لا يري لأحد علي نفسه حقاً، أو يري لنفسه الحق علي الناس، أو أنه كثير الكلام، أو كثير الأكل، أو كثير النوم ينام في غير وقته.

وأما البدن فكما تقول: إنه طويل أو قصير أو أعمش أو أحول أو أقرع أو لونه أصفر أو أسود ونحن ذلك مما يسوئه.

وأما النسب فكقولك: أبوه فاسق أو خسيس أو حجام أو زبال أو ليس بنجيب.

وأما الخلق فبأن تقول: إنه سيء الخلق بخيل متكبر مختال مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجري ذلك.

1- البقرة: 220

2- المكاسب 1: 319 - 320

وأما الفعل فإما أن يكون متعلقاً بالدين أو الدنيا، وقد مر مثالهما.

وأما القول: فكقولك: إنه كذاب أو سباب أو أنه نمام أو أعجم أو ألكن أو ألثغ أو أليغ ونحو ذلك.

وأما في ثوبه: فكقولك إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب ونحوها.

وأما في داره فكما تقول: إنه مفحص قطاة، أي في الصغر، أو كدير النصاري أو نحوهما.

وأما في دابته فكقولك لحصانه: إنه برذون، أو لبغلته إنها بغلة أبي دلامة أي كثيرة العيوب.

الثاني: في الأدلة الدالة علي حرمة الغيبة

وما ترتب عليها من الذم والعقوبة فأقول: إنها محرمة بالأدلة الأربعة – أعني الكتاب والسنة والإجماع والعقل، فأما الإجماع فواضح، وأما العقل فلأنها موجبة لفساد النظام وانفصام عروة الانتظام، وعليها بني القبائح، ومنها يظهر العدو المكاشح، علي ما مر توضيحه في شرح كلام الإمام عليه السلام.

الدليل القرآني:

وأما الكتاب فمنه قوله تعالي: (وَلا يَغتَب بَعضُكُم بَعضاً أَيحِبُ أَحَدَكُم أَن يَأكُلَ لَحمَ أَخيهِ مَيتاً فَكَرَهتُمُوهُ واتَّقوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوابٌ رَحِيمٌ) (1) فجعل سبحانه المؤمن أخاً، وعرضه كلحمه، والتفكه به أكلاً، وعدم شعوره بذلك بمنزلة حالة موته.

قال الفخر الرازي: الحكمة في هذا التشبيه الاشارة إلي أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، وهذا من باب القياس الظاهر، وذلك لأن عرض المرء أشرف من لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولي، لأن

1- الحجرات: 12

ذلك آلم، وقوله لحم أخيه آكـد في المنع، لأن العـدو يحمله الغضب علي مضغ لحم العدو، فقال تعالي أصدق الأصدقاء من ولدته أمك، فأكـل لحمه أقبـح مـا يكون، وقوله تعـالي ميتاً إشارة إلي دفع وهم، وهو أن يقال: القول في الوجه يؤلم فيحرم، وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم، فقال: أكل لحم الأخ وهو ميت أيضاً لا يؤلم، ومع هـذا هو في غايـة القبـح لما أنه لو اطلع عليه لتألم، كما أن الميت لو أحس بأكل لحمه لألمه ذلك..

ومن الكتـاب أيضـا قوله سـبحانه: (وَيلٌ لِكُلِ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) (1) قـال الليث: الهمزة هو الـذي يعيبك بوجهك، واللمزة الـذي يعيبك بالغيب، وقيل: الهمز ما يكون باللسان والعين والاشارة، واللمز لا يكون إلا باللسان، وقيل: هما بمعني واحد.

ومنه أيضاً قوله: (لا يُحِبُ اللهُ الجَهرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَولِ إلَّا مَن ظُلِمَ) (2) وقوله:(إنَّ الَّذينَ يُحبُونَ أَن تَشيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُم عَذَابٌ أَليمٌ)(3) روي في الكافي عن علي بن ابراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصـحابه، عن أبي عبد الله عليه السـلام قال: من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزوجل:(إنَّ الَّذينَ يُحِبُونَ أَن تَشيعَ الفاحِشَةُ). (4)

الدليل الروائي:

وأما السنة فيدل عليها منها أخبار لا تحصي:

مثـل مـا رواه في الكافي عن ابن إبراهيم عن النوفلي، عن السـكوني، عن أبي عبـد الله عليه السـلام قال: قال رسول الله صـلي الله عليه وآله: الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه . (5)

1- الهمزة: 1

2- النساء: 148

3- النور: 19

4- الكافي 2: 357/ ح 2

5- الكافي 2: 357 ح 1

قـال: وقال رسول الله صـلي الله عليه وآله : الجلوس في المجلس انتظار (1) الصـلاة عبادة ما لم يحـدث، قيل: يا رسول الله وما يحدث ؟ قال: الاغتياب.(2)

وفيه مسـنداً عن مفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: من روي علي مؤمن رواية يريد بها شينه، وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلي ولاية الشيطان فلا يقبلهالشيطان. (3)

وفي الوسائل من المجالس بإسـناده عن أبي بصـير، عن النبي صـلي الله عليه وآله في وصـية له قال: يا أبا ذر إياك والغيبـة فإن الغيبة أشد من الزنـا، قلت: ولم ذاك يـا رسول الله؟ قـال: لأـن الرجـل يزني فيتوب إلي الله فيتوب الله عليه، والغيبـة لا تغفر حتي يغفرها صاحبها، يا أبا ذر سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، قلت: يا رسول الله وما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكرهه، قلت: يا رسول الله فإن كان فيه الذي يذكر به؟ قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته. (4)

وفي الوسائل أيضاً عن الحسـين بن سعيد في كتاب الزهد مسنداً عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلي الله عليه وآله قال: تحرم الجنة علي ثلاثة: علي المنان، و علي المغتاب، وعلي مدمن الخمر.(5)

وفيه أيضاً عن أبي عبـد الله الشامي، عن نوف البكالي أنه قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السـلام وهو في رحبة مسـجد الكوفة فقلت: السـلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقلت: يا

1- في بعض المصادر: الانتظاره، وفي بعضها انتظاراً للصلاة.

2- الكافي 2: 357/ ح 1

3- الكافي 2: 358/ ح 1

4- وسائل الشيعة 12: 281 ح 16308

5- وسائل الشيعة 12: 281 ح 16209

أمير المؤمنين عظني، فقال: يانوف أحسن حسن إليك.. إلي أن قال: قلت: زدني قال: اجتنب الغيبة فإنها أدام كلاب النار، ثم قال: يانوف كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة. (1)

وفي المكاسب لشيخنا العلامة الأنصاري (طاب رمسه) عن النبي صلي الله عليه وآله أنه خطب يوماً فذكر الربا و عظم شأنه فقال: إن الدرهم يصيبه الرجل أعظم من ستة وثلاثين زنية، وإن أربي الربا عرض الرجل المسلم.

وعنه صلي الله عليه وآله: من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين صباحاً، إلا أن يغفر له صاحبه.

وعنه صلي الله عليه وآله: من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنة، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب خالداً في النار وبئس المصير.

وعنه صلي الله عليه وآله: كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة، فاجتنب الغيبة فإنها أدام كلاب النار.

وعنه صلي الله عليه وآله: من مشي في غيبة أخيه و كشف عورته كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم.

وروي أن المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة، وإن لم يتب فهو أول من يدخل النار.

وعنه صلي الله عليه وآله : إن الغيبة حرام علي كل مسلم، وإن الغيبة لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.(2)

قال شيخنا قدس سرُّه: وأكل الحسنات إما أن يكون علي وجه الاحباط لاضمحلال ثوابها في جنب عقابه، أو لأنها تنقل الحسنات إلي المغتاب كما في غير واحد من الأخبار، ومن جملتها النبوي: يؤتي بأحد يوم القيامة فيوقف بين يدي الرب عزوجل يدفع

1- وسائل الشيعة 12: 283 ح 16315

2- وردت هذه الأحاديث في المكاسب 1: 316- 317

إليه كتابه، فلا يري حسناته فيه، فيقول: إلهي ليس هذا كتابي لا أري فيه حسناتي، فيقال له: إن ربك لا يضل ولا ينسي، ذهب عملك باغتياب النـاس، ثم يؤتي بـآخر ويـدفع إليه كتابه فيري فيه طاعات كثيرة فيقول: إلهي ما هـذا كتابي، فإني ما عملت هـذه الطاعات، فيقال له: إن فلاناً اغتابك، فدفعت حسناته إليك. (1)

وفي عقاب الأعمال بإسـناده عن أبي بردة قال: صلي بنا رسول الله صلي الله عليه وآله ثم انصرف مسرعاً حتي وضع يده علي باب المسجد، ثم نادي بأعلي صوته: يا معشـر الناس لا يدخل الجنة من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلي قلبه، لا تتبعوا عورات المؤمنين، فإنه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فيفضحه ولو في جوف بيته. (2)

وفيه أيضاً بإسـناده عن حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد عليهما السـلام قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: أربعة يؤذون أهل النار من الأذي، يسـقون من الحميم والجحيم، ينادون بالويل والثبور، فيقول أهل النار بعضـهم لبعض: مالهؤلاء الأربعـة قد آذونا علي ما بنا من الأـذي: فرجـل معلق عليه تـابوت من جمر، ورجل تجري أمعاؤه صديـداً ودماً أسود نتناً، ورجل يسـيل فوه فيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعـد قـد آذانا علي ما بنا من الأذي؟ فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس لا يجد لها في نفسه أداء ولاـ وفـاء ثم يقـال للـذي تجري أمعـاؤه: ما بال الأبعـد قـد آذانا علي ما بنا من الأذي؟ فيقول: إن الأبعـد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسـده، ثم يقال للـذي يسـيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعـد قد آذانا علي مابنا من الأذي؟ فيقول: إن الأبعد كان يحاكي فينظر إلي كل كلمة خبيثة ويحاكي بها ثم يغتاب الناس، ثم يقال للذي

1- المكاسب 1: 317 - 318

2- ثواب الأعمال و عقاب الأعمال: 241، عقاب من تتبع عورة المؤمن.

يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا علي ما بنا من الأذي؟ فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة.(1)

وفي الأنوار النعمانية للمحدث الجزائري عن النبي صلي الله عليه وآله أنه قال: مررت ليلة أسري بي إلي السماء علي قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم.(2)

وفيه أيضاً: وروي أنه أمر بصوم يوم وقال: لا يفطرن أحد حتي آذن له، فصام الناس حتي أمسوا، جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله ظللت صائماً فأذن لي لأفطر فيأذن له، والرجل والرجل حتي جاء رجل فقال: يا رسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين فإنهما تستحيان أن يأتيانك فأذن لهما أن تفطرا، فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فقال صلي الله عليه وآله : إنهما لم تصوما، و كيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا، فرجع إليهما فأخبرهما فاستقائتا فقائت كل واحدة منهما علقة من دم، فرجع إلي النبي صلي الله عليه وآله: فأخبره، فقال صلي الله عليه وآله: والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار. (3)

وفي رواية أنه لما أعرض عنه جائه بعد ذلك وقال: يا رسول الله إنهما والله لقد قائتا و كادتا أن تموتا، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله : ائتوني بهما، فجاء تا، فدعي بقدح فقال لإحداهما: قيئي! فقاءت من قيح ودم صديد حتي ملأت القدح؛ وقال للأخري: قيئي، فقاءت كذلك، فقال صلي الله عليه وآله : إن هاتين صامتا عما أحل الله وأفطرنا علي ما حرم الله عليهما: جلست إحداهما إلي الأخري فجعلنا تأكلان لحوم الناس. (4)

وروي الغزالي في إحياء علوم الدين عن أنس مثلها.

1- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: 246 - 247

2- رواه المجلسي في بحار الأنوار 72: 222

3- انظر تفسير ابن كثير4 :230؛ الدر المنثور للسيوطي 6: 96

4- انظر أيضاً تفسير ابن كثير4 : 230؛ تفسير الدر المنثور6 : 95

قال شيخنا العلامة (طاب رمسه): ثم إنه قد يتضاعف عقاب المغتاب إذا كان ممن يمدح المغتاب في حضوره، وهذا وإن كان في نفسه مباحاً، إلا أنه إذا انضم مع ذمه في غيبته مي صاحبه «ذا اللسانين»يوم القيامة وتأكد حرمته، ولذا ورد في المستفيضة أنه يجيء ذو اللسانين يوم القيامة وله لسانان من نار؛ فإن لسان المدح في الحضور وإن لم يكن لساناً من نار، إلا أنه إذا انضم إلي لسان الذم في الغياب صار كذلك.

وفي المجالس بسنده عن حفص بن غياث، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله : من مدح أخاه المؤمن في وجهه واغتابه من ورائه فقد انقطعت العصمة بينهما.

وعن الباقر عليه السلام : بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسده، وإن ابتلي خذله. (1)

الثالث: في دواعي الغيبة

وهي كثيرة، وقد أشار إليها الصادق عليه السلام إجمالاً بقوله: الغيبة تتنوع عشرة أنواع: شفاء غيظ، ومساعدة قوم، وتصديق خبر بلا كشف، وتهمة، وسوء ظن، وحسد، وسخرية، و تعجب، وتبرم، و تزين. رواه في المكاسب (2) والأنوار النعمانية.

وأما تفصيلها فقد نبه عليها أبو حامد الغزالي في إحياء العلوم فقال: فالأول: تشفي الغيظ وذلك إذا جري سبب غضب به عليه، فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذلك بذكر مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن دين رادع، وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب، بالباطن فيصير حقداً ثابتاً، فيكون سبباً دائماً لذكر المساوي، فالحقد والحسد من البواعث العظيمة علي الغيبة.

الثاني: موافقة الأقران و مجاملة الرفقاء ومساعدتهم علي الكلام، فإنهم

1- المكاسب للأنصاري 1: 363 - 364

2- المكاسب 1: 331

إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيري أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه، فيساعدهم ويري ذلك من حسن المعاشرة، ويظن أنه مجاملة في الصحبة، وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلي أن يغضب بغضبهم إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء، فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوئ.

الثالث: أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم، أو يشهد عليه بشهادة، فيبادره قبل أن يقبح هو حاله، ويطعن فيه ليسقط أثرشهادته، أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعده، فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول: ما من عادتي الكذب، فإني أخبرتكم بكذا وكذا عن أحواله فكان كما قلت.

الرابع: أن ينسب إلي شيء فيريد أن يتبرأ منه، فيذكر الذي فعله، وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعل، فلا ينسب غيره إليه، أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله.

الخامس: إرادة التصنع والمباهاة، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك، وغرضه في ضمن ذلك فضل نفسه ويوهم أنه أفضل منه، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك.

السادس: الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه، فيريد زوال تلك النعمة عنه، فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتي يكفوا عن الكرامة والثناء عليه.

السابع: اللعب والهزل والمطايبة وتوجيه الوقت بالذكر وتزيين الوقت بالذكر، فيذكر غيره بما يضحك الناس علي سبيل المحاكاة، ومنشؤه التعجب والتعجيب.

الثامن: السخرية والاستهزاء استحقاراً له، فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضاً في الغيبة، ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزء به.

التاسع: الرحمة وهو مأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواص، وهو أن يغتم بسبب ما

يبتلي به فيقول: مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به، فيكون صادقاً في دعوي الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه، فيصير بذكره مغتاباً، فيكون غمه ورحمته خيراً، لكنه ساقه الشيطان إلي شر من حيث لا يدري، والترحم والاغتمام ممكن من دون ذكر اسمه، فهيجه الشيطان علي ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه و ترحّمه.

العاشر: الغضب لله تعالي، وهو كسابقه في غموض إدراكه وخفائه علي الخواص فضلاً عن العوام، فإنه قد يغضب علي منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه، فيظهر غضبه ويذكر اسمه، و كان الواجب أن يذكر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يظهر علي غيره أو يستره ولا يذكر اسمه بالسوء.

الرابع: في عدم جواز استماع الغيبة

قال شيخنا في المكاسب: يحرم استماع الغيبة بلا خلاف، فقد ورد أن السامع للغيبة أحد المغتابين، والأخبار في حرمته كثيرة، إلا أن ما يدل علي كونه من الكبائر كالرواية المذكورة ونحوها ضعيفة السند. (1)

أقول: ومن جملة الأخبار الدالة علي حرمته ما رواه الصدوق في عقاب الأعمال بإسناده عن أبي الورد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله وأعانه في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر علي نصرته حقره الله عزوجل في الدنيا والآخرة. (2)

وفيه أيضاً في حديث طويل عن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: ومن رد عن أخيه غيبة سمعها في مجلس رد الله عزوجل الله عنه ألف باب من الشرفي الدنيا والآخرة، وإن لم يرد عنه كان عليه كوزر من اغتاب. (3)

1- المكاسب 1: 359

2- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: 250، عقاب من اغتيب عنده المؤمن.

3- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: 280 - 285، عقاب مجمع عقوبات الأعمال. فلم ينصره

وفي الوسائل عن الصدوق بإسناده عن شعيب بن واقد، عن الحسين بن زيد، عن الصادق، عن آبائه عليه السلام في حديث المناهي، أن رسول الله صلي الله عليه وآله نهي عن الغيبة والاستماع إليها، ونهي عن النميمة والاستماع إليها، وقال: لا يدخل الجنة قتات _ يعني نماماً _ ونهي عن المحادثة التي تدعو إلي غير الله عزوجل ونهي عن الغيبة وقال: من اغتاب امرءاً مسلماً بطل صومه، ونقض وضوءه، يوم القيامة تفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة يتأذي بها أهل الموقف، وإن مات قبل أن يتوب مات مستحلاً لما حرم الله عزوجل ألا ومن تطول علي أخيه في غيبة سمعها فيه في مجلس فردها عنه، رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، فإن لم يردها وهو قادر علي ردها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة. (1)

قال شيخنا: ولعل وجه زيادة عقابه أنه إذا لم يرده تجرأ المغتاب علي الغيبة، فيصر علي هذه الغيبة وغيرها، ثم قال: والظاهر أن الرد غير النهي عن الغيبة، والمراد به الانتصار للغائب بما يناسب تلك الغيبة، فإن كان عيباً دنيوياً انتصر له بأن العيب ليس إلا ما عاب الله به من المعاصي التي من أكبرها ذكرك أخاك بما لم يعبه الله به، وإن كان عيباً دينياً وجهه بمحامل تخرجه عن المعصية، فإن لم يقبل التوجيه انتصر له بأن المؤمن قد يبتلي بالمعصية، فينبغي أن يستغفر له ويهتم له لا أن يعير عليه، لأن تعييرك إياه لعله أعظم عند الله من معصيته ونحوه.(2)

ثم اعلم أن المحرم إنما هو سماع الغيبة المحرمة دون ماعلم حليتها ولو كان متجاهراً عند المغتاب مستوراً عند المستمع، وقلنا بجواز الغيبة حينئذ للمتكلم،فالأقوي جواز الاستماع لأنه قول غير منكر، فلا يحرم الإصغاء إليه للأصل، والرواية الدالة علي

1- وسائل الشيعة 12: 282ح/16312

2- المكاسب للأنصاري 1:362 - 363

كون السامع أحد المغتابين تدل علي أن السامع للغية كقائل تلك الغيبة، فإن كان القائل عاصيا كان المستمع كذلك، فيكون دليلاً علي الجواز فيما نحن فيه.

الخامس: في مستثنيات الغيبة

إن الموارد التي يجوز فيها الغيبة جوازاً بالمعني الأعم، فإن المستفاد من الأخبار أن حرمتها إنما هو لأجل ما فيها من هتك عرض المؤمن وانتقاصه و تأديه، فلو لم توجب هتكاً لكونه مهتوكاً بدونها، ككونه متجاهراً بالفسق أولم يقصد بها الانتقاص بالذات فلا.

قال في جامع المقاصد: وضابط الغيبة كل فعل يقصد به هتك عرض المؤمن والتفكّه به أو إضحاك الناس منه، وأما ما كان لغرض صحيح فلا يحرم، كنصيحة المستشير والتظلم... الخ. (1)

قال الشيخ العلامة: حرمة الغيبة لأجل انتقاص المؤمن و تأذيه منه، فإذا فرض هناك مصلحة راجعة إلي المغتاب بالكسر أو الفتح أو ثالث، دل العقل أو الشرع علي كونها أعظم من مصلحة احترام المؤمن بترك ذلك القول فيه، وجب كون الحكم علي طبق أقوي المصلحتين كما هو الحال في كل معصية من حقوق الله و حقوق الناس. (2)

إذا عرفت ذلك فنقول: إن مسوغاتها أمور:

الأول: التظلم، أي تظلم المظلوم بذكر ظلم الظالم عند من يرجو رفع الظلم منه، قال سبحانه:(لا يُحِبُّ اللهُ الجَهرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَولِ إِلا مَن ظُلِمَ)(3) فعن تفسير القمي: أي لا يحب أن يجهر الرجل بالظلم والسوئة ويظلم إلا من ظلم، فأطلق أن يعارض بالظلم. (4)

1- جامع المقاصد 4: 27

2- المكاسب للشيخ الأنصاري 1: 342

3- النساء: 148

4- تفسير القمي 1: 157

قال شـيخنا العلامة: ويؤيد الحكم فيه أن في منع المظلوم من هذا الذي هو نوع من التشقي حرجاً عظيماً، ولأن في تشريع الجواز مظنة ردع للظالم، وهي مصـلحة خاليـة عن مفسـدة، فيثبت الجواز لأن الأحكام تابعـة للمصالح، ويدل عليه ما روي عن النبي صـلي الله عليه وآله : مطل الواجد يحل عقوبته وعرضه. (1)

الثاني: نصح المستشـير، فإن النصـيحة واجبة للمستشـير، فإن خيانته قد تكون أقوي مفسدة من مفسدة الغيبة، فقد قال النبي صـلي الله عليه وآله لفاطمة بنت قيس المشاورة في خطابها: معاوية صعلوك لا مال له، و أبو الجهم لا يضع العصا علي عاتقه. (2)

قال شـيخنا: و كـذلك النصـح من غير اسـتشارة، فإن من أراد تزويـج إمرأة وأنت تعلم بقبائحها التي توجب وقوع الرجل في الغيبـة والفساد لأجلها، فلا ريب أن التنبيه علي بعضها – وإن أوجب الوقيعة فيها – أولي من ترك نصح المؤمن، مع ظهور عدة من الأخبار في وجوبه. (3)

الثالث: الاسـتفتاء، بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان حقي فكيف طريقي في الخلاص؟ قال أبو حامـد: أو أخوه أو زوجته، ولكن التعيين مباح بهـذا القـدر، وقيـده شـيخنا العلامـة بمـا إذا كان الاسـتفتاء موقوفاً علي ذكر الظالم بالخصوص، وإلا فلا يجوز، وظاهر الأخبار كظاهر كثير الأصحاب هو الاطلاق.

واسـتدلوا عليه بما روي عن هند زوجة أبي سـفيان أنها قالت للنبي صـلي الله عليه وآله: إن أبا سـفيان رجل شـحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولـدي، أفأخذ من غير علمه؟ فقال صـلي الله عليه وآله: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف، فذكرت الظلم والشح لها لولدها، ولم يزجرها إذ كان قصدها الاستفتاء.

وبصحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلي النبي صلي الله عليه وآله

1- بحار الأنوار 72 :231

2- جواهرالكلام 66:22 ؛ بحار الأنوار 72: 232

3- المكاسب 1: 352

فقال: إن أمي لا تـدفع يـد لامس، فقال صـلي الله عليه وآله : احبسـها، قال: قـد فعلت، فقال: فامنع من يـدخل عليها، قال: قد فعلت، قال: فقيدها فإنك لا تبرها بشيء أفضل من أن تمنعها عن محارم الله عزوجل واحتمال كونها متجاهرة مدفوع بالأصل. (1)

الرابع: تحذير المسـلم من الشر وعن الوقوع في الضرر لدنيا أودين، لأن مصلحة دفع فتنة الشر والضرر أولي من هتك شر المغتاب، مثل من يريـد أن يشتري مملوكاً وأنت تعلم بكونه موصوفاً بالسـرقة أو بعيب آخر، فسـكوتك عن ذكر عيبه إضـرار بالمشتري، وكـذلك المبتـدع الذي يخاف من إضلاله الناس، فإذا رأيت من يتردد إلي مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدي إليه بدعته أو فسقه فلك أن تكشف مساويه.

ويدل عليه ما عن الكافي بسـنده الصـحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله : إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعـدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سـبهم والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسـلام، وتحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة. (2)

هذا وربما يجعل هذا المورد من باب نصح المستشير بعد تعميمه بالنسبة إلي النصح المسبوق بالاستشارة وغيره.

الخامس: قصـد ردع المغتاب عن المنكر الـذي يفعله إذا لم يمكن الردع إلا به، فإنه أولي من ستر المنكر عليه، فهو في الحقيقـة إحسان في حقه، مضافاً إلي عموم أدلة النهي عن المنكر.

السادس: باب الترجيـح والتعديل في الرواية لأجل معرفة قبول الخبر وعدمه ومعرفة صـلاحيته للمعارضة وعدمها، وإلا لأنسد باب التعادل والترجيح الذي هو أعظم

1- المكاسب 1: 352 - 353

2- الكافي 2: 375 ح 4

أبواب الاجتهاد وجرت السيرة عليه من قديم الزمان كجريانها علي الجرح في باب الشهادة و علي ترجيح ما دل علي وجوب إقامتها علي ما دل علي حرمة الغيبة علي وجه الإشكال فيه، وإلا لضاعت الحقوق في الدماء والأموال وغيرها، ولغلب الباطل، ويلحق بذلك الشهادة بالزنا وغيره لإقامة الحدود.

السابع: دفع الضرر عن المغتاب في دم أو عرض أو مال، وعليه يحمل ما ورد في ذم زرارة من عدة أحاديث،وقد ورد التعليل بذلك في بعض الأحاديث، ويلحق بذلك الغيبة للتقية علي نفس المتكلم أو ماله أو عرضه، فإن الضرورات تبيح المحظورات.

الثامن: ذكر الشخص بعينه الذي صار بمنزلة الصفة المميزة التي لا يعرف إلا بها، كالأعمش والأعرج والأشتر والأحول ونحوها، فلا بأس بها إذا صارت الصفة في اشتهار يوصف بها الشخص إلي حيث لا يكره ذلك صاحبها، وعليه يحمل ما صدر عن العلماء الأعلام.

التاسع: إظهار العيوب الخفية للمريض عند الطبيب للمعالجة.

العاشر: رد من ادعي نسباً ليس له، فإن مصلحة حفظ الأنساب أولي من مراعاة حرمة المغتاب.

الحادي عشر: إذا علم إثنان عن رجل معصية وشاهداها، فأجري أحدهما ذكره في غيبة ذلك العاصي جاز، لأنه لا يؤثر عند السامع شيئا، وإن كان الأولي تنزيه اللسان عن ذلك لغير غرض من الأغراض الصحيحة،خصوصاً مع احتمال نسيان المخاطب لذلك أو خوف اشتهاره.

الثاني عشر: غيبة المتجاهر بالفسق في ما تجاهر به، فإن من لا يبالي بظهور فسقه بين الناس لا يكره ذكره بالفسق، وقد قال الإمام عليه السلام : إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة، (1) وفي رواية أخري: من ألقي جلباب

1- أمالي الصدوق: 93/ ح 68؛ وسائل الشيعة 12: 289/ ح 16327

الحياء فلا غيبة له. (1) وأما جواز غيبته في غير ما تجاهر به فقد منع منه الشـهيد الثاني، وحكي عن الشـهيد الأول أيضاً، واسـتظهر الفاضل النراقي الجواز.

قال شيخنا العلامة الأنصاري قدس سره: ظاهر الروايات النافية لاحترام المتجاهر وغير الساتر هو الجواز.

واستظهره في الحدائق من كلام جملة من الأعلام، وصرح به بعض الأساطين. قال شيخنا العلامة: وينبغي إلحاق ما يتستر به بما يتجاهر فيه إذا كان دونه في القبح، فمن تجاهر والعياذ بالله باللواط جاز اغتيابه بالتعريض للنساء الأجانب، ومن تجاهر بقطع الطرق جاز اغتيابه بشـرب الخمر، ومن تجاهر بالقبائـح المعروفـة جاز اغتيابه بكل قبيـح، ولعل هـذا هو المراد بمن ألقي جلباب الحياء، لا من تجاهر بمعصيةخاصـة وغدا مستوراً بالنسبة إلي غيرها كبعض عمال الظلمة. (2)

هذا،وهذه الموارد المذكورة هو المعروف اسـتثناؤها بين جمع من الأصـحاب،وبعضهم قد زادوا عليها، وبعضهم قد نقصوا، ولا حاجة إلي الأطناب بعد ما عرفت أن مدار الحرمة علي قصد الانتقاص والأذي بالذات، والله أعلم.

السادس: في معالجة الغيبة

وعلاجها إنما هو بالعلم بما يترتب عليها من المفاسد الدنيوية والأخروية، وبالتدبيرفي المضار المترتبة عليها عاجلاً و آجلاً.

أما المضار الدنيوية: فهو أنها تورث العداوة والشـحناء، وتوجب غضب المغتاب، فيكون في مقام المكافاة والمجازاة لشنيع قولك، فيغضبك ويؤذيـك ويهينك، ومن ذلك ينبعث الفساد، وربما يؤول الأمر إلي ما لا يمكن علاجه، بل قـد يؤول إلي القتل والجرح والاستيصال وإتلاف الأموال وغيرها.

وأما المضار الأخروية: فيحصل التنبه عليها بالتفكر والتدبر في الآيات

1- تحف العقول: 45، الاختصاص للمفيد: 242

2- المكاسب 1: 345 - 346

والأخبـار الواردة في ذمهـا وعقوبتها، وبالعلم بأنها توجب دخول النار وغضب الجبار ومقته، وتحبط الحسـنات و تنقلها إلي ميزان حسـنات المغتاب، فإن لـم تكن له حسنةنقل الله من سيئات خصمه بقدر ما استباحه من عرضه، قال صلي الله عليه وآله : ما النار في اليبس أسرع من الغيبة في حسنات العبد. (1)

وإن كانت الغيبة في العيب بالخلق فليعلم أنه عيب علي الخالق، فإن من ذم الصنعة فقد ذم الصانع. قيل لحكيم: يا قبيح الوجه، قال: ما كان خلق وجهي إلي فأحسـنه، وروي أن نوحا عليه السلام مر علي كلب أجرب فقال: ما هذا الكلب؟ فنطق وقال: يا نبي الله هكذا خلقني ربي، فإن قدرت أن تغير صورتي بأحسن من هذه الصورة فافعل، فندم نوح علي ما قال وبكي أربعين سنة، فسماه الله نوحاً، وكان اسمه عبد الملك أو عبد الجبار.

وروي أيضاً أنه مر عيسي عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب، فقال عليه السلام ما أشد بياض أسنانه، كأنه نهاهم عن غيبة الكلب وتعيبه، (2) فانظر إلي عظم الخطر في تعيب الناس، فإذا لـم يرض أولياء الدين بعيب ميتة حيوان، فكيف بعيب النفوس المحترمة. قال رسول الله صـلي الله عليه وآله: طوبي لمن شغله عيب نفسه عن عيوب الناس. (3) فإذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك، قال الشاعر:

وأجرء من رأيت بظهر غيب *** علي عيب الرجال وذو العيوب

فلربما تبصر في عين أخيك القذي ولا تبصر الجذع في عينيك.

ومصروفة عيناه عن عيب نفسه *** فإن لاح عيب من أخيه تبصرا

وقد قيل للربيع بن خيثم: ما نراك تعيب أحداً: قال: لست راضياً عن نفسي فأتفرغ لذكر عيوب الناس، ثم قال:

1- بحار الأنوار 72: 229

2- مستدرك الوسائل 9: 121ح10417

3- بحار الأنوار 72: 229

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها *** لنفسي في نفسي عن الناس شاغل

نعوذ بالله من زلات البيان وهفوات اللسان وسقطات الألفاظ ورمزات الألحاظ..

السابع: في كفارة الغيبة

قال المحدث الجزائري قدس سره: اعلم أن الواجب علي المغتاب أن يندم ويتوب ويأسف علي مافعل ليخرج من حق الله تعالي، ثم يستحل المغتاب فيحله ليخرج عن مظلمته، وينبغي أن يستحله وهو نادم حزين، وإلا فالمرائي قد يطلب المحالة فيكون عليه ذنب آخر، وقد ورد في كفارته حديثان :

أحدهما: قوله عليه السلام: كفارة من اغتبته أن تستغفر له.(1) وفي حديث آخر: كما ذكرته.(2) ومعني قوله كلما ذكرته علي طريقة الغيبة أو كلماعن في خاطرك أو جري ذكره علي لسانك بعد المحالة الأولي .

الثاني: قوله صلي الله عليه وآله: من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فيتحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، يؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيد علي سيئاته.(3)

وجمع بين الحديثين شيخنا الشهيد الثاني قدس الله روحه بحمل الاستغفار له علي من يبلغ غيبة المغتاب، فينبغي الاقتصار علي الدعاء له والاستغفار، لأن في محالته إثارة للفتنة وجلباً للضغائن، وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر علي الوصول إليه لموت أو غيبة، وحمل المحالة علي من يمكن الوصول إليه مع بلوغه.

قال الجزائري: ويمكن الجمع بينهما بوجهين:

أحدهما: أن الاستغفار له كفارة معجلة تكون مقارنة للغيبة، والمحالة متأخرة عنه

1- بحار الأنوار 72: 313، ح 27

2- بحار الأنوار 72: 341/ ح 4

3- بحار الأنوار 72: 343

غالباً، فيجب عليه المبادرة بذلك لعدم توقفه علي التمكن وعدمه، والمحالة إذا تمكن بعد هذا، فيكون الواجب اثنين لا واحد كما هو مذكور في القول الأول.

الثاني: حمل الاستغفار له علي الاستحباب، والواجب إنما هو المحالة لا غير، وإذا جاء إلي المغتاب فينبغي أن لا يظهر له الكلام الذي اغتاب خوفاً من إثارة الشحناء و تجديد العداوة، بل يقول له: يا أخي لك حقوق عرضية وأريد أن تحالني منها، ونحو ذلك من العبارات المجملة، ويستحب للمعتذر إليه قبول العذر والمحالة استحباباً مؤكداً، انتهي.

أقول: والأظهر في وجه الجمع ما حكاه عن الشهيد، بل وهو الأقرب.

والتحقيق ما حققه شيخنا العلامة الأنصاري قدس سره في المكاسب، حيث قال: مقتضي كون الغيبة من حقوق الناس توقف رفعها علي إسقاط صاحبها، أما كونها من حقوق الناس فلأنه ظلم علي المغتاب، وللأخبار في أن من حق المؤمن علي المؤمن أن لا يغتابه، وأن حرمة عرض المسلم كحرمة دمه وماله، وأما توقف رفعها علي إبراء ذي الحق فللمستفيضة المعتضدة بالأصل، ثم ذكر جملة من المستفيضة.

ثم قال: ولا فرق في مقتضي الأصل والأخبار بين التمكن من الوصول إلي صاحبه وتعذره، لأن تعذر البراءة لا يوجب سقوط الحق كما في غير هذا المقام، لكن روي السكوني عن أبي عبد الله، عن النبي صلي الله عليه وآله: إن كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته كلما ذكرته،(1) ولو صح سنده أمكن تخصيص الاطلاقات المتقدمة به، فيكون الاستغفار طريقاً إلي البراءة مع احتمال العدم أيضاً، لأن كون الاستغفار كفارة لا يدل علي البراءة، فلعله كفارة الذنب من حيث كونه حقاً لله، نظير كفارة قتل الخطأ التي لا توجب براءة القاتل إلا أن يدعي ظهور السياق في البراءة.

ثم ذكر كلام الشهيد الثاني قدس سره وجمعه بين الخبرين المتقدمين المتعارضين علي ما تقدم ذكره في كلام المحدث الجزائري قدس سره، ثم أورد عليه بأنه إن صح النبوي - أي ماروا السكوئي عن أبي عبد الله عليه السلام، عن النبي صلي الله عليه وآله

1- بحار الأنوار 72: 341/ ح 4

مسـنداً فلاـ مـانع عن العمـل به بجعله طريقاً إلي البراءة مطلقاً في مقابل الاسـتبراء، وإلا تعين طرحه والرجوع إلي الأصل وإطلاق الأخبار المتقدمة، وتعذر الاستبراء أو وجود المفسدة فيه لا يوجب وجود مبرء آخر.

نعم أرسل بعض من قارب عصرنا عن الصادق عليه السلام: إنك إن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه، وإن لم يبلغه فاستغفر الله له. (1)

وفي رواية السكوني المروية في الكافي في باب الظلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله : ومن ظلم أحداً ففاته فليستغفرالله له فإنه كفارة له. (2)

والانصاف أن الأخبار في هذا الباب كلها غير نقية السـند، و أصالة البراءة تقتضـي عدم وجوب الاستحلال ولا الاستغفار، وأصالة بقاء الحق الثابت للمغتاب بالفتـح – علي المغتاب بالكسـر ـ تقتضـي عدم الخروج منه إلا بالاسـتحلال خاصة، لكن المثبت لكون الغيبة حقاً بمعني وجوب البراءة منه ليس إلا الأخبار الغير النقية السـند، مع أن السـند لو كان نقياً كانت الدلالة ضعيفة الذكر حقوق أخر في الروايات لا قائل بوجوب البراءة منها، فالقول بعـدم كونه حقاً للناس بمعني وجوب البرائـة نظير الحقوق المالية لا تخلو من قوة، وإمكان الاحتياط في خلافه، بل لا يخلو عن قرب من جهة كثرة الأخبار الدالة علي وجوب الاسـتبراء منها، بل اعتبار سـند بعضـها، والأحوط الاسـتحلال إن تيسر، وإلا فالاستغفار غفر الله لنا ولمن اغتبنا بحق محمد و آله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).(3)

انتهي مانقلناه حرفياً عن كتاب (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) للسيد العلامة ميرزا حبيب الله الخوئي تغمده الله برحمته.

1- بحار الأنوار 72: 342/ ح 4

2- بحار الأنوار 72: 313، ح 27

3- المكاسب 1: 336 – 341

ومن كلام له عليه السلام :

في العرفان والسلوك إلي الله

قَد أحيَا عَقلَهُ وَأمَاتَ نَفسَهُ حَتَّي دَقَّ جَليلُهُ و لَطُفَ غَليظُهُ وَبَرَقَ لَهُ لامِعٌ كَثيرُ البَرقِ فَابَانَ لَهُ الطَّريقَ وَسَلَكَ بِه السَّبيلِ وتَدافَعَتهُ الأبوابُ إلي بَابِ السَّلامَةِ ودارِ الإقامَةِ وَثَبَّتَ رِجلَاهُ بِطُمانينةِ بَدَنِهِ فِي قَرارِالأَمنِ و الرَّاحَةِ بِمَا استَعمَل قَلبَهُ وَأَرضَيَ ربَّهُ. (ابن أبي الحديد مج 3 ص 42، ط الأولي).

ضبط الألفاظ اللغوية:

دقّ، الشيء يدق دقّة – من باب ضرّ– خلاف غلظ فهو دقيق، وغلظ الشيء بالضم غلظاً وزان عنب والاسم الغلظة وهو غليظ، و(أبان) وبين وتبين واستبان كلها بمعني الوضوح والانكشاف، وجميعها تستعمل لازماً معتدياً، إلا بأن الثلاثي فلا يستعمل إلا لازماً، قاله الفيومي.

الشرح

جاء في منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (مج 14 ص 192):

إن هذا الكلام علي غاية وجازته جامع لجميع صفات العارف الكامل، لكيفية سلوكه و كمال أمره، ولعمري إنه لا يوجد كلام أوجز من هذا الكلام في أداء هذا المعني، وهو في الحقيقة قطب دائرة العرفان و عليه مدارها، وفي الإيجاز الذي هو فن نفيس من علم البلاغة تالي كلام الملك الرحمن، مثل

قوله:(لِكَيلا تَأسَوا عَلي ما فاتَكُم وَلا تَفرَحُوا بِما آتاكُم) (1) الجامع للزهد كله، وقوله:(خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ و أَعرِض عَنِ الجَاهِلِينَ) (2) الجامع لمكارم الأخلاق جميعاً، وشرحه يحتاج إلي بسط في المقال، فأقول مستعيناً بالله ووليه عليه السلام:

قوله عليه السلام: قد أحيا عقله وأمات نفسه، المراد بعقله العقل النظري والعملي، وبنفسه النفس الأمارة بالسوء، والمراد بحياة الأول كونه منشئاً للآثار المترتبة عليه، مقتدراً علي تحصيل الكمالات والمعارف الحقة ومكارم الأخلاق المحصلة للقرب والزلفي لديه تعالي، وبموت الثاني بطلان تصرفاته وآثاره المبعدة عنه عزوجل بحذا فيرها، فإن الحياة والموت عبارة أخري عن الوجود والعدم لا أثر له أصلاً.

وأراد بإحيائه الأول وإماتته الثاني تقويته وتغليبه له عليه، بحيث يكون الأول بمنزلة سلطان قادر قاهر يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، والثاني بمنزلة عبد ذليل مقهور لا يرد ولا يصدر إلا بإذن مولاه.

ولا يحصل تقوية الأول وتذليل الثاني إلا بملازمة الكمالات العقلانية والمجاهدة والرياضة النفسانية، والمجاهدة عبارة عن ذبح النفس بسيوف المخالفة، كما قال تعالي:(وأمَّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ ونَهَي النَّفسَ عَنِ الهَوَي فَإنَّ الجَنَّة هِي المَأوَي)، (3) وقال رسول الله صلي الله عليه وآله لما بعث سرية ورجعوا: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. (4)

وقال بعض أهل العرفان: جاهد نفسك بأسياف الرياضة، والرياضة علي أربعة أوجه: القوت من الطعام، والغمض من المنام، والحاجة من الكلام، وحمل الأذي من جميع الأنام، فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفو الإرادات، ومن

1- الحديد: 23

2- الأعراف: 199

3- النازعات: 40 و41

4- الكافي 5: 12/ ح3

قلـة الكلام السـلامة من الآفات، ومن احتمال الأذي البلوغ إلي الغايات، وليس علي العبـد شـيء أشد من الحلم عند الجفاء، والصبر علي الأذي، وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام، وهاجت منها حلاوة فضول الكلام، جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلـة المنام، وضـربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام، حتي تنقطع عن الظلم والانتقام، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصـفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها، فتصـير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية، فتجول في ميدان الخير، وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان، و كالملك المتنزه في البستان.

وقال أيضاً: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، و من النفس بترك الشهوات.

شروط السالك :

وتفصيل ذلك علي ما قرر في علم السلوك أن للسالك الطريق الحق المريد للوصول إلي حظيرة القدس شروطاً و وظائف لابد من ملازمتها.

أمـا الشـروط التي لابـد من تقـديمها في الاـرادة: فهي رفع الموانع والحجب التي بينه وبين الحق، فإن حرمان الخلق من الحق سـببه تراكم الحجب ووقوع السد علي الطريق، قال الله تعالي:(وَجَعلنا مِن بَينِ أيدِيهِم سَدًّا وَمِن خَلفِهِم سَدًّا فَأغشَيناهُم فَهُم لا يُبصِرُونَ). (1)

والسد بين المريد وبين الحق ثلاثة: المال، والجاه، والمعصـية، ورفع حجاب المال إنما يحصل بالخروج منه إلا قدر الضرورة، فما دام يبقي له درهم ملتفت إليه فهو مقيـد به محجوب عن الله عزوجـل، ورفع حجـاب الجـاه إنمـا يحصل بالبعـد من موضع الجاه والهرب منه وإيثار خمول الـذكر، ورفع حجاب المعصـية إنما يحصل بالتوبـة والنـدم علي ما مضـي من المعاصـي وتدارك ما فات من العبادات ورد المظالم وإرضاء الخصوم.

1- يس :9

وظائف السالك:

وإذا قدم هذه الشروط فلابد له من المواظبة علي وظائف السلوك، وهي خمس: الجوع، والصمت، والسهر، والعزلة، والذكر.

الجوع:

أما الجوع فإنه ينقص دم القلب ويبيضه ويلطفه، وفي بياضه وتلطيفه نوره، ويذيب شحم الفؤاد، وفي ذوبانه رقته، ورقته مفتاح انكشاف الحجب، كما أن قساوته سبب الحجاب، ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو الشيطان، فإن مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات، ولذلك قال رسول الله صلي الله عليه وآله: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم في العروق، فضيقوا مجاريه بالجوع. (1)

ففائدة الجوع في كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء علي النفس الأمارة بالسوء أمر ظاهر، لأن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوي، ومادة القوي والشهوات لا محالة الأطعمة،فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة،و يكسر سورة النفس الأمارة، كالدابة الجموح إذا شبعت شردت وجمحت لا يمكن ضبطها باللجام، وإذا جاعت ذللت وانقادت، وكان يقال: ينابيع الحكمة من الجوع وكسر عادية النفس بالمجاهدة، وقال يحيي بن معاذ: لو أن الجوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره.

وقال سهل بن عبد الله: لما خلق الله الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل، وجعل في الجوع الطاعة والحكمة. وقال يحيي بن معاذ: الجوع للمريدين رياضة، وللتائبين تجربة، وللزهاد سياسة، وللعارفين تكرمة.

قال ابن أبي الحديد:واعلم أن السبب الطبيعي في كون الجوع مؤثراً في صفاء النفس، أن البلغم الغالب علي مزاج البدن يوجب بطبعه البلادة وإبطاء الفهم لكثرة

1- عوالي اللئالي 1: 273/ ح 97؛ بحار الأنوار 60: 332

الأرضية فيه وثقل جوهره وكثرة ما يتولد عنه من البخارات التي تسد المجاري وتمنع نفوذ الأرواح، ولا ريب أن الجوع يقتضي تقليل البلغم، لأن القوة الهاضمة إذا لم تجد غذاء تهضمه عملت في الرطوبة الغريبة الكائنة في الجسد، فكلما انقطع الغذاء استمر عملها في البلغم الموجود في البدن، فلا تزال تعمل فيه و تذيبه الحرارة الكائنة في البدن حتي يفني كل ما في البدن من الرطوبات الغريبة، ولا يبقي إلا الرطوبات الأصلية، فإن استمر انقطاع الغذاء أخذت الحرارة والقوة الهاضمة في تنقيص الرطوبات الأصلية من جوهر البدن، فإن كان ذلك يسيراً وإلي حد ليس بمفرط لم يضر ذلك بالبدن كل الاضرار، وكان ذلك هو غاية الرياضة التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: حتي دق جليله ولطف غليظه، وإن أفرط وقع الحيف والاجحاف علي الرطوبة الأصلية وعطب البدن ووقع صاحبه في الدق والذبول، وذلك منهي عنه لأنه قتل النفس، فهو كمن يقتل نفسه بالسيف أو بالسكين. (1)

وبالتالي فالشبع يورث القسوة والشهوة والسبعية، والجوع يوجب الرقة وانكسار الشهوة والصولة، وهو مشاهد بالتجربة، ومن هنا قيل: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع، وقال النبي صلي الله عليه وآله: من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه، (2) وقال أيضاً: أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع، وطهروها بالجوع تصفو و ترق. (3)

الصمت :

وأما الصمت فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة، لأن الكلام يشغل القلب، وميل القلوب إلي الكلام عظيم، فإنه يستروح إليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر، وفي الحديث: طوبي لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل

1- شرح نهج البلاغة 11: 137

2- وجاء في بحار الأنوار 74: 29: يا أحمد، إن العبد إذا أجاع بطنه وحفظ لسانه علمته الحكمة، وإن كان كافراً تكون حكمته حجةعليه ووبالاً

3- تذكرة الموضوعات للفتني: 151

من كلامه. (1) هـذا في الكلام المباح وأما الكلام الغير المباح من الكذب والنميمة والبهت وغيرها فبينه وبين السـلوك إلي الحق بون بعيد بعد المشرقين.

والسهر:

وأما السـهرفإنه يجلو القلب ويصـفيه وينوره، ولـذلك مدح الله سـبحانه المسـتغفرين بالأسـحار، لأنها أوقات صـفاء الذهن ونزول الرحمة والألطاف الإلهية، فيضاف صـفاء السـهر إلي الصـفاء الحاصل من الجوع، فيصـير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة مستعداً لإفاضة الأنوار الإلهيـة، فيلوح فيه سـبحات جمال الحق، ويشاهد رفعة الدرجات الأخروية وعظم خطرها وخسة الزخارف الدنيوية وحقارتها، فتتم بذلك رغبته عن الدنيا وشوقه إلي الآخرة، والسهر أيضاً من خواص الجوع، وبالشبع غير ممكن.

(العزلة والخلوة):

وأما العزلة والخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر، فإنهما دهليز القلب، والقلب بمنزلة حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة من مجـاري الحواس، والمقصود بالرياضـة تفريغ مياه الحوض من الطين الحاصل منها، فينفجر أصل الحوض فينبع منه ماء نظيف سائغ صاف، ولا يمكن نزح ماء الحوض والأنهار إليه مفتوحة، فيتجدد في كل حال أكثر مما ينتقص.

قـال الرضـا (عليه التحيـة والثناء): إن أمير المؤمنين عليه السـلام كان يقول: طوبي لمن أخلص لله العبادة ولم يشـغل قلبه بما تراه عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسع أذناه الحديث.(2)

فلا بد من ضبط الحواس إلآ عن قدر الضرورة، ولا يتم ذلك إلا بالعزلة والخلوة.

1- مستدرك الوسائل 9: 27؛ بحار الأنوار 68: 283/ ح 34

2- بحار الأنوار 67: 229

قال بعض السياحين: قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق: كيف الطريق إلي الحق؟ قال: أن تكون في الدنيا كأنك عابر طريق. وقلت له مرة: دلني علي عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالي علي الدوام، فقال لي: لا تنظر إلي الخلق، فإن النظر إليهم ظلمة، قلت: لا بد لي من ذلك، قال: فلا تسمع كلامهم، فإن في سماع كلامهم قسوة، قلت: لا بدلي من ذلك، قال: فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة، قلت: أنا بين أظهرهم لابد لي من معاملتهم، قال: فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة، قال: قلت: لعله يكون، قال: يا هذا أتنظر إلي الغافلين و تسمع كلام الجاهلين و تعامل البطالين و تريد أن تجد قلبك مع الله تعالي علي الدوام ؟! ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة.

وقد عرفت أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة هوي النفس، فإذا حصل للسالك هذه المقدمات اشتغل بذكر الله تعالي بالأذكار الشرعية، من الصلاة وتلاوة القرآن والأدعية المأثورة والتسبيح والتهليل وغير ذلك بلسانه وقلبه، فلا يزال يواظب عليها حتي لا يبقي علي قلبه ولسانه غير ذكره تعالي، ولا يكون له منظور غيره أصلاً، فعند ذلك يتجلي له من أنوار جماله وسبحات عظمته وجلاله ما لا يحيط به لسان الواصفين، ويقصر عنه نعت الناعتين.

شعر عرفاني:

ومما ينسب للإمام زين العابدين وسيد الساجدين في هذا المقام:

نسمات هواك لها أرج *** تحيي وتعيش بها المهج

وينشر حديثك يطوي الغم *** عن الأرواح ويندرج

وببهجة وجه جمال جلال *** كمال صفاتك أبتهج

لا كان فؤاد ليس يهيم *** علي ذكراك وينزعج

لا أعتب قلب الغافل عنك *** فليس علي الأعمي حرج

ما الناس سوي قوم عرفوك *** وغيرهم همج همج

قوم فعلوا خيراً فعلوا *** وعلي درج العليا درجوا

فهموا المعني فهم المعني ***فبذكر الله لهم لهجوا

دخل الفقراء إلي الدنيا***وكما دخلوا منها خرجوا

شربوا بكؤوس تفكرهم ***من صرف هواه وما مزجوا

يا مدعياً لطريقهم*** قوم فطريقك منعوج

تهوي ليلي وتنام الليل *** وحقك ذا طلب سمج

سيماء الشيعة:

جاء في كتابنا مسند الإمام علي عليه السلام:

روي صاحب الوسائل من أمالي ابن الشيخ قال: روي أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج ذات ليلة من المسجد وكانت ليلة قمراء، فأم الجبانة ولحقه جماعة يقفون أثره، فوقف عليهم ثم قال: من أنتم؟ قالوا: شيعتك يا أمير المؤمنين، فتفرس في وجوههم قال: فما لي لا أري عليكم سيماء الشيعة؟ قالوا: وما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام: صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، حدب الظهور من القيام، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاء من الدعاء، عليهم غبرة الخاشعين. (1)

وقال عليه السلام:(فَاتَّقُوا اللهَ عِبادَ الله تَقيَّة ذِي لُب شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلبَهُ وأنصَبَ الخَوفُ بَدنَهُ وَأَسهَرَ التَّهجُّدُ غِرارَ نُومه وأَظمَاَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَومِهِ وظَلَفَ الزُهـدُ شَهَواتِه وَأَوجَفَ الـذِكرُ بِلسانِه وقَدَّمَ الخَوفَ لَامانِه وتَنكَبَ المَخالَجَ عَن وَضَحِ السَّبيلِ وَسَلَكَ أقصَدَ المَسَالِكَ إِلَي النَهجِ المَطلوبِ). (2)

1- وسائل الشيعة للحر العاملي 1: 92 ح 218، نقلاً عن أمالي الشيخ الطوسي ص: 219

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 6: 263

ثم لا يخفي أن مطلوبية الاعتزال والخلوة إنما هي للفراغ للذكر والخلوة والعبادة وكون المعاشـرة مانعة منه، وأما إذا تكن لـم المعاشـرة مانعة منه بل تبعثه علي سـلوك الصـراط المسـتقيم، كالجمعـة والجماعة وزيارة الاخوان المؤمنين والاجتماع في مجالس الذكر ونحوها فهي من أعظم العبادات، وسلوك نهج الحق.

وأمـا غيرها مما ذكره الصوقيـة من الآداب والوظائف في المجاهـدة والرياضـة و كيفيـة السـلوك، مثل قولهم بالجلوس في بيت مظلم والخلوة أربعين يوماً واشتراطهم الاعتصام بالشـيخ و كون السلوك بإرشاده، وقولهم بالمداومة علي ذكر مخصوص ألقاه الشيخ إلي المريد من الأذكار الفتحيـة أو غيرها من الأذكار المبتدعة أو من الأذكار الشـرعية لكن علي هيئة مخصوصة وعدد مخصوص لـم يرد به نص، وقولهم بأن المريد إذا أتم مجاهـدته ولـم يبق في قلبه علاقـة تشـغله يلزم قلبه علي الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة، بل يقتصـر علي الفرائض والرواتب ويكون ورده ورداً واحداً وهو ملازمة القلب لذكر الله بعد الخلو عن ذكر غيره، فعند ذلك يلزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويلقنه ذكراً من الأذكار حتي يشـغل به لسانه وقلبه، فيجلس ويقول مثلاً: الله الله، أو سـبحان الله، أو ما يراه الشـيخ من الكلمات، فلا يزال يواظب عليه حتي تسقط حركـة اللسان وتكون الكلمـة كأنها جاريـة علي اللسان من غير تحريك، ثم لا يزال يواظب عليه حتي يسـقط الأثر عن اللسان وتبقي صورة اللفظ في القلب، ثم لا يزال كـذلك حتي تمحي عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقي حقيقة معناه لازمة للقلبحاضـرة معه غالبة عليه قد فرغ من كـل مـا سواه ونحو ذلك مما قالوه فشـيء لـم يرد به إذن من الشارع، بل هو من مبتـدعاتهم التي أبـدعوها، اللهم إلا أن يسـتدل علي الأخير – أعني المواظبة علي الذكر باللسان والقلب ـ علي ما وصل بعمومات أدلة الإكثار من ذكر الله والتفكر في الله.

ص: 137

ومن خطبة له عليه السلام :

في التحذير من الدنيا والاعتبار بالأمم السالفة ووحشة القبر

(دارٌبالبَلاء مَحفُوفَةٌ وبَالغَدر مَعرُوفَةٌ لا تَدومُ أحوالُهَا وَلَا يَسلَمُ نُزَّالُهَا أحوَالٌ مُختلَفَةٌ وتاراتٌ مُتصَرِفَةٌ العَيشُ فِيهَا مَذمُومٌ والأمَانُ مِنهَا مَعدومٌ وإنَّمَا أهلُهَا فيهَا أغرَاضٌ مُستَهدَفَةٌ تَرميهِم بِسهَامِهَا وتُفنيهِم بِحمامِها وَاعلمُوا عِبادَ الله أنَّكُم ومَا أنتُم فيه مِن هَذِه الدُنيا عَلي سَبيلِ مَن قَد مَضَي قَبلكُم مِمَّن كانَ أطوَلَ مِنكُم أعمَاراً وَأعمَرَ دياراً وَ آثاراً أَصبَحَت أَصوَاتَهُم هَامِدَةً وَ رَيَاحُهُم رَاكِدَةً وَأَجسَادُهُم بَالِيَةً وديَارُهُم خَالِيَةً وَآثَارُهُم عَافِيَةً فَاستَبدَلوُا بالقُصُورِ المَشيَّدَةِ وَالنَّمارِقِ المُمَهَّدَة الصُخُورَ وَالأحجَارَ المُسَنَّدَةَ والقُبُورَ اللاطئةَ المُلَحَدَةَ الَّتي قَد بُنِيَ عَلَي الخَرَابَ فَنَاؤُهَا وَشِيكٌ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا فَمَحَلُهَا مُقتَرِبٌ وَساكِنُهَا مُغتَرِبٌ بَينَ أهلِ مَحَلَةٍ مُوحِشينَ وأهلِ فَراغَ مُتشَاغِلينَ لا يستَانِسُونَ بِالأوطانِ وَلا يَتواصَلوُنَ تَواصُلَ الجِيرَان عَلَي ما بَينهُم مِن قُربَ الجَوارِ وَدُنُوَّ الدَّارِ وَكَيفَ يَكُونُ بَينَهُم تَزاوُرٌ وقد طَحَنَهُم بِكَلكَلِه البَلي وَأَكَلَتهُم الجَنادِلُ وَالثَّرَي وَكَانَ قَد صَرتُم إلي مَا صَارُوا إليه وَارتَهَنَكُم ذلكَ المَضجَعُ وَضَمَّكُم ذَلكَ المُستَودَعُ فَكَيفَ بِكُم لَو تَناهَت بِكُمُ الأمُورُ وبُعثِرَتِ القُبُورُ، وَرُدُّوا إلِيَ اللهِ مَولاهُمُ الحَقِّ وضَلَّ عَنهُم مَا كانُوا يَفتَرُونَ).(1) (شرح ابن أبي الحديد مج 3، ص 8 ط الأولي).

ضبط الألفاظ الغريبة:

(بالبلي محفوفة) أي قد أحاط بها من كل جانب. وسلم المسافر يسلم: نجا وخلص من الآفات. و(تارات) جمع تارة وهي المرة الواحدة، و (الأغراض)

1- يونس: 30

جمع الغرض وهو الهدف ترمي إليه السهام. و (المستهدفة) أي منتصبة للرمي إليها. و(المشيدة) بضم الميم وتشديد الياء وفتحها كما في قوله تعالي(ولَوكُنتُم في بُرُوجٍ مُشَيَّدَةَ) (1) أي قصور مصونة وقيل محصنة، و (النمرق) والنمرقة بتثليث النون وضم الرأء: الوسادة وهي المتكأ، والجمع نمارق، قال تعالي:(وَنَمارِقُ مَصفُوفَةٌ). (2) والقبور الملحدة ذوات اللحود.

الشرح:

إن الغرض من هذه الخطبة الشريفة التنفير عن الدنيا والتحذير منها والتنبيه علي مساويها ومخازيها الموجبة للنفرة والحذر.

خداع الدنيا:

قال عليه السلام : «دار بالبلاء محفوفة» أي حُفت بالمكاره والبليات، وأحاطت بها من كل جانب الآلام والآفات، وفي نسبة محفوفة، إلي الدار توسع، والمراد كون أهلها محفوفة بها.

وبالغدر معروفة، قال الشارح البحراني: استعار لفظ الغدر عما يتوهم الإنسان دوامها عليه من أحوالها المعجبة له،كالمال والصحة والشباب، فكأنه في مدة بقاءتلك الأحوال قد أخذ منها عهداً، فكأن التغير العارض لها المستلزم الزوال تلك الأحوال أشبه شيء بالغدر.

قال الميرزا الخوئي صاحب منهاج البراعة: مراده عليه السلام أنها مشهورة بالغدر والخداع، معروفة بالمكر والغرور، غير مختفية حيلتها ومكيدتها علي أهل البصيرة، لأنها بكونها حلوة خضرة محفوفة بالشهوات و مهيأة للآمال والأمنيات، أعجبت الناس بشهوتها العاجلة، وتحببت اليهم بلذاتها الحاضرة،

1- النساء: 78

2- الغاشية: 15

و تزينت بالغرور، فاغتر بها كل من كان غافلاً عن مكيـدتها، وافتتن بحبها كل من كان جاهلاً بحقيقتها، حتي إذا أوقعتهم في حبائل محبتها أبدت كل ما كان مضمراً في باطنها من مكرها وحيلتها، فلم يكن امرؤ منها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحته من ضـرائها ظهراً، ولم ينل أحد من غضارتها رغباً إلا أرهقته من نوائبها تعباً، فكم من واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة قد صرعته، وذي أبهة قد جعلته حقيراً، وذي نخوة قد ردته ذليلاً.

وكفي في إيضاح غدرها ما قاله بعض قدماء أهل الحقيقة والبصـيرة: من أنها الآخذة ما تعطي والمورثة بعد ذلك التبعة، السـلابة لمن تكسـو والمورثـة بعـد ذلك العري، الواضـعة لمن ترفع والمورثـة بعـد ذلك الجزع، التاركة لمن يعشـقها والمورثة بعد ذلك الشـقوة، المغوية لمن أطاعها، الغدارة بمن ائتمنها، هي المحبوبة التي لا تحب أحداً الملزومة التي لا تلزم أحداً،يوف إليها وتغدر، ويصدق لها وتكذب، وينجزلها فتختلف، هي المعوجة لمن استقام بها، والمتلاعبة بمن استمكنت منه.

بينا هي تطعمه إذ حولته مأكولاً، وبينا هي تخدمه إذ جعلته خادماً، وبينا هي تضـحكه إذ ضـحكت منه، وبينا هي تشـمه إذ شمت منه، وبينا هي تبكيه إذ بكت عليه، وبينا هي قد بسـطت يده بالعطية إذ بسـطتها بالمسألة، وبينا هو فيها عزيز إذ أذلته، وبينا هو فيها مكرم إذ أهانته، وبينا هو فيها معظم إذ حقرته، وبينا هو فيها شبعان إذ أجاعته، وبينا هو فيها حي إذ أمانته.

فأفٍ لها من دار هـذه صـفتها، تضع التاج علي رأسه غدوة و تعفرخده بالتراب عشـية، وتحلي الأيدي بالأسورة عشـية، وتجعلها في الأغلال غـدوة، تعقد الرجل علي السـرير غدوة، وترمي به في السـجن عشـية، تفرش له الديباج عشـية، وتفرش له التراب غدوة، وتجمع له الملاهي والمعازف غدوة، وتجمع عليه النوائح والنوادب عشية، تحبب إلي أهله قربه عشية، وتحبب إليهم بعده غدوة، تطيب ريحه غدوة، وتنتن ريحه عشية.

فهو في كل ساعـة متوقع لسـطوتها، غير آمن غـدرها وخديعتها، غير ناج من بلائها وفتنتها، تمتع نفسه من أحاديثها وعينه من أعاجيبها ويده مملوءة من جمعها، ثم تصبح الكف صفراً و العين هامدة ذهب ما ذهب، وهو ما هوي...(1)

ومن ذلك كله علم آنها (لا تدوم أحوالها) بل تصـير حياتها موتاً، وغناؤها فقراً، وفرحها ترحاً، وصـحتها سقماً، وقوتها ضعفاً، وعزهاذلاً، إلي غير هذه من حالاتها المتبدلة المتغيرة.

قوله عليه السـلام: ولا تسـلم نزالها، أي لا يسلم النازل في تلك الدار من آلامها و آفاتهاوصدماتها، بل هو في كل آن مترقب لاصابة مكروه، وجل من كل بلاء .

فإن كل ذي جسـد فيها لا ينفك جسده من أن الحر يذيبه، والبرد يجمده، والسـموم يتخلله، والماء يغرقه، والشـمس تحرقه، والهواء يسـقمه، والسباع تفترسه، والطير تنقره، والحديد يقطعه، والصدم يحطمه.

ثم هو معجون بطينـة من ألوان الأسـقام والأوجـاع والأمراض، فهو مرتهن بها مترصـد لها دائماً، لكونه مخلوقاً من الأخلاط الأربعـة التي لو غلب أحـدها علي الآخر أحدث أنواعاًمن المرض، ألا تري أن أصح الأخلاط وأقربها إلي الحياة هو الدم، فإذا خرج عن حد الاعتدال يموت صاحبه بموت الفجأة والطاعون والأكلة والسرسام.

هـذه كله مع ماله من مقارنة الآفات السـبع التي لا يتخلص منها ذو جسد وهي الجوع، والظمأ، والحر، والبرد، والخوف، والجوع، والمرض، والموت.

أحوالهـا (أحوال مختلفـة) إن اعـذوذب منها جانب واحاولي أمر منها جانب فأوبي، لـم تطل علي أحـد فيها ديمـة رخاء إلا هتنت عليه مزنة بلاء، ولـم يمس امرؤ منها في جناح أمن إلا أصبح علي قوادم خوف.

(وتارات متصرفة) يعني أن حالاتها تتغير بأهلها تارة بعد أخري، ومرة

1- كمال الدين للصدوق: 577، من كلام للناسك مع أحد ملوك الهند

بعـد مرة، فإنها تنقل أقواماً من الجـدب إلي الخصب، ومن الرجلة إلي الركب، ومن البؤس إلي النعمة، ومن الشدة إلي الرخاء، ومن الشـقاء إلي الراحة، ثم تنقلب بهم فتسلبهم الخصب، وتنزع منهم النعمة والراحة.

و محصـله آنهـا دار تصـرف و انتقـال و تقلب من حال إلي حال، صـختها تتبـدل بالسـقم، وشـبابهابالهرم، وغناها بالفقر، وفرحها بالترح، و سرورها بالحزن، وعزها بالذل، وأمنها بالخوف.

بينايري المرء فيها مغتبطاً محبوراً وملكاً مسـروراً في خفض ودعة ونعمة ولذة وأمن وسـعة، في بهجة من شـبابه و حداثة من سـته، وبهاء من سلطانه، وصـحة من بـدنه، إذ انقلبت به الـدنيا أشـر ما كان فيها قلباً، وأطيب ما كان فيها نفساً، وأقر ما كان فيها عيناً، وألـذ ما كان فيها عيشاً، فأخرجتهمن ملكها وغبطتها وخفضـها ودعتها وبهجتها، فأبـدلته بالعز ذلاً، وبالسـرور حزناً، وبالنعمـة نقمة، وبالغني فقراً، وبالسـعة ضـيقاً، وبالشباب هرمة، وبالشرف ضعة، وبالحياة موتاً.

ففـارق الأحبـة وفـارقوه، وخـذله إخوانه وتركوه، وصار ما جمع فيها مفرقاً، وما عمل فيها متبرءاً، وما شـيد فيها خراباً، وصار اسـمه مجهولاً، وذكره منسـياً، وحسـبه خاملاً، وجسده بالياً، وشـرفه وضيعاً، ونعمته وبالاً، و كسبه خساراً، وورث أعداؤه سلطانه، واستذلوا عقبه، واستباحوا حريمه، وتملكوا أمواله،و نقضوا عهده، وملكوا جنوده، فأفٍ الدار حالها هذا وشأن ساكنها ذلك، وفقنا الله تعالي للزهد فيها والاعراض عنها. وبما ذكرنا ظهر أن (العيش فيها مذموم) وأراد بالعيش الترفه فيها والتنعم بلذاتها والالتذاذ بشـهواتها، وإنما كان هذا مذموماً لكونه شاغلاً عن التوجه إلي الحق وعن الالتفات إلي الآخرة، ومعقباً للندم والحسرة الطويلة والعذاب الشديد يوم القيامة.

وقد وقع ذم هذا في كتاب الله تعالي وعلي ألسنة الأنبياء والرسل متجاوزاً عن حد الاحصاء، قال تعالي:(واعلَموُا أَنَّمَا الحَياةُ الدُّنيا لَعِبٌ وَلَهوٌ وزينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَينَكُم وتَكاثُرٌ فِي الأَموالِ والأَولادِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَعجَبَ الكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَ يَهيجُ فَتَراهُ مُصفَراً

ثُمَّ يَكُونُ حَطاماً وفِي الآخِرَةِ عَذابٌ شَديدٌ).(1) وقال أيضاً:(مَن كانَ يُريدُ الحَياةَ الدُّنيَا وَزينَتَها نُوَف إلَيهِم أعمَالَهُم فيها وهُم فيها لا يُبخَسونَ أولئكَ الَّذينَ ليسَ لَهُم فِي الآخِرَةِ إلا النَّارُ وَحَبَطِ مَا صَنَعوُا فِيها وباطلٌ ما كانوا يَعملونَ). (2)

مثال الدنيا:

وقد وقع تشبيه المتنعم باللذات الدنيوية والمتلذذ بشهوتها، الملهية له عن التوجه إلي عاقبة أمره والالتفات إلي مآل حاله في كلام الحكماء، برجل حمل عليه فيل مغتلم، فانطلق مولياً هارباً، فاتبعه الفيل فغشيه حتي اضطره إلي بئر، فتدلي فيها وتعلق بغصين نابتين علي شفير البئر، فإذا في أصلها جرذان يقرضان الغصنين، أحدهما أبيض والآخر أسود، فلما نظر إلي تحت قدميه فإذا رؤوس أربع أفاع قد طلعن من حجرهن، فلما نظر إلي قعر البئر إذا تنين فاغر فاه نحوه يريد التقامه، فلما رفع رأسه إلي الغصنين إذا عليهما شيء من عسل النحل، فألهاه ما طعم منه وما نال من لذة العسل وحلاوته عن الفكر في أمر الأفاعي اللواتي لا يدري متي يبادرنه، وألهاه عن التنين الذي لا يدري كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته.

أما الفيل فهو الأجل، وأما البئر فالدنيا المملوءة من الآفات والبلايا والشرور، وأما الغصنان فالعمر، وأما الجرذان فالليل والنهار يسرعان في قطع العمر، وأما الأفاعي الأربعة فالأخلاط الأربعة التي هي السموم القاتلة من المرة والبلغم والريح والدم التي لا يدري صاحبها متي تهيج به،وأما التنين الفاغرفاه ليلتقمه فالموت الراصد الطالب، وأما العسل الذي اغتر بأكله فما ينال الناس من عيش الدنيا ولذتها وشهواتها ونعيمها ودعتها،من لذة الطعام والشراب واللباس والشم واللمس والبصر، هذا هوالعيش المذموم.

1- الحديد: 20

2- هود: 16

العيش الممدوح:

ويقابله العيش الممدوح: وهو العيش الهنيء الذي أشير إليه في الحديث القدسي المروي في البحار من إرشاد القلوب للديلمي، عن أمير المؤمنين عليه السلام : إن الله تعالي شأنه قال للنبي صلي الله عليه وآله ليلة المعراج في جملة مخاطباته: يا أحمد هل تدري أي عيش أهني وأي حياة أبقي؟ قال: اللهم لا، قال: أما العيش الهنيء فهو الذي لايفتر صاحبه عن ذكري، ولا ينسي نعمتي،ولا يجهل حقي، يطلب رضائي في ليله ونهاره، وأما الحياة الباقية فهي التي تعمل لنفسه حتي تهون عليه الدنيا و تصغر في عينه، وتعظم الآخرة عنده، ويؤثر هواي علي هواه، ويبتغي مرضاتي، ويعظم حق عظمتي، ويذكر عملي به، ويراقبني بالليل والنهار عند كل سيئة أو معصية، وينقي قلبه عن كل ما أكره، ويبغض الشيطان و وسواسه، ولا ـ يجعل لإبليس علي قلبه سلطاناً ولا سبيلاً، فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حباً، حتي أجعل قلبه لي وفراغه واشتغاله وهمه وحديثه من النعمة التي أنعمت بها علي أهل محبتي من خلقي، وأفتح عين قلبه وسمعه، حتي يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلي جلالي وعظمتي، وأضيق عليه الدنيا و أبغض إليه ما فيها من اللّذات، وأحذره من الدنيا وما فيها كما يحذر الراعي علي غنمه مراتع الهلكة، فإذا كان هكذا يفر من الناس فراراً، وينقل من دار الفناء إلي دار البقاء، ومن دار الشيطان إلي دار الرحمن. يا أحمد لأزينته بالهيبة والعظمة، فهذا هو العيش الهنيء والحياة الباقية، وهذا مقام الراضين... الحديث. (1)

عدم الأمان في الدنيا:

والأمان فيها معدوم) لأنها إذا كانت بالبلاء محفوفة وبالخديعة موصوفة، مختلفة الحالات _ متصرفة التارات _ حسبما عرفت تفصيلاً

1- البحار للمجلسي 74: 21 - 28/ح6، نقلاً عن إرشاد القلوب للديلمي

وتوضيحاً _ فكيف يؤمن من بوائقها ويطمئن من طوارقها؟ وكيف يسلم من فجعتها ويستراح من خدعتها، ويتخلص من غيلتها؟!

فهي غارة ضرارة حائلة زائلة نافذة بائدة أكالة غوالة، حيها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم، ملكها مسلوب، ومالها منهوب، وعزيزها مغلوب، وموقورها منكوب، كيف لا_ وقد رأينا تنكّرها لمن أمن بها ودان لها واطمئن إليها حتي ظعنوا عنها فراق الأبد، هل زودتهم إلا السغب، أو أحلتهم إلا الضنك، أو تورث لهم الظلمة، أو أعقبتهم إلا الحسرة والندامة، فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها علي وجل.

قوله عليه السلام وإنماأهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمامها، واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا من متاعها وحطامها وزبرجها وزخارفها (علي سبيل من قد مضي قبلكم) من أهل الديار الخالية والربوع الخاوية.

التاريخ وطول العمر:

ممن كان أطول منكم أعماراً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، أصبحت أصواتهم هامدة، ورياحهم راكدة، وأجسادهم بالية.

منهم عوج بن عناق كان جباراً عدواً لله، له بسطة في الجسم والخلق.(1)

ومنهم عاد قوم هود، فقد كانت بلادهم في البادية و كان لهم زرع ونخل كثير، ولهم أعمار طويلة، فعبدوا الأصنام وبعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلي الإسلام وخلع الأنداد، فأبوا فأهلكهم الله.(2)

ومنهم شداد بن عاد الذي بني إرم ذات العماد في مدة ثلاثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة، قال في إكمال الدين: وجدت في كتب معمر

1- راجع قصته في البحار للمجلسي 11: 243 ح 36، باب 5

2- مجمع البيان للطبرسي 4: 287

أنه ذكر عن هشام بن سعيد الرحال، قال: إنا وجدنا حجراً بالاسكندرية مكتوباً فيه: أناشداد بن عاد،أناشيدت إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وجدت الأجناد، وشددت بساعدي الواد. (1)

ومنهم لقمان بن عاد وكان من بقية عاد الأولي، فقد روي أنه عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة. (2)

ومنهم فرعون ذو الأوتاد، قال في مجمع البيان: قال الضحاك: إنه عاش أربعمائة سنة، و كان قصيراً ذميماً، وهو أول من خضب السواد. (3)

ومنهم عمروبن عامرالملقب بمزيقنا وماء السماء، ملك أرض سبأ، فقد عاش ثمانمائة سنة، أربعمائة سنة سوقة في حياة أبيه، وأربعمائة سنة ملكاً، وكان يلبس كل يوم حليتين في سني ملكه، فإذا كان بالعشي مزق الحليتين حتي لا يلبسها أحد غيره، سُمي مزيقيا وسمي بماء السماء أيضاً لأنه كان حياة أينما نزل كمثل ماء السماء . (4)

ومنهم هبل بن عبد الله بن كنانة، عاش ستمائة سنة. (5)

ومنهم جلهمة بن أدد، ويقال له طيء وإليه تنسب قبيلة طيء كلها، وكان له ابن أخ يقال له: يحابر بن ملك بن أود، وقد عاش كل منهما خمسمائة سنة. (6)

ومنهم عبيد بن الأبرص، عاش ثلاثمائة سنة حتي قال:

فنيت وأفناني الزمان وأصبحت *** لدي بنو نعش وزهر الفراقد (7)

1- كمال الدين للصدوق: 555

2- كتاب الغيبة للطوسي: 114/ ح 87

3- مجمع البيان للطبرسي 7: 414

4- كمال الدين للصدوق: 560

5- البحار للمجلسي 51: 240

6- كتاب الغيبة للطوسي: 124

7- كمال الدين للصدوق: 558

ومنهم عزيز مصـر الذي كان في زمن يوسف و أبوه وجده، وهو الوليد بن الريان بن دومغ، و كان عمر العزيز سبعمائة سنة وعمر الريان ألف وسبعمائة سنة، وعمر دو مع ثلاثة آلاف سنة. (1)

ومنهم الضحاك صاحب الحيتين عاش ألف ومأتي سنة. (2)

ومنهم أفريدون العادل عاش فوق ألف سنة. (3)

ومنهم الملك الذي أحدث المهرجان، فقد زعمت الفرس أنه عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة. (4)

ذوالقرنين:

ومنهم الاسـكندر عاش خمسـمائة عام، وقد ملك الدنيا بأسرها وأخذ بقرني الشمس شرقها ومغربها، وقد ذكر الله تعالي قصته في القرآن في سورة الكهف بقوله:

(ويَسئلُونَكَ عَن ذِي القَرنَينِ قُل سَاتلُوا عَليكُم مِنهُ ذِكراً إنا مَكَّنَّا لهُ فِي الأرضِ وأتيناهُ مِن كُلِ شَيءٍ سَبَباً فأتبَعَ سَبَباً حَتي إذا بَلغَ مَغربَ الشمسَ وجَدَهَا تَغرُبُ فِي عَينٍ حَمئَةَ ووَجَد عندَها قَوماً قُلنا يَا ذَا القَرنَينِ إمَّا أَن تَعَذبَ وامَّا أَن تَتَخد فيهِم حُسناً قالَ أما مَن ظَلَمَ فَسَوفَ نعَذبُهُ ثُّمَ يُرَّدُ إلي ربِّه فَيُعَذِبُهُ عَذاباً نُكراً وأمَّا مَن آمَنَ وَعَمَلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الحُسنيَ وسَنَقوُلُ لهُ مِن أمرِنا يُسراً ثُمَّ أتبعَ سَبباً حَتي إذا بَلغَ مَطلعَ الشَمسِ وَجَدها تَطلُعُ عَلي قَومٍ لَم نَجعَل لَهُم مِن دُونها سَتراً كذلك وقَد أحَطنا بما لَديهِ خُبراً ثُمَّ أتَبعَ سَبباً حَتي إذا بَلغَ بَينَ السَّدينِ وَجَدَ مِن دونهِما قَوماً لا يَكادُونَ يَفقهُون قَولاً قالُوا يا ذَا القَرنَينِ الله يَأجُوجَ ومَأجُوجَ مُفسِدونَ في الأرضَ فَهَل نَجعَل لَكَ خَرجاً عَلي أن تَجعَل بينَنا وَبينَهم سَدّاً قالَ ما مَكَني فيه ربِّي خَيرٌ فأَعِينُوني بقُوَّةٍ أَجعَل بَينَكُم

1- المصدر السابق: 563

2- الغيبة للطوسي: 123

3- المصدر السابق

4- المصدر السابق

وبَينَهُم رَدماً آتُوني زُبَرَ الحَديدِ حَتَّي إذا ساوي بَينَ الّصدَفَينِ قالَ انفُخُوا حَتَّي إذا جَعَلَهُ ناراً قالَ أتُونِي أَفرِغ عَليهِ قَطراً فَمَا اسطاعُوا أَنَ يَظهَرُوه وما استطاعُوا لهُ نَقبًا قال هذا رحمَةٌ مِن ربّي فإذا جاءَ وَعدُ رَبّي جَعَلَهُ دَكَاءَ وكَانَ وَعدُ رَبّي حَقّاً). (1)

تفسير: قال الطبرسي رحمة الله في قوله تعالي:(إنّا مَكّنَّا لَه فِي الأُرضِ)، أي بسطنا يده في الأرض وملكناه حتي استولي عليها. وروي عن علي عليه السلام أنه قال: سخر الله له السحاب فحمله عليها، ومد له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معني تمكينه في الأرض،(واتَينَاهُ مِن كُلّ شَيء سَبَباً) أي وأعطيناه من كل شيء علماً وقدرة وآلة يتسبب بها إلي إرادته (فَأتبَعَ سَبَباً) أي فأتبع طريقاًوأخذ في سلوكه، أو فأتبع سبباً من الأسباب التي أوتيها في المسير إلي المغرب حَتّي إذا بَلَغَ مَغربَ الشَمسِ أي آخر العمارة من جانب المغرب، وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحد إلي موضع غرب الشمس (وجَدَهَا تَغرُبُ) أي كأنها تغرب (فِي عَينٍ حَمئَةٍ) وإن كانت تغرب وراءها، لأن الشمس لا تزال الفلك ولا تدخل عين الماء، ولكن لما بلغ ذلك الموضع تراءي له كأن الشمس تغرب في عين، كما أن من كان في البحر يراها كأنها تغرب في الماء، ومن كان في البر يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء، والعين الحمئة: هي ذات الحمأ، وهي الطين الأسود المنتن، والحامية الحارة (إمَّا أَن تُعَذِبَ) أي بالقتل من أقام منهم علي الشرك (وإمَّا أن تَتَّخِذَ فِيهِم حُسناً) أي تأسرهم وتمسكهم بعد الأسر لتعلمهم الهدي (أمَّا مَن ظَلَمَ) أي أشرك(فَسَوفَ نُعَذبُهُ)أي نقتله إذا لم يسلم (ثُمَّ يُرَدُّ إلي رَبِّه فَيُعذُبُه عَذاباً نُكراً)أي منكراً غير معهود في النار (وأمَّا مَن آمَنَ وعَمَل صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الحُسنَي)أي المثوبة الحسني، جزاءاً(وسَنَقولُ لَه مِن أمرِنا يُسرا) أي قولاً جميلاً، وسنأمره بما يتيسر عليه،(ثُمَّ أَتبَعَ سَبَباً) أي طريقاً آخر من الأرض يوصله إلي مطلع الشمس (حَتَّي إذا بَلِغَ مَطلَعَ الشَّمسِ)أي إبتداء العمارة من جانب المشرق. (2)

1- الكهف: 83 - 98

2- مجمع البيان للطبرسي 6: 382

وكـذلك قـال البيضـاوي: أي أمر ذي القرنين كما وصـفناه في رفعـة المكان وبسـطة الملك، أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيـار(وقَـد أحَطنا بِما لَـديهِ) من الجنود والآلات والعـدد والأسـباب(خُبراً) أي علماً تعلق بظواهره وخفاياه، والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير(ثُمَّ أتبَعَ سَبَباً) يعني طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلي الشمال(حَتَّي إذا بَلَغَ بينَ السَّدَينِ) بين الجبلين المبني عليهمـا سـده، وهمـا جبلاـ أرمينيـة وأذربايجان، وقيل: جبلان في أواخر الشـمال في منقطع أرض الترك، من ورائهما يأجوج ومأجوج (لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ قَولاً) لغرابـة لغتهم وقلـة فطنتهم (قالوُا يا ذَا القَرنَتَينِ) أي قال مترجمهم (فَهَل نَجعَلُ لَـكَ خَرجـاً) أي جعلاـ نخرجه من أموالنـا؟(قـالَ ما مَكَّني فِيهِ ربِّي خَيرٌ) أي ما جعلني فيه مكيناً من المال والملك خير مما تبـذلون لي من الخراج ولا حاجة بي إليه (فأَعينُوني بِقُوَةٍ) و أي بفعلة، أو بما أتقوي به من الآلات (رَدماً) أي حاجزاً حصـيناً وهو أكبر من السد(زُبَرَ الحَديدِ) أي قطعه(بَينَ الصَّدَفَينِ) أي بين جانبي الجبلين بتنضيدها (قالَ انفُخُوا) أي قال للعملة: انفخوا في الأكوار والحديد(حَتّي إذا جَعَلَهُ) أي جعل المنفوخ فيه(ناراً) أي كالنار بالاحماء (قالَ آتُوني أُفرِغ عَليهِ قطراً) أي آتوني قطراً، أي نحاساً مـذاباً أفرغ عليه قطراً، فحـذف الأول لدلالة الثاني عليه(فَمَا اسـتَطاعُوا أَن يَظهَرُوهُ) أي أن يعلوه بالصـعود لارتفاعه وانملاسه (وَمَا استَطاعُوا لَهُ نَقباً) لثخنه وصلابته، قيل حفر للأساس حتي بلغ الماء، وجعله من الصـخرة والنحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضـها ببعض وصار جبلاً صلداً، وقيل بناه من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلاليب من حديـد ونحاس مـذاب في تجاويفها (قال هـذا) السد أو الإقدار علي تسوينه (رَحمَةٌ مِن ربِّي) علي عباده (فَإِذا جَاءَ وَعدُ رَبِّي) وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج، أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة (جَعَلَهُ دَكّا) مدكوكاً مسوياً بالأرض. (1)

1- أنوار التنزيل البيضاوي 2: 11 - 12، كما في البحار 12: 172 - 173

قال الطبرسي رحمة الله: قيل: إن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط، وقيل إنه وراء دربند وخزران من ناحية أرمينية و آذربيجان، وقيل: إن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع، وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً... وجاء في الحديث أنهم يدأبون في حفره نهارهم، حتي إذا أمسوا و كادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا: نرجع غداً ونفتحه ولا يستثنون، فيعودون من الغد وقد استوي كما كان، حتي إذا جاء وعد الله قالوا: غداً نفتح ونخرج إن شاء الله، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس فيخرقونه فيخرجون علي الناس فينشفون المياه، و تتحصن الناس في حصونهم منهم، فيرمون سهامهم إلي السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً (أي دود يدخل في أنوف الإبل والغنم) في أقفائهم فتدخل في آذانهم فيهلكون بها، فقال النبي صلي الله عليه وآله: والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتسكر من لحومهم سكراً. (1)

محمد بن هارون الزنجاني، عن معاذ بن المثني العنبري، عن عبد الله بن أسماء، عن جويرية، عن سفيان، عن منصور، عن أبي وائل، عن وهب قال: وجدت في بعض كتب الله عزوجل أن ذا القرنين لما فرغ من عمل السد انطلق علي وجهه، فبينا هو يسير وجنوده إذ مر علي شيخ يصلي، فوقف عليه بجنوده حتي انصرف من صلاته، فقال له ذو القرنين: كيف لم يردعك ما حضرك من جنودي؟ قال: كنت أناجي من هو أكبر جنود منك وأعز سلطاناً و أشد قوة، ولو صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قبله، فقال له ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي، وأستعين بك علي بعض أمري؟ قال: نعم إن ضمنت لي أربع خصال: نعيماً لا يزول، وصحة لاسقم فيها، وشباباً لا هرم فيه،

1- مجمع البيان للطبرسي 6: 389

وحياة لا موت فيها، فقال ذو القرنين: وأي مخلوق يقدر علي هذه الخصال؟ فقال الشيخ: فإني مع من يقدر عليها ويملكها وإياك.

ثم مر برجل عالم فقال لذي القرنين: أخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله عزوجل قائمين، وعن شيئين جاريين، وشيئين مختلفين، وشيئين متباغضين. فقال له ذو القرنين: أما الشيئان القائمان فالسماوات والأرض، وأما الشيئان الجاريان فالشمس والقمر،وأماالشيئان المختلفان فالليل والنهار،وأما الشيئان المتباغضان فالموت والحياة. فقال: انطلق فإنك عالم، فانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتي مر بشيخ يقلب جماجم الموتي، فوقف عليه بجنوده فقال له: أخبرني أيها الشيخ لأي شيء تقلب هذه الجماجم؟

قال: لأعرف الشريف من الوضيع، والغني من الفقير فما عرفت، وإني لأقلبها منذ عشرين سنة. فانطلق ذو القرنين وتركه فقال: ما عنيت بهذا أحداً غيري.

فبينا هو يسير إذ وقع علي الأمة العالمة من قوم موسي الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، فلما رآهم قال لهم: أيها القوم أخبروني بخبركم فإني قد درت الأرض شرقها وغربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ونورها وظلمتها فلم ألق مثلكم، فأخبروني ما بال قبور موتاكم علي أبواب بيوتكم؟ قالوا: فعلنا ذلك لئلا ننسي الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟

قالوا: ليس فينا لص ولا ظنين، وليس فينا إلا أمين. قال: فما بالكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم. قال: فما بالكم ليس بينكم حكام؟ قالو: لا نختصم. قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكاثر. قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟ قالوا: من قبل أنا متواسون متراحمون. قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا. قال: فما بالكم لا تسبون ولا تقتتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالحلم. قال: فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا. قال: فأخبروني لم ليس

فيكم مسكين ولا ـ فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقسم بالسوية. قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع. قال: فلم جعلكم الله عزوجل أطول الناس أعماراً؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطي الحق ونحكم بالعدل. قال: ما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: من قبل أنا لا تغفل عن الاستغفار. قال: فما بالكم لا تحزنون؟ قالوا: من قبل أنا وطنا أنفسنا علي البلاء فقوينا أنفسنا. قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات؟ قالوا: من قبل أنا لا نتوكل علي غير الله عزوجل ولا نستمطر بالأنواء والنجوم. قال: فحدثوني أيها القوم هكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالو: وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم، ويواسون فقيرهم، ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلي من أساء إليهم، ويستغفرون لمسيئهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدون أمانتهم، ويصدقون ولا يكذبون، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم. فأقام عندهم ذو القرنين حتي قبض، وكان له خمسمائة عام. (1)

روي الصدوق عن أبي جعفر عليه السلام قال: حج ذو القرنين في ستمائة ألف فارس، فلما دخل الحرم سبقه بعض أصحابه إلي البيت، فلما انصرف قال: رأيت رجلاً ما رأيت رجلاً أكثر نوراً ووجهاً منه، قالوا: ذلك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام قال: أسرجوا فأسرجوا ستمائة ألف دابة في مقدار ما يسرج دابة واحدة، ثم قال ذو القرنين: نمشي إلي خليل الرحمن، فمشي ومشي معه أصحابه حتي التقيا، قال إبراهيم عليه السلام : بم قطعت الدهر؟ قال: بإحدي عشرة كلمة: سبحان من هو باق لا يفني، سبحان من هو عالم لا ينسي، سبحان من هو حافظ لا يسقط، سبحان من هو بصير لا يرتاب، سبحان من هو قيوم لا ينام، سبحان من هو ملك لا يرام، سبحان من هو عزيز لا يضام، سبحان من هو محتجب لا يري، سبحان من هو واسع لا يتكلف، سبحان من هو قائم لا يلهو، سبحان من هو دائم لا يسهو. (2)

1- الأمالي للصدوق: 235/ ح 7/251

2- رواه أيضاً الراوندي في قصص الأنبياء: 125/ ح 124

وجاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان، و كافران، فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: نمرود وبخت نصر. (1)

الاسكندر والملكة الذكية :

فالاسكندر ملك الأرض شرقها وغربها ولم يبق قطر إلا وقد استولي عليه، فذكروا له يوماً بأن مملكة في الاقليم الفلاني لم تملكه ولم تستولي عليه، فقال: نسير إليه، وكان الذي يملك ذلك الاقليم امرأة بصيرة حاذقة من الفهم والذكاء فوق ما يوصف، فعرفت أن الاسكندر لا يتركها وشأنها، فقالت يوماً للمصورين: من رأي منكم الاسكندر فليصور لي صورته، فخطوا لها صورته، فجعلتها أمامها في المقصورة المطلة علي مدخل البلد، فكانت تنظر مرة إلي الصورة ومرة إلي الشارع الرئيسي حذراً من أن يدخل الاسكندر البلد من غير أن تظفر به، فسار الاسكندر بجيشه الجرار الذي لا يقابله شيء حتي حاذي المملكة، فأقام الجيش علي بعد مسافة وغير لباس الملك ولبس ملبوس الناس المتعارف كي لا يعرف، وكانت هذه عادته ليختبر القطر الذي يقصده فيعلم معداته واستعداده وقواه الحربية،فدخل بهذه الهيئة البلد، ولما نظرت إليه عرفته، فقالت للشرطة: انزلوا إلي ذلك الرجل بسرعة واقبضوا عليه قبل أن يدخل البلد، فزجوه في السجن وامنعوا عنه الطعام والشراب ليله ونهاره، وما أسرع ما ألقي القبض عليه وزج في السجن من دون معرفة سابقة، ولا يعلم السبب لذلك، فكان يطلب منهم الطعام والشراب فلا يعيروه سمعاً، حتي ضعف وأخذ بالارتعاش، فأخبروها بذلك، وكان في قصرها غرف واسعة فأمرت بأن توضع في إحداهن مائدة ويملؤوها بنفائس المجوهرات من اليواقيت والفلزات، ووضعت في آخرها قرص شعير يابس وإناء فيه قليل من الماء، وأمرت بأن توضع في إحدي الغرف مائدة تملي بأنواع الطعام وما خلق الله من أنواع الفواكه، ولما كمل ذلك أخبروها بأن في جميع ما أمرت به، فقالت: علي به، فلما مثل

1- الخصال للصدوق: 255 ح 130

بين يـديها قالت له: من أنت؟ قال: رجل سائـح، فقالت: أفهم ما تقول رجل سائـح فمن أنت ؟ فقال أيضاً: رجل سائـح في البلـدان، فقالت: سبحان الله أقول له من أنت فيجيب رجل سائـح في البلـدان، فقالت: أنت رجل سائح؟ قال: بلي، قالت: فهل رأيت أثناء سـياحتك صاحب هـذه الصورة وهل تعرفه؟ قال: لا – أي لا أخبرك _ فقالت: علي بمرآة، ثم قالت:ضـعوهاإلي جنب الصورة،فقالت له: قف أمام المرآة وانظر الصورتين هل تحس بفارق بينهما، فقال: دعينا من هذا القول وعجلي لنا بالطعام والشـراب فقد ضـعفت، فقالت: ولـم لـم تقل من أول الأمر إني الاسـكندر لتـدفع عنك هـذه المشـقة، ثم جائت به إلي المائـدة التي فيها المجوهرات فقالت له: كل، فقال: إن هذه لا تؤكل، ولما وقع بصـره علي قرص الشعير في آخر المائدة أسرع إليه فأكله وشرب عليه الماء، فانتظرته إلي أن فرغ، فأسرعت إليه وقالت: ما صنعت؟ هذا ليس بطعام لك ولا مأكولك، فـذهبت به إلي مائـدة الطعام وقالت: له كل، فقال: إني شـبعت، فقالت له: كيف وقد أعطاك الله الدنيا بأسـرها فلم تشـبع حتي جئت تزاحمني علي ما أملك؟! فقال: والله لقـد جبت الدنيا بأسـرها فما رأيت أذكي منك ولا أبصـر بالأمور، فالقطر وما فيه لك وها أنا منصرف عنك، فقالت: احملوا معه هذه المجوهرات لعله يشبع.

ذو القرنين وبلقيس:

وأخرج ابن أبي حاتم وابن عساكر عن مجاهـد قال: إن ذا القرنين ملك الأرض كلها إلا بلقيس صاحبة مأرب، فإن ذا القرنين كان يلبس ثياب المساكين ثم يدخل المدائن فينظر من عورتها قبل أن يقتل أهلها، فأخبرت بذلك بلقيس، فبعثت رسولاً ينظر إليه فيصور لها صورته في ملكه حين يقعد، وصورته في ثياب المساكين، ثم جعلت كل يوم طعم المساكين وتجمعهم، فجاءها رسولها في صورته، فجعلت إحدي صورتيه تليها والأخري علي باب الأسـطوانة، فكانت تطعم المساكين كل يوم فإذا فرغوا عرضـتهم واحـداً واحداً فيخرجون، حتي جاء ذو القرنين في ثياب المساكين فدخل

مـدينتها ثم جلس مـع المسـاكين إلي طعامهـا، فقربت إليهم الطعـام فلمـا فرغوا أخرجتهم واحـداً واحـداً وهي تنظر إلي صورته في ثيـاب المسـاكين، حتي مر ذو القرنين فنظرت إلي صورته فقـالت: أجلسوا هـذا وأخرجوا من بقي من المسـاكين، فقـال لها: لم أجلستيني وإنما أنا مسـكين؟قالت:لا أنت ذو القرنين، هـذه صورتك في ثياب المساكين، والله لا تفارقني حتي تكتب لي أمانـة بملكي أو أضـرب عنقك، فلما رأي ذلك كتب لها أماناً، فلم ينج أحد منه غيرها (تفسير السيوطي مج 4 ص 247 ط 1).

الاسكندر وفيلسوف الهند:

وذكر المسـعودي في كتابه مروج الـذهب (مج 1 ص 182 ط سنة 1346 ه مطبعة البهية بمصـر): ولماقتل الاسـكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهنـد، وانقاد إليه جميع ملوك الهند حسب ما ذكرنا من حمل الأموال والخراج إليه، بلغه أن في أقاصـي أرض الهند ملكاً من ملوكهم ذا حكمـة وسـياسة وديانـة وإنصاف للرعيـة، وأنه قـد أتي عليه من عمره مئون من السـنين، وأنه ليس بأرض الهند من فلاسـفتهم وحكمائهم مثله، يقال له كنـد، وكان قاهراً لنفسه، مميتاً لصـفاته من الشـهوة الغضبية وغيرها، حاملاً لها علي خلق كريم وأدب زائن، فكتب إليه كتابـاً يقول فيه: أما بعـد، فإذا أتاك كتابي هـذا، فإن كنت قائماً فلا تقعـد، وإن كنت ماشـياً فلا تلتفت، وإلا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضي من ملوك الهند.

فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسـكندر بأحسن جواب وخاطبه بملك الملوك، وأعلمه أنه قـد اجتمع له قبله أشـياء لا يجتمع عند غيره مثلها إلا من صارت إليه عنـده، فمن ذلك ابنـة له لم تطلع الشـمس علي أحسن صورة منها، وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل أن تسأله، لحـدة مزاجه وحسن قريحته واعتـدال بنيته واتساعه في علمه،وطبيب لا تخشـي معه داء ولا شـيئا من العوارض إلا ما يطرأ من الفناء والـدثور الواقع بهـذه البنية وحل

العقـدة التي عقـدها المبـدع لهـا المخترع لهـذا الجسم الحي، وإن كـانت بنيـة الإنسان وهيكله قـد تصـبت في هـذا العالم عرضاً للآفات والحتوف والبلايا، وقدح عندي إذا أنا ملأته شرب منه عسكرك بجميعه ولا ينقص شيء، ولا يزيده الوارد عليه إلا دهاقاً، وأنا منفذ جميع ذلك إلي الملك وصائر إليه.

فلما قرأ الاسكندر الكتاب ووقف علي ما فيه، قال: تكون هذه الأشياء الأربعةعندي ونجاة هذا الحكيم من صولتي أحب إلي من أن لا تكون عندي ويهلك.

فأنفـذ إليه الاسـكندر جماعـة من حكماء اليونانيين في عـدة من الرجال، وتقـدم إليهم: إن كان صادقاً فيما كتب به فاحملوا ذلك إلي ودعوا الرجل في موضـعه، وإن تبينتم أن الأمر بخلاف من ذلك وأنه أخبر عن الشـيء علي خلاف ماهو به فقـد خرج عن حد الحكمة، فأشـخصوه إلي، فمضـي القوم حتي انتهوا إلي الملـك، فتلقـاهم بـأحسن لقاء وأنزلهم أحسن منزل، فلما كان في اليوم الثالث جلس لهم مجلساً خاصـاً للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة، فقال بعض الحكماء لبعض: إن صدقنا في الأولي صدقنا فيما بعدها مما ذكر.

فلمـا أخـذت الحكمـاء مراتبهـا واسـتقرت بهـا مجالسـها، أقبـل عليهم مباحثاً لهم في أصول الفلسـفة والكلام في الطبيعيات وما فوقها من الإلهيات، وعلي شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته،فطال الخطب في المبادي الأول وتشاح القوم ونظروا في موضوعات العلماء وترتيبات الحكماء علي غير مراء، وتناهي بهم الحكماء إلي غايـة كان إليها صدورهم من العلويات، ثم أخرج الجارية فلما ظهرت لأبصارهم رمقوها بأعينهم، فلم يقع طرف واحد منهم علي عضو من أعضائها مما ظهر فأمكنه أن يتعدي ببصـره إلي غيره، وشـغله تأمل ذلك وحسنه عن تأمل حسن شـكلها وإتقان صورتها، فخاف القوم علي عقولهم لما ورد عليهم عنـد النظر إليها، ثم إن كل واحد منهم رجع إلي نفسه وفهمه وقهر سلطان هواه ودواعي طبعه، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به، وسير هم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم وشيعهم مسافة من أرضه.

فلما وردوا علي الاسكندر وأمر بإنزال الطبيب والفيلسوف، ونظر إلي الجارية فحار عند مشاهدتها وبهرت عقله، وأمر قيمة جواريه بالقيام عليها، ثم صرف همته إلي الفيلسوف وإلي علم ما عنده وإلي علم الطبيب ومحله من صنعة الطب و حفظ الصحة،وقص الحكماء عليه ماجري لهم من المباحثة مع الملك الهندي ومن أحضره من فلاسفته وحكمائه، فأعجبه ذلك وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم والغاية التي إليها كان أصدرهم،وأقبل ينظر إلي مطاردة الهند في عللها ومعلولاتها ومايصفه اليونانيون من عللها وصحة قياسها علي ما قدمنا من أوضاعها، ثم أراد محنة الفيلسوف علي حسب ما أخبر عنه، فخلا بنفسه وأجال فكره، فسنح له سائح من الفكر بإيقاع معني يختبره به فدعا بقدح فملأه سمناً وأدهقه ولم يجعل للزيادة عليه سبيلاً ودفعه إلي رسولٍ له وقال اله: امض به إلي الفيلسوف ولا تخبره بشيء، فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه إلي الفيلسوف قال بصحة فهمه وتبينه للأمور المتقنة المحكمة في نفسه: لأمر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن إلي، وأجال فكره وسبر المراد به، ثم دعا بنحو ألف ابرة فغرز أطرافها في السمن وأنفذها إلي الاسكندر، فأمر الاسكندر بسبكها كرة مدورة ململمة متساوية الأجزاء وأمر بردها إلي الفيلسوف، فلما نظر إليها الفيلسوف وتأمل فعل الاسكندر فيها، أمر ببسطها وبأن يتخذ منها مرآة بحضرته وصقلها، فصارت جسماً صقيلاً ترد صورة من قابلها من الأشخاص لشدة صفائها وزوال الدون عنها وأمر بردها إلي الاسكندر، فلما نظر إليهاوتأمل حسن صورته فيها، دعا بطست فجعل المرآة فيه وأمر بإراقة الماء فيه عليها حتي رسبت وأمر بحمل ذلك إلي الفيلسوف.

فلما نظر الفيلسوف إلي ذلك أمر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطر جهارة وجعلها في الطست فوق الماء فطفت فوقه وأمر بردها إلي الاسكندر، فلما نظر الاسكندر إلي ذلك أمر بتراب ناعم فملئت منه وردها إلي الفيلسوف، فلما نظر الفيلسوف إلي ذلك تغير لونه وحاله وجزع وتغيرت صفاته وأسبل دموعه علي خده و كثر شهيقه وطال أنينه وظهر حنينه، وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه، ثم أفاق من ذلك الحال وزجر نفسه وأقبل عليها

كالمعاتب لها وقال: ويحك يا نفسي ما الذي قذف بك في هذه السلافة؟ وأصار بك إلي هذه الغمة؟ووصلك بهذه الظلمة؟أنسيت وأنت في النورتسرحين وفي العلوم تمرحين، و تنظرين في الضياء الصادق وتتفسحين في العالم المشرق، أنزلت إلي عالم الظلم والمعاندة والغشم والمفاسدة، تخطفك الخواطف وتنتهرك العواصف، قد حرمت علم الغيوب والكون في العالم المحبوب، ورميت بشدائد الخطوب ورفضت كل مطلوب، أين مصادر الطبية وراحتك القوية، حللت في الأجساد فقوي عليك الكون والفساد. حللت يا نفس بين السباع القاتلة والأفاعي المهلكة والنيران المحرقة والريح العاصفة، وصرتك الأعمار علي قرارات الأجسام، لا تشاهدين إلا غافلاً، ولا ترين إلا جاهلاً قد زهد في الخيرات ورغب عن الحسنات.

ثم رفع طرفه نحو السماء فرأي النجوم تزهر، فقال بأعلي صوته: يا لك من نجوم سائرة وأجسام زاهرة، من عالم شريف طلعت، ولشيء ما وضعت، إنك من عالم نفيس قد كانت النفس في أعاليه ساكنة وفي أكنافه قاطنة، فقد أصبحت عنه ظاعنة.

ثم أقبل علي الرسول وقال: خذه ورده إلي الملك – يعني التراب – ولم يحدث فيه حادثة، فلما ورد الرسول علي الاسكندر وأخبره بجميع ما شاهد فتعجب الاسكندر من ذلك وعلم مرامي الفيلسوف ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من النقلة مما علا من العوالم إلي هذا العالم، ولما كان في صبيحة تلك الليلة، جلس له الاسكندر جلوساً خاصاً ودعابه ولم يكن رآه قبل ذلك، فلما أقبل ونظر إلي صورته و تأمل قامته وخلقته، نظر إلي رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية، فقال في نفسه: هذه بنية تضاة الحكمة، فإذا اجتمع لحسن الصورة وحسن الفهم كان أوحد زمانه، ولست أشك أن هذا الشخص قد علم كل ما راسلته به وأجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة، فليس في وقته أحد يدانيه في حكمته، ولا يلحقه في علمه.

وتأمل الفيلسوف الاسكندر فأدار اصبعه السبابة علي وجهه ووضعها

علي أرنبة أنفه وأسـرع نحو الاسـكندر وهو جالس علي غير سـرير ملكه، فحياه بتحية الملوك، فأشار إليه الاسـكندر بالجلوس، فجلس حيث أمره، فقال له الاسكندر: ما بالك حين نظرت إلي ورميت بطرفك نحوي أدرت اصبعك حول وجهك ووضعتها علي أرنبةأنفك؟ قال: تأملتك أيها الملك بنوريـة عقلي وصـفاء مزاجي فتبينت فكرتك وتأملك لصورتي وأنها قلما تجتمع مع الحكمـة، فإذا كان ذلك كان صاحبها أوحد زمانه، فأدرت أصـبعي مصـداقاً لما سـنح لك، وأريتك مثالاً شاهداً، كما أنه ليس في الوجه إلآ أنف واحد، فكذلك ليس في دار مملكة الهند غيري، ولا يلحق أحد من الناس بي في حكمتي.

فقال له الاسـكندر: ما أحسن مانأتي لك ما ذكرت وانتظم لك بحسن الخاطر ما صـنعت، فـدع عنك هـذا. ما بالك حين أنفذت إليك قدحاً مملوءاً سمناً غرزت فيه إبراً ورددته إلي؟ قال الفيلسوف: علمت أيها الملك أنك تقول: إن قلبي امتلا، وعلمي قد انتهي كامتلاء هذا الإناء من السـمن، فليس لأحـد من الحكماء فيه مستزاداً، فأخبرت الملك أن علمي يستزيـد في علمه ويدخل فيه دخول هذه الابر في هذا الإناء، قال: فأخبرني ما بالك حين عمل من الابر كرة وأقدمتها إليك صـيرتها مرآة ورددتها إلي صقيلة؟ قال: علمت أيها الملك أنك تريد أن قلبك قد قسا من سفك الدماء والشغل بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة، فلا يقبل العلم ولا يرغب في فهم الغابات والعلوم والحكمة، فأخبرتك مجيباً ممثلاً بسبك الكرة والحيلة في أمرها بجعلي منها مرآة صقيلة مؤدية إلي الاجسام عند المقابلة لحسن الصفاء، قال له الاسكندر: صدقت، قد أجبتني عن مرادي، فأخبرني أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة في الطست ورسـبت في الماء جعلتها قدحاً فوق الماء طافية ثم رددتها إلي؟ قال الفيلسوف: علمت أنك تريد بذلك أن الأيام قد انقضت وقصـرت، وأن الأجل قد قرب، ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل إلي قلبه وتقريبه من فهمه كاحتيالي للمرآة من بعد

كونها راسبة في الماء حتي جعلتها طافية عليه، قال له الاسكندر: وصدقت، فأخبرني ما بالك حين ملأت الاناء تراباً رددته إلي ولم تحدث فيه حادثة كفعلتك فيما سلف؟ قال: علمت أنك تقول: ثم الموت وإنه لا بد منه، ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس المعتل الذي هو الأرض ودثورها وتفرق أجزائها، ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرئي.

قال الاسكندر: صدقت، ولأحسنن إلي الهند من أجلك، وأمر له بجوائز كثيرة، وأقطعه قطائع واسعة، فقال له الفيلسوف: لو أحببت المال لما أردت العلم، ولست أدخل علي علمي ما يضاده وينافيه، واعلم أيها الملك أن الغنية توجب الخدمة، ولسنا نجد عاقلاً من خدم غير ذاته واستعمل غير ما يصلح نفسه، والذي يصلح النفس الفلسفة، وهي صقالها وغذاؤها، وتناول الحيوانية وغيرها من الموجودات ضد لها، والحكمة سبيل إلي العلو وسلم إليه، ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه.

واعلم أيها الملك أن بالعدل ركب جميع العالم بجزئياته ولا يقوم بالجور، والعدل ميزان الباري جل وعز، فكذلك حكمته مبرأة عن كل ميل وزلل، وأشبه الأشياء من أفعال الناس بأفعال بارئهم الإحسان إلي الناس، وقد ملكت أيها الملك بسيفك وصولة ملكك وتأنيك في أمورك وانتظام سياستك أجسام رعيتك، فتحر أن تملك قلوبهم بإحسان إليهم وإنصافك لهم وعدلك فيهم، فهي خزانة سلطانك، فإنك إن قدرت أن تقول قدرت أن تفعل، فاحترز من أن تقول تأمن من أن تفعل.

فالملك السعيد من تمت له رياسة أيامه، والملك الشقي من انقطعت عنه، فمن تحري في سيرته العدل استنار قلبه بعذوبة الطهارة. وأما القدح فامتحنه حين أدهقه بالماء وأورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيئاً و كان معمولاً بضرب من خواص الهند والروحانية والطبايع التامة والتوهم وغير ذلك من العلم مما يدعيه الهند، وقد قيل أنهكان لآدم أبي البشر عليه السلام بأرض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيها، فورث عنه وتداولته الملوك إلي أن انتهي إلي كند هذا الملك العظيم سلطانه وما كان عليه من الحكمة، وقيل غير ذلك من الوجوه.

(في المجلد الثاني من كتاب الشاهنامه للفردوسي ص 16 ط مصر وقد ترجمها إلي اللغة العربية نثراً الفتح بن علي البنداري).

ذكر طواف الاسكندر في أقطار العالم وما رآي فيها من العجائب :

قال صاحب الكتاب: ثم أن الاسكندر سار في عساكره إلي أن وصل إلي مدينة البراهمة، فلما علموا بوصوله خلصوا نجياً، واجتمع رأيهم علي أن كتبوا إليه كتاباً يقولون فيه: أيها الملك ماذا تريد من مدينة سكانها عباد الله؟

فإن كنت تريد منهم المال فما أنقص عقلك، وهم قوم ليس عندهم سوي الصبر والعلم، وذلك مما لا يسلبونه.

ولو أقمت ها هنا لاحتجت أن تأكل الحشيش كما يأكلون.

وكان الواصل بهذا الكتاب إلي الاسكندر رجلاً حافياً حاسراً ملتحفاً بازار منسوج من الحشيش، فلما قرأ الكتاب ترك العسكر في مكانه، وركب في جماعة من فلاسفته، وصار إليهم إلي مدينتهم، فاستقبلوه وأحضروه من قوتهم الذي كانو يزجون به وقتهم،ودعوا له وأثنوا عليه، فرآهم قوماً حفاة عراة قد ستروا عوراتهم بازر من الحشيش، ورأي فيهم عابداً قد اتزر بجلد غزال، فخاطبهم الاسكندر في أمر ملبوسهم، فقال: من ولد عرياناً فلا ينبغي له أن يكون حريصاً علي الملبوس، علي أنه إذا واراه التراب فهو علي خوف من العذاب والبؤس، فسأله الاسكندر عن أعظم الذنوب فقال: الحرص علي الدنيا، وإن أردت أن تقف علي حقيقة ذلك فاعتبر بنفسك، فإنك مع احتوائك علي جميع ممالك الأرض طالب إليها الزيادة، غير قانع بعظيم ما أوتيت من الملك والسيادة، ثم قال لهم: ارفعوا إلي حوائجكم فلن ادخر عنكم شيئاً، وأسعفكم بمطالبكم عفواً، فقال له أحدهم: أيها الملك! أغلق دونا باب الشيب والموت، فقال له: كيف تسلم من الموت وهو لا محالة يهدم بناء عمرك وإن كان من

حديد؟ وكيف تنعم بالشباب ومشرعه لا بد أن يكدر برنق المشيب؟ فقال له البرهمي: إذا كنت تعلم أنه لا مفر من الموت ولا سلامة من غصة الشيب، فما بالك قد صرت تطلب الاحتواء علي العالم بجهدك، وتعرض للسم القاتل نفسك، وتتعب لغيرك، و تجمع لمن يفرقه من بعدك؟ والشيب بين يدي الموت نذير، وإذا طمعت في الحياة بعده فليس لك عذير، ثم أن الأسكندر وهب لهم هبات كثيرة فما قبلوها، واستعرضهم

حوائجهم فما عرضوها. فانصرف عنهم.

وسار حتي وصل إلي بحر عظيم فرأي عنده رجالاً متنقبين كالنساء لا يعرف لسانهم عربي ولا فهلوي. ليس لسانهم العربي ولا الفارسية القديمة ولا الفهلوية ولاالتركية ولا الصينية، وكان قوتهم من السمك وحيوان البحر، ثم أنه لمح وسط البحر جبلا أصفر كالشمس، فأمر بإلقاء سفينة في الماء ليركبها ويشاهد عجائب ذلك الجبل. فمنعه من ذلك بعض الفلاسفة وقال: لا تخاطر بنفسك، وليركبها غيرك ممن يأتي بخبره.

فأركب تلك السفينة ثلاثين شخصاً من الروم وغيرهم، فلما قربت السفينة الجبل تحرك، وإذا به حوت، فالتقم السفينة بمن فيها وانساب في البحر، فتعجب وقال: العلماء حفظة أرواح الملوك، فطوبي لمن عرف قدرهم واتبع أمرهم.

فسار الاسكندر إلي أرض قصباء عظيمة القصب كأنها أشجار الدلب عظماً وفيها غدير عظيم ماؤه زعاق كأنه سم ذعاف، فعبر منه وانتهي إلي ساحل بحر آخر عظيم، فصادف أرضاً طيبة العرف كأنها تتأرج بأريج المسك، وماء عذب المذاق في حلاوة الشهد، فنزلوا واستراحوا وأراحوا، فبينما هم من منزلهم إذ خرجت من الماء أفاع كثيرة، وطلعت من الأجمة عقارب كالفأر ملتهبة، فأتتهم من جميع جوانبهم فحول من الخنازير ذوو أنياب كالحراب، وضواري سباع ما لأحد بها طاقة، فهلك من الأكابر والامراء خلق كثير، فارتحلوا وانحازوا عن ذلك المكان، وطرحوا فيما كان هناك من القصب حتي احترق، وقتلوا كثيراًمن تلك السباع .

فسار من ذلك المكان إلي أرض الحبشة، فاجتمعت منهم آلاف مؤلفة من كل

غرابي ترتـج الأرض بنعيبه، ويمتلئ الجو بتعيقه، فقاتلوه برماح أسـتتها من العظام فقتلوا كثيراً من أصـحابه، فأمر عنـد ذلك رجاله بالجـد في قتالهم، فتـدبجوا وصافوهم فكانت الدبرة علي الحبشة وأفناهم القتل، ولما جن الليل سـمعوا صوت الكركدن فتصدي لهم وهو حيوان أعظم من الفيل له قرن في أم رأسه في لون النيل، فأهلك خلقاً من أصحابه، ثم رشقوه بالسهام فانه كأنه جبل من حديد.

ثم لما أصبح رحل وسار حتي وصل إلي أرض فيها خلق عراة كأنهم أشجار باسقة، فلما رأوا الاسكندر صاحوا واجتمعوا وقاتلوهم بالحجارة وأمطروها عليهم، فواقعهم أصحاب الاسكندر وقتلوهم حتي لم يبق منهم إلا قليل.

وسـار حتي وصـل إلي مدينـة كبيرة بين يـديها جبـل عظيم يكاد يمس السـماء فاسـتقبله أهلها بالتحف والمبار والخـدم، فأحسن إليهم، ثم سائلهم عن الطريق فقالوا: أيها الملك كان الطريق علي هـذا الجبل، وقـد قطعه الآن ثعبان عظيم لا يتجاسـر معه أحـد علي العبور فيه، وله علينا كل يوم وظيفـة خمسـة ثيران تلقيها إليه فيبتلعها وينكف بـذلك عن أن يتقـدم إلي هذا الجانب، فأمر الاسـكندر بخمسة ثيران فذبحت وسـلخت جلودهـا و حشـيت سـماً ونفطاً، فأمر بإصـعادها إلي الجبل وإلقائها إلي الثعبان، فابتلعها فلم يلبث أن تقطعت أمعاؤه من السم، وصعد بخار السم والنفط إلي دماغه فأخذ يضرب رأسه علي الجبل حتي انفلق وتشقق، فقطعوه بالسيوف.

وعبر الاسـكندر بعساكره وسار حتي وصل إلي جبل آخر عال في السماء،فأصعدوا فيه فرأوا علي رأس الجبل تختاً من الذهب منصوباً وعليه شيـخ ميت مسـجي بـديباج، علي رأسه تاج مرصع بجواهر تزهر العيون، فلم يتجاسـر أحـد علي القرب منه، وكان كل من يقـدم إليه تأخذه الرعـدة في مكانه ويموت في وقته، فلما صـعد الاسـكندر ذلك الجبل ورأي التخت سـمع هاتفاً يقول: أيها الملك قـد جهدت زماناً طويلاً وأفنيت من الملوك كثيراً، وقد دنا وقتك وحان حينك، فعظم عليه ذلك واصفر لونه.

وسار قاصداً قصد مدينة هروم، وهي مدينة سكانها بنات أبكار لا يمكن

أحداً من القرب من المدينة، لم يخلق للواحدة منهن إلآ ثدي واحد وهو الأيمن فحسب، وهن في الأيسر كالرجال. قال: فكتب الاسكندر إليهن كتاباً يدعوهن إلي الطاعة ويذكر أنه ما جاء لقصد قتالهن ولا لنهب بلادهن، وأنه لم يرد سوي رؤية المدينة والاعتبار بأحوالها، ونفذ الكتاب فيلسوفاً وأمره أن يلاطفهن في الخطاب ويرجع إليه بالجواب، فصادف الرسول أهل المدينة نساء كلهن ليس فيها رجل، فاستقبلته علي الخيول في آلات الحرب، فقرأن الكتاب وقلن في جوابه: إنك رجل كبير وصيتك عال رفيع فلا تفسدته بأن يقال أنك قاتلت النساء وانهزمت منهن، فإن ذلك يجر عليك عاراً لا يزول أبداً، ولكن إن جئت للتطواف في مدينتنا والنظر إليها والوقوف علي أحوالها، أكرمنا مقدمك وتلقينا بالجميل موردك، وختمن الكتاب وأنفذنه علي يدي امرأة عاقلة في ملابس الملوك ومعها عشر فوارس منهن، فلما أتت الاسكندر ووقف علي ما صحبها من الجواب أكرمها وقال: مالي حاجة في مدينتكن سوي النظر إليها، إذا حصل ذلك عبرت و تجاوزت إلي طرف آخر. فعادت وأعلمت صواحبها بما جري، فاجتمعن واتفقن علي إعداد تحف برسم الملك، من التيجان المرصعة والجواهر النفيسة وغير ذلك مما يصلح أن يخدم الملوك.

ثم رحل الاسكندر من منزله وسار، فهاج عليهم بعد مرحلتين هواء شديد و تغيمت السماء وسقط عليهم ثلج أهلك خلقاً من أصحاب الاسكندر، فسار في ذلك الزمهرير منزلين، ثم شاهدوا دخاناً مرتفعاً في السماء وسحاباً أسود كأنه يمطر النار، فحمي الهواء وعظم الحر حتي حميت الدروع علي أكتاف الرجال فأحرقتها، فسار علي ذلك فوصل إلي مدينة فيها ناس سود الوجوه كالسبج، هدل الشفاه، تتوقد النار من أحداقهم وتخرج من أفواههم، فاستقبلوا الاسكندر وخدموه بفيلة عظيمة وتحف كثرة وقالوا: إنا لم نر أحداً وصل إلي هذه المدينة، ولم نر راكب فرس قط، فأقام الملك فيها شهراً.

ثم سار قاصداً قصد مدينة النساء، فعبر إليه البحر جلائل أهلها في ألفين من فوارسهن مستقبلات له، فقدمن إليه برسم الهدية تيجاناً مرصعة وجواهر نفيسة وثياب وشي، ثم ركب الاسكندر ووصل إلي المدينة فأكرمن مقدمه ونشرن عليه نثارات، وخدمنه بتحف ومبرات، ولما رأي المدينة وأهلها، ووقف علي أحوالها، خلع عليهن وأحسن إليهن وار تحل.

وصول الاسكندر مغرب الشمس:

وسار قاصداً قصد مغرب الشمس، فوصل إلي مدينة فيها ناس حمر الوجوه صفر الشعور، فسايلهم الاسكندر عمن يعرف عجائبها؟ فقال له من أهل تلك المدينة شيخ طاعن في السن: إن وراء مدينتنا عيناً كبيرة فيها تغرب الشمس وتغيب، ووراء هذه العين ظلمات، وفيها من العجائب مالا يحيط به الوصف، وقد قال بعض عبادنا: إن فيها عيناً يقال لها عين الحياة، من شرب منها يخلد ولا يموت، لأن مدد مائها من أنهار الفردوس، ومن اغتسل فيها تساقطت عنه ذنوبه، فقال له الاسكندر: كيف تسلك الدواب طريق هذه الظلمة؟ فقال: من أراد أن يسلك طريقها لا ينبغي أن يركب إلا مهراً.

فأمر الاسكندر بجمع الخيل فاختار منها عشرة آلاف مهر رباع قوي، وسار في عساكره حتي وصل إلي مدينة كبيرة فيها نعم كثيرة وبساتين وسيعة وقصور رفيعة فنزل فيها، وصار وحده إلي مغرب الشمس، فبقي ينتظر غروبها، فلما كان عند الغروب شاهد قرص الشمس وهو يغيب في تلك العين، فجعل يسبح الله تعالي ويقدسه، ثم انصرف إلي معسكره فانتخب من أصحابه من عرفه بالعقل والصبر، وتزود لأربعين يوماً، واختار من يصلح أن يتقدم أمامهم ويسير بين أيديهم، فوقع الاختيار علي الخضرصلوات الله وسلامه عليه فإنه كان سيد الجماعة وصاحب الرأي فيماهم بصدده، ففوض الاسكندر إليه أمره، وقال:

أيها الرجل المتيقظ ! نبه قلبك لهذا الأمر، فإنا إن عثرنا علي ماء الحياة بقينا نعبد الله تعالي إلي آخر الأبد.

وإن معي خرزتين تتقدان كالشمس في جنح الليل، فخذ إحداهما وسر قدام القوم، وتكون الأخري معي، وأنا والعسكر نقتفي أثرك، ونبصر ماذا قسم الله تبارك وتعالي لنا.

الخضر وعين الحياة :

فتقدم الخضر وسار الاسكندر في أثره حتي سار في الظلمات مرحلتين، ولما كان المنزل الثالث عرض لهم في الظلمات طريقان فسار الخضر في احدي الطريقين ووصل إلي عين الحياة فشرب منه واغتسل وفاز بالمطلوب، وضل الاسكندر عنه فسلكالطريق الآخر فأفضي به إلي الضوء، وخرج من الظلمة فرأي جبلاً شاهقاً في السماء علي رأسه أشجار من العود، وعلي كل شجرة طائر أخضر، فلما رأته الطيور نطقن بإذن الله باللسان الروحي، فدنا من طائر وأصغي يسمع كلامه فقال له: ماذا تريد أيها الثعبان (أو التعبان) من الدنيا الفانية، وأنت لو بلغت السماء لم يكن لك بد من الموت، ثم قال للاسكندر: هل حدث الزنا؟ وهل استعمل الآجر في البناء؟ فقال: نعم، فقال: وهل قرع سمعك صوت المزهر وصياح السكران ونغم الغناء؟ فقال: نعم، فنزل إليه الطائر عند ذلك وقال: أما أكثر العلم مع السداد أم الجهل مع الفساد؟ فقال: العالم بين الناس عزيز، فرجع الطائر إلي مكانه وقال له: هل يسكن العباد في بلادكم الجبال؟ فقال: وهل لهم سكن إلا في الجبال. ثم قال له: اصعد إلي رأس هذا الجبل وحدك راجلا ليس معك أحد فأبصر ما هنالك.

فصعد الاسكندر وحده فرأي إسرافيل عليه السلام علي رأس ذلك الجبل وبيده الصور، وقد نفخ شدقيه وملأمن الدموع عينيه ينتظر حتي يأتيه الأمر

فينفخ، قال فلما نظر إلي وجه الاسكندر صاح عليه وقال: يا عبد الحرص لا تجهدن هذا الجهد فسوف يأتيك الأمر بالمسير، ويقرع سمعك النداء بالرحيل، فقال الاسكندر: لم يقسم لي غير الحركة والطواف في أقطار الأرض، ثم نزل من الجبل حليف كآبة ورنين وعاد القهقري إلي الظلمات، فلما توغلها هتف هاتف من الجبل الأسود الذي كان هنالك وقال: من يحمل من حجارة هذا المكان يندم، ومن لا يحمل منها فهو أيضاً يندم، فحمل منها بعضهم وأعرض عنها بعضهم، فلما خرجوا من تلك من الظلمات رأوا تلك الحجارة جواهر ويواقيت، فندم من حمل حيث لم يستكثر، وندم من لم يحمل حيث لم يحمل.

وصول الاسكندر إلي مشرق الشمس وقصة يأجوج ومأجوج :

قال: ثم إن الاسكندر أقام بعد خروجه من الظلمات مقدار أسبوعين، ثم ارتحل متوجاً نحو المشرق، فسار حتي انتهي إلي مدينة كبيرة، فاستقبله أكابر أهلها فأكرمهم الاسكندر وأحسن إليهم، ثم سايلهم عن عجائب ما هنالك، فأجهشوا إليه بالبكاء وقالوا: أيها الملك: إن أمامنا أمراً عظيماً لا بد لنا عن عرضه علي رأيك، ونحن منه في عناء وتعب شديد، وذلك أن وراء هذا الجبل يأجوج ومأجوج وهم يفسدون في أرضنا ويعيشون في بلادنا، وهم في خلقهم بحيث لا تتجاوز قامة أحدهم شبراً، ومع ذلك فقد ملأوا الأرض فساداً وشراً، ولهم وجوه كوجوه الإبل وأنياب كأنياب الخنازير، ألسنتهم سود وأعينهم حمر، وعلي أبدانهم شعور في لون النيل، ولهم آذان كآذان الفيلة، إذا نام أحدهم افترش إحدي أذنيه والتحف بالأخري، لا تموت الأنثي منهم حتي تلد ألف مولود، وهم في الكثرة بحيث لايعرف عددهم الا اللّه عزوجل واذا كان فصل الربيع وجاش البحر وأرعد الجواحتمل السحاب التنين من البحر فألقاه إليهم، فيجتمعون إليه ويأكلون منه حتي تعبل أجسامهم وتسمن أبدانهم، ويكون ذلك

من السنة إلي السنة، وفي سائر السنة يجترئون بنبات الأرض وبما يختطفونه من كل جانب، وإذا كانت أيام الشتاء اعتراهم الضعف حتي يصير صوت أحدهم في رز صوت الحمام، وإذا أقبلت أيام الربيع عادوا كالذئاب الضارية.

فإن أنعم الملك بالتدبير في كفاية شرهم وكف معرتهم شكر سعيه بكل السان، ودام ذكره إلي آخر الزمان.

فتعجب الاسكندر مما أوردوا واهتم لذلك، ثم غاص في بحر الفكر فقال لهم: إني أعاونكم مني بالأموال والكنوز، فعاونوني بنفوسكم حتي أعمل دونهم سداً بقدرة الله الذي لا إله إلا هو سبحانه وتعالي، فدعوا له وقالوا: إنا كلنا عبيدك فيما تأمر به، فجاء الاسكندر في علماء فلاسفته وأصحاب رأيه،فنظر إلي الجبل فأمر باستدعاء الحدادين والفعلة، وأمر باحضار النحاس والرصاص والجص والحجارة والحطب، فجمعوا في كل واحد مالا يحيط به الحصر، وحشر صناع الأقاليم فسد ما بين الجبلين بسدين من قرار الأرض إلي رأس الجبل، وجعلوا الأساس في عرض مائة ذراع، فكانوا يصفون من زبر الحديد صفا في مقدار ذراع، ويضعون عليه الفحم والنحاس، ويجعلون الكبريت فوقه، ثم صفا آخر فوقه كذلك، ثم آخر وآخر حتي انتهي إلي رأس الجبل وساوي ما بين الصدفين، ثم خلطوا النفط والدهن وأفرغوه علي رأس الجميع، ثم صبوا عليه الفحم، ثم ألقوا فيه النار.

واجتمع عليه مائة ألف حداد ينفخون فيه، فارتفع الدخان في السماء وتمكنت النار فية وبقيت كذلك تتقد زماناً حتي تراصت الأجزاء وتهدم البناء، فتخلص العالم بالسد الاسكندري من شريأجوج ومأجوج وعادتهم ولله الحمد، قال: وطول هذا السد خمسمائة ذراع في عرض خمسمائة ذراع.

ولما أحكم الاسكندر ذاك ارتحل من تلك المدينة وسار مسيرة شهر فوصل إليجبل من اللازورد علي رأسه بيت من الياقوت الأصفر، فيه قناديل معلقة من البلور، وفي

وسـطه عين ماء مالح فيه جوهر أحمر، له أشـعة تنبث أنوارها علي الماء فيمتلي البيت منه بالأضواء، وعند العين تخت من الذهب منصوب، عليه شـخص مسـجي مضطجع، رأسه كراس خنزير، وبدنه كبدن إنسان، قد فرش تحته الكافور، و كان من أخذ شيء من ذلك البيت تأخذه الرعدة ويموت في مكانه.

فسمع الاسكندر هاتفاً من تلك العين يقول: أيها الرجل الحريص، لا تحرصن هذا الحرص كله فقد رأيت مالم يره أحد، فالواجب أن تصرف الآن عنانك فقد دنت أيامك، وشارف الانقضاء ملكك.

ففزع الاسكندر وأسرع الانصراف إلي معسكره.

ثم ارتحل وسار حتي خرج من البرية وانتهي إلي مدينة آهلة ففرح حين سـمع صوت الإنس واسـتأنس، فتلقاه أهل المدينة وأظهروا السـرور بمقدمه ونثروا عليه النار الكثير، وقالو: نحمد الله حين جعل عبورك علينا، فإنه لم يأت هذه المدينة عسـكر قط، ولا سـمع فيها اسم ولا ذكر لملـك، فسايلهم عن عجائب مـدينتهم؟ فقال بعضـهم: أيها الملك! إن هاهنا عجباً لا يوجـد في العالم مثله، وذلك أن هاهنا شـجرتين ذكر وأنثي، ينطق الذكر بالنهار والأنثي بالليل، فركب الاسـكندر واستصـحب ترجماناً منهم في جماعة من أصـحابه، فسأل الترجمان وقال: متي تتكلم الشجرة؟ فقال: إذا عبر تسع ساعات من النهار تكلم الذكر، وإذا جن الليل تكلمت الأنثي، فقال له: وإذا تجاوزنا ما بين الشجرتين فما الذي نراه بعدهما؟ قال: إن الدنيا تنتهي عند ذلك، وما بعدها يسمي طرف العالم.

ولمـا قرب من الشـجر تين رأي الأـرض ملأي من جلود السـباع، فسأله عن ذلك فقال: إن لهاتين الشـجر تين عباداً يعبـدونهما، وإذا جاؤها للعبادة فلا يأكلون إلا لحوم السباع، قال: فلما انتصف النهار سمع الاسكندر من إحدي الشجر تين صوتاً أزعجه فسأل الترجمان عما قالت؟ فقال: إنها تقول: ما بال الاسـكندر يجول في أقطار الأرض وقد اسـتوفي نصـيبه من العيش، وعند استكمال أربع عشرة سنة من سلطانه يحين حين

ارتحاله، فبكي الاسكندر وامتلاـ هماً وحزناً وبقي واجماً لا يتكلم إلي نصف الليل. فتكلمت الشجرة الأنثي، فسأله عما قالت، فقال: إنها تقول: إنك تجول حول الأرض من حرصك، ولم يبق إلا قليل من عمرك، فلا تتعب نفسك ولا تضيق عليها أمرك، فقال له الاسكندر: سلها هل تكون أمي حاضرة عند رأسي إذا أتاني أمر ربي؟ فسألها عن ذلك فقالت: شد رحالك وأقصر عن ظنك فإنه لا تحضرك أمك ولا قرابتك ولا نساءبلدك، ولا تموت إلا غريباً في بلاد غيرك.

فانصرف الاسكندر وقيد القلب منخزل النفس نحو معسكره.

فقدم إليه أهل تلك المدينة جواشن و دروعاً وتحفاً كثيرة فيها مائة بيضة من الذهب، وزن كل بيضة ستون مناً، وصورة كركدن من الذهب مرصعة بالجوهر، فقبل هداياهم.

الاسكندر وملك الصين:

وارتحل نحو العين فلما قرب منها نزل في عسكره واستحضر الكاتب فأمره أن يكتب إلي بغبور كتاباً مملوءاً بالوعد والوعيد، وختمه، واستصحب بعض ثقاته وأصحاب رأيه، وركب منهم في خمسة فرسان حتي أتي ملك الصين في زي رسول، فلما وصل إليه أكرمه وأنزله في موضع يليق به، ثم لما كان من غده أنفذ إليه مركوباً خاصاً بالات الذهب واستحضره، فحضر وأدني إليه الرسالة، ودعاه أن يبادر إلي خدمة الاسكندر ويسارع إلي حضرته، وإن لم يفعل ذلك فلينفذ إليه طوائف الصين من فيل وأسلحة وثياب وذهب وفضة ليصرفه بذلك عن أذاه، فضحك بغبور وسأله أن يصف له الاسكندر وينعت له صورته وشكله، ويصف مكارمه وسيرته.

فاندفع الرسول يورد ذلك ويسرده، ثم أنه استحضر الطعام والشراب، ولما ثملوا صرف الرسول وقال: سنجيب غداً عن رسالة صاحبك، فانصرف إلي منزله وهو بين الصاحي والسكران و بيده أترجة، ولما طلعت الشمس من غده ركب إلي حضرة بغبور فسايله ولاطفه، ثم استحضر الكاتب وأجاب في كتب الاسكندر، وفتح أبواب خزائنه

وأخرج خمسين تاجاً مرصعاً بالجواهر وعشرة تخوت من العاج، وأوقر ألف جمل من الديباج والخز والحرير والكافور والمسك والعنبر إلي غير ذلك من الذهبيات والفضيات وجلود السنجاب والقاقم والسمور.

ثم اختار رجلاً من أكابر الصين موصوفاً بالعقل والرأي، ونفذه بكل ذلك في صحبة الرسول. فلما انتهي إلي ساحل البحر بادر الملاح فحمله في مركب وعبر به إلي المعسكر، فلما أحس أصحابه بوصوله استقبلوه، ولما رأوه ترجلوا وسجدوا بين يديه، فعلم رسول بغبور أنه هو الاسكندر نفسه، فنزل وسجد له. ثم لما أصبح جلس مجلسه من تخت السلطنة، فخلع علي رسول بغبور وأعطاه عطايا كثيرة وصرفه إلي صاحبه، ثم أقام الاسكندر في ذلك الموضع شهراً من الزمان.

فلما برد الهواء ارتحل وسار حتي وصل إلي مدينة جغوان ورحل منها قاصداً قصد السند. فركب ملكهم – وكان يسمي بنداه _ في رجاله السود برزوا إلي قتاله في أمثال الأسود، فجرت ملحمة أفنت السودان عن آخرهم وأتي الأسر والنهب علي نسائهم وذراريهم. ثم سار الاسكندر إلي نيمروز، وصار منها إلي اليمن، فاستقبله صاحب اليمن بالهدايا الجليلة والتحف الكثيرة، فأكرمه الاسكندر وأحسن إليه.

ثم ارتحل من اليمن قاصداً قصد بابل، فوصلً في طريقه إلي جبل عظيم فأتعبهم العبور فيه، فلما قطعوه وأسهلوا أفضوا إلي بحر عظيم، فعثر بعض أصحابه في ساحله علي رجل متسربل البدن بالشعر، له أذنان كآذان الفيلة، فاجترؤه إلي خدمة الاسكندر، فقال له الاسكندر: ما اسمك ومن أنت؟ فقال: أيها الملك إن أبي وأمي سمياني بستر كوش يعني لحافي الأذن، فقال له: ما هذا الذي نري في وسط البحر؟ فقال: مدينة طيبة، وفيها خلق طعامهم من السمك وأبنيتهم من عظام السمك، فإن أمر الملك عبرت إليهموأخبرتهم بمقدمه وحملت منهم جماعة إلي خدمته.

فأذن له الملك في ذلك، فعبر إليهم في ساعة وانصرف ومعه ثمانون شخصاً من عقلاء تلك المدينة في ملابس الخز والحرير، بعضهم شبان وبعضهم شيوخ، مع كل شيخ

منهم جام مملوء من الـدر، ومع كل شاب تاج من الـذهب، فحضـروا بين يـدي الملك فخـدموه وسايلهم عن أمور أجابوه عنها، وأقاموا في منزله علي البحر إلي طلوع الفجر من الغد، فارتحل متوجاً نحو بابل وقد علم أن أجله قد قرب.

وكان يخاف من الكيانيين علي بلاد الروم بعـد موته، فعزم ألا يبقي منهم أحداً، فكتب كتاباً إلي الحكيم أرسـطاطاليس وذكر فيه حاله وماهم به، ثم اسـتقدم جميع أكابر الكيانـة من أوطانهم وأمرهم بالمبادرة إلي حضـرته، فوصل كتاب أرطاطاليس وهو يقول فيه: قد آن لك أن ترتدع عن الشـر، فاستسلم لأمر الله ، وفوض إليه أمورك، ولا تزرع في ملكك غير الحسن، وما أشرت إليه فلا تجزع منه ولا تهتم له، فإنالم نولد إلا للموت، وما استصـحب أحـد فارق الـدنيا مالاً ولا ملكاً، وإياك أن تمس أحداً من الكيانية فإنه لا يحسن غرس العداوة في القلوب، فاتق الله ولا تسـفك دماء الأكابر فإنه يثمر اللعن إلي يوم القيامة، ولا يورث غير الحسـرة والندامة، والرأي أن تستحضر أكابر بيت الملك، وتملك كل واحد منهم بلداً أو إقليماً، ولا تجعل لبعضـهم علي بعض حكماً ولا يداً، ولا تسـمين منهم للسـلطنة أحداً حتي تشـغلهم بحربهم عن بلاد الروم.

فلما قرأ الاسكندر كتاب الحكيم استحضر الأكابر الكيانية وأجلسهم في مراتبهم في خدمته، ثم فرق عليهم الممالك، وأمرهم أن يكتب كل واحـد منهم كتاب عهـد يعاهـد فيه علي ألا يطلب الزيادة علي ما في يـده، ولا يتعرض لمملكـة غيره، ويجتزي بما في حكمه وتحت يـده، فاستتب منهم ذلك فسموا ملوك الطوائف.

ذكر وفاة الاسكندر: قال في الشاهنامة:

ثم إنه وصل إلي بابل فاتفق أنه ولد في تلك الليلة مولود له رأس كرأس الأسد، وحافر كحافر الدواب، وذنب كذنب الثور، لا يشـبه الإنس إلآ في صدره وكتفه، فلما وضعته أمه مات في الحال، فحملوه إلي حضرة الملك فتطير منه واستحضر المنجمين

وسألهم عن طالع ذلك المولود وما تـدل عليه أحكام النجوم في ولادته، فاظلمت الـدنيا في عيونهم لما فهموه، وكتموا الاسـكندر ما علموه، فأوعـدهم وهددهم، فقال له بعض المنجمين: أيها الملك! إنك ولدت علي طالع الأسد، فإذ قد رأيت رأس المولود الميت مثل رأس الأسـد فقد دل علي زوال ملكك وانتهاء عمرك،واتفقت كلمة سائرالمنجمين علي ذلك.

فاغتم الاسـكندر ثم قال: إنه لا بـد من الموت، ولست أهتم لذلك، ثم مرض في يومه ذلك وهو ببابل، فاستحضـر كاتبه وكتب إلي أمه كتاباً يعزيها فيه عن نفسه ويوصـي إليها ويأمرها بالصبر والرضاء بما قـدر له من قصـر العمر، والتسـليم لقضاء الله النافذ في الخلق، وقال: إني قد أمرت أكابر الروم إذا انصرفوا من هذه البلاد بالتمسك بطاعتك والانقياد لأمرك.

وأما أكابر إيران الذين كان يخاف علي بلاد الروم من معرتهم، فقد ملكت كل واحد منهم إقليماً من الأقاليم حتي يمنعه الشـغل بما في يده عن بلاد الروم. وإذا مت فادفتوني في تراب مصـر وفرقوا من خزائني مائـة ألف دينار في هذه السـنة علي المشـتغلين بأنفسـهم من عباد الله، وروشـنك – يعني زوجته _ إن ولـدت ابناً فهو ملك الروم لا غير، وإن ولـدت بنتاً فلتزوج من ابن فيلقوس، واتخـذيه ولـداً، وجـددي به ذكر الاسـكندر أبـداً، وأما إبنـة كيد ملك الهند فردوها إن أرادت إلي أبيها مع خزائنها التي جائت معها، في عمارتيها ومع تاجها و تختها، وأنا قد استسلمت للموت عن رأس العجز بعد أن فرغت من أشغالي كلها.

وقـد أمرت أن يعمـل لي تـابوت من الـذهب، ويملأ من العسل، ثم أضـجع فيه مكفناً في الـديباج والحرير، وعنـد الانتهاء إلي ذلك ينتهي الكلام، ثم احفظي وصـيتي ولا تخالفي موعظتي، ولا تمسـكي من الأموال التي جمعتها من الهند والصـين وسائر الأقاليم أكثر من القوت، وفرقي الباقي علي المحتاجين.

ثم حاجتي إليك ألا تجزعي علي ولا تؤذي نفسك، واشفعي إلي الله

عزوجل و أغيثيني بدعائك فإنه لا يأخذ بيدي غير ذلك ثم ختم الكتاب ونفذه إلي الروم علي يدي بعض المسرعين.

قال: ولما علم العسكر بمرض الاسكندر تسارعوا إلي خدمة تخته واجتمعوا علي بابه وضجوا من وراء حجابه، فأمر الاسكندر بإخراج تخته من أيوانه إلي الفضاء، فلما رأوه علي ما به من الضعف أجهشوا إليه بالنحيب والبكاء، فقال لهم الاسكندر: استشعروا الخوف وتسربلوا لباس الحياء، ولا تعدلوا عن المحجة البيضاء، واحفظوا وصيتي، ولا تخلعوا ربقة طاعتي. فلما فرغ من كلامه خرجت روحه، فوقع العويل والنحيب في العسكر، وقام الصراخ عليه، فأحرقوا داره التي كانت مستقره، وحذفوا من دوابه ألف فرس، ثم جاؤا بتابوت من الذهب مملوء من العسل وغسله سكوباً بالماورد، وغمره بالكافور، وكفنه في ثوب ديباج مذهب، ووضعه في وسط العسل من الرأس إلي القدم، وأطبقوا عليه التابوت.

فلما رفعوه من ذلك المكان اختلفت الفرس والروم، فقالت الفرس: لا دفن الاسكندر إلا حيث مات، وقالت الروم: لايدفن الأحيث ولد، فقال شيخ من فارس: إن هاهنا موضعاً يقال له جرم (أو خرم) وهناك جبل من سأله عن شيء أجابه عنه بإذن الله عزوجل، فاسألوا الجبل حتي يحكم بينكم، فتوجهوا نحو الجبل فسألوا فأجاب وقال: ما لكم تحبسون تابوت الملك؟ إن تراب الاسكندر في الارض الاسكندرية التي بناها في حياته، فبادروا عند ذلك الي حمله وحملوه إلي الإسكندرية، فلما وصلوا إليها خرج الخلائق واجتمعوا علي تابوته، حتي لو حسبهم المهندس لوجدهم يزيدون علي مائة ألف.

فجاء الحكيم الأوسط (أرسطاطاليس) ووضع يده علي تابوته وقال: أين رأيك وعقلك أيها الملك حتي صار مسكنك هذا المكان الضيق؟ وكيف أفضيت بنضارة الشباب إلي مضاجعة التراب؟

وقال آخر: أيها الملك! مازلت تدفن الذهب حتي دفنت فيه، ووقعت في خطب لا سبيل إلي تلافيه.

واجتمعت علماء الروم فخاطبه كل واحد منهم بحكمة، و أبنه بموعظة.

ثم جاءت أمه ووضعت وجهها علي تابوته وهي تبكي وتنتحب وتقول: ما أبعدك مني مع قربك! وما أعظم خطبك علي صحبك!.

ثم جاءت زوجته روشنك بنت دارا وطفقت تبكي وتندبه وتنتحب وتنوح عليه، ثم دفنوه ولم تكن أيامه إلا كبرق ومض، وطرف غمض.

وهذا آخر الخبر عن قصة الاسكندر، والحمد لله رب العالمين، وصلي الله علي سيدنا محمد و آله أجمعين.

يقول مؤلف الكتاب الفقير إلي عفو ربه وغفرانه حسن السيد علي القبانجي النجفي: هذا آخر ما نقلناه عن الشاهنامه وذلك في سنة 1410 ه في النجف الأشرف علي ساكنها أفضل التحيات

ثلاثون قولاً قيل عند موت الاسكندر:

ذكر المسعودي في المجلد الأول من كتابه «مروج الذهب»:

إنه لما مات الاسكندر، طافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من علماء الأمم، وكان يجمعهم ويستريح إلي كلامهم، ولا يصدر الأمور إلا عن رأيهم، وجعل بعد أن مات في تابوت من الذهب ووضع بالجوهر بعد أن طلي جسمه بالأطلية الماسكة لأجزائه.

فقال عظيم الحكماء والمتقدم فيهم: ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزياً وللعامة واعظاً، وقام فوضع يده علي تابوت فقال: أصبح آسر الأسراء أسيراً، ثم قام حكيم ثان فقال: هذا الاسكندر الذي كان يخبئ الذهب فصار الذهب يخبؤه. وقال الحكيم الثالث: ما أزهد الناس في هذا

الجسد وأرغبهم في هذا التابوت. وقال الحكيم الرابع: من أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون. وقال الخامس: يا ذا الذي جعل أجله ضماناً وجعل أمله عياناً، هلا باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك، هلا حققت من أملك الامتناع عن فوت أجلك. وقال السادس: أيها الساعي المنتصب جمعت ماخذلك عن الاحتياج فغودرت عليك أوزاره وفارقت أيامه، فمغناه لغيرك ووباله عليك. وقال السابع: قد كنت لنا واعظاً فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك، فمن كان له عقل فليعقل، ومن كان مغتراً فليغتر. وقال الثامن: رب هائب لك كان يغتابك من ورائك وهو اليوم بحضرتك لا يخافك. وقال التاسع: رب حريص علي سكوتك إذ لا تسكت وهو اليوم حريص علي كلامك إذ لا تتكلم. وقال العاشر: أماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت.

وقال الحادي عشر وكان صاحب خزانة كتب الحكمة: قد كنت تأمرني أن لا أبعد عنك، فاليوم لا أقدر علي الدنو منك. وقال الثاني عشر: هذا اليوم عظيم العبر أقبل من شره ما كان مدبراً، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً فمن كان باكياً علي من زال ملكه فليبك. وقال الثالث عشر: يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب، وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الرباب. وقال الرابع عشر: يا من ضاقت عليه الأرض طولاً وعرضاً، ليت شعري كيف حالك فيما احتوي عليك منها. وقال الخامس عشر: عجب لمن

السادس عشر: أيها الجمع الحافل والملتقي الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره و تنقطع لذته، فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد. وقال السابع عشر: انظروا إلي حلم النائم كيف انقضي، وظل الغمام كيف انجلي وقال الثامن عشر: قد رأيتم أيها الجمع هذا الملك الماضي فليتعظ به الآن هذا الباقي. وقال العشرون: هذا الذي دار كثيراً والآن يقر طويلاً.

وقال الحادي والعشـرون: إن الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت، فليتكلم الآن كل ساكت. وقال الثاني والعشرون: سيلحق بك من سره موتك كما لحقت من سـرك موته. وقال الثالث والعشـرون: ما لك لا تقل عضواً من أعضائك وقـد كنت تسـتقل ملك الأرض! بل ما لك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذي أنت به وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد؟ وقال الرابع والعشرون – وكان من ساك الهند وحكمائها : إن دنياً يكون هكـذا آخرها فالزهد أولي أن يكون في أولها. وقال الخامس والعشـرون – وكان صاحب مائدته : قد فرشت النمارق وتضدت الوسائـد وهيئت الموائـد، ولا أري عميد المجلس. وقال السادس والعشـرون – وكان صاحب بيت ماله : قد كنت تأمرني بالجمع والادخار، فإلي من أدفع ذخائرك؟ وقال السابع والعشـرون – وكان خازناً من خزانه : هـذه مفاتيح خزائنك فمن يقبضـها قبل أن أؤخذ بما لم آخذ منها. وقال الثامن والعشـرون: هـذه الـدنيا الطويلة العريضة طويت منها في سـبعة أشـبار التاسع والعشـرون: قول زوجته روشـنك بنت دارا ملك فارس: ما كنت أحب أن غالب دارا الملك يغلب، وإن كان هـذا الكلام الذي سـمعت منكم معاشـر الحكماء فيه شـرابه فقد خلف الكأس الذي تشرب به الجماعة. القول الثلاثون ما يحكي عن أمه أنها قالت حين جاءها نعيه: لئن فقدت من ابني أمره، فما فقدت من قلبي ذكره.

وقبض الأسكندر وهو ابن ست وثلاثون سنة، وكان ملكه تسع سنين.

قصة أخري في وفاة الاسكندر:

ولمـا تم للاسـكندر ملك الـدنيا، وقبض علي جميع ما في الأرض، وعاد متوجهاً إلي الاسـكندرية إلي أمه فلما وصل إلي شـهر زورا أحس بـالموت – أي اعتـل علـة الموت ،فقـال للحكمـاء الـذي كانوا معه – وهم أربعمائـة حكيم – إني لمائت، فإذا مت فاطلوا جسـدي بالصبر، واجعلوني في تابوت من ذهب، وأخرجوا يدي من التابوت وهي مبسوطة – يشـير بذلك إلي أني خرجت من الدنيا بلا شيء، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام مشيراً إلي ذلك:

وفي قبض كف الطفل عند ولادة *** دليل علي الحرص المؤبد في الحي

وفي بسطها عند الممات دلالة ***ألا فانظروني قد خرجت بلا شي

قال الاسكندر: فإذا تم ذلك فابعثوا رسولاً إلي أمي يخبرها أن تولم وليمة وتدعو لها كل من لم يصب بمصيبة _ أراد أن يعلم أمه بموته قبل أن يعلمها أحد . فلما جاء الرسول إليها، قالت له: أين ولدي؟ قال: هو خلفي، ولكن أوصي أن تصنعي وليمة وتدعين إليها كل من لم يصب بمصيبة، فصنعت ذلك وأمرت المنادي ينادي في الناس أن يحضر الوليمة كل من لم صب بمصيبة، فلم يأتها أحد من الناس. قالت: ما لي لا أري أحد من الناس؟ قالوا: من يأتي وليس أحد من الناس إلا وأصيب بمصائب، فلا يأتي أحد، فقالت: إن ولدي قد مات، ثم حمل إلي أمه بالاسكندرية فطاف به من معه من الحكماء الذي كان يجمعهم ويستريح إلي كلامهم، فتقدم كبير الحكماء وقال: ليتكلم كلواحد منكم بكلام يكون موعظة للعامة وتعزية للخاصة، ووضع يده علي التابوت وقال: أصبح أسر الأسراء أسيراً. وقال آخر: هذا الذي كان يخبئ الذهب فصار الذهب يخبؤه، وقال آخر: قد كنت لنا واعظاً فما وعظتنا بموعظة أبلغ من الموت. وقال آخر: رب هائب لك من وراء الغيب وهو اليوم بحضرتك فلا يهابك. وقال صاحب دار حكمته: قد كنت تأمرني أن لا أبعد عنك، واليوم لا أقدر علي الدنو منك. وقال آخر: يا عظيم السلطان قد اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب، وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذئاب. وقال آخر: مالك لا تقل عضواً من أعضائك وكنت تستقل بملك الأرض، وقال صاحب مائدته: قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا أري عميد القوم، وقال صاحب بيت المال: قد كنت تأمرني بالادخار، فإلي من أدفع ذخائرك؟ وقالت زوجته روشنك: ما كنت أحسب أن غالب دارا

يغلب، وإن الكلام الذي سمعته من الجماعة لا يخلو من شماتة، وإن الكأس الذي شربت به _ أي كأس الموت لابد وأن تشرب به الجماعة، وقالت أمه: إن فقد من عيالي شخصه لم يفقد من قلبي ذكره.

ذكر ابن أبي الحديد في المجلد الثاني من شرح النهج ص 434: من كلام الحكماء الذين تكلموا عند تابوت الأسكندر فقال أحدهم: حركنا بسكونه. وقال الآخر: قد كان سيفك لا يجف، و كانت مراقبك لا ترام، وكانت نقماتك لا تؤمن، وكانت عطاياك يفرح بها، وكان ضياؤك لا ينكسف، فأصبح ضوؤك قد خمد، وأصبحت نقماتك لا تخشي، وعطاياكلا ترجي، ومراقبك لا تمنع، وسيفك لا يقطع. وقال الآخر: انظرا إلي حلم المنام كيف انجلي، وإلي ظل الغمام كيف انسري، وقال آخر: ما كان أحوجه إلي هذا الحلم وإلي هذا الصبر والسكون أيام حياته. وقال آخر: القدرة العظيمة التي ملأت الدنيا العريضة الطويلة طويت في ذراعين. وقال الآخر: أصبح آسر الاسراء أسيراً، وقاهر الملوك مقهوراً، كان بالأمس مالكاً فصار اليوم هالكاً.

ص: 180

ومن خطبة له عليه السلام :

في التحذير من الغفلة عما بعد الموت

فَإنَّكُم لَو قَد عَايَنتُم مَا قَد عَايَنَ مَن مَاتَ مِنكُم لَجَزِعتُم وَوَهِلْتُم و سَمِعتُم وأَطَعمتُ وَلَكِن مَّحجُوبٌ عَنكُم مَا قَد عَاينَوا وقَرِيبٌ مَا يُطرحُ الحجَابُ ولَقَد بُصِرتُم إن أَبصَرتُم وأسمِعتُم إن سَمِعتُم وَ هُديتُم اِن اهتَديتُم وبِحَق أقُولُ لَكُم لَقَد جَاهَرَتكُم العِبَرُ وَ زُجَرتُم بِما فِيهِ مُزدَجَرٌ مَا يُبَلَغُ عَنِ اللهِ بَعدَ رُسُلِ السَّمَاء الا البَشَرُ. (شرح النهج مج 1 ص 99)

الشرح:

من جملة حكم الله تعالي أن أخفي علي خلقه ما يجري عليهم حين الموت وبعده، وفي عالم البرزخ، لمصالح لا يعلمها إلا هو، ولا يعلم الإنسان ما يجري عليه غداً في حياته، فكيف يعلم ما يجري عليه بعد موته، والموت انتقال من هذا العالم إلي عالم آخر، وشتان بين العالمين.

والأخبار والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تبين وتشير إشارة إجمالية إلي ما يشاهده الإنسان حين الاحتضار وبعد الموت من التجهيز والتغسيل والتكفين والدفن وسؤال منكر ونكير، وأين تذهب الأرواح وتنعم وتعذب، وأين تجتمع الأرواح، وهل تشعر الروح وتعقل وتسمع وتبصر، وهل لها علاقة بالبدن بعد أن صار تراباً واستحال إلي مادة أخري. (1)

1- راجع الكافي للكليني 3: 231، باب (أن الميت يمثل له ماله وولده وعمله قبل موته)، ح 41، و 235، باب (المسألة في القبر...) / ح 1 - 18

حقيقة الموت:

ولنا مجال في المستقبل لبيان هذا السر وشرحه علي ضوء الأخبار والأحاديث. والآن نقول: إن الموت هو انتقال إلي عالم غير مرئي، وهذا الانتقال مخوف مرعب، وهو مفارقة الروح للبدن بصورة مؤقتة، ومفارقة الإنسان عن كل ما يحب من الأهل والاولاد والمال، فإذا انتقل إلي ذلك العالم ورأي أرواح ملايين الملايين من البشر كيف تعذب وكيف تنعم، ورأي أرواح الأنبياء والأولياء وأرواح الفراعنة والكفار والمشركين، وما هناك من صياح وصراخ وعجيج وضجيج وبكاء وعويل و غير ذلك غلب عليه الخوف والفزع، ولهذا يقول عليه السلام: فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم كما هو شأن الأنبياء والأولياء، فإنهم بسبب علمهم واطلاعهم علي ذلك العالم كانوا يبكون البكاء الشديد ويبيتون الليالي خائفين وجلين، والناس لو كانوا يعلمون ذلك لما وجد إنسان عاصي، ولكان الناس كلهم مؤمنين متقين، ولهذا قال عليه السلام: وسمعتم وأطعتم. ولو كان الناس كلهم يعلمون ويطلعون علي ذلك العالم الاخت النظام الاجتماعي، ولما زرع الزارع، وما اتجر التاجر، وصارت الأشغال معطلة والحالة مضطربة، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب فإن الروح إذا خرجت من البدن وطارت من قفص الجسد ظهر لها كل ما كان محجوباً مخفياً، ثم قال عليه السلام: ولقد صرتم إن أبصرتم أي صرتم مبصرين، أي لكم عيون إن نظر تم بها، وأسمعتم إن سمعتم أي جعل لكم السمع إن كنتم تسمعون كلام الله ومواعظه البالغة و نصائح الأنبياء والأوصياء المنجية وهديتم إن اهتديتم أي علمتم الطريق إن وصلتم إلي المطلوب والمقصود، ومشيتم في الطريق المؤدي إلي رضوان الله «بحق أقول: لقد جاهرتكم العبر» أي العبر – وهي ما يعتبر به الإنسان _ قد أعلنت لكم بشأن الدنيا بما جري علي الأمم السالفة والفراعنة والقياصرة والعمالقة وسائرالملوك والسلاطين، وأجهرت العبر بما حل بآبائكم وبسائر الناس من المصائب

والنوائب والشدائد. (وزجرتم بما فيه مزدجر) كل ما كان فيه زجر، كالنهي الأكيد عن المعاصي، والأمر الشديد بالواجبات قد زجركم الله به، وما يبلغ عن الله بعد الملائكة ملائكة الوحي ورسل السماء إلا الأنبياء والأوصياء ومن سلك طريقتهم وبلغ عنهم.

قال العلامة ابن ميثم رضي الله عنه في شرح هذه الفقرات: واعلم أن الإنسان ما دام ملتحفاً بجلباب البدن فإنه محجوب بظلمة الهيئات البدنية والمعارضات الوهمية والخيالية عن مشاهدة أنوار عالم الغيب والملكوت، وذلك الحجاب أمر قابل للزيادة والنقصان والقوة والضعف، والناس فيها علي مراتب، فأعظمهم حجباً وأكثفهم حجاباً الكفار كما أشارإليه القرآن الكريم مثلا في حجبهم (أَو كَظُلُماتٍ فِي بَحرٍ لُجِي يَغشَ ٰهُ مَوجٌ مِن فَوقِهِ مَوجٌ مِن فَوقِهِ سَ حابٌ ظُلُماتٌ بَعضُ هَا فَوقَ بَعضٍ) الآية،(1) فمثل الكافر كرجل وقع في بحر لجي صفته كذلك، فأشار بالبحر اللجي إلي الدنيا بما فيها من الأخطار المهلكة، فالموج الأول موج الشهوات الداعية إلي الصفات البهيمية، وبالحري أن يكون هذا الموج مظلماً، إذ بك الشيء عمي ويصم، والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة علي الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهاة، فبالحرية أن يكون مظلماً، لأن الغضب غول العقل، وبالحري أن يكون هو الموج الأعلي، لأن الغضب في الأكثر مستولي علي الشهوات، حتي إذا هاج أذهل عنها، والسحاب هو الاعتقادات الباطلة والخيالات الفاسدة التي صارت حجباً لبصيرة الكافر عن إدراك نور الحق، إذ خاصية الحجاب أن يحجب نور الشمس عن الأبصار الظاهرة، وإذا كانت هذه كلها مظلمة، فبالحري أن تكون ظلمات بعضها فوق بعض.

وأما أخقهم حجباً وأرقهم حجاباً فهم الذين بذلوا جهدهم في لزوم أوامر الله ونواهيه، وبالغوا في تصفية بواطنهم وصقال ألواح نفوسهم وإلقاء

1- النور: 40

حجب الغفلة وأستار الهيئات البدنية، فأشرقت عليهم شموس المعارف الإلهية، وسالت إلي أودية قلوبهم مياه الجود الرباني المعطي لكل قابل ما يقبله، فهؤلاء وإن كانوا قد بلغوا الغاية من الجهد في رفع الحجب وغسل درن الباطل عن نفوسهم، إلا أنهم ما دامت الأبدان فهم في أغطية من هيئاتها وحجب من أستارها، وإن ضعفت تلك الحجب ورقت تلك الأغشية، وما بين هاتين المرتبتين درجات من الحجب متفاوتة ومراتب متصاعدة ومتنازلة، وبحسب تفاوتها يكون تفاوت النفوس في الاستضاءة بأنوار العلوم وقبول الانتقاش بالمعارف الإلهية والوقوف علي أسرار الدين، وبحسب تفاوت هذه الحجب يكون تفاوت ورود النار، كما قال تعالي:(وَإِن مِنكُم إِلَّا وارِدُهَا)(1) ولن يخلص الإنسان من شوائب هذه الحجب وظلمتها إلا بالخلاص عن هذا البدن وطرحه، وحينئذٍ (تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ مَا عَمِلَت مِن خَيرٍ مُحضَراً ومَا عَمِلَت مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَو أَنَّ بَينَهَا وبَينَهُ أَمَداً بَعيداً)، (2) فتكون مشاهدة بعين اليقين ما أعدلها من خير وما هيء لها من شر بحسب استعدادها بما كسبت من قبل، فأما قبل المفارقة فإن حجاب البدن مانع لها عن مشاهدة تلك الأمور كما هي، وإن حصلت علي اعتقاد جازم برهاني أو نوع من المكاشفة الممكنة كما في حق كثير من أولياء الله، إلا أن ذلك الوقوف والاطلاع يكون كالمشاهدة، لا أنها مشاهدة حقيقية خالصة، إذ لا تنفك عن شائبة الوهم والخيال، ولذلك قال صلي الله عليه وآله حاكياً عن ربه: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه)(3) أي وراء ما أطلعتهم عليه، وهو إشارة إلي طور المشاهدة الخالصة عن الشوائب التي هي عين

1- مريم: 71

2- آل عمران: 30

3- بحار الأنوار8: 92. وبله، من أسماء الأفعال بمعني دع واترك

اليقين بعد الموت، وقد يسمي ما أدركه أهل المكاشفات بمكاشفاتهم في حياتهم الدنيا عين اليقين، فأما إدراك من دون هؤلاء لتلك الأمور فما كان منها مؤكداً بالعقوبة بالشعور بعدم إمكان النقيض فهو علم اليقين، وقد يختص علم اليقين في عرف الصوفية بما تميل النفس إلي التصديق به ويغلب عليها ويستولي حتي يصير هو المتحكم المتصرف فيها بالتحريض والمنع، فيقال: فلان ضعيف اليقين بالموت، إذا لم يهتم بالاستعداد له، فكأنه غير موقن به مع أنه لا يتطرق إليه فيه شك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ما رأيت إيماناً مع يقين أشبه منه بشك إلا هذا الإنسان، إنه كل يوم يودع، والي القبور يشيع، وإلي غرور الدنيا يرجع، وعن الشهوات واللذات لا يقلع، فلو لم يكن لابن آدم ذنب يتوقعه ولا حساب يوقف عليه إلآ موت يبدد شمله ويفرق جمعه ويؤتم ولده لكان ينبغي له أن يحاذر ما هو فيه بأشد التعب، ولقد غفلنا عن الموت غفلة أقوام غير نازل بهم، وركنا إلي الدنيا وشهواتها ركون أقوام لا يرجون حساباً ولا يخافون عقاباً). (1)

وقيل له عليه السلام : صف لنا الموت، فقال: علي الخبير سقطتم، هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: أما بشارة بنعيم الأبد، وأما بشارة بعذاب الأبد، وأما تحزين وتهويل وأمر مبهم لا يدري من أي الفرق هو، فأما ولينا المطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد، وأما عدونا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف علي نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبهمة مخوفاً، ثم لن يسويه الله عزوجل بأعدائنا، لكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عزوجل، فإن المسرف من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة. (2)

1- فلاح السائل لابن طاووس: 214

2- معاني الأخبار للصدوق: 287، باب (معني الموت)، ح 2/

وكتب عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: (عباد الله إن الموت ليس منه فوت، فاحذروا قبل وقوعه وأعدوا له عدته، فإنكم طرد الموت، إن أقمتم له أخـذكم، وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصـيكم، والـدنيا تطوي خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عنـدما تنازعكم إليه أنفسـكم من الشهوات، وكفي بالموت واعظاً وكان رسول الله صلي الله عليه وآله كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فإنه هادم اللذات، حائلبينكم وبين الشهوات).(1)

حالات ذكر الموت:

نقلاً من كتابنا «علي والأسس التربوية»:

للإنسان في ذكر الموت حالان: حال قبله، وأخري عنده:

الحالة الأولي: قبل الموت

ينبغي للانسان قبل الموت أن يكون دائم الـذكر له، ولذلك كان من أول هداية الأنبياء للناس تذكيرهم الموت وحثهم علي دوام تذكره، ومن أكبر هم الفلاسـفة تفكيرهم به، وبسـط القول في أن الحيـاة باطلـة والموت حق قـال رسول الله صـلي الله عليه وآله : أكثروا من ذكر هـادم اللذات فإنه ما ذكره أحد في ضـيق إلا وسـعه عليه، ولا في سعة إلا ضيقها عليها (2) وقد أخذ أهل الصـين عن فلاسفتهم ستة أجروها بينهم مجري العادة في وجوب تذكر الموت كل حين، فإذا ولد الطفل عندهم صـنعوا له نعشاً بقدره، ووضـعوه بجانب المهد يجددونه علي مقدار النمو في الطفل، ولا يزالون يفعلون ذلك حتي إذا بلغ أشده وضعوا النعش بجانب السرير إلي أن يحل يوم أجله، فيحملونه عليه،

1- الأمالي للطوسي: 24:31/31

2- كنز العمال للمتقي الهندي 15: 700 ح 42798

يشـيرون بذلك إلي أن يوم الولادة ويوم الوفاة أمران متلاصـقان وحبلان متصـلان، وأن الإنسان يمشـي في هذه الدنيا و كأنه عابر جسـر: عن يمينه الموت، وعن شـماله الحياة، وأنه كما يـدب بنموه في الحياة يدب بأنفاسه نحو الممات، وأنه يجب علي العاقل أن يحضـره علي الدوام ذكر الموت كمـا يحضـره ذكر الحيـاة، وأن اليقين كـل اليقين في أعواد النعش، والشـك كل الشك في أساطين القصـر، وهم يلبسون السواد حـداداً في يوم الولاـدة، والبياض فرحاً عنـد حلول الأجل، ولم يعتبروه شـراً بل هو الخير كله عنـدهم، فمن منتهي غباوة الانسان وجهله ان يتّخـذ في كل منبت شـعرة من جسـمه حبلاً من الأمل يعلقه بالبقاء في الحياة الدنيا ويمحو عن ذاكرته كل سـبب يربطه بصـفائح القبر، فما الدنيا في الآخرة – كما روي عن رسول الله صلي الله عليه وآله : «إلآ مثل ما يجعل الواحد إصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع. (1)

ما عليه الناس في هذه الحالة:

الناس في الحالة السابقة ينقسمون ثلاثة أقسام: قسم لا يذكره البتة، وقسم يذكره رعباً وخشية، وآخر يذكره عقلاً وحكمة.

القسم الأول: هو ذلك الأحمق الذي لا يتذكر الموت ولا يجري له علي خاطر، كأنه قد رسخ في ذهنه أن لا فناء، فلا يحس هذه الحقيقة إلا عند المشاهدة، ولا يذكر الموت إلا ريثما تنقضي تلك المشاهدة، كأن يشتد به المرض أو يختطف الموت أحد أهله أو جيرانه.

فهو لا يفكر في الموت وما بعده إلا نظراً في حال أولاده وتركاته عند موته، ولا ينظر ويتدبر في أحوال نفسه وعندما يري جنازة إلا بقوله بلسانه (إنا لله و إنا إليهراجعون) ولا يرجع إلي الله بأفعاله، بل بأقواله فقط، فيكون كاذباً فيها تحقيقاً.

1- البحار للمجلسي، 70: 119 ح 110

القسم الثاني: وهو ذلك الذي يذكر الموت دائماً لخشيته من وقوعه وخوفه من نزوله، فيتولا الرعب ويستولي عليهم الفزع، وأكثر ما يذكرونه إذا خلوا من أشغالهم وانتقلوا إلي أوقات فراغهم، فيكدرون صفاء هنائهم، ويسودون بياض معيشتهم، وأشد ما يكون عذابهم من ذكري الموت إذا أردف الله عليهم النعمة إثر النعمة، وزادهم من متاع الدنيا وزينة الحياة، فتراهم في هم دائم وعناء مقيم للتوقي من الأخطار والتحرز من أسباب الهلاك، ويتغالون في ذلك التوقي إلي حال الجنون، فيحاذرون هبوب النسيم وحرارة الضياء، ويتوهمون في كل لقمة تخمة، وفي كل جرعة غة، حتي تمرض الأجسام من تلك الوساوس والأوهام التي قد تؤدي إلي الموت الزؤام.

القسم الثالث: وهو العاقل الكيس الذي لا يفارقه ذكر الموت، كالمسافر إلي مقصد الحج مثلاً، فإنه لا يفارق ذكر المقصد، وأشغال المنازل في الحل والترحال لا تنسية مقصوده، وذلك لأنه يعلم أن ذكر الموت يطرد فضول الأمل، ويكف غرب المني، ويهون المصائب، ويحول بين الإنسان والطغيان.

ومن ذكر الموت تتولد القناعة بما رزق، والمبادرة إلي التوبة وترك المحاسدة والحرص علي الدنيا، والنشاط في العبادة، ولا ينبغي أن يهمل الإنسان نفسه من تذكرالموت كل يوم، فيصبح في كل يوم علي تقدير الاستعداد للرحلة. فكل من ينتظر أن يدعوه ملك من الملوك كل ساعة ينبغي أن يكون مستعداً للاجابة، فإن لم يكن فربما يأتيه الرسول وهو غافل فيحرم السعادة، فما من وقت إلا والموت فيه ممكن.

الحالة الثانية: عند الموت

هي حال الإنسان عند الموت، والناس عنده ثلاثة أقسام أيضاً:

الاول: ذو بصيرة و علم ان الموت يعتقه والحياة تسترقّه، وان الانسان وان طالفي الدنيا مكثه فهو كخطفة برق لمعت في أكناف السماء ثم عادت للاختفاء، فلا يثقل

عليه الخروج من الدنيا إلا بقدر ما يفوت من خدمة ربه عزوجل والازدياد من تقربه والاشفاق مما يقول أو يقال له، كما قال بعضهم لما قيل له: لم تجزع؟ قال: لأني أسلك طريقاً لم أعهده، وأقدم علي رب لم أره، ولا أدري ما أقول وما يقال لي. ومثل هذا الشخص لا ينفر من الموت، بل إذا عجز عن زيادة العبادة ربما اشتاق إليه. وقال بعضهم في مناجاته: إلهي إن سألتك الحياة في دار الممات فقد رغبت في البعد عنك وزهدت في القرب منك، فقد قال نبيك وصفيك صلي الله عليه وآله: من أحب لقاء الله أحب الله القاءه، ومن كره لقاء الله فقد كره الله لقاءه.(1)

والثاني: رجل رديء البصيرة متلطخ السريرة، منهمك في الدنيا منغمس في علائقها، رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها ويئس من الدار الآخرة كما يئس الكفار من أصحابالقبور، فإذا خرج إلي دار الخلود أضر ذلك له كما تضر ومصباح الملأ الأعلي، فكان كما قال الله تعالي:(وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أعمِي فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعمي وأَضَلُ سَبيلاً) (2) فالدنيا سجن الأول وجة الثاني، والأول كعبد دعاه مولاه فأجابه طوعاً وقدم عليه مسروراً يتوافر علي خدمته. والثاني كعبد آبق رد إلي مولاه مأسوراً، وقيد إلي حضرته مقهوراً، فبقي ناكس الرأس بين يدي مولاه، مختزياً من جنايته، وشتان بين الحالين.

والثالث: رتبة بين الرتبتين: رجل عرف غوائل هذا العالم وكره صحبته ولكن أنس به وألفه، فإذا خرج ورأي ما اتخذ الله الصالحين لم يتأسف علي ما كره فواته، بل قال:(الحَمدُ للهِ الَّذِي أذهَبَ عَنَّا الحَزَن إِنَّ ربَّنا لَغَفُورٌ شَكورٌ الَّذي أَحَلنا دارَ المُقامَةِ مِن فَضلِهِ لا يَسمَّنا فيهَا نَصَبٌ ولَا يَمسَنا فِيها لُغُوبٌ). (3)

1- الكافي 3: 134، ح 12

2- الإسراء: 72

3- فاطر: 34 و 35

ولا يبعد أن يكره الإنسان مفارقة شيء ثم إذا فارقه لا يتأسف عليه، فالصبي وقت الولادة يبكي لما يناله من ألم الانتقال، ثم إذا عقل لا يتمني العود إليه، والموت ولادة ثانية يستفاد بها كمالاً لم يكن له قبل، بشرط ألا يكون تقدم قبل ذلك الكمال من الآفات والعوارض ما أبطل قبول المحل للكمال، كما أن الولادة سبب لكمال مغبوط لم يكن عند الاجتنان، بشرط ألا يصيبه وقتئذ من الأسباب والعلل ما يمنع قبول الكمال.

والموت من العقائد الراسخة والاعتقادية يكاد يكون عاماً بين الأمم والأجيال، فلا تكاد تخلو كل أمة أياً كانت من اعتقاد بموت، ولكن هذه الفكرة وأوصاف الموت تختلف بين هذه الأمم اختلافاً كبيراً. والقرآن يصف الموت بأوصاف نلخصها مما ورد فيه، فهو ليس موتاً لا حياة بعده، ولا هو من البساطة بصفة يشبه النوم، وإنما هو انتقال من دار إلي أخري، فهو موت بعده حياة أخري وراء هذه الحياة، ويومها يوم القيامة يوم الدين (ثُمَّ إنَّكُم بَعدَ ذَلكَ لَمَيتُّون) (1) (ثُمَّ انكُم يَومَ القِيامَةِ تُبعَثُون) (2) (كُلُّ نَفسٍ ذائِقَةُ المَوتِ ثُمَّ إلينَا تُرجَعُونَ).(3)

وليس من الموت من مهرب أو ملجأً مهما عظم شأنه (أينَمَا تَكُونُوا يُدرِكُكُم المَوتُ ولَو كُنتُم فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدةٍ). (4)

وليس الموت ينظر إلي الناس بعين التمييز بين الأفراد الواطئة والطبقات الراقية، بل هو ينظر إليهم كموجودات طبيعية تعرض عليها عوارض الطبيعة (إنَّكَ مَيتٌ وإنَّهُم مَيِّتونَ). (5)

1- المؤمنون: 15

2- المؤمنون: 16

3- العنكبوت: 57

4- النساء: 78

5- الزمر:

ومن كلام له عليه السلام قبل موته:

في المحافظة علي الشهادتين والاعتبار بموته

(أيُهـا النَّاسُ كُـلُّ امرئ لَاقٍ ما يَفرُّ مِنهُ فِي فَراره الأجلُ مَساقُ النَّفسِ والهَربَ مِنه مُوافاتُه كَم أَطرَدتُ الأيَّامَ أبحَتها عَن مَكنُون هَـذا الأَمرَ فَأبي اللهُ إلا إِخفَاءَهُ هَيهاتَ عَلمٌ مَخزونٌ امَّا وَصِـيَّتي فللّه لا تُشـرِكُوا بِه شَـيئاً ومحَمَداً صـلي الله عليه وآله فلا تُضَيعوا سُنَه أقيمُوا هَذينِ العَمُودين وأَوقدوُا هَذين المِصباحَين وخَلاكُم ذمٌ ما لم تَشرُدوا حُمل كُلُّ امري منكم مَجهُودةُ وخُففَ عن الجَهَلة ربٌ رحيمٌ ودينٌ قويمٌ وامامٌ عليمٌ أنا بالأمسِ صاحبُكُم وأنا اليَوم عبرةٌ لكُم وغـداً مُفارقكُم غَفَر اللهُ لي وَلكُم ان تثبت أوطاة في هَذه المزلة فذاك إن تدحَض القَدَم فإنّا كُنا في أفياء أغصَان ومَهاب ريَاحٍ وتَحتَ ظَلِ غمَامٍ اضمَحَل في الجَو متَلَفقَها وما في الأرضِ مَخطَها وأنَّما كنتُ جاراً جاوَرَكُم بدني أياماً و بين مني جثَّةً خلاءً ساكنَـة بَعـد حراك وصامَتة بعد نُطقٍ ليعظكُم هُدُوي و خفوتُ إطراقي و سـكونُ أطرافي فإنَّه أَوعَظِ للمُعتبرينَ منَ الَمنطقِ البَليغِ والقَولِ المسـموعَ وداعي لَكُم وداعُ امري مُرصِدٍ للتلاقي غداً تَرونَ ايامي ويكشَفَ لَكم عن سراثِري وتَعرفونني بعدَ خُلو مكانيَ وقِيام غَيرِي مَقامي). (1)

الشرح:

إن هـذا الكلام قاله عليه السـلام لما ضـربه ابن ملجم المرادي عليه لعائن الله، وهو مسوق في معرض الوعظ والاعتبار والتوصـية والتـذكير، فحذر الناس

1- نهج البلاغة، ج 2: 34 -خ149

ونبههم علي لحوق ضرورة الموت المنفور منه طبعاً: أيها الناس كل امرئ لاق ما يفر منه في فراره، فإنه لما كان الإنسان دائماً فاراً من الموت و متوقياً له، وكان لا بـد منه، لا جرم كان ضـروري اللقاء له في فراره، والأجل قـد يراد به غاية الحياة الدنيا كما قال تعالي:(فَإذا جاءَ أجَلَهُم لا يَستَأخِرونَ ساعةً ولا يستقدمونَ)(1) وقد يراد به المدة المضـروبة للقاء الإنسان وهي مدة عمره، وإياه عني عليه السـلام بقوله: الهرب منه – أي من الأجـل – موافـاته وذلـك أن الفار من الموت مثلا بالحركات والعلاجات ونحوها تسـتلزم حركاته في ذلك فناء الأوقات و تصـرمها، وقطع تلك الأوقات مستلزم لملاقاته وموافاته.

وقوله صـلوات الله عليه: كم اطردت الأيام أي صيرتها طريدة إلي أن أتبع بعضها بعضاً بالبحث وتعرف مكنون هذا الأمر – أي الذي وقع له من القتل – وذلك المكنون هو وقته المعين بالتفصيل ومكانه، فإن ذلك مما استأثر الله تعالي بعلمه كقوله تعالي:(إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السَّاعَة) (2) وقوله:(وَما تَدرِي نَفسَ بأيِ أرضَ تَمُوتُ) (3) وإن كان قد أخبره الرسول صلي الله عليه وآله بكيفية قتله مجملاً كما روي عنه صلي الله عليه وآله أنه قال له: ستضـرب علي هذه _وأشار إلي هامته – فتخضب منها هذه _ وأشار إلي لحيته.(4) وعنه صلي الله عليه وآله أنه قال له: أتعلم من أشقي الأولين؟ قال: نعم، عاقر الناقة، فقال له: أتعلم من أشقي الآخرين؟ قال: لا، قال: من يضربك ها هنا فيخضب هذه.(5)

وأما بحثه هو صلوات الله عليه عن تفصيل الوقت الذي يقتل فيه والمكان الذي

1- الأعراف: 34

2- لقمان: 34

3- لقمان: 34

4- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 9: 117

5- بحار الأنوار 11: 393 نقلا عن تفسير الثعلبي.

يقتـل فيه ونحوهمـا من القرائن المشـخصة، وذلك البحث أما بالسؤال من الرسول صـلي الله عليه وآله مـدة حياته وكتمانه إياه، أو بالفحص والتفرس من قرائن أحواله في سائر أوقاته مع الناس، فأبي الله تعالي إلا أن تخفي عنه تلك الحال.

هـذا ما ذهب إليه الشارح المعتزلي والبحراني، ويظهر من قول المعتزلي أنه زعم أن مراده عليه السـلام بمكنون هـذا الأمر وقت قتله ومكانه المعينان بالتفصيل.

وحذا حذوه الشارح البحراني حيث قال: وذلك المكنون هو وقت قتله المعين بالتفصيل ومكانه، فإن ذلك مما استأثر الله به.

علم علي عليه السلام بزمان ومكان قتله:

لا يكاد ينقضي العجب من هذين الفاضلين كيف توهما أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن عالماً بزمان موته ولا بمكانه إلا إجمالاً، وأنه لم يكن يعرفهما تفصيلاً، إن هذا إلا وهم فاسد.

أما الشارح المعتزلي فمع روايته الأخبار الغيبية له عليه السـلام وإذعانه علي صحتها كيف خفي عليه وجه الحق، وكيف يتصور في حق من هو عالم بما كان وما يكون، ومن يقول: فاسألوني قبل أن تفقدوني فوالذي نفسـي بيده لا تسألوني عن شـيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئـة تهـدي مائة أو تضل مائة إلا أنبئتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت منهم موتاً أنه لم يكن يعرف زمان موته ومكانه!!ـ

وأما الشارح البحراني: فمع كونه من فضـلاء علماء الإمامية – قدس الله ضـرائحهم – كيف قصرت معرفته عن علم الأئمة عليهم السلام بما كـان ومـا يكون وما هو كائن، ولمعرفتهم عليهم السـلام بوقت موتهم وموت شـيعتهم، وأنهم يعلمون علم المنايا والبلايا والأنساب، وهـذه الأخبار قريبة من التواتر بل متواترة، وقد روي المخالف والمؤالف قول أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الأعور الهمداني

يا حار همدان من تمت يرني ***من مؤمن أو منافق قبلا

يعرفني طرقه وأعرفه *** بنعته واسمه وما فعلا (1)

فإن من كان حاضـراً عند كل ميت، عارفاً بوقت موته كيف لا يعرف وقت موت نفسه ؟! وقد عقد الكليني محمد بن يعقوب رضي الله عنه في كتابه – أصول الكافي – باباً خاصاً في ذلك وقال: باب أن الأئمة عليهم السـلام يعلمون متي يموتون.(2) وروي في ذلك الباب عن علي بن محمد، عن سـهل بن زياد، عن محمد بن عبد الحميد، عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا عليه السلام إن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلـة التي يقتل فيها، والموضع الـذي يقتل فيه، وقوله لما سـمع صـباح الأوز في الـدار: صوائح تتبعها نوائح، وقول أم كلثوم: لو صليت الليلـة داخل الـدار وأمرت غيرك يصـلي بالناس، فأبي عليها، وكثردخوله وخروجه تلك الليلة بلا سـلاح وقد عرف أن ابن ملجم قاتله بالسيف؟ فقال الرضا عليه السلام : ذلك كان، ولكنه خير في تلك الليلة لتمضي مقاديرالله عزوجل. (3)

قال المجلسـي: الظاهر من سائر الأخبار أنه عليه السـلام كان عالماً بشـهادته ووقتها، وكان ينتظرها ويخبر بوقوعها ويستبطئها في الليلة التي وعدها، ويقول: ما منع قاتلي من قتلي؟ انتهي .

فقد ظهر واضح بذلك كله أنه كان يعرف تفضيلاً زمان قتله ومكانه.

فإن قلت: سلمنا هذا كله وذلك، ما تصنع بقوله عليه السلام: كم اطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبي الله إلا إخفاءه؟

قلت: يمكن توجيهه بأن يكون المراد بهذا الأمر خفاء الحق ومظلومية أهله وظهور الباطل وغلبة أصحابه وكثرة أعوانه، لأنه عليه السلام سعي في أول الأمر في أخذ

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1: 299

2- الكافي للكليني 1: 258، باب (أن الأئمة يعلمون متي يموتون...)

3- المصدر السابق: ح4

حقه غايـة السـعي فلم يتيسـر، وجرت أمور لـم تكن تخطر ببال أحـد وقوع مثلها، وفي آخر الأمر لما انتهي إليه وحصل له الأنصار والأعوان وجاهد في الله حق الجهاد وغلب علي المنافقين سـنحت فتنة التحكيم التي كانت من غرائب الأمور، ثم بعد ذلك لما جمع العساكر وأراد الخروج إليهم وقعت الطامة الكبري، فالمراد بالمكنون سپر ذلك وسـببه، فظهر لي وأبي الله إلا إخفاءه عنكم لضـعف عقولكم عن فهمه، إذ هي من غومض مسائل القضاء والقدر.

وهذا التوجيه أورده المجلسي في مرآة العقول نقلا عن بعضهم واستحسنه.

وبالتالي فإن المراد بالأمر المكنون في كلامه عليه السلام سر غلبة الباطل علي الحق وعلة مظلومية أهل الحق .

والمراد بإخفاء الله إياه إخفاؤه منهم لا منه عليه السلام، فيكون هذا الكلام منه نظير قوله:

بل اندمجت علي مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة. (1)

وقوله عليه السلام: هيهات علم مخزون أي بعد الاطلاع علي ذلك السر فإنه علم مخزون، ومن شأن المخزون أن يستر ويخفي.

وصايا أمير المؤمنين عليه السلام:

ثم شـرع عليه السـلام بالوصـية فقال: أما وصـيتي فالله لا تشـركوا به شيئاً، ومحمد صلي الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته فبدأ بالأهم فالأهم، فالأـول هو الإخلاـص لله بالإعراض عن كل ما سواه، وفي ذلك لزوم أوامره ونواهيه وسائر ما نطق به كتابه العزيز، والثاني: لزوم سـنةمحمد صلي الله عليه وآله وعدم إهمالها، وهو لزوم شرائع الدين وسلوك نهج الشرع المبين. ثم أكد الأمر باتباع التوحيد المطلق والسنة

1- نهج البلاغة 1: 39 الخطبة الخامسة

النبوية بقوله: «أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين واستعار لهما لفظ العمودين لأن مدار الإسلام ونظام أمور المسلمين في المعاش والمعاد علي توحيد الله سبحانه ولزوم ما جاء له رسوله، كما أن مدار الخيمة وقيامها بالعمد، والمراد بإقامتهما الاعتقاد بهما والعمل بمقتضيات الإيمان بهما، ووجه الثانية: أن توحيد الله والاقتداء بما جاء به رسوله مستلزمان للهداية في طريقه من ظلمات الجهل، قائدان إلي جواره في جنات النعيم، وهو المطلوب الحقيقي، كما يهدي المصباح في الظلام علي الطريق المطلوب.

وقوله عليه السلام: وخلاكم ذم مالم تشردوا أي سقط عنكم ذم وتجاوز كم فلا ذم يلحقكم ما لم تتفرقوا.

قال المجلسي – في مرآة العقول : والغرض النهي عن التفرق واختلاف الكلمة، أي لا ذم يلحقكم ما دمتم متفقين في أمر الدين، متمسكين بحبل الأئمة الطاهرين، أو المراد النهي عن الرجوع عن الدين وإقامة سننه.

ثم لما كان قد أمرهم عليه السلام بلزوم هذين الأمرين اللذين يدور عليهما التكليف، بين لهم بقوله: حمل كل امرئ منكم مجهوده، وخفف عن الجهلة، رب رحيم ودين قويم وإمام عليم.

هذا الكلام بظاهره يعطي أن الله سبحانه كلف كل أحد بما هو مبلغ طاقته ونهاية وسعه، فبين عليه السلام أن التكليف علي حسب العلم يتفاوت، فكل امر من العلماء وأهل النباهة ومن هو بصدد العلم مجهوده وطاقته منه علي الأدلة و تعليماً، وأما الجهال كالنساء وأهل البادية والزنج ونحوهم من أهل الغباوة فتكليفهم دون ذلك، وهو بالمحسوس من العبادات دون الأمر في التفكير في مقاصدها.

وعقب عليه السلام وصيته بالتنبيه علي مجاري حالاته لاعتبار الحاضرين واتعاظ المشاهدين، فقال: «أنا بالأمس صاحبكم» في الحرب ومنازعة الأقران

وصاحب الأمر والنهي فيهم، واليوم عبرة لهم بحال مصرعه وضعفه عن الحراك، وغداً مفارقهم بالموت.

دخول حبيب علي علي عليه السلام في مرضه:

روي الصدوق في أماليه: عن حبيب بن عمرو قال: دخلت علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مرضه الذي قبض فيه، فحل عن جراحته، فقلت: يا أمير المؤمنين ما جرحك هذا بشيء وما بك من بأس، فقال لي: يا حبيب أنا والله مفارقكم الساعة، فبكيتعند ذلك وبكت أم كلثوم وكانت قاعدة عنده، فقال لها: ما يبكيك يا بنية؟ فقالت: ذكرت يا أبه أنك تفارقنا الساُعة فبكيت، فقال لها: يا بنية لا تبكين، فوالله لو ترين ما يري أبوك ما بكيت، قال حبيب: فقلت له: وما الذي تري يا أمير المؤمنين؟ فقال: يا حبيب أري ملائكة السماوات والنبيين بعضهم في أثر بعض وقوفاً إلي أن يتلقوني، وهذا أخي محمد رسول الله صلي الله عليه وآله جالس عندي يقول: أقدم فإن ما أمامك خير لك مما أنت فيه. قال حبيب: فما خرجت من عنده حتي توفي من الغد. (1)

دخول عمرو بن الحمق علي علي عليه السلام في مرضه:

وفي كتابنا ـ مسند الإمام علي عليه السلام نقلاً عن الخرائج والجرائح – عن عمرو بن الحمق الخزاعي قال: دخلت علي علي عليه السلام حين ضرب الضربة بالكوفة، فقلت: ليس عليك بأس، إنما هو خدش. قال: لعمري إني مفارقكم، ثم قال: إلي السبعين بلاء، قالها ثلاثاً، قلت: فهل بعد البلاء رخاء؟

فلم يجبني وأغمي عليه، فبكت أم كلثوم فلما أفاق قال: لا تؤذيني يا أم كلثوم، فإنك إن تري ما أري لم تبك، إن الملائكة من السماوات السبع بعضهم خلف بعض والنبيون يقولون: انطلق فما أمامك خير لك مما أنت فيه،

1- الأمالي للصدوق: 396، ح 4/510

فقلت: يـا أمير المؤمنين إنك قلت إلي السـبعين بلاء، فهل بعـد السـبعين رخاء؟ قال: نعم، وإن بعـد البلاء رخاء، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. (1)

دخول الأصبغ علي علي عليه السلام:

وفي كتاب «الروضة» بالإسـناد يرفعه إلي الأصـبغ قال: لما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام الضربة التي كانت وفاته فيها اجتمع إليه الناس بباب القصـر، وكان يراد قتل ابن ملجم - لعنه الله _ فخرج الحسن عليه السـلام فقال: معاشـر الناس إن أبي أوصاني أن أترك أمره إلي وفاته، فإن كان له الوفاة وإلا نظر هو في حقه، فانصـرفوا رحمكم الله، قال: فانصـرف الناس ولـم أنصـرف، فخرج ثانية وقال لي: يا أصبغ أما سمعت قولي عن أمير المؤمنين؟ قلت: بلي ولكني رأيت حاله فأحببت أن أنظر إليه فأستمع منه حديثاً، فاستأذن لي رحمك الله، فدخل ولـم يلبث أن خرج فقال لي: ادخل، فـدخلت فإذا أمير المؤمنين معصب بعصابـة صـفراء وقـد علت صـفرة وجهه علي تلك العصابة، وإذا هو يرفع فخذاً ويضع أخري من شدة الضـربة وكثرة السم، فقال لي: يا أصـبغ، أما سمعت قول الحسن عن قولي؟ قلت: بلي يا أمير المؤمنين، ولكني رأيتك في حالة فأحببت النظر إليك وأن أسمع منك حديثاً. فقال لي: أقعد فما أراك تسمع مني حديثاً بعد يومك هذا:

اعلم يا أصـبغ أني أتيت رسول الله صلي الله عليه وآله عائداً كما جئت الساعة، فقال لي: يا أبا الحسن أخرج فنادي في الناس الصلاة جامعة واصـعد المنبر وقم دون مقامي بمرقاة، وقل للناس: ألا من عق والديه فلعنة الله عليه، ألا من أبق من مواليه فلعنة الله عليه، ألا من ظلم أجيراً أجرته فلعنة الله عليه، يا أصبغ ففعلت ما أمرني به حبيبي رسول الله صلي الله عليه وآله، فقام من أقصي المسجد رجل

1- الخرائج والجرائح للراوندي 1: 178، باب 2/ ح 11

فقـال: يا أبا الحسن تكلمت بثلاث كلمات وأوجزتهن فاشـرحهن لنا، فلم أرد جواباً حتي أتيت رسول الله صـلي الله عليه وآله فقلت ما كان من الرجل.

قال الأصـبغ: ثم أخذ بيدي وقال: يا أصبغ أبسط يدك، فبسطت يدي، فتناول أصبعاً من أصابع يدي وقال: يا أصبغ كذا تناول رسول الله صلي الله عليه وآله أصـبعاً من أصابع يدي كما تناولت أصبعاً من أصابع يدك، ثم قال: يا أبا الحسن، ألا وإني وأنت أبوا هذه الأمة، فمن عقنا فلعنة الله عليه، ألا وإني وأنت موليا هـذه الأمة، فعلي من أبق عنا فلعنة الله عليه، ألا وإني وأنت أجيرا هذه الأمة فمن ظلمنا أجرتنا فلعنة الله عليه، ثم قال: قل آمين فقلت: آمين. قال الأصـبغ: ثم أغمي عليه فلما أفاق فقال لي: أقاعـد أنت يا أصـبغ؟ قلت: نعم يا مولاي، قال: أزيدك حديثاً آخر؟ قلت: نعم زادك الله من مزيـدات الخير، قال: يا أصـبغ، لقيني رسول الله صـلي الله عليه وآله في بعض طرقات المدينـة وأنا مغموم قد تبين الغم في وجهي، فقال لي: يا أبا الحسن أراك مغموماً، ألا أحدثك بحديث لا تغتم بعده أبداً؟ قلت: نعم. قال: إذا كان يوم القيامة نصـب الله منبرأ يعلو منـابر سـائر النبيين والشـهداء ثم يأمرني الله أصـعد فوقه، ثم يأمرك الله أن تصـعد دوني بمرقاة، ثم يأمر الله ملكين فيجلسان دونك بمرقاة، فإذا استقللنا علي المنبر لا يبقي أحد من الأولين والآخرين إلا حضر، فينادي الملك الذي دونك بمرقاة: معاشر الناس ألا من عرفني فقـد عرفني، ومن لـم يعرفني فأنا أعرفه بنفسـي، أنا رضوان خازن الجنان، ألا إن الله بمنه و كرمه وفضـله وجلاله أمرني أن أدفع مفاتيح الجنة إلي محمد، وإن محمداً أمرني أن أدفعها إلي علي بن أبي طالب، فاشهدوا لي عليه.

ثم يقوم ذلك الذي تحت ذلك الملك بمرقاة منادياً يسمع أهل الموقف: معاشرالناس من عرفني فقد عرفني ومن لـم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا مالك خازن النيران، ألا إن الله بمنه وفضـله وكرمه وجلاله أمرني أن أدفع مفاتيـح النار إلي محمـد، وإن محمداً أمرني أن أدفعها إلي علي بن أبي طالب، فاشهدوا لي عليه، فأخذ مفاتيح الجنان والنيران، ثم قال: يا علي فتأخذ

بحجزتي، وأهل بيتك يأخذون بحجزتك، وشيعتك يأخذون بجزة أهل بينك، قال: فصفقت بكلتا يدي: وإلي الجنة يا رسول الله؟ قال: أي ورب الكعبة. قال الأصبغ: فلم أسمع من مولاي غير هذين الحديثين ثم توفي صلوات الله عليه.(1)

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لما احتضر أمير المؤمنين عليه السلام جمع بنيه فأوصاهم، ثم قال: (يا بني إن القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة وتتناجي بها، وكذلك هي في البغض، فإذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه، وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه).(2)

وعن الحسن بن علي عليه السلام قال: دخلت علي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك، فقال لي: أتجزع؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأنا أراك علي حالك هذه، فقال: ألا أعلمك خصالاً أربع إن أنت حفظتهن فلك النجاة، وإنأنت ضيعتهن فاتك الداران؟ يا بني لا غني أكبر من العقل، ولا فقر مثل الجهل، ولا وحشة أشد من العجب، ولا عيش ألذ من حسن الخلق.(3)

دخول صعصعة علي علي عليه السلام:

وفي كتابنا ـ مسند الإمام علي- نقلاً عن المناقب عن صعصعة بن صوحان أنه دخل علي أمير المؤمنين عليه السلام لما ضرب فقال: يا أمير المؤمنين أنت أفضل أم آدم أبو البشر؟ قال علي عليه السلام: تزكية المرء نفسه قبيح، لكن قال الله تعالي لآدم:(يا آدَمُ اسكُن أنتَ وزَوجُكَ الجَنَّة وكُلا مِنها رَغَداً حَيثُ شِئتُما ولَا تَقرَبا هذِهِ الشَجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمينَ) وأنا أكثر الأشياء أبا حنيها الله لي

1- بحار الأنوار 42 :44 - 46

2- أمالي الطوسي: 595/ ح 1232

3- بحار الأنوار 75: 111

وتركتها وما قاربتها. ثم قال: أنت أفضل يا أمير المؤمنين أم نوح؟ قال علي عليه السلام: إن نوحاً دعا علي قومه، وأنا ما دعوت علي ظالمي حقي، وابن نوح كان كافراً وابناي سيدا شباب أهل الجنة، قال: أنت أفضل أم موسي؟ قال عليه السلام: إن الله تعالي أرسل موسي إلي فرعون فقال:(إنّي أَخافُ أَن يُكَذِبُونِ) (1) حتي قال الله تعالي:(لا تَخَف إنّي لاتَخَف لَدَيَّ المُرسَلونَ) (2) وقال (ربِّ إنّي قَتَلتُ مِنهُم نَفساً فَأَخافُ أَن يَقتُلونِ) (3) وأنا ما خفت حين أرسلني رسول الله صلي الله عليه وآله بتبليغ سورة براءة أن أقرأها علي قريش في الموسم مع أني كنت قتلت كثيراً من صناديدهم، فذهبت إليهم وقرأتها عليهم وما خفتهم، ثم قال: أنت أفضل أم عيسي ابن مريم؟ قال عليه السلام: عيسي كانت أمه في بيت المقدس فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول: اخرجي، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة، وأما أمي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم، فانشق حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول: ادخلي، فدخلت في وسط البيت وأنا ولدت به، وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي. (4)

وفي كتاب – معاني الأخبار – عن أنس بن مالك قال: كنت عند علي بن أبي طالب عليه السلام في الشهر الذي أصيب فيه _ وهو شهر رمضان _ فدعا ابنه الحسن عليه السلام ثم قال له: «يا أبا محمد أعلي المنبر فاحمد الله كثيراً وأثن عليه، واذكر جدك رسول الله صلي الله عليه وآله بأحسن الذكر وقل: لعن الله ولداً عق أبويه، لعن الله ولداً عق أبويه، لعن الله ولداً عق أبويه، لعن الله عبدا أبق من مواليه، لعن الله غنياً ضلت عن الراعي، وانزل، فلما فرغ من خطبته ونزل

1- الشعراء: 12

2- النمل: 10

3- القصص: 33

4- اللمعة البيضاء: 99

اجتمع النـاس إليه فقـالوا: يـا بن أمير المؤمنين وابن بنت رسول الله نبئنـا الجواب فقال: الجواب علي أمير المؤمنين عليه السـلام، فقال أمير المؤمنين: إني كنت مع النبي صـلي الله عليه وآله في صـلاة صـلاها، فضرب بيده اليمني إلي يدي اليمني فاجتذبها فضمها إلي صدره ضماً شديـداً، ثم قال لي: يا علي، قلت: لبيك يا رسول الله قال: أنا وأنت أبوا هذه الأمة، فلعن الله من عقنا، قل آمين، قلت: آمين، ثم قال: أنا وأنت موليا هذه الأمة، فلعن الله من أبق عنا، قل آمين، قلت: آمين، ثم قال: أنا وأنت راعيا هذه الأمة، فلعن الله من ضل عنا، قل آمين، قلت: آمين. قـال أمير المؤمنين صـلوات الله عليه: وسـمعت قـائلين يقولاـن معي آمين فقلت: يـا رسول الله ومن القائلاـن معي آمين؟ قـال: جبرئيل و ميكائيل عليهم السلام. (1)

وفي كتاب _ الخرائج والجرائح – عن أبي جعفر عليه السـلام قال: جمع أميرالمؤمنين عليه السـلام بنيه – وهم اثنا عشـر ذكراً– فقال لهم: إن النبي يعقوب عليه السـلام كان له من البنين اثنا عشر ذكراً فلما حضره الموت جمعهم وقال لهم: إنّي أوصي إلي يوسف فاسمعوا له وأطيعوا، وأنا أوصـي إلي الحسن والحسـين فاسمعوا لهما وأطيعوا، فقال له عبد الله ابنه: أدون محمد بن علي؟ – يعني محمد بن الحنيفة _ فقال عليه السلام: أجرأةً علي في حياتي، كأني بك وقد وجدت مذبوحاً في فسطاطك لا يدري من قتلك.

وقـد صـدقت الحوادث هـذه النبوءة فـإنه لما كان في زمان المختار أتاه عبـد الله فقال له: أعطني قيادة الجيش، قال له المختار: لست هناك، فغضب ولحق بمصـعب بن الزبير وهو بالبصـرة _ فقـال له: ولني قتال أهل الكوفـة، فكان في مقدمـة مصـعب بن الزبير، فالتقوا بحوراء فلما حجز الليل بينهم أصبحوا فوجدوه مذبوحاً في فسطاطه لا يدري من قتله.(2)

1- معاني الأخبار: 118/ح1

2- الخرائج والجرائح 1: 183 – 184/ ح 17

وفي أصول الكافي عن سليم بن قيس قال: شهدت وصية أمير المؤمنين صلوات الله عليه حين أوصي إلي ابنه الحسن عليه السلام وأشهد علي وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: يا بني أمرني رسول الله صلي الله عليه وآله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصي إلي رسول الله ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلي أخيك الحسين عليه السلام ، ثم أقبل علي ابنه الحسين فقال: وأمرك رسول الله صلي الله عليه وآله أن تدفعها إلي ابنك هذا – وأخذ بيد علي بن الحسين – ثم قال لعلي بن الحسين، وأمرك رسول الله صلي الله عليه وآله أن تدفعها إلي ابنك محمد بن علي، وأقرأه من رسول الله ومني السلام.(1)

وفي كتاب (مسند الإمام علي صلوات الله عليه): عن علي بن الحسين ومحمد بن علي عليه السلام أنهما ذكرا وصية علي صلوات الله عليه – وساقا الحديث إلي أن قالا: قال صلوات الله عليه: «أيها الناس هل فيكم أحد يدعي قبلي جوراً في حكم أو ظلماً في نفس أو مال، فليقم أنصفه من ذلك؟ فقام رجل من القوم فأثني عليه ثناءً حسناً وأطراه وذكر مناقبه في كلام طويل، فقال علي صلوات الله عليه: أيها العبد المتكلم، ليس هذا حين إطراء وما أحب أن يحضرني أحد في هذا المحضر بغير النصيحة، والله الشاهد علي من رأي شيئاً يكرهه فلم يعلمنيه، فإني أحب أن استعتب من نفسي قبل أن تموت، إلي أن قال: أيها الناس أنا أحب أن أشهد عليكم ألا يقوم أحد فيقول أردت أن أقول فخفت فقد أعذرت بيني وبينكم، اللهم إلا أن يكون أحد يريد ظلمي والدعوي قبلي بما لم أجر، أما أني لم أستحل من أحد مالاً ولم أستحل دماً بغير حق، إلي أن قالا: ثم لم يزل يقول: اللهم اكفنا عدوك الرجيم، اللهم إني أشهدك أنك لا إله

1- الكافي 1: 297 – 298/ ح 1

إلا أنت، وأنت الواحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فلك الحمد عدد نعمائك لدي وإحسانك عندي، فاغفر لي وارحمني وأنت خير الراحمين، ثم لم يزل يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله عدة لهذا الموقف ولما بعده من المواقف، اللهم أجز محمد عنا أفضل الجزاء، وبلغه منا أفضل السلام، اللهم وألحقني به ولا تكل بيني وبينه إنك سميع الدعاء غفور رحيم، ثم نظر إلي أهل بيته فقال: حفظكم الله وحفظ فيكم نبيكم واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام، ثم لميزل يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، حتي قبض صلوات الله عليه.(1)

روي المجلس في البحار: قال صلوات الله عليه في وصيته: ثم تقدم با أبا محمد صل علي بابني، وكبر علي سبعاً، واعلم أنه لا يحل ذلك لأحد غيري إلا علي رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين يقيم اعوجاج الحق.(2)

وروي الشيخ المفيد: لما حضرت امير المؤمنين صلوات الله عليه الوفاة قال الحسن والحسن عليهم السلام: إذا أنا مت فاحملاني علي سريري، ثم أخرجاني واحملا مؤخر السرير فإنكما تكفيان مقدمه، ثم ائتيابي الغريين فإنكما ستريان صخرة بيضاء تلمع نوراً، فاحتفرا فيها فإنكما تجدان فيها ساجة، فادفناني فيها.

قال: فلما مات صلوات الله عليه أخرجناه وجعلنا نحمل مؤخر السرير وتكفي مقدمه، وجعلنا نسمع دوياً وحفيفاً حتي أتينا الغريين، فإذا صخرة بيضاء يلمع نورها، فاحتفرنا فإذا ساجة مكتوب عليها هذه مما ادخرها نوح لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فدفناه فيها وانصرفنا ونحن مسرورون باكرام الله عزوجل لأمير المؤمنين عليه السلام.(3)

1- دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي 2: 349 - 356

2- بحار الأنوار 42: 215

3- الإرشاد 1: 23 _ 24

من كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه:في بيان أهمية الصلاة

اشارة

(تَعاهَدوا أمرَ الصَّلاةِ وحَافَظُوا عَلَيهَا وَاستَكثُرُوا مِنهَا وَتَقرَّبوا بِهَا فَإنَّهَا كانَت عَلَيَ المؤمنينَ كِتاباً مَوقُوتاً أَلا تَسمَعُونَ إلَيَ جَوابِ أهلِ النّارَ حينَ سُئلوا ما سَلَككُم في سَقَرَ قالُوا لَم نَكُ مِنَ المُصَلينَ وإنَّها لتَحُتُ الذُّنوب حتَّ الوَرقِ وَتُطلقَها إطلاقَ الربَّق وشَبَهَها رسول الله صلي الله عليه وآله بـالحَمَّة تكونُ عَلي بـاب الرَّجُ ل فَهو منهَا فِي اليَوم والليلَ ة خَمسَ مَرَّاَت فمَا عَسـي أَن تَبقَي عليه مِنَّ الـدَّرَن وقَ د عرفَ حَقَها رِجالَ منَ المؤمنَين الـذينَ لا تَشـغَلُهُم عنها زينَة مَتاعٍ ولاقُرَّة عَينٍ مِن وَلد ولا مالٍ يَقولُ الله سُ بحَانهُ: رِجَالٌ لا تُلهِيهِم تِجارةٌ وَلا بَيعٌ عَن ذِكرِ الله وَإقامِ الصَّلاة وإيتاءِ الزَّكاةِ) ...

(شرح النهج لابن أبي الحديد مج2 ص 569).

الشرح:

قوله عليه السـلام: تعاهدوا أمر الصـلاة أي جددوا العهد بها وراقبوا عليها في أوقاتها المخصوصة ولا تضـيعوها ولا تغفلوا عنها، لأنها عماد الدين ومعراج المؤمنين، و قربان كل تقي ومؤمن نقي، وأول ما يحاسب به العبد، إن قبلت قبل ما سواها، و إن ردت رد ما سواها.

وقد ذم الله أقواماً توانوا عنها واسـتهانوا بأوقاتها فقال:(ويلٌ لِلمُصـلينَ الَّذينَ هُم عَن صَ لاتِهِم سَاهُونَ قال أمير المؤمنين عليه السلام : يعني أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها). (1)

1- الخصال للصدوق: 621

وحافظوا عليها، أي علي أوقاتها ورعاية آدابها وسـتنها وحدودها و مراسـمها وشروطها وأركانها، فلقد قال رسول الله صلي الله عليه وآله: من ترك صلاته متعمداً فقد هدم دينه(1) وقال: لا تضـيعوا صلاتكم فإن من ضيع صلاته حشره الله تعالي مع قارون وفرعون وهامان لعنهم الله وأخزاهم، و كان حقاً علي الله أن يدخله النار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ علي صلاته.(2)

وقال أبو جعفر عليه السـلام: إن الصـلاة إذا ارتفعت في أول وقتها رجعت إلي صاحبها وهي بيضاء مشـرقة تقول: حفظتني حفظك الله، وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلي صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعتني ضيعك الله.(3)

وقد أمر الله عزوجل بمحافظتها في الكتاب العزيز بقوله:(حافِظُوا عَلَي الَّصـلواتِ والصَّلاةِ الوُسطي وقُومُوا لله قانِتينَ).(4) قال أمين الإسلام الطبرسي: أي داوموا علي الصلوات المكتوبات في مواقيتها بتمام أركانها.

وزبدة القول: إن الصلاة جوهر الدين، والدين أمر فطري كما صرح به الكتاب والسنة.

إن الصـلاة شـكر لإحسان المنعم، وشـعور الإنسان بالشـكر للمحسن شـعور قديم. ومن الأمثال العربية المعروفة فيه قولهم: (الإنسان عبد الاحسان).

إن الصلاة خضوع لمكون عظمة السماء والأرض، والخضوع للعظماء أمر ارتكازي في جبلة كل فرد من الناس.

والصـلاة هي من أهم مزايا الأنبياء و صـفات رسل الله التي جاءت في القرآن الكريم، والتي مـدحهم بها الله تعالي..، وفي هـذا إشارة إلي وحدة الأديان السماوية في

1- جامع الأخبار: 86، وعنه في البحار، ج 82 202، ح1
2- جامع الأخبار: 87، وعنه البحار، ج 79: 203، ح 2
3- الكافي للكليني 3: 268، ح 4
4- البقرة: 238

الأثر والغايـة، وإن أكثر الأحكام التي جاء بها القرآن كانت متبعـة لـدي الأنبياء المتقـدمين، ومن جهة أخري فيه إشارة بالحث علي السـير بطريقتهم والتمسك بصفاتهم وأفعالهم التي منها الصلاة، كما تجد ذلك في الآيات التالية:

قـال الله تعالي، يمـدح إسـماعيل عليه السـلام: (وَاذكُر فِي الكِتابِ إسـماعيلَ إنَّه كانَ صادِقَ الوَعـدِ وَكانَ رسولاً نَبِّياً وَكانَ يأمُرُ أَهلَهُ بالصَّلاةِ والزَّكاةِ وَكانَ عِندَ ربِّه مَرضِّياً). (1)

وقـال تعالي علي لسان إبراهيم عليه السـلام حين دعي ربه:(ربِّ اجعَلنِي مُقيَم الصَّلاةِ وَمَن ذُريَّتي ربَّنا وتَقَبل دُعاء). (2) وقال تعالي حكاية عن عيسـي:(وَجَعلَني مبارَكـاً أَينَ مَاكنتُ وَأوصانِيبالصَّلاة والزَّكاةِ ما دُمتُ حَيَّاً) (3) وقال تعالي علي لسان لقمان يوصـي ولـده: (يابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأمُر بِالمَعروفِ). (4)

ففي هذه الآيات الكريمة تجد أثر الصـلاة عند قدماء الأنبياء وأهميتها الكبيرة في نفوسهم، حيث كان إسماعيل عليه السلام أول ما يأمر أهله بالصـلاة، وإبراهيم عليه السـلام يدعو ربه لأن يكون في المقيمين للصـلاة، وعيسي عليه السلام يفتخر حيث أوصاه تعالي بالصلاة، ولقمان عليه السلام يؤكد في وصيته لولده بالمحافظة علي الصلاة.

وكانت الصـلاة هوايـة نبينا محمد صـلي الله عليه وآله ومعشوقته الكبري، حتي قال لأصـحابه:حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجعل قرة عيني الصلاة (5) فتري قد جعلها قرةعينه ونور بصره لمنزلتها عنده وكبرها في نفسه وأهميتها لديه.

الصلاة هي سفينة شاطئ الأمان وسبيل مجتمع السلام وباب جنة الخلد. هذه الصلاة جعلها الله تعالي في القرآن الكريم سبب من أسباب الفلاح، قال

1- مريم: 54 و 55

2- إبراهيم: 40

3- مريم: 31

4- لقمان: 17

5- الخصال للصدوق: 165، ح 218

تعالي في سورة المؤمنون: (قَد أفلَحَ المُؤمنوُنَ الّذين هُم فِي صَلاتِهِم خاشِعونَ) (1) وقال تعالي في سورة الأعلي: (قَد أَفلَحَ مَن تَزَكّي وذَكَرَ اسمَ ربِّه فَصَلي). (2)

والصلاة هي أهم مظهر من مظاهر الإسلام، وأعظم ركن منه، وهي لباسه التي يعرف إسلامه بها وإيمانه منها، وهي جنسيته التي بها يعلم انتماؤه إلي دولة الإسلام، وأنه من أتباع محمدصلي الله عليه وآله ، قال رسول الله صلي الله عليه وآله: لكل شيء وجه، ووجه دينكم الصلاة (3) فتري قد جعل الصلاة وجه الدين ولباس الشريعة. وفي حديث آخر جعلها الحد الفاصل بين الكفر والإيمان فقال: مَا بيَن الكفر والإيمان إلا ترك الصلاة.(4)

والإمام الخامس محمد الباقر عليه السلام شبه الصلاة في الدين بالعمود للخيمة، فقال عليه السلام :الصلاة عمود الدين، مثلها كمثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود ثبتت الأطناب والأوتاد، وإذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب».(5)

وأبعد رسول الله صلي الله عليه وآله تارك الصلاة منه، ونفي أن يكون من المسلمين، وإن ادعي ذلك، وحرمه من شفاعته يوم الحساب الأكبر، فقال وهو علي فراش الموت: ليس مني من استخف بصلاته، لا يرد علي الحوض لا والله.(6) وأكد هذا المعني الإمام الصادق عليه السلام فقال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة.(7)

وشرعت الصلاة لأجل تأييد قوة الخير ودعم الفضيلة وطرد الرذيلة وإزالة الشر في قلب الإنسان، لأنه عندما وجد، وجد معه قوتان: قوة الخير وقوة الشر، كما قال

1- المؤمنون: 1 و 2

2- الأعلي: 14 و15

3- الكافي للكليني 3: 270، ح16

4- ثواب الأعمال للصدوق: 231

5- المحاسن للبرقي 1: 44/ ح 60

6- الكافي للكليني 3: 268/ ح7

7- الأمالي للصدوق: 572/ ح 779

تعـالي:(نَفسٍ وَما سَوَّاها فَألهَمَها فُجُورَها وتَقواها) (1) وجعل الله بين القوتين صـراعاً ونزاعاً، كما جعل بيـد المرء زمامهما، لأجل امتحان البشر وأن يدخلوا الجنة أو النارأزاء عمل يعملونه في دار الحياة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وشـرعت الصـلاة لتحذير الإنسان من هوي النفس ومغرياتها وشـياطينها، وشـرعت التقف إلي جنب العقل ناصـراً ومرشداً ومعيناً، ولدعم الفضـيلة وقوتها المسـتودعة في الإنسان، ولا شك أن الصلاة هي أقوي أفعال الدين لمكافحة إرادة النفس وشيوع الرذيلة وانتشار الشر، ولهذا السـر شـرع تكرار الصـلاة مرات مختلفة في اليوم، لتضـعف بذلك هوة الشر وتنكسر شوكتها، ولعل من هذا المعني أخذ اسم ـ المحراب – المكان المصلي، حيث فيه يحارب المصلي الهوي والنفس والشيطان.

والصـلاة هي روح الـدين الإسـلامي، والـدين الـذي بابه الصـلاة مدرسـة تعليميـة كبري تتلقي برنامجها من الله تعالي وينزل منهاجها من السـماء، فيوقف البشـر في الأرض علي خفايالم تدركها عقولهم، ويوصـلهم إلي نقاط في الإرشاد العالي لا يمكن أن تتوصل إليها أفكارهم مهما بلغوا من التقـدم والرقي، والجـدير بالـذكر أن التقـدم المادي الذي يعرفه أهل الأرض لا يزيدهم إلا تأخراً عن روحية السـماء وحقيقة الحياة.

وتمتـاز الصـلاة بإطلاقهـا سـراح الفكر بـالتجوال الفكري الصـحيح، وبحتها علي العمل الناتـج والتمرين علي حركـة الفكر والجسـد معاً، والإسـلام طالما حث علي ذلك، ومن حثه علي الأول قوله صـلي الله عليه وآله: (تفكير ساعة خيرٌ من عبادة سـبعين سـنة) (2) ومن الثاني قوله تعالي: (وقُلِ اعمَلُوا فَسَيَري اللهُ عَمَلكُم ورسُولُه والمُؤمنُونَ). (3) والصـلاة حوت كلا العملين و جمعت بين الجنسين، و اشارات الي كلٌ

1- الشمس: 7 و8

2- مشكاة الأنوار للطبرسي: 544

3- التوبة: 105

من الجهـدين بصورة عمليـة كاملة لا نظرية فحسب، ومن هنا جاء النقص إلي أكثر المسـلمين اليوم، حيث اعتبروا الصـلاة كعمل خارجي خال من التفكير بالغرض الذي شرعت لأجله الصلاة، وقد ورد في الحديث عن آل البيت عليهم السلام إنَّ الله لا يقبل من العبد صلاته إلا ما أقبل عليه فيها. (1)

وقد أشار الإمام الرضا عليه السـلام إلي تلك الفوائد، كما بين بعض أسـرار مشتملات الصلاة في حديث نذكره بطوله، قال عليه السلام: إنما أمر الله بالوضوء ليكون العبـد طاهراً إذا قام بين يـدي الجبار وعنـد مناجاته إياه مطيعاً له فيما أمره، نقياً من الأدناس والنجاسة؛ مع ما فيه من ذهـاب الكسـل وطرد التعـاس، وإنمـا وجب علي الوجه واليـدين والرأس والرجلين، لأـن العبـد إذا قـام بين يـدي الجبار فإنما ينكشف من جـوارحه ويظهر مـا وجب فيه الوجـوه، وذلـك بـوجهه يسـجد ويخضع، وبيـده يسـأل ويرغب ويرهب ويبتهـل، وبرأسه يسـتقبله في ركوعه وسجوده، وبرجليه يقوم ويقعده.(2)

والصـلاة هي وديعة السماء في الأرض وأمانة الله عند خلقه، وقد أمرهم بالاهتمام بها والمحافظة عليها، فقال تعالي:(حافِظُوا عَلَي الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسطي وقُومُوا للهِ قانِتِينَ) .(3)

وهـذه الأمانة هي التي تعرفنا بالدين الحنيف، وتعلمنا المحافظة علي أموال الناس وعلي حقوقهم الفردية والاجتماعية؛ لأن الإسـلام أعطي المرء حقوقه من نتاج الحياة، وجعل سـياجاً قوياً يفصل بين تلك الحقوق، وحرم التعـدي والنهب والكذب، فقال رسول الله صـلي الله عليه وآله : (لا يحلّ مال امرئ إلاّ من طيب نفس). (4)

والإمام زين العابدين عليه السلام ضرب للمسلمين مثلاً علياً في المحافظة

1- المحتضر لابن سليمان الحلي: 37

2- عيون أخبار الرضا للصدوق 1: 111، باب 34 ح 1

3- البقرة: 238

4- البحار للمجلسي 73: 348

علي الأمانات، حيث يقول: والله لو أن قاتل أبي الحسين ائتمني علي السيف الذي قتل به لأديته إليه».(1)

فالصلاة والدين يعلمان المرء كيف يعيش في الحياة عيشة فيها السعادة للفرد والجماعة، وكيف يحافظ علي الحقوق والأموال، وكيف يؤدي الودايع والأمانات، لأن المحافظة علي الأمانة الكبري - وهي الصلاة - تستلزم المحافظة علي الأمانة الصغري وتدرب علي تأديتها. ولعل أول من أطلق الأمانة علي الصلاة من الناس هو أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعد إشارة القرآن الكريم إلي ذلك، حيث كان صلوات الله عليه إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل، فيقال له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت الصلاة، وقت أمانة عرضها الله تعالي علي السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها (2) وهو بهذا يشير إلي قوله تعالي:(إنّا عَرَضنَا الأمَانَة عَلي السَّماواتِ والأرضِ والجِبالِ فأبَينَ أَن يَحمِلنَها و الآية). (3)

وقد بين الإسلام ما للصلاة من أثر كبير في إدراك النجاح وتحصيل الفلاح، قال الله تعالي: (قَد أفلَحَ المُؤمنُونَ الَّذينَ هُم في صَلاتِهِم خاشِعُونَ)(4) وفي الحديث الشريف عن أعرابي جاء إلي رسول الله صلي الله عليه وآله قال له صلي الله عليه وآله : أسلم تسلم، قال: وما الإسلام؟ قال صلي الله عليه وآله : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، قال: ثم ماذا؟ قال: الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، إلا أن تتطوع، قال: ثم ماذا؟ قال: صوم رمضان إلا أن تتطوع.... الخ، فوتي الأعرابي وهو يقول: والله لا أزيد عليها ولا أنقص، فلما بلغ قوله النبي صلي الله عليه وآله قال: أفلح الأعرابي إن صدق. (5)

1- أمالي الصدوق: 319 ح 374

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب 1: 389

3- الأحزاب: 72

4- المؤمنون: 1 و 2

5- صحيح البخاري 20: 225

وبحسب البعض أن الصلاة صخرة عثرة في طريق الحياة، وأن الدين عدو الدنيا، وهذا وهم فاسد وافتراء وكذب علي الدين والإسلام؛ لأن القرآن يقرر عكس هذا حيث يقول تعالي:(قُل مَن حَرَّمَ زينَةَ الله الَّتي أخرَجَ لِعبادِه والطَّيِّبات مِنَ الرِزقِ قُل هِيَ لِلَّذين آمنوا فِي الحَياةِ الدُّنيا خالصَةً يَوم القيامَةِ) (1) وقوله تعالي: (وَلا تَنسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُنيا) (2) ، ولم يكتف بآية أو آيتين بل أورد سلسلة من الآيات الكريمة في الموضوع نفسه قائلاً:(يا أيُّهَا الرُّسُل كُلُوا مِن الطَيبَّات).(3) (لا تُحَرِمُوا طَيبَّات ما أَحَل الله لَكُم).(4) (وكُلوُا مِمَّا رَزَقَكُم اللهُ حَلالاً طيبًا).(5) (كُلُوا مِن طَيِباتِ مَا رَزَقناكُم) (6) (أُحِلَ لَكُمُ الطَّيباتُ).(7) (كُلُوا مِمَّا في الأرضِ حلالاً طَّيباً.) (8)

وفي الحديث الشريف: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً (9) وقال صلي الله عليه وآله من لا دنيا له لا دين له. وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال يكف به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه.(10) وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إني لأبغض الرجل أن يكون كسلاناً في أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل.(11) والأخبار في الحث علي تحصيل الدنيا وإصلاح أمر العيشة بحد التواتر.

1- الأعراف: 32

2- القصص: 77

3- المؤمنون: 51

4- المائدة: 78

5- المائدة: 88

6- البقرة: 57

7- المائدة: 4

8- البقرة: 168

9- كفاية الأثر للخزاز القمي: 228

10- الكافي للكليني 5: 72، ح:5

11- الكافي للكليني 5: 85 ح 4

وبالتالي قصدنا بهذا البحث التقريب لأفكار شبابنا المسلمين وجيلنا الناشئ الجديد الذي جعل الصلاة وراء ظهره. هذا الجيل الذي عليه كل آمالنا في الدعوة الاستمرار رسالة الإسلام وتبليغها للعالم البعيد، ونشر دعوة السماء الحقة في الأرض، وبث فكرة نبي الإسلام في العالم، وتطبيق نظام القرآن بين الناس، والقيام بالعبادات الإلهية فرادي وجماعات. نسأل الله تعال أن يوفق الجميع لمراضيه.

الصلاة تحت الذنوب:

قوله صلوات الله عليه: إنها لتحت الذنوب حت الورق. إلي قوله: فما عسي أن يبقي عليه من الدرن.

يدل هذا الكلام بظاهره علي أن الصلاة حسنة لا تضر معها سيئة، وأن الله يغفر سينات المصتي مهما تضاعفت و تنوعت.. وليس من شك أن هذا الظاهر يصطدم مع حكم العقل والبديهة، ومع قوله تعالي:(فَمَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّةً خَيراً يَرَهُ وَمَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّةً شَراً يَرَهُ.)(1)

فما هو وجه الجمع؟

الجواب: لا أحد يجرأ علي الزعم والادعاء أنه منزه عن التقصير والخطأ إلا جاهل مغرور حاشا الأنبياء.. والخطيئة أنواع، ولكل نوع درجات، فهناك حق الله وحق الناس، وهناك الكبيرة والصغيرة، وبعض الخطايا تقبل المغفرة والتسامح ويختصر فيها علي اللوم والعتاب أو التوبيخ.

وبعضها يوجب العقاب الخفيف، وثالثة العقاب الوسط، ورابعة العذاب الأكبر، وأفحش الخطايا علي الإطلاق الشرك بالله، والاعتداء علي حريات الناس بكم الأفواه و تعذيب الأرواح والأجسام ونهب الثروات وما إلي ذلك من الجرائم التي يرتكبها

1- الزلزلة: 7 و8

الأقوياء ضد الضعفاء الذين لا قدرة لهم ولا حيلة ولا وسيلة. وهذا النوع من الذنوب لا يغفر إطلاقاً، وإن صلي المذنب الظالم وصام وحج إلي بيت الله الحرام.

وما عدا هذا النوع من الذنوب يقبل الغفران، شريطة أن لا يكون فيه شائبة اعتداء علي الآخرين، وإن كانت مثقال ذرة. ومن الأمثلة التي تقبل التسامح والمغفرة سقطات اللسان مع عدم الإضرار بالآخرين، وأكل الخبائث أو شربها بلا ضرورة، وصناعة التماثيل، والنظرة الآثمة، والعصبية إذا لم يترتب عليها فساد؛ بل وحلق اللحية، والإسراف في الأموال علي القول بالتحريم .

وغير بعيد أن يكون المراد بالذنوب التي تحتها الصلاة و تطهر المصلي منها هذا النوع بالخصوص، ومن الجائز أيضاً أن يكون القصد من حت الذنوب أن الصلاة من طبيعتها تحث المصلي علي التوبة التي تطهره من الذنوب. ويومي إلي ذلك ويؤيده قوله تعالي:(إنَّ الصَّلاةَ تَنهي عَنِ الفَحشاء والمُنكَر) (1) أي تنهي المصلي عنهما بمجرد الدعوة والإرشاد، ولا تدفعه عنهما قسراً، أو تخلق في نفسه النفور منهما قهراً. لأن هذا لم يحدث بشهادة العيان، وليس من شك أن إهمال التوبة من المنكرات، فيشمله نهي الصلاة عن المنكر.

قوله صلوات الله عليه: وقد عرف حقها رجال من المؤمنين، الذين وجدوا حلاوة الإيمان بالله، وبرد اليقين، وجلال القرب منه، وعقلوا أسرار الصلاة وأهدافها، وأن الله سبحانه يكتب لهم من ثوابها علي قدر محافظتهم عليها واهتمامهم بها، وإذن فلا عجب إذا أعطوها عن طيب نفس كل همهم واهتمامهم، وجعلوها شغلهم الشاغل حتي عن الولد والمال.

ونحن نعرف الكثير من عظمة الصلاة عند الله، وأنها عمود الدين و قربان كل تقي.. وأيضاً نتحدث عن فضلها ونكتبه ونذيعه، ولكن صلاتنا -

---

1- العنكبوت: 45

وبالسوء العمل – أشبه بحركة آلية أو تلقائية.. أبداً لا شيء فيها من الخضوع والخشوع، نحن نصلي – والله _ بقصد القربة لله، ولكن بماذا نفكر أثناء الصلاة؟.. بالتافهات وزينة الحياة. قال رسول الله صلي الله عليه وآله: إن خير أعمالكم الصلاة (1) وتقول أنفسنا الأمارة: لا، إن خير أعمالكم الشهرة والسمعة، والجمع للوارث التارك للصلاة، اللهم هدايتك وغفرانك.

1- كنز العمال للمتقي الهندي 3: 44/ ح 5399

فصل ووصل

الصلاة وطرق التقدم الثلاثة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أنَّا أَعطَيناكَ الكَوثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانحَر انَّ شانِئَكَ هُوَ الأبتَر).

إن سورة الكوثر أقصر سورة في القرآن الكريم لعرض خير الفضائل والتبشير بها بغاية الايجاز، وذلك بعض ما امتاز به الكتاب المجيد.

تتألف هـذه السورة من ثلاثـة آيات: تحتوي الأولي والثالثـة علي جملـة واحـدة، أما الثانيـة فعلي جملتين! وتعني الآيـة الأولي (إنَّا أَعطَيناكَ الكَوثَر) يا رسول الله لقـد منحناك الخير، وتعني الآيـة الثالثـة (إنَّ شَانِئكَ هُوَ الأبتَر): إن عـدوك الذي يروم محوك سوف يحرم من كل خير. والباقي (فَصَلِّ لرَّبكَ وانحَر) تعني أقم الصلاة وقدم الضحية.

وهذه هي الطرق الوحيدة للوصول إلي الخير. وقد بين الله سبحانه غاية الدين الجوهرية والسبيل إلي نيلها بصورة واضحة مجملة.

إن غاية الدين أو الإيمان لا تتعدي جلب السـعادة والخير للعالم، وقد فسـر ابن عباس وابن جبير الكوثر بالخير.(1) وفي الواقع أن المقصود بهذه الكلمة خير المادة وخير الروح.

ولا ريب في أن هـذا الوحي الإلهي وإن كان قد خوطب به النبي الكريم محمد صـلي الله عليه وآله ولكنه في الحقيقة موجه إلي كل مؤمن؛ بـل إن كـل وحي مـذكور في القرآن موجه في الواقع إلي كافـة المؤمنين. فمعني السورة إذن: أيها الإنسان لقـد منحناك كل خير بوحينا، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالصلاة والتضحية، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لإيصال البشر إلي الرفعة والسمو المادي والمعنوي.

1- الدر المنثور للسيوطي 2: 133

لقد تحقق لدي العالم بعد طول الاختبار أنه ما من أمة تستطيع التقدم إلا بالتضحية، فكلما زادت من هذه زيد لها من ذلك، ولكن الظاهر أن الله تعالي قد قدم الصلاة عليها.

إن التضحية عمل، وفي الحق أن التقدم والرفعة يتوقفان علي أعمال الإنسان، بمعني أن الإنسان ينال الشيء بعد أن يسعي إليه(وَأَنْ لَيسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا ما سَعيَ) (1) كما أن أعمال الإنسان نتيجة لاحساسه وعواطفه و آماله، وبدونها لا يقدم علي أي عمل.

إن العواطف تؤدي إلي أعمال مثلها إن رديئة فرديئة، أو حسنة فحسنة، فالقتل بسبب الطمع ومعاونة ذوي الحاجة سلوكان يؤدي إليهما نوعان من الأفكار رديء وحسن.

وإن القرآن الكريم والنبي محمدصلي الله عليه وآله هما اللذان نبها إلي ذلك، قال الله تعالي في كتابه المجيد:(أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تنَهي عَنِ الفَحشاء والمُنكرِ ولَذَكَر اللهِ أكبَرُ).(2)

إن غاية المجد والرفعة لتكمن في نبل وسمو أفكارنا وعواطفنا وشعورنا، وهذا هو السبب في أن الصلاة تعتبر علاجاً شاملاً لكل شرور البشر(قَد أفلَحَ المُؤمنوُنَ الذيَّنَ هُم فِي صَلاتهِم خاشِعُونَ)(3) ويصف الحديث الصلاة بأنها نهر جار يطهر ما أرجاسنا، وقد وصفت بحق بأنها معراج المؤمنين، وهي في الواقع أيسر سبيل لبلوغ هذه الرفعة؛ بل إن الأمر بالصلاة قد عاصر المعراج - أي صعود النبي محمد صلي الله عليه وآله إلي السماء، حيث فيه تلقي الأمر من الله تعالي بالصلاة.

إن الكلمات المقدسة التي نكررها عادة في صلاتنا هي «الله أكبر»، وبذلك تفتح الصلاة بهذا التكبير لله، كما أن الإنسان يقر عند وقوفه أمام الله بأن لا قيمة لأية عظمة في الدنيا أزاء عظمة الله، وهذا الشعور بالله يستتبع تحولاً وانقلاباً لا نظير لهما في

1- النجم: 39

2- العنكبوت: 45

3- المؤمنون: 1 و 2

الصـلاة التي نقيمها، وإن الإنسان إذ يشـعر شـعوراً دافقاً بضعته أمام الخالق؛ إذ يسجد أمامه ويعقر جبهته بالتراب، وفي كل لحظة يكرر من أعماق قلبه «الله أكبر»ليقوي في نفسه الشعور بقوة الله وتتمكن جذوره في قلبه.

إن أول خطو الإنسان نحو التقـدم الروحي بعـد مـدح الله تعالي والاقرار بعظمته يكمن في الابتداء بالصـلاة حيث يعترف الإنسان بضـعفه، ويتوق أن ينطلق ليسمو.

وما الصـلاة إلا دعاء، وليس الـدعاء إلآ تلاوة بعض الكلمات المرسومة ولكن الدعاء ما أريد به أن يخلق حركة في صـميم عقل الإنسان. إنه رغبـة حافز ونشاط، بل دافع يعبر عنه بكلمات، و يكمن خلف هذا النشاط ووراء هذه العواطف قوة عظيمة تعبر عن طبيعتها أمام الله، فيشـع من حنايا ضـمائرنا نور، وتجيش نفوسـنا بثورة، وفي خلال هـذه الثورة نتضـرع بطلب الرحمـة من الله القـدير، وإن هـذه القوة الإلهية تعين الضعيف فترتوي بها روحه وتقوي.

وفي الصلاة اعتراف بسيطرة الإله الجبار علي خلقه، وأنه لا يسيطر علي أجسامنا فحسب، ولكنه يحكم عقولنا وضمائرنا أيضاً.

وفي الصلاة رابطة بين الله والإنسان، وفي الصلاة اعتراف الإنسان بالعبودية لله تعالي، فيقوم بطبيعة الحال بواجبات هذه العبودية للإله.

إن الصـلاة هي التي تبين بواعث الإنسان الحقيقيـة واعترافه بـذنبه وخطاياه وضـعفه، وإنه ليبدي رغبته في أن يرتفع من هذه الوهدة، ويطلب المعونة من الله تعالي للخلاص منها ومن انحطاطه وطاعته الأفكار السوء.

هكـذا تخلق الصـلاة في الإنسـان نشاطـاً وقوة بحيث يمتنع عن ركوب الخطايا والمآثم، وربما أبعـدت عنه المعاصـي بعـد ما بين المشـرق والمغرب، وجعلت روحه نقيـة نقاء القماش الأبيض من الأوضار والأقـذار، وقد يغفر الله للانسان ما ارتكب من ذنب ويمحوه كما يغسـل الماء أي شيء.

وعندما يصلي الإنسان لربه الصلاة الحقيقية تشع من داخل نفسه رغبة

بأن يتنزه عن الظلم والقسوة والكـذب والـدعاوي الخادعـة، و من كل الظنون السـيئة والأعمال الرديئـة، وبـذلك يقف سداً منيعاً ضد نزعات الشيطان.

وقـد أضـفي الرسول الأعظم صـلي الله عليه وآله أهمية خاصة علي الصـلوات، وقد وصـفت في الوحي بأنها طعام الروح،(وَرِزقُ ربِّكَ خَيرٌ وأبقَي) (1) و وسـيلة لاسـتمداد المعونة من عند الله،(اسـتَعينُوا بِالصَّبرِ والصَّلاةِ)، (2) وإنها أسـلوب لكبـح جماح النفس واجتثات الرذائل والنوازع المنحطـة من جـذورها، (إنَّ الصَّلاةَ تنَهِي عَنِ الفَحشَاءِ والمُنكَرِ)، كما أنها واسـطة للنجاح في الـدنيا والآخرة، (قَـد أفلَـحَ المُؤمنوُنَ الَّذينَ هُم فِي صَلاتِهِم خاشِعونَ).

كان الفساد والانحطاط فاشيين في العرب قبل الإسلام، وقد استقامت أخلاقهم في ضمن مدة قصيرة وهي ثلاثة وعشرون عاماً في الإسلام، وانتشـروا في الأرض متقمصين أثواباً من القداسة، يبشرون بالأخلاق السامية والشهامة، ومرد ذلك كله إلي الصلاة؛ إذ لـم تكن هناك مدارس و جامعات ولا أيـة واسـطة لترقيـة الزراعة والتجارة، وإنما هي سـبحان ربي العظيم وبحمده وسـبحان ربي الأعلي وبحمده غذت أرواحهم وأوصلت كل واحد منهم إلي ذروة المجد الذي لا يمكن نيله بواسطة أخري.

إن نيل الفضائل عمل جبار، وما أندر أن تتصاحب العظمتان الدنيوية والأخلاقية.

وما ينال الفضائل إلا الذين ينحنون أمام الله، ويصـغون باهتمام إلي أقوال رسـله، بينما. تنحني أمامهم الأمم متطلعة إلي أمجادهم الدنيوية والخلقية والروحية التي لـم يسبق لها مثيل، ذلكم هو تأثير سبحان ربي العظيم وبحمده وسبحان ربي الأعلي وبحمده عندما تتلي من أعماق القلوب.

1- طه: 131

2- البقرة: 153

هذه ناحية من نواحي الصلاة نحو التقدم المادي والروحي، وهناك شكل ثان للتقدم الذي تعبد الصلاة إليه الطريق: فهو التقدم الجمعي أو الاجتماعي، وحجر الزاوية فيه سورة الفاتحة.

إن الانحناء أمام الله يرفع من شأن الأفراد؛ ولكن الانتظام بصفوف مرتبة أمامه يدفع للنجاح الجمعي.

إن الصلابة والجمود يقللان من أثر الصلاة في تقدم الفرد، إذ يجب الإفصاح عن كل ما يطرأ علي ذهن الإنسان عند الصلاة؛ لأن فيها يتلائم العمل والتعبير.

ويشتد تأثير الصلاة إذا اقترنت بحركات جسمية تنبئ عن تواضع عظيم أمام الله، وقد قال الرسول الكريم محمد صلي الله عليه وآله : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.(1)

إن آية (الحَمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ) حجر الزاوية في التقدم الجمعية، وتتحد عند تلاوتها أفكار الإنسانية جمعاء في الخضوع لله، ويشعر الإنسان باتصاله التام بالجنس البشري، علي الرغم من انتسابه إلي عائلته وعنصره وأمته وبلاده، فهو يشعر بشعورهم ويتمني خلودهم جميعاً، وإذا حل الهدم والتخريب والموت بأفراد جنسه في أية بقعة من بقاع الأرض يغشي قلبه أسي، ويردد في غمرة هذا الألم (الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ) ويدعو الله ضارعاً طالباً خير كل ذي حياة في هذا الوجود، وتلك نفس الصرخة التي تخرج من قلوب القديسين والحكماء والأنبياء، فتغدو بلسماً شافياً لأدواء الأمم.

إن رفع السلاح ضد العدو ضرورة ماسة، ولكن هناك سلاحاً آخر هو سلاح الصلاة الجبار الذي فرضه الله تعالي علي المسلمين، إن أي انتصار ناله المسلمون في بدر لم يكن بسبب تفوق قوتهم أو عددهم، ولكن بسبب الصلاة التي صلوها، ودعاء المضطر الذي دعوه طيلة تلك الليلة.

ويشبه حالة المسلمين اليوم ونقصهم في القوة والنفوذ، ولو أفادوا من

1- مسند أحمد 2: 421

سلاح الدعاء الذي لا يخيب وخشعوا أمام الله تعالي طالبين منه النصر لفتح سبحانه لهم أبواباً من حيث لا يحتسبون النصر.

إن في القنبلة الذرية . والحقيقة أولي أن تقال _ لباساً شديداً، وفي مقدورها أن تدمر مدناً وأقطاراً، ولكن الدموع المسفوحة أمام الله القوي الجبار أكثر بأساً ويمكن أنتغير مجري الحوادث بصورة مدهشة تبلغ حد الإعجاب.

وتمهد الصلاة السبيل – فضلاً عن التقدم الفردي والجمعي – إلي تقدم ثالث: هو نشر الإسلام والأخذ بنصرة الحق، ولا خير في التقدم الفردي أو الجمعي ما لم يكن في نفوسنا ميل لهذا التقدم الثالث.

الصلاة لغة واصطلاحاً:

إن لفظ الصلاة من الأسماء الشرعية، ولا شبهة في أنها عربية، فلا يجوز أن يكون الشرع ارتجلها ابتداء من غير نقل، وإلا لم يصح قوله تعالي: (إنَّا أنزَلنَاهُ قُرآناً عَرَبياً)(1) فلا بد أن يكون له في اللغة معني آخر.

فاختلفوا في أصله، فقيل: الدعاء، وقيل أصلها من الصلا. وهي عظم العجز لرفعه في الركوع والسجود. (2)

وعلي القول الأول أكثر العلماء، إذ لا صلاة إلا ويقع فيها الدعاء أو ما يجري مجراه. وقال بعض الصوفية: اشتقاق الصلاة قيل من الصلي النار، والخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها تعرض علي النار ثم تقوم، وفي العبد اعوجاج لوجود نفسه الأمارة بالسوء، وسبحات وجه الله الكريم – أي أنواره _ التي لو كشف حجابها لأحرقت من أدركته، يصيب بها المصلي من رهج السطوة الإلهية والعظمة الربانية ما يزول به اعوجاجه؛ بل يتحقق به معراجه، فالمصلي كالمصطلي بالنار، ومن اصطلي بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لا يعرض علي نار جهنم إلا تحلة القسم.

1- يوسف: 2

2- مجمع البيان للطبرسي، ج 1: 189

روي الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه، أنه قال رسول الله صلي الله عليه وآله: ما من صلاة يحضر وقتها إلا نادي ملك بين يدي الناس: أيها الناس قوموا إلي نيرانكم التي أوقدتموها علي ظهور كم فأطفؤها بصلاتكم. (1)

وقد ورد أن الله تعالي إذا تجلي لشيء من خلقه خضع له،(2) ومن تحقق الصلة في الصلاة تلمع له طوابع التجلي فيخشع، والفلاح للذين هم في صلاتهم خاشعون، وبانتفاء الخشوع ينتفي الفلاح، وشهد القرآن بالفلاح للمصلين.

قال رسول الله صلي الله عليه وآله: الصلاة مرضاة الرب، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء، ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وإجابة الدعاء، وكراهة الشيطان، وشفيع بين صاحبها وملك الموت، وسراج في القبر، وفراش تحت جنبه، وجواب منكر ونكير، ومؤنس في السراء والضراء، وصائرة معه في قبره إلي يوم القيامة. (3)

وأقبل أمير المؤمنين صلوات الله عليه ذات يوم علي الناس فقال: أية آية في كتاب الله أرجي عندكم؟ فقال بعضهم:(إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرِكَ بِهِ ويَغفِرُ مَا دُونَ ذلكَ لِمَن يَشاءُ) (4) قال: حسنة وليست إياها. فقال بعضهم:(وَمَن يَعمَل سُوءاً أَو يَظلِم نَفسَه ثُمَّ يَستَغفِرِ اللهَ يَجِد اللهَ غَفُوراً رحيماً) (5) فقال: حسنة وليست إياها، فقال بعضهم:(يا عِبادِيَ الَّذينَ أسرَفُوا عَلي أنفُسِهِم لا تَقنَطُوا مِن رَحمَة اللهِ إنَّ الله يغفرُ الذُّنوبَ جَميعاً إنَّه هُو الغَفُورُ الرَّحيمُ) (6) قال: حسنة وليست إياها، وقال بعضهم:(والَّذين إذا فَعَلوا فاحِشَة أو ظلَمَوا أنفُسَهُم ذكَرُوا اللهَ فاستَغفِرُوا لِذنُوبِهِم)،(7) قال: حسنة وليست إياها، ثم أحجم الناس، فقال: ما لكم يا

1- من لا يحضره الفقيه، ج 1: 208، ح624

2- الإصابة لابن حجر، ج5: 313

3- الخصال للصدوق: 522/ ح 11، رواه بلفظ آخر...

4- النساء: 48

5- النساء: 110

6- الزمر: 53

7- آل عمران: 135

معشـر المسـلمين؟ قالوا: لا والله ما عندنا شـيء، قال صلوات الله عليه: سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله و يقول:(أرجي آية في كتاب الله وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَي النّهارِ وَزلفاً مِنَ اللَّيلِ إِنَّ الحَسَناتِ يُذهِبنَ السَّيئاتِ) (1) وقال: يا علي والذي بعثني بالحق بشـيراً ونذيرً، إن أحدكم ليقوم إلي الوضوء فتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا اسـتقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صـلاته وعليه من ذنوبه شـيء كما ولدته أمه، فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتي عند الصلوات الخمس. ثم قال: يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار علي باب أحـدكم، فما يظن أحـدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات في اليوم، أكان يبقي في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي.(2)

وقال الإمام الباقر عليه السـلام: يا باغي العلم صل قبل أن لا تقدر علي ليل ولا نهار تصـلفيه، إنما مثل الصـلاة لصاحبها كمثل رجل دخل علي ذي سـلطان فأنصت له حتي فرغ من حاجته، وكذلك المرء المسـلم بإذن الله عزوجل، ما دام في الصلاة لم يزل الله عزوجل ينظر إليه حتي يفرغ من صلاته. (3)

وكان سـلمان الفارسـي رضـي الله عنه مع جماعة من أصـحابه تحت شـجرة، فأخذ غصـناً منها فنفضه فتساقط ورقه، فقال: ألا تسألوني عما صنعت؟ فقلنا: خبرنا، قال: كنا مع رسول الله صلي الله عليه وآله في ظل شجرة فأخذ غصناً منها فنفضه فتساقط ورقه، فقال: ألا تسألوني عما صنعت؟ قلنا: خبرنا يا رسول الله، قال: إن العبد المسلم إذا قام إلي الصلاة تحاتت عنه خطاياه كما تحاتت ورق هذه الشجرة. (4)

1- هود: 114

2- مجمع البيان للطبرسي 5: 345

3- دعائم الإسلام للقاضي المغربي 1: 134

4- البحار للمجلسي 79: 208، ح 16

جاء في خطبته عليه السلام المعروفة بالقاصعة:

وفيها يذكر موضعه وقربه من رسول الله صلي الله عليه وآله

(وَقَد عَلِمتُم مَوضِعِي مِن رَسُولِ الله صلي الله عليه وآله بِالقَرَابَة القَربيَة وَالمَنزِلَة الخَصِيصَة وَضَعَنِي فِي حِجرِه وأنَا وَلَدٌ يَضمُنُي إلَي صَدرِهِ ويَكنُفني فِي فَراشِه ويُمسُّني جَسَدهُ و يُشِمُني عَرفَهُ وكانَ يَمضَغُالشَّيء ،ثُمَّ يُلقمُنيه ومَا وَجَد لي كَذَبة في قَولٍ ولا خَطلَةً في فِعلٍ و قَرَنَ اللهُ بِهِ صلي الله عليه وآله مِن لَدُن أَن كانَ فَطيماً أعظَمَ مَلَكٍ مِن ملائكتِه يَسلُكُ بِه طَريقَ المَكارِمِ ومَحاسنَ أخلاقَ العَالِمِ ليلهُ ونَهارَه ولَقَد كُنتُ أتبَعُهُ اتبَاعَ الفَصيل أثَرَ أُمَهَ يَرفَعُ لِي في كُلِ يَومٍ مِن أخلاقِهِ عَلَماً ويَأمُرُني بِالاِقتدَاء بِه وَلَقد كانَ يُجاوِرُ فِي كُلِ سَنَة بِحِراءَ فَاراهُ ولا يَرَاهُ غَيري وَلَم يَجمَع بَيتٌ واحِدٌ يَومَئِذٍ فِي الإسلامِ رسول الله صلي الله عليه وآله وخَديجَةَ وانَّا ثالثُها اَرَيَ نُورَ الوَحيِ والرِّسالةَ وَ اَشُمُ ريحَ النُّبُوَّةِ ولَقد سَمِعتُ رَنَّةَ الشَيطانُ حِينَ نَزَلَ الوَحيُ عَلَيه صلي الله عليه وآله فَقُلتُ يا رَسولَ اللهِ مَا هَذه الرَّنَّه فَقالَ هَذا الشَيطانُ قَد أَيِسَ مِن عِبادَتِه اِنَّكَ تَسمَعُ مَا أَسمَعُ و تَرَيَ مَا أرَي إلَّا أنكَ لَستَ بِنبيٍ وَلَكنَّكَ لوَزيرٌ وإنكَ لَعَلي خَيرٍ) .

(شرح النهج لأبن أبي الحديد مج 3 ص 250 ط الأولي بمصر).

ضبط الألفاظ اللغوية:

هذه الخطبة خطب بها صلوات الله عليه بعد انقضاء أمر النهروان، والعرف بالفتح الريح الطيبة. ومضغ الشيء يمضغه بفتح الضاد، والخطلة في الفعل الخطأ فيه وإيقاعه علي غير وجهه، وحراء اسم جبل بمكة معروف، والرئة الصوت.

ص: 225

والقرابـة القريبـة بينه وبين رسول الله صـلي الله عليه وآله دون غيره من الأعمام كونه رباه في حجره، ثم حامي عنه ونصـره عند إظهار الدعوة دون غيره من بني هاشم، ثم ما كان بينهما من المصاهرة التي أفضت إلي النسل الأطهر دون غيره من الأصهار.

الشرح:

علي وليد الكعبة :

قال العلامة الحلي رضي الله عنه في كشف الحق: ولد علي صلوات الله عليه يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة، ولم يولد فيها أحد سواه لا قبله ولا بعده، وكان عمر النبي صـلي الله عليه وآله و يوم ذلك ثلاثين سـنة، وكان صـلي الله عليه وآله يو جره اللبن عنـد شـربه، ويحرك مهـده عنـد نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله علي صـدره ويقول: هـذا أخي ووليي وناصـري وصـفي وذخري و كهفي وصـهري ووصـي وزوج كريمـتي وأميني علي وصـيتي وخليفـتي، وكـان يحملـه دائمـاً ويطـوف به جبـال مكـة وشـعابها وأوديتها.(1)

يحدثنا الكليني أعلا الله مقامه في كتابه (أصول الكافي) في باب مولد علي صـلوات الله عليه عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السـلام يقول: لما ولـد رسول الله صـلي الله عليه وآله فتـح لأمته بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلي أبي طـالب عليه السـلام ضاحكـة مستبشـرة فأعلمته ما قالت آمنـة، فقال أبو طالب: و تتعجبين من هـذا، إنك لتحبلين وتلدين وصيه ووزيره، ثم قال لها: اصبري سبتاً أبشرك بمثله إلآ النبوة، قال: السبت ثلاثون سنة، وكان بين مولد رسول الله صلي الله عليه وآله و مولد أمير المؤمنين ثلاثون سنة.(2)

1- كشف الحق للعلامة الحلي: 109 (ط: بغداد).

2- الكافي للكليني 1: 452، باب (مولد أمير المؤمنين عليه السلام ح 3)

وفي كتاب (روضة الواعظين) قال جابر بن عبد الله الأنصاري: سألت رسول الله صلي الله عليه وآله عن ميلاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال صلي الله عليه وآله : آه آه لقد سألتني عن خير مولود ولد بعدي علي سنة المسيح عليه السلام ، إن الله خلقني وعلياً من نور واحد قبل أن خلق الخلق بخمسمائة ألف عام، فكنا نسبح الله تعالي و نقدسه، فلما خلق الله آدم عليه السلام قذفنا في صلبه، فاستقررت أنا في جنبه الأيمن وعلي في الأيسر، ثم نقلنا من صلبه في الأصلاب الطاهرة إلي الأرحام الطيبة، فلم نزل كذلك حتي أطلعني الله تعالي من طهر طاهر – وهو عبد الله بن عبد المطلب – فاستودعني خير رحم وهي آمنة، ثم أطلع الله تعالي علياً من طهر طاهر – وهو أبو طالب عليه السلام – واستودعه خير رحم وهي فاطمة بنت أسد، ثم قال صلي الله عليه وآله: يا جابر ومن قبل أن يقع علي في بطن أمه كان في زمانه رجل عابد راهب يقال له المثرم بن دعيب، وكان مذكوراً في العبادة، وقد عبد الله تعالي مائة وتسعين سنة ولم يسأله حاجة، فسأل ربه يوماً أن يريه وليا له، فبعث الله تعالي بأبي طالب إليه، فلما أن بصر به المثرم قام إليه وقبل رأسه وجلس بين يديه فقال له: من أنت يرحمك الله؟ قال: رجل من تهامة، فقال: من أي تهامة؟ قال: من مكة. قال: ممن؟قال: من عبد مناف، قال: من أي عبد مناف؟ قال: من بني هاشم، فوثب إليه الراهب فقبل رأسه ثانياً وقال: الحمد الله الذي أعطاني مسألتي ولم يمتني حتي أراني وليه، ثم قال: أبشر يا هذا فإن العلي الأعلي قد ألهمني إلهاماً فيه بشارتك، قال أبو طالب عليه السلام: وما هو؟ قال: ولد يخرج من صلبك هو ولي الله تعالي، وهو إمام المتقين ووصي رسول رب العالمين، فإن أدركت ذلك الولد فاقرأه مني السلام وقل له: إن المثرم يقرأ عليك السلام وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنك وصيه حقاً، بمحمد صلي الله عليه وآله يتم النبوة وبك يتم الوصية، فبكي أبو طالب وقال: ما اسم هذا المولود؟ قال: اسمه علي، فقال أبو طالب: إني لا أعلم حقيقة ما تقول إلا ببرهان بين ودلالة واضحة، قال المثرم: فما تريد أن أسأل الله تعالي لك أن يعطيك في مكانك هذا ما يكون دلالة لك؟ قال أبو طالب: أريد طعاماً من الجنة في وقتي هذا

فدعا المثرم ربه بذلك فما استتم دعاؤه حتي أتي بطبق عليه من فاكهة الجنة رطب وعنب ورمان، فتناول أبو طالب رمانة ونهض فرحاً مسروراً ورجع من ساعته إلي منزله فأكلها، فتحولت ماءاً في صلبه، فجامع فاطمة بنت أسد فحملت بعلي صلوات الله عليه.

وارتجت الأرض وزلزلت بهم أياماً حتي لقيت قريش شدة وفزعوا وقالوا: قوموا بآلهتكم إلي ذروة جبل أبي قبيس، فأقبلوا بآلهتهم إلي أبي قبيس، فجعل يرتج ارتجاجاً حتي تدكدت بهم صم الصخور وتناثرت و تساقطت الآلهة علي وجهها، فلما بصروا ذلك قالوا: لا طاقة لنا بما حل بنا، فصعد أبو طالب إليهم وهو غير مكترث بما هم فيه، فقال: أيها الناس إن الله تعالي قد أحدث في هذه الليلة حدثاً وخلق فيها خلقاً إن لم تطيعوه وتقروا بولايته وتشهدوا بإمامته لم يسكن ما بكم ولا يكون لكم بتهامة مسكن، فقالوا: يا أبا طالب إنا نقول بمقالتك، فبكي أبو طالب ورفع الله تعالي يديه وقال: إلهي وسيدي أسألك بالمحمدية المحمودة والعلوية العالية وبالفاطمية البيضاء إلا تفضلت علي تهامة بالرأفة والرحمة، قالوا: فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة لقد كانت العرب تكتب هذه الكلمات فتدعو بها عند شدائدها في الجاهلية وهي لا تعلمها ولا تعرف حقيقتها، فلما كانت الليلة التي ولد بها أمير المؤمنين صلوات الله عليه أشرقت السماء بضيائها وتضاعف نور نجومها، وأبصرت من ذلك قريش عجباً، فهاج بعضهم في بعض قالوا: في السماء حادثة، وخرج أبو طالب يتخلل سكك مكة وأسواقها ويقول: أيها الناس تمت حجة الله، وأقبل الناس يسألونه عن علة ما يرونه من إشراق السماء وتضاعف نور النجوم، فقال: أبشروا فقد ظهر في هذه الليلة ولي من أولياء الله تعالي يكمل الله فيه خصال الخير ويختم به الوصيين وهو إمام المتقين، وناصر الدين، وقامع المشركين، وغيظ المنافقين، وزين العابدين، ووصي رسول رب العالمين، ولم يزل يكرر هذه الكلمات والألفاظ إلي أن أصبح (1)

1- روضة الواعظين للفتال النيسابوري: 77

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إن فاطمة بنت أسد ضربها الطلق وهي تطوف بالبيت فدخلت الكعبة فولدت علياً صلوات الله عليه. (1)

وذكر شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي رضي الله عنه في أماليه: إن العباس بن عبد المطلب و يزيد بن قعنب كانا جالسين مابين فريق بني هاشم إلي فريق عبد العزي بأزاء بيت الله الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم – أم أمير المؤمنين صلوات الله عليه وكانت حاملة بأمير المؤمنين لتسعة أشهر، وكان تمام اليوم، فوقفت بأزاء البيت الحرام وقد أخذها الطلق فرمت بطرفها نحو السماء وقالت: أي رب إني مؤمنة بك وبما جاء به من عندك الرسول وبكل نبي من أنبيائك وبكل كتاب أنزلت، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل وأنه بني البيت العتيق، فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه، وبهذا المولود الذي في أحشائي الذي يكلمني ويؤنسني بحديثه، وأنا مؤمنة أنه إحدي آياتك ودلائلك لما يترت علي ولادتي.

قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب: لما تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء رأينا البيت قد انفتح من ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت من أبصارنا، ثم عادت الفتحة والتزقت بإذن الله تعالي، فرمنا أن نفتح الباب لتصل إليها بعض نسائنا فلم ينفتح الباب، فعلمنا أن ذلك أمر من الله تعالي، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك وتتحدث المخدرات في خدورهن. قال: فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعلي صلوات الله عليه علي يديها، وهي تقول: معاشر الناس إن الله عزوجل اختارني من خلقه وفضلني علي المختارات ممن مضي منكن قبلي.

1- روضة الواعظين للفتال النيسابوري: 100

وقد اختار الله آسية بنت مزاحم فإنها عبدت الله سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، ومريم بنت عمران حيث هانت ويسرت عليها ولادة عيسي فهزت الجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتي تساقط عليها رطبا جنياً، وإن الله اختارني وفضلني عليها وعلي كل من مضي قبلي من نساء العالمين، لأني ولدت في بيته العتيق وبقيت فيه ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج وولدي علي يدي هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة سميه علياً، فأنا العلي الأعلي، وإني خلقته من قدرتي وعزتي وجلالي، واشتققت اسمه من اسمي وأدبه بأدبي، وفوضت إليه أمري، وأوقفته علي غامض علمي، وولد في بيتي، وهو أول من يؤذن فوق بيتي، ويكسر الأصنام ويرميها علي وجهها، ويعظمني ويهلني، وهو الإمام بعد حبيبي ونبيي وخيرتي من خلقي محمد رسولي، ووصيه، فطوبي لمن أحبه ونصره، والويل لمن عصاه وخذله وجحد حقه.

فلما رآه أبو طالب سره: قال علي صلوات الله عليه: السلام عليك يا أبه ورحمة الله وبركاته، قال: ثم دخل رسول الله صلي الله عليه وآله اهتز له أمير المؤمنين وضحك في وجهه وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم (قَدْ افلَحَ المُؤمنونَ الَّذينَ هُم فِي صَلاتِهِم خاشِعونَ) إلي آخر الآيات، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله : قد أفلحوا بك، وقرأ تمام الآيات إلي قوله: (أولئِكَ هُم الوارِثونَ الَّذينَ يَرَثونَ الفِردَوسَ هُم فِيها خالِدونَ) فقال رسول الله: أنت – والله _ أميرهم، تميرهم من علومك فيمتارون، وأنت – والله – دليلهم وبك يهتدون، ثم قال صلي الله عليه وآله لفاطمة: إذهبي إلي عمه حمزة فبشريه به، قالت: فإذا خرجت أنا فمن يرويه؟ قال صلي الله عليه وآله: أنا أرويه، قالت فاطمة: أنت ترويه؟ قال: نعم، فوضع رسول الله لسانه في فيه فانفجرت منه اثنتا عشر عيناً. (1)

1- أمالي الطوسي: 707/ ح 1511

قصيدة العمري في مدح علي عليه السلام :

يقول عبد الباقي العمري في مدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

أنت العلي الذي فوق العلا رفعا*** ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

وأنت ذاك البطين الممتلي حكماً*** معشارها فلك الأفلاك ما وسعا

وأنت يعسوب نحل المؤمنين إلي*** أي الجهات انتحي يلقاهم تبعا

وأنت نقطة باءٍ مع توحدها*** بها جميع الذي في الذكر قد جمعا

وأنت عين يقين لم يزده به*** كشف الغطاء يقيناً أنه انقشعا

لله در فتي الفتيان منك فتيً*** ضرع الفواطم في مهد الهدي رضعا

لقد ترعرعت في حجر عليه لذي***حجر براهين تعظيم بها قطعا

ربيب طاها حبيب الله أنت ومن ***كان المربي له طاها فقد برعا

رعاه مولاه من راع لأمته*** بهذه وأبيك الحق فيك رعي

قال شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود الآلوسي المفر في شرح قول العمري:

أنت العلي الذي فوق العلا رفعا *** ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

ما لفظه: وفي كون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشـهور في الدنيا، وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة... إلي قوله: ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشـتهر وضـعه، بل لم تتفق الكلمة عليه، وأحري بإمام الأئمة أن يكون وضـعه فيما هو قبلة للمؤمنين، سبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين. (1)

وأيد قوله العلامة الشـريف السـيد حيدر الحسيني العبدلي الآملي أنه قال:ولد صلوات الله عليه في الكعبة بالحرم الشريف، فكان شرف مكة وأصل بكة، لامتيازه

1- راجع الغدير للأميني، ج 6، 22

بولادته في ذلك المقام المنيف، فلم يسبقه أحد ولا يلحقه أحد بهذه الكرامة، ولا بلغ أحد ما بلغ من السيادة والنباهة عامة، وهو بالأصالة صاحب الإمامة الإبراهيمية.(1)

وبمقربة من هذا القول ما قاله العلامة البارع السيد محمد الهادي الموسوي في كتاب أصول العقائد: كان مولده صلوات الله عليه في جوف الكعبة، ولم يشرف المولىسبحانه أحدا من الأنبياء والأوصياء بهذا الشرف، فهو مخصوص به صلوات الله عليه.

وقول الوزير الإربلي في (كشف الغمة): ولم يولد في البيت أحد سواه لا قبله ولا بعده، وهي فضيلة خصه الله بها إجلالاً له، وإعلاء لرتبته، وإظهاراً لتكرمته.(2)

وقول الحافظ الثقة رشيد الدين محمد بن علي السروي قال: فالولد الطاهر من الطاهر ولد في الموضع الطاهر، فأني توجد هذه الكرامة لغيره، فأشرف البقاع الحرم، وأشرف الحرم المسجد، وأشرف بقاع المسجد الكعبة، ولو يولد فيها مولود سواه، فالمولود فيها يكون غاية الشرف.(3)

كلمة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

وهناك محاضرة لسماحة الحجة المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (تغمده الله برحمته) ألقاها ببغداد عاصمة العراق في مسجد براثا بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال (قدس الله روحه):

إنما المناسب في هذا المقام هو التعرض لولادته صلوات الله عليه في هذه الليلة المباركة، وإنما نتعرض لشأن واحد من شؤون ولادته صلوات الله عليه وهو ولادته في الكعبة علي أشهر الروايات، ولعل غيرها من مدسوسات

1- الكشكول في ما جري علي آل الرسول: 189

2- كشف الغمة للأربلي، ج 1:8

3- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج 2: 23

النواصب الـذين يريدون أن يستروا ضوء الشـمس بأكفهم، وولادته صـلوات الله عليه في الكعبة طفحت بها الكتب ونظمها الشـعراء حديثاً وقديماً، وآخرهم عبد الباقي الشهير في مستهل قصيدة له:

أنت العلي الذي فوق العلا رفعا*** ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

وهي منقبة لم يشاركه فيها أحد في الإسلام. وقد ذكروا أن مريم لما جاءها المخاض بعيسي عليه السلام أوت إلي بيت المقدس لتضعه فيه، فنوديت: اخرجي يا مريم فهـذا بيت العبادة لا بيت الولادة، وفاطمـة بنت أسـد لما أحست بالطلق - وهي في الكعبـة _ انسـدت أبوابها ولم تقدر علي الخروج حتي وضعت علياً صلوات الله عليه.

ولعل في هذه الحادثة الظريفة أسراراً ورموزاً أجلها وأجلاها:

إن الله سـبحانه كأنه يقول: أيتها الكعبـة إني سأطهرك من رجس الأوثان وعبادة الأصـنام والأنصاب والأزلام بهـذا المولود فيك، وهكذا فإن النبي صلي الله عليه وآله دخلها عالم الفتح والأصنام منضودة ومعلقة علي جدرانها، ولكل قبيلة من قبائل العرب صنم، فأصعد علياً صلوات الله عليه علي منكبيه وصار يحطمها ويرمي بها إلي الأرض، والنبي صلي الله عليه وآله يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وقد نظم الشافعي هذه الفضيلة بأبيات مشهورة تنسب له يقول في آخرها:

وعلي واضع أقدامه ***في محل وضع الله يده (1)

فإن النبي صلي الله عليه وآله كان يحدث عن المعراج قائلاً: إن الله عز شأنه وضع يده علي كتفي حتي وجدت بردها بين ثديي. (2)

1- شرح إحقاق الحق للمرعشي النجفي 8: 681 (الهامش).

2- فتح القدير للشوكاني 4: 444، المعجم الكبير للطبراني، 20: 109، ولا يخفي أن وضع الله سبحانه و تعالي بده علي كتف النبي صلي الله عليه وآله من باب التجليات الأسمائية لله عزوجل بطريق اللمس، لأن الله سبحانه ليس جسمة وليس كمثله شيء. انظر للتفصيل: شرح الأسماء الحسني للمولي هادي السبزواري 2: 53

وفي ولادته صـلوات الله عليه رمز آخر لعله أدق وأعمق: وهو أن حقيقة التوجه إلي الكعبة التوجه إلي ذلك النور المتولد فيها، ولو أن القصد مقصور علي محض التوجه إلي البنية وتلك الأحجار لكان أيضاً نوع من عبادة الأصـنام (معاذ الله)، ولكن التناسب يقضي بأن البدن – وهو تراب – يتوجه إلي الكعبـة التي هي تراب، والروح التي هي جوهر مجرد – تتوجه إلي النور المجرد، و كـل جنس لاحق بجنسه، النور للنور، والتراب للتراب، وإلي بعض هذا أشار بعض شعراء الفاطميين إذ يقول:

بشر في العين إلا أنه ***من طريق العقل نور وهدي

جل أن تدر كه أبصارنا ***وتعالي أن تراه جسدا

فهو في التسبيح زلفي راكع*** سمع الله به من حمدا

تدرك الأفكار منه جوهراً*** كاد من إجلاله أن يعبدا

فهو الكعبة والوجه الذي ***وحد الله به من وحدا(1)

وهذا الطراز من الشعر وإن كان فيه شيء من الغلو ففيه كثير من الحقيقة، وفيه لمعات من التوحيد.

نعم نتوجه بأبداننا في صلاتنا إلي الكعبة وبأرواحنا إلي النور، إلي النور الذي أشرق وأضاء فيها، نتوجه إليه فنجعله الوسيلة إلي الله تعالي كما قال عز شأنه: (اَتَّقُوا اللهَ وَابتَغُوا إلَيهِ الوَسيلَةَ)،(2) نتوجه إليه كي يوجهنا إلي الخير والسداد، فالتوجه منا إليه والتوجيه منه لناه.

ولادة علي عليه السلام في الكعبة في الشعر الإسلامي:

يقول العلامة الورع الشيخ حسين نجف المتوفي سنة 1252 من قصيدة علوية:

1- هذه الأبيات من شعر الأخفش في مدح الخليفة الفاطمي

2- المائدة: 35

جعل الله بيته لعلي***مولداً يا له علي لا يضاهي

لم يشاركه في الولادة فيه***سيد الرسل لا ولا أنبياها

علم الله شوقها لعلي***علمه بالذي به من هواها

إذ تمنت لقاءه وتمني ***فأراها حبيبه وأراها

ما ادعي مدع لذلك كلا***من تري في الوري يروم ادعاها

فاكتست مكة بذاك افتخاراً***وكذا المشعران بعد مناها

بل به الأرض قد علت إذ حوته*** فغدت أرضها مطاف سماها

أو ما تنظر الكواكب ليلاً***ونهاراً تطوف حول حماها

وإلي الحشر في الطواف عليه *** وبذاك الطواف دام بقاها (1)

للمولي محمد مسيح المعروف (بمسيحا الشيرازي) المتوفي سنة 1127 في قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين.

ما كان رباً ولكن ليس من بشر*** وليس يشغله شأن عن الشأن

هو الذي كان بيت الله مولده ***فطهر البيت من أرجاس أوثان

هو الذي من رسول الله كان له*** مقام هارون من موسي بن عمران

هو الذي صار عرش الرب ذا شنف*** إذ صار قرطيه إيناه الكريمان(2)

وقال صاحب الفضيلة والأدب ميرزا محمد تقي التبريزي الشهير بحجة الإسلام، المتوفي في سنة 312 من لامية علوية:

سير حنانيك في البلاد وباحث ***عن بطون الكرام جيلاً فجيلا

فانظرن هل تري لتيم بن مر*** أو عدي يا سعد فيها محلاً

1- الغدير للأميني 6: 29

2- الغدير للأميني 11: 368

لا ومن شق جانب البيت حتي***دخلت فيه أمه وهي حبلي

فتخلت عن أسجح هاشمي ***بوركت حاملاً وبوركت حملا

وسما غارب النبي فنحي *** عنه أصنامهم وحسبك نبلا

يتحدث إلينا المجلسي - أعلاـ الله مقامه في البحار عن محمد بن العباس مرفوعاً إلي محمد بن زياد، قال: سأل ابن مهران عبد الله بن العباس عن تفسير قوله تعالي:(وإنَّا لنَحنُ الصَّافُونَّ وإنَّا لَنَحنُ المُسّبحُونَ) (1) فقال ابن عباس: إنا كنا عند رسول الله صلي الله عليه وآله فأقبل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما رآه النبي تبسم في وجهه وقال: مرحباً بمن خلقه الله تعالي قبل آدم عليه السلام بأربعين ألف عام. فقلت: يا رسول الله أكان الابن قبل الأب؟ قال صلي الله عليه وآله : نعم، إن الله تعالي خلقني وخلق علياً قبل أن يخلق آدم بهذه المدة، خلق نوراً فقسمه نصفين، فخلقني من نصفه و خلق علياً من النصف الآخر قبل الأشياء كلها، ثم خلق الأشياء فكانت مظلمة، فنورها من نوري ونور علي، ثم جعلنا عن يمين العرش، ثم خلق الملائكة، فسبحنا وسبحت الملائكة، وهلنا فهالت الملائكة، و كبرنا فكبرت الملائكة، فكان ذلك من تعليمي و تعليم علي، وكان ذلك في علم الله السابق أن لا يدخل النار محب لي ولعلي، ولا يدخل الجنة مبغض لي ولعلي، ألا وإن الله تعالي خلق الملائكة بأيديهم أباريق اللجين مملؤة من ماء الحياة من الفردوس، فما أحد من شيعة علي إلاوهو طاهر الوالدين تقي نقي مؤمن بالله تعالي، فإذا أراد أبو أحدهم أن يوافع أهله جاء ملك من الملائكة الذين بأيديهم أباريق ماء الجنة فيطرح من ذلك الماء في آنيته التي يشرب منها، فيشرب من ذلك الماء فينبت الماء في قلبه كما ينبت

1- الصافات: 166 و 167

الزرع، فهم علي بينة من ربهم ومن نبيهم ومن وصيه علي ومن ابنتي الزهراء ثم الحسن ثم الحسين عليه السلام ثم الأئمة من ولد الحسين. فقلت: يا رسول الله من الأئمة؟ قال صلي الله عليه وآله : أحد عشر مني، وأبوهم علي بن أبي طالب ثم قال صلي الله عليه وآله : الحمد لله الذي جعل محبة علي والإيمان به سببين. (1)

يقول العمري في مدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه مخمساً لهمزية التميمي:

كنت في جيب الغيب معني يصان*** حين لا أعصر ولا أحيان

أيقل الأسرار منك مكان*** ولقد كنت والسماء دخان

و ما بها فرقد ولا جوزاء

بك ليل العماء ضاء بلائي ***فاستضاء الوجود من ظلمة الغي

درة كنت والجواهر لا شي ***في دجي بحر قدرة بين بردي

صدف فيه الوجود الضياء

نقطة أفرغت وليس وعاء*** ملئت حكمة ولا إجلاء

تحت باء لها العباء غطاء*** لا الخلا يوم ذاك فيها خلاء

فيسمي ولا الملاء ملاء

طالما للأملاك كنت دليلا*** ولناموسهم هديت سبيلا

يوم نادي رب السما جبرئيلا*** قائلاً: من أنا فروي قليلا

وهو لولاك فاته الاهتداء (2)

علي عليه السلام معلم جبرئيل:

وذكر المجلسي أيضاً في (البحار) أن النبي صلي الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم

1- البحار 24: 89/ ح 4

2- الغدير للأميني 7: 252.

و جبرئيل بين يديه إذ دخل أمير المؤمنين صلوات الله عليه فلما نظر اليه جبرئيل عليه السلام تصاغر بين يديه، فقال له النبي صلي الله عليه وآله: ما سبب ذلك؟ قال: لأن العلي علي حق التعليم، قال: كيف هو؟ قال: اعلم يا رسول الله لما خلقني الله تعالي سألني: من أنا ومن أنت؟ تحيرت في الجواب، قلت: أنا أنا وأنت أنت، فأعاد القول علي الجليل جل وعلا، أيضاً لم أعلم ما أقول، فلاح شخص هذا – يعني أمير المؤمنين – فقال: قل الجواب أنت ربي الجليل وأنا عبدك الذليل جبرئيل، فلما أجبت ربي بهذا قربني، وذلك من تعليم علي صلوات الله عليه وأنا من ذلك أعظمه، قال له النبي صلي الله عليه وآله: كم مضي من عمرك؟ قال: لا أعلم، سوي أني أعلم في السماء السابعة تخرج نجمة في كل ثلاثين ألف سنة مرة واحدة وأنا رأيتها ثلاثين ألف مرة، قال: فقال النبي صلي الله عليه وآله : يا علي أدن مني، فدني منه فرفع عمامة أمير المؤمنين وحك جبهته بجبهته فلاحت نجمة منيرة بجبين أمير المؤمنين صلوات الله عليه فخر جبرئيل ساجداً وهو يقول: سبوح قدوس هي هي والله تلك النجمة.

وهذه النجمة المنيرة خمد ضوءها وأظلم سناؤها عندما ضرب علي علي أم رأسه بالسيف حتي وصل السيف إلي موضع سجوده، فسالت دماؤه علي كريمته المباركة، فسقط في محرابه وهو يقول: فزت ورب الكعبة.

من كتاب له عليه السلام إلي معاوية ابن أبي سفيان:

ايحذره فيه من سيئات عمله

(وَكَيفَ أنتَ صَانِعٌ إذاَ تكَشَّفَت عَنكَ جَلاَبِيبُ مَا أنتَ فيه مِن دُنيَا قَد تَبَهجَت بِزِينَتَها وخَدَعَت بِلِذَتِهَا دَعَتكَ فَأجَتَهَا وَقَادَتكَ فَاتَّبَعتَها و امرَتكَ فَأَطَعتَهَا وإنَّه يُوشِكُ أَن يَقفِكَ وَاقفٌ عَلي مَا لاَ يُنجِيكَ مِنهُ مجَنٌّ فاقعَس عَن هَذا الأمرِ وخُذ أُهبَةَ الحِسابي وشَمر لَمَا قَد نَزَلَ بِكَ وَلاَ تُمَكِنِ الغُوَاةَ مِن سَمعِكَ وَالا تَفعَل أُعلِمكَ مَا أغفَلتَ مِن نَفسِكَ فَانَّكَ مُترَفٌ قَد أَخَذَ الشَّيطانُ مِنكَ مَأخَذَهُ وبَلَغ فيكَ اَمَلهُ وَجَري مِنكَ مَجرَي الرُّوحِ والدَّمِ ومَتَي كُنتُم يا مُعاوَيةُ سَاسَةَ الرَّعيَّةِ وَوُلاةَ أَمرِ الامَّةِ بِغَيرِ قَدَمٍ سَابِقٍ ولاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ ونَعُوذُ بِاللهِ مِن لزُومِ سَوابِقِ الشَّقَاء وَأُحَذِرُكَ أَن تكونَ مُتَمادِياً فِي غَرَةِ الأمنِيةِ مُختَلِفَ العَلانِيَةِ وَالَّسرِيرَةِ).

(شرح ابن ابي الحديد مج 3 ص 409).

ضبط الألفاظ اللغوية:

الجلابيب) جمع جلباب وهي الملحفة في الأصل، واستعير لغيرها من الثياب. قوله: وتبهجت بزينتها: صارت ذات بهجة أي زينة وحسن. ويقفك واقف يعني الموت. قوله: (فاقعس) عن هذا الأمر أي تأخر. وأهبة الحساب عدته، (وتأهب) استعد وشمر لما قد نزل بك، أي جد واجتهد وخف. (والغواة جمع غوي وهو الضال. قوله: وإلا تفعله يقول: وإن كنت لا تفعل ماقد أمرتك ووعظتك به فإني أعرفك من نفسك ما أغفلت معرفته: إنك مترف – والمترف الذي قد أترفته النعمة أي أطغته. قد أخذ الشيطان منك

مأخذه أي تناول الشيطان منك لبك وعقلك. قوله: وجري منك مجري الروح والدم، هذه كلمة رسول الله صلي الله عليه وآله إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجري الدم. (1)

الشرح: علي ومعاوية

لم تنفع عظات علي صلوات الله عليه في معاوية ولم تؤثر فيه ولم تأخذ مفعولها من نفسه، وكيف يتعظ من اتخذ إلهه هواه (أَفَرَأيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواهُ) (2) كيف يرعوي من طبع الشيطان علي قلبه فأنساه ذكر الله(وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمَنِ نُقَيِض لَهُ شَيطاناً فَهُوَ لَه قَرِينٌ) (3) فهو مختلف السريرة والعلانية، يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عن عمرو بن هند، عن أبيه، أن علياً صلوات الله عليه لما نظر إلي أصحاب معاوية وأهل الشام قال: والذي فلق الحبة وبرء النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر، فلما وجدوا عليه أعواناً رجعوا إلي عداوتهم لنا، إلا أنهم لم يتركوا الصلاة. (4)

وعن حبيب بن ثابت قال: لما كان قتال صفين قال رجل لعمار بن ياسر: يا أبا اليقظان ألم يقل رسول الله صلي الله عليه وآله: قاتلوا الناس حتي يسلموا، فإذا أسلموا عصموا دماءهم وأموالهم؟ قال: بلي ولكن – والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر حتي وجدوا عليه أعواناً.(5)

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج 15: 81

2- الفرقان: 43

3- الزخرف: 36

4- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد4 : 31

5- المصدر السابق.

قال ابن أبي الحديد في ج 2، 97 من شرح النهج عن الحكم بن عمير الثمالي – كانت أمه بنت أبي سفيان _ قال رسول الله صلي الله عليه وآله لمعاوية: كيف بك إذا وليت؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال رسول الله: أنت الحطم ومفتاح الظلم حصباً وحقباً، تتخذ الحسن قبيحاً، والسيئة حسنة، يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، أجلك يسير وأمرك عظيم. فكان كما قال صلي الله عليه وآله فهو مفتاح الظلم ورأس الجور.

ولما رجع أمير المؤمنين صلوات الله عليه من حرب البصرة ودخل الكوفة وكان معه أشراف الناس وذلك لاثنتي عشر ليلة خلت من رجب، فاستقبله أهل الكوفة وفيهم قرآنهم وأشرافهم، فدعوا له بالبركة وقالوا: يا أمير المؤمنين أتنزل القصر؟ قال: لا ولكني أنزل الرحبة، فنزلها حتي دخل المسجد الأعظم فصلي فيه ركعتين ثم صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه وصلي علي رسوله، ثم قال: أما بعد يا أهل الكوفة، فإن لكم في الإسلام فضلاً مالم تبدلوا وتغيروا، ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوي وطول الأمل، أما اتباع الهوي فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب، ولا عمل، الحمد لله الذي نصر وليه، وخذل عدوه، وأعز الصادق المحق، وأذل الناكث المبطل، فقام جماعة ممن تخلف عن وقعة الجمل منهم سليمان بن صرد الخزاعي واعتذروا عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقبل عذرهم، ونزل بالكوفة علي جعدة بن هبيرة المخزومي – وجعدة ابن أخت أم هاني بنت أبي طالب كانت تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي فأولدها جعدة وكان شريفاً – وبعد أن نزل صلوات الله عليه علي باب المسجد فدخل وصلي و تحول فجلس إليه الناس، ولما لحقه ثقله قالوا له: انزل القصر، قال: قصر الخبال لا تنزلوا فيه، واتخذ الكوفة دار خلافته.

قال الشني في ذلك:

@

قل لهذا الإمام: قد خبت الحرب***وتمت بذلك النعماء

وفرغنا من حرب من نقض العهد ***وبالشام حية رقطاء

تنفث السم ما لمن نهشته*** فارمها قبل أن تعض شفاء

إنه والذي يحج له الناس***ومن دون بيته البيداء

الضعيف النخاع إن رمي اليوم***بخيل كأنها أشلاء

إن تذره فما معاوية الدهر ***بعطيك ما أراك تشاء

ولنيل السماء أقرب من ذاك***ونجم العيون والعواء

فاغه بالجد والحديد إليهم *** ليس والله غير ذاك دواء(1)

الوفود علي معاوية:

ووفد علي معاوية ممن خالف أمير المؤمنين صلوات الله عليه جماعة كمروان بن الحكم والوليد بن عقبة وعبيد الله بن عمر، أما الوليد فلحق بالمدينة وجعل يكاتب معاوية يستبطئه في الطلب بدم عثمان ويحرضه وينهاه عن قطع الوقت بالمكاتبة، ويرسل إليه بقوله:

ألا أبلغ معاوية بن حرب*** فإنك من أخي ثقة مليم

قطعت الدهر كالدم المعتي*** تهدر في دمشق ولا تريم

فإنك والكتاب إلي علي***كدابغة وقد حلم الأديم

لك الويلات أقحمها عليهم*** فخير الطالب الترة الغشوم

فكتب معاوية إليه الجواب بيتاً من شعر أوس بن حجر:

ومستعجب مما يري من أناتنا*** ولو زينته الحرب لم يترمرم (2)

وقدم بعد ذلك علي معاوية وشهد معه صفين.

1- شرح نهج البلاغة 3: 108، ط مكتبة المرعشي النجفي - قم

2- شرح نهج البلاغة 3: 95

عبيد الله بن عمر:

وأما عبيد الله عمر لما ألزمه أمير المؤمنين صلوات الله عليه قتل الهرمزان وعرف أنه يقيده به توجه إلي معاوية، فقال معاوية لعمرو بن العاص إن الناس قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدوم عبيد الله بن عمر، فقد رأيت أن أقيمه خطيباً يشهد علي علي بقتل عثمان وينال منه.

فقال: الرأي ما رأيت، فبعث إليه فأتاه، فقال له: يا بن أخي إن لك اسم أبيك، فانظربملء عينيك وانطق بملء فيك فأنت المأمون المصدق، فاصعد المنبر واشتم علياً واشهد عليه أنه قتل عثمان. فقال: أيها الأمير أما شتمه فإن أباه أبو طالب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسي أن أقول في حسبه، وأما بأسه فهو الشجاع المطرق وقد عرفت أيامه، ولكتي ملزمه دم عثمان، فقال عمر بن العاص: قد وأبيك – إذن نكات القرحة، فلما خرج عبيد الله قال معاوية: أما والله لولا قتله الهرمزان ومخافته علياً علي نفسه ما أتانا أبدا، ألا تري تقريظه علية، فقال عمرو: يا معاوية لم تغلب فاخلب، قال: فخرج حديثهما إلي عبيد الله فقام خطيبة وتكلم بحاجته فلما انتهي إلي علي صلوات الله عليه أمسك ولم يقل شيئا، فلما نزل بعث إليه معاوية يقول: يا بن أخي إنك بين عي وخيانة، فبعث إليه: إني كرهت أن أقطع الشهادة علي رجل لم يقتل عثمان، وعرفت أن الناس محتملوها عني فتركتها، فهجره معاوية واستخف به وفسقه، فقال عبيد الله:

معاوي لم أحرص بخطبة خاطب*** ولم أك عياً في لؤي بن غالب

ولكنني زاولت نفساً أبية*** علي قذف شيخ بالعراقين غائب

وقذفي علياً بابن عفان جهرة *** كذاب وما طبعي سجايا المكاذب

ولكنه قد حزب القوم جهله ***ودبوا حواليه دبيب العقارب

فما قال أحسنتم ولا قد أسأتم ***وأطرق إطراق الشجاع المواثب

فأما ابن عفان فأشهد أنه*** أصيب بريئاً لابساً ثوب تائب

وقد كان فيها للزبير عجاجة*** وطلحة فيها جاهد غير لاعب

وقد أظهرا من بعد ذلك توبة*** فيا ليت شعري ما هما في العواقب

فلما بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه . (1)

وأرسل أمير المؤمنين صلوات الله عليه جرير بن عبد الله إلي معاوية يدعوه إلي البيعة وإلا ينازله الحرب، فأبي معاوية أن يبايع وعزم علي الحرب.

ولما عزم أمير المؤمنين صلوات الله عليه علي المسير إلي الشام دعا رجلاً فأمره أن يتجهز ويسير إلي دمشق، فإذا دخلها أناخ راحلته بباب المسجد وأن لا يلقي من ثياب سفره شيئاً، فإن الناس إذا رأوه وعليه آثار الغبرة يسألونه، فإذا سألوه فليقل لهم: تركت علياً قد نهد إليكم بأهل العراق، فانظر ما يكون من أمرهم، ففعل الرجل ذلك فاجتمع الناس عليه وسألوه فقال لهم ذلك، فكثروا عليه يسألونه، فأرسل إليه معاوية أبا الأعور السلمي يسأله عن ذلك، فأخبره بأن علياً قد نهد إليهم بأهل العراق، فأتي معاوية فأخبره بمقالته، وأن علياً قد نهد إليهم بأهل العراق، فنادي معاوية الصلاة جامعة ثم قام فخطب الناس وقال لهم: إنت علياً قد نهد إليكم في أهل العراق فماذا ترون؟ فضرب الناس بأذقانهم علي صدورهم لا يتكلمون، فقام ذو الكلاع الحميري فقال: عليك أم رأي وعلينا أم فعال – وهي لغة حمير – فنزل ونادي في الناس بالخروج إلي معسكرهم. وعاد الرجل إلي علي صلوات الله عليه فأخبره بما رآه فنادي صلوات الله عليه الصلاة جامعة، ثم قام فخطب الناس فأخبرهم أنه قدم عليه رسول كان قد بعثه إلي الشام وأخبره أن معاوية قد نهد إلي العراق في أهل الشام فما الرأي؟ فاضطرب أهل المسجد، هذا يقول: الرأي كذا وهذا يقول الرأي كذا وكثر اللغط واللجب، فلم يفهم أمير المؤمنين من كلامهم شيئاً ولم يدر المصيب من المخطئ، فنزل عن المنبر وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب بها ابن آكلة الأكباد يعني معاوية. (2)

1- شرح نهج البلاغة 3: 102

2- شرح نهج البلاغة لابن أبيالحديد 3: 95

في إرسال صعصة بن صوحان إلي معاوية:

قال المسعودي في تاريخه (مروج الذهب): ذهب إلي داره وقال لآذنه: من في الباب من وجوه العرب؟ فذكر له جماعة منهم صعصعة بن صوحان العبدي رضي الله عنه فقال صلوات الله عليه: فأذن لهم، فدخلوا وسلموا عليه بالخلافة، فقال لهم: أنتم وجوه أصحابي عندي ورؤساء القبائل، فأشيروا علي في أمر هذا الغلام المترف يعني معاوية _ فافتت بهم المشورة، فقال صعصعة: إن معاوية أترفه الهوي وحببت إليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرتهم بدنياه، فإن تعمل فيه برأي ترشد و تصب وبالله التوفيق ورسوله وبك يا أمير المؤمنين، الرأي أن ترسل إليه عيناً من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه إلي بيعتك، فإن أجاب وأناب كان له مالك وعليه ما عليك، وإلا جاهدته وصبرت لقضاء الله تعالي حتي يأتيك اليقين.

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: عزمت عليك يا صعصعة إلا كتبت الكتاب بيدك ورحلت إليه بنفسك، واجعل صدر الكتاب تخويفاً وتحذيراً وعجزه استتابة، وليكن فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وابن عبديه أمير المؤمنين علي إلي معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك أما بعد واكتب ما أشرت به علي، واجعلعنوان الكتاب ألا إلي الله تصير الأموره.

قال: فخرج بالكتاب و تجهز وسار حتي ورد دمشق الشام فأتي باب معاوية، فقال لآذنه: استأذن لرسول أمير المؤمنين علي، وبالباب أردفة (أي جماعة من بني أمية، فأخذته الأيدي من كل جانب ومكان وهو يقول: سبحان الله أتقتلون رجلاً يقول ربي الله، وكثرت الجلبة واللغط، فاصل ذلك بمعاوية، فوجه بمن يكشف الناس عنه فكشفوا عنه، فأذن لهم بالدخول فدخلوا عليه، فقال: من هذا الرجل؟ قالوا: رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من علي بن أبي طالب، فقال: والله لقد بلغني أمره، هذا

أحد سهام علي و خطباء العرب، ولقد كنت إلي لقائه شيقاً، باغلام ائذن له بالدخول، فأذن له بالدخول فدخل عليه وقال: السلام عليك يا بن أبي سفيان، هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

فقال معاوية: أما إنه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو في إسلام لقتلتك، ثم اعترضه معاوية بالكلام وأراد أن يستخرجه لينظر قريحته أطبعاً أم تكلفاً، قال: من الرجل؟ قال: من نزار. قال: وما كان نزار؟ قال: كان إذا غزي نكس، وإذا ألقي افترس، وإذا انصرف احترس، قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من جديلة، قال: وما كان جديلة؟ قال: كان في الحرب سيفاً قاطعاً، وفي المكرمات غيثاً نافعاً وفي اللقاء لباً ساطعاً، قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من عبد القيس. قال: وما كان عبد القيس؟ قال: كان أبيضاً حسيباً وهاباً لضيفه ما يجد، ولا يسائل عما فقد، كثير الموق طيب العرق، يقوم لضيفه مقام الغيث من السماء.

قال: ويحك يابن صوحان فما تركت لهذا الحي من قريش مجداً ولا مكرمة. قال: بلي والله يابن أبي سفيان، تركت لهم ما لا يصلح إلا لهم، تركت لهم الأبيض والأحمر والأصفر والأشقر والسرير والمنبر والملك إلي المحشر، وأني لا يكون كذلك وهم منار الله تعالي في الأرض ونجومه في السماء، ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل علي قريش كلها، فقال: صدقت يابن صوحان، إن ذلك لكذلك. فعرف صعصعة رضي الله عنه ما أراد، فقال: ليس لك ولا لقومك فيه إصدار ولا إيراد، بعدتم عن أنفس المرعي، وعلوتم عن عذب الماء. قال: فلمن ذلك ويلك يا بن صوحان؟ قال: الويل لأهل النار، ذلك لبني هاشم دونك. فالتفت معاوية إلي أصحابه وقال: أخرجوه، فقال صعصعة: الصدق ينبيء عنك لا ـ الوعيد، من أراد المشاجرة قبل المحاورة. فقال معاوية: وددت أني من صلبه، ثم التفت إلي بني أمية وقال: هكذا فلتكن الرجال، ثم قال: يابن صوحان إنك ذو معرفة بالعرب وبحالها، أخبرني عن أهل البصرة

وإياك والتحامل علي قوم لقوم. قال صعصعة: البصرة واسطة العرب، ومنتهي الشرف والسؤدد، وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره، وقد دارت بهم سروات العرب دوران الرحي علي القطب. قال: فأخبرني عن أهل الكوفة. قال: الكوفة قبة الإسلام وذروةالكلام ومصان ذوي الأعلام، إلا أن بها أجلافاً تمنع ذوي الأمر بالطاعة وتخرجهم عن الجماعة، وتلك أخلاق ذوي الهيئة والقناعة. قال معاوية: فأخبرني عن أهل الحجاز. قال: أسرع الناس إلي فتنة وأضعفهم عنها وأقلهم عناءً فيها، غير أن لهم ثباتاً في الدين وتمسكاً بعروة اليقين، يتبعون الأئمة الأبرار، ويخلعون الفسقة الفجار.

فقال معاوية: من البررة ومن الفجرة؟ فقال صعصعة: ترك الخداع من كشف القناع: علي وأصحابه من البررة، وأنت وأصحابك من الفجرة. فبان الغضب في وجه معاوية، إلا أنه أحب أن يمضي صعصعة بكلامه، قال: أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر، قال: أسد مضر بسلاء بني غيلين، إذا أرسلتها افترست، وإذا تركتها احترست. فقال معاوية: هنالك يا بن صوحان العز الراسي، فهل في قومك مثل هذا؟ فقال صعصعة رضي الله عنه: إن هذا لأهله دونك، ومن أحب عمل قوم محشر معهم. قال: فأخبرني عن ديار ربيعة، ولا يستخفنك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك. فقال: والله ما أنا منهم براض ولكني أقول فيهم وعليهم، هم والله أعلام الليل وأذناب في الدين، والميل لمن تغلب، رأيتها إذا رشحت خوارج الدين برازخ اليقين، من نصروه فلج، ومن خذلوه زلج. ثم أمسك معاوية، فقال له صعصعة: سل وإلا أخبرتك بما عنه تحيد، قال: وما ذاك؟ قال: أهل الشام، قال: أخبرني عنهم، قال: هم أعصي الناس للخالق، وأطوعهم للمخلوق، عصاة الجبار وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار، ولهم سوء الدار .(1)

1- مروج الذهب للمسعودي 3: 51

أجل كانوا مصداقاً لقول صعصعة يوم دخول سبايا آل رسول الله إلي الشام، فإنهم عصوا الخالق وأطاعوا المخلوق، فخرجوا وبأيديهم الطبول والدفوف فرحين مستبشرين بقتل الحسين عليه السلام.

يقول سهل الساعدي: خرجت من شهر زورا أريد بيت المقدس فصادف خروجي أيام قتل الحسين عليه السلام، فدخلت الشام فرأيت الدكاكين مغلقة والأعلام منشورة والرايات مشهورة والناس أفواج قد امتلأت بهم السكك والأسواق، وهم في أحسن زينة فرحين مستبشرين، فقلت لبعضهم: الأهل الشام عيد لا نعرفه؟ (1)

1- مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي 2: 60

وفي كتاب له عليه السلام إلي عثمان بن حنيف الأنصاري:

وفيه يعنفه علي قبوله دعوة وليمة ويذكر فيه زهده عليه السلام:

وكان عامله علي البصـرة وقد بلغه أنه دعي إلي وليمة قوم من أهلها فمضي إليها: أمَّا بَعدُ يَا ابنَ حُنَيفٍ فَقَد بَلَغَني أَنَّ رَجُلاً مِن فِيَة أهلِ البَصرَةِ دَعَاكَ إلي مَأْدُبَـة فَأَسـرَعتَ إليهَا تُسـتَطابُ لكَ الأَلوانُ وَتنتَقَل إليكَ الجَفَانُ وَمَا ظَنَنتُ أنِكَ تُجيبُ إلي طَعامِ قَومٍ عائلُهُم مجفُوٌ وغَنيُّهُم مَـدعُوٌ فَانظُر إلي مَا تَقضَمُهُ مِن هَذا المَقضَمِ فَمَا اشتَبَه عَليكَ عَلمُهُ فَلفَظَهُ وَما أَيقَنتَ بطَيبِ وُجوهِهِ فَنَل مَنه.

الّا وَانَّ لكُلِ مامومٍ يَقتَدي بِه ويَستَضـِيءُ بِنُورِ عِلمِهِ الَّا و اِنَّ امَامَكُم قَد اكتَفَي مِن دُنياهُ بِطَمريه ومَن طُعمه بقُرصَيه الا و انَّكُم لا تَقدَرُونَ عليَ ذلكَ ولكِن اعيُوني بِوَرَعٍ واجتَهادٍ وعَفـةٍ .سَـدادٍ فَوَالله مَا كَنَزتُ مِن دُنياكُم تبراً ولا ادَّخَرتُ مِن غَنائِمِها و فَراً ولا اعددَت لِبالي ثَوبي طَمراً ولا حُزتُ مِن اَرضِها شِبراً ولا اَخَذتُ مِنهُ الا كَقُوت اتَان دَبِرةٍ و لَهي في عيني اَوهي و اوهَنُ مِن عَفصَةٍ مَقَرَةٍ.

(شرح ابن أبي الحديد مج 4 ط 1 ص 76)

ضبط الألفاظ الغريبة:

المأدبة) بضم الدال: الطعام يدعي إليه القوم. وفتية أهل البصرة، جمع فتي أي من شبابها أومن أسخيائها. (والعائل) الفقير. (والجفان) قصاع كبار.والقضم) الأكل بأدني الفم. (والطمر) الثوب البالي الحلق. الطعم – بالضم – الطعام، والوفر المال الكثير، والتبر الذهب.

الشرح:

عثمـان بن حنيف بضم الحـاء – ابن واهب بن الحكم بن ثعلبـة بن الحارث الأنصاري الأوسـي أحـد الأمجاد من الأنصار، أخـذ من النبي صلي الله عليه وآله العلم والتربية وبلغ الدرجة العالية فنال مناصب كبري.

قال ابن أبي الحديـد المعتزلي: عمل لعمر ثم لعلي صـلوات الله عليه وولاه عمر مساحة الأرض وجبايتها بالعراق، وضـرب الخراج والجزية علي أهلها، وولاه علي صلوات الله عليه علي البصرة، فأخرجه طلحة والزبير منها حين قدماها . (1)

ويظهر من ذلك أنه كان رجلاً بارعاً في علم الاقتصاد والسياسة معاً فاستفاد منه عمر من الناحية الاقتصادية، وفوض إليه أمر الخراج والجزية، وهو من أهم الأمور في هذا العصر، وخصوصا في أرض العراق العامرة.

وكـان من خواص علي صـلوات الله عليه ومن السابقين الـذين رجعوا إليه وأخلصوا له، قال في الرجال الكبير بعـد ترجمته: هو من السابقين الـذين رجعوا إلي أمير المؤمنين صـلوات الله عليه و كلمـة السابقين في وصـفه مأخوذ من قوله تعالي في سورةالبرائة آية 100 – (والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرينَ والأنصارِ والَّذينَ اتبَعوُهُم بِإحسانٍ رَضـيَ اللهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنه وأَعَـد لَهُم جَنَّاتٍ تَجرِي تَحتَها الأنهارُ خالـدينَ فيها أَبَداً ذلكَ الفَوزُ العَظيم) و كفي له بذلك مدحاً وإخلاصاً له صـلوات الله عليه فإن الآية تخصـص السابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين بهـذه الفضـيلة التي لا فضـيلة فوقها، والسـبق والتقدم إنما هو بقبول ولاية أمير المؤمنين، فإنها ميزان الإيمان والاخلاص لله ورسوله، ودليل البرائة من النفاق والمطامع الدنيوية.

ومؤاخـذته صـلوات الله عليه بمجرد إجابـة دعوة من بعض فتيان البصـرة، وتشديده في توبيخه بهذه الجمل البالغة في الطعن والمذمة دليل آخر علي علو رتبته وسمو درجة إيمانه، وأنه لا ينبغي من مثله إجابة مثل تلك الدعوة والاشتراك في حفلة

1- شرح نهج البلاغة، ج 206:16

ضيافة تقعد لكسب الشـهرة او جلب المنفعة او الانهماك في اللذة والغفلة او الاسـتمتاع بلأغذية اللذيذة، فظاهر الكتاب الموجه إلي عثمان بن حنيف بالعتاب توبيـخ عنيف علي ارتكابه خلافاً عظيماً يسـتحق به هذا التوبيخ الشديد الذي هو آلم من الضـرب بالسوط أو الحبس إلي حين الموت، فلا بد من التدبر في أمور:

محطات للتأمل :

الأول: ماهو جوهر هـذا الخلاف الذي ارتكبه هذا الوالي الذي فوض إليه إدارة أمور ثغر هام من الثغور الإسـلامية في هذا الزمان، فالبصـرة أحد الثغور الهامة الإسـلامية في تينك العصور تضاهي مركزية الكوفة ومصـر والشام، وقد انتخبه صـلوات الله عليه والياً له، وفوض إليه إدارة شؤونه وسـياسة نظامه في هـذا الموقف الرهيب، فكيف يوبخه ويؤتبه بهذه الجمل القاسـية التي ملؤها الوهن والاستضـعاف، فهذا الخلاف يحتمل وجوهاً :

1_ أنه مجرد إجابة دعوة الاشتراك في وليمة لذيذة هيئت للتفريج والأنس مع الأحباب والأقران.

2_ أعـدت هـذه الوليمـة علي حسب اسـتمالة الوالي والنفوذ فيه للاسـتفادة منه في شتي المقاصـد المرجوعة إليه، وللاعتماد عليه في تنفيذ الحوائج، كما هو عادة ذوي النفوذ والجاه في كل بلد، فإن شأنهم تسخير عمال الدولة بالتطميع والاحسان للاستمداد منهم في مقاصدهم.

3- أن هذه الوليمة أعدت من عصابة مخالفة لعلي صـلوات الله عليه وموالية المعاوية وأعوانه، فهي حفلة مؤامرة ضد علي صـلوات الله عليه والهـدف منها جلب الوالي إلي الموافقة مع مقاصد سياسـية هامة، وصـرف عثمان بن حنيف عن موالاته صـلوات الله عليه إلي معاوية، كما فعل معاوية مع زياد بن أبيه بعد ذلك، فإنه أحد أعوان علي وأحدولاته المسيسين وله يد في تقوية حكومته، فاستجلبه معاوية

بالمكايد والمواعيد، وأثبته أخاً له لجلبه من موالاة علي صلوات الله عليه إلي معاوية واستفاد منه أكثر استفادة في حكومته.

وما ذكره صلوات الله عليه في كتابه هذا يناسب الوجه الثالث، فإنه موقف خطريحتاج إلي الحذر منه أشد الحذر، فشرع صلوات الله عليه يوبخ عثمان في قبول هذه الدعوة والإسراع إليها وتقبل ما أعدوه له من البذل من إعداد الأطعمة الطبية المختلفة الألوان و تقديم الأقداح الكبيرة في الخوآن.

وأشار صلوات الله عليه إلي أن هذه الوليمة مما لم يقصد بها رضا الله وإكرام والي ولي الله، وإلا فيشترك فيها ذوو الحاجة والفقراء من الجيران وسائر المسلمين، ولم يخصصوا الدعوة بالأغنياء وذوي النفوذ والثروة.

ثم أشار صلوات الله عليه إلي أن الحاضرين حول هذا الخوان من الغافلين المنهمكين في اللذات المادية، فعبر عن الخوان بالمقضم، وهو ما يعد فيه علي الدابة من التبن والشعير، وتعبيره يعم كل خوان ومطعم مهيأ لأمثال هؤلاء المفتونين بأمر الدنيا.

وقوله صلوات الله عليه: فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجهه فنل منه يستفاد منه أنه قرر علي عماله احتياطاً في الدين فوق حد العدالة التي كانت شرطاً في التصدي لهذه المناصب الجليلة.

ثم أنه صلوات الله عليه توجه إلي بيان أمر لعماله أو مطلق شيعته، ولخصه في كلمتين:

1_ الاقتداء بالأمام في العمل والسيرة.

2_ الاستضاءة من نور علمه والأخذ بدستوره في كل الأمور، والاقتداء بالإمام عملاً وأخذ دستور العمل منه كلاهما سلوك طريق النجاة، ولكن الثاني أعم، فإنه يشمل الغائب عن محضر الإمام، ويشمل التكاليف الخاصة بالمأموم دون الإمام وهي كثيرة جداً.

ثم لخص صلوات الله عليه سيرته في كلمتين لتكون مدار العمل لعماله وللاقتداء به صلوات الله عليه.

1_ الاكتفاء من رياش الدنيا ولباسها وزينتها بطمرين أي ثوبين باليين: أزار ورداء من غير صوف يلبسه أحوج الناس.

2_ الاكتفاء من طعامها وغذائها ولذائذها بقرصين من خبز الشعير اليابس الفارغ عن الأدام.

وقد مثل صلوات الله عليه في هذه الكلمتين الزهد بأدق مما فيه وأشق ما فيه، بحيث جعله من كراماته وأنه مما لا يقدر علي العمل به غيره، فقال: ألا وإنكم لا تقدرون علي ذلك.

البرنامج التربوي:

ثم نظم برنامجاً تربوياً لعماله ومن يتصدي لإدارة أمور حكومته في أربع مواد

1_الورع: وهو تحصين النفس عن الرذائل والاجتناب عن المحارم والمحرمات، لأن الورع عن المحارم أعظم المنجيات وعمدة ما ينال به إلي السعادات ورفع الدرجات، قال رسول الله صلي الله عليه وآله: خَيرَ دينكم الورع، (1) وقال صلي الله عليه وآله: من لقي الله سبحانه ورعاً أعطاه الله ثواب الإسلام كله، وفي بعض الكتب السماوية: وأما الورعون فإني أستحي أن أحاسبهم، وقال الإمام الباقر عليه السلام: إن أشد العبادة الورع،(2) وقال الإمام الصادق عليه السلام: أوصيك بتقوي الله والورع والاجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه. (3) وقال: اتقوا الله

1- مستدرك الوسائل 11: 270/ ح 12973

2- الكافي 2: 77/ ح5

3- الكافي 2: 76/ ح 1

أصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه، هؤلاء أصحابي.(1) وقال: ألا وإن من اتباع أمرنا وإرادته الورع، فتزينوا بنه يرحمكم الله، وكيدوا أعداءنا به ينعشكم الله.(2)

وقال الإمام الباقر عليه السلام: أعينونا بالورع، فإن من لقي الله تعالي منكم بالورع كان له عند الله فرجاً، إن الله عزوجل يقول: (ومَن يُطِعَ اللهَ والرَّسولَ فأُولئك مَعَ الَّذينَ أنعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِن النَّبيّينَ والصِّديقينَ والشُّهداء والصالِحينَ وحَسَنُ أولئكَ رَفيقاً فمنّا النبي ومنا الصديق والشهداء والصالحين).(3)

وقال عليه السلام: قال الله عزوجل: يا ابن آدم اجتنب ما حرم عليك تكن من أورع الناس.(4)

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن الورع من الناس فقال: الذي يتورع عن محارم الله عزوجل (5)

2_ الاجتهاد في تحري الحقيقة، والعمل علي مقتضي الوظيفة وتحمل الكد والأذي في سبيل الحق.

3_العفة: وهي ضبط النفس عما لا يحل ولا ينبغي من المشتهيات وما فيه الرغبات.

والأخبار في مدح العفة وفضيلتها كثيرة، قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أفضل العبادة العفاف.(6) وقال الإمام الباقر عليه السلام: ما من عبادة أفضل من

1- بحار الأنوار 67: 298/ ح6

2- الكافي 2: 78/ ح13

3- الكافي 2: 78/ ح 12

4- الكافي 2: 77/ ح 12

5- الكافي 2: 77/ ح 8

6- الكافي 2: 79/ ح3

عفة بطن وفرج.(1) وقال: ما عبد الله بشئ أفضل من عفة بطن وفرج.(2) وقال: أي الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج؟(3)

4- السداد: وهو تحكيم المعرفة بالأمور، والأخذ باليقين، وتحكيم العمل والدقة في تقرير شرائطه و كيفياته وعدم التسامح فيه.

وقد بقي في المقام نكتة، وهي أنه ربما يزهد بعض الناس في معاشهم حباً لجمع المال وادخاره، فيعيشون عيش الفقراء ويكنزون الذهب والفضة ويقتنون العقار والدار، فقال صلوات الله عليه:

زهد علي والأنبياء عليه السلام:

فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، وهذا أقصى حد في الزهد وغاية ما يتصور من الأعراض عن الدنيا.

وكفي للزهد فضيلة ومدحاً أنه أعرف صفات الأنبياء والأولياء، ولم يبعث نبي إلا به، ولو لم يتوقف التقرب إلي الله والنجاة في دار الآخرة عليه لما ضيق عظماء نوع الإنسان وأعرف الناس بحقيقة الحال علي أنفسهم في فطامها عن شهوات الدنيا ولذاتها.

فانظر إلي كليم الله موسي عليه السلام كيف كان غالب قوته نبت الأرض وأوراق الأشجار، وكان ضعف بدنه من كثرة رياضته، بحيث تري الخضرة من صفاق بطنه كما أخبر به أمير المؤمنين صلوات الله عليه في نهج البلاغة.(4)

1- الكافي 2: 80/ ح 7

2- الكافي 2: 79) ح 1

3- الكافي 2: 79 ح4

4- نهج البلاغة 2: 55/خ 160

ثم انظر إلي روح الله عيسي عليه السلام كيف يلبس الشعر ويأكل الشجر، ولم يكن لهولد يموت ولا بيت يخرب، ولا يدخر لغد، أينما يدركه المساء نام.(1) وقال له الحواريون يومة: يا نبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتاً تعبد الله فيه، قال: اذهبوا فابنوا بيتاً علي الماء، فقالوا: كيف يستقيم بنيان علي الماء؟ قال: كيف تستقيم عبادة علي حب الدنيا؟(2)

وروي أنه اشتد به يوماً المطر والرعد والبرق فجعل يطلب بيتاً يلجأً إليه، فرفعت إليه خيمة من بعيد، فأتاها فإذا فيها إمرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال: إلهي جعلت لكل شيء مأوي ولم تجعل لي مأوي، فأوحي الله إليه: مأواك في مستقر من رحمتي، لأزوجنك يوم القيامة ألف حوراء خلقتها بيدي، ولأطعمك في عرسك أربعة آلاف عام، يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرة مناديا ينادي: أين الزهاد في الدنيا؟ زوروا عرس الزاهد عيسي ابن مريم.(3)

ثم انظر إلي يحيي بن زكريا حيث يلبس المسوح حتي ثقب جلده تركاً للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس، فسألته أمه أن يلبس مكانها جبة من صوف ففعل، فأوحي الله إليه: يا يحيي آثرت علي الدنيا، فبكي ونزع الصوف وعاد إلي ما كان عليه. (4)

ثم افتح بصيرتك و تأمل في سيرة رسول الله صلي الله عليه وآله وزهده في الدنيا، فإنه لبث في النبوة ما لبث ولم يشبع هو وأهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية، ولم يشبعوا عشية إلا جاعوا غدوة، ولم يشبع من التمر هو وأهل بيته حتي فتح الله

1- راجع ما روي في الأخبار للصدوق: 252 باب (معني الزهد) ح5

2- البحار 14: 327 ح 53

3- مصدر السابق

4- فيض القدير للمناوي 2: 368

عليهم خيبر، وقرب إليه يوماً طعاماً علي مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتي تغير لونه، فأمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام علي الأرض، وكان ينام علي عباءة مثنية فتنوهاله ليلة بأربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال: منعتموني قيام الليلة هذه بهذه العباءة، اثنوها بائنتين كما كنتم تثنونها، وكان يضع ثيابه الغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوباً يخرج به إلي الصلاة حتي تجف ثيابه فيخرج بها إلي الصلاة. وروي أن امرأة من بني ظفر صنعت له صلي الله عليه وآله كساءين أزاراً ورداءً وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر، فخرج إلي الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره، قد عقد طرفيه إلي عنقه فصلي كذلك.

وشدة زهد علي صلوات الله عليه و تركه الدنيا أشهر من أن يحتاج إلي بيان، وكذا من بعده من الأئمة الراشدين والأصحاب والتابعين وغيرهم من أكابر الدين والسلف الصالح، فليعتبر الإنسان وليقتد بهداهم)أولَئِكَ الَّذينَ هَدَي اللهُ فَبِهداهُمُ اقتَدِهِ) (1) ولا تغتر بالدنيا فإنهاغزارة مكارة سكارة، تضحك الإنسان قليلاً وتبكيه طويلاً، كما وصفها أمير المؤمنين عليه السلام. (2)

قصة عيسي عليه السلام وصاحب الرغيف الثالث:

ومن النكت والأمثلة الظريفة ما ذكره صاحب المستظرف في باب الزهد:

روي أن عيسي عليه السلام كان معه صاحب في بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا إلي قرية، فقال عيسي عليه السلام لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاماً من هذه القرية، وأعطاه ما يشتري به، فذهب الرجل وقام عيسي يصلي، فجاء الرجل بثلاثة أرغفة، فقعد ينتظر انصراف عيسي من الصلاة، فأبطأ عليه فأكل رغيفاً و كان عيسي عليه السلام رآه حين جاء ورأي الأرغفة ثلاثة، فلما انصرف من صلاته لم يجد إلا رغيفين فقال له:

1- الأنعام: 90

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج 4: 139

أين الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: ما كانا إلا رغيفين فأكلاهما، ثم مرا علي وجوههما حتي أتيا علي ضباء ترعي فدعا عيسي واحداً منهما فجاءه فذكاه وأكلا منه، فقال له عيسي عليه السلام: بالذي أراك هذه الآية، من أكل الرغيف الثالث؟ فقال: ما كانا إلا اثنين، ثم مرا علي وجوههما حتي جاءا قرية، فدعا عيسي ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية، فأنطق الله له لبنة، فسألها عيسي فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأي، فقال له عيسي عليه السلام: بحق من أراك هذه الآية، من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال: ماكانا إلا اثنين، فمرا علي وجوههما حتي انتهيا إلي نهر عجاج، فأخذ عيسي عليه السلام بيد الرجل ومشي به علي الماء حتي جاوز النهر، فقال الرجل: سبحان الله، فقال عيسي: بالذي أراك هذه الآية، من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: ما كانا إلا اثنين، فمرا علي وجوههما حتي أتيا قرية عظيمة خربة، وإذا قريب منها ثلاث لبنات عظام – وقيل: ثلاثة أكوام من الرمل – فقال لها: كوني ذهباً بإذن الله، فكانت، فلما رآها الرجل قال: هذا مال، فقال عيسي عليه السلام: نعم واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث، فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث: فقال عيسي عليه السلام هي لك كلها، ثم فارقه عيسي، وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة نفر فقتلوه، فقال إثنان منهما للثالث: انطلق إلي القرية فأتنا بطعام، فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر: إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا، فقال الآخر: نعم، وأما الذي ذهب ليشتري الطعام فإنه أضمر لصاحبيه السوء وقال: أجعل لهما في الطعام سماً، فإذا أكلاه ماتا و آخذ المال النفسي، فوضع السم في الطعام وجاء، فقاما إليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا، فمر بهم عيسي عليه السلام وهم مصروعون حولها فقال: هكذا الدنيا تفعل بأهلها. (1)

1- الدر المنثور للسيوطي، ج 2: 34، رواه بلفظ آخر

ومن كلام له عليه السلام :

يتعرض فيه لأرض فدك ويذكر فيه مجاهدة نفسه عله السلام

(بَلَي كَانَت فِي أَيدِينَا فَدَكَ مِن كُلِّ مَا أَظَلَّهُ السَّماءُ فَشَحَّت عَلَيهَا نُفُوسُ قَومٍ وَسَخَت عَنهَا نُفُوسُ قَوم آخَرينَ ونَعمَ الحَكَمُ اللّه وَمَا أصنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيرِ فَدَك والنَفسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنقَطِعُ فِي ظُلمَته آثارُهَا وَتَغِيبُ أخبَارُها وتَغيبُ اَخبَارُها و حُفرَةٌ لَو زِيدَ فِي فَسحَتِهَا وَأوسَعَت يَداَ حَافِرِهَا لَأضغَطَهَا الحَجَرُ وَالمَدَرُ وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرابُ المُتَراكِمُ وَإنَّما هِيَ نَفسِي أَرُوضُهَا بِالتَقوَي لَتَأتِي آمَنَةً يَومَ الخَوفِ الاكبَرِ وَتَثبُتَ عَلي جَوانِبِ المَزلَقِ) .(1)

الشرح:

قوله صلوات الله عليه: بلي كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء

فدك تاريخياً :

فدك قرية في الحجاز، وبينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وهي أرض يهودية في مطلع تاريخها الإسلامي، وكان يسكنها طائفة من اليهود، ولم يزالوا علي ذلك حتي السنة السابعة، حيث قذف الله بالرعب في قلوب أهليها، فصالحوا رسول الله صلي الله عليه وآله علي النصف من فدك، وروي أنه صالحهم عليها كلها.

وابتدأ بذلك تاريخها الإسلامي، فكانت ملكاً لرسول الله صلي الله عليه وآله لأنها مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، ولما ملك صلي الله عليه وآله فدك أنزل الله تعالي عليه (وَآتِ ذاَ

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 208

القُربي حَقَّهُ)،(1) فقال صلي الله عليه وآله : ادعوا لي فاطمة، فدعيت له، فقال: يا فاطمة هذه فدك وهي مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصة دون المسلمين، فخذيها لك ولذريتك، فملكتها فاطمة، فكانت في يدها مدة حياة رسول الله صلي الله عليه وآله تتصرف فيها، إلي أن توفي أبوها رسول الله صلي الله عليه وآله، فانتزعها الخليفة الأول منها علي حد تعبير صاحب الصواعق المحرقة وغيره من المؤرخين،(2) وأصبحت من مصادر المالية العامة وموارد ثروة الدولة يوم ذاك، إلي أن تولي الخلافة عثمان بن عفان فأقطعها مروان بن الحكم، ثم يهمل التاريخ أمر فدك بعد عثمان فلا يصرح عنها بشيء، ولكن الشيء الثابت هو أن أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه انتزعها من مروان ـ علي تقدير كونها عنده في خلافة عثمان بن عفان – كسائر ما نهبه بنو أمية في أيام خليفتهم.

ولما ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة أمعن في السخرية وأكثر الاستخفاف بالحق المهضوم، فأقطع مروان بن الحكم ثلث فدك، وعمر بن عثمان ثلثها، و يزيد ابنه ثلثها الآخر، فلم يزالوا يتداولونها حتي خلصت كلها المروان بن الحكم أيام ملكه، ثم صفت لعمر بن عبد العزيز بن مروان، فلما تولي هذا الأمر رد فدكاً علي ولد فاطمة عليه السلام وكتب إلي واليه علي المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم بأمره بذلك، فكتب إليه: إن فاطمة سلام الله عليها قد ولدت في آل عثمان و آل فلان وفلان، فعلي من أرد منهم؟ فكتب إليه: أما بعد، فإني لو كتبت إليك آمرك أن تذبح بقرة لسألتني ما لونها، فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة عليه السلام من علي صلوات الله عليه.(3)

فنقمت بنو أمية ذلك علي عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه وقالوا له: هجنت فعل الشيخين، وقيل أنه خرج إليه عمرو بن قيس في جماعة من أهل

1- الإسراء: 26

2- الصواعق المحرقة: 38

3- بحار الأنوار 29: 212؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 278

الكوفة فلما عاتبوه علي فعله قال لهم: إنكم جهلتم وعلمت، ونسيتم وذكرت إن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حدثني عن أبيه، عن جده، أن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: فاطمة بضعة مني، يسخطها ما يسخطني، ويرضيني ما يرضاها، وإن فدك كانت صافية علي عهد أبي بكر وعمر، ثم صار أمرها إلي مروان فوهبها لعبد العزيز أبي فورثتها أنا وأخوتي عنه، فسألتهم أن يبيعوني حصتهم منها، فمن بائع وواهب حتي اجتمعت لي، فرأيت أن أردها علي ولد فاطمة. فقالوا له: فإن أبيت إلا هذا فأمسك الأصل واقسم الغلة، ففعل .(1)

ثم انتزعها يزيد بن عبد الملك من أولاد فاطمة، فصارت في أيدي بني مروان حتي انقرضت دولتهم.

فلما قام أبو العباس السفاح بالأمر وتقلد الخلافة ردها علي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثم قبضها أبو جعفر المنصور في خلافته من بني الحسن، وردها المهدي بن المنصور علي الفاطميين، ثم قبضها موسي بن المهدي من أيديهم.

ولم تزل في أيدي العباسيين حتي تولي المأمون الخلافة، فردها علي الفاطميين سنة (210)، ولما بويع المتوكل علي الله انتزعها من الفاطميين وأقطعها عبد الله بن عمر البازيار، وكان فيها إحدي عشرة نخلة غرسها رسول الله صلي الله عليه وآله بيده الكريمة، فوجه عبد الله بن عمر البازيار رجلاً يقال له بشران بن أبي أمية الثقفي إلي المدينة فصرم تلك النخيل، ثم عاد ففلج.

وينتهي آخر عهد الفاطميين بفدك بخلافة المتوكل ومنحه إياها عبد الله بن عمر البازيار. هذه إلمامة مختصرة بتاريخ فدك المضطرب الذي لا يستقيم علي خط ولا يجمع علي قاعدة، وإنما حاكت أكثره الأهواء وصاغته

1- نفس المصدر

الشـهوات علي ما اقتضـته المطامع والسـياسات الوقتيـة، وعلي هـذا فلم يخل هذا التاريخ من اعتدال واسـتقامة في أحايين مختلفة وظروف متباعدة، بحيث تؤول فدك إلي أهلها وأصحابها الأولين.

ويلاحظ أن مشـكلة فدك كانت قد حازت أهمية كبري بنظر المجتمع الإسـلامي وأسـياده، ولذا تري حلها يختلف باختلاف سياسة الدولة، ويرتبط باتجاه الخليفـة العام نحو أهل البيت مباشـرة، فهو إذا اسـتقام اتجاهه واعتـدل رأيه رد فدكاً علي الفاطميين، وإذا لم يكن كذلك وقع انتزاع فـدك في أول القائمـة من أعمال ذلك الخليفـة. ويدلنا علي مدي ما بلغته فدك من القيمة المعنوية في النظر الإسـلامي قصـيدة دعبل الخزاعي التي أنشأها حينما رد المأمون فدكاً:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا *** برد مأمون هاشما فدكا (1)

القيمة الاقتصادية لفدك:

ويظهر من هذا الاهتمام بأمر فدك أنها لم تكن أرضاً صـغيرة أو مزرعة متواضـعة كما يظن البعض؛ بل الأمر الذي يطمئن إليه أنها كانت تدر علي صاحبها أموالاً طائلـة تشـكل ثروة مهمة، وليس علي بعد هذا أن أحدد الحاصل السـندي منها وإن ورد في بعض طرقنا الارتفاع به إلي أعداد عالية جداً.

ويدل علي مقدار القيمة المادية لفدك أمور:

الأول: أن عمر منع أبا بكر من ترك فدك للزهراء لضعف المالية العامة مع احتياجها إلي التقوية لما يتهدد الموقف من حروب الردة وثورات العصاة.

ومن الجلي أن أرضاً يسـتعان بحاصـلاتها علي تعـديل ميزانيـة الدولة وتقوية مالياتها في ظروف حرجة كظرف الثورات والحروب الداخلية لابد أنها ذات نتاج عظيم.

1- السقيفة وفدك للجوهري: 107؛ شرح نهج البلاغة 16: 217

الثاني: قول الخليفة لفاطمة سلام الله عليها في محاورة له معها حول فدك: إن هذا المال لم يكن للنبي صلي الله عليه وآله ، وإنما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال وينفقه في سبيل الله، فإن تحميل الرجال لا يكون إلا بمال مهم تتقوم به نفقات الجيش.

الثالث: ما سبق من تقسيم معاوية فدكاً أثلاثاً، وإعطائه لكل من يزيد ومروان وعمرو بن عثمان ثلثاً، فإن هذا يدل بوضوح علي مدي الثروة المجتناة من تلك الأرض، فإنها بلا شك ثروة عظيمة تصلح لأن توزع علي أمراء ثلاثة من أصحاب الثراء العريض والأموال الطائلة.

الرابع: التعبير عنها بقرية – كما في معجم البلدان (1) – وتقدير بعض نخيلها بنخيل الكوفة في القرن السادس الهجري – كما في شرح النهج لابن أبي الحديد.(2)

هذه ناحية موجزة من نواحي فدك تعطيك صورة مصغرة عنها وعن ضخامة ثرائها.

ومن ناحية أخري ما كان من أمر فاطمة سلام الله عليها لما انتزع أبو بكر منها فدكاً وبلغها ذلك لاثت خمارها وتجلببت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلي الله عليه و آله حتي دخلت علي أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضرب بينها وبينهم ربطة بيضاء، فجلست ثم أنت أنة أجهش القوم لها بالبكاء، فأمهلتهم طويلاً حتي سكنت فورتهم.

خطبة فاطمة عليها السلام :

لما منعت فاطمة الزهراء علي أبيها وعليها أفضل الصلاة والسلام فدكاً بعد وفاة

1- معجم البلدان للحموي 4: 238

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 236

النبي صـلي الله عليه وآله خطبت خطبة طويلة عظيمة جليلة غاية في الفصاحة والبلاغة والمتانة بمحضـر من المهاجرين والأنصار تتضمن أبلغ الحجج علي القوم وأقواها وأمتنها.

وقـد رواها الفريقان بأسانيدهم ورواياتهم ببعض التفاوت. وفي كتاب كشف الغمة أنها من محاسن الخطب وبدائعها، عليها مسـحة من نور النبوة، وفيها عبقة من أرج الرسالة وقد أوردها المؤالف والمخالف.

قال: ونقلها من كتاب السـقيفة _ لأبي بكر أحمـد بن عبـد العزيز الجوهري من نسـخة قديمـة مقروءة علي مؤلفها، روي عن رجاله من عـدة طرق، قرئت عليه في ربيع الآخر سنة 322 هجرية. (1)

وذكرهـا عمر رضا كحاله في كتابه أعلام النساء في عالمي العرب والإسـلام في المجلـد الثالث المطبوع بالمطبعـة الهاشـمية بـدمشق سـنة 1359 هجريـة. وقد تكفل بسـرد أحوالها سـلام الله عليها علي أحسن ما يكون، وذكر خطبها الثلاثة علي أتم ما يرام، واحتجاجها علي أبي بكر وعمر وغضبها عليهما.

وذكرها الخوارزمي في كتابه بلاغات النساء المطبوع بالمطبعة الحيدرية في النجف الأشـرف. وذكر فصلاً منها الشيخ أحمد مفتاح في كتابه «مفتاح الأفكار في النثر المختار»المطبوع في مصـر بمطبعة جريدة الإسـلام سنة 1314 هجرية ص147، وذكر ابن أبي الحديـد المعتزلي فصلاً طويلاً منها في كتابه «شرح نهج البلاغه المطبوع بمصر في الجلد الرابع ط الأولي، بسند متسلسل.

ونحن ننقلها عن كتاب «الاحتجاج»للطبرسي

قـال: روي عبـد الله بن الحسن باسـناده عن آبائه عليه السـلام، أنه لما أجمع أبو بكر علي منع فاطمـة فـدكاً وبلغها ذلك لاتت خمارها علي رأسها واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها

1- كشف الغمة 2: 108

مشـية رسول الله صـلي الله عليه وآله، فدخلت عليه وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثم أنت أنة أجهش القوم لها بالبكاء، فارج المجلس، ثم أمهلتهم هنيهة، حتي إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة علي رسوله أبيها صلي الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها فقالت:

نص الخطبة المتضمنة الاحتجاج علي القوم والتظلم منهم بمحضر من المهاجرين والأنصار:

الحمـد لله علي ما أنعم، وله الشـكر علي ما ألهم، والثناء بما قـدم، من عموم نعم ابتـداها، وسـبوغ آلاء أسداها، و تمام نعم والاها، جم عن الإحصاء عـددها، ونأي عن الجزاء أمـدها، و تفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشـكر لاتصالها، واسـتحمد الخلائق بإجزالها، وثي بالندب إلي أمثالها.

وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له كلمةً جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كونها بقدرته، وذرأها بمشـيته، من غير حاجـة منه إلي تكوينها، ولا فائـدة له في تصويرها، إلآ تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً علي طاعته، وإظهاراً لقـدرته، وتعبداً البريته، وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب علي طاعته، ووضع العقاب علي معصيته، ذيادة (1) لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلي جنته.

وأشـهد أن أبي محمـداً صـلي الله عليه وآله عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسـله، وسـماه قبل أن اجتباه، واصـطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبسر الأهاويل مصونة، وبغاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالي بمآل

1- الذيادة: الطرد والمنع

الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور، ابتعثه الله تعالي إتماماً لأمره، وعزيمة علي إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأي الأـمم فرقاً في أديانها، عكفاً علي نيرانها، عابـداً لأوثانها، منكرة له مع عرفانها، فأنار الله تعالي بأبي محمـد صـلي الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، و جلي عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهدايـة، وأنقـذهم من الغوايـة، وبصـرهم من العماية، وهداهم إلي الدين القويم، ودعاهم إلي الصـراط المسـتقيم، ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار ورغبة وإيثار، محمد صـلي الله عليه وآله عن تعب هذا الـدار في راحـة، قـد ف بالملائكـة الأبرار ورضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار صـلي الله عليه وآله ، علي أبي نبيه وأمينه علي وحيه وصفيه وخيرته من الخلق ورضيه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلي أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه وحمله دينه ووحيه، وأمناء الله علي أنفسكم، وبلغاؤه إلي الأمم، وزعيم حق له فيكم، وعهـد قـدمه إليكم، وبقيـة اسـتخلفها عليكم، كتاب الله الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع والضـياء اللامع، بينة بصائره، منكشـفة سـرائره، متجليـة ظواهره، مغتبط به أشـياعه، قائـد إلي الرضوان أتباعه، مؤد إلي النجاة اسـتماعه، به نال حجـج الله المنورة وعزائمة المفسرة ومحارمة المحذرة وبيناته الجالية وبراهينه الكافية وفضائله المندوبة ورخصة الموهوبة وشرائعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشـرك، والصـلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصـيام تثبيتاً للاخلاص، والحج تشـييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزاً للإسلام وذلاً لأهل الكفر والنفاق، والصبر معونة علي استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصـلحة للعامة، و بر الوالدين وقاية من السـخط، وصـلة الأرحام منسأة في العمر، والقصاص

حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجابياً للعقة، وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، ألا فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنما يخشي الله من عباده العلماء.

ثم قالت سلام الله عليها: أيها الناس، اعلموا أني فاطمة وأبي محمد، أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً،(لَقَد جَاءَكُم رَسوُلٌ من أنفُسّكُم عَزيزٌ عَليهِ مَا عَنتم حَريصٌ عَليكُم بالمُؤمِنينَ رَؤفٌ رَحيمً)(1) فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي إليه، فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارياً ثبجهم، آخذاً بكظمهم، داعياً إلي سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجد الأصنام وينكث الهام، حتي انهزم الجمع وولوا الدبر، حتي تفري الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقدة الكفر والشقاق، وفهتهم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص، وكنتم علي شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطي الأقدام، تشربون الطرق وتقتاتون القت، أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالي بأبي محمد صلي الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني ببهم الرجال وذوبان العرب ومردة أهل الكتاب (كُلَّمَا أوقَدوُا ناراً لِلحَربِ أطفَأَهَا اللهُ)،(2) أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتي يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لبها بسيفه، محدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً مجد كادحاً، وأنتم في رفاهية من العيش

1- التوبة: 128

2- المائدة: 64

وادعون فـاكهون آمنون، تتربصون بنا الـدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عنـد النزال، وتفرون من القتال، فلما اختار الله لنبيه صـلي الله عليه وآله دار أنبيائه ومأوي أصفيائه ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين يخطر في عرصاتكم، وأطلع الشـيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجـد كم خفافـاً وأحمشـكم فألفاكم غضاباً، فوسـمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شـربكم، هـذا والعهـد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، بداراً زعمتم خوف الفتنة (اَلا فِي الفِتنَةَ سّ قَطُوا و جَهَنَّمَ لَمُحيطَةٌ بالكافِرينَ) ،(1) فهيهات منكم وكيف بكم وأني تؤفكون، وهـذا كتـاب الله بين أظهركم، أموره ظـاهرة، وأحكـامه زاهرة، وأعلاـمه باهرة، وزواجره لائحـة،وأوامره واضـحة، قـد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبـة عنه تـدبر ون؟أم بغيره تحكمون؟(بِئسَ لِلظَّالِمينَ بَدلاً) (2) (وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسـلامِ دِينـاً فَلَن يُقبَل مِنهُ وهُو فِي الآخِرَةِ مِن الخاسِرينَ) (3) ثم لم تلبثوا إلاـ ريثمـا تسـكن نفرتهـا ويسـلس قيادها، ثم أخـذتم تورون وقـدتها، وتهيجون جمرتها، وتسـتجيبون لهتاف الشـيطان الغوي وإطفاء نور الدين الجلي وإهماد شـنن النبي الصـفي، تشربون حسواً في ارتغاء، وتمشون الأهله وولده في الخمرة والضراء، ونصبر منكم علي مثل حز المدي ووخز السـنان في الحشا، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي، (أَفَحُكمَ الجَاهِلِيَةِ يَبغُونَ وَمَن أحسَنَ مِنَ اللهِ حُكماً لِقَومٍ يوقنُونَ).(4)

إيهاً معاشـر المسـلمة أأبتر إرث أبي؟! الله يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلي عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه

1- التوبة: 49

2- الكهف: 50

3- آل عمران: 85

4- المائدة: 50

وراء ظهور كم إذ يقول جل وعلا:(وَوَرِثَ سُليمانُ داوُدَ) (1) وقال فيما اقتص من خبر يحيي بن زكريا (فَهَب لِي مِن لَدُنكَ وَلياً ويَرِثُ مِن آل يَعقُوبَ) (2) وقال تعالي: (يُوَصيكُم اللهُ فِي أَولادِكُم لِلذَّكرِ مِثلُ حَظِ الأنثيَينِ)(3) وزعمتم أن لا إرث لي من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون أهل مكتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون (لِكُلِ نَبإٍ مُستَقَرَةٌ) (4) (و سَوفَ تَعلَمُونَ مَن يَأتِيَه عَذابٌ يُخزِيهِ ويَحُّل عَليهِ عَذابٌ مُقيمٌ) .(5)

ثم رنت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معشر البقية وأعضاد الملة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلي الله عليه وآله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة علي ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد فخطب جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض الغيبته، واكتابت خيرة الله لمصيبته، و كسفت الشمس والقمر وانتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك – والله – النازلة الكبري والمصيبة العظمي التي لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وإلحاناً، ولقبله ما حلت بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم، (وَما مُحَمَّدٌ إلَّا رسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِه الرُّسُلُ أَفَإنَ مَاتَ

1- النمل: 16

2- مريم: 5 و6

3- النساء: 11

4- الأنعام: 67

5- الزمر: 39 و 40

أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلي أعقابِكُم وَمَن يَنقَلِب عَلي عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شيئاً وسَيَجزِيَ اللهُ الشّاكِرينَ)(1) إيهاً بني قيلة، اأهضم تراث أبي وأنتم بمرأي مني ومسمع ومنتدي ومجمع، تلبسكم الدعوةو تشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة والأداة والقوة، و عندكم السلاح والجئة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، و تأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي اختيرت، والخيرة التي اختبرت لنا أهل البيت، ناوأتم العرب، وبادهتم الأمور، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، و كافحتم البهم، فلا نبرح و تبرحون، نأمر كم فتأتمرون، حتي إذا دارت بنا رحي الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت عدوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأتي حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان، بؤساً لقوم (نَكَثُوا أَيمَانَهُم وهَمُّوا بِإخراجِ الرَّسولِ وهُم بَدَؤُكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ اَتَخشَونَهُم فَاللهُ أحَقُّ أَن تَخشَوهُ إِن كُنتُم مُؤمنينَ). (2)

ألا قد أري أن قد أخلدتم إلي الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، ور كنتمإلي الدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ولفظتم الذي سوغتم، (إِن تَكفُرُوا أنتُم وَمَن فِي الأرضِ جَميعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنيٌّ حَميدٌ). (3)

ألا وقد قلت ما قلت علي معرفة مني بالخذلة التي خامر تكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس وبئة الصدر ونفثة الغيظ وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع علي الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون (وَسَيَعلَمُ

1- آل عمران: 144

2- التوبة: 13

3- إبراهيم: 8

الّذينَ ظَلَمُوا أَيَ مُنقَلَبٍ ينَقَلبُونَ) (1) وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد (اعمَلُوا عَلي مَكانَتِكُم اِنَّا عامِلُونَ) (انتَظَرُوا انَّا مُنتَظِرونَ).

ثم انكفأت وأمير المؤمنين صلوات الله عليه يتوقع رجوعها إليه، ويتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار قالت لأمير المؤمنين: يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي محافة يبتزني نحيلة أبي وبلغة ابني، لقد أجهد في خصامي، وألفيته الألد في كلامي، حتي حبستني قبلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، ولا ناصر ولا شافع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة، أضرعت خدك يوم أضعت جدك، افترست الذئاب وافترشت التراب، ما كففت قائلاً ولا أغنيت طائلاً، ليتني مت قبل منيتي ودون ذلتي، عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً، ويلاي في كل شارق، ويلاي في كل غارب، مات العمد، ووهن العضد، شكواي إلي أبي، وعدواي إلي ربي، اللهم إنك أشد قوة وحولاً وأشد بأساً وتنكيلاً.

فقال لها أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لا ويل لك بل الويل لشانئك، فنهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة وبقية النبوة، فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون و كفيلك مأمون، وما أعد لك أفضل مما قطع عنك، فاحتسبي الله. فقالت: حسبي الله و أمسكت.(2)

ولم تزل سلام الله عليها عليلة مريضة صاحبة فراش منهدة الركن يغشي عليها ساعة بعد ساعة، حتي إذا دنت منها الوفاة وجهت خلف أمير المؤمنين صلوات الله عليه من يحضره، فجاء أمير المؤمنين فأخذ رأس الزهراء ووضعه في حجره، وألقي الرداء من علي عاتقه وحل أزراره، ثم ناداها: يا فاطمة كلميني، فلم تكلمه فناداها: يا ابنة خير من وطئ الحصي كلميني، فلم تكلمه فقال: فاطمة كلميني أنا ابن عمك علي،

1- الشعراء: 227

2- الاحتجاج للطبرسي 1: 131 - 146؛ بحار الأنوار 29: 220 - 230

عند ذلك أفاقت وقالت: يا ابن العم قرب الأجل، فقال: يا فاطمة تجديه؟ قالت: أجد الموت الذي لابد منه، وفي قلبي وصايا، قال: أوصي بها تجديني وفياً إن شاء الله، فقالت: يا ابن العم أولا سألتك بالله هل رأيتني خائنة أم خالفتك منذ عاشرتك؟ قال:

حاشا لله يا بنت رسول الله، أنت أبر وأتقي، فقالت له: يا ابن العم الأولي من وصاياي أني رأيت الملائكة صوت لي نعشاً، قال: صفيه، فوصفته له. قال: أصنعه إن شاء الله، فقالت: والثانية يا ابن العم إن الرجل لا يستقيم بلا زوجة، فإذا أردت الترويج فعليك ببنت أختي أمامة، فإنها تكون لولدي الحسنين مثلي، واجعل لها يوماً وليلة ولولدي يوماً وليلة، ولا تصح في وجهيهما فإنهما يصبحان يتيمين، بالأمس فقدا جدهما واليوم يفقداني. والثالثة يا ابن العم إذا أنا قضيت نحبي غسلني وكفني ولا تدع أحداً من هؤلاء الذين ظلموني يشهد جنازتي، وادفني ليلاً إذا هدأت الأصوات ونامت العيون. ثم قضت نحبها صابرة مظلومة، فألقي أمير المؤمنين الرداء علي وجهها ودموعه تجري، عند ذلك صرخ الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة وصار كيوم مات فيه رسول الله صلي الله عليه وآله: فأقبل الناس يهرعون أفواجاً أفواجاً، واجتمعوا علي باب أمير المؤمنين حتي صاروا كعرف الفرس، فخرج إليهم أبو ذر وقال: أيها الناس انصرفوا إن الزهراء قد أخر إخراجها، ولما تناصف الليل قام أمير المؤمنين وأخذ في تجهيزها، فكان هو يغسلها، والحسن يصب الماء، والحسين يناوله الماء، وأسماء بيدها الضياء.

قالت أسماء: بينما أمير المؤمنين يغسل فاطمة إذ صاح بي: أسماء علي بالضياء، فأتيته به، فأخذ الضياء من يدي وجعل يتأمل وينظر في أضلاع الزهراء، ثم رمي الضياء من يده وجلس علي الأرض يبكي، فأقبلت عليه، قلت له: سيدي فيم بكاؤك الآن حزناً علي فاطمة؟ قال: لا يا أسماء وإن عز علي فراقها، لكن لما وضعتها علي المغتسل رأيت ضلعها مكسوراً ومتنها قد اسود من ألم السياط، وكانت تخفي علي ذلك مخافة أن يشتد بي وجدي. (1)

1- انظر خبر وفاتها عليها السلام في البحار 43: 174

في وصيته الكبري لولده الحسن عليه السلام :

في نفي الشريك وافتقار العبد إلي الله

(اعلَم يَـا بُنَيَ أَنَّه لَو كَانَ لِرَبّكَ شَـريكٌ لَاَتتكَ رُسـلُهُ ولَرَأيتَ آثارَ مُلكه وسُـلطَانِهِ ولَعَرفتَ أَفعَالَهُ وَصـفَاتِه ولَكَنَّهُ إلَهٌ واحِـدٌ كَمَا وَصَف نَفسَهُ لا يُضادُّهُ فِي مُلكِه أَحَـدٌ ولا يَزُولُ أَبـداً وَلَـم يَزَل أَوَلٌ قَبلَ الأشـيَاءَ بِلاَ اَوَّلية وَآخرٌ بَعدَ الأشـيَاءِ بِلا نَهَايَةٍ عَظُمَ عَن أَن تَثبَتَ رُبوبيَّتُهُ بِاحَاطَة قَلبٍ أو بَصَـرٍ فَـإذا عَرَفتَ ذَلـكَ فَافعـل كَما يَنبغي لِمثلَكَ أَن يَفعَلَهُ فِي صـغَرِ خَطرِه وَقِلَّة مَقـدِرَتَه وَكَثرَةِ عَجزِهِ وَعَظيمِ حاجَتِه إلي رَبِّه فِي طَلَب طاعَتِه والخَشيَة مِن عُقوبَته والشَّفَقةَ مِن سُخطَه فإنَه لَم يأمُركَ الا بِحَسنٍ وَلَم يَنهَكَ إلا عَن قَبيحٍ).(1)

الشرح: التوحيد ونفي الشريك

لأهل العلم في التدليل علي توحيد الله تعالي شأنه مسالك وطرق، بعضـها واضح وبعضـها خفي، وما خفي منها فإنما هو لابتنائه علي أمور ومسائل قد تكون دقيقة في نفسها، وقد تكون دقيقة باعتبارأن الأفهام لم تمارسها ولم تألف الدنو إليها والاقتراب منها ولا الحوم حولها.

نري الله تعالي في كتابه يقيم الدليل علي توحيده بأنه لو كان غيره الفسدت السـماوات والأرض. ونري أمير المؤمنين علي صـلوات الله علياً يستدل علي توحيد الله بأنه لو كان غيره لأتتنا رسله، و لرأينا آثار ملكه وسلطانه.

1- نهج البلاغة 3: 37، رقم 31

و نجد أرسطاطاليس (من فلاسفة اليونان) يستدل علي توحيد الله ووحدته بوحدة العالم الموجود منه.

ونجد صاحب الأسفار (من فلاسفة المسلمين) يستدل علي وحدته تعالي بوجوب وجوده و امكان وجود غيره.

وآخر يقول بأن واجب الوجود واحد، ويجب في الإله أن يكون واحداً، لاستحالة أن يكون الإله غير واجب الوجود.

والشاعر يقول:

وفي كل شيء له آية*** تدل علي أنه واحد

إلي غير ذلك من المسالك والمناهج التي تري أن بعضها أضوء وأنور من بعض، والله تعالي لا يريد أن يفرض القول بوحدانيته فرضاً بلا دليل وبلا برهان، بل يريـد أن يكون الإيمان بوحدانيته والتصديق بألوهيته دون غيره بالدليل الواضح والبرهان الجلي بصورة لا تزعزعها الشـبه ولا تزلزلها التشكيكات.

وإن مسألة التوحيد مسألة شغلت بال العالم قديماً وحديثاً، ولا تزال محل النقض والابرام بين الموحدين من المسلمين وبين غيرهم؛ بل بين المسـلمين أنفسـهم، فإن كثيراً من الفرق الإسلامية كالمجسمة والمشبهة والغالية نبوا وابتعدوا عن القول بالتوحيد؛ بل ربما انغمس في دنس الشرك من يري نفسه موحدة من حيث لا يعلم.

ففي الحديث ولو أن أحدا قال لشـيء فعله الله أو فعله رسوله صلي الله عليه وآله ألا فعل خلاف ذلك؟ أو وجد ذلك في نفسه غد مشركاً، ثم تلي قوله: (فَلاَ وَرَبِّك لا يُؤمِنونَ حَتيَ يُحكمُوكَ فِيمَا شَجَر بَيَنهُم ثُمَّ لا يَجَدوا فِي أنفُسَهم حَرَجاً مِما قَضَيتَ ويُسَلَموا تَسليماً)(1)

ولعل إلي هؤلاء يشير الله سبحانه بقوله: (ويَومَ نَحشُرُهم جَميعاً ثُمَّ نَقُولُ

1- النساء: 65

الّذينَ أشـرَكُوا أينَ شُـرَكاؤُكُمُ الّذينَ كُنتُم تَزعُمُونَ ثُمَّ لم تَكُن فتنَتُهُم إلّا أن قالُوا واللهِ ربّنا ما كُنَّا مُشرِكينَ انظُر كَيفَ كَذبُوا عَلي أنفُسِهم وَضلَّ عَنهُم ما كانُوا يَفترُونَ). (1)

فهؤلاء لا يجوز أن يكونوا ممن دخل في الشـرك صريحاً، بل من دخل فيه من حيث لا يعلم، وانغمس في حماته من حيث لا يشعر، أتي من قبل إهماله و تفريطه في أمر دينه، ولذلك لم يكن معذوراً.

ومن هنا يتبين لك أن الشرك ذو شعب متعددة وأطراف مترامية، وأن غير المتحفظ لا يأمن من الولوج فيه والدخول في بعض شعبه وأطرافه.

ونحن إذ نتقـدم للتكلم فيه إنما نتقـدم لنبري النفوس منه ونطهرها من رجسه، ونحيـد بها عن الانغماس في حماته، وعن الدنو والاقتراب من مدارجه وموالجه، والله هو المسئول للإعانة علي توضيح ذلك وإفهامه.

قد تفتن المفسرون في التعبير عن المشار إليه بقوله تعالي: (لَو كانَ فِيهِما الهَةٌ إلاَّ اللهُ لَفَسدَتا) . (2)

قال البيضاوي في معني (الفسدتا): أي السماوات والأرض لبطلتا، لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع. (3)

وقال الزمخشـري في كشافه عند ذكر الآية: لو كان يتولاهما (أي السماوات والأرض، ويدبر أمرهما آلهة شتي غير الواحد الذي هو فاطر هما لفسدتا. وفيه دلالة علي أمرين: أحدهما وجوب أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله: (إلا الله).

فإن قلت: لم وجب الأمران؟ قلت: لعلمنا أن الرغبـة تفسـد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف، وقد جاء عن عبد

1- الأنعام: 22 و 23

2- الأنبياء: 22

3- تفسير البيضاوي 4: 88

الملك بن مروان حين قتل عمر بن سعيد الأشدق، قال: كان – والله – أعز علي من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شول.

وقال صاحب مجمع البيان عند ذكر الآية: (لَوكانَ فِيهِما الهَةٌ إلَّا اللهُ لَفَسَدتَا): معناه لو كان في السماء والأرض آلهة سوي الله لفسدتا وما استقامتا، وفسد من فيهما ولم ينتظم أمرهم، وهذا هو دليل التمانع الذي بني عليه المتكلمون مسألة التوحيد. قال: وتقرير ذلك أنه لو كان مع الله سبحانه إله آخر لكانا قديمين، والقدم من أخص الصفات، والاشتراك فيه يوجب التمائل، فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين، ومن حق كل قادرين أن يصح كون أحدهما مريداً لضد ما يريده الآخر من إماتة وإحياء أو تحريك و تسكين أو إفقار وإغناء ونحو ذلك، فإذا فرضنا ذلك فلا يخلو أما أن يحصل مرادهما وذلك محال، وأما أن لا يحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين، وأما أن يقع مراد أحدهما ولا يقع مراد الآخر، فينتقض كون من لم يقع مراده قادراً، فإذاً لا يجوز أن يكون الإله إلا واحداً.(1)

تنبه إلي أن المفسرين لا يريدون الاستدلال علي التوحيد بالآية، إنما يريدون الاستدلال بالبرهان العقلي الذي أشارت إليه الآية، وإن كثيراً من الآيات تنبه إلي البراهين العقلية و تشير إليها ليؤخذ بها و يعتمد عليها.

وكان الله سبحانه يريد أن يدعم الحق ويثبته ويجعله محكماً قاراً باقامة الأدلة والبراهين عليه من ناحيتي العقل والنقل، يريد أن يستعمل الإنسان عقله ويستر شده – و هو رسوله الباطني – كما يسترشد الأنبياء والرسل، ويجتمع به كما يجتمع بهم في مهمات مسائله ومعاضل أحكامه. لا يريد الله أن يفرض علي الإنسان فيما يرجع إلي أصول دينه وحقائق عقيدته الأمر فرضاً، ويجبره علي العلم والاعتقاد إجباراً، علماً منه

1- مجمع البيان للطبرسي 7: 80

سبحانه أن الاعتقاد من الأفعال القلبيـة، والقلب لا تجبر علي شـيء من فعله. يريد الله بالإنسان أن يمشـي علي بينة ويسـير علي ضوء، ولا يحكم إلا بدليل وبرهان، وذلك شأن الدين الحق وهو الهادي إليه.

إن محل الشاهـد وموضع القصد من هذا الكلام الجملة الأولي من كلام أمير المؤمنين صـلوات الله عليه وإنما أتينا بهذه الفقرة لما فيها من الارتباط بهـذا القصـد من توجيه القلب وأخـذه بالموعظة ليحرص علي الاسـتفادة منه، وهو كلام واضح في الدلالة علي توحيد الله تعالي. أجل لو كان الله سـبحانه شـريك لوجب في ذلك الشـريك أن يكون عالماً حكيماً، إذ لا يجوز في الإله المستحق للعبودية أن يكون جاهلاً سفيهاً، فإن الجاهل السـفيه يسـتحق الطرد والأبعاد والاهانـة والتحقير، إذاً لا بـد أن يكون عالماً حكيماً، والعلم والحكمة تقتضـي أن يبعث للناس رسولاً يدعوهم إليه ويدلهم عليه، وإلا لانتفي عنه العلم وبطلت الحكمة، ولو بعث رسلاً لأتتنا ودلتنا وأرشدتنا.

وحيث أنه لم يأتنا عن غير الله رسول فلا رسول، وإذ لا رسول لغير الله فلا مرسيل غير الله، ولا إله سوي الله.

وهذا معني قوله صـلوات الله عليه: لو كان لربك شـريك لأتتنا سلهه فإن إتيان الرسل لازم، وانتفاء اللازم يستدعي انتفاء الملزوم. ومثله قوله صلوات الله عليه: ولرأيت آثار ملكه وسـلطانه ، فإنه لو كان الله شـريك لكان عالماً حكيماً قادراً، ولو كان كذلك لكان له ملك وسلطان، ولو كان له ملك وسلطان لرأينا آثار ملكه وسلطانه، ولما انتفت هذه اللوازم كلها انتفي ملزومها، وإلا لوجب الملزوم بلا لازمه، وهو محال.

وكذلك قوله صـلوات الله عليه: ولعرفت أفعاله وصـفاته، فإنه لو كان لله شـريك لكان له أفعال وصفات، قضاء لحق العلم والحكمة والقدرة، ولو كانت

لعرفناها لوجوب ظهورها، ولكن لا نعرف خالقاً غير الله ولا مـدبراً لهـذا الكون سوي الله، وانتفاء المعرفة عن غير أفعال الله يدل علي انتفاء غير الله.

قوله صلوات الله عليه: ولكنه إله واحد كما وصف نفسه .

لقد اسـتفاضت الآيات القرآنية بالنص علي التوحيد، ويكاد أن يكون القسم الأوفر من بين الآيات، ويكفيك منها أمره تعالي نبيه نبي الرحمة أن يقول:(قُل هُو اللهُ أحَدٌ) و (هُوَ اللهُ الواحِدُ القَهَارُ).

قوله صلوات الله عليه: لا يضاده في ملكه أحد.

إمكان المضادة في الملك فرع الكفاءة والمقدرة بين الإلهين المتصور تقارنهما، وإذ قامت عندنا البراهين القاطعة علي نفي الشـريك، فليس هناك من يضاده أو ينازعه في الملك.

حقوق الله وأداء الواجب:

قوله صـلوات الله عليه: اعظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصـره لأن المثبت بالقلب يسـتدعي أن يكون محاطاً به، والإدراك بالبصـر يستلزم كون المرئي جسماً، ومقام الرب سبحانه فوق كلهذه التصورات.

قوله صلوات الله عليه: فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره، وقلة مقدرته، وكثرة عجزه، وعظيم حاجته إلي ربه، في طلب طاعته، والخشية من عقوبته، والشفقة من سخطه، فإنه لم يأمرك إلا بحسن، ولم ينهك إلا عن قبيح.

أخـذ صـلوات الله عليه يعـدد وجوه حاجـة ولـده المحبوب إلي المولي سـبحانه، ومـا يجب أن يكون مثله من الحـال من الطاعـة والتحلي بالصفات الفاضلة، ومكارم الأخلاق، ومن أهمها معرفة أداء الواجب نحو خالقه ونحو المخلوق.

فإن أداء الواجب بالغ الخطورة عظيم الشأن، يتطلب من العزيمة أن تكون علي

أتمها، إذ في أداء الواجب مجاهـدة للنفس الأمارة بالسوء أي مجاهـدة، ومغالبـة لها أي مغالبـة، فمن لم يرزق جلـد العزيمة ومضاءها فلن يستطيع مع أداء الواجب صبراً.

وأداء الواجب علي وجه الدقـة كلمـة تحمل بين جنبيها جمعاً من الفضائل، فهي في الحقيقة أم الفضـيلة الولود. أليس من الواجب أن تعرف حقوقـك فتطلبهـا من مظانها، وتعرف حقوق غيرك عليك فتؤديها علي وجهها، وماذا بعـد ذلك من الفضائل لا يتصل بنسب إلي حق لك أو حق عليك.

إن الأمم لتترقي شؤونها الاجتماعية ومدنيتها الخلقية بمقدار رقي هذه الفضيلة: فضيلة أداء الواجب في نفوس أناسها، فإنه إن طويت الضلوع علي هذه الفضيلة فقد ضعف الخلاف بين الفرد والفرد، و متي تم ذلك فقد قويت الأواصر بين الطبقة وأختها، ومتي التقت طبقات الأمة فلا عـادي ولاـ معـدو عليه، فهي واصـلة إلي غايتهـا التي لا غايـة وراءها في مدنيـة الخلق والاجتماع، وما حاجـة الأمـة حينئـذ إلي التقاضـي والتشاكي؟ وذلك هو المثل الأعلي الذي يتوخاه الإمام علي صلوات الله عليه لحياة الأمم .

ما هي الواجبات

من أجـل ذلـك وجب أن نبين للنـاس مـا هو واجب لهم ومـا هو واجب عليهم، رضوا أم غضـبوا، كرهوا أم أحبوا (لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِنَةٍ ويَحيي مَن حَيَّ عَن بَيِنَةٍ). (1)

1- معرفة الله تعالي

معرفة يصح بها الاعتقاد، فيكون علي بصيرة من ربه، ويعرف معني كلمة التوحيد التي جاء بها الأنبياء من لدن آدم إلي خاتمهم محمد صلي الله عليه وآله، بالتبشير بها وإيقاظ العقل البشري للايمان بقوتها و آثارها في الكون، وأن كل ما عداها زيغ وبهتان مبين.

1- الأنفال: 42

2_ أوامر الدين ونواهيه:

إن لكل دين من الأديان تكاليف وواجبات تكفل حفظ مظهره وتبسط سلطانه في الناس، وإن أوامر الدين الإسلامي من صلاة وصيام وحج وزكاة وما إلي ذلك ما هي إلا أعلام خفاقة تهوي إليها النفوس، وتنتظم القلوب فتلبسها ثوب الدين، وتعصمها من الشرور، فتكون جنود الله في الأرض تعبده وتأخذ نفسها بمرضاته.

وإذا كان كل من ينتسب إلي عظيم أو زعيم يحمل شارته ويفاخر الناس بنبالته، فما أجدر المسلم أن يكون سمات الإسلام أظهر شيء لديه، ثم هي طهارة للنفوس وتهيئة لها للكمال.

فالصلاة تغسل أدران الشيطان من نفس الإنسان، وتعوده الخير والتواضع، وتحول بينه وبين المحظورات، وكذلك بقية التكاليف تذكر الإنسان بعظمة ربه،وترسم أمام ناظريه الحلال والحرام، فيعرف ما يأخذ وما يدع. وليس هناك دين من غير عمل، فالمسلمون القائمون باسم الإسلام دون العمل بأوامره منعوا أنفسهم موارد السعادة، ومكتوالغريزة النفس الجامحة أن تتغلب علي عقولهم، إذ لا تجد من جنود الدين الروحية حاجزاً، وحرمت قائداً حكيماً يهديها سواء السبيل.

3- مجاهدة النفس،

ويا لله من مجاهدة النفوس، ولن يقدر علي ذلك إلا أولو العزم وذوو النفوس المسلمة حقاً، من أجل ذلك عدها النبي صلي الله عليه وآله أكبر عند الله من خدمة الإسلام بحد السيف، فقال بعد أن عاد من إحدي غزواته: رجعنا من الجهاد الأصغر إلي الجهاد الأكبر(1) ، ومغالبة النفس إنما تصدر عن قوة الإرادة والإخلاص لله.

4- العناية الدينية:

من الحتم علي المسلم أن يحوط دينه بعنايته، ويرد هجمات العدو عنه، وهذه جيوش المبشرين من أوربيين وأمريكان تغزو

1- البحار للمجلسي 67: 71 ح 21، نقلاً عن جامع الأخبار: 118

دين الإسـلام باسم الانسانية والعلم ومعالجة المرضي، فيتخذون سذاجة الطفل سبيلاً إلي محو دينه وإدخال العقائد المسيحية عليه بصنوف الحيل وألوان الإغراء، ويستضـعفون المرضـي المساكين الـذين استسـلموا بسـبب قسوة المرض، فلا يعالجونهم إلا أن يسـقوهم مع الدواء التثليث.

5- الأخوة الإسلامية

وحمية الدين لمناصـرة المسـلمين وإن بعدت ديارهم وتباينت أوطانهم، (إِنَّمَاالمُؤمنُونَ إِخوةٌ) (1)والرسول الكريم كـأنه كان ينظر بنور الله إلي تاريخ المسـلمين في مسـتقبلهم إلي أن تقوم الساعة، فخاف عليهم أن يكون بأسـهم بينهم شديداً، وأن تكون قلوبهم شتي، وكان يوجس خيفـة كلما ج الحـديث مع أصـحابه إلي الرابطـة الإسـلامية، فيوصـيهم بالأخوة من حين لآخر فيقول: المسـلم أخو المسـلم،(2) ويقول: المسلمون أخوة تتكافأ دماؤهم، يسعي بذمتهم أدناهم، وهم يد علي من سواهم.(3)

1- الحجرات: 10

2- سنن الترمذي 3: 218ح 1992، سنن ابن ماجة 1: 685 ح 22119

3- الكافي للكليني 1: 402/ح 1 و 2

ومن وصيته عليه السلام للحسن والحسين عليهاالسلام : لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

وفيها يوصي بالتقوي ونظم الأمر والاهتمام بفروع الدين

(أُوصيكُما بتقوَي اللَّه والّا تَبغيَا الدُّنيا وان بَغَتكمَا ولا تأسَفا عَلي شَيء مِنها زُويَ عَنكُما وقُولا بالحَقِ وأعمَلَا للاَجرِ وكونا للظّالِمَ خَصماً وللمظلُومِ أُوصِيكُمَا وجَميعَ وَلَدي وأهلي وَمَن بَلَغهُ كِتابِي بِتقوَي الله وَنَظمِ أَمرِكُم وَصَلاحِ ذاتِ بَينَكُم فَإنِّي سَمِعتُ جَدَّكُمَا صلي الله عليه وآله يَقُولُ صَلاحُ ذاتِ البَينِ أفضَلُ مِن عامَةِإلصَّلاة والصِّيامِ الله الله فِي الأيتَامَ فلاَ تُغُبُوا أفوَاهَهُم ولا يَضيعُوا بحَضرَتكم والله الله فِي جَيرانكُم فإنهُم وَصَّيةُ نَبيّكُم مَا زالَ يُوصِي بِهم حَتي ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُورِثُهُم والله الله في القُرانِ لإسَبقُكُم بالعَمَل به غَيرُكُم والله الله في الصَّلاةِ فإنَّها عَمُودُ دينكُم واللَه اللهَ في بَيت ربّكُم لا تُخَلُّو مَا بَقيتُم فإنَّه إن تُرِكَ لم تَناظَرُوا والله الله في الجِهادِ بِأموَالَكُم وأنفُسَكُم وألسنَتكُم في سَبيلِ اللهِ وعَليكُم بالتَّواصُل والتبَاذُل وإيَّاكُم والتَّدابرَ والتَقاطُعَ لا تَترُكُوا المرَ بالمَعرُف وانَّهي عَنِ المُنكَر فَيُولي عَليكُم شَرارَكُم ثُمَّ تَدعُونَ فلا يستَجابُ لَكُم.

ثُمَّ قالَ يا بَني عَبد المُطَلِب لا الفيَنَّكُم تخوُضونَ دماءَ المسلِمينَ خَوضاً تَقولونَ قُتِلَ اميرُ المومنينَ الا لا تقتُلُنَّ بي الا قاتِلي انظُرُوا اذا انَّا متُ من ضَرَبتَه هذه فاضرُبوهُ ضَربَةٍ بضَربَةٍ تُمثَلوا بالرَّجُل فَإني سَمِعتُ رَسول الله صلي الله عليه وآله يَقولُ إيَّاكُم والمُثلة ولَو بالكَلَب العَقُورَ).

(شرح ابن أبي الحديد مج 4، ص 111، ط 1)

الشرح:

هذه وصية عامة لأهل بيته وغيرهم من المسلمين، نظمها في اثنتي عشرة مادة وقدم عليها وصية خاصة لولديه الحسن والحسين عليهماالسلام في ست مواد تالية:

1- ملازمة التقوي 2- ترك طلب الـدنيا وإن أقبلت 3- ترك التأسف علي فوت أمور الـدنيا مهما كانت 4- ملازمة القول بالحق 5- العمل للثواب وإدراك أجر الآخرة 6 - الخصومة مع الظالم وعون المظلوم للدفاع عنه.

وأما وصاياه العامة:

التقوي:

1- ملازمـة التقوي: وهي فضـيلة أراد بها القرآن إحكام ما بين الإنسان والخلق، وإحكام ما بين الإنسان وخالقه، ولـذلك تدور هذه الكلمة ومشـتقاتها في أكثر آيـات القرآن الأخلاقيـة والاجتماعيـة، والمراد بهـا أن يتقي الإنسـان ما يغضب ربه وما فيه ضـرر لنفسه أو ضـرار لغيره. فالتقوي في أصل معناها جعل النفس في وقاية، ولا تجعل النفس في وقاية إلا بالنسبة لما يخاف، فخوف الله أصلها، والخوف يستدعي العلم بالمخوف، ومن هنا كان الذي يعلم بالله هو الذي يخشاه، و كان الذي يخشاه هو الذي يتقيه.

فالمتقون هم الـذي يقون أنفسـهم عذاب الله وسـخطه في الدنيا والآخرة، وذلك بالوقوف عند حدوده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهو لا يأمر إلا بما فيه خير للإنسانية، ولا ينهي إلا عما يضرها.

عني القرآن بالتقوي عناية كبري، وأكثر من الأمر وتوجيه النفوس إليها، وكانت له في ذلك أساليب مختلفة.

أمربتقوي الله: (يـا أَيُّهـا الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ حَقَ تُقاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلا وانتُم مُسـلمونَ).(1) وذلك يكون بالتوجيه إلي الله وحـده في العبادة، واجتناب ما يأباه من الشرك ودعوي النبوة له والخروج عن شرائعه وأحكامه العادلة.

ووصف القرآن التقوي بأنها صيانة النفس عن كل ما يضر ويؤذي،

1- آل عمران: 102

سواء كـان متصـلاً بهـا أم بجميع الخلق، والابتعاد عن كل ما يحول بين الإنسان والغابات النبيلـة التي بها كماله في جسـمه وروحه، ولهـذا وصف الله المتقين بأنهم من تحلوا بالفضائل الانسانية الحقة، قال الله تعالي: (لَيسَ البِرَّ أَن تُولوا وُجُوهَكُم قَبل المَشرق والمَغرب وَلكنَّ البِرَّ مَن آمَنَ بـالله واليَوم الآـخِر والملائكـة والكتـابِ والنَبيّينَ واتي المالَ عَلي حُبَّه ذَوِي القُربي واليَتامي والمَساكينَ وأبنَ السَبيلَ والسَّائلينَ وفِي الرقاب وأقام الصَّلاة وآتَي الزَّكاة والمُوفونَ بعَهـدهم إذا عاهـدوا والصَّابرينَ في البأَساءَ والضَّراء وحينَ البَأسِ أولئكَ الَّذين صـدقُوا وأولئكَ هُمُ المُتَّقون). (1) فالمتصفون بهذه الصفات السامية هم الذين وصفهم الله بصفة التقوي. ولا تقتصر التقوي في القرآن علي هذه الصفات، بل يضاف إليها الصفات التالية:

فالعدل من التقوي، قال الله تعالي:(اعدِلوا هُوَ أَقرَبُ لِلتَقوي).(2)

والعفو من التقوي أيضاً، قال الله تعلي: (وَأن تَعفوُا أَقرَبُ للتَقوَي) .(3)

والاستقامة مع الأعداء هي من التقوي (فَمَا استقَامُوا لَكم فاستَقيمُوا لَهُم إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقينَ).(4)

ثمرات التقوي:

ذكر القرآن أن التقوي تجعـل الإنسـان في أمن من الخوف والحزن يوم القيامـة،والنصـر والتوفيق في هـذه الحيـاة (اَلا إنَّ أولياءَ اللهِ لا خَوفٌ عَليهِم وَلا هُم يَحزَنونَ الَّذينَ آمَنوا وكانُوا يَتَقونَ لهُمُ البُشري فِي الحيَاة الدُّنيا وفِي الآخرةِ).(5)

1- البقرة: 177

2- المائدة:8

3- البقرة: 237

4- التوبة: 7

5- يونس: 62 - 64

ومن ثمراتها الشواب العظيم والتعليم في الآخرة (للّذينَ أتّقُوا عِندَ رَبهم جَناتٌ تَجري مِن تَحتَها الأنهارُ) .(1)

ومن ثمراتها أيضاً نيل رحمة الله، قال الله تعالي: (ورَحمَتي وسِعَت كُلَّ شَيءٍ فَسأكتُبُها للَّذين يَتقونَ ويُؤتونَ الزَّكاةَ وَالَّذينَ هُم بِاياتنا يؤمنونَ).(2)

ويـذكرها القرآن في معرض تفريـج الأزمـات وحل المشـكلات (ومَن يَتَق الله يَجعَل لَه مَخرجاً ويَرزُقْهُ مِن حَيثُ لا يَحتسبُ).(3) ويقول سبحانه: (وَ مَن يَتَّقِ اللهَ يَجعَل لَه مِن امرهِ يُسراً).(4)

وفي معرض النصر والتأييد (انَّ الأُرضَ للهُ يُورثُها مَن يَشاء من عبادِه والعاقَبة للمُتقينَ). (5)

وفي معرض تنوير البصـيرة (يـا أيُّها الَّذينَ آمَنوا إن تَتَّقُوا الله يَجعَل لَكُم فُرقاناً).(6) فالفرقان مايفرق به بين شـيئين ملتبسين أو أشياء مشتبهة، فثمرة التقوي هي نور البصيرة الذي يفرق بين الحق والباطل، واختيار طريقة النجاة.

هذه هي التقوي وصـفات المتقين وثمرتها في الأفراد والجماعات، لهذا ليس بمستغرب أن يوليها القرآن عناية فائقة ويدعو إليها كما جاء في هذه الآية البليغة والتي تدل علي عمق الروحية الإسلامية، (وَتَزَوَدُوا فَإنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوي).(7)

ولو أن العالـم عرف التقوي وقام بواجبها لا نطفأت ثورة الشر، وساد السلام في ربوعه.

1- آل عمران: 15

2- الأعراف: 156

3- الطلاق: 2 و3

4- الطلاق:4

5- الأعراف: 128

6- الأنفال: 29

7- البقرة: 197

2- من وصاياه العامة صلوات الله عليه:

التزام النظم في كل الأمور، فإن عدم رعاية النظم يوجب عدم الوصول إلي المآرب والحوائج.

إصلاح ذات البين:

3- إصلاح ذات البين، وترك الخصومة والنزاع والنفاق.

فالاصلاح بين الناس صفة من أرفع الخصال في النفس الإنسانية التي لا تصدر إلا من قلوب نبيلة أحبت الغير وسعت إلي الدفاع عنه. وهل مثل الإصلاح بين الناس يؤتي من خير ونفع للمجتمع، والذي يجعل الناس وحدة تسعي لبعضها البعض، لهذا أمر الله به بعد أن وصف الرباط بين المؤمنين وهو الأخوة الدينية بقوله:(إنَّما المُؤمنونَ إخوَةٌ فَأصلَحُوا بَينَ أخَويكُم).(1)

ودعا إلي الإصلاح بين طوائف المؤمنين (وإنَّ طائفتانِ مِن المُؤمنينَ اقتَتَلوا فَأصلَحُوا بَينها).(2) ودعا إلي الإصلاح بين الزوجين (وَإن خَفتُم شِقاقَ بَينِهِما فَابعثُوا حَكَماً مِن أهلهِ وَ حَكماً مِن أهلِها إن يُريدا إصلاحاً يُوفَقِ الله بَينَهُما).(3)

وبين الله ثواب الاصلاح بين الناس بهذه الآية البليغة(لا خَيرَ في كثيرٍ مِن نَجوهُم إلا مَن أمَرَ بِصَدقَة أَو مَعروفٍ أو إِصلاحٍ بَينَ النَّاسِ ومَن يَفعَلِ ذلكَ ابتغاءَ مَرضاتِ الله فَسَوفَ نُؤتيه أَجراً عَظيماً) (4)

والمعني: أن كثيراً من التناجي بين الناس لا خير فيه لما يحصل به كثير من الاثم، مما يغتاب به الغير والطعن فيه، أو مما يحاك به من المؤامرات ضد أفراد معينين

1- الحجرات: 10

2- الحجرات: 9

3- النساء: 35

4- النساء: 114

يسبقونهم في السلطة والنفوذ بقصد الاستعلاء عليهم، ثم حدد القرآن السبيل الذي يجب أن يسلكه الناس في تناجيهم، وهو تأمين حاجات الطبقة الفقيرة والأمر بالخير والاحسان والاصلاح بين الناس، ومن يفعل هذه الأعمال لوجه الله وطلب مرضاته فإن الله سيؤتيه الثواب العظيم والأجر الجزيل.

هذا النص القرآني يحمل أروع معاني السمو الخلقي الذي تفتقر إليه الجماعة للحصول علي الاستقرار الذي تنشده.

وإن الإنسانية اليوم لم تكثر فيها البلبلة والتنازع إلا بإغفالها العمل بهذه التعاليم السامية.

وبالتالي قال رسول الله صلي الله عليه وآله: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، (1) ووجه الأفضلية هنا واضح، فإن أهم المطالب للشارع صلي الله عليه وآله جمع الخلق علي سلوك سبيل الله وانتظامهم في سلك دينه، ولن يتم ذلك مع تنازعهم وتنافر طباعهم وثوران الفتنة بينهم، فكان صلاح ذات البين مما لا يتم أهم مطالب الشارع إلا به، وهذا المعني غير موجود في الصلاة والصيام الإمكان المطلوب المذكور بدونهما، فتحققت أفضليته من هذه الجهة.

رعاية الأيتام :

4- في حفظ مالهم وتربيتهم في قوله صلوات الله عليه: الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم.

قال ابن أبي الحديد: والظاهر أنه لا يعني بالأيتام الذين لهم مال تحت أيدي أوصيائهم، لأن الأوصياء أولئك محرم عليهم أن يصيبوا من أموال اليتامي إلا القدر النزر جدا عند الضرورة، ثم يقضونه مع التمكن، ومن هذه حاله لا يحسن أن يقال له لا تغبوا أفواه أيتامكم، وإنما الأظهر أنه يعني الذين مات آباؤهم وهم فقراء، يتعين

1- نهج البلاغة 2: 76، الرقم 47، أمالي الطوسي: 522/ ح1153

مواساتهم ويقبح القعود عنهم كما قال تعالي:(ويُطعِمونَ الطَعامَ عَلي حُبه مِسكيناً ويَتيماً وأسيراً)(1) واليتيم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم؛ لأن الآباء من البهائم لا عناية لهم بالأولاد بل العناية للأم لأنها الرحيمة المشفقة، وأما الناس فإن الأب هو الكافل القيم بنفقة الولد، فإذا مات وصل الضرر إليه لفقد كافله، والأم بمعزل عن ذلك، (2) وما ينسب لأمير المؤمنين صلوات الله عليه:

ما إن تأوهت من شيء رزئت به*** كما تأوهت للأيتام في الصغر

قد مات والدهم من كان يكفلهم*** في النائبات وفي الأسفار والحضر(3)

ولا يسمي الصبي يتيماً إلا إذا كان دون البلوغ، فإذا بلغ زال اسم اليتيم عنه، واليتامي أحد الأصناف الذين عينوا في الخمس بنص الكتاب العزيز.

لرعاية الجيران:

5- رعاية الجيران في قوله صلوات الله عليه: والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتي ظننا أنه سيورثهما.

فإن الجار بمنزلة الملتجأ المأمون بالنسبة إلي جاره، ومن حقه كف السوء عنه والاحسان إليه والاعانة بالنسبة إليه.

وحق الجوار قريب من حق الرحم، إذ الجوار يقتضي حقاً وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام، فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة، فمن قصر في حقه عداوة أو بخلا فهو آثم، قال رسول الله صلي الله عليه وآله: الجيران ثلاثة: فمنهم من له ثلاثة حقوق: حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة ومنهم من له حقان: حق الإسلام وحق الجوار، ومنهم من له حق واحد: الكافر

1- الإنسان: 8

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 17: 7

3- مناقب ابن شهر آشوب 2: 159

له حق الجوار(1) فانظر كيف أثبت للكافر حق الجوار. وقال صلي الله عليه وآله: لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه (2) وقيل له: فلانة تصوم الناهر وتقوم الليل و تتصدق وتؤذي جارها بلسانها، فقال صلي الله عليه وآله : لا خير فيها، هي من أهل النار.(3)

وعن علي صلوات الله عليه أن رسول الله صلي الله عليه وآله كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم(4) وحرمة الجار علي الجار كحرمة أمه، وقال الإمام الصادق عليه السلام: حسن الجوار زيادة في الأعمار وعمارة في الديار،(5) وقال: ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره(6) وقال عليه السلام : علي قال رسول الله صلي الله عليه وآله: ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع(7) وقال: إن يعقوب عليه السلام لما ذهب عنه بنيامين نادي: يا رب أما ترحمني، أذهبت عيني وأذهبت ابني؟ فأوحي الله تبارك وتعالي إليه: لو أمتهما لأحيتهما لك حتي أجمع بينك وبينهما، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت، وفلان إلي جانبك صائم لم تنله منها شيئاً.(8) وفي رواية أخري: فكان بعد ذلك يعقوب ينادي مناديه كل غداة ومساء من منزله علي فرسخ: ألا من أراد الغداء أو العشاء فليأت إلي يعقوب (9) وفي بعض الأخبار: أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول: سل يا رب هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني؟ (10)

1- روضة الواعظين للفتال النيسابوري: 389

2- الكافي للكليني 2: 668/ ح 1

3- مشكاة الأنوار للطبرسي: 375

4- الكافي للكليني 2: 666/ ح 2

5- المصدر السابق: ح7

6- المصدر السابق: ح 11

7- المصدر السابق: ح 14

8- المصدر السابق: ح 4

9- المصدر السابق: ح 5

10- كنز العمال 9: 57/ ح 24930، الدر المنثور للسيوطي 5: 248

وقال صـلي الله عليه وآله: جار السوء في دار المقامة قاصـمة الظهر، وعنه صلي الله عليه وآله: من جهد البلاء جار سوء معك في دار مقامة، إن رأي حسنة دفنها، وإن رأي سيئة أذاعها وأفشاها، (1) ومن أدعيتهم: اللهم إني أعوذ بك من مال يكون علي فتنة، ومن ولد يكون علي كلاً، ومن حليلة تقرب الشيب، ومن جار تراني عيناه وترعاني أذناه، إن رأي خيراً دفنه، وإن سمع شراً طار به.(2)

حدود الجوار وحقه:

معرفـة الجوار موكولـة إلي العرف، فأي دار يطلق عليها الجار عرفاً يلزم مراعاة حقوق أهلها، والمسـتفاد من بعض الأخبار أن كل أربعين داراً من كل واحـد من الجوانب الأربعـة جيران، ثم لا ينحصـر حق الجار في مجرد كف الأذي، إذ ذلك يسـتحقه كل أحـد، بل لا بد من الرفق وإهداء الخير والمعروف و تشـريكه فيما يملكه ويحتاج له من المطاعم، وينبغي أن يبدأه بالسلام، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويصـفح عن زلاته، ويستر ما اطلع عليه من عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع علي جداره، ويغض بصره عن حرمه ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، إلي غير ذلك مما نديت إليه الشريعة الغراء .

الاهتمام بالقرآن:

6- وصيته بملازمة القرآن تعليماً وتعلماً، وملازمة العمل به وبأحكامه، كما في قوله صلوات الله عليه:

والله الله في القرآن لا ـ يسـبقكم بالعمل به غيركم، وقـد حـذر من المسامحـة في ذلك إلي حيث يسـبق غير المسـلمين بأحكام العامـة من الصدق والتعاون والجد في العمل، حتي تقدموا علي المسلمين في كثير من الأمور.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 8:17

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 8:17

الاهتمام بالصلاة :

7_ الوصية بملازمة الصلاة في قوله صلوات الله عليه: والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم.

ذلك أن الصلاة عمود الدين وملاك تربية المسلمين وجمعهم و تأليف قلوبهم ووحدتهم، وأنها بتمام شروطها سبب لحصول أنوار في القلب، تكون الأنوار مفاتيح للعلوم الباطنة، وإنما يفيض منها علي كل مصل علي قدر صفائه من كدورات الدنيا، ويختلف ذلك بالقلة والكثرة والقوة والضعف والجلاء والخفاء، ويختلف أيضاً بما ينكشف من العلوم، فينكشف لبعضهم من صفات الله وجلاله، ولبعضهم من عجائب أفعاله، ولبعضهم دقائق علوم المعاملة، ولبعضهم غير ذلك، وأولي بالظهور والأفاضة لكل شخص ما يهمه ويكون في طلبه، وإلي ما ذكرنا من ترتب الافاضات العلوية علي الصلاة الخالصة لوجه الله المؤداة بالشروط المذكورة أشار النبي صلي الله عليه وآله بقوله: «إن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده، وواجهه بوجهه، وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلي الهواء، يصلون بصلاته، ويؤمنون علي دعائه، وإن المصلي لينشر عليه البر من أعنان السماء إلي مفرق رأسه، ويناديه منادٍ: لو علم المصلي من يناجي ما التفت، وإن أبواب السماء تفتح للمصلين، وإن الله يباهي ملائكته بصدق المصلي .(1)

فإن رفع الحجاب وفتح أبواب السماء كناية عن إفاضة العلوم الباطنة عليه.

وورد في التوراة:

يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصلياً باكياً، فأنا الله الذي اقتربت من قلبك، وبالغيب رأيت نوري. (2)

1- جامع السعادات للنراقي 3: 287

2- المصدر السابق

وورد أن العبد إذا صلي ركعتين عجبت منه عشرة صفوف من الملائكة، كل صف منهم عشرة آلاف، وباهي الله به مائة ألف.(1)

وذلك لأن العبد جمع في الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود والذكر باللسان وغير ذلك، وليس لملك من الملائكة هذا النوع من العبادة الجامعة بين الكل، بل هذهالأفعال موزعة عليهم، فبعضهم قائمون لا يركعون إلي يوم القيامة، وبعضهم ساجدون لا يرفعون إلي يوم القيامة، وهكذا الراكعون والقاعدون، فإن ما أعطي الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم، مستمر علي حالة واحدة لا تزيد ولا تنقص، وليس لهم مرتبة الترقي من درجة إلي أخري،وباب المزيد مسدود عليهم، ولذلك قالوا:(وَمَا مِنَّا إِلَّا لَه مَقامٌ مَعلومٌ) (2) بخلاف الإنسان فإن له الترقي في الدرجات والتقلب في أطوار الكمالات، ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلاة، قال الله سبحانه: (قَد أفلَحَ المُؤمنونَ الَّذين هُم في صَلاتِهِم خاشِعونَ) (3) فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع،ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضاً فقال في آخرها: (والَّذينَ هُم عَلي صَلاتِهِم يحافِظونَ) (4) ثم قال في ثمرة تلك الصفات: (أولئكَ هُمُ الوَارِثونَ الَّذينَ يَرِثُونَ الفِردُوسَ هُم فيها خالِدونَ)(5) فوصفهم بالفلاح أولاً، وبوراثة الفردوس آخراً، فالمصلون هم ورثة الفردوس، وورثة الفردوس هم المشاهدون لنور الله بقربه ودنوه بالقلب، و كل عاقل يعلم أن مجرد حركة اللسان والجوارح مع غفلة القلب لا تنتهي درجته إلي هذا الحد.

1- المصدر السابق.

2- الصافات: 164

3- المؤمنون: 1 و 2

4- المؤمنون: 9-11

5- المؤمنون: 9-11

شعيرة الحج:

8_ الوصية بملازمة إقامة شعائر الحج في قوله صلوات الله عليه: والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظرواه .

ذلك ليجتمع جميع المسلمين في هذا المعبد الإسلامي العام، فيتعارفون ويتعاونون ويشد بعضهم أزر بعض، فإن الحج عمود الاجتماع الإسلامي، فلو ترك تنثلم الوحدة الإسلامية ولا يناظر المسلمون.

الحج في الشرع الإسلامي قصد البيت الحرام بمكة للعبادة، والحج من الشئون الدينية التي كانت تعرف من لدن أقدم العصور عند جميع الأمم.

وكان العرب قبل الإسلام – كسائر الأمم – يحجون إلي البيت الحرام الذي بناه إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام في مكة.

فلما جاء الإسلام أقر الحج، ولكنه لم يدعه علي ما كان عليه في عهد الجاهلية، فإن العرب كانوا يطوفون بالبيت الحرام عراة الأجساد مشبكين بين أصابعهم يصفرون ويصفقون، وقد سجل الله عليهم هذه الحالة، فقال مستهزئاً بهم:(وَما كَانَ صَلاتُهُم عِندَ البَيتِ إلا مُكاءً وتَصدِيَةً) (1) كما أنه لما قوي الإسلام أمر الرسول صلي الله عليه وآله أن لا يدخل البيت الحرام عريان.

قصة بناء الكعبة:

الكعبة هي الموطن الأساسي لأداء فريضة الحج، لذا يجدر بنا أن نلم بقصة بنائها:

إن بناء الكعبة يرجع إلي عصر إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد فشت عبادة الأصنام في ذلك الزمن وهجر الناس عبادة الله، فهاجر إبراهيم من بلاد الشام موطن آبائه وأجداده ومعه زوجه هاجر وولده إسماعيل، واتجه جنوباً حتي حط رحله في بادية الحجاز بعيداً عن الناس، ليكون أسرة تعبد الله وحده.

1- الأنفال: 35

وعندما شب إسماعيل وبلغ أشده أمر الله تعالي إبراهيم أن يقيم مصلي لتجتمع حوله الناس لعبادة الله ولذكره وشكره علي ما أنعم عليهم، وقد ذكر الله ذلك الحادث بقوله:(وَ إذ يَرفَعُ إبراهِيمَ القَواعِد مِن الَبيتُ وإسماعِيلُ ربَّنا تَقَبَّل منَّا إنَّك أنتَ السَّميعُ العَليمُ). (1)

فلما أتم إبراهيم البناء مع ابنه إسماعيل أمرهما الله أن يحافظا عليه وبعدا عنه كل رجس، سواء كان مادياً – كالأقذار – أم معنوياً كالاشراك بالله، قال الله تعالي:(وَعَهِدنا إلي إبراهِيمَ وإسماعِيلَ أَن طَهِرا بَيتيَلِلطائفيينَ والعاكِفينَ والرَّكعَ السُّجودِ) (2) فالكعبة هي أول بيت وضع للناس لعبادة الله وحده، كما يقول الله تعالي:(إنَّ أَوَّل بَيتٍ وُضِعَ للنَّاسِ للَّذي ببَكَّة مباركاً وهُدىً لِلعالَمينَ فِيه آياتٌ بَيناتٌ مَقام إبراهيمَ وَمَن دَخَله كانَ آمِنا) .(3)

مات إبراهيم وتبعه إسماعيل عليها السلام، وطال الزمن فأدخل الناس في أمور الحج أشياء منكرة من الشرك وعبادة الأصنام، لهذا بعث الله محمداً صلي الله عليه السلام للقضاء علي الشرك، وللرجوع إلي توحيد الله كما دعا إليه إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالي مخاطباً أمة محمداً صلي الله عليه وآله:(هُوَ اجتَباكُم ومَا جَعَل عَليكُم في الدّينِ مِن حَرجٍ مِلَّةَ أبيكُم إبراهيمَ هوسَماكُم المُسلمينَ مِن قَبلُ) (4) فالإسلام يعتبر الحج وسيلة لا غاية لتحقيق الفوائد الروحية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية، وتنطق بذلك هذه الآية (وَأذِن فِي النَّاسِ بالحَجِ يَأتوكَ رجالاً وَعَلي كُل ضامِرٍ يَأتينَ مِن كُل فَجٍ عَميقٍ ليشهَدوا مَنافعَ لَهم وذيَكُروا اسمَ الله في أيَّامٍ مَعلوماتٍ عَلي ما رَزقَهُم مِن بهيمَةِ الأنعامِ فكلوا مِنها وأطعِموا البائِسَ الفَقيرَ).(5)

1- البقرة: 127

2- البقرة: 127

3- آل عمران: 96 و 97

4- الحج: 78

5- الحج: 27 و 28

تأمل قوله تعالي:(لِيشـهَدوا مَنافِعَ لَهُم)وقـد فسـر العلماء المنافع بأنها دينية ودنيوية معاً، والدين والدنيا في نظر القرآن مترابطان ترابط الروح بالجسد، فإذا كان الدين يمه الروح بالإيمان الصحيح والآداب، فإن أمور الدنيا تمده بأسباب البقاء ودواعي الارتقاء. فلو أردنا أن نستقصي ما يمكن أن يثمره الحـج للمسـلمين كافة من وجوه المنافع الأدبية والمادية لضاق بنا المجال، فإن لم يكن فيه إلا تعارف الشـعوب الإسـلامية وإلمام بعضـها بحاجات بعض لكفاها ذلك للوصول إلي مستوي رفيع بين شعوب العالم، ولكن ويا للأسف لا تزال الأمم الإسلامية تجهل أو تهمل هذه النواحي العظيمة الجديرة بالالتفات والاهتمام.

فالحج مؤتمر عام لتوحيد غايات المسـلمين وتوجيههم إلي مصادر الحياة الصحيحة، بما يقتبسه بعض شعوبهم من ثقافات البعض الآخر، مما يكونون قد هدوا إليه دون غيرهم، سواء كان ذلك في عالم العلم أو العمل.

شهادة الدكتور فيليب حتي في الحج في كتابه تاريخ العرب عند كلامه عن الحج عند المسلمين:

ولا يزال الحج علي مر العصور نظاماً لا يباري في تشديد غري التفاهم الإسلامي، والتأليف بين مختلف طبقات المسلمين، وبفضله يتستي لكل مسـلم أن يكون رحالة مرة في حياته علي الأقل، وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماعاً أخوياً، ويوحد شـعوره مع شـعور سواه من القـادمين من أطراف الأـرض، وبفضـل هـذا النظـام يتيسـر للزنوج والبربر والصـينيين والفرس والترك والعرب وغيرهم، أغنياء كانوا أو فقراء، عظمـاء أو صـعاليك،أن يتآلفوا لغـة وإيماناً وعقيـدة، وقـد أدرك الإسـلام نجاحاً لم يتفق لـدين آخر من أديان العالم في القضاء علي فوارق الجنس واللون والقوميـة خاصـة بين أبنائه، فهو لا يعترف بفاصل بين أفراد البشـر إلا الذي يقوم بين المؤمنين وبين غير المؤمنين، ولا شك أن الاجتماع في مراسم الحج أدي خدمة كبري في هذا السبيل.

أسرار الحج:

ولنختم الكلام بما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في أسرار الحج ودقائقه تبركاً بكلامه وتشريفاً للختام :

روي في مصباح الشريعة(1) عنه عليه السلام وعلي آبائه وأولاده الطاهرين أنه قال: إذا أردت الحج فجرد قلبك لله تعالي من شغل كل شاغل وحجاب كل حاجب، و فوض أمورك كلها إلي خالقك، وتوكل عليه في جميع ما تظهر من حركاتك وسكناتك، وسلم لقضائه وحكمه وقدره، ودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد علي زادك وراحلتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك، مخافة أن يصير ذلك عدواً ووبالاً، فإن من ادعي رضا الله واعتمد علي من سواه صيره عليه وبالاً وعدواً ليعلم أنه ليس له قوة وحيلة ولا حد إلا بعصمة الله وتوفيقه، فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه ، صلي الله عليه وآله وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة و إيثار الزاد علي دوام الأوقات، ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع، وأحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته، ولبة بمعني إجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالي في دعوتك متمسكاً بالعروة الوثقي، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرول هرولة من هواك، وتبر من حولك وقوتك، واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلي مني، ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه، واعترف بالخطايا بعرفات، وجدد عهدك عند الله تعالي بوحدانيته، وتقرب إليه واتقه بمزدلفة، واصعد بروحك إلي الملأ الأعلي بصعودك علي الجبل، واذبح حنجرة الهوي والطمع عند الذبيحة، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والأفعال الذميمة عند رمي

1- مصباح الشريعة: 142، باب 21

الجمرات، واحلق العيوب الظاهرة والباطنـة بحلق شـعرك، وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلائته من متابعـة مرادك بـدخولك الحرم، ودر حول البيت متحققاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضاً بقسمته وخضوعاً لعزته، وودع ما سواه بطواف الوداع، وصفة روحك وسـرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك علي الصـفا والمروة، وكن بمرأي من الله، نقياً أوصافك عند المروة، واسـتقم علي شرط حجتك هذه ووفاء عهـدك الـذي عاهـدت به مع ربك وأوجبته له إلي يوم القيامـة، واعلم بأن الله تعالي لـم يفرض الحـج ولـم يخصه من جميع الطاعات بالاضافة إلي نفسه بقوله تعالي: (وَلله عَلىَ النَّاسِ حجُ البَيتِ مَنِ اسـتطَاعَ إليهِ سَبيلاً) ولا شـرع نبيه سـتته في خلال المناسك علي ترتيب ما شرعه إلا للاسـتعداد والاشارة إلي الموت والقبر والبعث والقيامة وفضل بيان السبق من الدخول في الجنة أهلها ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحج من أولها إلي آخرها لأولي الألباب وأولي النهي «انتهي كلامه عليه السلام. (1)

9- الوصية بالجهاد بالمال والنفس واللسان بقوله صلوات الله عليه:

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله.

الأمة الإسلامية مكلفة بتحقيق العدالة في الأرض، وهذا التكليف يقتضي من المسلمين أن يكافحوا الظلم والبغي حيث كان ويزيلوا أسبابه، لا ليملكوا الأرض ويسـتولوا علي المرافق ويستذلوا الأنفس؛ بل لتحقيق كلمة الله في الأرض خالصة من كل غرض، وهذا ما يطلق عليه في الإسلام (الجهاد في سبيل الله) و(القتال في سبيل الله).

وسبيل الله هو سبيل الحق، فكل قتال لأجل الـدين والـدفاع عنه فهو في سبيل الله، وكل قتال لدفع الظلم ومعاونة المظلومين ضد الظالمين ونصرة الحق فهو من القتال في سبيل الله، وكل طريق للوصول إلي الحق أو حمايته أو الدفاع عنه فهو من بل الله سبحانه و تعالي.

1- مصباح الشريعة: 47 - 50؛ بحار الأنوار 96: 124 و 125

والقرآن يـدعو في كثير من الآيـات للقتال في سبيل الله خالصاً من أي غرض دنيوي. أنظر إلي هـذه الآيات التي نزلت علي الرسول وهو في المدينة المنورة والتي تبين أهداف القتال:

(فَلْيُقاتِـل فِي سبَيـل الله الَّذين يَشـرونَ الحيـاةَ الـدُّنيا بالأـخرةِ وَمَن يُقاتـل في سَبيلِ الله فَيُقتَل أو يَغلِب فَسَوفَ نؤتيهِ أَجراً عَظيماً ومَا لَكم لا تُقاتِلون في سبيل الله والضـعفين منَ الرِّجال والنساءَ وَالولـدانِ الَّذين يَقولونَ ربَّنا أخرجنا مِن هَـذه القَريـةِ الظالِمِ أهلُها وَاجعَل لَنا من لَدُنك ولياً واجعَل لَنا مِن لَدنكَ نَصيراً).(1)

ففي هـاتين الآـيتين لفت لطيف إلي أن الحرب في الإسـلام ليست للتحكم في الرقـاب ولإذلاـل العبـاد، بـل هي في سبيل الله وفي سبيل المستضـعفين من المؤمنين الساكنين في مكة الذين اسـتذلهم أهل مكة الكفار، و آذوهم أشد الإيذاء ليمنعوهم من الهجرة، وليفتنوهم عن دينهم، هؤلاء المستضعفون الذين فقدوا النصير واستغاثوا بالله، فعليكم أيها المؤمنون أن تنصروهم وترفعوا عنهم الظلم.

ثم قـال تعـالي بعـد ذلـك عقب الآيتين اللتين ذكرناهما:(الَّذينَ آمَنوا يُقاتلونَ فِي سَبيل الله والَّذين كفَروا يُقاتلون في سَبيل الطَّاغوتِ فقاتِلوا أولياءَ الشَّيطانِ إنَّ كيَد الشَّيطانِ كان ضَـعيفاً)(2) والطغيان حسب ما نصت عليه معاجم اللغـة هو مجاوزة الحد، وكل شـيء جاوز المقدار والحد في العصـيان فهو طاغ، يقال: طغي السيل: ارتفع حتي جاوز الحد في الكثرة، وكذلك إذا تجاوز الإنسان الحد وعلا في الأرض يفسد فيها ويسـتعبد الناس ويسـلبهم حقوقهم ويحرمهم ثمرات الأرض وخيراتها، فـذلك هو القتال في سبيل الطاغوت الـذي نـدد به الله وجعله شعار الكفار.

أما القتال في سبيل الله فهو الذي غايته أن يرفرف القانون الإلهي العادل علي

1- النساء: 74 و 75

2- النساء: 76

العـالمين، دون أن يكون هنـاك غايـة شخصـية أو علو في الأـرض كمـا أمر به تعالي (تلكَ الـدَّارُ الآخِرةُ نَجعَلها للّذين لا يُريـدُونَ عُلواً في الأرض وَلا فَساداً والعاقِبةُ للمتقينِ) .(1)

وقد ورد في الحديث أنه قال أعرابي للنبي صلي الله عليه وآله : الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليري مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال صلي الله عليه وآله: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.(2)

فالإسلام في جهاد دائم لا ينقطع أبداً لتحقيق كلمة الله في الأرض، أي التحقيق النظام الصالح الذي يسعد البشرية، والأمة الإسلامية منتدبة لرفع الظلم عن الأـفراد والجماعات في أقطار الأرض كافـة، بقطع النظر عن ألوانهم وأجناسـهم وأديانهم، قال الله تعالي مخاطباً أمـة محمد صلي الله عليه وآله :(وَكَذلكَ جَعلناكُم أُمةً وَسطاً لِتكُونوا شُهداءَ عَلي النَّاسِ ويَكونَ الرَّسولُ عَليكُم شَهيداً) .(3)

أي لتكونوا شهداء علي الناس في تقصيرهم وغلوهم، فتقوموا بإصلاح عوجهم.

وليس في هـذا الأمر إظهار فضل أمة علي أمة أخري أو جرح كبرياء أمة من الأمم،لأن الله الذي وضع هذا الانتداب لم يجعله ميزة لشـعب من الشـعوب ولا وقفاً علي جنس من الأجناس، ولكنه جعله للجماعـة التي نـدين بأصوله مهما كان لون هـذه الجماعة أو جنسـيتها، ولهذا كانت دعوة الإسـلام في سبيل الاصلاح عامة لكافة الجنس البشري لا تختص بأمة دون أمة، ولا بطائفة دون طائفة، ونصوص القرآن واضحة في أن الإسـلام دين عـام للنـاس كافـة، قـال الله تعـالي مخاطباً رسوله محمـداً:(قُل يا أيُّها النَّاسُ إنّي رسولُ الله إليكم جَميعاً الَّذي لَه مُلك السَّماواتِ والأرضِ لا إله إلا هو يُحيي ويُميتُ فامنوا بالله ورسوله

1- القصص: 83

2- الجامع الصغير للسيوطي 2: 627/ الرقم 8891

3- البقرة: 143

النّبي الأمي الّذي يؤمِن باللهِ وكَلماته واتَّبعُوهُ لَعلَكُم تَهتـدونَ .(1) وقال سـبحانه: وما أرسَلناكَ إلا كَافةً للنَّاسَ بشيراً ونَذيراً وَلَكنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَعلمونَ).(2)

الاستعداد للحرب:

ومن مزايا الشـريعة الإسـلامية أنها شـريعة عملية تواجه الحقائق البشرية بالحل العملي، فما دامت الموعظة الحسنة لا ترد الظلم والاعتداء، وما دام أعداء الإسلام لا يرضون حسن الجوار والعهد القائم علي الانصاف وحرية العقيدة، فإن الحرب واقعة بين الناس؛ ولهذا أمر الإسلام بالاسـتعداد لهـا، وأخـذ الأهبـة للحرب، قال الله تعالي:(وَأعِـدوا لهم مَا اسـتَطَعتُم مِن قُوَةٍ وَمِن رباطِ الخَيلِ تُرهبونَ به عَـدّو الله وعَـدُوكم وآخرينَ مِن دونَهم لا تَعلمُونَهم الله يَعلَمُهُم ومَا تنفقوا مِن شَيء فِي سَبيل الله يُوَفَّ إليكُم وأنتم لا تُظلمونَ). (3)

أمر الله المسلمين في هذه الآية بأن يستعدوا لأعدائهم بكل ما يستطيعون من قوة، وهو أمر لا يختص بزمان ولا بفريق من الناس، ولفظ القوة عام في كل ما يتقوي به علي حرب العـدو، وكل ما هو آلة للحرب من الحصون وأسـلحة البر والبحر والهواء علي اختلاف أنواعها وأشـكالها بحسب الأزمنة والأمكنة المختلفة، ومصانع الذخيرة وكل ما يفيد في صلاحية الأمة للحرب، كإنشاء معاهد لتعليم فنون الحرب، وغير ذلك مما يجعل الأمة قوية مرهوبة الجانب.

ومعني قوله تعـالي: (وَمِن رباطِ الخَيلِ) يعني حبسـها واقتناءها، وقـد أمر الله بإعـداد رباط الخيل لأن الخيل كانت مركب الحرب في زمن الرسول، فإذا تغير الزمان وصار مركب الحرب سفناً حربية وطائرات وسيارات مصفحة، وجب علي المسلمين أن

1- الأعراف: 158

2- سبأ: 28

3- الأنفال: 60

يعـدوا ذلك، لأن الأمر بإعداد رباط الخيل ليس لذات الخيل، بل لأنها مركب الحرب، فإذا صار مركب الحرب شـيئاً غيرها أقوي منها انتقل الأمر إليه.

والقصـد من إعـداد هذه القوي إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي علي بلاد الأمة الإسـلامية ومصالحها، ولأجل أن تكون آمنة في عقر دارها، وهذا ما يسـمي في غرف هذا العصـر بالسلم المسلح، وقد أوجبه الإسلام قبل أن يعرفه أهل أوروبا بزمن طويل، وهذا معني قوله تعالي: (تُرهِبونَ بِه عَدوَّ الله و عَدُوَّكُم).

وصايا عامة أثناء الحرب:

وعند اندلاع الحرب تتجلي لنا ناحية رائعة في تعاليم الإسـلام التي يفرضها علي أتباعه، والتي هي عماد النصر للشعوب الآخذة به، قال الله تعالي:(يا أيها الَّذينَ آمَنوا إذا لَقيتُم فَاثبتَوا وَاذكُروا الله كَثيراً لَعَلكم تُفلحونَّ وأطيعُوا الله ورسُوله ولا تنَازَعوا فَتَفشَلوا وتَذهَبَ ريحُكُم واصبِروا إن الله مَع الصَّابرينَ). (1)

اشتملت هاتان الآيتان علي خمس وصايا، وهي:

أولاً: الثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار من المعركة؛

والنظـام الحربي المعاصـر يقضـي بقتـل الجنـدي الفار من القتال حال فراره، وذلك خشـية أن تنتقل عـدوي فراره إلي غيره، فتحـدث البلبلة والجزع في صفوف المقاتلين، فيكون داعياً لهم علي الهزيمة.

ثانياً: ذكر الله في حالة الحرب؛

فـذكر الله في حالـة الحرب له تأثير فعال في النصـر، لأن الإيمان يمـد المحارب بقوة معنوية هائلة تسـند القوة المادية فتدعمها ويكون لها الحكم الفصل في المعركة

ثالثاً: الطاعة؛

طاعة الله أولا، وذلك ما أمرهم به من الوصايا التي تنهض

1- الأنفال: 45 و46

بحالهم، وعدم معصيته. وإطاعة الرسول فيما يأمر به من شؤون القتال، فقد كان الرسول هو قائدهم في أغلب المعارك التي خاضوها ضد الكفار.

رابعاً: عدم التنازع،

فالنزاع في حال القتال مدعاة للفشل وتغلب الأعداء عليهم.

خامساً: الصبر علي ما يكرهون من شدة،

وما يلاقون من بأس العدو وكثرة عدده،فإن الله مع الصابرين بالمعرفة والتأييد، والصبر في الحرب من أعظم الوسائل لنيل النصر.

10 _ التواصل وحفظ الرابطة مع الإخوان المسلمين في شتي البلاد الإسلامية، وبذل العون بالمال والحال بعضهم مع بعض في قوله صلوات الله عليه: وعليكم بالتواصل والتباذل.

التواصل والتزاور من ثمرات النصيحة والمحبة، وثوابه أكثر من أن يحصي، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: «حدثني جبرئيل عليه السلام أن الله عزوجل أهبط إلي الأرض ملكاً، فأقبل ذلك الملك يمشي حتي وقع إلي باب عليه رجل يستأذن علي رب الدار، فقال له الملك: ما حاجتك إلي ربة هذه الدار؟ قال: أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالي، فقال له الملك: ما جاء بك إلا ذاك؟ فقال: ما جاء بي إلا ذاك، قال: فإني رسول الله إليك، وهو يقرئك السلام ويقول: وجبت لك الجنة. وقال الملك: إن الله عزوجل يقول: يقول: أيما مسلماً زار مسلمة فليس إياه زار؛ بل إياي زار، و ثوابه علي الجنة.(1)

وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: القاء الاخوان مغنم جسيم وإن قلوا.(2)

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: إن الله لك جنة لا يدخلها إلا ثلاثة: رجل حكم علي نفسه بالحق، ورجل زار أخاه المؤمن في الله، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله.(3)

1- الكافي 2: 176/ ح3

2- الكافي 2: 179/ ح16

3- الكافي 2: 178/ ح 11

وقال عليه السلام: أيما مؤمن خرج إلي أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة؛ (1) والأخبار الواردة بهذا المضامين كثيرة.

11 - ترك التدابر والهجر والقطيعة، فإنه يوجب المقت والعداوة وسوء الظن والتخاذل، في قوله صلوات الله عليه: وإياكم والتدابر والتقاطع.

ذلك أن التدابر والتقاطع من رذائل الأعمال وذمائم الأفعال، ومن نتائجهما العداوة والحقد، أو الحسد أو البخل.

قال رسول الله صلي الله عليه وآله: أيما مسلمين تهاجرا، فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين من الإسلام ولم يكن بينهما ولاية، فأيهما سبق الكلام لأخيه كان السابق إلي الجنة يوم الحساب.(2)

وقال صلي الله عليه وآله : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث.(3)

وقال الصادق عليه السلام: لا يفترق رجلان علي الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربما استحق ذلك كلاهما، فقال له معتب: جعلني الله فداك هذا للظالم، فما بال المظلوم؟ قال: لأنه لا يدعو أخاه إلي صلته، ولا يتعامس(4) له عن كلامه، سمعت أبي عليه السلام يقول: إذا تنازع اثنان فعاد أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلي صاحبه، حتي يقول لصاحبه أي أخي أنا الظالم حتي يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فإن الله تبارك وتعالي حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم. (5)

1- الكافي 2: 184/ ح 184

2- الكافي 2: 345/ ح5

3- من لا يحضره الفقيه 4: 380 ح5809

4- تعامس: تغافل

5- الكافي 2: 344 ح 1

وقال عليه السلام: لا ـ يزال إبليس فرحاً ما اهتجر المسلمان، فإذا التقيا اصطكت ركبتاه و تخلعت أوصاله ونادي: يا ويله ما لقي من الثبور.(1)

وقال الإمام الباقر عليه السلام: إن الشيطان يغري بين المؤمنين مالم يرجع أحدهم عن دينه، فإذا فعلوا ذلك استلقي علي قفاه وتمدد ثم قال: فزت، فرحم الله امرءاً ألف بين وليين لنا، يا معشر المؤمنين تآلفوا تعاطفوا.(2) والأخبار الواردة في ذم الهجران والتباعد كثيرة.

12 _ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في قوله صلوات الله عليه: لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قولي عليكم أشراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله التعطلت النبوة واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشري الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلي يوم التناد.

والأدلة علي لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة في الشريعة الإسلامية، حتي لقد عدت بحق شريعة الأمر بالتواصي بالحق والتناهي عن المنكر، فقد قال الله تعالي:

(والعَصرإنَّ الإنسان لَفي خُسرٍ إلَّا الَّذينَ آمنوا وعَملوا الصَّالحاتِ وتَواصَوا بالحَقِ وتَواصَوابالصَّبر). (3)

وقال تعالي في سورة آل عمران: (وَلتَكُن مِنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إلِيَ الخَيرِ

1- الكافي 2: 346/ ح 7

2- الكافي 2: 345/ ح6

3- العصر: 1 - 3

ويَأمُرُونَ بِالمَعروفِ ويَنهَونَ عَنِ المُنكَر وأولئكَ هُمُ المُفلحونَ (1) وقال تعالي: كُنتُم خيرَ أَمَةٍ أخرِجَت لِلنَّاس تأمُرونَ بالمعروفِ وتَنهَونَ عَن المُنكَر وتؤمنونَ بالله). (2)

وقد روي أن النبي صلي الله عليه السلام قال: ما أعمال البرّ عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي .(3)

وقال صلي الله عليه وآله : إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.(4)

والأخبار متضافرة بما كان عليه سلف هذه الأمة من القيام بذلك الحق، لا يهابون في ذلك سلطان ذي سلطان، ولا تأخذهم رأفة في دين الله ولا هوادة في إقامة حقه والأخذ بناصر دينه. وكل شيء هن في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وكل عذاب سهل مقبول إذا كان من كلمة حق قالوها، لا يمنعهم من أن يصدموا بها أقوي الحكام عتواً وأشدهم قسوة، وأبعدهم في الأذي منالاً.

وما أخبار وعاظ التابعين مع الحجاج وأشباهه من حكام بين أمية ببعيدة عن الأذهان: كانوا لا يتخذون فيما يفعلون تقية، ولا يرضون في دينهم بالدنية:

الحسن البصري يمدح علياً عليه السلام:

يروي أن الحجاج جمع بعض علماء العراق وفيهم الحسن البصري والشعبي، وأخذ يحادثهم، فذكر علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فنال منه وجاراه من معه تقريباً له، وأمناً من شره، إلا الحسن البصري فصمت علي مضض وعض علي إبهامه إذ علي مرجل غضبه، فالتفت إليه الحجاج وقال: يا

1- آل عمران: 104

2- آل عمران: 110

3- وردت الفقرة الثانية من الحديث في بحار الأنوار 97: 89 منسوبة إلي أمير المؤمنين عليه السلام

4- الخصال للصدوق: 6/ ح16

أبا سـعيد مالي أراك ساكتاً؟ قال: ما عسيت أن أقول؟ قال: أخبرني عن رأيك في أبي تراب، قال: سمعت الله جل ذكره يقول: (مَا جَعلنا الَقبلَة التَّي كُنتَ عَليها الإلنَعلَم مَن يَتبَع الرسُول ممَّن يَنقلبُ عَلي عَقَبيه وَإن كَانت لَكبَيرةً إلَّا عَليَ الَّذين هَدي الله ومَا كَانَ الله ليُضيعَ إيمانَكُم إن الله بالنَّاس لرؤفٌ رحيمٌ)(1) فعلي ممن هدي الله من أهل الإيمان،فأقول: ابن عم النبي صلي الله عليه وآله وختنه علي ابنته، وأحب الناس إليه، وصـاحب سوابق مباركـات سـبقت له من الله، لن تسـتطيع أنت ولا أحـد من الناس أن يحظرها عليه، ولا يحول بينه وبينها، وأقول: إن كانت لعلي هنات فالله حسبه، والله ما أجد فيه قولا أعدل من هذا.

فبسـر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضباً فدخل بيتاً خلفه وخرج الجمع، فقال عامر الشعبي: أغضبت الأمير وأوغرت صدره، فقال: إليك عتي ياعامر، يقول الناس: عامر الشـعبي عالم أهل الكوفـة أتي شـيطاناً من شـياطين الإنس فكلمه بهواه وقاربه في رأيه، ويحك يا عامر! هل اتقيت إن سـئلت فصدقت أو سـكت فسـلمت!! قال الشـعبي: يا أبا سـعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها، قال الحسن: فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة.

وبعث الحجاج إلي الحسن، فلما دخل عليه قال: أنت الذي تقول: قاتلهم الله قتلوا عباد الله علي الدينار والدرهم. قال: نعم، قال: ما حملك علي هـذا؟ قال: ما أخـذه الله علي العلماء من المواثيق البينه للناس ولا يكتمونه. قال: يا حسن أمسك عليك لسانك، وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسـدك. (2) هكـذا فريضـة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تلك الفريضـة التي لو أخذنا بها كما أخذ ذلك السلف الصالح لارتبط حاضر الأمة بماضيها، ولاتصلت نفوس الحاضرين بنفوس السابقين بتلك الأمراس النورانية.

1- البقرة: 143

2- إحياء علوم الدين 2: 346؛ نقلاً عن نفحات الأزهار 14: 276

ومن خطبة له عليه السلام :

يوصي فيها بتقوي الله والتذكير بالموت

(فانَّ تَقوَي الله مِفتَاحُ سَدادٍ وذَخيرَةٌ مَعاد وَعِتقٌ مِن كُل مَلكَة ونَجاةٌ مِن كُل هَلكَة بِها يَنجَح الطَّالب وَينجُو الهَاربُ وتُنَالَّ الرَّغائبُ فاعمَلوا وَالعَمل يُرفَع والتُوبَة يَنفَعُ والدُّعاءُ يُسمَعُ والحالُ هَادئةٌ وأقلام جاريةٌ وبادِروا بالأعمَال عُمُرا ناكساً أَو مَرَضاً حابساً أو مَؤتاً خالساً فإنَّ المَوتَ هادَمٌ لـذاتكُم زائرٌغيرُ محبوبٍ و قَرنٌ غيرُ مغلوبٍ و واترٌغيرُ مطلوبٍ قـد اعلَقتكُم حبائلُهُ و تكَنَّفتكُم غوائلَهُ و اقصَدَتكُم مَعابِلُهُ وعَظَمَت فيكُم سَطوَتُهُ و تتـابَعَت علَيكم عَدوَتُهُ قَلَّت عنكُم نبوَتُهُ فيُوشِكُ أَن تَغشَاكُم دَواجِي ظلَلِه واحتِدامُ عِلله وحَنَادِسُ غَمَراتَه وَغَواشِي سَكَرَاتِه وَأَليمُ إرهَاقِه ودُجُوُّ أطبَاقِه وجُشُوبَةُ مَذاقِه).

(شرح ابن أبي الحديد مج 3، ص 181، ط الأولي).

الشرح:

هذه الخطبة الشريفة من محاسن خطبه صلوات الله عليه وفيها من نكات البلاغة وفنون البديع ما لا يخفي علي المصقع البارع.

حث فيها علي التقوي، ومن البـديهي أن المثل الأعلي للحياة الانسانية في الإسـلام وعند الإمام هو التقوي، فقل أن ترد سورة في القرآن لم يرد فيها الأمر بالتقوي – تقوي الله - وقل أن ترد خطبـة أو كلمـة في نهـج البلاغة لم يرد فيها الأمر بالتقوي، تقوي الله. فالقرآن أمرنا بالتقوي وفضلها، ومدح المتقين، والإمام أمر بالتقوي ووصفها ومدح المتقين :

ولم يهتم عليه السلام بشيء من الفضائل كاهتمامه بالتقوي، لأن تقوي الله تعالي أصل الانسانية الكاملة والسعادة الأبدية، وبها يتم نظام الدنيا والآخرة.

في أصل الأصول ومحور الأخلاق الفاضلة.

التقوي أصل جميع الفضائل:

وتعتبر التقوي هي الوسط في جميع الفضائل، وهي المدينة الفاضلة التي وعد بهما الأنبياء والمرسلون.

ولها درجات لا تتناهي، وفي بعض الدرجات يصل العبد إلي مرتبة تجلي الحق تعالي في مشاعر العبد وقواه، وذلك التجلي يبقي ويدوم ولا يفني وإن تبدلت العوالم وتغيرت.

وقال صلوات الله عليه :

(عِبادَ الله أُوصيكُم بتَقوىَ اللَهِ فإنَّها حقُ الله عَليَكُم والمُوجبَةُ عَلي الله حَقَّكُم وأن تَستَعينُوا عليها بالله وتَستَعينوا بها علي الله فَإنَّ التَّقوي فِي اليَوم الحِرز والجُنَّةُ وفي غَدٍ الطَريقُ الي الجَنَّة مسلَكها واضِحٌ وسَالِكُها رابِحٌ و مُستَودَعُها حافِظٌ لَم تَبرَحَ عَارضَةً نَفسَها عَلي الُأمَم المَاضينَ مِنكُم والغَابِرينَ لِحَاجَتهم إلَيها غداً إذا أَعادَ اللهُ ما اَبدي و اخَذَ ما اعطي وَ سَاَلَ عمَّا اَسدي فما اقَلَ مَن قَبلَها وحَمَلَها حَقَّ حَملَها اولئكَ الاقَلون عدداً وهُم أهلُ صفَة الله سُبحَانَه إذ يَقولُ وقَليلٌ مِن عِباديَ الشَّكورُ فَاَهطَعُوا بأسمَاعَكُم إليها وأَلظوا بِجِدِّكم عَليهَا وَاعتاضُوها مِن كُل سَلفٍ خَلَفاً).(1)

وقال صلوات الله عليه:

(أمَّا بَعد فَإني أُوصيكُم يتَقوَي الله الَّذي ابتَدا خَلقَكُم وإلَيه يَكُونُ مَعَاكُم و به نَجاحُ طَلَبتكُم وإليه مُنتَهي رَغَبتَكُم ونحوَه قَصد سَبيلكُم وإليه مَرامي مَفزَعكُم فإنَّ تَقوَي الله دَواءُ داء قُلوبِكُم وبَصَرُ عَمَي أفئِدتِكم وشِفاءُ مَرَض أجسادِكُم وصلاحُ فَسادِ

1- شرح نهج البلاغة 13: 115

صُدورِكُم وَطُهورُ دَنَس أنفُسِكُم وَجَلاءُ عَشَا أبصارِكُم وأمنُ فَزَعِ جَأشِكُم وَضياءُ سَوادِ ظُلمَتكُم فَاجعَلُوا طَاعَةَ الله شعَارٍ دُونَ دِثَارِكُم ودَخيلاً دُونَ شِعارِكُم ولَطيفاً بَينَ أضلاَعِكُم وأميراَ فوقَ أمُورِكُم ومَنهلاً لِحينَوُودِكُم وَشَفيعاً لَدَركَ طَلبكُم وجُنَّة لِيومِ فَزَعكُم ومصابيحَ لُبطونَ قُبُوركُم وَسَكَناً لَطولِ وَحشَتِكُم و نَفساً لَكَربِ مَواطِنِكُم فَإنَّ طاعَة اللهِ حَرز مَن مَتالِفَ مُكتَنفَة ومَخاوفَ مُتوَقَعة وأُوارِ نيَرانٍ مُوقَدَةٍ فَمَن أَخَذ بالتَّقوي عزَبَت عنهُ الشَّدائد بَعدَ دُنُوهاً واحلوْلَت لَهُ الأمُورُ بَعدَ مَرارتَها وانفَرَجَت عَنهُ الأمواجُ بَعد تَراكُمهَا وأسهَلَت لَه الصَّعابُ بَعد إنصابِهَا وَهَطَلت عليه الكَرامَة بَعد قُحُوطِها. وَتَحَدَبَّت عَليه الرَّحمَة بَعدَ نُفُورِها وتَفَجَرَت عَليه النِّعمُ بَعدَ نُضُوبِهَا وَوبَلَت عليه البَرَكَةُ بَعد إرذاذِهَا). (1)

ولكن ما هي التقوي :

إن الإمـام صـلوات الله عليه لـم يتعرض لوصف التقوي من داخل إذا صـح التعبير، بل اكتفي – علي كثرة ما قاله فيها – بوصـفها من خارج: ميزاتها وفضـلها وثمرتها، وأصحابها، أما هي بذاتها: مقوماتها، طبيعتها، فأمر لـم يتعرض له الإمام صلوات الله عليه، وإنما تعرض له القرآن. ولعل الإمام ترك الكلام في هـذه الجهـة اعتماداً علي ما جاء في القرآن، واعتمادا علي أن المسـلمين إذ ذاك كانوا – ولا شك _ يعون ما هي التقوي، فاكتفي بتشويقهم إلي الأخـذ بها والاعتصام بحبلها، أو أن الإمام قد تكلم في هذا الموضوع وأعطاه حقه من البيان، ولكن الشـريف الرضي رحمه الله لـم يقع علي شيء منه، أو وقع عليه ولـم يكن بين ما اختاره. وعلي أي حال ففيما قدمه لنا القرآن غني وكفاية.

آيات في التقوي:

قال الله تعالي: (ذلكَ الكِتابُ لا ريبَ فِيه هُديً اللمُتَقينَ الَّذين يؤمنونَ بالغَيبِ

1- شرح نهج البلاغة 10: 188 و 189

و يُقيمُونَ الصَّلاةَ وممَّا رَزَقناهُم و الّذين يؤمنونَ بِما أُنزلَ إليكَ وَما أنزلَ مِن قَبلِكَ وبالآخرَةِ هُم يُوقِنونَ أولئك علَي هُديً مِن رَبِّهم وأولئك هُمُ المُفلحونَ).(1)

وقال تعالي: (لَيسَ البرَّ أَن تُولَوا وُجوهَكُم قبَل المَشرق والمَغرب وَلكَّن البرَّ مَن آمَن بالله وَاليَومِ الآخرِ والمَلائكةِ والكتابَ والنَبيَنَ وأتي المال عَلي حُبَّه ذَوي القُربي واليَتامَي والَمساكينَ وابن السَّبيلَ والسَّائلينَ وفِي الرَّقابِ وأقامَ الصَّلاةَ وأتي الزَّكاةَ والمُوقونَ بِعَهدهم إذا عاهَدوا والصَّابرينَ فِي البَأسَاء والضَرَّاء وحينَ البأسِ أولئك الَّذينَ صَدقُوا وأولئكَ هُمُ المُتَقُون).(2)

وقال تعالي: (وَسارَعوا إلي مَغفرةَ مِن ربّكُم وجَنَّة عَرضِها السَّماوات والأرضُ أُعدَّت للمتقينَ الَّذينَ يُنفَقونَ في السَّراء والضَرَّاء والكاظِمينَ الغَيظَ والعَافِينَ عَن النَّاس والله يُحبُّ المُحسنينَ).(3)

وقال تعالي: (وَلا يَجرمَنكُم شَنآنُ قَومٍ عَلي ألا تعَدِلُوا اعدِلُوا هُوَ أقرَبُ للتَّقوي).(4)

وروي عن النبي صلي الله عليه وآله أنه قال: جِماع التقوي في قوله تعالي:(إنَّ الله يَأمُرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاء ذي القربي ويَنهي عَن الفَحشاء وَالمُنكَر والبَغي يَعظُكُم لَعلَكُم تَذكَرونَ).(5)

وقال صلي الله عليه وآله : من اتقي الله عاش قوياً، وصار في بلاد عدوه آمناً. (6)

وقال صلي الله عليه وآله: خصلة من لزمها أطاعته الدنيا والآخرة، وربح الفوز بالجنة، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: التقوي، من أراد أن يكون أعز الناس فليتق الله عزوجل، ثم تلا(وَمَن يَتَقِ اللهَ يَجعَل لَه مَخرجاً) (7) الآية. (8)

1- البقرة: 2 - 5

2- البقرة: 177

3- آل عمران: 133 و 134

4- المائدة: 8

5- النحل: 90/ روضة الواعظين: 437

6- بحار الأنوار 67: 283

7- الطلاق: 2

8- بحار الأنوار 67: 283

من هـذه النصوص الإلهيـة، وغيرها أكثر منها، تعرف طبيعة التقوي أنها الفضـيلة في أرفع معانيها وأجل صورها، أنها الايمان بالله في أظهر حالاـته وأسـمي معـانيه، وبـذل المال لمن أعوزه المال، ولكن كيف؟ بـذل المال علي حبه... حب الله تعالي، فلا امتنان علي المعطي ولا إفضال. ومتي؟ إنها بذله في السـراء والضراء، وهي الصبر في جميع المواطن وفي جميع الأحوال، وهي كظم الغيظ، وهي العفو عن الناس، وهي العدل فيهم والاحسان إليهم، وهي وهي...

هذه هي التقوي، فإذا حققت التقوي في نفسك وعيت وجود الله وأمره ونهيه في كل ما تلم به من فعل أو قول، وتحريت الفضـيلة أني كانت، فأخذت بها وأخضـعت نفسك لها، وجعلت من نفسك وجميع إمكاناتك خلية إنسانية حية تعمل بحرارة وإخلاص علي رفع مستوي الكيان الإجتماعي الـذي تضـطرب فيه، وصـدرت في ذلك كله عن إرادة الله المتجليـة فيما شـرع من أحكام، وتكون قـد حققت في نفسك المثل الأعلي الذي نصبه الإسلام.

التفاضل بالتقوي لا بكثرة المال:

فالمال لا يكسب قيمة إلا إذا بذل حيث أجاز الله أن يبذل، وإلا إذا اخذ وسيلةً إلي رضوان الله.

أما أولئك الـذين لا يبذلون أموالهم فلا جدوي منهم للجماعة، ولذلك فلا مزية لهم علي غيرهم من الناس الذين لا مال لهم، والسـلامة لا قيمة لها حين لا يكون صاحبها متقياً لله. والقوة لا قيمة لها حين لا يستخدمها صاحبها في مرضاة الله، والسلطان لا يكسب صاحبه قيمة إلا إذا كان ذا تقوي.

هناك أغنياء وفقراء، وحاكمون و محكومون، وأقوياء وضعفاء، وأناس تحدروا من سلالات لها ماض عريق، وآخرون ليس لهم ماض مذكور، ولكن كل هذا لا يرفع من صاحبه ولا يضع إلا إذا اقترن بالتقوي أو عري

عنهـا. وتعـاليم الإسـلام صـريحة في ذلـك لا لبس فيها ولا غموض، فهي تنص علي أن القطب الـذي يـدور عليه التفاضل ليس شـيئاً غير التقوي.

قال الله تعالي: (إنَّ أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقاكُم).(1)

وقال النبي صلي الله عليه وآله :لا فضل لعربي علي عجمي إلا بالتقوي.(2)

وقال الإمام علي صلوات الله عليه: لا تضعوا من رفعته التقوي، ولا ترفعوا من رفعته الدنيا.(3)

وإذن فالقيم الاجتماعية تتفرع عن هذا الأصل، وتنبثق من هذا الينبوع.

وهكذا تكون الرغبة في الخير ورضوان الله، ومساعدة الضـعفاء وتكريس المواهب في سبيل الجماعة تقرباً إلي الله هي رائد كل إنسان وعي مبادئ الإسلام.

وهكذا تكون الطبقات مظهر حبٍ ورحمة وتآزر وإيثار وتعاون علي البر والتقوي، بدل أن تعبر عن تفسخ و انحلال.

هذا هو المثل الأعلي للحياة في الإسلام وعند الإمام.

مراتب التقوي ثلاث:

الأولي: التوقي عن العذاب المخلد بالتبرئ عن الشرك، وعليه قوله تعالي: (وَألزَمَهُم كَلمَة التَّقوي). (4)

الثانية: التجنب عن المآثم كلها كبيرها وصغيرها، وهو المتعارف في الشرع، وعليه قوله تعالي: (وَلَو أنَّ اَهلَ القُري امنَوا واتَّقوا) . (5)

1- الحجرات: 13

2- مسند أحمد 5:411 ؛ تفسير القرطبي 16: 342

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 13: 116

4- الفتح: 26

5- الأعراف: 96

الثالثة: هي التنزه عما يشغل عن الحق تعالي بالكلية، وهي التقوي الحقيقية المطلوبة بقوله تعالي: (اتَّقوا اللَه حَقَّ تُقاتِهِ).(1)

وكانت الدعوة إلي التقوي من أهم ما دعا إليه الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله بعد الدعوة إلي الإيمان والإسلام، وقضي كل أيامه وهو ينصح المؤمنين بالتزامها والتزود منها؛ لأنها أساس التعبد وأصل الطاعة، وبها تؤتي الأعمال علي أتم الوجوه، حيث يقول الله تعالي: (وَتَزَوَّدوا فَإنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوي وَاتَّقونِ يا أولي الألبابِ.) (2)

وأخبر جل وعلا بأن جميع الأعمال التعبدية لم تشرع إلا لتكون وسائل إلي التقوي بما تطبعه في النفس من ملكة مراقبة الله، فتكون تقية نقية راضية مرضية.

ولقد حسبها بعض الناس درجة من الصلاح لا تنال إلا بالتفرغ للصلوات وملازمة المساجد والانقطاع عن الدنيا والزهد في كل ما فيها من الملذات، مما يكون دليله في الظاهر الفقر والمسكنة وليس مرفوع الثياب. وهذا خطأ لا يقره الإسلام، فالتقوي في اللغة مشتقة من اتقي فلاناً أي حذره وخافه؛ فتقوي الله مخافته وتجنب كل ما يغضبه.

وهي أثر الايمان الكامل بالله، وهي النتيجة الطبيعية التي يصل إليها كل من يؤمن بأن الله الذي خلقه وأبدع كل دقيق في جسمه قادر علي تعذيبه عاجلاً و آجلاً إذا هو أقدم علي معصيته واستهان بأوامره، كما يوقن بعلمه تعالي بكل شيء يصدر منه، بحيث يتصوره مشرفاً عليه حتي في خلواته، ورقيباً علي جميع حركاته وسكناته، فيحمله هذا علي محاسبة نفسه عن كل فعل، فلا يقدم علي أي أمر فيه معصية خالقه أو الاضرار بمصالح عباده، وفي هذا يقول تعالي: (إنَّ الَّذينَ اتَّقوا إذا مَسَهُم طائفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذَكَّروا فَإذا هُم

1- آل عمران: 102

2- البقرة: 197

مُبصِرونَ) (1) وذكر العصاة بعلمه بكل ما يصدر منهم، وتوعدهم بعذابه، حيث قال: (أَرَأيتَ إن كَذَبَ وتَوَلي ألَم يَعلَم بأنَّ الله يَري كلاَ لئِن لَم يَنتَه لَنسفَعاً بالنَّاصيَةِ). (2)

وأمرنا أن نتخير في أعمالنا ما ينفعنا في الحياة الأخري، حيث قال:(يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا الله ولتَنظُر نَفسٌ ما قَدَمَت لِغَد واتَّقوا الله إنَّ الله خَبيرٌ بِما تَعمَلون).(3)

وأخبرنا بأنه قد أعد الجنة في الآخرة للمتقين، ووصفهم لنا بأعمالهم المنبعثة عن قوة إيمانهم بقلوبهم، إشارة إلي أن التقوي هي في الأمور التي يشعر بها الإنسان في نفسه، فيدرك مبلغ قربه من ربه ورضائه عنه، ولو لم تدل علي ذلك مظاهره، حيث يقول تعالي: (وَسَارعوا إلي مَغفرةٍ مِن ربكم وجَنَّة عَرضُها السَّماواتُ والأرضُ أعدَّت للمُتقين الَّذين يُنفقونَ في السَّراء والضَّرَّاء والكاظمين الغيظَ والعافينَ عَن النَّاس والله يُحبُ المُحسنينَ والذين إذا فَعَلوا فاحشَةً أو ظَلَموا أنفُسَهُم ذَكروا الله فَاستغفروا لذُنوبِهِم ومَن يَغفرُ الذُنوبَ إلا الله ولَم يُصِروا عَلي ما فَعَلوا وهُم يعلمون أولئك جَزاؤُهُم مغفرةٌ مِن رَبِّهِم وجَنَّاتٌ تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها ونَعمَ أجرُ العامِلينَ) .(4)

كيف تحقق التقوي :

وهذا صريح في أن التقوي ليست بكثرة الصلاة والصوم وأمثالهما من العبادات الظاهرة، وليست هي بالتقشف والدروشة، وإنما تتحقق بخمس خصال هي:

1 – حب البذل والاتفاق في سبيل الله في حالتي الشدة والرخاء .

2– ضبط النفس ومقاومة هواها فيما يغضب موالاها.

3 _ الأخذ بمبدأ التسامح والعفو عند المقدرة.

1– الأعراف: 201

2– العلق: 13 – 15

3– الحشر: 18

4– آل عمران: 133 – 136

4_ الإحسان إلي المسيء

5- مراقبة الله ودوام الخوف منه، والرجوع إليه من أثر المعاصي بالندم والإستغفار، وعدم الإصرار علي فعل السيئات.

فالتقوي - بهذا الاعتبار - من الأمور التي لا تمنع المسلم في هذه الحياة من العمل للدنيا، ولا تحرمه من التمتع بملذاتها المشروعة، بل إنما تدعوه فقط إلي مراقبة الله والخوف منه والثقة به والرجوع إليه بطلب الرحمة والغفران في كل وقت، لا سيما عند كل زلة ومعصية، ومن أجل هذا حرص الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله علي أن يمكن في قلوب أتباعه خوف الله واليقين بقدرته علي كل شيء إلي حد ينتفي معه الخوف من غيره، وحصر الأمل فيه جل وعلا دون سواه، باعتباره هو وحده صاحب السلطان المطلق القادر علي وقاية كل من يريد وقايته في كل مكروه، ونصرة من يريد نصرته بما يملك من قوي خفية وظاهرة، حيث يقول تعالي:

(يا أيُها الَّذين آمنُوا اتَّقوا الله حَقَّ تُقاتِه ولا تَمُوتُنَّ إلّا وأنتُم مُسلِمونَ).(1) وحق التقوي هو خوف الله أكثر من كل ما سواه، وإلي هذا أشار تعالي بقوله: (أتَخشَوهُم فَالله أَحَقُّ أن تَخشَوهُ إن كنتُم مُؤمنينَ).(2) وحق التقوي هو أن يؤثر الإنسان عفو الله وغفرانه وثوابه في الآخرة عن كل شيء في الدنيا؛ بل يتحمل في سبيل ذلك مر العذاب، ولذلك امتدح الله في كتابه أولئك السحرة الذين آمنوا بالله إيماناً لم يبالوا معه بالجهر بعقيدتهم برغم ما توعدهم به فرعون من ألوان العذاب، حيث قالوا: (امَنَّا برَبِّ هارُونَ وَمُوسي قال آمنتُم لَه قَبلَ أَن آذَن لَكُم إنه لَكَبيرُكُم الذي عَلَمكم السحرَ فلاقَطعنَّ أيديَكُم وأَرجُلَكُم مِن خَلاف ولأصلَبنَكم في جُذوعِ النَّخل ولتعلَمَنَّ أينا أَشَد عذاباً وأبقي قالوا لن نؤثرَكَ عَلي ما جاءَنا مِنَ الَبيِّنات.

1- آل عمران: 102

2- التوبة: 13

والّذي فَطَرنا فَاقضِ ما أنتَ قاضٍ إنَّما تَقضي هذه الحَياةَ الدُّنيا أنا آمَنّا برَبِّنا ليَغفِرلَنا خَطايانا ومَا أكرَهنا عَليه مِنَ السِّحرِ والله خَيرٌ وأبقي).(1)

ولقـد أشار سـبحانه وتعالي إلي ما يترتب علي التقوي وخوف الله من مجانبـة النفس للشـهوات الممقوتـة، وما يكون جزاؤها علي ذلك في الآخرة بقوله:(وامَّا مَن خافَ مَقامَ رَبه ونَهي النَفسَ عَنِ الهَوي فَإنَّ الجَنَّة هِيَ المأوي).(2)

(وأُزلِفتِ الجنَّة للمتَقينَ غَير بَعيدٍ هذا ما تُوعَدونَ لكُل أوّابٍ حَفيظٍ مَن خَشِي الرَّحمن بالغيب وجاءَ بِقلبٍ مُنيبٍ).(3)

ولـم يَكتفِ الله بهذا في حض الناس علي التقوي، بل إنه تعالي أكد لهم تخليص المتقين في الدنيا من كل ما يعترضـهم من مشاكل الحياة، وتيسير سبيل الرزق لهم من حيث لا يأملون، حيث يقول:(وَمَن يتَق الله يَجعَل لَه مَخرَجاً ويَرُزقهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ ومَن يَتوكَل عَلي الله فَهو حَسبُه إن الله بالغُ أَمرِه قَد جَعَل الله لِكُل شَيءٍ قَدراً) .(4)

ذلك لأن التقوي معناه دوام ذكر الله تعالي و مراقبته في جميع الأحوال وحصـر الأمل فيه، وهـذا من شأنه أن يمنع الإنسان عن الإقدام علي كل أمر يعصـي الله به ويضـر أحدا من خلقه، ويجعله كريم الخلق والعادات، وكل هذا مما يسبب عون الله للانسان وتأييده في كل موقف، وشموله برحمته وحسن رعايته، وخوف الله يقتضي تجريد قلب الإنسان منخوف غيره، ويعود هذا عليه بأعظم الفوائد في هذه الحياة.

1- طه: 70- 73

2- النازعات: 40 و41

3- ق: 31 - 33

4- الطلاق: 2 و 3

قرأت في كتاب الرعاية لحقوق الله:

قـد روي في الحـديث: إن المنـادي ينادي يوم القيامـة: (يا عباد لاخوفٌ عَليكُم اليَومَ ولا أنتُم تَحزَنونَ)(1) فترفع الخلائق رؤوسهم يقولون: نحن عباد الله عزوجل ثم ينادي الثانية:(الَّذين آمَنوا بِآياتِنا وكَانوا مُسـلمينَ)(2) فينكس الكفار رؤوسـهم ويبقي الموحدون رافعي رؤوسهم، ثم بنـادي الثالثـة:(الَّذينَ آمَنوا وكانُوا يتقونَ)(3) فينكس أهـل الكبائر رؤوسـهم ويبقي أهل التقوي رافعي رؤوسـهم، قـد أزال الكريم عنهم الخوف والحزن كما وعدهم، لأنه أكرم الأكرمين لا يخذل وليه ولا يسلمه عند الهلكة. (4)

1- الزخرف: 68

2- الزخرف: 69

3- يونس: 63

4- تفسير القرطبي 16: 110

ومن خطبة له عليه السلام :

وفيها يسبح الله ويذكر نعيم الجنة

(سُبحانَكَ خالقاً ومَعبوداً بحُسن بَلائِكَ عِندَ خَلقكَ خَلَقتَ دَاراً وجَعَلَت فيهَا مَأدُبَّةً مَشرباً وَمَطعَماً وأزواجاً و خَدَماً وقُصوراً وأَنهاراً، وَزُوعاً وثَماراً ثُمَّ اَرسَلتَ دَاعياً يَدعُو إليهَا فَلا الدَّاعيَ أَجَابُوا وَلا فِيمَا رَغَبتَ رَغبُوا ولا إليَ مَا شَوَّقتَ إليَه اشتاقوا أقبَلوا عَلي جِيفةٍ قَدِ افتَضَحوا بِأكلَها واصطَلَحُوا عَلي حُبَها و مَن عَشَق شَيئاً أعشَي بَصَرهُ وأمرَضَ قَلبَه فَهُو يَنظُرُ بَعينٍ غَيرِ صَحيحَة ويَسمَع بأذن غيرِ سميعَةٍ قَد خَرَقَت الشَّهَواتُ عَقلهُ وَاماتَت الدُّنيا قلبَه وولهَت عليها نفسُهُ فهُو عَبدٌ لَها و لَمَن فِي يَديه شَيٌ مِنهَا حيثُمَا زالَت زالَ إليها وحيثُما أقبَلت أقبلَ عَليها لا يَنزَجر من الله بَزاجر ولا يَتعظُ مِنهُ بِواعِظ وهُو يَري المأخوذينَ عَلي الغرَّة حيثُ لا إقالَةَ رجعةٍ كَيف نزَلِ بِهم مَا كانوا يَجهَلونَ وجاءَهُم مِن فَراقِ الدُّنيا مَا كانوا يَامَنونَ قَدمُوا مِن الاخرةِ عَلي ما كانوا يُوعدونَ فَغيرُ مَوصُوف ما نزل بِهِم اجتَمَعَت عَلَيهِم سَكَرَةٌ المَوت وحَسرَةٌ الفَوتَ فَفترَت لَها أطرافُهُم وتَغَيَّرَت لها ألوَانَهم ثُمَّ ازدادَ المَوتُ فيهِم وُلوُجا فحِيل بَينَ أَحَدهم وبَينَ منطَقةَ وانَّه لبينَ اهله يَنظُرُ ببصَرهِ ويَسمَعُ بأذُنه عَلي صِحَّة مِن عقلِه وبَقاءَ مَن لُبه يُفكِرُ فَيمَ أَفنَي عُمُرُه وفيمَ اذهَبَ دَهرَهُ ويتَذكَراموالاً جَمَعَها أغمَض في مَطالبَهَا وأَخَذَهَا مِن مُصَرَّحاتَها و مُشتَبَهاتَها قَد لِزمتُه تَبَعاتُ جَمعِها و أشرَفَ عَلي فَراقَها تَبقَي لِمَن وَراءَهُ يَنعَمونَ فيهَا و يَتَمَتعُونَ بها فيَكون المَهنَأُ لغَيرِه والعبءُ عَلي ظَهرِهِ والمَرءِ قَد غَلَقَت رُهونهُ بهـا فَهُوَ يَعَضُ يَدَهُ نَدَامَةً عَلي مَا أصحَرَلَه عِندَ المَوتِ مِن أَمرِهِ ويَزهَدُ فِيمَا كانَ يَرغَبُ فيهِ أيامَ عُمُره ويَتَمَنَّي أنَّ الَّذي كانَ يَغبطُهُ بِهَا وَيَحسُدُهُ عَليهَا قَد حَازَهَا دونَه فَلَم يَزَلِ المَوتُ يُبالِغُ فِي جَسَدِه حَتي خالَط لسَانُه سَمعَهُ فَصَارَ بَينَ أهلِهِ لا يَنطِقُ بِلسانِهِ ولا يَسمَعُ بِسَمعِهِ يُرَدِّدُ طَرفَهُ بِالنَّظَر فِي وُجُوهِهِم يَرَي حَركات

ألسنَتِهِم ولا يَسمَعُ رِجعَ كَلَامِهِم ثُمَّ ازدادَ المَوتُ التياطاً به فَقُبِضَ بَصرَهُ كَما قُبِضَ سَمعُهُ وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِن جَسَده فَصَارَ جيفَةً بَينَ أهلِه قَد أوحَشُوا مِن جانِبه وتَباعَدُوا مِن قُربِه لا يُسعِدُ باكياً وَلا يُجيبُ داعِياً ثُمَّ حَملوهُ إلي مَخَطٍ فِي الأرضِ فَأسلَموهُ فِيه إلي عَمَله وانقَطَعُوا عَن زَورَتِه).(1)

أخبر صلوات الله عليه عن الجنة وثمارها وأشجارها وأنهارها وقصورها وتنعم الإنسان فيها.

ضبط الألفاظ اللغوية:

جاء في منهاج البراعة: المأدبة بفتح الدال وضمها طعام صنع لدعوة أو عرس، ووله الرجل إذا تحير من شدة الوجد، (والغرة) بكسر الغين المعجمة الاغترار والغفلة، يقال اغتره فلان أي أتاه علي غرة منه و(أطراف البدن) الرأس واليدان والرجلان، و(ولج) يلج ولوجاً أي دخل، و(المصرح) خلاف المشتبه وهو الظاهر البين، و(التبعات) جمع التبعة وهو الاثم، و(المهنأ) المصدر من هنأ الطعام يهنأ إذا صار هنيئا، والعبء الثقل، و(أصحر) أي ظهر وانكشف، و(رجع) الكلام ما يتراجع منه، والالتياط الالتصاق، و(الاسعاد) الاعانة، و(المخط من الأرض) كناية عن القبر يخط أولاً ثم يحفر.

الشرح:

إن هذا الفصل من كلامه تحذير للمتمردين من العصاة والمذنبين الغواة، وتنفير لهم عن الركون إلي الدنيا وإلي زخارفها وما فيها، وتذكير لهم بما يحل بساحتهم من سكرات الموت وينزل بفنائهم من حسرات الفناء والفوت.

وافتتح صلوات الله عليه بتسبيح الله تعالي وتقديسه فقال: سبحانك خالقاً ومعبوداً أي أنزهك تنزيها عن الشركاء والأمثال في حالة خلقك ومعبوديتك، لا موجد غيرك ولا معبود سواك.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 7: 20، ط مكتبة المرعشي النجفي

بحسن بلائـك عنـد خلقك خلقت داراً أي خلقت داراً بسـبب ابتلاء عبادك وامتحاناً لهم وتمييزاً بينهم، وتفرقـة بين السـعداء، أعني الطالبين المشتاقين إلي ملك الدار، وبينالأشقياء وهم الراغبون المعرضون عنها، والمراد بالدار دار الآخرة.

والمراد بالمأدبـة الجنة التي هيأت للمتقين ودعي إليها عباد الله الصالحون، وأعد الله سـبحانه لهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سـمعت وما تشتهيه أنفسهم.

مشـرباً ومطعماً أي شـراباً وطعاماً، وأزواجاً من الحور العين، وخـدماً من الولـدان المخلدين، وقصوراً عالية وأنهاراً جارية «وزروعاً زاكية «و ثماراً، طيبة.

ثم أرسـلت داعياً يدعوه الناس إليها، أي إلي هذه الدار أو المأدبة، وأراد بالداعي محمداً صـلي الله عليه وآله فلا الداعي أجابوا ولا فيما رتبت إليه من الدار الآخرة الباقية ونعيمها ورغبوا ولا إلي ما شوقت إليها من حور الجنة وقصورها وأنهارها وثمارها وسائر ما أعد فيها، اشتاقوا.

عالم الآخرة:

لطالما شغلت المفكرين والمتأملين مسألة الآخرة...

ولطالما احتار فيها العلماء والمتعلمون...

حتي طل علينا العصر الحديث، فإذا النداء يأتينا من الغرب بضرورة مراجعة الفكر الإنساني للالتفات إلي مسألة الحياة الأخري.

فأقرها فطاحلة العلماء ممن لا ينتمي إلي دين، أو يتحيز إلي فكر... أمثال كيركجارد، وبرجسون، ودو كاس.

وكل قضـية عادلـة تعرض علي مسـرح العقل البشـري يؤيدها العقلاء ويتنكر لها الجهال والمتطفلون علي العلم، وكانت الآخرة من إحدي الفكر التي هزأ بها المتغافلون عن البراهين الساطعـة، ولم نسـمع من هؤلاء دليلاً مقنعاً لإنكار الآخرة، فاسـتنتجنا سـبباً لهـذا الاصـرار، هو التمادي في تحذير الضمير للتخلص من و خزه وتأنيبه،

ومحاولة الهرب من رقابة الخالق، والتخلص من الالتزام بالمباديء والقيم السامية، وإطلاق العنان للأهواء والرغائب الشيطانية الطائشة.

وأزاء كل هذا الطمس لهذه الحقيقة الملحة.. فقد دلت الأبحاث علي ضرورة الآخرة.

فمن الجانب النفسي شوهدت النفس الإنسانية وهي تشتاق إلي عالم آخر طالما انتظرته بفارغ الصبر.

ومن الجانب الأخلاقي فقد أكدت الأدلة العقلية بأن كل شيء في الكون يدل علي العدل، و كيف يموت الظالم وهو ظالم، والمظلوم وهو مظلوم بدون حساب؟ إذاً لا بد أن هناك عالماً آخراً يثاب فيه المحسن ويعاقب فيه المسيء، وإلا فإن التاريخ البشري يفقد كل معني.

أما الضرورة الكونية فقد تحققت بالأدلة القطعية لدي علماء الطبيعة بنفي الأزلية عن المادة، ولا بد لهذا العالم من نهاية حتمية وقيامة كبري تكون خاتمة للقيامات الصغري التي تمر بها عوالم الإنسان والحيوان، والنجوم والحضارات المتلاشية، والحقب الزمنية الفانية.

العلم التجريبي وإثبات الأخرة:

وأخيراً تحققت علمية إثبات الآخرة عن طريق الشهادة التجريبية، فإن الحياة التي ظهرت مرة واحدة يمكن أن تعيد نفسها، وإن الخالق – بالتأكيد – يستطيع من جديد خلق الحياة التي أنشأها للمرة الأولي، وهذا الدليل قد صرح به القرآن الكريم في قوله تعالي:

(أَوَلَم يَروا أنَّ الله الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وَلَم يَعيَ بِخَلقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلي أن يُحيِيَ المَوتي بَلي إنه عَلَيَ كلُ شَيءٍ قَديرٌ).(1)

1- الأحقاف: 33

ولذلك قال البروفسور دوكاس: إن بقاء الحياة بعد الموت لعلها الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة التي يمكن إثباتها بالدليل التجريبي.

وتظل مشكلة الضبط الاجتماعي محيرة لعقليات الفلاسفة ورجال السياسة وعلماء النفس والاجتماع.. وعلي امتداد التاريخ تبقي معضلة السلوك الاجتماعي مادة تفكير المفكرين، لا سيما وإن جميع وسائل الإرهاب والتحذير والإغراء قد فشلت في تحقيق المهمة.

حتي انتبهت الأبحاث الاجتماعية إلي سلوكيات صريحة اجتماعية واعية عرفت بالالتزام الديني والتفكير الأخروي، وافتراض الرقابة الدائمة علي الذات ومحاسبة النفس بوازع الضمير المتيقظ. وهذا هو الحل الوحيد الذي يستطيع معالجة التدهور الحضاري بصورة صحيحة، محافظاً علي إنسانية الإنسان، ودافعاً إياه نحو الخيروالإخاء... وإلا أصبحت الحياة مسرحاً مأساوياً بشعاً.

وهذا ما اعترف به أحد مفكري الغرب وهو (برتراند رسل) حيث يقول: إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور، علي حين كان الناس أجدر من الحيوان بهذه السعادة، ولكنهم محرومون من نعمتها في عالمنا الحديث.

ولأجل تحقيق السعادة الدنيوية أسدل الباري عزوجل عناية واهتماماً بعرض الآخرة وتبيانها للناس كي يفيقوا من غفلاتهم ويتبعوا الحكمة في أمورهم، ولتكون الدنيا دار أمل كبير في نيل رضوانه وثوابه عزوجل و كما قال الإمام علي عليه السلام.

إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، ودار عافية لمن فهم عنها، ومسجد أحباب الله ومتجر أوليائه، اكتسبوا منها الرحمة، وربحوا منها الجنة. (1)

والآخرة أصل من أصول ديننا، وقد حذر الله سبحانه وتعالي منها من

1- الإرشاد للمفيد : 296؛ بحار الأنوار 70/ 129

ألقي السمع وهو شهيد، فقال عز من قائل: (يا أَيُّها النَّاس اتَّقوا رَبَّكُم انَّ زِلزَلَةَ السَّاعَة شَيءٌ عَظيمٌ).(1)

وقال عزوجل أيضاً: (واتَّقُوا يَوماً تُرجَعونَ فِيه إلَي الله).(2)

وأمرنا بالاستعداد لها (وَلتَنظُر نَفسٌ مَا قَدَمَت لَغَدٍ)، (3) وقال أيضاً:

(تَزَوَّدُوا فَإنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوي).(4)

ولذلك أجاب الإمام علي عليه السلام رجلاً يهوديا كان يسأله: ما الصعب وما الأصعب؟

قائلا له: الصعب القبر، والأصعب: الذهاب بلا زاد.(5)

فلكي نستمتع برضا الله جل وعلا، ونال ثوابه.... تعالوا نتذكر الآخرة.

الجنة:

الجنة لغة: البستان المتكاثفة الأشجار.

وقد ورد للجنة في القرآن الكريم – أسماء عدة، منها:

دار السلام، الفردوس، دار الخلود، دار المقامة، جنات عدن.

يخلد أهل الجنة فيها فلا موت، ولا منغصات، ولا بؤس، ولا مرض، ولا هرم:

(لا يَذوقَونَ فيهَا المَوتَ إلَّا المَوْتَة الأولي وَوَقاهُم عَذابَ الجَحيمِ).(6)

1- الحج: 1

2- البقرة: 281

3- الحشر: 18

4- البقرة: 197

5- بحار الأنوار 75: 31 ح 98، وفيه: الصعب المعصية، والأصعب فوات ثوابها، والقريب كل ما هو آت، والأقرب هو الموت

6- الدخان: 56

(وقالُوا الحَمدُ لله الّذي أَذهَبَ عنَّا احزَنَ انَّ ربَّنا لَغَفورٌ شَكورٌ الّذي أحلّنا دارَ المُقامَة مِن فَضلـه لا يَمَسَنا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنا فِيها لُغوبٌ). (1)

لا يسـمع منهم إلا الكلام الطيب، إخوان متحابون، فلا لغو ولا فحش ولا كـذب، ولا بغضاء ولا شـحناء ولا حسـد، ولا كل ما يعتري أهل الدنيا من السوء.

(وهُدُوا إلي الطَّيبِ مِنَ القَولِ وهُدوا إلي صِراطِ الحَميدِ).(2)

(لا يَسمَعونَ فِيها لَغواً ولا كَذاباً). (3)

(ونَزَعنا ما في صُدورهُم مِن غِلٍ إخواناً عَلي سُرُر مُتَقابِلينَ لا يَمَسُّهُم فيها نَصَبٌ وما هُم مِنها بمُخرَجينَ). (4)

وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سـمعت، ولا خطر علي قلب بشـر، وكل ما نسمع ويقال عن نعيم الجنة وما فيها من لذة ومتعة، فهي فوق كل ذلك وأجل مما نتصوره، وأعظم مما نتخيله.

والبشر في دار الدنيا لا قدرة لهم علي الاستمتاع بذلك النعيم وتلك اللذة ولا طاقة لهم عليه.

فأشـجارها غير هذه الأشـجار، وأنهارها غير هذه الأنهار، نساؤها الحور العين وشرابها العسل المصفي، وخمرة لذة للشاربين، دائم نعيمها، أبدي بقاؤها.

(هَذا ذِكرٌ وإنَّ للمُتقينَ لحُسنَ مَآبٍ جَناتِ عَدن مُفتَحَة لَهُم الأبوابُ مُتكئينَ فيها يَدعون فيها بِفاكَهة كَثيرةَ وشَرابٍ وَعندَهُم قاصِراتُ الطَّرفِ أترابٌ هَذا ما تُوعَدونَ ليومِ الحِسابِ انَّ هَذا لَرِزقُنا ما لَه مِن نَفادً). (5)

1- فاطر: 34

2- الحج: 24

3- النبأ: 35

4- الحجر: 47 و48

5- ص: 49 -54

وفي كتاب ربنا الكريم مزيد تفصيل.

وما ورد عن نبينا صلي الله عليه وآله لنا علي ذلك خير دليل:

فعنه صلي الله عليه وآله يذكر بعض متع الجنة ونعيمها قال صلي الله عليه وآله:

ما من عبـد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سـمعه الإنس والجن، وليس بمزمار الشيطان، ولكن بتمجيد الله و تقديسه.(1)

وعنه صلي الله عليه وآله كان يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم، وفي القوم أعرابي، فجثا لركبته وقال: يا رسول الله هل في الجنة من سـماع؟ قال: نعم يا أعرابي، في الجنة نهر حافتاه الأبكار من كل بيضاء يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط، فذلك أفضل نعيم الجنة.(2)

وورد: إن في الجنـة لأشـجاراً عليها أجراس من فضـة، فإذا أراد أهل الجنة السـماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشـجار فتحرك تلك الأجراس، لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً .(3)

ومن نعيم الجنة الرفقة الحسنة، رفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

(وَمَن يُطعِ الله والرَّسولَ فَأولئكَ مَعَ الَّذينَ أنعَمَ الله عَليهُم مِن النبَيّين والصِّديقينَ والشُّهداء والصَّالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً).(4)

ومن متع الجنة التنازع، يتنازعون بينهم، ولكن لا كتنازع أهل الدنيا، إنه نزاع مزاح ومتعة، نزاع تلذذ و تفكه :

1- بحار الأنوار8: 196/ ح 181

2- بحار الأنوار8: 196ح 182؛ تفسير مجمع البيان 50:8

3- بحارالأنوار8: 196/ ح183، تفسير مجمع البيان 50:8

4- النساء: 69

(يَتنَازَعونَ فِيها كَأساً لا لَغوٌ فِيها ولا تَأثيمٌ).(1)

والاجتماعات واللقاءات بينهم مستمرة دائمة – إذ لا عمل ولا عبادة – وهم يتسامرون ويتحادثون، وقد يذكرون معارفهم في الدنيا، فيقول قائلهم محدثاً أصحابه عن جليس له في الدنيا، ولطالما نصحه فلم ينفع فيه ذلك النصح.

(قالَ قائِلٌ منهُم إنّي كانَ لي قَرينٌ قول اَئِنَّكَ لَمِن المُصَدِّقين اَإذا مِنتّا وكُنّاتُراباً وعِظاماً أَإنَّا لَمَدينونَ قالَ هَل أنتُم مُطَّلعونَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَواءَ الجَحيمِ قالَ تَللَّه اِن كِدتَ لَتُردينِ ولَو لا نِعمَةُ ربّي لَكُنتُ مِنَ المُحضَرينَ).(2)

ويتساءلون بينهم عن المجرمين فإذا هم في النار يصطلون.

(إلّا أصحابَ اليَمينِ فِي جَنَّات يَتساءُلونَ عَنِ المُجرمينَ ما سَلَكَكُم فِي سَقَرَ قالُوا لَم نَكُ مِن المُصَلينَ وَلَم نَكُ نُطعِمُ المِسكينَ وكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخائِضينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بيَومِ الدّينِ).(3)

الذات الخلد:

وفي الجنة من الرزق الكريم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين:

(الَّذين آمَنوا بآياتنا وكانُوا مُسلمينَ ادخُلوا الجَنَّةَ أنتُم وأَزواجَكُم تُحبَرونَ يُطافُ عَليهم بِصِحافٍ مِن ذَهَبٍ وَأكوابٍ وفِيها ما تَشتَهيه الأنفُسُ وتَلَذُّ الأعيُنُ وأنتُم فِيها خالِدُونَ) .(4)

ولهم فيها ما يشاؤون وما يدعون :

(لَهُم ما يَشاؤونَ فِيها ولَدينا مَزيدٌ).(5)

(وَالَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي روضاتِ الجَنَّاتِ لَهُم مَا يَشاؤنَ عِندَ رَبِهِم ذلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبيرُ).(6)

1- الطور: 22

2- الصافات: 51 – 57

3- المدثر: 39 – 46

4- الزخرف: 59 – 71

5- ق: 35

6- الشوري: 22

(لَهُم فيها فاكِهةٌ وَلهُم مَا يَدَّعونَ). (1)

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تعـدد أنواعاً من الطعام والشـراب، وتصف النساء في الجنـة، واللباس الذي يلبسونه، والحلي التي يحلون بها، نذكر بعضها عسي أن ينتفع بها من شاء، ويرغب إليها من أراد، فيعملوا جهدهم للوصول إليها والحصول عليها، والله عنده حسن الثواب.

(ولأُدخِلَنَّهم جَنَّاتٍ تَجري من تَحتها الأنهارُ ثَواباً مِن عِند اللهِ واللهُ عِندَهُ حُسنُ الثَّوابِ).(2)

(كانَّهُنَّ الياقُوتُ والمَرجانُ).(3)

(إنَّ الأُبرارَ يَشرَبُونَ مِن كَأسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً عَيناً يَشرَبُ بِها عِبادُ اللّه يُفَجِّرونَها تَفجيراً).(4)

(وَجَزاهُم بِما صَبَرُوا جَنَّةً وحريراً مُتَكئينَ فيها علي الْأرائك لايَرونَ فيها شَمساً ولا زَمهريراً ودانيَة علَيهِم ظلالُها وذُلّلت قُطُوفَها تَذليلاً ويُطافُ عَليهم بانيَة مِن فِضةَ وأكوابٍ كانَت قَواريرَا قواريرَا مِن فِضَّة قَدَّوها تَقديراً ويُسـقَونَ فيها كَأساً كانَ مِزاجُهاً زَنجَبيلاً عَيناً فِيها تُسـمَّي سـلسَبيلاً و يَطوفُ عَليهم وِلدانٌ مُخلَّدونَ إذا رَأيتَهُم حَسـبتهُم لُؤلُؤاً مَنثوراً وَإذا رَأيتَ ثُمَّ رَأَيتَ نَعيماً ومُلكاً كَبيراً عَالِيَهُم ثِيابُ سٌ ندُسٍ خُضـرٌ وَ إسـتَبرَقٌ وحُلّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَةٍ وَسَقاهُم رَبُّهُم شراباً طَهوراً إنَّ هذا كانَ لَكُم جَزاءً وَكانَ سَعيُكُم مَشكوراً) .(5)

(انَّ اللّه, يُـدخِل الَّذينَ آمَنـوا وعَمَلـوا الصَّالِحـاتِ جَنَّاتٍ تَجري مِن تَحتِهـا الأنهـارُ يُحَلَّونَ فيهـا مِن أسٌ اوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤلواً ولِباسٌ هُم فِيها حَريرٌ).(6)

1- يس: 57

2- آل عمران: 195

3- الرحمن: 58

4- الإنسان: 5 و6

5- الإنسان: 12 - 22

6- الحج: 23

ومن نعيم الجنـة هدوء النفس وراحة البال، وعدم القيل والقال، فلا تعب ولا نصب، ولا فحش في القول ولا ابتذال، وإنما سـكينة واطمئنان ومحبة ووئام، وتحية وسلام، ولا سأم من الخلود، وهذا ما لم يتوفر لأحد في الدنيا.

(جَنَّاتُ عَـدنَ يَـدخُلونَها يُحَلَّونَ فِيها مِن أَساورَ مِن ذَهَب ولُؤلؤاً وَلِباسٌ هُم فيها حَريرٌ وقالوا الحَمـدُ لله الَّذي أَذهَبَ عنَّا الحَزَنَ انَّ ربَّنا لَغَفُورٌ شَكورٌ الَّذي أَحَلنا دارَ المُقامَةِ مِن فَضلِهِ لا يَمَسُّنا فيها نَصبٌ وَلا يَمسَّنا فيهَا لُغُوبٌ).(1)

(جَنَّات عَدن الَّتي وَعَدَ الرَّحمنُ عِبادَهُ بالغَيبِ أنَّه كانَ وَعدُهُ مَاتياً لَا يَسمَعُونَ فيهَا لَغواً الأ سَلاماً وَلَهُم رِزقُهُم فِيها بُكرَةً وَعَشيّاً).(2)

(وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَاعَمَةٌ لَسَـعيِها راضِـيةٌ فِي جَنَّة عَالِيَةٍ لا تَسـمَعُ فِيها لاغِيَةً فِيها عَينٌ جارِيَةٌ فِيها سُـرُرٌ مَرفُوعَةٌ وَأَكوابٌ مَوضُوعَةٌ وَنَمارِقٌ مَصفُوفَةٌ و زَرابيُ مَبثُوثَةٌ).(3)

(جَنَّاتُ عَـدنٍ يَـدخُلوها ومَن صَـلَحَ مِن آبائِهِم وَأَزواجِهم وَذُرِيَّاتِهِم والمَلائِكـةُ يَـدخُلونَ عَليهِم مِن كُلِ بابٍ سَـلامٌ عَليكُم بِما صَبَرتُم فَنَعمَ عُقبَي الدَّارِ).(4)

(انَّ المُتَقينَ في مَقـامٍ أَمينٍ فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ يَلبَسونَ مِن سُـندُسٍ وَإِسـتَبرَقٍ مُتقـابِلينَ كَـذلِكَ وَزَوَجناهُم بحُورٍ عَينٍ يَـدعُونَ فيها بكُل فَاكِهةٍ آمنينَ لايَذوقونَ فِيهَا المَوتَ إِلَّا المَوتَةَ الأُولَي وَوَقاهُم عَذابَ الجَحيمِ).(5)

(دَعواهُم فِيها سُبحانَكَ اللَّهُمَّ وَ تَحيَّتُهُم فِيها سلامٌ وأخِرُ دَعواهُم أَنِ الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ).(6)

1- فاطر: 34 و 35

2- مريم: 61 و 62

3- الغاشية: 8-16

4- الرعد: 23 و 24

5- الدخان: 52 - 56

6- يونس: 10

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام :

دار بالبلاء محفوفة وبالغدر موصوفة إلي قوله عليه السلام: و تفنيهم بحمامها. (1)

وقال عليه السلام في خطبة أخري:

فاحذروا الدنيا فإنها غدارة غرارة خدوع، معطية منوع، ملبسة نزوع، لا يدوم رخاؤها، ولا ينقضي محناؤها، ولا يركد بلاؤها.(2)

الدنيا خير دار لمن لم يتخذها داراً، أو كما قال أمير المؤمنين عله السلام يصف الزهاد: كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها،(3) لأنها دار عمل، دار امتحان واختبار، وهي الطريق إلي الآخرة، إلي دار الخلود حيث النار أبـداً أو الجنة أبداً، فالعمل فيها بالصالحات يوصل إلي مرضاة الرب، فيؤتيهم ثواب الدنيا والآخرة:

(فَأتَاهُم اللهُ ثَوابَ الدُّنيا وحُسنُ ثوابِ الآخرةِ واللهُ يُحبُّ المُحسِنينَ).(4)

وفي الدنيا الظفر والنصر علي الأعداء:

(انَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنا والَّذينَ آمَنوا فِي الحَياةِ الدُّنيا وَيومَ يَقُومُ الأشهادُ).(5)

والرضا بما قسم، والقناعة ذلك الكنز الذي لا يفني، والملك الذي لا يبلي، وراحة البال:

(وَقيلَ لِلَّذينَ اتَّقَوا مَا ذا أنزَلَ ربُّكُم قالُوا خَيراً).(6)

ويشرح صدورهم ولا يجعلها ضيقة، وليس كالكافر الضال الذي وصف - سبحانه - حاله في الدنيا، فقال عنه:

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 11: 258

2- بحار الأنوار 70: 83/ ح 46

3- بحار الأنوار 67: 320/ ح 36

4- آل عمران: 148

5- غافر: 51

6- النحل: 31

(وَمَن يُرِد أَن يُضلّهُ يَجعَل صَدرَه ضَيقاً حَرجاً كأنَّما يَصعَّدُ فِي السَّماء). (1)

ويدفع عنهم بلاء النار فيها وينجيهم منه، كما أنجي أمماً آمنت بربها وصدقت بأنبيائها، فقد أنجي نوحاً والذين آمنوا معه:

(فكذَّبوهُ فَأنجَينَاهُ والَّذينَ مَعَه فِي الفُلكِ وأَغرَقنَا الَّذينَ كَذَبوا بِآياتِنا انَّهُم كانوا قَوماً عَمينَ).(2)

وكما أنجي هوداً ومن آمن من قومه:

(فَأنجَيناهُ والَّذينَ مَعَه بِرحمَة منَّا وَقَطَعنا دابِرَ الَّذينَ كَذَبوُا بِآياتِنا ومَا كانُوا مُؤمِنينَ).(3)

وكـذلك ينجي الله المؤمنين، هـذا في الدنيا، وفي الآخرة الفوز والخلود في الجنة، والنعيم الدائم، ولولا هذه الدنيا لما اسـتحق الإنسان كل هذا الجزاء العظيم، فطوبي للعاملين فيها بأوامره، المنتهين عن نواهيه، وحسن مآب.

أما غير المؤمن، أما الذين غرتهم الدنيا فركنوا إليها وأصبحت كل همهم، أما الذين يحرصون كل الحرص فيتمنون لو يعمرون فيها:

(ولَتَجِدنَهُم أحرَصَ النَّاس علَي حَياةٍ ومَنَ الَّذينَ أشـرَكَوا ويَوَدُّ أَحَدُهُم لَو يُعَمَّرُ ألفَ سَنَةٍ ومَا هُو بِمُزَحزحِه مِنَ العَذابِ أَن يُعَمَّرَ اللهُ بَصيرٌ بِما يَعمَلونَ). (4)

ومهما أوتوا فيها من المال والجاه والسطوة والسلطان فهم في ضنك من العيش:

(وَمَن أعرَضَ عَن ذِكري فَإنَّ لَه مَعِيشَةً ضَنكاً).(5)

رضوا بالأرذل الأدني، وفتنوا أنفسهم بالشهوات والملذات الزائلة، وبالذهب والفضة :

1- الأنعام: 125

2- الأعراف: 64

3- الأعراف: 72

4- البقرة: 96

5- طه: 125

(زُيّن للنَّاس حُبُّ الشّهواتِ مِن النِساءِ والبَنينَ والقَناطِير المُقَنطَرَة مِن الـذّهَبِ وَالفِضّة وَالخَيلِ المُسَوَّمَة والأنعامِ وَالحَرثِ ذَلكَ مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا واللهُ عِندَه حُسنُ المَآبِ).(1)

وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، ومتاع الدنيا قليل:

(قُل مَتاعُ الدُّنيا قَليلٌ وَالأخرةُ خَيرٌ لمَنِ اتَّقي).(2)

(نُمَتِعُهُم قَليلاً ثُمَّ نَضطَرُّهُم إلي عَذابٍ غَليظٍ).(3)

(لا يَغُرَّنَكَ تَقلُبَ الَّذينَ كَفرَوا فِي البِلادِ مَتاعٌ قَليلٌ ثُمَّ مَأواهُم جَهَنَّمُ وَ بِئسَ المِهادُ).(4)

فالمغرور من غرته هـذه النعم الزائلـة الفانيـة و شـغل بها وجعلها الغايـة، ولـم يجعلها الوسـيلة إلي بلوغ رضوان الله ونعيمه الـدائم الذي لا انقضاء له ولا زوال.

وغير المؤمن إذا ملك المال طغي، وإذا ملك السلطان سعي في الأرض الفساد:

(إنَّ الإنسانَ لَيَطغي أَن رَآهُ استَغني).(5)

(وإذا تَوَلَّي سَعي فِي الأرضِ لِيُفسدَ فيها وَيُهلِكَ الحَرثَ والنَسلَ واللهُ لايُحِبُ الفَسادَ).(6)

المال والسلطان نعمة ينعمهاالله سبحانه علي الإنسان، تستوجب الشكر، فيبدلها الكافر كفراً وطغياناً عن سبيل الله :

(ألَم تَر إلَي الَّذينَ بَدَّلوا نِعمَتَ اللهِ كُفراً وَأحَلُوا قَومَهُم دارَ البَوارِ جَهَنَّمَ يَصلَونَها و بئسَ القَرارُ).(7)

1- آل عمران: 14

2- النساء: 77

3- لقمان: 24

4- آل عمران: 196 و 197

5- العلق: 6 و 7

6- البقرة: 205

7- إبراهيم: 28 و 29

(انَّ الّذينَ كَفَروا يُنفِقُونَ أموالَهُم لِيَصُدُّوا عَن سَبيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَها ثُمَّ تكونُ عَلَيهِم حَسرةً ثُمَّ يُغلَبُونَ والّذينَ كَفروا إلَي جَهَنَّمُ يُحشَرونَ).(1)

لا تنفعهم نصيحة ولا يفيدهم إنذار:

(إنَّ الَّذينَ كَفَروا سَواءٌ عَليهِم أأنذَرتَهُم أَم لَم تُنذِرهُم لا يُؤمنونَ) .(2)

واذا ما أملي لهم – سبحانه في هذه الدنيا فليس حباً بهم ولا كرامة الهم ولكن!؟

(ولا يَحسَبَنَّ الَّذينَ كَفروا أنَّما نُملِي لَهُم خَيرٌ لِأنفُسِهِم إنَّما نُملِي لَهُم لِيَزدادُوا إثماً وَلَهُم عَذابٌ مُهينٌ).(3)

ولأن الدنيا وما فيها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، فما قيمة ما يعطي فيها الكافر مهما كثر، ولولا أن يساق الناس سوقاً إلي الكفر لجعل الله سبحانه لمن يكفر به:

(لِبُيُوتِهم سٌقُفاً مِن فِضَّةٍ ومَعارِجَ عليها يَظهَرونَ * ولِبُيُوتِهِم أبواباً و سُرراً عَليها يَتَكونَ* وزُخرُفاً). (4) ربّ سائل يسأل: وهل يترك هؤلاء بدون عقاب في هذه الدنيا ؟! أم أنهم يعاقبون ليكونوا عبرة لمن يعتبر، وعظة لمن يتعظ؟

كلا، فلقد انتقم – سبحانه – من الكافرين والظالمين علي مر العصور والأعوام وكر الدهور والأيام، فلم ينصرهم من الله ناصر، ولم تنفعهم أموالهم ولا أولادهم ولا سلطانهم، وإليك نبؤهم، ولا ينبؤك مثل خبير، قال تعالي:

(فَأمَّا الَّذينَ كَفروا فَأُعَذِّبُهم عَذاباً شَديداً فِي الُّدنيا والآخرةِ ومَا لَهُم مِن ناصِرينَ) .(5)

1- الأنفال: 36

2- البقرة: 6

3- آل عمران: 179

4- الزخرف: 33 – 35

5- آل عمران: 56

وقال تعالي يصف حالهم في الدنيا بأنهم خائفون مرعوبون، وإن ملكوا كل شيء!

(سَنُلقِي في قُلُوب الَّذينَ كَفَروا الرُّعبَ بما أشرَكُوا بِاللهِ ما لَم يُنَزل بِه سُلطاناً وَمأواهُمُ النَّارُ و بِئسَ مَثوىَ الظَّالمينَ).(1)

وكم نص علينا القرآن الكريم من قصصهم، وكيف أخذهم الله نكال الدنيا والآخرة، فاعتبروا يا أولي الألباب:

(ولَقَد عَلمتُم الَّذينَ اعتَدُوا مِنكُم فِي السَّبتِ فَقُلنا لَهم كُونُوا قِردَةً خاسِئينَ * فَجعلناها نكالاً لِما بَين يَديها ومَا خَلفَها وَموعظةً لِلمُتقينَ).(2)

(وعَاداً وثَمودَ وقَد تَبينَ لَكُم من مَسَاكَنِهم و زَينَ لَهُم الشَّيطانُ أعمالَهُم فَصَدَّهُم عَن السَّبيلِ وكانُوا مُستَبصِرينَ * وقارُونَ وفرعونَ وهامَان ولَقَد جاءَهُم موسي بالبَيناتِ فَاستَكبَروا فِي الأُرضِ ومَاكانُوا سابقينَ *فكلاً أَخَذنا بِذنبِه فَمِنهُم مَن أرسَلنا عَلية حاصِباً ومِنهُم مَن أخَذته الصَّيحَة ومنهُم مَن خَسَفنا به الأرضَ ومنهُم مَن أغرَقنا ومَا كانَ اللهُ لِيَظلمَهُم وَلكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُون)(.(3)

ولنا بما فعل الله بالذين كذبوا الرسل – من قبلنا – عبرة وعظة:

(لَقد كانَ فِي قَصَصِهِم عِبرةٌ لأُولِي الألبابِ).(4)

فهؤلاء قوم صالح وقوم شعيب عليه السلام:

(فَأَخَذهُم الرَّجفَةُ فَأصبَحوا فِي دارِهم جاثِمينَ).(5)

وهؤلاء قوم لوط عليه السلام:

1- آل عمران: 151

2- البقرة: 65 و66

3- العنكبوت: 38 – 40

4- يوسف: 111

5- الأعراف: 78

(فَأنجَيناهُ، وَأهلَهُ إلا امرَأتَهُ كانَت مِن ألغابِرينَ * و اَمطَرنا عَلَيهِم مَطَراً فَانظُر كَيفَ كانَ عَاقبةُ المُجرمينَ).(1)

وأما الذين كتبوا موسي عليه السلام:

(فأرسَلنَا عَليهم الطُّوفانَ وألجوادَ والقُمَّل والضَّفادِعَ والدَّمَ آياتٌ مُفَصَّلاتٍ فَاستَكبَروا وكانُوا قَوماً مُجرمينَ).(2)

(فانتَقَمنا منهُم فَأغرَقناُهم في اليّمِ بأنَهُم كَذَّبوا بآياتِنا وكانوا عَنها غَافلينَ).(3)

وإكراما لنبينا نبي الرحمة، ولبيان فضله علي سائر الأنبياء والمرسلين، رفع سبحانه وتعالي عن أمته العذاب في الدنيا لسببين:

الأول: لوجوده – عليه وعلي آله الصلاة والسلام – بينهم.

الثاني: الاستغفارهم من الذنوب التي يقترفونها، قال عز اسمه:

(وما كان اللهُ لِيُعَذِبَهُم وأنتَ فيهِم ومَا كانَ الله مُعَذَبَهُم وهُم يَستَغفِرونَ).(4)

من عشق شيئاً أعشي بصره:

قال الأستاذ محمد علي الحوماني في كتابه (دين و تمدين) ج 2 ص 264، عند قوله عليه السلام:

من عشق شيئاً أعشي بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه .

هذه كلمات واضحة صريحة لاتحتاج إلي بيان في عرضها بين يدي قراء هذا السفر، إلا كلمة وأعشي بصره، فقد كان إمام البلغاء حرية بأن يقول:

1- الأعراف: 83 و 84

2- الأعراف: 133

3- الأعراف: 136

4- الأنفال: 33

أعمي بصـره قياساً علي المثل القائل: الحب يعمي ويصم، والمثل الآخر صاحب الحاجـة أعمي لا يري إلا قضاها فلماذا عـدل الإمام عن كلمة أعمي، إلي كلمة أعشـي يا تري؟ إنه أراد العمي القريب لا البعيد، والعمي الجزئي لا الكلي، فإن الأعشي والعشواء من لا يبصر أمامه، وهو الذي لا يبصـر ليلا، من العشـرة التي هي ظلمة الليل، فلم يرد الإمام بالعشوة الحقيقية وإنما أراد مجازيها، بأن شاء أن ينسب للعاشـق العمي الجزئي، وهو عـدم الرؤيـة في الليـل، أو العمي القريب الـذي هو عـدم رؤيته ما بين يـديه، وترك العمي الكلي الـذي هو عمي الليل والنهار، كما ترك العمي البعيد وهو فقد البصر رؤية ما يكشفه النور من جميع الآفاق التي تحدق به.

أقول: لقد ترك الإمام هذا النوع من العمي للحقيقة واكتفي بالمجاز منها.

ففي الحقيقـة أن العاشق لا يعمي بصـره عن كل شـيء قريبه وبعيده، جزئيه و كليه، لأنه يري مناط عشـقه وهو حبيبه الذي أعماه عن أن يري غيره، إذن فهو أعشـي لا أعمي، فكأن هذا العاشق لا يري في الحياة شـيئاً غير ما يعشق، فعينه -وهي تبصر الأشياء دونه _ تصور له كل شيء في شكل حبيبه، وأذنه – وهي تسمع كل صوت حوله _ لا توقع غير صوت حبيبه علي سمعه، إذن فالعاشق يري بعينه العاشقة شخصاً واحداً هو عنده كل شخص، ويسمع بأذنه العاشقة صوتا واحداً هو عنده كل صوت، ذلك الشخص هو شخص حبيبه، وذلك الصوت هو صوته.

من أجل هذا عبر عن عينه التي تعشو عن رؤية كل شـخص غير ما يعشق، عبر عنها بأنها غير صحيحة، وعبر عن أذنه التي تهم عن سماع كل صوت إلا صوت عشـيقه، عبر عنها بأنها غير سميعة، ذلك ليدلنا علي أن الاسترسال في رؤية غير الحق عمي، وأن الاسترسال في استماع غير الحق صـمم، فـالرائي – وإن كان جـد بصـير – هو أعمي، إلا إذا أمعن في النظر إلي ما يفيض بنور الحق في الحياة، والواعي – وإن كان جد سميع – فهو أصم إلا إذا أصغي بسمعه إلي ما يفصح عن صوت الحق في الحياة.

هذا هو علي تلميذ محمد في بلاغته وحكمته وتقواه، ثم في إخلاصه بكل ما يقول ويعمل.

أقول: هـذا علي عـدنا إليه بمـا يلقي علينـا من تعـاليم أخيه ومعلمه محمـد صاحب المعجزات، ومنقـذ العالم من هوة الانحـدار إلي ظلام الوحشـية، هذا علي يقول في مضـمون هذه الجمل الصغيرة: إن الشهوات قد تخرق العقل مهما كان هذا العقل جباراً، وإن الدنيا قد تميت القلب مهما كان هـذا القلب كبيراً، إنه عليه السـلام يحذر كثيراً من استرسال النفس مع الشـهوات، ويؤمن كثيراًبأن الشـهوة قد تميت القلب وهو يزخر بالحياة، وإن صاحب الشهوة عبد قن لنفسه حيث يقول: عبد الشهوة أذل من عبد الرق. (1)

هذا العقل الكبير الجبار المنزل من السـماء علي الأرض رحمة بالإنسان الضـعيف بين يدي شهواته، أقول: إن هذا العقل يضعف ويتضاءل بين يدي النفس الأمارة بالسوء، فما هي إذن هذه النفس العاصـفة بجبابرة العقول؟؟ وما هو هذا العقل الجبار الذي يخسأ وينكص ويستكين بين يدي طغيان هذه النفس العاتية؟؟ إنا لنشـعر جميعاً بضـعف العقل أمام شهوة الإنسان الدنيا، ونحن علي إيمان قوي بأن العقل أشرف ما يحمله الإنسان من صفات الخير والنبل والكمال، إنا لنشعر بذلك، ثم نؤمن بأن العقل مرشدها، وأن الشرائع السماوية إنما نزلت لتعزيزه، ثم نري عقولنا أحياناً كثيرة تخضع لشهوات أنفسنا بمحض اختيارنا وإرادتنا، فما هو السر في ذلك كله يا تري؟؟

هل لأن الإنسان منطلق بنفسه في متع الحياة الـدنيا ومقيـد بعقله فيها؟؟ ولأن النفس تبعث علي تغذيـة الجسم في حياته القصـيرة، والعقل يبعث علي.

1- عوالي الثالي 1: 273/ ح 95

تغذيـة الروح في حياتهـا الطويلـة؟! أم لأـن الإنسان مفطور علي شـهواته بطبعه، ومفطور علي عقله بتطبعه، من أجل ذلك تراه يتهافت علي الشـهوات منذ طفولته وقبل تعقله، بينما نراه يتزن بعقله من وراء تدينه و تعلمه وتثقفه، فلا يخضع للعقل إلا بمعلم يرشده أو سلطان يقومه أو مجتمع يثقفه، وأما النفس الشريرة فلها سلطانها الطبيعي الذي يخضع له ويأتمر به دونما قاسر أو آسر من خارج كيانه الذاتي؟؟

المرء بعقله كبير إذا ملك إرادته وسـيطر علي شهواته، وهو كذلك بهذه الشهوات كبير إذا عهد بتوجيهها إلي عقله، فإن الإنسان إذا سيطر عليه عقله بما لا يخمد عاطفته كان مصدراً للعلوم، وإذا سـيطرت عليه عواطفه بما لا يكبت عقله كان مصدراً للفنون، فإذا ملك هاتين السيطرتين كان الرجل الكامل، وإذا فقد إحداهما نقصت رجولته، وأماإذا فقد كليهما فقد هلك.

كل ذلك يعنيه الإمام إذ يدعو إلي تفادي الشهوات وتحامي سلطانها علي العقل، وتهافت الإنسان بين يدي شهواته إذا لم يستعن بعقله علي توجيهها والتحرر من سلطانها الجائر.

كـان الإمام أديباً وعالماً و حكيماً، كان أديباً إذ تثور عاطفته فيعصـمها بنضـج عقله من التهافت، فتنفجر فتطلع بأسـمي أنواع الأدب الحزين علينا، كخطبته المسماة (بالشقشقية)، و كخطبه التي كان يقرع بها جنده وهم يستعصون عليه، فيما يأمرهم به وينهاهم عنه.

وكان الإمام عالماً إذ يعالج بعقله الكبير قضايا السـياسة أو الفلسفة أو الثقافة، كعهده لعامله مالك الأشتر إذ ولاه مصر، و كوصيته لولديه عند احتضاره.

وكان الإمام حكيماً في كثير من أقواله التي يراها القاريء مدار البحث في هذا الكتاب.

الشهوة الجامحة:

الشـهوة التي يعنيها الإمام بقوله، هـذه هي الشـهوة الجامحة التي تنزو علي العقل فلايكبتها ضـمير ولا يكبحها وازع، هذه الشـهوة هي التي تطمـح بالإنسان الضـعيف العقل فتجرده من شـرفه وإنسانيته ودينه وأدبه في سبيل حطام الـدنيا، هـذا الحطام الذي يتكالب عليه الناس بين يدي منصب زائل أو لذة من متع الحياة عمرها قصير، أو ملك يتهالك في سبيله من وراء حياة قصيرة الأجل؟

هذه الشـهوة التي تدفع بالإنسان الكبير بكل ما فيه من جوهر تخيره الله له وجعله خليفته في أرضه، تدفع هذه الشهوة به إلي هوة ينحدر فيها عن الحيوان المسخر له.

أقول: هذه الشهوة الجامحة المتحللة الطاغية هي التي يعنيها الإمام بقوله: قد خرقت الشهوات عقله وأماتت قلبه.

وهي التي عناها بقوله: عبـد الشـهوة أذل من عبـد الرق،(1) هـذه الشـهوة هي المعبر عنهـا في القرآن بقوله عز من قائـل: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُوءِ)، (2) وأما الشـهوة التي يطمح بها الإنسان إلي معالي الأمور من متع الجسد والروح ثم يعمل بعقله ودينه وما أوتيه من قوة عادلة في تفكيره و تدبيره.

هذه الشهوة التي هي مثار العاطفة في الإنسان الذي لا يعيش بلا عاطفة.

أقول: إن هـذه الشـهوة هي التي يخاطب الله من ورائها عباده بقوله تعالي: (قُل مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتي أَخرَجَ لِعِبادِه وَالطَّيباتِ مِنَ الرزقِ)(3) وقوله: (كُلُوا مِن طَّيبـاتِ مَا رَزقناكُم)(4) وهذه الشـهوة هي التي غضب لها الامام عندما بلغه أن بعض الموسـرين من أصحابه يكبحون من شهواتهم زهداً في الحياة الدنيا

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 20: 342/ الرقم 928

2- يوسف: 53

3- الأعراف: 32

4- البقرة: 57

وتشبهاً به، فانهال عليهم بالتأنيب والتقريع إذ يقول:لم تحرمون ما أحل الله؟؟ ولمن يقول الله تعالي: (كُلُوا مِن طّيباتِ مَا رَزقناكُم).(1)

ثم يلتفت عليه السلام ويقول: من مضمون قوله لا ـ من نصه _ أما أنا الذي تتشبهون بي في هذا الحرمان، فأنا أمير المؤمنين، وقدوتهم، ومكان المواساة منهم، لو شئت لاهتديت إلي مصفي هذا العسل ولباب هذا البر ونسائج هذا القز، ولكن رب جائع في هؤلاء الذين أعول يقول: إن ابن أبي طالب ملأ جوفه من أطائب الحياة وأنا جائع.(2)

هكذا كان الإمام ينظر إلي الدنيا نظرة خبير بها، ثم ينظر إلي الناس نظرة خبير بهم، فليس للمأموم أن يتشبه بإمامه في دقائق الحياة وجلائلها، فقد يسوغ للإمام ما ليس في حساب المأموم، وقد يسوغ لهذا ما هو حجر علي ذاك، ولهذا كان الإمام إماماً والمأموم مأموماً.

بهذا يمتاز الرفيع عن الوضيع، والشريف عن الخامل، والعالم عن الجاهل، فقد يكون المباح لي – وأنا العبد المملوك _ حراماً عليك وأنت السيد المالك، وقد يكون المحرم علي – وأنا الجهول – مباحاًلك وأنت العالم، فليس كل ما يصلح للرفيع يصلح للوضيع، ولا كل ما يليق بالجاهل يليق بالعالم، من أجل ذلك قيل: ذنب العالم علي قدره، وذنب الجاهل علي قدره، تلك سنة الله في خلقه (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّة الله تَبديلاً).(3)

لقد تقدم ذكر الجنة ووصفها، ولما كان قوله عليه السلام في المقام من

1- البقرة: 57 و 172؛ الأعراف: 160

2- قال عليه السلام: ولو شئت لاهتديت الطريق إلي مصفي هذا العسل وكبابهذاالقمح ونسائج هذا القر، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلي تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع. أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي وأكباد حريه انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 286

3- الأحزاب: 12؛ الفتح: 23

وصف الجنة مشرباً ومطعماً الخ ناسب أن تعود إلي ذكر الجنة آخر مما يتشوق إليه القارئ فنقول:

الجنـة (لغة) هي الحديقة ذات الشـجر، وفي الاصـطلاح الديني تطلق الجنة علي ما أعده الله للصالحين من عباده في الحياة الآخرة، مكافأة لهم علي صالح أعمالهم وجميل آثارهم في العالم الأرضي.

وصف الجنة في القرآن:

وقد جاء وصفها في القرآن الكريم بأنها ذات أنهار وأشجار وفواكه ولحوم وأزواج، علي مثال ما هو موجود في العالم الأرضي، وإن كان أرقي منه في النوع والشكل والطعم، وقد تكرر ذكرها في الكتاب الشريف علي صور شتي، فقال تعالي:

(وَجزاهُم بما صَبَروا جَنَّةً وحَريراً * مُتَكئينَ فيها عَلي الأرائكِ لا يَرونَ فيها شَمساً وَلا زَمهَريراً * ودانِيَةً عَليهِم ظِلالُها وذُلِّلت قُطوفُها تَذليلاً * ويُطافُ عَليهم بِانيَةٍ مِن فِضَّة وأَكوابٍ كانَت قَواريراً * قَواريراَ مِن فِضَّةٍ قَدَّروها تَقديراً * و يُسقون

فيها كَأساً كانَ مِزاجُها زَنجبيلاً * عَيناً فيها تُسَمّي سَلسَبيلاً * وَيَطوفُ عَليهم ولـدانٌ مُخلَّدونَ إذا رَأيتَهُم حَسـبَهم لُؤلُؤاً مَنثوراً * وإذا رَأيتَ ثَمَّ رأيتَ نَعيماً ومُلكاً كَبيراً * عالِيَهُم ثِيابُ سُندُس خُضرٌ واستَبرقٌ وحُلواَ أَسَاوِرَ مِن فِضةٍ سَقاهُم رَبُّهم شَراباً طَهوراً * إنَّ هَذا كانَ لَكم جَزاءً وَكانَ سَعيُكُم مَشكُوراً).(1)

وقوله تعالي :

(مَثَلُ الجَنَّة الَّتي وُعدَ المُتَقونَ فِيها أنهارٌ مِن مَاء غَيرِ اسِنٍ وَأنهارٌ مِن لَبَنٍ لَم يَتَغير طَعمُهُ وأنهارٌ مِن خَمرٍ لَذَّة للشَّاربينَ وأنهارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفي ولَهُم فيها مِن كُل الثَمراتِ وَمَغفرةٌ مِن رَبِّهِم كَمَن هُو خالِدٌ فِي النَّار وَسُقوا مَاءً حَميماً فَقَطعَ أَمعاءَهُم).(2)

1- لإنسان: 12 - 22

2- محمد: 15

وقال تعالي:

(ولَهُم فيها أَزواجٌ مُطَهرةٌ وهُم فِيها خَالِدُون) .(1)

هذا بعض ما ورد من صفات الجنة في القرآن العظيم.

وصف الجنة في أحاديث السنة:

قال الطريحي في مجمع البحرين:

عن علي بن إبراهيم قال: حدثني أبي، عن حماد، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

قال رسول الله صلي الله عليه وآله: لما أسري بي إلي السماء، دخلت الجنة فرأيت قصراً من ياقوت أحمر يري داخله من خارجه، وخارجه من داخله، وفيه بيتان من در وزبرجد، فقلت: يا جبرئيل لمن هذا القصر؟ فقال: لمن أطاب الكلام، وأدام الصيام، وأطعم الطعام، وتهجد بالليل والناس نيام، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا رسول الله وفي أمتك من يطيق هذا؟ فقال: أدن مني يا علي، فدنا، فقال: أتدري ما إطابة الكلام؟ فقال: الله ورسوله أعلم، قال: من قال: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر). فقال: أتدري ما إدامة الصيام؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: من صام شهر رمضان ولم يفطر منه شيئاً. قال: أتدري ما إطعام الطعام؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: من طلب لعياله ما يكف به وجوههم عن الناس. وتدري ما التهجد بالليل والناس نيام؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: من لم ينم حتي يصلي عشاء الآخرة، ويعني ب (الناس نيام) اليهود والنصاري، فإنهم ينامون فيما بينهما.(2)

وفي سفينة البحار مسنداً عن أبي أمامة الباهلي، إن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من

1- البقرة: 25

2- مجمع البحرين 1: 414

الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزمار الشيطان، ولكن بتمجيد الله وتقديسه. (1)

وعن أبي الدرداء: قال كان رسول الله صلي الله عليه وآله يذكر الناس، فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم، وفي القوم أعرابي، فجثا لركبتيه وقال: يا رسول الله هل في الجنة من سماع؟ قال: نعم يا أعرابي، إن في الجنة لنهراً حافتاه أبكار من كل بيضاء، يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط، فذلك أفضل نعيم الجنة.(2)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الجنة: واعلموا عباد الله أن مع هذا رحمة الله التي وسعت كل شيء، لا يعجز عن العباد جنة عرضها السماوات والأرض، خير لا يكون بعده شر أبداً، وشهوة لا تنفذ أبداً، ولذة لا تفني أبداً، ومجمع لا يتفرق أبداً، وقوم قد جاوروا الرحمن وقام بين أيديهم الغلمان، بصحاف من ذهب فيها الفاكهة والريحان.(3)

وفي السفينة أيضاً، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلي الله عليه وآله : أخبرني جبرئيل أن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام، وما يجدها عاق ولا قاطع رحم، ولا شيخ زانٍ، ولا جار أزاره خيلاء، ولا فتان ولا منان ولا جعظري، قال: قلت: فماالجعظري؟ قال الذي لا يشبع من الدنيا.(4)

وفي المجلد الأول من كتاب (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) تأليف قاضي القضاة مجير الدين الحنبلي:

ثم خلق الله الجنة وهي ثمان جنات: أولها دار الجلال من اللؤلؤ الأبيض، ثم دار السلام وهي من الياقوت الأحمر، ثم جنة المأوي وهي من

1- بحار الأنوار 8 196ح 181

2- بحار الأنوار8: 196ح 182

3- أمالي الشيخ المفيد: 266

4- بحار الأنوار8: 193/ ح 174

الزبرجد الأخضر، ثم جنة الخلد وهي من المرجان الأصفر، ثم جنة النعيم وهي من الفضة البيضاء، ثم الفردوس وهي من الذهب الأحمر، ثم جنة دار القرار وهي من المسك، ثم جنة عدن وهي من الدر، وهي مشرفة علي الجنان، لها بابان من ذهب، بين كل مصراع كما بين السماء والأرض، وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، بلاطها المسك، وترابها العنبر، وحشيشها الزعفران، وقصورها اللؤلؤ، وغرفها الياقوت،وأبوابها الجوهر، وفيها أنهار: منها نهر الرحمة، ونهر الكوثر، وهو لنبينا صلي الله عليه وآله، ونهر الكافور، ثم التسنيم، ثم السلسبيل، ثم الرصيف، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالي. وللجنان ثمانية أبواب، وفيها من الحور العين ما لا يقدر علي وصفهن إلآ الذي خلقهن.

وفي تفسير (نفحات الرحمن) 48/1 : روي عن النبي صلي الله عليه وآله في فضيلة «بسم الله الرحمن الرحيم أنه قال: ليلة أسري بي إلي السماء عرض علي جميع الجنان، فرأيت فيها أربعة أنهار: نهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من خمر، ونهر من عسل. فقلت: يا جبرائيل من أين تجيء هذه الأنهار وإلي أين تذهب؟ قال: تذهب إلي حوض الكوثر، ولا أدري من أين تجيء، فادعو الله تعالي ليعلمك أو بريك، فدعي ربه فجاء ملك فسلم علي النبي صلي الله عليه وآله ثم قال: يا محمد غمض عينك، قال: فغمضت عيني، ثم قال: افتح عينك، ففتحت فإذا أنا عند شجرة، ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب أحمر وقفل، لو أن جميع ما في الدنيا من الجن والإنس وضعوا علي تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس علي جبل.

فرأيت هذه الأنهار الأربعة تخرج من تحت القبة، فلما دنوت من القفل وقلت: «بسم الله الرحمن الرحيم انفتح القفل، ورأيت مكتوباً علي أربعة أركان القبة «بسم الله الرحمن الرحيم»ورأيت نهر الماء يخرج من ميم (بسم الله)، ورأيت نهر اللبن يخرج من هاء «الله»، ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن»، ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم»فعلمت أن أصل هذه الأنهار

الأربعة من البسملة، فقال الله عزوجل: يا محمد من ذكر هذه الأسماء من أمتك بقلب خالص من رياء وقال: بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الأنهار.

وفي ربيع الأبرار للزمخشري :

عن أسامة بن زيد: سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول في ذكر الجنة: ألا مشتر لها، هي ورب الكعبة – ريحانة تهتز، ونور يتلألأ، ونهر يطرد، وزوجة لا تموت، مع بور ونعيم، ومقام الأبد.(1)

الخدري يرفعه: إن الله جل ذكره لما حوط حائط الجنة، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها، قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال تعالي: طوبي لك منزل الملوك.(2)

جابر بن عبد الله الأنصاري، عنه صلي الله عليه وآله: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تعالي: أتشتهون شيئا فأزيدكم؟ قالوا: يا ربنا وما خير مما أعطيتنا؟ قال: رضواني أكبر.(3)

زيد بن أرقم، قال رجل لرسول الله صلي الله عليه وآله : يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطي قوة مائة رجل في الأكل والشرب، قال: فإن الذي يأكل تكون له الحاجة، والجنة طيب لا خبث فيها، قال: عرق يفيض من أحدهم كرشح المسك فيضمر بطنه. (4)

عتبة بن غزوان: لقد بلغني أن المصراعين من مصاريع الجنة، بعدما بينهما مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ بالزحام.

1- رواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح النهج 9: 280
2- رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 9: 280
3- شرح النهج لابن أبي الحديد 9: 280
4- بحار الأنوار8: 149ح 82

دخل داود عليه السلام غاراً من غيران بيت المقدس فوجد حزقيل يعبد ربه، وقد يبس جلده علي عظمه، فسلم عليه، فقال: أسمع صوت شبعان ناعم، فمن أنت؟ قال: داود! قال: الذي له كذا و كذا امرأة، و كذا وكذا أمة؟ قال: نعم، وأنت في هذه الشدة؟ قال: ما أنا في شدة، ولا أنت في نعمة، حتي ندخل الجنة. (1)

قوله عليه السلام: أقبلوا علي جيفة قد افتضحوا بأكلها" استعار صلوات الله عليه لفظ الجيفة للدنيا باعتبار نفرة طباع أهل البصيرة والمعرفة عنها، وكونها مستقذرة في نظر أرباب اليقين وأولياء الدين، كالجيفة المنتنة التي ينفر عنها الناس ويفرون منها، أوباعتبار اجتماع أهلها عليها و فرط رغبتهم إليها، و كون هم كل واحد جذبها إلي نفسه بمنزلة جيفة منبوذة تجتمع عليها الكلاب ويجذبها كل إليه، قال الشاعر:

وما هي إلا جيفة مستحيلة *** عليها كلاب همهن اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها *** وإن تجتذبها نازعتك كلابها

قوله عليه السلام: واصطلحوا علي حبها، أي اتفقوا علي محبتها و توافقوا عليها، فإن أصل الصلح هو التراضي بين المتنازعين، وتجوز به عن التوافق والاتفاق للملازمة بينهما.

قوله: ومن عشق شيئاً، أي كان مولعاً به شديد المحبة له، فإن العشق هو الافراط في الحب والتجاوز عن حد الاعتدال.

قال جالينوس الحكيم اليوناني العشق من فعل النفس، وهو كامن في الدماغ والقلب والكبد، وفي الدماغ ثلاث مساكن: التخيل في مقدمه، والفكر في وسطه، والذكر في آخره. فلا يكون أحد عاشقاً حتي إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله وفكره وذكره، فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال قلبه،

1- بحار الأنوار 14: 26/ ح 4

وكبده من النوم باشتغال الدماغ بالتخيل والذكر والفكر للمعشوق، فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به، ومتي لم يكن كذلك لم يكن عاشقاً.

وكيف كان فالمراد أن من أفرط في محبة شيء أعشي ذلك الشيء «بصره وأمرض قلبه» أي يكون فرط حبه لذلك الشيء مانعاً عن توجهه إلي ما يلزمه التوجه إليه، وحاجباً عن النظر إلي مصالحه وما يلزمه الاشتغال به، فيكون غافلاً عما عداه صارفاً أوقاته بكليته إلي هواه، ويكون عشقه مانعاً عن إدراكه العقول، ويكون عشقه أيضاً مانعاً عن إدراكه لعيوب المعشوق وعن التفاته إلي مساويه، ومن هنا قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ***كما أن عين السخط تبدي المساويا

وغرضه صلوات الله عليه أن أهل الدنيا لكثرة حبهم لها وفرط رغبتهم إليها قصرت أبصارهم عن النظر إلي أخراهم، ومرضت قلوبهم عن التوجه إلي عقباهم، وصرفوا أوقاتهم بكليتها إليها وإلي زخارفها ومقتنياتها، غافلين عن إدراك عيوبها ومساويها، ولم يعرفوا أنها غدارة غرارة يونق منظرها ويوبق مخبرها، وأنها لم تف الأحد من عشاقها، ولم تصدق ظن أحد من طالبيها وراغبيها.

قوله صلوات الله عليه: فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة لغفلته عما سوي المحبوب، وعدم تنبهه بما فيه من العيوب، فلا ينظر إليه بنظر البصيرة والاعتبار حتي يبصر ما فيه من المفاسد والمضار، ولا يستمع إلي المواعظ والزواجر والنواهي والأوامر حتي يأخذ عدته ليوم تبلي السرائر.

قد خرقت الشهوات عقله شبه العقل بالثوب، إذ كما أن الثوب زينة الانسان ووقاية للبدن من الحر والبرد فكذلك العقل زينة للمرء ووقاية له من حر نار الجحيم، يعبد به الرحمن و يكتسب به الجنان، وجعل عقل الرجل الموصوف بمنزلة ثوب خلق، إذ الثوب إذا كان خرقاً خلقاً ممزقاً لا ينتفع به صاحبه، فكذلك العقل إذا كان مفرقاً بالشهوات الباطلة مصروفاً في اللذات العاجلة لا ينتفع به فيما خلق لأجله البتة.

قوله صلوات الله عليه: وأما تت الدنيا قلبه، فلا انتفاع له به كميت لا

نفع له، «وولهت عليها نفسه، أي صار في فرط محبته للـدنيا بمنزلة الواله عليها والمفتون بها فهو عبد لها ولمن في يديه شـيء منها»، لأنه إذا كانت همته مصـروفة اليها وأوقاته مسـتغرقة في جمعها و جبايتها صار زمام أمره بيدها «حيثما زالت زال إليها وحيثما أقبلت أقبل عليها، كبد دائر في حركاته وسـكناته مدار مولاه، وانقياده لسيده ربما يكون قسرياً، وخدمة ذلك لدنياه عن وجه الشوق والرغبة والرضا والمحبة، وفي هذا المعني قال الشاعر:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها *** فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت *** يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

قوله صـلوات الله عليه: «لا ينزجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ» وهو يري الكتب الآلهية والصحف السماوية والأخبار المشحونة بذم الـدنيا، الناهية عن الركون إليها والإعتماد عليها، مضافاً إلي رؤيته المخرجين عن الدنيا بجبر و قهر، والمقلعين عنها بكره وقسـر،«المأخوذين علي الغرة» وحالـة الاغترار والغفلة، المشـغولين بالدنيا وشـهواتها، الغافلين عن هادم اللذات وسـكراته «حيث لا إقالة، لهم عن ذنوبهم ولا رجعة لهم إلي الدنيا ليتداركوا سيئات أعمالهم.

كيف نزل بهم من شدائـد الأهوال «ما كانوا يجهلون وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون وقدموا من»عقبات والآخرة ما كانوا يوعدونه فإنه لو تفكر في ذلك وتذكر ذلك يوشك أن يؤثر فيه ويقل فرحه بالدنيا وشغفه بها.

لأنه بعـدما لاحظ أحوال هؤلاء الماضـين وتصور تبدد أجزائهم في قبورهم ومحو التراب حسن صورهم، وأنهم كيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضـيعوا أموالهم، وخلت عنهم مجالسـهم ومدارسهم، وانقطعت عنهم آثارهم ومعالمهم، وعرف أنه عن قريب كائن مثلهم، انقلع – لا محالة – عن هؤلاء، وارتدع عن حب دنياه:

تفانوا جميعاً فما مخبر*** وماتوا جميعاً ومات الخبر

تروح وتغدو بنات الثري*** فتمحو محاسن تلك الصور

فيا سائلي عن أناس مضوا ***أما لك فيما تري معتبر

لا سيما لو عمق نظره في ما حل بالأموات بعد موتهم، ومانزل بساحتهم حين موتهم، لكان ندمه أشدة وحسرته آكد.

سكرات الموت:

فغير موصوف مانزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ففترت لها أطرافهم وتغيرت لها ألوانهم، وذلك لأن ألم النزع يسري في جميع أعضاء البدن ويستوعب الأطراف ويوجب ضعفها وفتورها.

قال الغزالي: واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها فإنما يعرفها بالقياس إلي الآلام التي أدركها.

بيان ذلك القياس: أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم، فإذا كان فيه فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سري الأثر إلي الروح، فبقدر ما يسري إلي الروح يتألم، والمؤلم يتفرق علي اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم، فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره، فما أعظم ذلك الألم وما أشده!، والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتي لم يبق جزء من أجزاء المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم، فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجد إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة.

وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن،فلا يبقي جزء من العضو المحترق ظاهراً وباطناً إلأ وتصيبه النار، فتحس الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم، وأما الجراحة فإنما تصيب

الموضع الـذي مسه الحديـد فقـط، فكـان لـذلك ألم الجرح دون ألم النار، فألم النزع يهجم علي نفس الروح ويسـتغرق جميع أجزائه، فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء و مفصل من المفاصل، ومن أصل كل شـعرة وبشـرة من الفرق إلي القدم، حتي قالوا: إن الموت لأشد من ضـرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض، لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلمه لتعلقه بالروح، فكيف إذا كان المتناول المباشـر نفس الروح؟ وإنما يسـتغيث المضـروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصـياحه مع شـدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد علي قلبه وبلغ كل موضع منه، فهد كل قوة وضـعف كل جارحة، فلم يترك له قوة الاستغاثة.

وإلي ذلك أشار صـلوات الله عليه بقوله: «ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً فحيل بين أحـدهم وبين منطقه، واسـتعار لفظ الولوج لما يتصور من فراق الحياة بعضو عضو، فأشـبه ذلك دخول جسم في جسم آخر، والمقصود بـذلك شدة تأثير الموت فيأبدانهم وإيجابه لضـعف اللسان عن قوة النطق والتكلم.

نعم في روايـة الكـافي بإسـناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السـلام قال: الحياة والموت خلقان من خلق الله، فإذا جاء الموت فـدخل في الانسان لم يدخل في شيء إلا وخرجت منه الحياة.(1)

فإن ظاهر هذه الرواية مفيدة لكون الولوج في كلامه مستعملاً في معناه الحقيقي، اللهم إلا أن يرتكب المجاز في ظاهر هذه أيضاً، فافهم .

وإنه لبين أهله ينظر إليهم ببصـره ويسمع كلامهم «بأذنه، ولا يتمكن من إظهار ما فيه من الشدة والحسرة عليهم لمكان ضعفه وعجزه مع أنه «علي

1- الكافي 3: 259ح 34؛ بحار الأنوار 6: 117/ ح 2

صحة من عقله وبقاء من لبه فهو راغب عن الدنيا مقبل إلي الآخرة، مشغول بحاله محاسب علي نفسه، متحسر علي ما قدمت يداه، نادم علي مـا فرط في جنب مولاه. «يفكر فيم أفني عمره، وفيم أذهب دهره، ويتأثر علي غفلته في أيام مهلته «ويتـذكر أموالاً جمعها، واسـتغرق أوقاته فيها «أغمض في مطالبهاء و تساهل في اكتسابها أيامه، ولذلك لعدم مبالاته بأنها من حلال أو حرام وأخذها من مصـرحاتها ومشتبهاتهاء أي من وجوه مباحة وذوات شبهة.

كما أشـير إليه في الحديث النبوي المعروف، قال صلي الله عليه وآله: إنما الأمور ثلاثة: أمر بين شده فيتبع، وأمر بين غيه فيجتنب، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجي من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات وقع في المحرمات وهلك من حيث لا يعلم. (1)

قـد لزمته تبعات جمعها و آثام جبايتها وأشـرف علي فراقها، تبقي لمن ورائه ينعمون فيها ويتمتعون بها، وهـم إما أهل طاعة الله فسـعدوا بما شقي، وإما أهل معصـيته فكان عوناً لهم علي معصـيتهم فيكون المهنأ لغيره والعبء علي ظهره أي يكون هنائة تلك الأموال أي كونها هنيئة لغيره، ووزرها وثقلها علي ظهره.

وفي الحديث النبوي المروي عن إرشاد القلوب، قال صلي الله عليه وآله : «إذا حُمل الميت علي نعشه رفرف روحه فوق النعش وهو ينادي: يا أهلي وولـدي لا تلعبن بكم الـدنيا كما لعبت بي، جمعته من حل وغير حل وخلفته لكم، فالمهنأ لكم والتعب علي، فاحـذروا مثل ما قد نزل بي،(2) ونعم ما قيل:

يمر أقاربي جنبات قبري *** كأن أقاربي لم يعرفوني

وذو الميراث يقتسمون مالي*** وما يألون أن جحدوا ديوني

وقد أخذوا سهامهم وعاشوا ***فياالله أسرع ما نسوني

1- الاحتجاج 2: 107

2- بحار الانوار 6: 161/ح 28

قوله صلوات الله عليه: و المرء قد غلقت رهونه بها.

قال الشارح المعتزلي: معناه أنه لما كان قد شارف الرحيل وأشفي علي الفراق صارت تلك الأموال التي جمعها مستحقة لغيره ولم يبق له فيها تصرف، وأشبهت الرهن الذي غلق علي صاحبه، فخرج عن كونه مستحقاً له، وصار مستحقا لغيره وهو المرتهن.(1)

وقال الشارح البحراني: ضربه صلوات الله عليه مثلاً لحصول المرء في تبعات ما جمع وارتباطه بها عن الوصول إلي كماله وانبعاثه إلي سعادته بعد الموت، وقد كان يمكنه فكاكها بالتوبة والأعمال الصالحة، فأشبه ما جمع من الهيئات الردية في نفسه عن اكتساب الأموال، فارتهنت بها بما علي الراهن من المال.

قوله صلوات الله عليه: فهو يعض بده ندامة علي ما أصحر له عند الموت من أمره وانكشف له حينئذ من تفريطه، كما يعض يوم القيامة إذا عاين العقاب وشاهد طول العذاب.

قال سبحانه:(وَيَومَ يَعضُّ الظَّالمُ عَلي يَدِيهِ يَقُولُ يا لَيتَني اتَّخَذت مَع الرَّسولُ سَبيلاً * يا ويلَتي لَيتَني لَم أتَّخَذ فُلاناً خَليلاً * لَقَد أضَلَّني عَن الذِّكر بَعدَ إذ جاءَني) . (2)

جاء في التفسير: أي يعض علي يديه ندماً وأسفاً، قال عطاء: يأكل يديه حتي تذهب إلي المرفقين ثم تنبتان، لا يزال هكذا كلما نبتت يداه أكلهما ندامة علي ما فعل.(3) وهو كناية عن الندم والتحسر علي ما فرط في جنب الله، وقصر في امتثال أمر مولاه.

قوله صلوات الله عليه: «ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره من

1- شرح نهج البلاغة 209:7

2- الفرقان: 27 - 29

3- تفسير مجمع البيان 7: 292

الأموال التي جمعها وخلفها لغيره، «ويتمني أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه»لما ظهر له من تبعاتها وسوء عاقبتها.

فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتي خالط لسانه سمعه فصار بين أهله لا يقدر أن «ينطق بلسانه ولا» أن «يسمع بسمعه» لانقطاع مادة الحياة عن السمع واللسان ويردد طرفه بالنظر في وجوههم، أي مخاطباتهم ويري حركات ألسنتهم ولا ـ يسمع رجع كلا ـمهم، أي ما يتراجعونه من الكلام لبطلان قوته السامعة وبقاء قوته الباصرة بعد.

قوله صلوات الله عليه: «ثم ازداد الموت التياطاً به، أي التصاقاً «فقبض بصره كما قبض سمعه وخرجت الروح من جسده»ظاهر هذا الكلام بملاحظة ما سبق من قوله:اثم ازداد الموت فيهم ولوجاً فحيل بين أحدهم وبين منطقه الخ... وما سبق أيضاً من قوله: «فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتي خالط لسانه سمعه» يفيد بطلان آلة النطق في الانسان قبل آلتي السمع والبصر، ثم بطلان آلة البصر، وإنما تبطل مع خروج الروح ومفارقتها عن البدن.

قال الشارح البحراني: وليس ذلك مطلقاً بل في بعض الناس، وأغلب ما يكون ذلك فيمن تعرض الموت الطبيعي لآلاته، وإلا فقد تعرض الآفة لقوة البصر وآلته قبل آلة السمع وآلة النطق، والذي يلوح من أسباب ذلك أنه لما كان السبب العام القريب للموت هو انطفاء الحرارة الغريزية عن فناء الرطوبة الأصلية التي منها خلقنا، و كان فناء تلك الرطوبة عن عمل الحرارة الغريزية فيها التجفيف والتحليل، وقد تعينها علي ذلك الأسباب الخارجية من الأهوية واستعمال الأدوية المجففة وسائر المجففات، كان كل عضو أيبس من طبيعته وأبرد أسرع إلي البطلان وأسبق إلي الفساد.

وقال الشارح الخوئي: أما أن آلة النطق أسرع من الأعصاب المفيدة للحس واتفق الأطباء علي أن الأعصاب المحكة أيبس و أبرد، لكونها منبعثة من مؤخر الدماغ دون الأعصاب المفيدة للحس، فإن جلها منبعث من مقدم الدماغ، فكان لذلك أقرب

إلي البطلان، ولأن النطق أكثر شروطاً من السماع، لتوقفه مع الآلة وسلامتها علي الصوت وسلامة مخارجه و مجاري النفس، والأكثر شرطاً أسرع إلي الفساد.

وأما بطلان آلة السمع قبل البصر فلأن منبت الأعصاب التي هي محل القوة السامعة أقرب إلي مؤخر الدماغ من منابت محل القوة الباصرة، فكانت أيبس وأبرد وأقبل لانطفاء الحرارة الغريزية، ولأن العصب المفروش علي الصماخ الذي رتبت فيه قوة السمع أحتاج أن يكون مكشوفاً غير مسدود عنه سبيل الهواء، بخلاف العصب الذي هو آلة البصر، فكانت لذلك أصلب، والأصلب أيبس وأسرع فسادا، هذا مع أنه قد يكون ذلك لتحتل الروح الحامل للسمع قبل الروح الحامل للبصر أو لغير ذلك، والله أعلم.

الجسد بعد الموت:

وقوله صلوات الله عليه: فصار جيفة بين أهله.

لا يخفي ما في هذا التعبير من النكتة اللطيفة، وهو التنفير عن التعلق بهذا البدن العنصري، والنهي عن التعزز بهذا الهيكل الجسماني، فإن من كان أوله جيفة وآخره جيفة وهو في الدنيا حامل الجيف كيف يجوز له الاغترار بوجوده والتعزز والتكبر بذاته، لا سيما بعد ملاحظة كون آخره جيفة أقذر من سائر الجيف حتي جيفة الكلب والخنزير، حيث إن سائر الجيف لا توجب علي من لامسها الغسل بخلاف ميتة الانسان، فإن ملامستها توجب غسل المس، خصوصاً لو لاحظ أن أقرب الناس إليه و آنسهم به من الآباء والاخوان والبنات والولدان:

قد أو حشوا من جانبه وتباعدوا من قربه مع كمال أنسهم به ومحبتهم له، وجهة استيحاشهم منه حكم أوهامهم السخيفة علي قواهم المتخيلة بمحاكاة حاله في نفس المتوهم، وعزل العقل في ذلك الموضوع، ولذلك أن المجاور لميت في موضع ظلماتي منفرد يتخيل أن الميت يجذبه إليه ويصيره بحاله المنفورة عنها طبعاً.

وبالتالي فالمرء إذا خرجت روحه من جسده تنافر الناس عنه ويبقي فريداً وحيداً «لا يسعد باكية، علي بكائه «ولا يجيب داعياً، علي دعائه، «ثم حملوه، أي حفدة الولدان وحشدة الإخوان إلي مخط من الأرض، أي قبره الذي يخط وينزل فيه فأسلموهفيه إلي عمله وانقطعوا عن زور ته ووجد ما عمله محضراً، فإن كان العمل صالحاً فنعم المؤنس والمعين، وإن كان شيئاً فبئس المصاحب والقرين والعدو المبين.

موارد الركون إلي الدنيا:

والحق لو كان كلام يأخذ بالأعناق في التزهيد عن الدنيا والترغيب إلي الآخرة لكان هذا الكلام الذي ما أبعد غوره وأجزل قدره، فإن عمدة ما أوجب رغبة الراغبين إلي الدنيا والراكنين اليها والمغترين بها إنما هو أمور ثلاثة:

أحدها: حب المال، والثاني: حب الوجود، والثالث: حبة الأولاد والبنين والأزواج والأقربين، فز قد صلوات الله عليه عن كل ذلك بأحكم بيان وأوضح برهان.

أما عن المال فبأنه عن قريب يفارقه وينتقل عنه، وتكون لذته ومهنأه الغيره ويبقي وزره وتبعته عليه. وأما عن وجوده ونفسه فبأنه ستنمحي أعضاؤه وجوارحه ويبطل قواه و آلاته وتكون بالآخرة منبوذة بين أهله.

وأما عن الأولاد والأبناء والإخوان والأقرباء فبأنهم سيفارقونه ويتنفرون عنه ويستوحشون منه، فمن كان مال ما أحبه ذلك، فكيف يغتر بذلك مع علمه بأن كل ذلك واقع لا محالة، واعتقاده بأن الموت لا يمكن الفرار منه البتة.

قال علي بن الحسين عليه السلام: العجب كل العجب لمن أنكر النشأة الآخرة وهو يري النشأة الأولي! (1)وقال الله سبحانه:

(أَينَما تَكُونُوا يُدرِككُم المَوتُ و لَو كُنتُم فِي بُروجٍ مُشَيَّدَةٍ). (2)

1- أمالي الطوسي: 663/ ح 1387؛ بحار الانوار 7 42/ ح 15

2- النساء: 78

روي الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت علي سليمان بن داود علي نبينا وآله وعليهما السلام، فجعل ينظر إلي رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلي كأنه يريدني، قال عليه السلام : فماذا تريد؟ قال: أريد أن تخلصني منه فتأمر الريح حتي تحملني إلي أقصي الهند، ففعلت الريح ذلك، ثم قال سليمان عليه السلام: لملك الموت بعد أن أتاه ثانياً: رأيتك تديم النظر الي واحد من جلسائي، قال: نعم كنت أتعجب منه لأني كنت أمرت أن أقبضه بأقصي الهند في ساعة قريبة، وكان عندك فتعجبت من ذلك.(1)

إدريس النبي وملك الموت:

وفي الكافي عن علي بن إبراهيم، عن عمرو بن عثمان، عن مفضل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: أخبرني جبرئيل أنت ملكاً من ملائكة الله كانت له عند الله منزلة عظيمة فتعتب عليه فأهبطه من السماء إلي الأرض، فأتي إدريس عليه السلام فقال: إن لك من الله منزلة فاشفع لي عند ربك، فصلي ثلاث ليال لا يفتر وصام أيامها لا يفطر، ثم طلب إلي الله في السحر في الملك، فقال الملك: إنك قد أعطيت سؤلك وقد أطلق لي جناحي، وأنا أحب أن أكافيك فاطلب إلي حاجة. قال: تريني ملك الموت لعلي آنس به، فإنه ليس يهنؤني مع ذكره شيء، فبسط جناحه ثم قال: اركب، فصعد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا، فقيل له: اصعد، فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة، فقال الملك: يا ملك الموت ما لي أراك قاطباً؟ قال: العجب أني تحت ظل العرش حيث أمرت أن أقبض روح آدمي بين السماء الرابعة والخامسة، فسمع إدريس عليه السلام بها فامتعض فخر من جناح الملك فقبض روحه مكانه، وقال الله عزوجل : (وَرَفَعنَاهُ مَكاناً عَلياً). (2)

1- المصنف لابن أبي شيبة 1188/ح3

2- مريم: 57 /التفسير الصافي 3: 286؛ تفسير نور الثقلين 3: 249

أبيات في الموت:

ونعم ما قيل في المقام:

إن الحبيب من الأحباب مختلس ***لا يمنع الموت بواب ولا حرس

فكيف تفرح بالدنيا ولذتها ***يا من يُعَّد عليه اللفظ والنفس

أصبحت با غافلاً في النقص منغمسا *** وأنت دهرك في اللذات منغمس

لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ***ولا الذي كان منه العلم يقتبس

كم أخرس الموت في قبر وقفت به ***عن الجواب لساناً ما به خرس

قد كان قصرك معموراً به شرف *** فقبرك اليوم في الأحداث مندرس

ص: 359

ومن خطبة له عليه السلام :

في إرساله الرسل وحالة العرب قبل الإسلام

وَلَم يُخلِ الله سّبحَانَه خَلقَهُ مِن نَبي مُرسِلَ أو كِتابٍ مُنزَلٍ أو حُجّةٍ لازِمَةٍ أَو مَحَجَةٍ قَائمَة رُسلٌ لا تُقَصّرُ بِهم قلّةُ عَدَدهِم وَلا كَثرةُ الُمكَذبينَ لَهم مِن سَابِقٍ سّمي لَه مِن بَعدَهُ أَو غَابرٍ عَرَفَهَ مِن قَبلَه عَليَ ذَلكَ نَسّلَت القَرونُ وَمَضَتِ الدُّهورُ وَسَلَفَت الآباءُ وَخَلَفَت الأَبناءُ، إلَي أَن بَعَثَ اللهُ سّبحَانه مَحمداً رسول الله صلي الله عليه وآله لإنجازَ عدتَه وإتمَامِ نُبُوَتِه مَأخُوذاً عَلي النَبي مِيثاقُهُ مَشهورةً سّماتُه كَريماً ميلادُهُ وأهلَ الأرضِ يَومئِذٍ ملَلٌ مُتفَرَقَةٌ وَأهواءٌ مُنتَشِرةٌ وطَرائقٌ مستشّتةٌ بَينَ مُشّتبه لله بخَلقِه أو مُلحَد في اسمه أو مُشيرٍ إلَي غَيرَه فَهَداهُم بِه مِنَ الضَّلالَة وَأنقَذَهُم بِمكانِه مِنَ الجَهَالَةً ثُمَّ اختَارَ سّبحَانَه لمُحمدٍ صلي الله عليه وآله لَقاءهُ و رَضيَ لَه مَا عِندَهُ واكرَمَه عَن دَارِ الدُّنيا وَرَغَبَ بِه عَن مَقَامِ البَلوي فَقَبَضَهُإلَيه كَريماً).

(شرح ابن ابي الحديد مج1، ص37، ط الاولي).

الشرح:

قال الشارح المعتزلي في قوله صلوات الله عليه: «مأخوذاً علي النبيين ميثاقه، قيل: لم يكن نبي قط إلا وبشر بمبعث محمد صلي الله عليه وآله وأخذ عليه تعظيمه وإن كان بعد لم يوجد.

الأديان في عصر الجاهلية:

وأما قوله صلوات الله عليه: وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة. فإن العلماء يذكرون أن النبي صلي الله عليه وآله، بعث والناس أصناف شيء في أديانهم، يهود

ونصاري ومجوس وصابئون وعبدة أصنام وفلاسفة وزنادقة، فأما الأمة التي بعث محمد صلي الله عليه وآله فيها فهم العرب، وكانوا أصنافاً شتي: فمنهم معطلة ومنهم غير معطلة، فأما المعطلة منهم فبعضهم أنكر الخالق والبعث والاعادة وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم:(مَا هِيَ إِلّا حَياتُنا الدُّنيا نَمُوتُ ونَحيَا ومَا يُهلِكُنا إِلَّا الدَّهرُ)(1) فجعلوا الجامع لهم الطبع والمهلك الدهر. ومنهم من اعترف بالخالق سبحانه وأنكر البعث، وهم الذين أخبر سبحانه عنهم بقوله:(قالَ مَن يُحيِ العِظامَ وَهِيَ رَميمٌ).(2) ومنهم من أقر بالخالق ونوع من الاعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنها شفعاء عند الله في الآخرة، وحجوا لها، ونحروا لها الهدي، وقربوا لها القرابين، وحللوا وحرموا، وهم جمهور العرب، وهم الذين قال الله تعالي عنهم: (مَا لِهَذا الرَّسولِ يَأكُلُ الطَّعامَ وَيمشِي فِي الأُسواقِ).(3)

وممن نطق شعره بإنكار البعث بعضهم يرثي قتلي بدر:

فماذا بالقليب قليب بدر*** من الفتيان والقوم الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر*** من الشيري تكتل بالسهام

أيخبرنا ابن كبشة أن سنحيا ***وكيف حياة أصداء وهام

إذا ما الرأس زال بمنكبيه *** فقد شبع الأنيس من الطعام

أيقتلني إذا ما كنت حياً*** ويحييني إذا مت عظامي (4)

1- الجاثية: 24

2- يس: 78

3- الفرقان: 7

4- نسبها الخصيبي في الهداية الكبري: 107 الي أبي بكر، ونسبها السيد شرف الدين الي الأسود بن يعفر وقال بأن عمر شرب الخمر ثم قعد ينوح علي قتلي بدر بشعر الاسود النص والاجتهاد: 311)، وانظر ايضا: الغدير 6: 251؛ افحام الأعداء والخصوم للسيد ناصر حسين الموسوي الهندي: 118

وممن أنكر المعاد يزيد بن معاوية، فقد ذكر السبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص نقلاً عن ديوان يزيد:

علية هاتي واعلني وترتمي*** بذلك إني لا أحب التناجيا

حديث أبي سفيان قدماً سما بها*** إلي أحد حتي أقام البواكيا

ألا هات سقيني علي ذاك قهوةً*** تخيرها العنسي كرماً شاميا

إذا ما نظرنا في أمور قديمة ***وجدنا حلالاً شربها متواليا

وإن مت يا أم الأحيمر فانكحي*** ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا

فإن الذي حدثت عن يوم بعثنا ***أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا(1)

قال ابن أبي الحديد: وكان من العرب من يعتقد التناسخ و تنقل الأرواح في الأجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة الذين قال النبي صلي الله عليه وآله عنهم: لا عدوي ولا هامة ولا صفر...(2)

وكانوا في عبادة الأصنام مختلفين: فمنهم من يجعلها مشاركة للباري تعالي، ويطلق عليها لفظ الشريك، ومن ذلك قولهم في التلبية: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكة هو لك تملكه وما ملك.

ومنهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك ويجعلها وسائل وذرائع إليالخالق سبحانه، وهم الذين قالوا (مَا نَعبُدُهُم إلَّا لِيُقَرِبُونا إلَي الله زُلفي). (3)

وكان في العرب مشبهة ومجسمة، منهم أمية بن أبي الصلت، وهو القائل :

من فوق عرش جالس قد ***حط رجليه إلي كرسيه المنصوب

أصنام العرب:

وكان جمهورهم عبدة الأصنام: فكان ود لكلب بدومة الجندل، وسواع

1- تذكرة الخواص: 164

2- الأمالي للمرتضي 3: 110؛ بحار الأنوار 61: 179

3- الزمر: 3

لهـذيل، ونسـر لجمير، ويغوث لهمـدان، واللات لثقيف بالطائف، والعزي لكنانة وقريش وبعض بني سـليم، ومناة لغان والأوس والخزرج، وكان قبل لقريش خاصـة علي ظهر الكعبـة، وأساف ونائلـة علي الصـفا والمروة، وكان في العرب من يميل الي اليهوديـة، منهم جماعـة من التبابعـة وملوك اليمن، ومنهم نصاري كبني تغلب والعباديين رهط عـدي بن زيد، و نصاري نجران، ومنهم من كان يميل الي الصابئة ويقول بالنجوم والأنوار.

فأما الـذين ليسوا بمعطلة من العرب فالقليل منهم، وهم المتألهون وأصـحاب الورع والتحرج عن القبائح، كعبد الله وعبد المطلب وابنه أبي طالب وزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الأيادي وعامر بن الظرب العدواني وجماعة غير هؤلاء .

وغرضنا من هذا التفصيل بيان قوله صلوات الله عليه: بين مشتبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه إلي غير ذلك، انتهي.(1)

ساق صـلوات الله عليه هذه الخطبة بما اقتضاه الترتيب الطبيعي، أي من الدن آدم عليه السـلام إلي بعث محمد صـلي الله عليه وآله وهداية الخلـق به واقتباسـهم من أنوار وجوده الـذي هو المقصود والعمـدة في بـاب البعثـة، فقـال صـلوات الله عليه:«علي ذلـك» يعني علي هـذا الأسـلوب الـذي ذكرناه من عـدم إخلاء الأرض والخلق من الأنبياء والحجـج النسـلت القرون وولدت أو أسـرعت، وهو كناية عن انقضائها ومضت الـدهور وسـلفت الآباء أي تقـدموا وانقضوا وخلفت الأبناءأي جاؤوا بعـد آبائهم وصاروا خليفـة لهم، إلي أن بعث الله النبي الأمي العربي القرشـي الهاشـمي الأبطحي التهامي المصـطفي من دوحة الرسالة، والمرتضي من شجرة الولاية محمداً صلي الله عليه وآله لإنجاز عدته،التي وعدها الخلقه علي ألسنة ترسله السابقين بوجوده صلي الله عليه وآله ولإتمام نبوته»ليهتدي الناس

1- شرح نهج البلاغة 1: 119 و 120

به إلي سبيل الحق، ويفيئوا من ضـلالهم القديم إلي سلوك الصراط المستقيم، ولينقذهم ببركة نوره من ظلمات الجهل إلي أنوار اليقين، فقام بالدعوة إلي سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فجلا الله بنوره صداء قلوب الخلق، وأزهق باطل الشيطان بما جاء به من الحق والصـدق، وانطلقت الألسن بذكر الله، واسـتنارت البصائر بمعرفة الله، و كمل به دينه في أقصـي بلاد العالم، وأتم به نعمته علي كافة عباده، كما قال تعالي: (اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وأتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتي ورَضِيتُ لَكُم الإسلامَ ديناً).(1)

كيف يختار الله أنبياءه:

جاء في كتاب (التكامل في الإسلام) لمؤلفه أحمد أمين الكاظمي العراقي رحمة الله تحت عنوان «كيف يختار الله أنبياءه عليهم السلام:

النبوة ليست إلاـ سـفارة ربانيـة يودعها الله أكمل عباده خَلقاً وخُلقاً، أي أكملهم في البـدن والروح، أو في الحسب والنسب وطهارة النسـل والمولد والأخلاق المثالية الكاملة، وخلاصة ذلك أن الله يودع النبوة شخصاً مستجمعاً لصفات العصمة والكمال.

إن الله وهو الكامل علي الإطلاق لا يرجح أحداً علي أحد دونما سـبب وحكمة وهو معطي الحكمة، وحاشا أن يلهو، وهو القائل: (لَو أَرَدنا أَن نَتَّخِذَ لَهواً لاتَّخَذناهُ مِن لَدُنَّا إن كُنا فَاعِلِينَ) (الأنبياء: 17) فلا يسند أمر السفارة بينه وبين خلقه إلا إلي أكمل عباده.

والله تعالي عادل، إذ العـدل صـفة ملازمـة للكمال، وإن الكامل غير محتاج، ولا يحيـد عن العـدل إلا من كان محتاجاً إلي الجور والظلم، والكامل غني عن ذلك كله، لعدم وجود حاجة لديه إلي شـيء. إذن وجب أن نبحث عن الصـفات التي توفرت في ثلة من الناس حتي أسند إليهم منصب السفارة الإلهية كي يقوموا بتكميل البشر وإيصاله إلي الكمال المنشود.

1- المائدة: 3

صفات الأنبياء:

الصفة الأولي: هي طهارة المولد، ذلك لأن لهذا النوع من الطهارة أثراً فعالاً في الاتجاهات النفسية كما تؤيده التجارب، فالأنبياء كلهم وأكملهم نبينا محمد صلي الله عليه وآله كانوا يتقلبون في أصلاب طاهرة وأرحام مطهرة طابت وطهرت بعضها من بعض، فأسرة محمد صلي الله عليه وآله خير أسرة، وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة، وثمارها متهدلة، كلما قسم الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهر، ولا ضرب فيه فاجر.

وفي إثبات الوصية» للمسعودي شرح واف في كيفية انتقال النبوة والسفارة الإلهية والوصية من لدن آدم من بطن إلي بطن حتي انتهت إلي محمد صلي الله عليه وآله ، فنور محمد توارثه الأنبياء حتي انتهي إلي عبد الله بن عبد المطلب.

ثم إن الله تعالي لا يجتبي أحداً ولا يرجح بين عباده الا بالتقوي (إنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتقاكُم)(1) فالأنبياء عليهم السلام هم أتقي الناس وأورعهم وأزهدهم، وإن محمداً صلي الله عليه وآله و كان منذ صغره وطفولته مثالاً رفيعاً للتقوي والكمال، لم يتأثر ببيئة كانت تعبد الأصنام وتأتي بأنواع الفجور والفسوق والبغي والظلم، خلافاً لما يقرره علماء التربية وعلم النفس في عصرنا: أن الطفل يتأثر بيئته إلي حد كبير.فلم يسجد لصنم، ولم يحضر مع قومه في أي عيد من أعياد الأصنام، ولم يأكل قط مما كان يذبح قرباناً للأصنام، فكان منذ صغره حسن الخلق، طاهر العقيدة، لم يتلوث تفكيره بعقائد الجاهلية، ولم يحاك أترابه في الهوهم وسحرهم، ولما صار زوجاً لخديجة كان علي درجة من رغد تمكنه من أن يعيش عيشة هنيئة كما يعيش عظماء مكة وأغنياؤها، لكنه مع ذلك – كان زاهداً في الحياة الدنيا ولذاتها، متقشفاً مؤثراً بساطة العيش، فحببت اليه

1- الحجرات: 13

العزلـة، لقـد اختار غار (حراء) في جبل يبعـد عن مكّة ثلاثة أميال، كان يخلو فيه بنفسه أياماً وليالي متتابعة، فيفكر فيه في عظمة الخالق جل جلاله وما أودع في هذا الكون من خواص وأنظمة ما يحير الألباب، ويتعبد فيه لربة.

وكان صلي الله عليه وآله متحلياً بمكارم الأخلاق من صدق وأمانة وعقة ووقار إلي حد بعيد.

إن عزلة محمد صلي الله عليه وآله كانت للتفكير والتأمل، وذلك بإلهام منه تعالي كي يزداد صفاءً و تقرباً إلي الله جلت عظمته، حتي تصبح نفسه الزكية علي أتم استعداد لتلقي أعباء الرسالة العظيمة التي اختاره الله لها.

كل ما ذكرنا مؤهلات لأن تجعل محمداً صـلي الله عليه وآله فوق من علي البسـيطة في ذلك الوقت، بل وفي كل وقت وزمان، فتنحصـر فيه الرسالة بجدارة لا يضاهيه فيها أحد أبد الآبدين.

الشكر عصارة التقوي:

إن عصارة التقوي تتجلي في الشـكر، ولا صـفة تقرب العبد إلي الله تعالي كالشـكر،يأتي النبي صلي الله عليه وآله إلي بيت إحدي زوجاته، ينهض من فراشه ولا ينام، يتوضأ بماء قليل، يسـتقبل القبلة ويصلي، و كلما تستيقظ زوجته تراه مصلياً شاكراً ربه، فتقول: ألا تنام وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول صلي الله عليه وآله: أفلا أكون عبداً شكوراً.(1)

إن الشـكر علي ضـربين: شـكر لساني وقلبي، وشـكر عملي، فأما اللساني: أن يذكر العبد مولاه في كل لحظة، ويحمده علي عظيم نعمائه و سن بلائه، وأن لا يفتر عن ذلك، وأما الشكر العملي: فيتجلي في الأعمال الصالحة والقيام بمبرات وأعمال خيرية، والايثار والجهاد في سبيل الله، والقيام بأداء الحقوق

1- أمالي الطوسي: 637؛ الاحتجاج للطبرسي 1: 326

من مادية ومعنوية وأمثال ذلك، وإن رسالة الحقوق لمولانا الإمام زين العابدين عليه السلام توضح ذلك، فهنيئاً للعاملين (وَقَلِيلٌ مَا هُم).(1)

نفس النبي صلي الله عليه وآله فوق النفوس المتعارفة، وما تجمعت فيه من الأخلاق المثالية فوق الأخلاق العادية، ولا تودع السفارة الإلهية نفوساً لها من الثراء والمال والجاه والمكانة شيء مرموق؛ لأن هذه الأمور لا تمت بالنفس بصلة.

وإنما النبوة قضية نفسية بحتة، كما أن الإيمان لا يلج نفوساً لها من المكانةوالاعتبارات الدنيوية فحسب، بل تدخل نفوساً شاكرة لله، نفوساً لها من الصفاء والجلاء ما يجعلها لائقة لقبول الحق، فلا تتكبر عن الاذعان بما هو حق، ولا تحسد ولا تبخل، فإن أصول الكفر ثلاثة: البخل، والحسد، والكبر،(2) كما جاء في الحديث.

صفات رسول الله صلي الله عليه وآله:

كان محمد صلي الله عليه وآله مشهوراً بين قومه بأمانته وطهارة نفسه وعفته، وكان متحلياً بمكارم الأخلاق علي عكس غيره من شبان زمانه، والمعروف أن فترة الشباب من عمر الانسان هي الفترة التي يندفع فيها الشبان إلي الشهوات، ولكن حياة محمد صلي الله عليه وآله في هذه الفترة كانت حياة مثالية نموذجية، حتي لقبه قومه «بالأمين»، ولذلك لم يجد قومه عندما اشتد الخصام بينهم وبينه شيئاً يمس شرفه أو يطعن في عفته، مع أنهم كانوا حريصين علي النيل منه في هذه الناحية، فقد كانت دعوته قائمة علي إشاعة طهارة النفس والمحافظة علي العقة، ومقاومة التيارات النفسية الخبيثة، فإذا نفذوا إلي شيء مما يريدون استطاعوا أن يشككوا العرب في دعوته حتي ينفضوا عنه، وكان من المألوف آنذاك الانحراف الخلقي، ومع ذلك فلم يقف أعداؤه علي حادثة واحدة

1- ص: 24

2- بحار الأنوار 69:10/ ح 1

يجرحونه بها، وإذا أضفنا إلي ذلك ما يقوله علماء النفس من أن فترة الشباب فترة خطيرة تثور فيها الغرائز الجنسية، استطعنا أن نفهم قوة إرادة محمد صلي الله عليه وآله في ضبط نفسه في شبابه وتحكمه في ميوله الجنسية تحكماً جعله مثالاً للطهارة والعفة، وطهارة النفس وخلوها من الشهوات المحرمة والنزوات لمن أهم العوامل التي تجعل الفرد قميناً بلطف الله وعنايته، وجديراً بأن يكون هادياً للناس أجمعين.

يقول (السير وليم موبر): إن محمداً في شبابه طبع بالهدوء والدعة والطهر والابتعاد عن المعاصي التي كانت قريش تعرف بها.

فمن كان في شبابه مثالاً لطهارة التنفس والعفة إلي حد بعيد، يستحيل أن يجري وراء الشهوات واللذة بعد بلوغه سن الاكتمال والرزانة، وهو يخوض معارك طاحنة مستعرة، فقد اكتفي بخديجة عليها السلام وهي أكبر منه 15 سنة، إلي أن بلغ 54 من عمره، ثم تزوج بسودة، ثم بعائشة تلبية لرجاء أبي بكر حيث شاهد الرسول صلي الله عليه وآله و مغموماً علي فراق خديجة عليها السلام، ثم تزوج بالعجائز والأرامل اللاتي فاتهن سن الشباب، وقد أصبحن بلا عائل لأنه قد استشهد أزواجهن في الغزوات، ولقد تنبه بعض كتاب المسيحية المنصفين فقالوا: «إنه لا يمكن أن يكون الدافع لمحمد علي الاكثار من زوجاته في هذا الوقت إلا الرحمة والشفقة، ومن البعيد جداً أن يكون قد قصد من هذا اللذة والمتعة؛ لأن من تزوج منهن كن متقدمات في السن وأرامل فقيرات».

لاسيما وإن الرسول قد أمر بالتهجد وإحياء بعض الليل بصلاة وتلاوة القرآن ومناجاة ربه، وما أعظمها: وذلك لقوله تعالي:(يا أَيُّها المُزَّمِل *قُمِ اللَيلِ إلّا قَليلاً* نِصفَهُ أَو انقُص مِنهُ قَليلاً * أَو زِد عَليهِ وَرَتِلِ القُرانَ تَرتيلا (1) ثم يقول: انَّ رَبَّكَ يَعلَمُ أنَّك تَقومُ أَدنَي مِن ثُلثي اللَّيلِ ونِصفَهُ وطائفَةٌ مِنَ الَّذينَ مَعَكَ وَاللهُ

1- المزمل: 1- 4

يُقَدّرُ الّليلَ والنَّهارَ)،(1) وقد ثبت من حياته صلي الله عليه وآله أنه كان يقرأ القرآن وهو قائم في صلاته حتي تتورم قدماه، فأني الوقت الذي يبقي بعد ذلك حتي يبلغ فيه مراده من اللذائذ مع ما هنالك من غزوات وحروب؟

وكان في استطاعة الرسول صلي الله عليه وآله أن يمتلك الجواري والعبيد، ويعيش في قصور، وتكون له أبهة كسري وعظمة هرقل، لكن رضي ببساطة المسكن والملبس، وكان يشد علي بطنه حجر المجاعة، ولما رأت زوجاته أن نساء المسلمين قد تغيرت أحوالهن وأصبحن يتقلبن في النعيم شكون إليه، و كن يعتقدن أنهن صاحبات حق في التمتع بما يتمتع به غيرهن بسبب الرخاء الذي أصاب الدولة الإسلامية، فنزل قوله تعالي:(يا أَيُّها النَّبيُّ قُل لأَزواجِكَ إِن كُنتُنَّ تُردنَ الحَياةَ الدُّنيا وَزينَتَها فَتَعالَينَ أُمَتعكُنَوأُسَرّحكُنَّ سَراحاً جَميلاً * وَان كُنتُنَّ تُردنَ الله ورَسُوله والدَّار الآخِرةَ فإنَّ الله أعَدَ لِلمُحسِناتِ مِنكُنَّ أَجراً عَظيماً).(2)

وقد قلنا إن من أهم الصفات التي تجعل الفرد قريباً إلي الله تعالي وموضع لطفه ورفده إنما هو (الشكر)، ذلك لأن الكمال الإنساني إنما يتجلي بأدائه واجب الشكر تجاه المنعم، لذلك يقول الله تعالي وهو الحق.(وَكَذلكَ فَتَنَّا بَعضَهم بَعضٍ لِيَقولُوا أَ هَؤُلاءِ مَنَّ الله عَليهم مِن بَينِنا أَ لَيسَ الله بأَعلَمَ بالشَّاكرينَ).

إن المشركين أخذوا يزدرون الذين آمنوا ويعترضون علي إيمانهم، لأن هؤلاء المؤمنين ما كانوا يملكون من المال والجاه شيئاً، وذلك بقولهم إزدراء:(أَهؤلاءَ مَنَّ الله عَليهم مِن بَينَنا) (3) وقد فاتهم أن الإيمان أمرروحي يتوجه إلي النفس الإنسانية مباشرة، ولا علاقة له بالمال والجاه .

الإيمان يحل في النفوس الشاكرة، فكلما كانت النفس شاكرة أكثر كان إيمانها

1- المزمل: 20

2- الأحزاب: 28 و 29

3- لأنعام: 53

أقوي وأمتن، حتي ينتهي إلي الوصاية والنبوة، والنفس الشاكرة ليس لها إمارات خارجية وعلامات فارقة مادية، كالثياب الفاخرة وأعوان وأنصار ومنصب وجاه، وقد تجد هذه النفس الشاكرة في رقاع ولا تجدها في قارون.

نعم؛ إن هؤلاء المتكبرين كانوا يقولون: (لَو كانَ خَيراً مَا سَبَقونَا إلَيهِ) (1) أي لو كان ما أتي به محمد خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء المهينون ونحن أرفع منهم، كأن الخير يتبع المال والمنال والجاه والمنصب، حتي أن هذه الأمور عوائق تعوق النفس الانسانية عن أن تتوجه نحو الحق والواقع لو لم تستعمل في ما أمرالله به، ولم تؤد حقوقها وواجباتها، وقل من يقوي عليها إلا من رحم الله.

روي أن أبا جهل قال: زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف، حتي إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحي إليه، والله لا نرضي به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت هذه الآية: (وَإذَا جاءَتهُم آيَةٌ قالُوا لَن نُؤمِن حَتَّي نُوتي مِثلَ ما أوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَل رِسالَتَه سَيُصيبُ الَّذين أَجرَمُوا صَغارٌ عِندَ الله وَعَذابٌ شَديدٌ بِما كانُوا يَمكَرونَ)، (2) فإن هؤلاء المعترضين كانوا مع إجرامهم وآثامهم وفسوقهم - بريدون أن يكونوا أنبياء، حين أنهم يستحقون الصغار والهوان والعذاب والخزي بما كسبت أيديهم،(وَأنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلَامٍ لِلعَبيدِ)،(3) فالبشر كلهم في نظر الله علي حد سواء، من أطاع منهم بلغ مراتب عالية حتي تنتهي إلي النبوة أو ما يقارب النبوة، وقد جاء في الحديث القدسي أن الله تعالي يقول: عبدي أطعني أجعلك مثلي تقول للشيء كن فيكون، (4)

1- الأحقاف: 11

2- الأنعام: 124/ مناقب آل ابي طالب 1: 47 بحار الانوار 18: 235

3- آل عمران: 182؛ الانفال: 51؛ الحج 10

4- مشارق انوار اليقين للحافظ البرسي: 100، باختلاف التعبير

أرأفة أعظم من هذه؟ يعطي الله عبده إذا أطاعه صفة الخالقية والإيجاد بإذنه تعالي يقول للشيء كن فيكون، وهذه هي المعاجز التي ظهرت علي أيدي الأنبياء عليهم السلام والأوصياء بإذن الله تعالي وقدرته جل وعلا.

ثم يجب أن تكون نفس النبي نفساً متعلقة بالحق لا تفتر عن التوجه إلي الله ومناجاته وذكره _ جل وعلا طرفة عين أبداً، لا تري شيئاً إلا وتري الله معه وقبله وبعده.

إن النبي صلي الله عليه وآله كان لا يقوم بعمل إلا ويذكر الله تعالي، يراقب الله في جميع الأمور ويخشاه، فإذا جاء أمر يحبه قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه أمر يكرهه قال: الحمد لله علي كل حال، وإن قصد فعل شيء قال: اللهم خرلي واختر لي، وإن أراد سفراً قال: اللهم بك أصول وبك أجول، وإذا أراد نوماً قال: اللهم باسمك وضعت جنبي، وباسمك أرفعه، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور، وإن لبس ثوباً جديداً قال: الحمد لله الذي رزقني ما أتجمل به في حياتي، وإن أكل قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين، وإن شرب قال: الحمد لله الذي أعانني فصمت، ورزقني فأفطرت، وإذا رفع بصره إلي السماء قال: يا مصرف القلوب ثبت قلبي علي طاعتك، وإذا أصابه هم قال: حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرازق من المرزوقين، حسبي الذي هو حسبي، حسبي الله ونعم الوكيل. فهذه الصفات هي بعض ما يجب أن تتوفر في من يناط به تحميل الناس أجمعين.

ثم إن قدسية النفوس لتؤثر في سماء الأبدان فضفي عليها نوراً وبهاءاً من شاهدها ابتهج وسكن إليها و آمن بها، يعلم ذلك من خالط الأتقياء والصالحين من عباد الله، فكان وجه رسول الله يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر، ولذلك كان يأتيه بعض الأعراب فيقولون حين وقوع أبصارهم علي محياه: والله ما هذا الوجه بوجه كذاب.

ولا مراء أن الصدق يصاحب الخير والبر، والكذب يساير الفجور والشر، وعلي ذلك كانت خديجة سلام الله عليها تعلم من النبي صلي الله عليه وآله أنه الصادق البار؛ تقول للنبي صلي الله عليه وآله حين جاءه الوحي: والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسي المعدم، وتعين علي نوائب الحق. (1)

أخلاق النبي محمد صلي الله عليه وآله:

قال ابن سعد في الطبقات: كان محمد صلي الله عليه وآله قبل النبوة أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن الفحش والأذي، وما رؤي ملاحياً ولا ماريا أحداً، حتي سماه قومه الأمين.(2)

وكان رسول الله – وهو الذي بعث رحمة للعالمين – يجلس علي الأرض تواضعاً وينام عليها، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويفتح الباب، ويحلب الشاة، ويعقل البعير، ويطحن مع الخادم إذا أعيا، ويضع طهوره بالليل بيده، ولا يجلس متكئاً، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم، ولا يثبت بصره في وجه أحد، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه، وكان يعصب الحجر علي بطنه من الجوع، ويلبس الغليظ من القطن والكتان، ويشيع الجنائز، ويعود المرضي في أقصي المدينة، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشر بالبر إليهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم علي غيرهم إلا بما أمر الله، يقبل معذرة المعتذر إليه، وكان أكثر الناس تبسماً ما لم ينزل عليه قرآن، لا يرتفع علي عبيده وإمائه في مأكل ولا في ملبس، يأكل مع الخادم، ويحمل بضاعته من السوق، لا يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يغفر

1- مناقب آل أبي طالب 1: 42؛ بحار الأنوار 18: 195

2- الطبقات الكبري 1: 121

ويصفح، ويبدأ من لقيه بالسلام، وإذا لقي مسلماً بدأه بالمصافحة، وكان لا يجلس إليه أحد إلا خفف صلاته وأقبل عليه وقال: ألك حاجة؟، وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه، حتي ربما بسط له ثوبه، ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته، وكان في الرضا والغضب لا يقول إلا حقاً، وإذا لقيه الرجل فصافحه لم ينزع يده من يده، حتي يكون الرجل هو الذي ينزعها، وإذا لقيه أحد فقام معه أو جالسه أحد لم ينصرف حتي يكون الرجل هو الذي ينصرف. (1)

وكان صلي الله عليه وآله أشجع الناس قلباً، وأشدهم بأساً، وأكثرهم حياءاً.

لا أعلم أن رجلاً يقوي علي أن يثابر علي صفة واحدة من هذه الصفات السامية طيلة حياته مهما عظمت نفسه وتكاملت روحه، إلا إذا كان نبياً أو وصي نبي، أو بالأحري من كان جزاؤه النبوة أو الوصاية. نعم إن صفات الكمال لا تصدر إلا عن نفس قدسية وروح ملكوتية قد تخلصت من قيود الأهواء، وتحررت من عبودية الشهرة وحب الصيت، واستمدت من النور الإلهي والهداية الصمدانية.

يجب أن تكون نفس النبي بالغة من القدسية درجة يتحمل معها الوحي، ويقوي علي الاتصال بالمبدأ الأعلي، و كان نبينا صلي الله عليه وآله – مع تلك القدسية البالغة – يرجف ويعرق حين نزول الوحي عليه ويقول: زملوني، فكان يغطي إلي أن يذهب عنه الروع، لذلك خاطبه الله تبارك وتعالي بقوله: (يَا أَيُّها المُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيلَ إلا قَليلاً).(2)

ولما قدم جارود علي النبي صلي الله عليه وآله قال: إن كنت نبياً فأخبرني عما أضمرت. فخفق النبي خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه والعرق يتحدر عنه، فقال: إنك أضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الإسلام وعن المنيحة،

1- انظر الطبقات الكبري 1: 387

2- المزمل: 1- 2

ألا وإن دم الجاهلية موضوع، وحلفها مردود، ولا حلف في الاسلام. ألا وإن أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر الدابة ولبن الشاة.(1)

قصور البعض عن إدراك عظمة النبي صلي الله عليه وآله :

وقد تأثر بعض علماء المسلمين بروح الغرب المادية، فقسروا القرآن متأثرين بالمادية العصرية، وأنكروا نزول الوحي بواسطة جبرائيل عليه السلام، وأنكروا وجود الجن، وقالوا: إن روح محمد قد بلغت مرتبة من السمو حتي صارت تتجلي لها الحقائق، وخالفوا صريح القرآن والسنة المتواترة والعقل، وقاسوا الأمور الروحية وما هو وراء الطبيعة بمقاييس مادة طبيعية، ولم يحتملوا أنه سيأتي يوم يعترف فيه فلاسفة عظام بما وراء المادة، ذلك لأن الروح الإنسانية مهما تعرفت علي حقائق المادة، ليس لها _ إذا أرادت التكامل في عوامل النفس – إلا أن تستفيض من ما وراء الطبيعة، ولا بد لها أن تستقي من المبدأ الأعلي الفياض بواسطة سفراء بين الله وعباده، وهم الأنبياء عليهم السلام:

(وَما كانَ لبَشرَ أَن يُكَلمَهُ الله إلَّا وَحياً أَو مِن وَراءِ حِجابٍ أَو يُرسِلَ رَسُولاً فَيُوحيَ بِإذنه مَا يَشاءُ إنَّه عَليٌ حَكيمٌ).(2) إن النفس القدسية التي لا تجاريها النفوس المتعارفة أو ما هي فوق المتعارفة لا تميل إلي الدنيا وزخارفها، وتتوجه إلي الله تعالي بكلها، فنبينا محمد صلي الله عليه وآله أعرض عن زخرف الدنيا وغضارتها ولم يستمتع بحلاوتها، وقد ملك من أقصي الحجاز إلي عذار الفرات، ومن أقصي اليمن إلي شجر عمان وهو أزهد الناس في ما يقتني ويدخر، وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر. أتي يوماً إلي داره فرأي ستاراً قد علق علي الباب فقال: ارفعوه، إنه ليذكرني الدنيا. (3)

ويقول فيه السير (وليم موير): امتاز محمد صلي الله عليه وآله بوضوح كلامه ويسر دينه،

1- مناقب آل أبي طالب 1: 99؛ بحار الأنوار 18: 137

2- الشوري: 51

3- شرح أصول الكافي للمولي محمد صالح المازندراني 8: 365

وإنه أتم من الأعمال ما يدهش الألباب، فلم يشهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الانسانية في زمن قصير كما فعل محمد صلي الله عليه وآله .

نعم يجب أن يكون النبي محقراً للدنيا، متوجهاً إلي العالم الأعلي، نفسه في اللاهوت وبدنه في الناسوت، فالدنيا كما يقول علي صلوات الله عليه : دار مجاز والآخرة دار قرار، فطوبي لمن أخذ من ممره لمقره.(1)

انظر كيف يصف صلوات الله عليه نبينا محمداً صلي الله عليه وآله، إنه يقول:(قَد حَقَّرَ الدُّنيا وَصَغرَها وَأَهوَنَ بهَا وَهَوَّنَها وَعَلمَ أن الله زِوَاهَا عَنهُ الختيَاراً و بَسّ طَها لِغَيرِهِ احتقَاراً فَأعرِضَ عَن الدُّنيا بِقَلبِه وأمَاتَ ذَكرها مِن نَفسه وأَحَبَّ أَن تَغيبَ زينَتُها عَن عَينِه لِكَيلا يَتَخِذ مِنهَا رياشاً أو يَرجُوَ فِيهَا مَقاماً بَلَغ عَن ربَّه مُعـذِراً ونَصّ حَ لأُمَّته مُنـذِراً ودَعَا إلَي الجَنَّة مُبشّ را نَحنُ شّ جَرةُ النُبّوةَ وَمَحَط الرّسالَة ومُختَلَف المَلائكة ومعَادِنُ العِلمِ يَنَابيعُ الحُكمِ نَاصَرُنا ومُحبُّنا يَنتَظِرُ الرَّحمةَ وَعَدُوُّنا و مُبغِضنَا يَنتَظر السَّطوَةَ). (2)

لقـد دخـل علي رسول الله صـلي الله عليه وآله بعض الأـعراب فارتاع من هيبته فقال: خفض عليكم، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القـديد بمكة،(3) وكان صلي الله عليه وآله يمتزج بأصحابه وجلسائه، فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه و جليل سمته وروائه.

وكان صـلي الله عليه وآله جالساً ذات يوم في بعض أسـفاره تحت شجرة، فاخترط أعرابي سيفه عليه، فأرعدت يده وسقط منها السيف، ومع ذلك عفا عنه، فرجع الأعرابي إلي قومه قائلاً: جئتكم من عند خير الناس. (4)

ومن صفاته صلي الله عليه وآله الخارقة أنه صلي الله عليه وآله كلما رجع الي بيته ألقي يهودي

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 11: 3؛ بحار الأنوار 70: 134؛ وفيها: ..فخذوا من ممركم لمقر كم

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 7: 218؛ بحار الانوار 26: 265 و 266

3- تفسير الدر المنثور للسيوطي6 : 111، ذيل قوله تعالي ومَا أنتَ عَلَيهِم بِجَبارٍ

4- تفسير الدر المنثور 2: 265، ذيل قوله تعالي يَا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اذكُرُوا نِعمَتَ اللهِ عَليكُم

من أعلي بيته علي رأسه الشـريف طبقاً من رماد، فافتقـده رسول الله صـلي الله عليه وآله بعد أيام إذ رأي أنه لا يقوم بعادته! فقيل: إنه مريض، فعاده في مرضه، فذاب هو وزوجته حياءً وخجلاً وأسلما

فمن أراد الكمـال وأراد أن يتخلص من براثن المـادة وظلماتها التي تجعل الانسان كالبهيمـة أو أحط منها، فليتمسك ببعض هـذه الصـفات الجليلة ليري كيف يتسامي عن حضيض المادة و كيف يزداد معرفة بالله تعالي.

لا بد لهذا الانسان أن يسير سيره التكاملي، ولا تكامل إلا بجعل سيرة النبي محمد صلي الله عليه وآله مثالاً رفيعاً يقتدي به، فالإنسان إن لم يكن محمدياً في صـفاته وأعماله فهو غير متكامل نفسياً لا محالة، ولا مراء أن الإنسان إنسان بنفسه لا بماله وبدنه وما حوله من أجهزة وآلات ومـا يسـكنه من بيوت وقصور، إذ التكامـل أمر نفسـي، فطوبي لمن لم تغره المـادة وتشويهـات الماديين الـذين إذا اسـتعمروا (النفس) فقد استعبدوا الانسان استعباداً ما بعده استعباد.

ص: 377

ومن خطبة له عليه السلام :

يذكر فيها أصناف الناس

(أيُها النّاسُ إنَّا قَد أصبَحنا في دَهرٍ عَنُودٍ وَزَمَن كَنُودٍ يُعَدُّ فيه المُحسِنُ مُسيئاً ويَزدادُ الظَّالِمُ فِيه عُتُوّاً لا تَنتَفِعُ بما عَلَمنَا ولَا نَسأَلُ عَمَّا جَهلَنا ولا نَتَخُوفُ قَارِعَةً حَتَّي تَحُلَّ بِنَا والنَّاسُ عَلي أَربَعَة أصنَافٍ مِنهُم مَن لا يَمنَعُهُ الفَسادَ في الأَرضِ إلا مَهانَةُ نَفسَه وَكَلالَةُ حَدَه ونَضَيضُ وَفرِه وَمِنهُم المُصلِتُ لِسَيفه وَالمُعلِنُ بشَره وَالمُجلِبُ بخيلَه ورَجِله قَد أَشرَطَ نَفسَه و أَوبَقَ دينَه لِحُطامٍ يَنتَهِزُهُ أَو مِقنَبٍ يَقُودَه أَو مِنبَر يَفرَعُهُ وَلَبِئسَ المَتجَرُ آن تَرَي الدُّنيَا لِنَفسِكَ ثَمَناً ومِمَّا لكَ عِندَ الله عَوضاً ومِنهُم مَن يَطلُبُ الدُّنيَا بِعَمَل الاخِرَة ولا يَطلُبُ الآخِرَةَ بعَمَل الدُّنيا قَد طَامَنَ مِن شَخصِهِ وَقَارَبَ مِن خَطوِهِ وَشَمَّرَ مِن ثوبِه وَ زَخرَفَ مِن نَفسَه للامانَةَ وَاتَّخَذ سَّر الله ذَريعَةً إلَي المَعصِيَة ومِنهُم مَن أَبعَدَه عَن طَلَب المُلكَ ضُئُولَة نَفسِه وانقِطاعُ سّ ببَه فَقَصَرتَه الحَالُ عَلي حَالِه فَتَحلّي بِاسمِ القَنَاعَة وَتَزَّيَنَ بِلباسِ أَهلِ الزَّهادَة وَلَيسَ مِن ذَلك فِي مَراحَ ولا مَغدِيَ وَبقَي رِجالٌ غَضَّ أبصَـارَهُم ذكرُ المَرجِعِ وأَراقَ دُمُوعَهُم خَوفُ المَحشَـرفَهُم بَينَ شَـريدٍ نـادٍ وخَـائِفٍ مَقمُوعٍ و ساكتٍ مَكعُومٍ وَداعٍ مُخلصٍ وَثكلانَ مُوجَعٍ قَد أخمَلتُهُم التَّقيَةُ وشَملَتُهُم الذَلَّةُ فَهم فِي بَحرٍ أُجاجٍ أفوَاهُهُم

ضَامِزَةٌ وقُلُوبُهُم قَرِحَـةٌ قَـد وَعَظُوا حَتَّي مَلُوا وقَهِروا حَتَّي ذَلوا وقُتِلوا حَتَّي قَلوا فَلتَكُن الـدُّنيَا في أَعيُنكُم أصـغَرَ مِن حُثالَـة القَرَظِ قُراضَة الجَلَم واتَّعظُوا بِمَن كانَ قَبلَكُم قَبلَ أَن يَتَّعِظَ بِكُم مَن بَعدَكُم وَارفُضُوهَا ذَميمَةً فَإنَّها قَد رَفَضَت مَن كَانَ أَشغَفَ بِهَا مِنكُم).

(شرح ابن أبي الحديد مج 1 ص 172 ط 1).

ضبط الألفاظ اللغوية:

عنود: أي جائر، اكنود: شديد، العتو: التكبر والتجاوز عن الحد القارعة: الداهية، مهانة النفس: ذلها، وكل السيف: إذا لم يقطع، ونضيض وفره أي قلة ماله، والمصلت من أصلت سيفه: إذا جرده من غمده، «والمجلب من أجلب عليهم أي أعال عليهم، «والرجل»جمع رجال. وأشرط نفسه، أعدها للفساد في الأرض واحطام الدنيا متاعها. و«الانتهازه الاغتنام. و«المقنب» ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل.وايفرعه، يعلوه. والطامن ظهرها حناه و خفضه. واشمره ثوبه قصره ورفعه. وازخرف» نفسه زينها. واضئولة»النفس حقارتها. و«المراح»مأوي الماشية بالليل. والشريده النافر. والناد»المنفرد. والمقموعه المغلوب. والمكتوم»من شد فاه. و «الضامرة»الساكنة. والقرظه ورق السلم يدبغ به، والجلم المقص يجز به أو بار الابل، وقراضته ما يقع من قرضه وقطعه.

الشرح:

اعلم أن الزمان لما كان من الأسباب المعدة لحصول ما يحصل في عالم الكون والفساد من الشرور والخيرات، صح بذلك توصيف بعض الأزمنة بالخير، فيقال: زمان خير وزمان عدل، لكثرة ما يكون فيه بشهادة الاستقرار من الخير وانتظام حال الخلق و مواظبتهم علي القوانين الشرعية والسنن النبوية، وتوصيف بعضها بالشر، فيقال: زمان جائر وزمان صعب شديد، لكثرة ما يقع فيه من الشرور والمفاسد، وعدم انتظام أمر الخلق فيه من حيث المعاش أو المعاد.

عصر علي عليه السلام :

إذا عرفت ذلك، فاعلم أن قوله صلوات الله عليه: «أيها الناس إنا قد أصبحنا في

دهر عنود وزمن كنوده ذم لزمانه صلوات الله عليه بالجور والعدوان والشدة والكفران من حيث غلبة الضلال ودولة الجهال، واضمحلال الحق واستيلاء الباطل، ورجوع أغلب الناس بعد رسول الله صلي الله عليه وآله علي أعقابهم القهقري، وارتدادهم عن الإمام الحق، واقتدائهم بالإمام الباطل، وعدم تمكنه صلوات الله عليه من إقامة المعروف وإزاحة المنكر، ومن ذلك نشأت الشرور والمفاسد التي عددها، وهي أمور:

الأول: انقلاب الموازين الخلقية

أنه يعد فيه المحسن مسيئاً، وذلك لغلبة الإساءة من حيث كثرة المسيئين وقلة الاحسان لقلة المحسنين، فيعد المسيء إحسان المحسن إساءة، كما أنه يعد إساءة نفسه إحساناً، لكون السنة في نظره بدعة والبدعة سنة، أو أنه يحمل إحسان المحسن علي الإساءة كحمله عبادته علي الرياء والسمعة، وإنفاقه علي الخوف أو الرغبة في المجازاة، ونحو ذلك من الأمور الناشئة من سوء الظن من أجل تنزيله حال الغير منزلة نفسه.

والثاني: ازدياد الظلم

أنه «يزداد الظالم فيه عتوه لقيام المقتضي لظلمه وعدم رادع له عن ذلك، فيزداد فيه شيئاً فشيئاً وحيناً فحيناً.

بيان ذلك: أن المقتضي لظلم الظالم هو نفسه الأمارة بالسوء، فلو كانت في زمان العدل تكون مقهورة تحت حكم الحاكم العادل، غير متمكنة من القيام والاقدام علي الظلم والجور، ولما لم يتمكن صلوات الله عليه في زمانه من قمع الباطل حق التمكن، لاجرم ازداد الظالم فيه علي ظلمه وبلغ الغاية في استكباره وعتوه باقتضاء دواعي نفسه.

والثالث: عدم الانتفاع بالعلم

أنه «لا ننتفع بما علمناه والاتيان بصيغة المتكلم من قبيل «إياك أعني واسمعي يا جارة» والمقصود به توبيخ العالمين لتقصيرهم عن القيام بوظائف العلم، إذ الانتفاع العلم إنما يكون إذا وافقه العمل، لأن بالعلم والعمل كالروح والجسد يتصاحبان ويتكاملان معاً، وكل مرتبة من العلم تقتضي عملاً معيناً بحسبه، وكل عمل يتهيأ به لضرب من العلم.

وإلي ذلك أشار في روايـة الكافي عن إسـماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السـلام قال: العلم مقرون إلي العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه. (1)

فإن المراد بهتفه للعمل هو اقتضاء العمل واستدعاؤه له، ومن ارتحاله عدم الانتفاع به أو زواله بالمرة.

وفيه عن علي بن هـاشم بن البريـد، عن أبيه قـال: جـاء رجل إلي علي بن الحسـين عليه السـلام فسأله عن مسائل فأجاب، ثم عاد ليسأل عن مثلها، فقال علي بن الحسـين عليه السلام مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً، ولم يزدد من الله إلا بعداً.(2)

والرابع: عدم التعلم

أنه «لاـ نسـأل عمـا جهلنا وهو توبيـخ للجاهلين المقصـرين في طلب العلم وسؤال العلماء لعـدم معرفتهم فضل العلم وعـدم رغبتهم في العمل، ولذلك قال الإمام الصادق عليه السلام لحمران بن أعين في شيء سأله: إنما هلك الناس لأنهم لا يسألون. (3)

وفي الكافي أيضاً عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسـي، عن يونس، عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السـلام قال: قال رسول الله صـلي الله عليه وآله : أف الرجل لا يفرغ نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه.(4)

وعن الحسـين بن محمد، عن علي بن محمد بن سـعد، رفعه عن أبي حمزة، عن علي بن الحسـين عليهما السـلام قال: لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، إن الله تعالي أوحي إلي دانيال: إن أمقت عبيدي إلي الجاهل

1- الكافي 1: 44/ ح 2
2- الكافي 1: 45/ ح4
3- الكافي 1: 40/ ح 2
4- الكافي 1: 40 ح 5

المستخف بحق أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وإن أحب عبيدي إلي التقي الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء.(1)

والخامس: الأمن من مكر الله

أنه «لا نتخوف قارعة»، وداهية «حتي تحل بنا» وهو توبيخ للغافلين والمشغولين بلذائذ الدنيا الحاضرة، الغير الملتفتين إلي البليات والدواهي النازلة .

أصناف الناس:

ثم إنه صلوات الله عليه بعد شكايته من زمانه قسم أهل الزمان إلي أقسام خمسة ووجه القسمة أن الناس إما مريدون للآخرة، وهم الذين أفردهم بالذكر في مقابل الأقسام الأربعة، وأشار إليهم بقوله: «وبقي رجال غض أبصارهم»(الخ). وإما مريدون للدنيا، وهؤلاء إما قادرون عليها بالسلطنة والاستيلاء، وإما عاجزون عنها، وهؤلاء إما غير محتالين للدنيا أو محتالون لها، والمحتالون إما مقصودهم من الاحتيال هو خصوص ملك الدنيا ومالها، أو الأعم من ذلك، فهذه أقسام خمسة، أربعة منهم أهل الدنيا وواحد أهل الآخرة.

وأشار إلي الأولين بقوله: «فالناس علي أربعة أصناف الأول منهم»العاجز عن الدنيا غير المحتال لها، وهم من لا يمنعه من العلو والفساد في الأرض إلا مهانة نفسه»وحقارتها وكلالة حده»أي حد سيفه ووقوعه عن القطع وعدم الحقيقة للمنظور اليه ونضيض وفره»أي قلة ماله. وهذه كلها إشارة الي عدم تمكن هذا الرجل من الوصول إلي مطلوبه، وعدم قدرته علي تحصيل مقصوده لانقطاع الأسباب دونه مضافة إلي ضعف نفسه.

والثاني «منهم»القادر علي الدنيا بالسلطنة والاستيلاء وهو المصلت بسيفه»

1- الكافي 1: 35/ ح5

الشاهر له «والمعلن بشره، والمجلب بخيله ورجله، وهو كناية عن جمعه أسباب الظلم والغلبة والاستعلاء قد أشرط نفسه وأهلها للفساد في الأرض، و«أوبن دينه لحطامٍ ينتهزه ويغتنمه، وتشبيه مال الدنيا بالحطام لكونه قليل النفع بالنسبة إلي الأعمال الصالحة الباقي نقعها في الآخرة، كما أن اليبس من النبات قليل المنفعة بالقياس إلي ما تبقي خضرته، «أو مقنب»أي خيل «يقوده أو منبر يفرعه»ويعلوه.

وهذه الأوصاف المذكورة لهذا القسم مطابق المصداق مع خلفاء بني أمية وبني العباس، وأشار إلي خسران هؤلاء في أفعالهم بقوله: «ولبئس المتجر أن تري الدنيا النفسك ثمناً، ومما لك عند الله عوضاً كما قال تعالي:(مَن كانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلنَا لَه فيها مَا نَشاءُ لِمَن نُرِيدُ ثُمَّ جَعلنَا لَه جَهَنَّمَ يَصلاهَا مَذمُوماً مَد حُوراً * وَمَن أَرادَ الأخرَةَ وَسَعي لَها سَعيَها و هُو مُؤمِنٌ فَأولئكَ كانَ سَعيُهُم مَشكوراً) .(1)

والثالث منهما: العاجز عن الوصول إلي الدنيا المحتال لها بالسمعة والرياء، ويرائي بالزي والهيئة، وهو امن يطلب الدنيا بعمل الآخرة»لكون همه فيها ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا»لعدم رغبته إليها أصلاً، والمراد بعمل الدنيا ما يفعله المكلف فيها، أو ما يصير بانضمام القرية والتوصل إلي الطاعة طاعة قد طامن من شخصه»إظهاراً للتواضع، «وقارب من خطوه»إظهاراً للوقار، «وشمر من ثوبه، إظهاراً للطهارة والتنزه من النجاسة وزخرف من نفسه، أي زينها للناس بزينة الصلحاء والأتقياء.

ومقصوده من ذلك كله أن يفتتن به الناس ويرغب إليه قلوبهم، ويعظم قدره عندهم، ويروه أهلاً للأمانة»، ويسكنوا إليه في أماناتهم، ويثقوا إليه في أمورهم، فويل لهذا الرجل تحبب إلي العباد بالتبغض إلي الله، وتزين لهم بالشين عند الله، وتحمد إليهم بالتذمم عند الله.

1- الاسراء: 18 و 19

الرياء:

ندد الإسلام بالرياء؛ لأن الرياء نقيصة في الدين، وعورة في الخلق، ووصمة للرجولة، وهو إذا تفشي بين الجماعة كان هزيمة للفضيلة، وسبة للقومية، ومحنة للإنسانية.

ولا أحسبك إذ تعرض للحديث عن هذه الخصلة واجداً من الناس إلا نكيراً لها واشمئزازاً من التخلق بها، حتي ممن غلبت علي نفوسهم، والتاثت بها أخلاقهم، يتنصلون منها سراعاً، ويفرون منها خفافاً، ممايدلك علي مباينتها للفطرة، ونبوها عن الشعور بالكرامة، والاحساس بالغيرة.

والرياء لا يكون في القول وحده، ولا في العبادة فحسب، وإنما يكون في القول والفعل، وفي العبادة وغيرها مما يجري بين الناس في شؤونهم.

وهو علي تنوعه غش يطلي بلون الاخلاص، ونقص في النزاهة يسمي كذباً باسم الكمال، ويساق باطلاً في لفائف الحب والمروءة، وليس ذلك كله إلا النفاق وإن تعددت الأشكال واختلفت المناحي، أو هو الكذب والخداع، وربك لا يحب الكذب من عباده، ولا يرضي لهم الخداع في قول ولا عمل، وإنما يدعوهم إلي النصح، والنصح هو الإخلاص في أجلي صوره، وينهاهم عن الرياء، والرياء هو الغش في أبشع أشكاله.

وقد تنوعت أساليب القرآن في التشنيع علي المرائي والحط من قيمته، ليربأ الناس بأنفسهم عن هذه المخزاة الشائنة، وتكون لهم العظة الزاجرة فيما يقضه علينا.

أرأيت إلي قوله تعالي: (وَمِنَ النَّاسِ مِن يَعبُدُ الله عَلي حَرفٍ فَإن أصابَهُ خَيرٌ اطمَأنَ به وَإن أَصابَتهُ فِتنَةٌ انقَلَبَ عَلي وَجهِه خَسِرَ الدُّنيَا وَالآخِرَةَ ذَلك هُو الخُسرانُ المُبينُ).(1) فهذا أصدق تصوير للمرائي يتذبذب في عمله ويتابع

1- الحج: 11

أغراضه، لا يصدر عن عقيدة، ولا يورد عن يقين، فإن ظن مبتغاه في الطاعة فهو مطيع، وإن خاله في الغواية فهو غوي.

وانظر إلي قوله تعالي يعيب علي المنافقين تهاونهم في الصلاة، ثم يجمع أوصافهم الذميمة في وصف واحد هو الرياء،: (فَوَيلٌ لِلمُصَلينَ * الذَّينَ هُم عَن صَلاتِهِم سَاهُونَ * الذَّينَ هُم يُراؤنَ * وَ يَمنَعونَ المَاعونَ). (1)

وإليك تمثيل القرآن للمرائي بحجر صلب عليه شيء من التراب قليل، فإذا أصابه المطر زال عنه التراب وبقي الحجر علي جموده، لا ينبت فيه زرع، ولا ينبع منه ماء، وهيهات أن يكون فيه نفع بعد ذلك إلا أن يتخذ موطئاً للأقدام أو دريئة من القذر. يقول سبحانه وتعالي في ذلك: (يَا أَيُّها الذَّينَ آمَنوا لا تُبطُلوا صَدَقاتُكُم بالمَنِ وَالأُذي كَالَّذي يُنفِقُ مَالَهُ رئاءَ النَّاسِ وَلا يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الأخِرِ فَمَثَلُه كَمَثَلِ صَ نوانٍ عَليه تُرابٌ فَأَصَابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَ لداً لا يَقدَرونَ عَليَ شَ يء مِمَّا كَتبُوا والله لا يَهدِي القَومَ الكافِرينَ(2) أي لا ينتفع المراؤن بعملهم وإن جاز صنيعهم علي الناس وراجت فيهم المدائح. علي أن القرآن في عشرات من مواضعه يندد بالنفاق وأهله، والنفاق والرياء من قبيل واحد، ويؤكد لك هذا قول النبي صلي الله عليه وآله: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، واذا أومن خان.(3)

فالكذب نفاق، والرياء كذب وتمويه وتضليل مفضوح، وليس من المبالغة قوله عليه السلام في النهي عن الغش في القول أو العمل: «من غشنا فليس منا (4) فهذه براءة من الغاش، وإخراج له من عداد المسلمين.

1- الماعون: 4 -7

2- البقرة: 264

3- مكارم الاخلاق للطبرسي: 46

4- بحار الانوار 71: 244؛ كنز العمال 3: 545 ح 7824

وليس كذلك من المبالغة قوله:«الدين النصيحة (1) وما النصيحة التي عناها الرسول الأعظم إلا الإخلاص في العمل والرأي.

وما كان الرياء أو النفاق إن شئت بغيضاً إلي النفوس الكريمة إلي هذا الحد، إلا لأنه يبرز الناس في غير صورهم الحقيقية، ويشكك بعضهم في بعض، فتضيع الثقة التي هي رباط اجتماعي تتوفر به القوي علي إنهاض الشؤون، والحصول علي السعادة في الحياة، وإذا عصف الرياء بالثقة وذهب بالتضامن فتلك الفتنة في الدين، والمذلة في الحياة، والانحدار عن الرقي الذي ينشده الإسلام في تعاليمه إلي مساقط الفوضي التي أنقذنا الله منها بشرائعه ورسله.

والناقصون في الكرامة يتنافسون في هذا كله حين يبتغون الكمال من غير طريقه ويرغبون في العة اغتصاباً، فهم يصطنعون الرياء ويتشحون بالملق في أقوالهم، ليستدرجواالناس إلي مدحهم، ويبتزوا منهم الثناء عليهم، أو يحصلوا علي الثناء بسبب مشكور، وذلك شهوة النفوس الوضيعة، ومدي الهمة الفاترة، وظاهرة الخلق الهزيل، وبعض هذا ينأي بصاحبه عن جلال الإنسانية وشرف المروءة، وأولئك هم القذي في العين والشجي في الحلق، وهم المرض الفتاك بجسم الأمة، يقعدونها عن الرقي، ويصدونها عن السير.

وليت لنا من يقضي علي هذه النزعة بين الآخذين بها، ويكشف عن قبحها لمن يفرحون بها ويشجعون عليها، فتهدأ نفوس آلمها ما تري من وهن الأخلاق، وتستريح قلوب يخزها نشوء الرياء واصطناع المتملقين وامتهان الأعزاء الكرام النفوس.

وقد ورد في ذم أهل الرياء والنفاق ولبس الصوف والثياب المرفوعة لغير وجه الله أخبار كثيرة نستعرضها في هذا الفصل، ونذكر بعض ما ورد في الرياء من الآيات والروايات، ونشير إلي أقسامه، وإلي الدواء النافع له، فالكلام في مقامات أربعة.

1- السنن الكبري للنسائي 4: 433/ ح 7823

المقام الأول: في تحقيق معني الرياء والسمعة

فنقول: إن الريـاء هو ترك الاخلاص بملاحظة غير الله فيه، وأصـله من الرؤيـة، كأنه لا يعمل إلا إذا رأي الناس ورأوه، والشـمعة – بالضم – كالرياء، إلا أنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر.

وعن الفـارابي في ديوان الأـدب: يقـال «فعل ذلك رياء وسـمعة»إذا فعل ذلك ليراه الناس ويسـمعوا به، وقال الغزالي في إحياء العلوم الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس باراء تهم خصال الخير، إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوي الله، واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها، فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعـة الله، فالمرائي هو العابـد، والمرائي هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلـة في قلوبهم، والمرائي به هو الخصال التي قصـد المرائي إظهارها، والرياء قصد إظهار ذلك.(1)

أقول: والأولي ما ذكرناه، لكونه شاملاً للعبادات وغيرها فعلاً وتركاً حسبما تعرفه في الأقسام الآتية، وما ذكره مختص بفعل العبادات فقط، فلا يعم.

الثاني: في ذكر بعض ما ورد فيه من الآيات والأخبار

قال الله سبحانه: (فَوَيلٌ لِلمُصلينَ * الَّذينَ هُم عَن صَلاتِهِم سَاهُونَ * الَّذينَ هُم يُراؤنَ * ويَمنَعونَ المَاعونَ). (2)

وقوله سبحانه: (يُراؤنَ النَّاس ولا يَذكَرونَ اللهَ إلّا قَليلاً)(3) ومنه قوله تعالي:

1- إحياء العلوم للغزالي، نقلاً عن تحفة الأحوذي للمباركفوري 45:7

2- الماعون: 4-7

3- النساء: 142

(فَمَن كان يَرجُوا لِقاءَ رَبَّه فَلَيعمَل عَملاً صالحاً ولا يُشرك بِعبَادَةِ ربّه أَحَداً) (1) ومنها قوله تعالي: (إنَّما نُطعِمَكُم لِوَجهِ الله لا نُريدُ مِنكُم جَزاءً وَلا شَكورا). (2)

ومن الأخبار النبوية قوله صلي الله عليه وآله، وقد سأله رجل: يا رسول الله فيم النجاة؟ فقال: أن لا تعمل بطاعة الله وتريد بها الناس. (3)

وفي الحديث: إن الله تعالي يقول للملائكة: إن هذا العمل لم يرد صاحبه به وجهي، فاجعلوه في سجين. (4)

وقال صلي الله عليه وآله: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء؛ يقول الله تعالي إذا جازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلي الذين كنتم تراؤنهم في الدنيا فاطلبوا جزاءكم منهم.(5)

وفي حديث شداد بن أوس: رأيت النبي صلي الله عليه وآله يبكي، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال:إني تخوفت علي أمتي الشرك، أما إنهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً، ولكنهم يراون بأعمالهم. (6)

وقال صلي الله عليه وآله: إن النار وأهلها بعجون من أهل الرياء، فقيل: يا رسول الله كيف تعج النار؟ قال: من حر النار التي يعذبون بها. (7)

وقال أيضاً: نادي المرائي يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، ظل سعيك، وبطل عمتك، ولا خلاق لك، التمس الأجر ممن كنت تعمل له يا مخادع. (8)

1- الكهف: 110

2- الأنسان: 9

3- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 2: 179

4- شرح نهج البلاغة 2: 179

5- شرح نهج البلاغة 2: 179

6- نفس المصدر

7- بحار الانوار 69: 305

8- تفسير الدر المنشور 1: 30

وقـال أيضاً: إن أول ما يـدعي يوم القيامـة رجل جمع القرآن، ورجل قاتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله عزوجل للقاري: ألم أعلمـك مـا أنزلت علي رسولي؟ فيقول: بلي يـا رب، فيقول: مـا عملت فيمـا به علمت؟ فيقول: يـا رب قمت به في آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله تعالي: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالي: إنما أردت أن يقال فلان قاري» فقد قيل ذلك.

ويؤتي بصاحب المال فيقول الله تعالي: ألم أوسع عليك حتي لم أدعك تحتاج إلي أحد؟ فيقول: بلي يا رب، فيقول: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصـدق، فيقول الله تعالي: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالي: بل أردت أن يقال «فلان جواد، وقد قيل ذلك.

ويؤتي بالـذي قتـل في سبيـل الله، فيقول الله تعـالي: مـا فعلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيل الله فقاتلت حتي قتلت، فيقول الله تعالي: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالي: بل أردت أن يقال «فلان جريء شـجاع، فقد قيل ذلك، ثم قال رسول الله صلي الله عليه وآله: أولئك الثلاثة شر خلق الله يستر بهم نار جهنم.(1)

وقال أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه: للمرائي أربع علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص منه إذا لم يثن عليه.(2)

وقـال صـلوات الله عليه لكميل بن زياد: تبـذل لا تشـتهر، ولا ترفع شـخصك لتـذكر بعلم، واسـكت واصـمت تسـلم، تسـر الأبرار وتغيظ الفجار.(3)

وفي الوسائل عن الكليني بإسناده عن فضل أبي العباس، عن أبي عبد

1- تفسير الدر المنشور 3: 323

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2: 180

3- شرح نهج البلاغة 2: 181

الله عليه السلام قال: ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسر سيئاً؟ أليس يرجع إلي نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك، والله عزوجل يقول:(بَلِ الإنسانُ عَلي نَفسِهِ بَصيرَةٌ(1) إن السريرة إذا صلحت قويت العلانية.(2)

وعن السكوني، عنه عليه السلام أيضاً قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله: سيأتي علي الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم، يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب، فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم.(3)

وعن البرقي في كتاب المحاسن، عن يحيي بن بشير البال عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أراد عزوجل بالقليل من عمله أظهره الله أكثر مما أراده به، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله، أبي الله إلا يقلله في عين من سمعه .(4)

وروي الصدوق في كتاب عقاب الأعمال بإسناده عن علي بن جعفر، عن أخيه موسي بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله : يؤمر برجال إلي النار، فيقول الله عزوجل لمالك: قل للنار لا تحرق لهم أقداماً فقد كانوا يمشون بها إلي المساجد، ولا تحرق لهم وجوهاً فقد كانوا يسبغون الوضوء، ولا تحرق لهم أيدٍ فقد كانوا يرفعونها بالدعاء، ولا تحرق لهم ألسنة فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن، قال: فيقول لهم خازن النار: يا أشقياء ما كان حالكم؟ قالوا: كنا نعمل لغيرالله عزوجل ، فقيل لنا: خذوا ثوابكم من عملتم.(5)

1- القيامة): 14

2- وسائل الشيعة 1: 64) ح138؛ بحار الانوار 69: 289

3- وسائل الشيعة 1: 65/ ح141

4- وسائل الشيعة 1: 66 ح 164

5- ثواب الأعمال و عقاب الأعمال: 224

وفي الوسائل عن الكليني باسناده عن جراح المدائني، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل:(فَمَن كَانَ يَرجُوا لِقاءَ رَبِّه فليَعمَل عَمَلاً صَالحاً ولَا يُشرك بِعِبادَةِ رَبِّه أَحَداً) (1) قال: الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله، إنما يطلب تزكية النفس يشتهي أن يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربه، ثم قال: ما من عبد أسر خيراً فذهبت الأيام أبداً حتي يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسر شراً فذهبت الأيام حتي يظهر الله له شراً.(2)

وعن السكوني، عنه عليه السلام أيضاً قال: قال النبي صلي الله عليه وآله: إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فاذا صعد بحسناته يقول الله عزوجل : اجعلوها في سجين، إنه ليس إياي أراد به.(3)

وعن علي بن عقبة، عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اجعلوا أمركم هذا لله، ولا تجعلوه للناس، فإنه ما كان الله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلي الله. (4)

حديث معاذ عن النبي صلي الله عليه وآله:

وفي عدة الداعي لأحمد بن فهد الحلي عن الشيخ أبي جعفر محمد بن أحمد بن علي القمي نزيل الري في كتابه (المنبي عن زهد النبي)، عن عبد الواحد، عمن حدثه، عن معاذ بن جبل قال: قلت: حدثني بحديث سمعته من رسول الله وحفظته من دقايق ماحدثك به، قال: نعم، وبكي معاذ.

ثم قال: بأبي وأمي حدثني وأنا رديفه فقال: بينا نحن نسير إذ رفع بصره

1- الكهف: 110

2- وسائل الشيعة 1: 71/ ح 159

3- وسائل الشيعة 1: 71/ ح156

4- الكافي 1: 166/ ح 3، وسائل الشيعة 1: 71/ ح 158

إلي السـماء فقال صـلي الله عليه وآله: الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما أحب، ثم قال: يا معاذ! قلت: لبيك يا رسول الله وسيد المؤمنين، قال: يا معاذ! قلت: لبيك يا رسول الله إمام الخير ونبي الرحمـة، قال صـلي الله عليه وآله أحـدثك شـيئاً ما حدث نبي أمته، إن حفظته نفعك عيشك، وإن سمعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله.

ثم قال صلي الله عليه وآله : إن الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات، فجعل في كل سماء ملكاً قد جلها بعظمته، وجعل علي كل باب من أبواب السـماء بواباً، فيكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح الي حين يمسي، ثم ترفع الحفظة بعمله وله نور كنور الشمس، حتي إذا بلغ سـماء الـدنيا فتزكيه و تكثره، فيقول الملك: قفوا واضـربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الغيبة، فمن اغتاب لا أدع عمله يتجاوزني إلي غيري، أمرني بذلك ربي.

قال صلي الله عليه وآله: ثم يجيء الحفظة من الغد ومعهم عمل صالح فتم به وتزكيه وتكثره حتي تبلغ السماء الثانية، فيقول الملك الذي في السـماء الثانية: قفوا واضـربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنما أراد بهذا العمل عرض الدنيا، أنا صاحب الدنيا لا أدع عمله يتجاوزني إلي غيري وهو يحب الدنيا.

قال: ثم تصـعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً بصدقة وصـلة، فتعجب به الحفظة وتجاوز به الي السماء الثالثة، فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره، أنا ملك صاحب الكبر، فيقول: انه عمل وتكبر علي الناس، أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلي غيري.

قال: وتصـعد المحفظة بعمل العبد يزهو كالكوكب الدري في السـماء، له دوي بالتسبيح والصوم والحج، فتمر به الي السـماء الرابعة، فيقول لهم الملـك: قفوا واضـربوا بهـذا العمل وجه صاحبه وبطنه، أنا ملك العجب؛ إنه كان يعجب بنفسه، وإنه عمل وأدخل نفسه العجب، أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلي غيري.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة إلي أهلها، فتمر به

إلي ملك السماء الخامسة بالجهاد والصدقة ما بين الصلاتين، و كذلك العمل له رنين كرنين الإبل، عليه ضوء كضوء الشمس، فيقول الملك: قفوا أنا ملك الحسد، اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه علي عاتقه، إنه كان يحسد من يتعلم أو يعمل لله بطاعته، وإذا رأي لأحد فضلاً في العمل والعبادة حسده ووقع فيه، فيحملوهعلي عاتقه ويلعنه عمله.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة فيتجاوز به إلي السماء السادسة، فيقول الملك: قفوا، أنا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واطمسوا عينيه، لأن صاحبه لم يرحم شيئاً، إذا أصاب عبداً من عباد الله ذنباً للآخرة أو ضراء في الدنيا شمت به، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلي غيري.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يفقه واجتهاد وورع وله صوت كالرعد وضوء كضوء البرق ومعه ثلاثة آلاف ملك فتمر بهم إلي ملك السماء السابعة، فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الحجاب، أحجب كل عمل ليس لله، إنه أراد رفعة عند القواد وذكراً في المجالس، وصيتاً في المدائن، أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلي غيري ما لم يكن الله خالصاً.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر كثير تشيعه ملائكة السماوات والملائكة السبعة بجماعتهم، فيطئون الحجب كلها حتي يقوموا بين يديه سبحانه فيشهدوا له بعمل ودعاء، فيقول سبحانه: أنتم حفظة عمل عبدي، وأنا رقيب علي ما في نفسه، إنه لم يردني بهذا العمل، عليه لعنتي، فتقول الملائكة: عليه لعنتك ولعنتنا.

قال: ثم بكي معاذ، قال: قلت: يا رسول الله ما أعمل وأخلص؟ قال: اقتد نبيك يا معاذ في اليقين، قال: قلت: أنت رسول الله وأنا معاذ، قال: فإن كان في عملك تقصير يا معاذ، فاقطع لسانك عن إخوانك وعن حملة القرآن، ولتكن ذنوبك عليك لا تحملها علي إخوانك، ولا ترك نفسك بتذميم إخوانك، ولا

ترفع نفسك بوضع إخوانك، ولا تراء بعملك، ولا تداخل من الدنيا في الآخرة، ولا تفحش في مجلسك لكي يحذروك لسوء خلقك، ولا تناج مع رجل وأنت مع آخر، ولا تعظم علي الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا، ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب أهل النار، قال الله تعالي: (وَالنَّاشِطاتِ نَشطاً) (1) أفتدري ما الناشطات؟ إنه كلاب أهل النار تنشط اللحم والعظم. قلت: ومن يطيق هذه الخصال؟ قال: يا معاذ أما إنه يسير علي من يسر الله تعالي عليه، قال: وما رأيت معاذاً يكثر تلاوة القرآن كما يكثر تلاوة هذا الحديث. (2)

الثالث: في أقسام الرياء والوجوه المتصورة فيه

وهي كثيرة إلا أنها منشعبة عن قسمين: أحدهما الرياء المحض، والثاني الرياء المشوب.

أما الرياء المحض: فهو أن لا يكون مراده بالعبادة إلا الدنيا ورؤية الناس، كالذي يصلي بين أظهر الناس، ولو كان منفرداً لكان لا يصلي، بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس، فهذا يجب أن يترك، لأنه معصية لا طاعة فيه أصلاً.

وأما الرياء المشوب فهو يتصور علي وجوه:

أحدها: أن يعقد علي الاخلاص قلبه ثم يطرء الرياء ودواعيه، مثل أن يفتتح الصلاة بالاقبال، فيدخل عليه داخل أو ينظر إليه ناظر، فيقول الشيطان: رد صلاتك حسناً حتي ينظر إليك هذا الناظر بعين الوقار، فتخشع جوارحه ويحسن صلاته.

وذلك مثل ما روي أن رجلاً لا يقدر علي الإخلاص في العمل، فاحتال وقال: إن في ناحية البلد مسجداً مهجوراً لا يدخله أحد فأمضي إليه ليلاً وأعبد الله فيه،

1- النازعات: 2

2- عدة الداعي: 227 - 230

فمضـي إليه في ليلة ظلماء وكانت ذات رعد و برق ومطر فشرع في العبادة، فبينما هو في الصلاة إذ دخل عليه داخل فأحس به فدخله السرور برؤية ذلك الداخل له وهو مشتغل بالعبادة في الليلة المظلمة، فأخذ في الجد والاجتهاد في عبادته إلي أن جاء النهار، فنظر إلي ذلك الداخل فإذا هو كلب أسود قد دخل المسـجد مما أصابه من المطر، فندم الرجل علي ما فعل وقال: يا نفس إني فررت من أن أشـرك بعبادة ربي أحداً فوقعت أن أشرك في عبادته كلياً و أسفاً وأويلاً علي هذا.

الثاني: أن يأتيه الشـيطان من معرض الخير ويقول له: اعمل هـذا العمل ليقتـدي بك الناس، فيحصل لك أجر من عمل به، وهـذه المكيـدة أعظم من الأولي، وينخـدع بها من لاينخـدع بتلك، وهو عين الرياء، لأنه إذا رأي هـذه الحالة خيراً لا يرتضـي غيره تركها، فلم يتركها وهو في الخلوة، وليس أحد أعز علي الإنسان من نفسه.

الثالث: أن يتنبه العاقل لهاتين ويسـتحي من المخالفة بين صـلاته في الخلاء والملاء، فيحسن صـلاته في الخلوة ليطابق الجلوة، وهذا أيضاً من الرياء، لأنه حسن صلاته في الخلوة ليحسن في الملاء، فكان نظره في عمله إلي الناس.

الرابع: أن ينظر إليه النـاس وهو في صـلاته فيعجز الشـيطان عن إيقاعه في الرياء بأن يقول له: اخشع لأجلهم، ولكن يقول له: تفكر في عظمة الله وجبروته ومن أنت واقف بين يـديه، واسـتح أن ينظر الله إلي قلبك وأنت غافل عنه، فيحضـر بذلك وتجتمع جوارحه ويظن أن ذلك عين الاخلاص وهو عين الرياء، فإن خشوعه لو كان لنظره إلي عظمة الله لم لم تكن حالته في الخلوة هكذا.

الخامس: أن يكمل العبادة علي الإخلاص، لكن عرض له بعد الفراغ حب إظهارها لتحصـيل بعض الأغراض، وذلك بأن يخدعه الشـيطان ويقول له: إنك قد أكملت العبادةالخالصة وقد كنت في ديوان المخلصين، ولا يقدح فيها ما يتجدد، وإنما ينضم إلي ما حصله بها من الخير الآجل خير عاجل فيحدث به ويظهره، وهو أيضاً مبطل للعمل ومفسد له وإن سبق.

قال الصادق عليه السلام: من عمل حسنة سراً كتبت له سراً، فإذا أقر بها محبت و كتبت جهراً، فإذا أقر بها ثانياً محبت و كتبت رياء، وفضل عمل السر علي عمل الجهر سبعون ضعفاً، نعم لو تعلق بإذاعته غرض صحيح – كمالو أراد ترغيب الغير فيه إذا لم يمكن الترغيب بدونه لم يكن به بأس.

السادس: أن يترك العمل خوفاً من الرياء، وهذا أيضاً من خدايع إبليس العين، لأن غرضه الأقصي ترك العمل، فإذا لم تجب إليه واشتغلت به فيدعوك إلي الرياء وغيره، فإذا تركته فقد حصلت غرضه.

قال ابن فهد في عدة الداعي: ومثال ذلك من سلم إليه مولاه حنطة فيها قليل من المباين إما شعير أو مدر، وقال: خلصها من التراب مثلاً ونقها منه تنقية جيدة بالغة، فيترك أصل العمل ويقول: أخاف إن اشتغلت به ألا يخلص خلاصاً صافياً، ويترك العمل من أصله.

السابع: أن يترك العمل لا لذلك بل خوفاً علي الناس أن يقولوا إنه مرائي فيعصون الله تعالي به، وهذا أيضاً كسابقه رياء خفي؛ لأن ترك العمل خوفاً من أن يقال له إنه مرائي عين الرياء، ولولا حبه لمحمدتهم وخوفه من مذمتهم فما له ولقولهم إنهمراء أو قولهم: إنه مخلص؟ وأي فرق بين ترك العمل خوفاً من قولهم: إنه مراء وبين أن يحسن العمل خوفاً من قولهم: إنه مقصر غافل؟ مع ما في ذلك من سوء الظن بالمسلمين، ومن إطاعة الشيطان في ترك العمل.

الثامن: أن يكون ترك العمل إشفاقاً علي المسلمين، بأن يقول له إبليس اللعين اترك العمل إشفاقاً علي المؤمنين من وقوعهم في الاثم بظن السوء، وتركك العمل إشفاقاً عليهم يقوم مقام العمل ويحصل لك بذلك الثواب؛ لأن نظر المصلحة للمسلمين حسنة، فيعادل الثواب الحاصل من العمل، بل هو أفضل لأنه متعة إلي الغير، وهذا الخيال من غوائل النفس الأمارة المايلة إلي الكسالة والبطالة، ومكيدة عظيمة من الشيطان لما لم يجد إليك مسلكاً قصدك من هذا الطريق وزين لك هذا التنميق.

قال ابن فهد: ووجه فساده يظهر من وجوه:

أولاً: أنه عجل لك الوقوع في الأثم المتيقن، فإنك ظننت أن يظنوا بك أنك مراء، وهذا ظن سوء، وعلي تقدير وقوعه منهم يلحقهم به إثم، وظنك هذا بهم أيضاً ظن سوء يلحقك به الاثم إذا لم يكن مطابقاً لما ظننت بهم وتركت العمل من أجله، فعدلت من ظن موهوم إلي إثم معلوم، وحذراً من لزوم إثم لغيرك فأوقيت فيه نفسك.

ثانياً: أنك إذن وافقت إرادة إبليس بترك العمل الذي هو مراده، و ترك العمل والبطالة موجب لاجتراء الشيطان عليك وتمكنه منك، لأن ذكره تعالي والتولي(1) في خدمته يقربك منه، وبقدر ما تقرب منه تبعد من الشيطان، وإن فيه موافقة للنفس الأمارة بميلها إلي الكسالة والبطالة، وهما ينبوع آفات كثيرة إن كان لك بصيرة.

ثالثاً: مما يدلك أن هذا من غوائل النفس وميلها إلي البطالة، أنك لما نظرت إلي فوات الثواب الحاصل لك من البطالة وإلي فوات وقوعهم في الاثم، آثرتهم علي نفسك بتخفيف ما يلزمهم من الاثم بسوء الظن وحرمت نفسك الثواب، وتفكر في نفسك وتمثل في قلبك بعين الانصاف لو حصل بينك وبينهم في شيء من حظوظ العاجلة منازعة، إما في دار أو مال، أو ظهر لك نوع معيشة تظن فيها فايدة وحصول، أكنت تؤثرهم علي نفسك وتتركه لهم؟ كلا والله، بل كنت تناقشهم مناقشة المشاقق، وتستأثر عليهم فيما يظهر لك من أنواع المعيشة إن أمكنتك فرصة الاستيثار، وتقلي الحبيب وتقصي القريب.(2)

التاسع: أن يقول لك الشيطان: إذا كنت لا تترك العمل لذلك فأخف العمل فإن الله سيظهره عليك، فإما إذا أظهرته فيمكن أن تقع في الرياء، وهذا التلبس عين الرياء لأن إخفاءك له كي يظهر بين الناس هو بعينه العمل لأجل الناس، وما عليك إذا كان مرضياً عند الله تعالي أن يظهر للناس أو يخفي.

1- أي المثول

2- عدة الداعي: 205 - 208

الرابع: في علاج الرياء

وهو علي ما ذكره الغزالي في إحياء العلوم: أن الإنسان يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ أما في الحال وأما في المال، فإن علم أنه لذيـذ في الحال ولكنه ضار في المال سـهل عليه قمع الرغبة عنه، كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن إذا بان له أن فيه سـما أعرض عنه، فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة.

ومهما عرف العبد مضـرة الرياء وما يفوته من صـلاح قلبه، وما يحرم عنه في الحال من التوفيق، وفي الآخرة من المنزلة عند الله، وما يتعرض له من العقـاب العظيم والمقت الشديـد والخزي الظـاهر، حيث ينـادي علي رؤوس الخلائق: يـا فـاجر يا غادر يا مرائي، أما اسـتحييت إذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا، وراقبت قلوب العباد، واسـتهزأت بطاعة الله، وتحت إلي العباد بالتبغض إلي الله، وتزينت لهم بالشين عند الله، وتقربت لهم بالبعـد من الله، وتحمـدت اليهم بالتـذمم عند الله، وطلبت رضاهم بالتعرض لسـخط الله، أما كان أحد أهون عليك من الله؟

فمهمـا تفكر العبـد في هـذا الخزي، وقابـل مـا يحصـل له من العباد والتزين لهم في الـدنيا بما يفوته في الآخرة، وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال، مع أن العمل الواحـد به ربما كان يترجح ميزان حسـناته لو خلص، فإذا فسد بالرياء محول إلي كفة السـيئات فترجح به ويهوي إلي النار، فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافياً في معرفة ضـرره، وإن كان مع ذلك سائر حسـناته راجحة، فقد كان ينال بهذه الحسـنة علي الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين، وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلي صف النعال من مراتب الأولياء، هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإنه رضا الناس غاية لا تدرك، فكل ما يرضي به

فريق يسخط به فريق، ورضا بعضهم في سخط بعضهم، ومن طلب رضاهم في سخط الله، سخط الله عليه وأسخطهم أيضاً عليه.

ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله لأجل حمدهم، ولا يزيده حمدهم رزقاً ولا أجلاً، ولا ينفعه يوم فقره و فاقته وهو يوم القيامة.

وأما الطمع فيما في أيديهم، فبأن يعلم أن الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء، ولا رزاق إلا الله، ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة، وإن وصل إلي المراد لم يخل عن المنة والمهانة، فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهمٍ فاسد قد يصيب وقد يخطي، وإذا أصاب فلا تفي لذته بألم متته ومذلته.

وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئاً، فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل علي الله قلبه، فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه، ويكفيه أن الناس لو علموا ما في بطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لمقتوه، وسيكشف الله عن سره حتي يبغضه إلي الناس ويعرفهم أنه ممراء وممقوت عند الله، ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه.

كما روي أن رجلاً من بني إسرائيل قال: لأعبده الله تعالي عبادة أذكر بها، فمكث مدة مبالغاً في الطاعات، وجعل لا يمر بملأ من الناس إلا قالوا: منصنع مراء، فأقبل علي نفسه وقال: أتعبت نفسك وضيعت عمرك في لا شيء، فينبغي أن تعمل لله سبحانه، فغير نيته وأخلص عمله الله تعالي، فجعل لا يمر بملا من الناس إلا قالوا: ورع تقي.

مع أن مدح الناس لا ينفعه وهو عند الله مذموم ومن أهل النار، وذم الناس لا يضره وهو عند الله محمود و من أهل الجنة، فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيها من الكدورات والمنغصات، وكيف يرضي العاقل أن يجعل

ثمن عمله مـدح الناس له وما في أيـديهم من حطام الـدنيا وزخارفها، مع أنها علي تقدير النيل لها ثمن بخس ورضا الله سـبحانه هو الجزاء الأـوفي؟ فلو قيل لك: إن ههنا رجلاً معه جوهر نفيس يساوي مائـة ألف دينار وهو محتاج إلي ثمنه، بل إلي بيعه عاجلاً وإلي أضـعافه ثمناً، فحضـر من يشتري منه متاعه بأضعاف ثمنه مع حاجته إلي الأضعاف، فأبي بيعه بذلك وباعه بفلس واحد، ألست تحكم بسفاهة ذلك البايع و نقصان عقله؟

فحال المرائي بعينه مثل حال هـذا البائع، فإن ما يناله العبـد بعمله من حطام الـدنيا ومـدح الناس له بالاضافة إلي ثواب الآخرة ومرضاة الله سبحانه أقل من فلس في جنب ألف ألف دينار، بل أقل من نسبته إلي الدنيا وما فيها؛ هذا كله هو الدواء العلمي .

الدواء العملي للرياء:

وتمـا الـدواء العملي: فهو أن يعود نفسه إخفـاء العبـادات وإغلاق الأبواب دونها كمايغلق الأبواب دون الفواحش، حتي يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه علي عبادته، ولا تنازعه النفس إلي طلب علم غيره سبحانه.

ولذلك كان عيسـي يقول للحواريين: إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه بالزيت لئلا يري الناس أنه صائم، وإذا أعطي بيمينه فليخف عن شماله، وإذا صلي فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق.(1)

وقـال رسول الله صـلي الله عليه وآله: إن في ظل العرش ثلاثـة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله:رجلان تحابا في الله وافترقا عليه، ورجل تصدق بيمينه صدقة فأخفاها عن شماله، ورجل دعته امرأة ذات جمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين.(2)

1- عدة الداعي: 220

2- نفس المصدر

فلا دواء للرزياء مثل الاخفاء، وذلك يشق في بدايـة المجاهـدة، وإذا صبر عليه مدة بالتكلف سـقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله وما يمة به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد، ولكن الله (لَا يُغَيِّرَ مَا بِقَومٍ حَتَّي يُغَيِّروا مَا بِأَنفُسِ هِم (1) فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية، ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب، والله لا يضـيع أجر المحسنين، وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُها ويُؤتِ مِن لَدُنهُ أَجراً عَظيماً) .

1- الرعد: 11

ومن خطبة له عليه السلام :

يرغب فيها بالجهاد ويذم أصحابه علي تخاذلهم عنه ويذكر فيها أفعال جيش معاوية

(أمّا بَعدَ فَإنَّ الجِهادَ بَابَ مِن أَبوابِ الجَنَّةَ فَتَحَه الله لِخَاصَّة أولِيَائه وهُو لِباسُ التَّقوي وَدَرعُ الله الحَصينَه وَجُنَتَه الوَثيقَةُ فَمَن تَرَكَه رَغبَةً عَنهُ أَلبَسَهُ الله ثَوبَ الذُّلَ وَشَملَهُ البَلاءُ وَديثَ بِالصَّغَارِ وَالقَمَاءَةِ وَضُربَ عَلي قَلبِه بِالإسهَابِ وَأُديلَ الحَقُّ مِنهُ بِتَضييعَ الجِهادِ وَسيمَ الخَسفَ وَمُنعَ النَّصَفَ ألّا وَإنّي قَد دَعَوتُكُم إلَي قِتالِ هؤلاء القَومِ لَيلاً وَنَهاراً وَسِراً وَإعلاناً وقُلتُ لَكُم اغزُوهُم قَبلَ أَن يَغزُوكُم فَوَاللهِ مَا غُريَ قَومَ قَطُّ في عُقرِ دارَهِم إلا ذُلوا فَتوَاكَلتُم وَتَخَاذَلتُم حَتيَّ شُنَّت عَليكُم الغَارَاتُ و مُلِكَت عَليكُم الأَوطَانُ وَهـذا أَخُو غَامِدٍ وَقَد وَرَدَت خَيلُه الأَنبَارَوَ قَد قَتَل حَسَّانَ بنِ البَكريَّ وأزَالَ خَيلَكُم عَن مَسالَحهَا وَ لَقَد بَلَغَني أَنَّ الرَّجُل مِنهُم كَانَ يَدخُلُ عَلي المَرأَة المُسلَمَة والأخرَي المُعَاهِدةِ فَيَنتَزَعُ حِجلَهَا وَقلبَهَا وَقلائِدَها ورُعُثَها مَا تَمتَنِعُ مِنهُ إلَّا بِالاَستِرجَاعِ وَالاستِرحامِ ثُمَّ النصَرَفُوا وافرِينَ مَا نَالَ رَجلاً مِنهُم كَلمٌ ولاَ أُريقَ لَهُم دَمٌ فَلَو أَنَّ اَمرأً مُسلِماً مَاتَ مِن بَعدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ به مَلوماً بَل كَانَ بِه عِندي جَديرَاً فَيَا عَجَباً عَجَباً واللهِ يُميتُ القَلبَ وَيَجلِبُ الهَمَّ مِنَ اجتَمَاعِ هَؤلاء القَومِ عَلي بَاطِلِهِم وَتَفَرُّقُكُم عَن حَقِكُم فَقُبحاً لَكُم وتَرحاً حينَ صِرتُم غَرَضاً يُرمَي يُغارُ عَليكُم وَلا تُغَيرُونَ ولا تُغزَونَ ولا تَغزونَ و يُعصَي الله و تَرضَونَ فإذَا أَمَرتُكُم بالسَّيرِ إلَيهِم فِي ايامِ الحَرّ قُلتُم هَـذه حَمارَةُ القَيظِ أَمهِلنا يُسَبَّخ عَنَّا الحَرَّ واذَا أَمَرتُكُم بِالسَّيرِ إلَيهِم فِي الشَّتاء قُلتُم هَـذه صَبَارَةُ القُرَ اَمهِلنَا يَنسَلِخ عَنَّا البَردُ كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الحَرِّ وَالقُرِ فَإذا كُنتُم مِنَ الحَرِّ وَالقَرِّ تَفِرُّونَ فَأنتُم وَاللهِ

مِنَ السَّيفِ أفَرُ يـا أَشـبَاهَ الرِّجَـالِ ولاـ رِجالَ حُلُومُ الأطفَالِ وعُقُولُ رَبَّات الحِجالِ لَوَدَدتُ أني لَم أَرَكُم وَلَم أعرِفكُم مَعرَفَةً و الله جَرَّت نَدمَا وَأَعقَبَت سَدَماً قَاتَلَكُم اللهُ لَقَد مَلَاتُم قَلبي قَيحاً وَشَحَنتُم صَدرِي غَيظاً و جَرَّعتُموني نُغَبَ التَّهمَامِ أنفَاساً وأَفسَدتُم عَليَ رَأيِي بِالعِصيَانِ وَالخِذلَانِ حَتَّي لَقَد قَالَت قُرَيشٌ انَّ ابنَ أَبِي طَالبَ رَجلٌ شـجُاعٌ وَلكِن لا عَلمَ له بِالحَربِ لله أَبوهُم وهَل أَحَدٌ مِنهُم أَشَدُّ لَهَا مَراساً وَأَقدَمُ فِيهَا مَقاماً مِني لَقَد نَهَضَت فِيهَا وَمَا بَلَغتُ العِشرِينَ وَهَا أَنا ذَا قَد ذَرَّفتُ عَلي السَّتِينَ وَلكِن لَا رَأيَ لِمَن لا يُطاعُ).

اشرح ابن أبي الحديد مج1، ص140، ط الأولي بمصر.

ضبط الألفاظ اللغوية:

الجنـة ما اسـتتر به من سـلاح أو غيره، اوديثه أي ذلل، ومنه الـديوث الـذي لا غيرة له، والصـغار: الـذل والضـيم. «القماءة، الحقارة والذل، و«الإسهاب» ذهاب العقل، أي ذهب عقله من أذي يلحقه. «و أديل الحق منه أي غلبه عليه عدوه. وسيم الخسف، أولاه ذلاً و كلفه المشقة. «والنصف» الإنصاف. «والعقر» في الشيء أصله ووسطه. «والتواكل»أن يكل كل واحد منهم الأموال إلي صاحبه ويعتمد عليه. وشن الغارة وأشـنها فرقها عليهم من كل وجه. «وأخو غامده هو سفيان بن عوف، وغامد قبيلة من اليمن وهي من الأزد. والأنبار بلد قديم من بلاد العراق علي الفرات من الجانب الشـرقي والمسالح، الحدود التي ترتب فيها ذوو الأسـلحة مخافة عادية العدو. والمعاهدة»ذات العهد وهي الذمية. وه الحجـل»_بفتـح الحـاء و كسـرها – الخلخـال. «والقلب» – بـالضم – سوار المرأة. «والرعاث»القرط، والرعاث أيضاً ضـرب من الحلي. «والاسترجـاع» قول «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وقيل ترديـد الصوت بالبكاء. «والاسترحام، مناشـدة الرحم، أي قول «أنشـدك الله والرحم»، والوافر» التام، أي تامين. «والكلم، الجرح. و«الترح» ضد الفرح. «والغرض»

الهـدف. او حمـارة القيـظ»شـدة حره. «ويسـبخ الحر» يسـكن ويفتر. «والقر- بـالضم البرد. و«ربـات الحجـال والنساء، والسـدمه الحزن. والقيـح»الصديد بلا دم. «والنغب، الجرعة. «والتهمام»الهم. «وأنفاساً أي جرعة بعد جرعة. والله أبوهم» كلمة مدح، ولعلها اسـتعملت هنا للتعجب. والمراس»مصدر مارسه أي زاوله وعالجه. واذرفت علي الستين، بتشديد الراء أي زدت.

الشرح:

هذه الخطبة النيرة خطب بها صلوات الله عليه في أواخر عمره الشريف، وذلك بعد ما انقضت وقعة صفين واستولي معاوية علي البلاد وأكثر القتل والغارة في الأطراف، وأمر سفيان بن عوف بالمسير إلي الأنبار وقتل أهلها.

وصية معاوية الارهابية:

قال ابن أبي الحديـد المعتزلي في المجلـد الأول من كتابه شـرح النهج ص 144 ط 1 بمصـر، نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي، عن ابن الكنود قال:

حـدثني سـفيان بن عوف الغامـدي قال: دعاني معاوية فقال: إني باعثك في جيش كثيفٍ ذي أداة وجلادة، فالزم لي جانب الفرات حتي تمر بهيت فتقطعها، فإن وجـدت بها جنـداً فأغر عليهم، وإلا فامض حتي تغير علي الأنبار، فإن لـم تجد بها جنداً فامض حتي توغل في المدائن، ثم أقبـل إلي، واتق أن تقرب الكوفـة، واعلم أنـك إن أغرت علي أهـل الأنبـار وأهل المـدائن فكانك أغرت علي الكوفـة، إن هـذه الغارات - ياسفيان - علي أهل العراق ترعب قلوبهم، وتفرح كل من له فينا هوي منهم، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممن ليس هو علي مثل رأيك، وأخرب كل ما مررت به من القري، واحرب الأموال فإن حرب الأموال شبيه بالقتل، وهو أوجع للقلب.

قال: فخرجت من عنده فعسكرت، وقام معاوية في الناس فخطبهم فقال: أيها الناس انتدبوا مع سفيان بن عوف فإنه وجه عظيم فيه أجر، سريعة فيه أوبتكم إن شاء الله، ثم نزل، قال: فوالذي لا إله غيره ما مرت ثلاثة حتي خرجت في ستة آلاف، ثم لزمت شاطئ الفرات فأغذذت السير حتي أمر بهيت، فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات، فمررت بها وما بها عريب كأنها لم تحلل قط، فوطئتها حتي أم بصدوداء ففروا فلم ألق بها أحداً، فأمضي حتي أفتتح الأنبار وقد نذروا بي، فخرج صاحب المسلحة إلي فوقف لي، فلم أقدم عليه حتي أخذت غلماناً من أهل القرية فقلت لهم: أخبروني كم بالأنبار من أصحاب علي صلوات الله عليه؟ قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنهم قد تبددواورجعوا إلي الكوفة، ولا ندري الذي يكون فيها قد يكون مائتي رجل، فنزلت فكتبت أصحابي كتائب ثم أخذت أبعثهم إليهم كتيبة بعد كتيبة، فيقاتلهم والله ويصبر لهم ويطاردهم ويطاردونه في الأزقة، فلما رأيت ذلك أنزلت اليهم نحواً من مائتين وأتبعتهم الخيل، فلما حملت عليهم الخيل وأمامهم الرجال تمشي لم يكن شيء حتي تفرقوا وقتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلاً، وحملنا ما كان في الأنبار من الأموال، ثم انصرفت، فوالله ماغزوت غزاة كانت أسلم ولا أقر للعيون ولا أسر للنفوس منها، وبلغني أنها أرعبت الناس، فلما عدت إلي معاوية حدثته الحديث علي وجهه، فقال: كنت عند ظني بك، لا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيه مثل ما يقضي فيه أميره، وإن أحببت توليته وليتك، وليس لأحد من خلق الله عليك أمر دوني، قال: فوالله ما لبثا إلا يسيراً حتي رأيت رجال أهل العراق يأتوننا علي الإبل هرابة من عسكر علي صلوات الله عليه.

و قال إبراهيم: كان اسم عامل علي صلوات الله عليه علي مسلحة الأنبار أشرس بن حسان البكري.

معركة الأنبار:

وروي إبراهيم عن عبد الله بن قيس، عن حبيب بن عفيف قال: كنت مع أشرس بن حسان البكري بالأنبار علي مسلحتها إذ صبحنا سفيان بن عوف في كتائب تلمع الأبصار منها، فهالونا والله وعلمنا _ إذ رأيناهم – أنه ليس لنا طاقة بهم ولا بد، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرقنا، فلم يلقهم نصفنا، وأيم الله لقد قاتلناهم فأحسنا قتالهم حتي كرهونا، ثم نزل صاحبنا وهو يتلو قوله تعالي:(فَمِنهُم مَن قَضي نَحبَهُ وَمِنهُم مَن يَنتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبديلاً) ثم قال لنا: من كان لا يريد لقاء الله ولا يطيب نفساً بالموت، فليخرج عن القرية ما دمنا نقاتلهم، فإن قتالنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب، ومن أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار، ثم نزل في ثلاثين رجلاً، فهممت بالنزول معه ثم أبت نفسي، واستقدم هو وأصحابه فقاتلوا حتي قتلوا رحمهم الله، وانصرفنا نحن منهزمين.

قال إبراهيم: وقدم علج من أهل الأنبار علي علي صلوات الله عليه فأخبره الخبر، فصعد المنبر فخطب الناس وقال: إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار وهو معتزلا يخاف ما كان، واختار ما عند الله علي الدنيا، فانتدبوا إليهم حتي تلاقوهم، فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا، ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلم متكلم، فلم ينبس أحد منهم بكلمة، فلما رأي صمتهم نزل وخرج يمشي راجلاً حتي أتي النخيلة والناس يمشون خلفه، حتي أحاط به قوم من أشرافهم فقالوا:ارجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك، فقال: ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم، فلم يزالوا به حتي صرفوه إلي منزله، فرجع وهو واجم كئيب، ودعا سعيد بن قيس الهمداني فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف، وذلك أنه أخبر أن القوم جاؤا في جمع كثيف، فخرج سعيد بن قيس علي شاطئ الفرات في طلب سفيان بن عوف، حتي إذا بلغ اعانات سرح أمامه هانئ بن الخطاب الهمداني، فاتبع آثارهم حتي دخل أداني أرض قنسرين وقد فاتوهم، فانصرف.

قال: ولبث علي صلوات الله عليه تري فيه الكآبة والحزن حتي قدم عليه سعيد بن قيس، وكان تلك الأيام علياً، فلم يقو علي القيام في الناس بما بريده من القول،فجلس بباب السدة التي تصل إلي المسجد ومعه ابناه حسن وحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر، ودعا سعداً مولاه فدفع إليه الكتاب وأمره أن يقرأه علي الناس، فقام سعدبحيث يستمع علي صوته ويسمع ما يرد الناس عليه، ثم قرأ الخطبة هذه،(1) انتهي قول ابن أبي الحديد.

افضل الجهاد:

قوله صلوات الله عليه:

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه .

بين صلوات الله عليه في هذه الفقرات النيرة عظمة الجهاد في الإسلام ومنافعه الخاصة والعامة للمسلمين، فقد قال رسول الله صلي الله عليه وآله- كما في رواية الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلي الله عليه وآله-: للجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه، فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع والملائكة ترحب بهم . (2)

والمراد بخواص الأولياء المخلصون له في المحبة والعبادة، ومن المعلوم أن الجهاد في سبيل الله لوجه الله لا- لغرض آخر من خواص الكاملين في العبادة والخالصين في المحبة.

وذلك لأن المرء المسلم إذا فارق أهله وأولاده وسلك إلي الجهاد مع علمه بأن العدو لو قهره يقتله ويتملك أمواله ويستبيح ذريته، ومع هذه كلها يوطن نفسه علي الصبر والثبات امتثالاً لأمر الله وطلبة لمرضاته سبحانه، فذلك الولي الكامل والمؤمن

1- شرح نهج البلاغة 2: 85 - 88

2- الكافي 5: 2ح 2

الخـالص في مقـام الإيمـان والعبوديـة، وحقيق بـأن يـدخل في زمرة: (أَلا إِنَّ أَولياءَ الله لا خَوفٌ عَليهِم وَلَا هُم يَحزَنونَ)(1) (وأن يستبشر بيشـارة: إِنَّ الله اشـتَرِي مِنَ المؤمنينَ أنفُسَهُم وَأموَالَهُم بِأَنَ لَهُم الجَنَّةَ يُقـاتِلونَ فِي سَبيـلِ الله فَيَقتُلونَ و يُقتَلونَ وَعـداً عَليه حَقـاً فِي التَّوراةِ وَالإنجيلِ وَالقُرآنِ ومَن أوفي بِعَهدِه مِنَ الله فَاستَبشِروُا بِبَيعِكُمُ الَّذي بايَعتُم بِه وَذلكَ هُوَ الفَوزُ العَظيمُ). (2)

اثواب وأجر الشهيد:

والبشـري التي بشـر بها رسول الله صـلي الله عليه وآله سـيد الشهداء منهم بقوله: «للشهيد سبع خصال من الله: أول قطرة منه مغفور له كل ذنب، والثانيـة: يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين وتمسـحان الغبـار عن وجهه وتقولاـن: مرحبـاً بـك، ويقول هو مثـل ذلك لهما، والثالثـة: يكسـي من كسوة الجنـة، والرابعـة: تبتـدره خزنـة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه، والخامسة: أن يري منزله، والسادسة: يقال لروحه: إسرح في الجنة حيث شئت، والسابعة: أن ينظر في وجه الله (أي رحمته) وإنها لراحة لكل نبي و شهيده.(3)

وقـال صـلي الله عليه وآله : إن جبرئيـل أخبرني بـأمر قرت به عيني وفرح له قلبي، قـال: يا محمـد، من غزا غزوة في سبيل الله من أمتك وما أصـابته قطرة من الـدماء أو صـداع إلا كانت له شاهـدة يوم القيامـة، وللجنـة باب يقال له باب المجاهـدين يمضون إليه وإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم، والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم، ومن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه وفقراً في معيشته و محقاً في دينه، إن الله تعالي أعز أمتي بسنابك خيلها و مراكز رماحها. (4) وقال: من بلغ رسالة غاز كمن أعتق رقبة وهو شريكه في

1- يونس: 62

2- التوبة: 111

3- عوالي اللئالي 3: 182 و 183/ ح 4

4- الكافي 5: 2/ ح 2

ثواب غزوته، (1) وقال: خيول الغزاة خبولهم في الجنـة. (2) وقال: الخير كله في السـيف، وتحت ظل السـيف ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار.(3)

وقال صلي الله عليه وآله: تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله أو تصديق كلمته بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلي مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة. (4)

وقال صلي الله عليه وآله : لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها.(5)

وقال يوم بدر: قوموا إلي جنة عرضها السماوات والأرض _ الحديث.(6)

وفي حديث آخر، قال: إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف.(7)

وقال: ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصـيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقي لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم.(8)

وروي الصدوق عن الصادق عليه السـلام قال: جاء رجل إلي النبي صلي الله عليه وآله فقال: إني راغب في الجهاد. قال صلي الله عليه وآله: جاهد في سبيل الله تعالي: فإنك إن تقتل كنت حياً عند الله ترزق، وإن مت فقد وقع أجرك علي الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب كما ولدت _ الحديث.(9)

1- عوالي اللئالي 3: 183/ح5

2- الكافي 5: 3/ ح3

3- الكافي 5: 2/ ح 1

4- الجهاد لعبد الله بن المبارك: 81

5- الجامع الصغير للسيوطي 2: 410/ ح 7287

6- مسند احمد 3: 136؛ تفسير الدر المنثور 2: 72

7- تفسير الدر المنثور 1: 248

8- صحيح مسلم 6: 47

9- أمالي الشيخ الصدوق: 547 ح 729

وقال علي صلوات الله عليه: الجهاد علي أربع شعب: علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهي عن المنكر أرغم أنف الكافرين، ومن صدق في المواطن قضي ما عليه، ومن شني الفاسقين غضب الله، ومن غضب الله تعالي فهو مؤمن حقاً. (1)

وقال صلوات الله عليه: جهاد الهوي ثمن الجنة، وجهاد النفس مهر الجنة وأفضل الجهاد، فمن جاهدها ملكها، وهي أكرم ثواب الله لمن عرفها، وجهاد النفس بالعلم عنوان العقل، وجهاد الغضب بالحلم برهان النبل.(2)

وقال صلوات الله عليه: «إن رسول الله صلي الله عليه وآله بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. (3)

وهو قهرها وبعثها علي ملازمة الطاعات ومجانبة المنهيات، ومراقبتها علي مرور الأوقات، ومحاسبتهاعلي ما ربحته وخسرته في دار المعاملة من السعادات، و كسر قوتها البهيمية والسبعية بالرياضات وغير ذلك، ثم قال صلي الله عليه وآله: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه.(4)

وبالتالي قد تحصل مما ذكره صلوات الله عليه منافع الجهاد و مصالحه و مفاسد تركه و معايبه، وفيه تحريض علي القيام، وترهيب عن القعود عنه، فإنه وإن كان شاقاً علي النفس في بادئ الأمر، من حيث كون أعظم ما يميل إليه الطبع الحياة، وكون بقاء النفس للنفس مطلوباً إلا أنه بعد ملاحظة ما يترتب

1- الكافي 2: 50 و 51/ ح 1

2- مستدرك الوسائل 11: 139؛ نمرر غرر الحكم، الحكمة 4773

3- الاختصاص للمفيد: 240؛ مشكاة الأنوار: 431

4- أمالي الصدوق:553/ ح 470

علي القيام به من المنافع والثمرات، وعلي القعود عنه من المضار والعيوب، يسهل عليه القيام به، ويشري نفسه ابتغاء مرضات الله، كما قال تعالي:

(كُتِبَ عَليكُمُ القِتالُ وَهُوَكُرهٌ لَكُم وعَسي أَن تكرَهُوا شَياً وهُو خَيرٌ لَكُم وَعَسَي أَن تُحبُوا شَيئاً و هُوَشَرٌ لَكُم وَالله يَعلَمُ وأنتُم لَا تَعلَمُونَ).(1)

يعني أن الشيء ربما كان شاقاً عليكم في الحال وهو سبب للمنافع الجليلة في المستقبل، وبالعكس، ولأجله كن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في المستقبل، وحسن تحمل الأخطار في الأسفار بتوقع حصول الربح.

والجهاد كذلك، لأن تر كه وإن كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل، وصون المال عن الأنفاق، ولكن فيه أنواع من المضار الدنيوية والأخروية، كالذل والفقر والحرمان من الغنيمة ومحي الدين وطمع الأعداء، حيث إن العدو إذا علم ميل نظرائه إلي الدعة والسكون قصد بلادهم وحاول قتلهم، فإما أن يأخذهم ويستبيح دماءهم وأموالهم ويسبي ذراريهم، وإما إن يحتاجوا إلي قتاله من غير إعداد آلة وسلاح .

وهذا يكون كترك مداواة المريض مرضه في أول ظهوره بسبب مرارة الدواء ثم يصير في آخر الأمر مضطراً إلي تحمل أضعاف تلك النفرة والمشقة، مضافاً إلي ما يفوته من الثمرات الجليلة في الدنيا والآخرة من الأمن وسلامة الوقت والفوز بالغنيمة وحلاوة الاستيلاء علي الأعداء، والدرجات التي وعدها الله تعالي بقوله:

(فَضلَ اللهُ المُجاهِدينَ بِأَموالَهِم وأنفُسِ هم علَي القاعِدينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسني وفَضَّلَ الله المُجاهِدينَ عَلي القَاعدينَ أجراً عَظيماً * دَرَجاتٍ مِنهُ ومَغفِرةً وَرحمةً وَكانَ الله غَفوراً رَحيماً).

علي أساس هذا النداء وهذه الدعوة إلي الجهاد، كان المسلمون في

1- البقرة: 216

تشوق عارم إلي الشـهادة، وحنين دائم إلي الجنة، واسـتهانة عجيبة بالحياة الدنيا. ولقد كان الرسول الأعظم محمد صلي الله عليه وآله متمنياً للشهادة ويقول:

والـذي نفسـي بيـده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسـهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سـرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل .(1)

جهاد عمير بن الحمام:

وفي معركة بدر قال النبي صـلي الله عليه وآله : قوموا إلي جنة عرضـها السـماوات والأرض، فقال عمير بن الحمام: جنة عرضـها السـماوات والأض!! بـخ، بـخ، فقال له النبي: ما حملك علي قول بـخ، بخ؟ فقال: رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها، فألقي عمير ما كان معه من زاد، وتقدم من المعركة وهو يقول:

ركضاً إلي الله بغير زاد*** إلا القي وعمل المعاد

والصبر في الله علي الجهاد*** وكل زاد غرضة النفاد

غير التقي والبر والرشاد(2)

وقاتل عمير حتي قتل .

جهاد أنس بن النضر:

ولمـا كـان يوم أحـد وانكشف المسـلمون، مر أنس بن النضـر بنفر قعود، فقال لهم : ما يقعـد كم؟ قالوا: قتل رسول الله، قال: فما تصـنعون بالحياة بعده؟ فموتوا علي ما مات عليه، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنعه المسلمون، وأبرأ اليك مما صنع

1- صحيح البخاري 3: 203؛ سنن ابن ماجة 2: 620) ح2753

2- مسند احمد 3: 136 و 137؛ البداية والنهاية لابن كثير 3: 338

المشـركون، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال له: يا سعد، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال أنس بن مالك ابن أخيه: فوجدناه في نهاية المعركة قد قتل ومثل به المشـركون، ووجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.(1)

جهاد عمرو بن الجموح :

وكان عمرو بن الجموح أعرج شديـد العرج، فلما أراد الخروج مع النبي إلي معركـة أحد منعه بنوه وقالوا له: إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعـدت ونحن نكفيـك، وقـد وضع الله عنـك الجهـاد، فجاء إلي النبي صـلي الله عليه وآله وقال له: يا رسول الله إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، ووالله إني لأرجو أن أستشـهد فأطأ بعرجتي هـذه الجنـة، فقال النبي صـلي الله عليه وآله لبنيه: وما عليكم أن تـدعوه، لعل الله عزوجل أن يرزقه الشهادة.

فخرج عمرو في الجيش ودعا ربه قائلاً: اللهم ارزقني الشهادة، ولا تردني إلي أهلي خزيان، فقتل شهيداً في أحد.(2)

وقبيل القتال في أحـد جاء عبـد الله بن جحش إلي النبي صـلي الله عليه واله فقال: يا رسول الله إن هؤلاء القوم – يريـد المشـركين قـد نزلوا حيث تري، وقد سألت الله الشـهادة، وأنا أسألك أخري يا رسول الله: أن تلي تركتي من بعدي، فقال له: نعم. فقاتل عبد الله حتي قتل، ودفن مع حمزة في قبر واحـد. وجاءت أخته حمنة بنت جحش، و كانت في الجيش تحمل الماء وتضـمد الجراح، فقال لها رسول الله صـلي الله عليه وآله : يـا حمن احتسبي، قـالت: من يـا رسول الله؟ قـال: خالـك حمزة، قـالت: إنـا لله وإنـا إليه راجعون، غفر الله له ورحمه، هنيئاً له الشهادة، ثم قال لها: احتسبي. قالت: من يا رسول الله؟ قال: أخوك عبد الله.

1- صحيح البخاري 3: 205؛ اسد الغابة 1: 131 و 132

2- السنن الكبري للبيهقي 9: 24

قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له ورحمه، هنيئاً له الشـهادة، ثم قال لها: احتسبي. قالت: من يا رسول الله؟ قال: مصـعب بن عمير. قالت: واحزناه. فقال: إن للزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحد، ثم قال لها: لـم قلت هذا؟ فقالت: يا رسول الله ذكرت يتم بنيه فراعني. (1)

ولما فاء المسـلمون إلي النبي صـلي الله عليه وآله يوم أحـد كان أولهم عودةً ثلاثة: عباس بن عبادة، وخارجة بن زيد، وأوس بن أرقم، فنادي عباس: يا معشـر المسلمين الله ونبيكم، هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم، وعدكم النصر فما صبرتم، ماعذرنا عند ربنا إن أصيب رسول الله ومـاعين تطرف؟ ثم نزع مغفره وخلع درعه ليقاتـل حاسـراً، وقال لخارجـة:هل لك فيهما؟ قال: لا، أنا أريـد الـذي تريـد، فقاتلوا حتي قتلوا جميعاً.(2)

جهاد حارثة:

وكان حارثة من شباب الأنصار، عاده رسول الله صلي الله عليه وآله في مرضه فطلب منه أن يدعو الله له أن يرزقه الشهادة، فدعا له. فلما قتل في بـدر وعلمت أمه بمقتله قالت: والله لا أبكيه حتي أسأل رسول الله، فلما قـدم المدينـة قالت له: يا رسول الله قـد عرفت موقع حارثـة من قلبي، فـإن يكن في الجنـة صبرت، وإن يكن غير ذلـك اجتهـدت عليه في البكاء؟ فقال: يا أم حارثـة إنها ليست جنـة واحـدة ولكنها جنان، وحارثة في الفردوس الأعلي. فرجعت وهي تضحك وتقول: بخ، بخ يا حارثة، هنيئاً لك الجنة. (3)

عن شداد بن الهادي: أن رجلاً من الأعراب جاء فآمن بالنبي صلي الله عليه وآله ثم قال:

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 15: 18

2- شرح نهج البلاغة 14: 257

3- فضائل الصحابة لاحمد بن حنبل 1: 38؛ مسند احمد 3: 124

أهاجر معك، فأوصي به النبي بعض أصحابه، فكانت غزاة غنم فيها النبي شيئاً فقسم، وقسم له، فقال: ما هذا؟ فقال: قسمته لك. فقال: ما علي هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك علي أن أرمي إلي ههنا - وأشار بيده إلي حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة. قال: إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي محمولاً قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلي الله عليه وآله: أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: صدق الله فصدقه، ثم كفن في جبة النبي، ثم قدمه فصلي عليه، فكان مما ظهر من صلاته: اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً، وأنا شهيد علي ذلك.(1)

لم يلجأ الرسول محمد صلي الله عليه وآله إلي القتال إلا مضطراً، وفي حدود الدفاع عن حرية دعوته وعن كيان المسلمين، ويبين ذلك بوضوح من استعراض أشهر معار كه مع المشركين وأهل الكتاب، فقد كانت كلها دفاعية أو مبادرة لا تقاء هجوم مؤ كد.

أما مشر كو قريش فقد كانت عداوتهم واضحة طول العهد المتي ولم ينته هذا العهد حتي كانوا قد بدأوا يحكمون السيف، فتآمروا علي رسول الله صلي الله عليه وآله وأجمعوا علي قتله حتي لا يتم انتقال الدعوة إلي المدينة.

(وَإذ يَمكُرُ بِكَ الَّذينَ كَفَروا لِيَثبِتُوكَ أَو يَقتُلُوكَ أَو يُخرِجُوكَ و يَمكَرونَ وَيَمكُرُ اللهُ واللهُ خَيرُ المَاكِرينَ)(2) وبعد أن تمت الهجرة كانت قريش تعد العدة وتتحين الفرص للقضاء علي الإسلام والمسلمين، ومن ثم كانت ظالمة معتدية منذ البداية، ويشير القرآن إلي ذلك تذكرة للمسلمين.

(ألا تُقاتِلُونَ قَوماً نَكَثوا أَيمَانَهُم وَهَمُّوا بِإخراجِ الرَّسولِ وَهُم بَدؤُكُم أَوَلَ مَرَةٍ أَتَخشَونَهُم فَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخشَوهُ إِن كُنتُم مُؤمنينَ). (3)

1- المعجم الكبير للطبراني 7: 271؛ البداية والنهاية 4: 218

2- الأنفال: 30

3- التوبة: 13

معركة بدر:

ومعركة بدر أولي معاركهم مع المسلمين، كان عدوانهم فيها واضحاً العدة أسباب:

أولاً: أن النبي صلي الله عليه وآله لم يخرج بمن معه من أصحابه لقتال، ولما علم أن قريشاً أقبلت في جيش كبير لقتاله شاور المسلمين، ولو كان خروجه من المدينة للقتال ما شاورهم.

ثانياً: أن قريشاً خرجت من مكة بحجة إنقاذ قافلة لها يقودها أبو سفيان من عدوان المسلمين، ولكن القافلة وصلت سالمة إلي مكة، وبعث أبو سفيان إليهم يخبرهم بنجاة القافلة ويطلب منهم الرجوع، ولكن أبا جهل أصر علي مواصلة السير قائلاً: لا والله لا نرجع حتي نرد بدراً فنقيم ثلاثاً، ننحر الجزر ونطعم الطعام ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان، فلا تزال العرب تهابنا أبداً. فلما علم أبو سفيان بقوله قال: واقوماه!! تراس أبو جهل فبغي، والبغي منقصة شؤم.(1)

ثالثاً: أن عدداً من زعماء قريش كانوا يرون عدم القتال لعدم وجود ما يبرره، وقد عاد من الطريق الأخنس بن شريق في مائة من بني زهرة.

رابعاً: أن النبي صلي الله عليه وآله بعث إليهم عمر بن الخطاب بعد وصولهم إلي بدر يقول لهم: ارجعوا فإنه إن يلي هذا الأمر مني غيركم أحب إلي من أن أليه منكم.

فقال حكيم بن حزام أحد زعمائهم: قد عرض نصفاً فاقبلوه، والله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف. فقال أبو جهل: والله لا نرجع بعد أن أمكننا الله منهم. ومن ثم لم يكن للمسلمين بد من القتال رغم أنهم كانوا في قلة من العدد والعدة.(2)

وأما معركة أحد فكانت هجوماً من قريش علي المدينة للأخذ بثأر معركة بدر،

1- شرح نهج البلاغة 14: 107 و108 باختلاف يسير

2- شرح نهج البلاغة 14: 122

ذو كان من رأي النبي عـدم الخروج والدفاع عنها من داخلها، ولكن الأغلبية رأت الخروج للقاء العدو قبل مداهمتها، فخرجوا والتقوا بهم في أحد بالقرب من المدينة.

وأما معركـة بني المصـطلق فسـببها أن النبي صـلي الله عليه وآله علم أن الحارث بن أبي صـرار جمع لحربه جمعاً كبيراً من قومه ومن قبائل العرب، وأنهم قـد تهيئوا للمسـير إلي المدينـة، فبـادرهم النبي صـلي الله عليه وآله قبل الخروج، فلما وصل إليهم بعث إليهم يعرض عليهم الإسلام فأبوا وقاتلوا.

وغزوة الأحزاب كانت حصاراً للمدينة، حاصرها المشركون في عشرة آلاف مقاتل، وانضم إليهم يهود بني قريظة من داخلها.

ويتضح بغي المشـركين وعدوانهم من النشيد الذي كان ينشده النبي مع المسلمين وهو يعمل معهم في حفر الخندق، وهو نشيد يفيض ثقة بالله وتوكلا عليه وتنزهاً عن البغي والعدوان:

الاهم(1) لولا أنت ما اهتدينا*** ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ***وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألي لقد بغوا علينا*** وإن أرادوا فتنةً أبينا(2)

كما يبين إصرار المشركين علي القضاء علي الإسلام والمسلمين من الرسالة التي بعث بها أبو سفيان النبي صلي الله عليه وآله أثناء الحصار: باسـمك اللهم فإني أحلف باللات والعزي،لقـد سـرت إليك في جمعنا وإنا نريـد ألآ تعود أبـداً حتي نستأصـلكم، فرأيتك قد كرهت لقاءنا، وجعلت مضايق وخنادق، فليت شعري من علمك هذا؟! فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد.(3)

1- أي: اللهم

2- بحار الأنوار 20: 199

3- النزاع والتخاصم للمقريزي: 57

صلح الحديبية:

وفي الحديبية تجلي حبة النبي صلي الله عليه وآله للسلم ورغبته عن القتال، وذلك أنه في السنة السادسة من الهجرة خرج من المدينة ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه بريد مكة لزيارة المسجد الحرام ومعهم الهدي لهذا الغرض، وخاف المسلمون من عدوان قريش فقالوا للنبي: لو حملنا يا رسول الله السلاح معنا، فإن رأينا من القوم ريباً كنا معدين لهم، فقال: لست أحمل السلاح، إنما خرجت معتمراً.

ونزل المسلمون بالحديبية علي بعد تسعة أميال من مكة، وجاء بديل بن ورقاء سفيراً من قريش، فبلغ النبي أنها أجمعت علي قتاله ومنعه من زيارة المسجد الحرام، فقال له النبي: إنا لم نأت لقتال أحد، إنا جئنا لنطوف بالبيت، فمن صدنا عنه قاتلناه.

وبعث النبي صلي الله عليه وآله إلي قريش يقول لها: إنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا زواراً للبيت معظمين لحرمته، ومعنا الهدي ننحر وننصرف، فقالوا للرسول: لا يدخل محمد علينا أبداً.

ثم جاء سهيل بن عمرو إلي النبي صلي الله عليه وآله يعرض عليه شروطاً للصلح بعثته بها قريش، وقد قبلها النبي صلي الله عليه وآله، ورأي المسلمون فيها إجحافاً بهم، وقال عمر بن الخطاب راداً علي رسول الله: يا رسول الله ألسنا بالمسلمين؟ قال: بلي، فقال: علام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال: أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني، وجعل عمر يردد ذلك حتي قال له أبو عبيدة ابن الجراح: ألا تسمع – يا ابن الخطاب – رسول الله يقول ما يقول! تعوذ بالله من الشيطان واتهم رأيك.

ودعا النبي صلي الله عليه وآله علي بن أبي طالب صلوات الله عليه لكتابة المعاهدة و كره المسلمون ذلك وداخلهم أمر عظيم، ولكن النبي صلي الله عليه وآله أمر علياً بالكتابة، وبدأ يملي عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: مانعرف الرحمن، اكتب ما نكتب «باسمك اللهم»، فضاق المسلمون وصاحوا: والله ما نكتب إلا الرحمن، فقال النبي صلي الله عليه وآله لعلي: اكتب «باسمك اللهم، هذا ماصالح عليه

محمد رسول الله، فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك، اكتب اسمك واسم أبيك، فضج المسلمون وارتفعت الأصوات وقالوا: لا نكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا، علام نعطي الدنية في ديننا؟ فأمرهم النبي بالسكوت، واستمر في إملاء المعاهدة كما طلب سهيل، ثم عاد المسلمون إلي المدينة دون زيارة المسجد الحرام في ذلك العام.

ولما نقضت قريش عهد الحديبية، سار إليهم النبي صلي الله عليه وآله في عشرة آلاف وعسكر بجيشه قرب مكة، وجاءه العباس بن عبد المطلب وقد أردف خلفه أبا سفيان بن حرب وغيرهما فأسلموا وعادوا إلي مكة بأمان رسول الله صلي الله عليه وآله إلي أهلها، ودخل رسول الله صلي الله عليه وآله مكة، وأعطي أهلها الأمان وصفح وعفي عنهم.

وكذلك معركة حنين، فسببها أن مشركي هوازن وثقيف ومعهم بعض القبائل قد تجهزوا لحرب المسلمين، فخرج النبي صلي الله عليه وآله بجيشه للقائهم قبل هجومهم علي مكة، وفي وادي حنين باغتوا المسلمين بالهجوم وكادوا يظهرون عليهم لولا ثبات النبي صلي الله عليه وآله في جماعة من أصحابه.

إلي هنا ننهي الموضوع ومن أراد الوقوف علي التفصيل أكثر من هذا، فليرجع إلي الجزء الثالث من كتابنا الجواهر الروحية.

ومن وصية له لولده الحسن عليه السلام :

يذكر فيها حقوق الإخوان

(لا ـ خَيرَ فِي مُعينٍ مَهينٍ وَلا ـ فِي صَـديقٍ ظَنينٍ سَاهـلِ الـدَّهرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ وَلا تُخاطِر بِشَـيءٍ رَجَاءَ أَكثَر مِنهُ وَإِيَّاكَ أَن تَجمَـحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجاجِ احمَل نَفسَكَ مِن أَخيكَ عِندَ صَرمِه عَلي الصَّلَة وَعِندَ صُدُودِهِ عَلي اللُّطفِ وَالمُقارَبَة وَعِندَ جُمُودَه عَلي البَذلِ وَعِندَ تَباعُده عَلي الدُّنُو وعِنـدَ شِدَّتِه عَلي اللينِ وَعِندَ جُرمِه عَلَي العُذرِ كَأَنَّكَ لَه عَبدٌ وكأَنَّه ذُو نِعمَةٍ عَليكَ إِيَّاكَ أَن تَضَعَ ذَلكَ في غَير مَوضِعِه أَو أَن تَفعَلهُ بغَير أَهلِه لا تَتَّخذَنَّ عَدُّوَ صَديقِكَ صَديقاً فَتُعادِيَ صَديقَكَ وَامحَض أَخَاكَ النَّصيحَة حَسَنَةً كَانَت أَو قَبيحَةً).(1)

الشرح: حكم ومواعظ:

اشتملت هذه الفقرات النيرة علي جمل من الأمثال والحكم والنصائح:

أولها: (العلاقة مع الآخر) قوله صلوات الله عليه:هلا خير في معين مهين، ولا في صديق ضنين أخذ الشاعر هذا المعني فنظمه وسبكه سيكاً لطيفاً فقال:

فإن من الاخوان من شحط النوي ***به وهو راع للوصال أمين

ومنهم صديق العين أما لقاؤه *** فحلو وأما غيبه فظنين (2)

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 104

2- شرح نهج البلاغة 16: 105

ويقول سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف:

ألا رب من تدعو صديقاً ولو تري*** مقالته بالغيب ساءك ما يغري

مقالته كالشهد ما كان شاهداً*** وبالغيب مأثور علي ثغرة النحر

يسرك باديه وتحت أديمه ***نميمة غش يفتري عقب الظهر

تبين لك العينان ما هو كاتم *** من الغل والبغضاء بالنظر الشزر

فرشني بخير طالما قد بريتني ***وخير الموالي من يريش ولا يبري(1)

ثانيها: قوله صلوات الله عليه: «ساهل الدهر ماذل لك قعوده»ومثل هذا قولهم في المثل: من ناطح الدهر أصبح أجم، وقولهم: در مع الدهر كيفما دار، ومثله قول الشاعر:

من قامر الأيام عن ثمراتها ***فأحر بها أن تنجلي ولها القمر(2)

وقول الآخر:

إذا الدهر أعطاك العنان فسر به *** رويداً ولا تصنف فيصبح شامسا(3)

ثالثها: قوله صلوات الله عليه: «إحمل نفسك من أخيك عند صرمه علي الصلة»أمره أن يلزم نفسه ويحملها في حق صديقه علي أن يقابله ويجازيه عن رذائله بالفضائل؛ كما إذا قطعه أن يصله، وإن جفاه أن يبره، وإذا بخل عليه أن يجود عليه، ليعود إلي العقبي الحسنة وتدوم المودة، وحذره أن يضع ذلك في غير موضعه، أو يفعله بغير أهله من اللئام؛ لأن ذلك وضع الشيء في غير موضعه، وهو خروج عن دائرة العقل، قال الشاعر:

1- البداية والنهاية 3 180؛ أسد الغابة 2: 377

2- أي الغلبة.

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 106

وإن الذي بيني وبين بني أبي ***وبين بني أمي لمختلف جدا

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم *** وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وإن زجروا طيراً بنحس تمر بي***زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم *** وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا (1)

رابعها: نهاه صلوات الله عليه أن يتخذ عدو صديقه صديقاً ونبه علي قبح ذلك بقوله: «فإنك إن فعلت ذلك عاديت صديقك»ومعاداة الصديق قبيحة مذمومة، فاتخاذ عدوه صديقاً كذلك، وذلك أن مصادقة عدو الصديق تستلزم نفرة الصديق عمن يصادق عدوه، لنفرته من عدوه؛ لأن مصادقة عدوه وهمه مشاركة العدو وموافقته في جميع أحواله، ومن جملة أحواله عداوته، فهي إذن توهمه الموافقة علي عداوته، فتوجب له النفرة والمجانية، ويشير الشاعر إلي هذا المعني بقوله:

تود عدوي ثم تزعم أنني ***صديقك إن الرأي عنك لعازب(2)

وقال الآخر:

إذا صافي صديقك من تعادي ***فقد عاداك وانقطع الكلام(3)

وقال الآخر:

صديق صديقي داخل في صداقتي ***وخصم صديقي ليس لي بصديق

خامسها: أمره صلوات الله عليه أن يخلص نصيحته لأخيه في جميع أحواله، سواء كانت النصيحة حسنة أو قبيحة _ أي مستقبحة في نظر المنصوح ضارة له في العاجل،باعتبار استحيائه وانفعاله من المواجهة بها، وهو قوله صلوات الله عليه: «وامحض أخاك النصيحة حسنةً كانت أو قبيحة».

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 107

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 16: 107

3- نفس المصدر

إذ يجب علي الإنسان أن يبذل النصح لأخيه وصديقه ما وسعه، فإن النصح من أعظم لوازم المحبة وأهم مقومات المودة، ولا تتم صداقة ولا تنعقد أخوة ما لم تكن النصيحة رائدها وباعثها، ومن لم يكن ناصحاً لأخيه فليس بأخ، قال رسول الله صلي الله عليه وآله :المؤمن أخو المؤمن لا يدع نصيحته علي كل حال. (1) وقال الإمام الباقر عليه السلام: يحق علي المؤمن للمؤمن النصيحة. (2) وقال الإمام الصادق عليه السلام: من مشي في حاجة أخيه المؤمن فلم يناصحه فقد خان الله ورسوله. (3)

وهي أفضل صفة في النوع الانساني، كما أن نقيضها – وهو الغش – أقبح خصلة في الإنسان، وهي تجب لعامة المسلمين إعانة وإرشاداً بحق وإلي حق، كما يحرم نقيضها وهو الغش، قال رسول الله صلي الله عليه وآله: من غشنا فليس منا.(4)

النصيحة في الوعي الديني:

نحن الآن في جولة واسعة في ساحة النصح وينبوعه، جولة مباشرة اللوجدان الانساني، لعل ينتفض ضميره ويرتعش وجدانه فيتأثر بهذه اللمسة التي فيها معني الانسانية والتكريم العلوي لهذا المخلوق.

ومن الخير أن تفسح للتحدث عن الموضوع بفقرة تمهيدية، فتقول:

من الصعب جداً علي معظم الناس أن تكلفهم مزاولة الفضائل والتحلي بها والسير تحت إشرافها ورعايتها. إن فهم الفضيلة حق الفهم ومعرفة حدودها حق المعرفة، والانقيادلها في المواقف الزلقة حيث تتوقر المغريات وتتعارض

1- الجامع الصغير للسيوطي 2: 662ح 9156؛ كنز العمال 1: 142/ ح 687

2- مشكاة الأنوار: 184؛ وفي الكافي 2: 208/ ح 3: يجب للمؤمن علي المؤمن النصيحة

3- فقه الرضا: 369؛ الكافي 2: 362، ح 2 باختلاف يسير

4- دعائم الاسلام للقاضي النعمان 2: 28، مستدرك الوسائل 13: 201؛ وفي لفظ الكافي5: 160/ ح ا عن الصادق عليه السلام ليس منا من غشنا

المنافع و تنشط دواعي الجريمة والسوء شيء صعب وتكليف للناس بما لا يطيقون، وإنما غاية ما تؤثر الفضيلة في فئة قليلة من الناس تمارس الفضائل وتتلقي المبادئ و تأخذ أنفسها برياضة شاقة حقبةً من الزمن لتكون لها ممارسة الفضيلة عادة مألوفة، ولا بد أن تكون تلك النفوس كما قال (ارسطو): «قلوبها شريفة بالفطرة، أصدقاء للفضيلة، أوفياء بعهدها».هؤلاء الناس قليلون جداً في خضم الحياة الزاخر بالشهوات والاندفاعات والمنافع والأغراض.

إذن نستطيع أن نوفر علي الناس الجهود ونقدم لهم من كتاب الله وسنة رسوله وأحاديث أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين ما يكون زاداً لكل راغب، وعدة لكل خائض معترك الحياة، عدة واقية تقيه الغرق في تياراتها العنيفة، وتقيه الزلق إذا مشي علي مزالقها التي تزل فيها الأقدام، وتتهاوي الرجال صرعي أو غرقي أو ملوثة.

والانسان بما أنه اجتماعي لا بد له من تعاون قهري ليس له فيه اختيار، وهذه هي الفضيلة التي لها أثرها الحميد وعطرها الذائع وشرفها المرموق بين الناس.

قال الله تعالي:(وَتَعاوَنُوا عَلي البِّرِ وَالتَّقوي). (1) وقال رسول الله صلي الله عليه واله: الخلق عيال الله، وأحب الخلق إلي الله من نفع عيال الناس وأدخل علي أهل بيت سروراً،(2) وقال صلي الله عليه وآله: خصلتان من الخير ليس فوقهما شيء من البر: الايمان بالله، والنفع لعباد الله.(3)

و سئل صلي الله عليه وآله من أحب الناس إلي الله؟ قال: أنفع الناس للناس. (4)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من كان وصولاً لإخوانه بشفاعة في دفع مغرم أوجر مغنم، ثبت الله قدميه يوم تزل فيه الأقدام. (5)

وقال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: من قضي لأخيه

1- المائدة: 2

2- الكافي 2: 164/ ح6

3- تحف العقول: 35؛ بحار الانوار 74: 137/ ح 2

4- الكافي 2: 164/ ح 7

5- وسائل الشيعة 16: 342/ ح21715

حاجـة فبحاجة الله بدأ، وقضـي الله له بها ألف حاجة إحداهن الجنة، ومن نفس عن أخيه كربة نفس الله عنه كرب الدنيا و كرب القيامة بالغاً مـا بلغت، ومن سـعي له في حـاجته حتي قضاها فيسـر بقضائها، كان إدخال السـرور علي رسول الله صـلي الله عليه وآله إلي أن يقول عليه السلام في آخر الحديث : والله لقضاء حاجته أحب إلي الله من صيام شهرين متتابعين واعتكافهما في المسجد الحرام. (1)

هذه الأحاديث تعطينا درساً أن الأديان غرضـها سعادة المجتمع والتعاون علي متاعب الحياة، وهي أرفع قدراً من الأمور العبادية، حيث إن العبادة نفعها شخصي وهذه الأعمال تعم المجتمع، وتدلنا أيضاً علي التعاون الاختياري سواء كان الباعث قويا علي التعاون أم كان ضعيفاً، فالمعين علي قضاء حوائج الناس له عند الله منزلة رفيعة ودرجة سامية، و إن لم تكن الحاجة شديدة إلي المعاونة، فإذا كان الإنسان في ضيق من الأمر قد أحاطت به مفاجئة الحوادث بما يكربه ويضيق الخناق عليه، عند ذاك تكون المعاونة ألزم.

ولو فرضـنا أن رجلاً اسـتعان بآخر علي دفع مظلمة أو قضاء حاجة أو كشف غمة أو إزاحة مصيبة، وهو قادر علي أن يقوم بحقه ولم ينقذه مما هو فيه فقد تعرض لمقت الله، روي علي بن جعفر عن أبي الحسن عليه السـلام قال: سمعته يقول: من قصد إليه رجل من اخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله.(2)

وإذا كـان من حق المسـلم أن تعينه لأـنه أخوك في المعتقـد والفكرة والخلق والمثـل العليـا، فمن حقه أيضـاً أن تبـذل له نصـحك وتمنحه إخلاصك، وتفكر في انقاذه من ورطته، و تفكر أن لا تزل به القدم ولا يؤخذ علي غرة، فتذكره بما يصلح شأنه

1- وسائل الشيعة 16: 342 و 343/ ح21716؛ عوالي الكثالي 1: 355 و 356/ ح 24

2- الكافي 2: 366 و 367/ ح 4

وينفي المخاوف التي تعلمها أنت ويجهلها هو، وتدله علي الطريق الذي يأمن به العثار ويبتعد عن مسببات الكدر، فأنت مسؤل عن الشركة تدميه والعقرب تلسعه والضرر يحيق به، وإذا كنت علي سابق علم أو عندك في حوادث الأمور المباغتة اختبار ودراية، فمن الواجبات الاجتماعية أن تنصحه وتوضح له ما خفي عنه ليتقي المتاعب ويتجنب المخاوف ويبتعد عن الخطر.

جاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه.(1) وقال عليه السلام: يجب للمؤمن علي المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب. (2)

وقد مضت سنة الله تعالي بما عرف بالتجارب: أن نفع النصح له شرطان أو طرفان: هما الفاعل للنصح، والقابل له، وإنما يقبله المستعد للرشاد، ويرفضه من غلب عليه الغي والفساد بمفارقة أسبابه من الغرور بالغني والجاه والكبر.

قال رسول الله صلي الله عليه وآله :الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامته ».(3)

فالنصيحة الله الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، ونصرة الحق فيه، ووصفه بأوصاف الكمال، وتنزيهه عن النقائص، وطاعة أمره، واجتناب نهيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وغير ذلك مما يجب له، و جميع هذه الأشياء في الحقيقة ترجع مصلحتها إلي العبد، فهي نصيحة لنفسه و كسب خير لها.

والنصيحة للرسول صلي الله عليه وآله تصديقه فيما جاء به، واتباعه فيما أمر به ونهي عنه، وتعظيم حقه، وتوقيره حياً وميتاً، ومعرفة سنته والعمل بها، وإحياء طريقته

1- الكافي 2: 208/ ح5

2- الكافي 2: 208/ ح 2

3- روضة الواعظين: 424؛ بحار الانوار88: 199

في بث الدعوة و تأليف الكلمة والتخلق بالأخلاق الطاهرة.

والنصيحة لأئمة المسلمين: إعانتهم علي الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم بحوائج العباد، ونصحهم في رفق وعدل، وتنبيههم عند الغفلة، وإرشادهم عند الهفوة، وتعليمهم ما جهلوا، وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء، وإعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية، وسد خلتهم عند الحاجة، ورة القلوب النافرة إليهم.

والمراد بأئمة المسلمين قادتهم في تنظيم شؤن الدنيا وفي إقامة معالم الدين ونشره بين الناس، فيشمل الملوك والأمراء والرؤساء والعلماء.

والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلي مصالحهم في دنياهم وأخراهم، و كف الأذي عنهم، وتعليمهم ما جهلوا، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، والرحمة لصغيرهم، وتفريج كربهم، وتوقي ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم.

وليكن أداء النصيحة بعبارة لينة رقيقة، بالحكمة والموعظة الحسنة، وأسلوب يغري بالامتثال، وبطريقة تبعد عن ذهن المستنصح أن الناصح له هو أعلي منه، فذلك يكون أعمق أثراً وأقوي تركيزاً.

ويشترط في الناصح العفة، والحياء، والصدق، وسلامة الذات، وفوق ذلك كله الدين، لأنه إن كان عفيفاً يأنف من الغش حتي لعدوه، وإن كان من أهل الحياء يمنعه حياؤه من نسبة الغش إليه، وإن كان صدوقاً لا يكذب، العلمه أن الكذوب ممقوت لا يوصف بالخير، وإن كان سليم الذات لا يري النصح إلا لازما له لنقاوة نفسه وفطرته، والمتدين يري الواجب الديني المبالغة في النصح لكل فرد في أي عمل أو قول يقوم به، ومرآته (الدين النصيحة).

فمن كان موصوفاً بهذه الصفات ينبغي توجه القلب والسمع والبصر نحوه ليستفاد من نصحه ورشده، قال أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه: «إن

معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة.(1)

يقول الشاعر:

خصائص من تشاوره ثلاثة *** فخذ منها جميعاً بالوثيقة

وداد خالص ووفور عقل ***ومعرفة بحالك في الحقيقة

أما كونه ناصحاً: فلأن الناصح يصدق الفكر ويمحض الرأي، وغير الناصح ربما يشير بالرأي الفطير فيوقع بالمضرة.

وأما كونه شفيقاً: فلأن الشفقة تحمل علي النصح، فتحمل علي حسن التروي في الأمر وإيقاع الرأي عن ثبت واجتهاد، وفي أمثال العرب اسمع ممن لا يجد منك بداً يعني اقبل نصيحة من يطلب تفعك كالأبوين، ومن لا يستجلب بنصحك نفعاً إلي نفسه بل إلي نفسك، يقول الشاعر:

إذا ما عري خطب ورمت وروده*** فشاورز فكم تجح هدته المشاورة

وأنفع من شاورت من كان ناصحاً*** شفيقاً فأبصر بعده من تشاورة

وأما كونه عالماً: ففائدته إصابته، لعلمه وجه المصلحة في الأمر، فإن الجاهل في الأمر أعمي لا يبصر وجه المصلحة فيه. قال رسول الله صلي الله عليه وآله : استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا.(2)

وأما كونه مجرباً: فلأنه لا يتم رأي العالم مالم تنضم إليه التجربة؛ وذلك أن العالم وإن علم وجه المصلحة في الأمر، إلا أن ذلك الأمر قد يشتمل علي بعض وجوه المفاسد، ولا يطلع عليها إلا بالتجربة مرة ومرة، فالنصيحة من دون تجربة مظلة الخطأ، وقد قيل في منشور الحكم: «كل شئ محتاج إلي العقل، والعقل محتاج إلي التجارب»، أو كما يقال: «إياك

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2: 204

2- الجامع الصغير للسيوطي 1: 149 ح 975

ومناصحة رجلين: شاب معجب بنفسه قليل التجارب في غيره، وكبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه»وكان لقمان الحكيم يقول لابنه: «يا بني استنصح من جرب الأمور، فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وتأخذه أنت بالمجان.(1)

وبالتالي يجب للمؤمن علي المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب.

نصيحة الصحابي سعد بن الربيع لرسول الله صلي الله عليه وآله:

ويحدثنا التاريخ عن رجال في الصدر الأول من الإسلام أنهم نصحوا الله ولرسوله وآله أحياءً وأمواتاً.

منهم سعد بن الربيع رضي الله عنه، قتل يوم أحد شهيداً بعد مافر المسلمون عن رسول الله صلي الله عليه واله ونادي إبليس في المعركة: قتل محمد، فقال سعد: لا خير في الحياة بعد رسول الله صلي الله عليه وآله، ثم حمل علي المشركين وجعل يضرب بسيفه في وجوههم قدماً حتي سقط إلي الأرض، ولما تراجع المسلمون قال النبي صلي الله عليه وآله: من له علم بسعد بن الربيع، فإني رأيته وقد أشرعت إليه اثنا عشر رمح، فقال أبي بن كعب: أنا يا رسول الله، فأقبل أبي بن كعب وجعل يطوف بين القتلي فوجده وبه رمق، فناداه: يا سعد، فما أجابه فقال: يا سعد إن رسول الله صلي الله عليه وآله بعثني اليك لآتيه بخبرك فإنه يقول: رأيته وقد أشرعت إليه اثنا عشر رمح، قال: فانتعش سعد كما بنتعش الفرخ وقال: أهو حي؟ قلت: إي والله . قال: الحمد لله، إني طعنت اثنتي عشرة طعنة أنفذت مقاتلي، اقرأ رسول الله عني السلام وقل لقومي عتي: يقول سعد الله الله علي ما عاهدتم عليه رسول الله، فوالله ما لكم عند الله عذر إن خلص إلي نبيكم شيء وفيكم عين تطرف،

1- شرح نهج البلاغة 41:20

ثم مات رحمة الله، فجاء أبي إلي رسول الله صلي الله عليه وآله فأخبره، فقال صلي الله عليه وآله: رحم الله سعداً لقد نصح لنا حياً و ميتاً. (1)

نصيحة عبد الله بن كعب لعلي عليه السلام :

ومنهم عبد الله بن كعب قتل يوم صفين، قال نصر بن مزاحم: جالت خيل لأهل الشام وأهل العراق بصفين فصرع عبد الله بن كعب، فمشي لمصرعه الأسود بن قيس، فرآه بآخر رمق فقال: عز علي – والله – مصرعك، أما والله لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك، ولو أعرف الذي قتلك لأحببت أن لا يزائلني حتي يلحقني بك أو أقضي عليه، ثم جلس عنده وقال: والله إن كان جارك ليأمن بوائقك وإن كنت من الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله، فقال: يا أخي أوصيك بتقوي الله وأن تناصح الأمير المؤمنين وتقاتل معه المشركين حتي يظهر الحق أو تلحق بالله، واقرأ أمير المؤمنين علي السلام وقل له: يقول عبد الله فليقاتل علي المعركة حتي يجعلها خلف ظهره، فمن أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب، ثم مات رحمة الله عليه، فجاء الأسود بن قيس إلي أمير المؤمنين صلوات الله عليه فأخبره فقال صلوات الله عليه: رحم الله عبد الله، لقد جاهد معنا عدونا في الحياة، ونصح لنا عند الممات.(2)

نصيحة ابن عوسجة للحسين عليه السلام :

ومنهم مسلم بن عوسجة رضي الله عنه صرع بين يدي الحسين عليه السلام بطف كربلاء. فمشي لمصرعه حبيب بن مظاهر، فوجده بآخر رمق من الحياة، فجلس عند رأسه وقال: عز علي – والله _ مصرعك، ولو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك، ولولم أعلم أني بالأثر لأحببت أن توصي إلي بجميع ما

1- الطبقات الكبري لابن سعد 3: 524

2- بحار الانوار 32: 519

أهمك، فقال مسلم: يا أخي أوصيك بهذا الغريب - وأشار بيده إلي الحسين عليه السلام _ قاتل دونه حتي تقتل، فقال حبيب: والله لأنعمنك عيناً، ثم مات رحمة الله. (1)

نصيحة العباس عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام :

ومنهم العباس بن علي عليه السلام، صرع بطف كربلاء بين يدي أخيه الحسين عليه السلام فقد كان مناصحاً لأخيه الحسين عليه السلام قولاً وفعلاً، أما قولاً: فمن ذلك قوله لأخوته: حاموا عن سيد كم وإمامكم الحسين، وقوله لهم: تقدموا يا بني أمي حتي أعلم أنكم قد نصحتم لله ولرسوله.(2)

وأما مناصحته الفعلية فأثرها ظاهر: قطعت يمينه وشماله وهو واقف في خطة الحرب، ثابت في ساحة القتال، لم يطلب لنفسه ملجأً ولا مأمناً، وقف من غير يذين يذب عن أخيه كأنه قطعة جبل صلد لا يتزعزع، حتي اغتاله بعضهم مستتراً من وراء نخلة ففضخ هامته بعمود من حديد، فخر صريعاً علي وجه الثري، فهذه من أعظم المناصحة وأجلها.

وقد مدح بهذه المناصحة وأثني عليه الأئمة المعصومون عليه السلام: قال الإمام الصادق عليه السلام في زيارته التي رواها ابن قولويه في كامل الزيارات: وأشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم ...(3) وقال عليه السلام في مقام آخر:

أشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود.(4) وفي محل آخر منها:أشهد أنك قد نصحت الله ولرسوله ولأخيك (5) وفي محل آخر: «أشهد أنك قد

1- اللهوف لابن طاووس: 64

2- الإرشاد للمفيد 2: 109

3- كامل الزيارات: 440/ ح 671

4- كامل الزيارات: 441/ ح 671

5- المزار للشيخ المفيد: 124

بالغت في النصيحة وأديت الأمانة وجاهدت عدوك وعدو أخيك، فصلوات الله علي روحك الطيبة، وجزاك الله من أخ خيراً ورحمة الله وبركاته.(1)

ولعل المراد بالأمانة من قوله: «وأديت الأمانة»أن الحسين عليه السلام من العترة التي هي أحد الثقلين اللذين أوصي رسول الله صلي الله عليه وآله أمته بالتمسك بهما وبحفظهما ورعاية حقهما وجعلهما أمانة عند الخيار من أمته، وأبو الفضل العباس عليه السلام في طليعة الأوفياء بتأدية هذه الأمانة وإيصالها لرسول الله صلي الله عليه وآله محترمة معظمة، بذل دون حفظها نفسه النفيسة، وجعل يتلقي السيوف بوجهه وصدره ونحره لئلا يصل إلي وديعة رسول الله شيء منها، أو لعل المراد بالأمانة البيعة للحسين عليه السلام، ولا شك أن البيعة أمانة عند المبايع، وأن التزامه بشرائطها تأدية لها، والقتل من أظهر مصاديق الوفاء وأجلي مظاهر التأدية للأمانة، ولهذا كان كل من أراد الشهادة من أصحاب الحسينعليه السلام يقف أمامه ويستأذنه للبراز ويقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، أوفيت يا ابن رسول الله؟ فيقول عليه السلام: نعم، أنت أمامي في الجنة، فاقرأ جدي وأبي وأمي عني السلام وقل لهم: تركت حسيناً وحيداً فريدً لا ناصر له ولا معين.

ويحتمل أيضاً أن يراد بالأمانة ما رواه بعض أرباب المقاتل من أن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه عند موته أوصي ولده العباس بنصرة أخيه الحسين عليه السلام فكانت هذه الوصية أمانة من أبيه في عنقه، فقام بتأديتها وأسقط عنه فرض التكليف بها، فقد ذكر الحكة الشيخ عبد الحسين الحلي رضي الله عنه في كتابه النقد النزيه: «أن علياً صلوات الله عليه أوضني عند موته ولده العباس أنه إذا ملك الماء يوم عاشوراء لا يشرب منه وأخوه الحسين عليه السلام عطشان.

1- بحار الأنوار68 : 330

من كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي رضي الله عنه:

اشارة

*من كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي رضي الله عنه:(1)

في أصناف الناس وفضل العلماء وفيه يتعرض لذكر المهدي عليهالسلام

قال كميل بن زياد: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأخرجني إلي الجبان، فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال:

(يا كُميلَ بن زيَاد انَّ هَـذه القُلوبَ أَوعِيةٌ فَخَيرُهَا أَوعَاهَا فَاحفَظ عَنّي مَا أَقُولُ لَكَ النَّاسُ ثَلاثَةٌ فَعَالَمٌ رَبَّانيٌ وَ مُتعَلمٌ عَلي سَبيلِ نَجَاةٍ وَ هَمَجٌ رَعاعٌ أتبَاعٌ كُلِ نَاعِقٍ يَميلُونَ مَعَ كُل ريحٍ لَم يَستَضيئوا بِنورِ العِلمِ وَلَم يَلجَئوا إلَي رُكنٍ وَثيقٍ يَا كُمَيلِ العِلمُ خَيرٌ مِنَ المَالِ العِلمُ يَحرُسُكَ وأنتَ تَحرُسُ المَالَ وَالمَالَ تَنقُصُه النَّفَقَةَ وَالعِلمُ يَزكُوا عَلي الإنفاقِ وَصَنيعُ المَال يَزُولَ بِزَوَالِه).

(يا كُمَيلِ بن زِيَادٍ مَعرفَةُ العَلمِ دينٌ يَدانُ بِه بِه يَكسَبُ الإنسَانُ الطَاعَةَ فِي حَيَاتَه وَجَميلَ الأُحدوثَةَ بَعدَ وَفَاتَه وَالعِلمُ حَاكِمٌ وَالمَالُ مَحكُومٌ عَليه ياكُميلُ هَلَكَ خُزَّانُ الأَموَالِ وَهُم أَحيَاءٌ وَالعُلماءُ بَاقُونَ مَا بَقَي الدَّهرُ أعيَانَهُم مَفقُودَةٌ وأمثَالُهُم فِي القُلوبُ مَوجودةٌ هَا انَّ ها هُنا لَعِلماً جَمّاً وَأَشَارَ بِيَدهِ إلي صَدرِهِ لَو أَصبَت لَه حَمَلَةً بَلي أَصبَتُ لَقِناً غَيرَ مَأمونٍ عَليه مُستعمِلاً اله الدِّينَ لِلدُّنيَا وَمُستظهَراً بِنِعمَ اللهِ علَي عِبادَه وَبِحُجَجِهِ

1- كان كميل بن زياد من خاصة الإمام والصفوة من شيعته، ولما ولي الحجاج طلبه للقتل فهرب منه واختفي، فما كان من الحجاج إلا أن منع العطاء عن قومه. ولما علم كميل بذلك قال: أنا شيخ كبير، وقد نفد عمري، ولا ينبغي أن أكون سبباً لحرمان قومي من أقواتهم، وسلم نفسه للحجاج، فلما رآه قال له: كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً، فقال كميل: لا تصرف علي أنيابك كالبعير، فاقض ما أنت قاض، فالموعد الله، وبعد القتل حساب و جزاء، فقال الحجاج لجلاوزته: اضربوا عنقه، فضربت...

عَلَي أوليَائه أو مُنقَادَاً لِحَملَة الحَق لا بَصـيرَةَ لَه فِي أحنائه يَنقَدحُ الشّكّ فِي قَلبه لأوّلِ عَارضٍ مِن شُبهَة ألا لا ذا وَلا ذَاكَ أو مَنهوُماً بِاللّذّة سَلَس القَيادَ للشَّهوَة أَو مُغرماً بالجَمعِ وَالادَّخَار لَيسَا مِن رُعاةِ الّدينِ فِي شّيء أَقرَبُ شّي، شّبَهَا بِهِمَا الانعَامُ السَّائمـةُ كّذلكَ يَموتُ العِلمُ بِمَوتِ حَامليه اللهم بَلي لَا تَخلُو الأرضُ مِن قائِمٍ لله بِحُجّة امَّا ظَاهِراً مَشـهوراً وَامَّا خَائفاً مَغمُوراً لئلَا تَبطُل حُجّج الله وَبَيِنَاتُهُ وَكَم ذَا وَأينَ اولئكَ أولنـك وَالله الأقَلونَ عّدداً والأعظَمُون عِنـدَ الله قّدراً يَحفَظُ اللهُ بِهِم حُجَجَه وَبَيِناتِه حتَّي يُودعوهَا نَظَرَاءهُم وَيَزرَعُوهَا فِي قُلوبَ أَشـبَاهِهِم هَجَم بِهِمُ العِلمُ عَلَي حَقيقَةَ البَصـيرَةِ وبَاشّرُوا رُوحَ اليَقينَ وَاسـتَلَانُوا مَا استَوعَرَهُ المُتَرَفونَ وَأنسُوا بِما استَوحَشَ مِنهُ الجَاهَلوُنَ وَصَحِبُوا الدُّنيَا بِأَبَدَانٍ أَروَاحُهَا مُعَلَقَةٌ بِالمَحَلِ الَأعلي أولئكَ خُلَفَاءُ الله فِي أَرضِه وَالدُّعَاةُ إلي دِينِهِ آهِ آهِ شَوقاً إلي رُؤيَتِهِم انصَرِف يا كُمَيلُ إذا شِئتَ).

ابن ابي الحديد مج 4 من شرح النهج، ص 310، ط الأولي بمصر.

الشرح: أصناف الناس

قال ابن أبي الحديد: الجبان والجبانة: الصـحراء، وتنفس الصـعداء أي تنفس تنفساً ممدوداً طويلاً. قوله عليه السلام: «ثلاثة»قسمة صحيحة، وذلك لأن البشر باعتبار الأمور الإلهية إما عالم علي الحقيقة يعرف الله تعالي، وإما شارع في ذلك، فهو بعد في السفر إلي الله يطلبه بالتعلم والاستفادة من العالم، وأما لأذا ولا ذاك، وهو العامي الساقط الذي لا يعبأ الله به. وصدق عليه السلام في أنهم همج رعاع أتباع كل ناعق. ألا تراهم ينتقلون من تقليد شخص إلي تقليد الآخر لأدني خيال وأضعف وهم.

المقارنة بين العلم والمال:

ثم شـرع عليه السـلام في ذكر العلم وتفضـيله علي المال، فقال: «العلم يحرسك وأنت تحرس المال، وهـذا أحد وجوه التفضـيل، ثم ابتدأ فذكر وجهاً ثانية، فقال: المال ينقص

بالانفـاق منه، والعلم لاـ ينقص بالانفاق بل يزكو، وذلك لأن إفاضـة العلم علي التلامـذة تفيـد المعلم زيادة اسـتعداد، وتقرر في نفسه تلك العلوم التي أفاضها علي تلامذته وتثبتها وتزيدها رسوخاً. فأما قوله «وصنيع المال يزول بزواله»فتحته سر دقيق حكمي، وذلك لأن المال إنما يظهر أثره ونفعه في الأمور الجسمانية والملاذ الشهوانية، كالنساء والخيل والأبنية والمأكل والمشرب والملابس ونحو ذلك، وهذه الآثار كلها تزول بزوال المال أو بزوال رب المال، ألا تري أنه إذا زال المال اضـطر صاحبه إلي بيع الأبنية والخيل والإماء ورفض تلك العادة من المأكل الشـهية والملابس البهيـة، وكـذلك إذا زال رب المال بالموت فإنه يزول آثار المال عنـده، فإنه لا يبقي بعد الموت آكلاً شارباً لابساً، وأما آثار العلم فلا يمكن أن تزول أبداً والانسان في الدنيا، ولا تزول بعد خروجه عن الدنيا.

أما في الـدنيا فلأن العالم بالله تعالي لا يعود جاهلاً به، لأن انتفاء العلوم البديهية عن الذهن وما يلزمها من اللوازم بعد حصولها محال، فإذاً قد صدق قوله عليه السلام في الفرق بين المال والعلم أن صنيع المال يزول بزواله، أي وصنيع العلم لا يزول، ولا يحتاج إلي أن يقول بزواله، لأن تقدير الكلام: وصـنيع المال يزول لأن المال يزول. وأما بعد خروج الإنسان من الدنيا فإن صـنيع العلم لا يزول، وذلك أن صنيع العلم في النفس الناطقة اللذة العقلية الدائمة الدوام سـببها، وهو حصول العلم في جوهر النفس الذي هو معشوق النفس، مع انتفاء ما يشغلها عن التمتع به والتلذذ بمصاحبته، والذي كان يشغلها عنه في الدنيا استغراقها في تدبير البدن وما تورده عليها الحواسمن الأمور الخارجية.

ولا ريب أن العاشق إذا خلا بمعشوقه وانتفت عنه أسباب الكدر كان في لذة عظيمة، فهذا هو سر قوله «وصنيع المال يزول بزواله»، فإن قلت: مـا معني قوله عليه السـلام: «معرفـة العلم دين دان به، وهـل هـذا إلاـ بمنزلـة قولـك «معرفـة العلم المعرفـة»أو «العلم العلم»وهـذا كلام مضطرب، قلت: تقديره: معرفة

فضل العلم أو شرف العلم أو وجوب العلم دين دان به، أي المعرفة بذلك من أمر الدين، أي ركن من أركان الدين واجب مفروض.

ثم شرح عليه السلام حال العلم الذي ذكر أن معرفة وجوبه أو شرفه دين دان به، فقال: «العلم يكسب الإنسان الطاعة في حياته، أي من كان عالماً كان الله تعالي مطيعاً، كما قال سبحانه:

(إِنَّمَا يَخشَي اللهَ مِن عِبَادِهِ العُلَماءُ) (1) ثم قال عليه السلام: «وجميل الأحدوثة بعد وفاته»أي الذكر الجميل بعد موته، ثم شرع في تفضيل العلم علي المال من وجه آخر فقال:العلم حاكم والمال محكوم عليه، وذلك أنك لعلمك أن مصلحتك في إنفاق هذا المال تنفقه، ولعلمك بأن المصلحة في إمساكه تمسكه، فالعلم بالمصلحة داع وبالمضرة صارف، وهما الأمران الحاكمان بالحركات والتصرفات إقداماً وإحجاماً، ولا يكون القادر قادراً مختاراً إلا باعتبارهما، وليسا إلا عبارة عن العلم أو ما يجري مجري العلم من الاعتقاد والظن، فإذن قد بان وظهر أن العلم من حيث هو علم حاكم وأن المال ليس بحاكم بل محكوم عليه.

ثم قال عليه السلام: «هلك خزان المال وهم أحياء»وذلك لأن المال المخزون لا فرق بينه وبين الصخرة المدفونة تحت الأرض، فخازنه هالك لا محالة، لأنه لم يلتذ بإنفاقه، ولم يصرفه في الوجوه التي ندب الله تعالي إليها، وهذا هو الهلاك المعنوي، وهو أعظم من الهلاك الحسي، ثم قال:

والعلماء باقون ما بقي الدهر هذا الكلام له ظاهر و باطن، فظاهره قوله: أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة»حقيقة لا مجازاً علي قول من قال بقاء الأنفس، و أمثالهم في القلوب كناية ولغز، ومعناه ذراتهم في حظيرة القدس، والمشاركة بينها وبين القلوب ظاهرة؛ لأن الأمر العام الذي يشملها هو الشرف، فكما أن تلك أشرف عالمها كذا القلب أشرف عالمه، فاستعير لفظ أحدهما وعبر به عن الآخر.

1- فاطر: 28

قوله عليه السلام: ها إن ههنا لعلماً جماً، وأشار بيده إلي صدره هذا عندي إشارة إلي العرفان والوصول إلي المقام الأشرف الذي لا يصل إليه إلا الواحد الفد من العالم، من الله تعالي فيه سر وله به اتصال، ثم قال: «لو أصبت له حملة»ومن الذي يطيق حمله؟ بل من الذي يطيق فهمه فضلاً عن حمله؟ ثم قال: بلي أصيب ثم قم الذي يصيبهم خمسة أقسام: أحدهم: أهل الرياء والسمعة الذين يظهرون الدين والعلم ومقصودهم الدنيا، فيجعلون الناموس الديني شبكة لاقتناص الدنيا. وثانيها: قوم من أهل الخير والصلاح ليسوا بذوي بصيرة في الأمور الإلهية الغامضة، فيخاف من إفشاء السر إليهم أن تتقدح في قلوبهم شبهة بأدني خاطر، فإن مقام المعرفة مقام خطر صعب لا يثبت تحته إلا الأفراد من الرجال الذين أيدوا بالتوفيق والعصمة، وثالثها رجل صاحب لذات و طرف، مشتهر بقضاء الشهوة، فليس من رجال هذا الباب، ورابعها رجل مغرم بجميع المال وادخاره، لا ينفقه في شهواته ولا في غير شهواته، فحكمه حكم القسم الثالث. ثم قال عليه السلام: «كذلك يموت العلم بموت حامليه»أي إذا مت مات العلم الذي في صدري لأني لم أجد أحدا أدفعه إليه وأورثه إياه.

إشارة إلي الإمام المهدي :

ثم استدرك فقال: «اللهم بلي لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، كيلا يخلو الزمان ممن هو مهيمن الله تعالي علي عباده ومسيطر عليهم .

وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية، إلا أن أصحابنا يحملونه علي أن المراد به الأبدال الذين وردت الأخبار النبوية عنهم أنهم في الأرض سائحون. فمنهم من يعرف ومنهم من لا يعرف، وأنهم لا يموتون حتي يودعوا السر – وهو العرفان – عند قوم آخرين يقومون مقامهم، ثم استنزر عددهم فقال: «وكم ذاه أي كم ذا القبيل وكم ذا الفريق، ثم قال: وأين اولئك؟ استبهم مكانهم ومحلهم، ثم قال: «هم الأقلون عدداً، الأعظمون قدراً، ثم ذكر أن العلم هجم بهم علي حقيقة الأمر، وانكشف لهم المستور المغطي، وباشروا راحة اليقين وبرد القلب وثلج العلم، واستلانوا ماشق علي

المترفين من الناس ووعر عليهم نحو التوحد ورفض الشهوات وخشونة المعيشة، قال: وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون.

يعني العزلة ومجانبة الناس وطول الصمت وملازمة الخلوة ونحو ذلك مما هو شعار القوم.

قال: «وصحبوا الدنيا بأرواح أبدانها معلقة بالمحل الأعلي، هذا ما يقوله أصحاب الحكمة من تعلق النفوس المجردة بمبادئها من العقول المفارقة، فمن كان أز كي كان تعلقه بها أتم. ثم قال: «أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلي دينه»لا شبهة أن بالوصول يستحق الإنسان أن يسمي خليفة الله في أرضه، وهو المعني بقوله سبحانه للملائكة:(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً)(1) وبقوله:(هُوَ الَّذي جَعَلَكُم خَلائِفَ الأَرضِ)(2) ثم قال عليه السلام: آه آه شوقا إلي رؤيتهم. وهو عليه السلام أحق الناس أن يشتاق إلي رؤيتهم؛ لأن الجنسية علة الضم، والشيء يشتاق إلي ما هو من سنخه وسوسته وطبيعته، ولما كان هو عليه السلام شيخ العارفين وسيدهم، لا جرم اشتاقت نفسه الشريفة إلي مشاهدة أبناء جنسه، وان كان كل واحد من الناس دون طبقته. ثم قال لكميل: «انصرف إذا شئت»، وهذه الكلمة من محاسن الآداب ومن لطائف الكلم؛ لأنه لم يقتصر علي أن قال: انصرف، كيلا يكون أمراً وحكماً بالانصراف لا محالة، فيكون فيه نوع علو عليه، فأتبع ذلك بقوله: إذا شئته ليخرجه من الحكم وقهر الأمر إلي عزة المشيئة والاختيار.(3)

انتهي الكتاب والحمد لله والشكر له في اليوم الحادي عشر من شهر صفر سنة 1410 ه

(لو كان الابتداء به سنة 1396 ه)

بقلم مؤلفه حسن علي القبانجي النجفي في النجف الأشرف

1- لبقرة: 30

2- الأنعام: 165.

3- شرح نهج البلأغة 18: 347 - 352

مصادر التأليف والتحقيق

القرآن الكريم

نهج البلاغة: السيد الشريف الرضي

الف)

الأمالي: الشيخ الصدوق / مؤسسة البعثة / قم / الأولي 1417ه

الأمالي: الشيخ المفيد/ جماعة المدرسين / قم.

الأمالي: الشيخ الطوسي / دار الثقافة / قم / الأولي 1414ه

الأمالي: السيد المرتضي / مكتبة آية الله المرعشي النجفي / قم / 1403ه

إسعاف الراغبين: محمد بن الصبان المصري

إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس / مكتب الإعلام الإسلامي / قم / الأولي 1414ه

الإرشاد: الشيخ المفيد / مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث / دار المفيد.

الإحتجاج: الشيخ الطبرسي /ط: النعمان / النجف الأشرف/1386ه

إرشاد القلوب: الحسن بن أبي الحسن الديلمي.

إحياء علوم الدين: الشيخ الغزالي .

الإختصاص: الشيخ المفيد /جماعة المدرسين /قم.

أسد الغابة: ابن الأثير.

إعلام الوري: الطبرسي / مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / قم / الأولي 1417ه

الأنوار النعمانية: المحدث الجزائري.

الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري / الأولي / ايران / 1413ه

إثبات الوصية: علي بن الحسين المسعودي / المطبعة الحيدرية / النجف الأشرف.

الأنساب: أبو سعد عبد الكريم السمعاني.

أعلام النساء: رضا كحالة.

الإصابة في معرفة الصحابة: ابن حجر العسقلاني / دار الكتب العلمية بيروت /الأولي 1415ه

أنوار التنزيل: البيضاوي.

إفحام الأعداء والخصوم: السيد ناصر حسين الموسوي الهندي.

إبطال الباطل: الفضل ابن روزبهان.

الإكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء: إبراهيم اليمني الوصابي.

أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي / ط 1.

الإستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر / دار إحياء التراث العربي.

الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية: جورج جرداق.

الإمام علي عليه السلام أسد الإسلام وقديسه: روكس بن زائدة العزيزي.

الإمام علي عليه السلام نبراس ومتراس: سليمان كتاني.

(ب)

بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار / الأعلمي / طهران / 1404ه

بحار الأنوار: المجلسي / مؤسسة الوفاء / لبنان/ الطبعة الثانية / 1403ه

بلاغات النساء: أبو الفضل بن أبي طاهر ابن طيوفور.

البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي / دار إحياء التراث العربي / الأولي / 1408ه

(ت)

تذكرة الموضوعات: محمد طاهر بن علي الهندي الفتني.

تفسير القرطبي: محمد بن أحمد القرطبي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / 1405ه

تفسير البيضاوي: عبد الله بن عمر الفارسي الشافعي البيضاوي.

ص: 442

التحصين: السيد ابن طاووس / مؤسسة الثقلين لإحياء التراث / قم /1413ه

تفسير الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي.

تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضي الحسيني الواسطي الزبيدي

تاريخ الخلفاء: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي.

تفسير شفاء الصدور: ابو بكر النقاش الموصلي

تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي / دار المعرفة / بيروت/1412ه

تفسير الصافي: المولي محسن (الفيض الكاشاني) الصافي / مكتبة الصدر / طهران / الثانية / 1416ه

تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي / دار الكتب العلمية / بيروت / 1417ه

تفسير الطبري: محمد بن جرير الطبري / دار الفكر / بيروت / 1415ه

تنبيه الخواطر: ابن ورام.

تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي / ط نجف.

تفسير الكشاف: محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري.

تفسير التبيان: الشيخ الطوسي / داء إحياء التراث العربي.

التفسير الكبير: الفخر الرازي.

تفسير البرهان: السيد هاشم البحراني.

تاريخ دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ابن عساكر / دار الفكر بيروت 1415ه

التوحيد: الشيخ الصدوق / جماعة المدرسين / قم / 1398ه

تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي / مؤسسة إسماعيليان / قم 1412ه

تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي / المكتبة العلمية / طهران.

تحف العقول: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني / مؤسسة النشر الإسلامي / قم / 1404ه

تفسير النيسابوري: مطبوع علي هامش تفسير الطبري.

تفسير مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي / مؤسسة الأعلمي / بيروت 1415ه

تفسير فرات: فرات الكوفي / الطبعة الأولي / طهران / 1410ه

تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي / دار صدار / بيروت.

تذكرة الخواص: السبط ابن الجوزي.

التكامل في الإسلام: أحمد أمين الكاظمي.

تفسير الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي / دار إحياء التراث العربي / بيروت الطبعة الأولي / 1418ه

الترغيب والترهيب: عبد العظيم المنذري الشافعي.

(ث)

الثاقب في المناقب: محمد بن علي (ابن حمزة) الطوسي / مؤسسة انصاريان / قم الأولي 1411ه

ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق.

(ج)

جامع السعادات: محمد مهدي النراقي.

الجمع بين الصحاح الستة: رزين بن معاوية بن عمار العبدري.

الجامع الصغير: عبد الرحمن أبي بكر جلال الدين السيوطي / دار الفكر / بيروت.

الجمل: الشيخ المفيد / مكتبة الداوري / قم

الجواهر السنية: محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي / مكتبة المفيد/قم.

جامع المقاصد: علي بن الحسين المحقق الكركي / مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / قم / الأولي / 1408ه

جواهر الكلام: محمد حسن النجفي / دار الكتب الإسلامية / طهران.

جنة المأوي: محمد حسين كاشف الغطاء

(ح)

الحكمة والحكماء: المؤلف رحمه الله / مخطوط.

حياة الحيوان: الدميري الشافعي.

حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني.

(خ)

خطيب العلماء: السيد صدر الدين القبانجي.

الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي / مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / قم

الخصال: الشيخ الصدوق / جماعة المدرسين / قم / 1403ه

(د)

دائرة المعارف البستانية.

الدرة النجفية: عبد الصمد التبريزي.

الدعوات: قطب الدين الراوندي / مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / قم

درر السمطين: محمد بن يوسف الزرندي الحنفي.

دعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربي / دار المعارف / مصر / 1383ه

دين و تمدن: محمد علي الحوماني.

دراسات في نهج البلاغة: محمد مهدي شمس الدين / دار الزهراء – بيروت / 1392ه

(ذ)

ذخائر العقبي: محب الدين عبدالله الطبري/ مكتبة المقدسي/ القاهره/ 1356 ه

الذريعة إلي تصانيف الشيعة: آغا بزرك الطهراني / دار الأضواء / بيروت / 1403ه

(ر)

روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري / منشورات الرضي اقم.

الرياض النظرة: محب الدين الطبري.

(س)

سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني / دار الفكر / بيروت.

سنن الكبري: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي / دار الفكر / بيروت.

السقيفة وفدك: أحمد بن عبد العزيز الجوهري / شركة الكتبي للطباعة والنشر /بيروت/ 1413ه

سنن الترمذي: محمد بن عيسي الترمذي / دار الفكر / بيروت.

السنن الكبري: أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي / دار الفكر / بيروت.

(ش)

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي / ط: مكتبة المرعشي النجفي / قم

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي / ط الأولي / مصر.

شجرة الطوبي: محمد مهدي الحائري / المكتبة الحيدرية / النجف / 1385ه

شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني.

شرح نهج البلاغة: السيد كاظم القزويني

شرح إحقاق الحق: المرعشي النجفي l مكتبة المرعشي النجفي / قم.

الشاهنامة: الحسن بن محمد الطوسي الفردوسي / ط: مصر.

الشيعة والحاكمون: محمد جواد مغنية .

شرح مائة كلمة: ابن ميثم البحراني / جماعة المدرسين / قم.

شرح الأخبار: القاضي النعماني المغربي / مؤسسة النشر الإسلامي / قم.

الشجرة المباركة: الشيخ علي اليزدي.

ص: 446

(ص)

صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري / دار الفكر بيروت/ 1401ه

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري / دار الفكر / بيروت.

صفات الشيعة: الشيخ الصدوق.

الصناعتين: أبو هلال العسكري.

الصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي البياضي / المكتبة المرتضوية / الأولي / 1384ه

الصواعق المحرقة في الرد علي أهل البدع والزندقة: ابن حجر العسقلاني.

الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري / دار العلم للملايين / بيروت / 1407ه

(ض)

ضبط نص نهج البلاغة: صبحي الصالح.

(ط)

طب الأئمة: عبد الله بن سابور الزيات المكتبة الحيدرية / النجف / 1385ه

(ع)

عوالي اللتالي: ابن أبي جمهور الاحسائي / الطبعة الأولي / 1403ه/ قم.

علل الشرائع: الشيخ الصدوق / المكتبة الحيدرية النجف / 1385ه

العدد القوية: علي بن يوسف الحلي / مكتبة المرعشي النجفي / قم / الأولي / 1408ه

عدة الداعي ونجاح الساعي: أحمد بن فهد الحلي / مكتبة الوجداني / قم.

عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق / مؤسسة الأعلمي / بيروت / 1404ه

عبقرية الإمام علي عليه السلام: عباس محمود العقاد.

عيون المعجزات: حسين بن عبد الوهاب / المطبعة الحيدرية / النجف / 1369ه

علي والقرآن: محمد جواد مغنية

العمدة: يحيي بن الحسن الأسدي الحلي ابن البطريق / مؤسسة النشر الإسلامي / قم / 1407ه

علي والأسس التربوية: المؤلف رحمه الله

عقد الدرر: يوسف ابن يحيي المقدسي الشافعي l مكتبة عالم الفكر/ القاهرة الأولي 1399ه

العهود المحمدية: عبد الوهاب الشعراني / شركة المصطفي البابي / مصر/1393ه

العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي.

(غ)

غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام: السيد هاشم البحراني / تحقيق السيد علي عاشور.

غريب القرآن: الحافظ أبو عبيد الهراتي

الغيبة: الشيخ الطوسي / مؤسسة المعارف الإسلامية / قم / الأولي / 1411ه

الغدير: الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني / دار الكتاب العربي / بيروت الرابعة 1397ه

(ف)

فضل الكوفة: الشريف العلوي.

الفصول المختارة: الشيخ المفيد / دار المفيد/ بيروت / 1414ه

الفتوحات المكية: ابن عربي.

فقه الرضا: المنسوب إلي الإمام الرضا عليه السلام / مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / قم/ الأولي / 1406ه

فرائد السمطين: شيخ الإسلام الحموييني.

فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني / عالم الكتب.

فلاح السائل: السيد ابن طاووس.

فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المناوي / دار الكتب العلمية / بيروت الأولي 1415 ه

الفصول المهمة: محمد بن الحسن الحر العاملي / مؤسسة المعارف الإسلامية / قم / 1418ه

الفرج بعد الشدة: الحسن بن أبي القاسم القاضي التنوخي / منشورات الشريف الرضي / قم / 1364ه

(ق)

قصص الأنبياء: قطب الدين الراوندي / الهادي / قم / 1418ه

قضاء الحوائج: ابن أبي الدنيا.

القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.

(ك)

كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق / مؤسسة النشر الإسلامي / قم / 1405ه

كشف الخفاء: إسماعيل بن محمد العجلوني / دار الكتب العلمية بيروت الثالثة/1408ه

كتاب سليم بن قيس الهلالي / تحقيق: محمد باقر الأنصاري.

كنز العمال: المتقي الهندي / مؤسسة الرسالة / بيروت/ 1409ه

الكامل: عبد الله بن عدي / دار الفكر بيروت / الثالثة / 1409 ه

كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: العلامة الحلي / الطبعة الأولي/ طهران/ 1411 ه

كشف الغمة: علي بن عيسي بن أبي الفتح الأربلي / دار الأضواء / بيروت.

كفاية الطالب: الكنجي الشافعي

كفاية الأثر: علي بن محمد الخزاز القمي/ انتشارات بيدار / قم / 1401ه

الكامل في التاريخ: ابن الأثير.

الكشف والبيان: أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري.

كشف الحق: العلامة الحلي /ط بغداد.

الكشكول في ما جري لآل الرسول: ابن المطهر الحلي.

الكافي: محمد بن يعقوب الكليني / دار الكتب الإسلامية / طهران/ الطبعة الثالثة / 1388ه

كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه / مؤسسة النشر الإسلامي / 1417ه

الكنة والألقاب: المحدث الشيخ عباس القمي.

(ل)

اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام : محمد علي بن أحمد القراچه داغي التبريزي / دار فاطمة عليها السلام للتحقيق / 1408ه

اللهوف في قتلي الطفوف: السيد ابن طاووس / أنوار الهدي / قم

لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور / نشر أدب الحوزة / قم / 1405 ه

(م)

المحتضر: حسن بن سليمان الحلي / المطبعة الحيدرية / النجف / 1370ه

مسند أحمد: أحمد بن حنبل / دار صادر / بيروت.

المستدرك علي الصحيحين: أبي عبد الله الحاكم النيسابوري / دار المعرفة / بيروت.

معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي / دار إحياء التراث العربي / بيروت/ 1399ه

المنتظم: عبد الرحمن بن علي الجوزي.

مستدرك الوسائل: الشيخ الميرزا حسين النوري الطبرسي / مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / قم 1408ه

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي / دار الكتب العلمية بيروت/1408ه

مطابقات الإختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية: أحمد الصديق الغماري.

المغازي: محمد بن إسحاق الواقدي.

المحير: محمد بن حبيب البغدادي.

المصنف: محمد ابن أبي شيبة الكوفي / دار الفكر بيروت / 1409 ه

معاني الأخبار: الشيخ الصدوق / مؤسسة النشر الإسلامي / جماعة المدرسين قم/1361ه. ش.

مصباح الشريعة: الإمام جعفر الصادق عليه السلام/ مؤسسة الأعلمي / بيروت/ 1400 ه

من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق / جماعة المدرسين / قم / الطبعة الثانية.

المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / الطبعة الثانية / تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / دار الحرمين / 1415ه

مشارق الأنوار: الشيخ حسن العدوي الحمزاوي.

مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني / مؤسسة المعارف الإسلامية / قم / الأولي / 1413ه

المكاسب: الشيخ الأنصاري / مجمع الفكر الإسلامي / قم / 1420ه

مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي.

مودة القربي: السيد أحمد الهمداني.

المناقب: الخطيب الخوارزمي

المحاسن والمساوي: أحمد بن الحسين البيهقي.

مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني / مؤسسة دار الكتاب / قم / منشورات المكتبة الحيدرية / النجف 1385ه

معارج الأصول: جعفر بن الحسن الهذلي (المحقق الحلي) / مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / قم /1403ه

مسند الإمام علي عليه السلام: المؤلف رحمه الله.

مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي.

مقتل الحسين عليه السلام: الخوارزمين

ملامح من عبقرية الإمام: د. مهدي محبوبة.

مصادر نهج البلاغة: السيد ابن زهرة الحسيني.

مشارق أنوار اليقين: الشيخ البرسي الحلي.

المزار: الشيخ المفيد / تحقيق: السيد الأبطحي.

منهاج البراعة: الميرزا حبيب الله الخوئي.

مستدرك نهج البلاغة: الشيخ هادي كاشف الغطاء.

ما هو نهج البلاغة: هبة الدين الشهرستاني .

مكارم الأخلاق: الشيخ الحسن بن الفضل الطبرسي / الطبعة السادسة / 1392ه

المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : محمد بن جرير الطبري (الشيعي) / مؤسسة الثقافة الإسلامية / قم / الطبعة الأولي المحققة.

منهاج الكرامة: العلامة الحلي.

مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهر آشوب / المطبعة الحيدرية النجف / 1376ه

المحاسن: أحمد بن محمد البرقي / دار الكتب الإسلامية.

مشكاة الأنوار: أبو الفضل علي الطبرسي / دار الحديث / قم / الأولي.

مجلة تراثنا: العدد 34 مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / قم.

المصنف: عبد الرزاق الصنعاني.

مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي / مؤسسة فقه الشيعة / بيروت / 1411ه

الموطأ :مالك بن أنس / دار إحياء التراث العربي / بيروت / 1406ه

منية المريد: الشيخ زين الدين بن علي العاملي الشهيد الثاني) / تحقيق: رضا المختاري.

(ن)

نزهة المجالس: الصفوري.

النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي / تحقيق السيد علي عاشور.

النص والاجتهاد: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي.

نظرة في شرح نهج البلاغة: محمد حسن القبيسي العاملي.

نظم درر السمطين: محمد بن يوسف الزرندي الحنفي / مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة / ط: الأولي / 1377 ه

النهاية في غريب الحديث والأثر: إبن الأثير الجزري / دار الكتب العلمية بيروت الأولي / 1418ه

(و)

وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاملي / مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / قم / 1414ه

وفيات الأعيان: إبن خلكان.

(ه)

الهداية الكبري: الحسين بن حمدان الخصيبي / مؤسسة البلاغة بيروت/ الرابعة / 1411ه

(ي)

ينابيع المودة لذوي القربي: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي / ط الأولي المحققة / قم / 1416ه

فهرست الموضوعات

من كلام له علي: في تمامية الرسالة والتحذير من النار...3

ضبط الالفاظ الغريبة ...3

الشرح...3

قصة أبي صمصام العبسي مع رسول الله صلي الله عليه وآله...7

الكلمات التامات...12

سؤال اليهود لعمر بن الخطاب ...13

أهل البيت عليهم السلام باب الحكمة...14

قضاء علي عليه السلام، بين النبي صلي اتلله عليه وآله وأعرابي ... 15

من خطبة له عليه السلام: في بيان فضله عليه السلام ووفاة النبي صلي الله عليه وآله...21

ضبط الألفاظ الغريبة...21

الشرح ...22

خمس فضائل لعلي عليه السلام ...22

أولها: عدم الرد علي النبي صلي الله عليه وآله والتسليم له ...22

رد عمر علي رسول الله صلي الله عليه وآله ...24

الثانية: المواساة النبي صلي الله عليه وآله...25

منها غزوة بدر...27

منها غزوة أحد ...27

منها: وقعة الأحزاب المعروفة بغزوة الخندق ...27

منها: غزوة وادي الرمل ...30

منها غزوة الحديبية...30

منها غزوة الخيبر...31

منها فتح مكة ...32

منها غزوة حنين ...32

الثالثة: النبي صلي الله عليه وآله في مرض الموت ...33

وفاة النبي صلي الله عليه وآله ...35

الرابعة:قبض روح صلي الله عليه وآله...40

سبعون منقبة لعلي عليه السلام...41

من كتاب له عليه السلام إلي معاوية جواباً:

يذكر فيه مثالب معاوية ومناقب أهل البيت علهم السلام ...53

الشرح...54

علي أخو الرسول ...54

آيات في حق علي عليه السلام...55

علي عليه السلام هو الشاهد...57

علي عليه السلام والوليد...58

اقتران اسم علي عليه السلام باسم رسول الله صلي الله عليه وآله...60

تصدق علي عليه السلام بالخاتم ...61

مفاخرة علي عليه السلام و العباس وثيبة...63

علي عليه السلام وشيعته خير البرية ...64

سأل سائل بعذاب واقع ...65

خطبته عليه السلام المعروفة بخطبة اللؤلؤة:

فيها يتعرض لحوادث المستقبل ويذكر فيها الإمام المهدي عليه السلام ...69

ص: 456

ضبط الالفاظ الغريبة ...70

الشرح...70

جرائم بني العباس...71

المنصور والعلويون...73

الإمام جعفر الصادق عليه السلام والمنصور ...76

كلمات تكفي الإمام الصادق عليه السلام شر المنصور ...77

جرائم المهدي بن المنصور...78

قصة عيسي بن زيد...79

المهدي ويعقوب بن داود بن طهمان...81

الهادي العباسي ...85

هارون الرشيد...86

ستون شهيداً...87

الأسطوانات ...88

يحيي والرشيد....89

شيوخ السوء ...89

الإمام الكاظم عليه السلام والرشيد...90

الإمام الرضا عليه السلام والرشيد...92

الأمين ...92

المأمون ...93

الإمام الرضا عليه السلام والمأمون...94

المتوكل وعداؤه لأهل البيت عليهم السلام ...96

من كلام له عليه السلام: في النهي عن غيبة الناس...101

الشرح...101

ص: 457

الغيبة وأثرها النفسي والإجتماعي ...102

تنبيه: في تحقيق معني الغيبة والأدلة الواردة في حرمتها...105

الأمرالأول: في تحقيق معناها ...105

اختصاص حرمة الغيبة بين المؤمنين ...107

الثاني: في الأدلة الدالة علي حرمة الغيبة...110

الدليل القرآني ...110

الدليل الروائي...111

الثالث: في دواعي الغيبة...116

الرابع: في عدم جواز استماع الغيبة ...118

الخامس: في مستثنيات الغيبة...120

السادس: في معالجة الغيبة...124

السابع: في كفارة الغيبة ...126

من كلام له عليه السلام: في العرفان والسلوك إلي الله ...129

ضبط الألفاظ اللغوية ...129

الشرح...129

شروط السالك131

وظائف السالك ...132

الجوع ...132

الصمت ...133

السهر ...134

العزلة والخلوة ... 134

شعر عرفاني...135

سيماء الشيعه...136

ص: 458

من خطبة له عليه السلام :

في التحذير من الدنيا والاعتبار بالأمم السالفة ووحشة القبر...139

ضبط الألفاظ الغريبة ...139

الشرح...140

خداع الدنيا ...140

مثال الدنيا ...144

العيش الممدوح...145

عدم الأمان في الدنيا...145

التاريخ و طول العمر ...146

ذو القرنين...148

الاسكندر والملكة الذكية...154

ذو القرنين وبلقيس ...155

الاسكندر وفيلسوف الهند...156

ذكر طواف الاسكندر في أقطار العالم وما رآي فيها من العجائب ...162

وصول الاسكندر مغرب الشمس ...166

الخضر وعين الحياة...167

وصول الاسكندر إلي مشرق الشمس وقصة يأجوج ومأجوج...168

الاسكندر وملك الصين ...171

ذكر وفاة الاسكندر: قال في (الشاهنامة) ...173

ثلاثون قولاً قيل عند موت الاسكندر...176

قصة أخري في وفاة الاسكندر...178

من خطبه له عليه السلام :

في التحذير وعدم الغفلة عما بعد الموت...181

ص: 459

الشرح...181

حقيقة الموت...182

حالات ذكر الموت...186

الحالة الأولي: قبل الموت...186

ما عليه الناس في هذه الحالة ...187

الحالة الثانية: عند الموت ...188

من كلام لهعليه السلام:

في المحافظة علي الشهادتين والاعتبار بموته ...191

الشرح...191

علم علي عليه السلام بزمان ومكان قتله ...193

وصايا أمير المؤمنين علي عليه السلام...195

دخول حبيلب علي علي عليه السلام في مرضه ...197

دخول عمرو بن الحمق علي علي عليه السلام في مرضه ... 197

دخول الأصبغ علي علي عليه السلام...198

دخول صعصعة علي علي عليه السلام...200

من كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه: في بيان أهمية الصلاة ...205

الشرح...205

الصلاة تحت الذنوب...213

فصل ووصل: الصلاة وطرق التقدم الثلاثة ...216

الصلاة لغة واصطلاحاً...221

جاء في خطبته عليه السلام المعروفة بالقاصعة:

وفيها يذكر موضعه وقربه من رسول الله صلي الله عليه وآله ...225

ضبط الألفاظ اللغوية...225

ص: 460

الشرح: علي وليد الكعبة ...226

قصيدة العمري في مدح علي عليه السلام...231

كلمة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء...232

ولادة علي عليه السلام في الكعبة في الشعر الإسلامي ...234

علي عليه السلام معلم جبرئيل...237

من كتاب له عليه السلام إلي معاوية ابن أبي سفيان:

يحذره فيه من سيئات عمله...239

ضبط الألفاظ اللغوية ...239

الشرح: علي ومعاوية ...240

الوفود علي معاوية ...242

عبيد الله بن عمر ...243

في إرسال صعصة بن صوحان إليمعاوية...245

في كتاب له عليه السلام إلي عثمان بن حنيف الأنصاري:

وفيه يعنفه علي قبوله دعوة وليمة ويذكر فيه زهده عليه السلام ...249

ضبط الألفاظ الغريبة ...249

الشرح...250

محطات للتأمل...251

البرنامج التربوي ...253

زهد علي والأنبياء عليهم السلام...255

قصة عيسي عليه السلام وصاحب الرغيف الثالث ...257

من كلام له عليه السلام:

يتعرض فيه لأرض فدك ويذكر فيه مجاهدة نفسه عليه السلام...259

الشرح...259

ص: 461

فدك تاريخياً...259

القيمة الاقتصادية لفدك...262

خطبة فاطمة عليها السلام...263

نص الخطبة المتضمنة الاحتجاج علي القوم والتظلم منهم بمحضر من المهاجرين والأنصار...265

في وصيته الكبري لولده الحسن عليه السلام:

في نفي الشريك والفتقاد العبد إلي الله ...273

الشرح: التوحيد ونفي الشريك...273

حقوق الله وأداءالواجب...277

ما هي الواجبات ...279

1-معرفة الله تعالي...279

2-أوامر الدين ونواهيه...280

3- مجاهدة النفس...280

4-العناية الدينية ...280

5- الأخوة الإسلامية ...281

من وصيته عليه السلام للحسن والحسين عليها السلام لما ضربه ابن ملجم:

وفيها يوصي بالتقوي ونظم الأمر والإهتمام بفروع الدين ...283

الشرح...283

وأما وصاياه العامة ...284

التقوي...284

ثمرات التقوي...285

إصلاح ذات البين ...287

رعاية الأيتام...288

ص: 462

رعاية الجيران289

حدود الجوار وحقه...291

الاهتمام بالقرآن...291

الاهتمام بالصلاة ...292

وورد في التوراة ...292

شعيرة الحج ...294

قصة بناء الكعبة ...294

أسرار الحج...297

الاستعداد للحرب...301

وصايا عامة أثناء الحرب ...302

أولاً: الثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار من المعركة ...302

ثانياً: ذكر الله في حالة الحرب...302

ثالثا: الطاعة...302

رابعاً: عدم التنازع ...303

خامسا: الصبر علي ما يكرهون من شدة ...303

الحسن البصري يمدح علياً عليه السلام...306

من خطبة له عليه السلام:

يوصي فيها بتقوي الله والتذكير بالموت...309

الشرح...309

التقوي أصل جميع الفضائل ...310

ولكن ما هي التقوي ...311

آيات في التقوي...311

التفاضل بالتقوي لا بكثرة المال...313

مراتب التقوي ثلاث...314

كيف تحقق التقوي...316

من خطبة له عليه السلام:

وفيها يسبح الله ويذكر نعيم الجنة ...321

ضبط الألفاظ اللغوية ...322

الشرح...322

عالم الآخرة ...323

العلم التجريبي وإثبات الآخرة...324

الجنة ...326

الذات الخلد ...329

من عشق شيئا أعشي بصره...337

الشهوة الجامحة...341

وصف الجنة في القرآن...343

وصف الجنة في الأحاديث السنة ...344

سكرات الموت...351

الجسد بعد الموت...356

موارد الركون إلي الدنيا...357

إدريس النبي وملك الموت...358

أبيات في الموت ...359

من خطبة له عليه السلام:

في إرساله الرسل وحالة العرب قبل الإسلام ...361

الشرح...361

الأديان في عصر الجاهلية ...361

ص: 464

أصنام العرب...363

كيف يختار الله أنبياءه ...365

صفات الأنبياء ...366

الشكر عصارة التقوي...367

صفات رسول الله صلي الله عليه وآله...368

أخلاق النبي محمدصلي الله عليه وآله...373

قصور البعض عن إدراك عظمة النبي صلي الله عليه وآله...375

من خطبه له عليه السلام: يذكر فيها أصناف الناس...379

ضبط الألفاظ اللغوية ...380

الشرح...380

عصر علي عليه السلام ...380

الأول: انقلاب الموازين الخلقية ...381

الثاني: ازدياد الظلم...381

الثالث: عدم الانتفاع بالعلم..381

الرابع: عدم التعلم 382

الخامس:الأمن من مكر الله ...383

أصناف الناس ...383

الرياء ...385

المقام الأول: في تحقيق معني الرياء والسمعة...388

الثاني: في ذكر بعض ما ورد فيه من الآيات والأخبار...388

حديث معاذ عن النبي صلي الله عليه وآله ...392

الثالث: في أقسام الرياء والوجوه المتصورة فيه ...395

علاج الرياء...399

ص: 465

الدواء العملي للرياء...401

من خطبة له عليه السلام: يرغب فيها

بالجهاد ويذم أصحابه علي تخاذلهم عنه ويذكر فيها أفعال جيش معاوية ...403

ضبط الألفاظ اللغوية ...404

الشرح...405

وصية معاوية الارهابية...405

معركة الأنبار ...407

فضل الجهاد ...408

ثواب وأجر الشهيد 409

جهاد عمير بن الحمام...413

جهاد أنس بن النضر ...413

جهاد عمرو بن الجموح...414

جهاد حارثة ...415

معركة بدر...417صلح الحديبية...419

من وصية له لولده الحسن عليهما السلام:

يذكر فيها حقوق الاخوان ...421

الشرح: حكم ومواعظ ...421

النصيحة في الوعي الديني ...424

نصيحة الصحابي سعد بن الربيع لرسول الله صلي الله عليه وآله ...430

نصيحة عبد الله بن كعب لعلي عليه السلام...431

نصيحة ابن عوسجة للحسين عليه السلام...431

نصيحة العباس لأخيه الحسين عليهما السلام...432

ص: 466

من كلام له عليه السلام لكميل بن زياد رضي الله عنه:

في أصناف الناس وفضل العلماء وفيه يتعرض لذكر المهدي عليه السلام...435

الشرح: أصناف الناس...436

المقارنة بين العلم والمال ...436

إشارة إلي الإمام المهدي عليه السلام ...439

مصادر التأليف التحقيق ...441

فهرست الموضوعات ...455

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹